

نزل فن المغرب

القصة

الدكتور
عباس بن عبد الله الجباري
أستاذ بكلية الآداب
جامعة محمد الخامس

كلمة شكر

أتوجه بها للفاضل المحترم الحاج
عبد القادر المكناسي الذي أنفق على
طبع هذا البحث فأتاح له أن يعرف النور

إلى أبي

تصدير

بقلم الدكتور عبد العزيز الالهواني

اختلف موقف القدماء من الادب العامي وما يتصل به اختلافًا يسترعى النظر . فلو بدأنا بفروع من فروع هذا الادب - يعتبر اقرب ما يكون للادب المغربي وهو التوشيح - لوجدنا أن أحد المؤلفين الاندلسيين، وهو أبو الحسن بن بسام، يرفض أن ينقل منه شيئاً في كتابه «الذخيرة»، على الرغم من أن ابن بسام ألف هذا الكتاب غضباً لاهل الاندلس ودفاعاً عنهم، وعلى الرغم من أن رأى ابن بسام في الموشحات الاندلسية أنها «أوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب» وحبته في رفض هذه الاوزان أن «أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» لذلك اسقط الموشحات من ديوانه، وراها خارجة عن غرض تأليفه .

ومع ذلك فقد عاش في القرن السادس نفسه شاعر مصري كبير، هو ابن سناء الملك، وقف من هذا الفن الجديد موقفاً منافضاً لزميله الاندلسي، فقد أفرد ابن سناء الملك كتاباً خاصاً لفن التوشيح، هو كتابه «دار الطراز» استقبل فيه هذا الفن الاندلسي استقبالا رائعاً جعله يقول: «إن الموشحات مما ترك الاول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وغادر بها الشعراء من متردم» ويهضي ابن سناء الملك في التعبير عن إعجابه الشديد بالموشحات فيقول عنها «صار المغرب بها مشرقاً لشروفيها بأفقه، واشراقها في جوه، وصار أهله بها أغنى الناس لظفرهم بالكتمز الذي ذخرت له الأيام، وبالمعدن الذي نام عنه الانام .»

وإذا كان موقف ابن بسام هو هذا من التوشيح الذى يستخدم اللغة العربية أداة للتعبير ، فماذا يكون موقفه من فن الزجل الذى يستخدم اللغة العامية ، والذى ينفر أصحابه من الاعراب نفورا جعل ابن قزمان يرى أن الاعراب «أقبح ما يكون فى الزجل ، وأثقل من اقبال الاجل» ؟

ومع ذلك فإن أبا محمد التجارى الاندلسى - وهو من عصر ابن بسام أيضا - قد أودع كتابه «المسهب فى غرائب المغرب» عددا ضخما من الأزجال ، فضلا عن التوشحات ، نقل منها وأضاف إليها ما أضاف على بن سعيد فى كتاب «المغرب فى حلى المغرب» ، وكذلك ألف ابن الدباغ المالى «ملج الزجالين» ثم ألف لسان الدين بن الخطيب «جيش التوشيح» وذكر ابن خالون الفنين فى مقدمته ، ونقل نصوصا منها .

وكذلك كان موقف القدماء من الأمثال العامية : يفرد لها أبو يحيى الزجالي القروطى فصلا فى كتابه «رى الاوام» وابن عاصم الغرناطى فى «حداق الأزهري» ويتحاشى ذلك غيرهما ممن مؤلفى كتب المسامرات والمعاضرات .

وما يقال عن فنون الأدب العامى فى المغرب يقال عن نظائرها فى المشرق ، وعن مواقف مؤرخى الأدب المشاركة منها . وما يقال عن المؤرخين يقال أيضا عن الأدباء من شعراء ونثرين ، فمنهم من شارك فى النوعين جميعا ، ومنهم من اقتصر على الأدب التقليدى أو الرسمى وحده ، ومنهم من انقطع الى الأدب العامى دون سواه .

ولا شك أننا واجدون أسبابا شخصية أو فردية وراء كلا الموقفين حين نريد معرفة الدوافع التى جعلت أحد الأدباء يتجه وجهة غير التى يتجه إليها الآخر . ولكن هذه الأسباب الشخصية والمواقف المتناقضة بين أصحاب الأقالام من المؤرخين والأدباء ، ومن يمتلكون القدرة على التدوين والتصنيف ، لا ينبغي أن تهجب عنا القضية الكبرى .

تلك القضية هى أن عبقرية الأمة ، ممثلة فى جماهيرها الفقيرة ، لابد أن تجد لها متلفسا ومثقلا للتعبير عن مشاعرها ، ولابد أن تصطنع لها

من أساليب الفنون ما تصور به ذات نفسها . فإذا ما سد أمامها باب فتحت
لنفسها بابا آخر ، وإذا كثرت العقبات والعراقيل في طريق سلكت طريقا
آخر ، وإذا لم تجد عند الاديب المتفصح الاستجابة الكاملة لذوقها وشعورها
وفهمها بحثت عن الاديب العامي والفنان الشعبي ، غير مقتصرة على فن
القول وحده ، بل متجاوزة ذلك الى فنون التعبير الاخرى من موسيقى وغناء
وتصوير ونحت وعمارة وزخرفة وصنائع يدوية . وكل هذه الفنون ، جملة
وتفصيلا ، ميراث لهذه الامة ، يحمل فيضا من مواهبها ، ويبرز جوانب من
عبقريتها ، ويظهر سمات وخصائص من حياتها الطويلة العريضة .

وقد أتى على الامة العربية حين من الدهر صار فيه أدباء العربية
- لاسباب كثيرة - في عزلة أو شبه عزلة عن مجموع الشعب . لقد أخذ
هؤلاء الادباء يدورون حول أنفسهم في نطاق ضيق خائق من الموضوعات
ومن المعاني والاخلية ، ويعنون بالصنعة اللفظية ، ويتلاعبون بالصيغ أو
الحيل البلاغية تالعبا باعد بين أدبهم وبين الحياة العامة . وهناك اتسع
المجال أمام الآداب الشعبية ، فعوضت هذا النقص بما انتجه مواهب أصحابها
في ميادين القصص والحكايات والخرافات ، وفي ميدان الشعر بأنواعه
المختلفة وأساليبه المتعددة ، وكان الازدهار الذي يعرفه مؤرخو هذه الفنون
ابتداء من القرن السادس الهجري وما تلاه ، فلما عاد أدباء العربية في
نهضتهم الحديثة الى ممارسة مهمتهم الاصلية ، والى أداء رسالتهم الثقافية
الكبرى نحو أممتهم ، أخذت حواجز العزلة ترتفع ، وأخذت الصلات الطبيعية
بين صاحب الفن وشعبه تعود سيرتها الاولى شيئا فشيئا ، واقتربت المسافة
بين الادب الرسمي والادب الشعبي ، وأصبح الاخير مصدر الهام وإيحاء
للاول ، بل اقتربت المسافة بين لغة الثقافة ولغة الحديث اليومي ، اذ ارتفع
مستوى الاخيرة بانتشار التعليم وذيوع الثقافة ، ومالت الاولى الى السلاسة
والمرونة وابتعدت عن التكلف والتعقيد ، وفي هذا كله ما فيه من كسب
ثقافي ومن تفاعل مشر خصب ، ومن رد الامور الى مجاريها الاصلية .

وهذه الظروف الثقافية والاجتماعية التي ردت أدباء العربية الى

مشاركة الجماهير تعبيراً وأداءً في العصر الحاضر ، هي أيضاً التي جعلت المحدثين من مؤرخي الأدب العربي يعيدون النظر في تاريخ أمتهم الثقافي ، فلا يقفون بهذا التاريخ عند حدود الأدب الرسمي وحده ، وإنما يمدون دراساتهم إلى الآداب الشعبية ، ليسمعوا أبناء الجيل الحديث بأن تراثهم الأدبي أكثر غنى وثراء وخصوبة وتنوعاً مما كانوا يظنون من قبل ، فتعود إليهم بذلك الثقة بأمته وبماضيها وتراثها . هذا فضلاً عن أن دراسة هذه الآداب الشعبية واجب مفترض على كل مؤرخ متى كان عارفاً بحدود مهنته ، صادقاً في أداء مهمته التاريخية .



وهذه الدراسة المستفيضة التي بين أيدينا للدكتور عباس الجراري حلقة في سلسلة طويلة لدراسات جامعية شملت كثيراً من أقطار العروبة ، نهض بها وينهض أبناء من علماء تلك الأقطار . ولقد أخذ كثير من هذه الدراسات طريقه إلى المطابع شرقاً وغرباً .

ولا شك أن الجهد الذي بذله الباحث جدير بكل تقدير وثناء ، وأنه به يسلمى لنا إلى تاريخ الثقافة العربية ، لاسيما وميدان هذه الدراسة هو هذا المغرب العربي الذي قام بدور رائع في الأدب العالمي ، حيث استحدثت فنين ذاعا في الوطن العربي كله ، هما التوشيح والزجل ، بل إن أثرهما تجاوز الوطن العربي إلى الآداب الأوروبية في القرون الوسطى ، فكان لهما فضل - يعترف به اليوم - على تلك الآداب .

ومطالعة هذه الدراسة وقراءة النصوص التي اشتملت عليها يؤكد لدارسي الأدب العربي حقيقتين :

أما أولاهما فهي أن هذا الأدب العالمي قد استوعب إلى حد كبير الثقافة العربية في أصولها الكبرى ومنابعها الأصيلة . لقد وجد الشاعر العالمي في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وسيرة الرسول والخلفاء من بعده معيناً لا ينضب ، كما وجد في أخبار فرسان العرب وعشاقهم في الجاهلية والإسلام نماذج يشيد بها ، بل أننا لنجد هذا الشعر العالمي وثيق الصلة بالشعر العربي فيما يتصل بالآغراض والموضوعات من غزل ووصف

ح
وخمريات ومديح وثناء ، وفيما يتصل بالعاني والصور البيانية والاختلة
واساليب المعالجة ، فضلا عن المثل العليا المشتركة ، وذلك الى ما يضيفه
هذا الادب العامي من أصالة وصلقي ، ومن وثبات للمواهب تنطلق بين
حين وحين هنا وهناك ، ومن تعبير رائع عن الجماعة التي عاش فيها بكل
ما لها من أحلام وآمال .

أما الحقيقة الثانية ، وهي بغير شك مرتكزة على الأولى ، فهي هذه
القربى بين الادب العامي في المغرب والآداب العامية في المشرق ، فالدراسة
السريعة المقارنة بين هذه الأشعار المغربية ونظائرها في الجزيرة العربية
والعراق والشام ومصر تكشف عن تشابه لا يمكن أن يكون عرضيا ،
وأحسب أنها لا تترد الى مجرد الشبه الحضاري القائم فعلا بين هذه
الاجتمعات كلها في ماضيها وحاضرها ، بل اعتقد أن شعراء العامية هؤلاء
كانوا يتدارسون تراثا عاميا مشتركا ، وكانوا على صلة مستمرة فيما بينهم
وإن بعدت الدار . ولعلنا نجد مصداق هذا فيما ذكره ابن سميذ من أنه رأى
أزجال ابن قزمان القرطبي مروية ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب ،
ويؤكد هذا أيضا العناية الفائقة التي خص بها صفي الدين النحلي ترحالي
المغرب في كتابه عن الفنون العامية المسمى «العاطل الرحالي» .

وكم كنت أتمنى أن يبادل الدكتور عباس الجوراني جهادا آخر في
الكشف عن صلة هذا الشعر المغربي بالشعر العربي ، وفي مقارنته بالشعر
العامي المشرقي ، ولكن من الحق أن يقال أننا لا نزال اليوم في مرحلة التجمع
والدراسة في نطاق البيئات الخاصة . حتى إذا قطعت أشواط في هذه المرحلة
جاءت المرحلة التالية : مرحلة المنابع والدراسات المقارنة . وحسبنا أن نجد
هؤلاء الدارسين من أولى العزم في كل قطر عربي لنطهش الى أن ما نطمح
اليه من دراسة شاملة مقارنة سيجيء حتما ، وفي وقت قريب ، وأملنا في
صاحب هذا البحث وزملائه كبير .

القاهرة في مارس 1970

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لكل امة تراث هو عنوان شخصيتها الوطنية يعبر عن قدرة عقليتها ، ويحدد مدى عبقريتها ، ويكشف عن قوة ارادتها ويبرز طابعها القومي الاصيل في مجالى الحضارة والثقافة . وقد مضى زمن غير يسير كان الناس - عامة وخاصة - يظنون ان هذا التراث لا يمثل فى غير ما الف العلماء من كتب تحويها بطون الخزائن والمكتبات ، وفيما اقامت الاجيال خلال حقب التاريخ من آثار لم يتلفها توالى العصور والازمان ، ويغفلون جانبا من التراث ، لعله لا يقل عن هذين الجانبين فى توضيح معالم كيان الامة وملامح وحدتها وابرار مقوماتها وقيمها ، ان لم يكن اكثر منها عكسا لروحها القومي وذاتيتها الجماعية ، وهو الجانب الممثل فى الآداب والفنون التى صدرت عن الشعب فردا وجماعة ، متخذة وسيلتها فى التعبير الوانا من القول والكلام والنغم والايقاع والحركة والاشارة والرسم والتشكيل .

وانطلاقا من هذه الحقيقة بدأنا نهتم بالتراث الشعبى فى المغرب ، نحاول جمعه ودراسته ، فالفينا مادته متنوعة غزيرة ، وهى على تنوعها وغزارتها تنقرض وتضيع فى غمرة التيار الحضارى الجديد الذى بهر الناس بريقه فجعلهم يدوسون هذا التراث ، جاهلين او متجاهلين انهم يدوسون فيه مقومات ثقافتهم الوطنية ومظاهر حضارتهم الاصيلية .

وكانت رغبتنا ملحة واكيدة حين عزمنا على اختيار موضوع لرسالة الماجستير ، ان نتناول جانبا من الادب الشعبى ، وهو أدب يغرينا ويجذبنا اليه فنحس له ميلا غير قليل ، فقد رافقنا رفقة عمر منذ عرفناه ترنينا فى

المهد ، لاندركه ولا نعيه ، الى ان طربنا له واعين روعته ومدركين جماله ، فاحبيناه وغدونا من حبه نشعر بمزاج متجاوب معه ومنسجم بالطبيعة وانسليقة دون ما تكلف او تصنع . ولكننا لم نحس الجرأة على مواجهة الجمهور المثقف المغربي بمثل هذه الدراسة ، لاسيما بعد تجربة سابقة عايننا فيها الكثير وكنا قد نشرنا (1) بحثنا مسلسلا عن «الفولكلور» .

عدلنا في الما جستير عن الادب الشعبي وسجلنا موضوعا في الادب المغرب المغربي ، متصلا بعهد الموحدين ، ادركنا دراسته حول الشاعر الامير ابي الربيع سليمان الموحدي ، ولكننا وعدنا نفسنا بضرورة انجاز بحث الدكتوراة في احد فروع التراث الشعبي .

وهانحن نفى اليوم بهذا الوعد حيث تقدم اطروحة جعلنا موضوعها لونا من الادب الذي اتخذ اللهجة العامية اداته .
وتعتبر هذه الاطروحة خلاصة جهود متواصلة في الاعتناء بهذا الجانب من التراث الشعبي اكدت لنا الدوافع التي كانت حافزنا الى الاقبال عليه ، وهي :

- 1 - ان الادب الشعبي صورة للشخصية الوطنية ، مهما كانت باهتة فهي اوضح من الصورة التي يعكسها الادب المدرسي المثقف .
- 2 - ان دراسته تعزيز لاقليمية الادب وتقرير لمذهبه الذي تؤيد الداعين له منهاجا للكشف عن ادب الاقاليم العربية المختلفة وسبيل الامة العربية الى لم شتات ادبها المبعثر المجهول .
- 3 - ان الادب اشعبي مكمل للادب المدرسي وان من شأن دراسته ان تساعد على الربط بين الادبيين واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما .



وقد صادفنا في انجاز هذه الرسالة **متاعب ومصاعب**، بعضها يتصل بموقف المثقفين في المغرب من الادب العامي ، واغلبها يتصل بمصادر الدراسة اما موقف المثقفين فواجهنا فيه انكارا مطلقا علينا ان نتخذ الزجل

(1) في مجلة «دعوة الحق» وفي ثلاث حلقات ابتداء من عدد نوفمبر 1962 (السنة السادسة)

موضوعاً لرسالة جامعية ، وحاول كثير من الباحثين الاصدقاء تحويل فكرنا عنه واغراءنا بموضوعات في الادب العربى المغربى او بما يرويه التراث الحقيقى الاصيل . وهم فى هذا بين عدم معتبر للآداب والفنون الشعبية من التراث ، لا تمثل قيمتها ولا يراها جديرة بالبحث ، وبين معترف بها ومقتنع بجديده الدراسة التى ندير عليها ، ولكن يراها تستهدف التسلية والترريح ونأتى بذلك فى المرتبة الثانية بعد التراث المدرسى ، لا يعدو الاهتمام بها أن يكون ترفاً للعقل وترفيهاً عن النفس ، وآخر يرى ان العامية اثر من بقايا فترة التآخر والانحطاط ورواسب عهد الاستعمار ، وان الاعتناء بها يعرقل سير التعريب الذى يسعى المغرب الى تحقيقه ، وانه لا يمثل غير حركة رجعية هدامة تستتر خلف المحافظة على الآداب الشعبية .

ولعلنا ان نؤكد لهؤلاء جميعاً ان الادب الشعبى جزء ركين من التراث وأنه تعبير عن مقومات الشخصية الوطنية والذاتية الجماعية ، وان الاهتمام به اهتمام بهذه الذاتية وتلك المقومات ، وانه لو لم يكن كذلك ما حاول الاستعمار ان يعنى ببعض جوانبه ليتسنى له ان يتسرب من خلالها اليها ليفهم عقليتنا ويدرك اعماق ثقافتنا واصول حضارتنا لينسفها من الاساس ونحن مع استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد يونس نخطئ من تصور ان الآداب والفنون الشعبية «تستهدف التسلية والترريح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل تلتئم لها المواسم وتتخبط لها اماكن التجمع . ان التسلية والترريح وظيفة ثانوية ، اما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز فى امته وتطلب المحافظة على الجماعة كلها فى آن واحد (1)» .

ولعلنا ان نؤكد كذلك ان العامية ليست مظهراً من مظاهر اللغة الفصحى فى صورة منحطة متأخرة ، وانها مزيج مركب من العربية كما وفدت الى المغرب ومن اللغة المحلية يومئذ ونعنى بها البربرية ، وان العربية التى وفدت لم تكن الفصحى وحدها وانما كانت معها لهجات عربية قبلية ،

(1) من المقال الافتتاحى لمجلة (الفنون الشعبية) بعنوان «المأثورات الشعبية» العدد الاول السنة الاولى 1965

وان الصراع اللغوى الذى دار فى المغرب لم يكن بين الفصحى والبربرية وانما بين هذه ومختلف اللهجات التى كان يتكلم بها العرب الوافدون .
ومن هنا - واذا ما تهيأت دراسة اللهجات العربية فى كل الاقاليم -
امكن التعرف الى صفاتها وخصائصها والى ما بها من عناصر أصيلة ،
واتضح بالتالى كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ، بل اذا ما تهيأت
هذه الدراسة سهل تحديد مناطق التقريب بين العاميات وتوحيدها وسهل
كذلك تطوير الفصحى وامتدادها بكثير من الجديد .

ولعلنا ان نؤكد بعد هذا حقيقة أخطأ فى ادراكها من كان يتصور ان
الاستعمار كان يحاول القضاء على الفصحى لحساب العامية ، فمن المؤكد
انه كان يقصد الى محوهما جميعا ليحل لغته وينشرها اداة للتخاطب والفكر
على السواء . ولسنا فى حاجة الى القول بأنه لم يعد يخشى على الفصحى
ان يقضى عليها او تزول بعد ان عادت سيادة الوطن العربى الى ابنائه ،
فاللغة العربية الفصحى هى الرباط الجامع لشمس العرب وعماد قوميتهم
وعنوان وحدتهم ، وهو واقع لا ينكره الا الجاهلون والمعادون ومن بقيت
فى نفوسهم وأفكارهم رواسب الاستعمار ، ولكنه انكار لا يؤثر على هذا
الواقع فى شيء .

وحقيقة اخرى فى نفسنا نرجو ان نصرح بها للذين يرفضون دراسة
الزجل خشية على العروبة ولغتها ، وهى ان اتخاذ المغاربة للهجة عامية
عربية اداة للتعبير الشعرى دليل واضح وقاطع على عروبتهم وحيويتهم
وحبهم للغة العربية ، ولكن حذار الظن باننا ندعو لها لغة للفكر ، فهى قاصرة
وعاجزة عن ان تنعدي نطق ذلك التعبير . ثم اننا فسى غنى عنها بلغتنا
الفصحى التى يتوفر لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب كل
جديد .

واما المصادر فعلى اربعة انواع :

1 - الابحاث التى تتصل مباشرة بالدراسة ، وهى جد قليلة لاتنعدي
بضع مقالات . وكان قد ذكر لنا الاستاذ محمد الفاسى انه مهتم منذ
خمس وثلاثين سنة بوضع عروض للشعر الملحون المغربى فاعتبرناه بذلك

رأى البحث في الأدب الشعبي ، وسألناه أكثر من مرة - بالاتصال الشخصي
والموسائط والرسائل - ورجوناه والحثنا في الرجاء عما يمدنا بما قد
يفيد . ولكنه كان أبدا يردنا ويصدنا مهولا لنا امر هذا الأدب ، بخيلا علينا
بما قد يكون جمع من تصوصه أو كتب عنه ، وشجينا حتى بالكلمة الطيبة ،
تتير لنا الطريق أو تبعث التشجيع في نفسنا على الأقل .

2 - الاشياخ : سواء منهم أشعراء أو الرواة . وقد اتصلنا في
مختلف المدن المغربية بعدد منهم غير قليل . وكان اعتمادنا عليهم كليا في
التعرف الى الزجل والزجالين ، ولكننا وجدناهم يختلفون في العلم الى
حد التناقض في بعض الاحيان ، ويروون اخبارا اقرب الى الخوارق
والخرافات منها الى الحقائق . وكان علينا ان نسطم ماناخذ عنهم من
معلومات واحبار ، فوضعنا فهرسين بالجذاذات احدهما خاص بالزجل
وانثاني بالزجالين مرتب ترتيبا تاريخيا . وكان علينا بعد هذا ان نصفي
ما نأخذ عنهم من معلومات ونقربها وننسق فيما بينها . ومع اننا وجدنا
في ذلك مشقة وصعوبة ، فقد تمكنا في النهاية ان نصل الى تحديد مقاييس
الزجل وقواعده والتاريخ له .

3 - النصوص الزجلية وتمثل في :

أ - النصوص المطبوعة : وهي جد قليلة لاتتعدى ديوانا صغيرا وبضع
قصائد متفرقة .

ب - النصوص المخطوطة : تتضمنها مجموعة الكنايش التي وقفنا
عليها في المكتبات العامة والخاصة . ونسجل هنا اننا لم نتمكن من الاطلاع
على مجاميع الخزانة العامة المرقمة في حرف د : 474 - 1426 - 1504
1535 ، وقد تبين لنا بعد البحث الطويل عنها انها اخرجت من الخزانة
وانها في حوزة الاستاذ الفاسي . وخاطبناه في ان يسمح باطلاعنا عليها
ولكنه لم يستجب . كذلك سألناه أكثر من مرة ان يمدنا ببعض القصائد
وخاصة قصيدة - المصرية - وهي قصيدة طويلة لايحفظها الاشياخ كان
قد نظمها محمد بن علي العمراني في احتلال بونا بارت لمصر . وكنا سألناه
عنها فأخبرنا انها مدونة لديه . وطلبنا منه - شفاهها وكتابة - ان يطلعنا

عليها أو على جزء منها ولكنه للأسف لم يفعل .

ج - النصوص المروية وقد جمعنا منها عددا غير قليل بواسطة التسجيل الصوتي والتدوين الكتابي سواء من الإذاعة أو من أفواه الشعراء والمنشدين . وقد لاحظنا ان الإذاعة لا تتوفر الا على عدد قليل من القصائد بسبب حداثة عهدنا بنظام التسجيل الصوتي ، كما لاحظنا ان محفوظات الاشياخ تدور في نطاق عدد معين من القصائد لا تخرج عما يرغب الجمهور في الاستماع اليه ، بل ان تقرير جمعية -- هواة الطرب الملحون -- بمراكش لسنة 64-65 يثبت ان محفوظ اعضاء الجمعية - منشئين ومنشدين وهواة لا يتعدى سبعا وتسعين ومائة قصيدة ، وان اكثر الشعراء خطأ وهو التهامي المدغري لا يحفظ له اكثر من اثنين وثلاثين قصيدة . ويثبت تقريرها للسنة التالية ان عدد الاشياخ الذين انشدت اشعارهم لا يتعدى الخمسين . ولم يكن سهلا علينا ان نفهم هذه النصوص ، وخاصة منها المدونة ، بسبب تطور اللهجة وعدم معرفتنا بمعاني كثير من الكلمات وكيفية النطق بها وطريقة قراءة البيت بما يقيم الوزن . وحتى بالنسبة للنصوص المفقودة فقد كان الامر غير يسير ، اذ ان الحفاظ يختلفون في نقل النص الواحد ، وغالبا ما يروونه محرفا غير صحيح الا من كانوا عنهم عارفين بالفرن متركين لتقاييسه ، ومثل هؤلاء يحاولون التصرف في النص بالتبديل والاصلاح . وكان احساسنا بهذه الصعوبة قويا حين حاولنا - مجتهدين - في الغالب - ان نضبط النماذج التي اوردنا ونشكلها لتسهيل قراءتها ويقرب فهمها (1) ولنفس الغاية حاولنا كتابة النصوص حسب نطقها او بالاحرى حسب النطق الذي اهتمدنا اليه ، بالاضافة الى اننا قدمنا شروحا لما رأيناه غامضا من الكلمات والتراكيب ، والى اننا لجأنا في باب الموضوعات الى نشر ما استشهدنا به من نصوص .

4 - ما كتب بالعربية او غيرها في الموشحات والازجال واللهجات والتاريخ والتراجم والآداب . وقد حاولنا ان نقف فيها على تجارب الآخرين وخبراتهم العلمية والعملية عسانا نستخرج منها بعض ما قد يساعدنا فيما (1) الاسف شديد اننا لن نتمكن من اثبات الشكل في هذه الطبعة لان الحروف المستعملة في الطباعة بالمغرب لا تتيح ذلك .

نحن بصدد من دراسة لموضوع بكر جديد . وقد اتيج لنا خلال الرحلة العلمية التي قمنا بها لتركيا واسماتيا ان نقف في حرائن اسطنبول ومديريد والاسكندريال على مصادر انارت لنا بعض مسالك السير . وكان املنا ان نجد في مصادر الأدب المغربي القديمة بعض النصوص الزجلية ، ولكننا وجدنا المؤلفين يعرفون عن ايرادها بل حتى عن ايراد الموشحات على حد مايقول عبد الواحد المراكشي متحدثا عن عبد الملك بن زهر : واما الموشحات خاصة فهو الامام المقدم فيها ، وطريقته هي الغاية القصوى التي يجرى كل من بعده اليها ، هو آخر المجيدين في صناعتها ، ولولا ان العادة لم تجر بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لاوردت له بعض مابقى على خاطري من ذلك» (1)



وكان المنهاج الذي سمرنا عليه في البحث هو نفس المنهاج الذي ندعو له في دراسة كل ادبنا وتراثنا عامة ، ويتلخص في اربع مراحل ، يحتاج انجازها - كلها او بعضها - الى جهود فردية وجماعية تعمل في تكتل وتناسق وتكامل ، وهي :

- 1 - التعرف الى المصادر والتعريف بها بوضع فهرس لمخطوطات الخزائن العامة والخاصة .
- 2 - اخراج النصوص مجردة أو محققة ان امكن .
- 3 - دراسة هذه النصوص دراسة تحليلية تقوم على الوصف والتقرير
- 4 - دراستها دراسة نقدية ومقارنة .

فقد بدأنا بحصر مصادر الزجل الموجودة في كل المكتبات العامة وبعض الخزائن الخاصة ، بالاضافة الى ما سجلناه من الاذاعة واصواه الاشياخ ، وتجمع لنا من ذلك نحو الف نص ، منه مايقرب من ربعة مكرر ، ولكن تكراره اتاح لنا مقابلة بين النصوص التي وقفنا منها على اكثر من نسخة . وقد صنفنا هذه النصوص ووضعنا لها فهرس على هذا النحو :

(1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 92 مطبعة الاستقامة - القاهرة سنة 1949

أولاً : فهرس لكل مجموع أو كنش .

ثانياً : فهرس بالجداول للقصائد مرتب حسب الموضوعات .

ثالثاً : فهرس للقصائد مرتب حسب الشعراء .

رابعاً : فهرس للقصائد المنشدة .

خامساً : فهرس للقصائد التي لم نهتد لأصحابها .

سادساً : فهرس للقصائد التي يروى الحفاظ المغاربة لبعض زجالى الجزائر ، وكانوا فى معظمهم كثيرى التردد على المغرب والاتصال بأشياخه وجماهيره .

وفى كل من هذه الفهارس اشرنا الى عنوان القصيدة ولازماتها واسم صاحبها ومرجعها وكذلك اسم المنشد ومدة الانشاد بالنسبة للقصائد المسجلة بالصوت .

بهذا التحديد للمصادر وتسهيل الرجوع اليها فيما نظمنا من فهارس، مهدنا السبيل امام الذين يرغبون فى اخراج النصوص ونشرها ، وما كان فى استطاعتنا أن نقوم بذلك ونحن بصدد انجاز الرسالة لاسيما وأن عددها كثير . لهذا حاولنا ان نمثل اثناء الدراسة بنماذج متعددة ومختلفة من النصوص وخاصة فى باب الموضوعات . وقد كان فى نيتنا ان نقتطف منها مختارات نلحقها بالرسالة ، ولكننا اعتبرنا الحاق -- دليل للزجل -- أهم من الحاق مختارات . والامل عندنا -- اذا ما أتيحت لنا فرص النشر -- ان نخرج هذه النصوص سواء فى مختارات او فى دواوين بالنسبة للشعراء الذين تجمع لنا من قصائدهم عدد كثير .

ورأينا ان تكون دراستنا للزجل وصفية تسجيلية نقصد منها فى المقام الاول الى التعريف بالزجل تقريراً وتحليلاً ، دون محاولة لمقارنته بالادب العربى او ادب اللهجات العامية الاخرى ، وهى طريقة تتفق والمنهاج الذى فرض نفسه علينا بعد ان خططناه والذى اقتضى منا فى هذه المرحلة من الدراسة ان نركز على الوصف والتقرير والتحليل ، وهى مرحلة نراها ضرورية فى الكشف عن اى ادب مجهول . وعسى ان نوفق فى المستقبل الى القيام بدراسة مقارنة يكون اساسها ما أمكننا حصره من الوان الشبه بين

الزجل المغربي والزجل الاندلسي او بينه وبين الادب المغرب وما أشار به علينا استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني اثناء اشرافه على الرسالة وتبعية لمراحلها المختلفة .

وما نقوله عن الزجل نقوله كذلك عن لغته ، فقد حاولنا من خلال اتبحت ان نتعرف اليها حيث سجلنا بعض ظواهرها وخصائصها في محاولة أولية للوصف بعيدا عن مقارنتها بغيرها من اللهجات والحكم عليها بأي لون من ألوان الحكم أو محاولة استنباط قواعدها وقوانينها التي خضعت لها . وقد احسبنا في المحاولة البسيطة التي قمنا بها في هذا المجال أن أمر المرحلة الوصفية ليس باليسير ، يحتاج انجازه الى لجان من المتخصصين لا الى فرد او مجموعة أفراد ، وأنه متى تهيأ انجاز هذه المرحلة امكن تقديم مادة أولية لدارسي اللهجات وعلومها المقارن .

واقضى منا منهاج البحث ان نقسم الدراسة الى مدخل وثلاثة ابواب

وان نشفعها بملحق :

المدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي .

استعرضنا فيه مختلف انواع الغناء في المغرب وتناولنا القصيدة الزجلية كلون من اهم ألوان هذا الغناء وما يقوم عليه انشادها من نوبات الموسيقى الاندلسية وميائزيتها ، وما يصاحب هذا الانشاد من آلات وكيفية ادائه . وناقشنا شعبية الزجل شعرا وغناء ، واثبتناها على الرغم من ان جمهوره لم يكن محصورا في العوام ، وعلى الرغم من اننا نعرف اسماء منشئيه ، ومن ان بعض قصائده مدونة .

الباب الاول : الشكل

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الاول : مفهوم الزجل وانواعه

وهو جزآن

1 - مفهوم الزجل .

اوضحنا فيه مدلول كلمة الزجل سواء في اللغة او الاصطلاح الادبي ،

وعلمنا لإطلاقنا هذه الكلمة على الادب الشعبي المغربي بدلا من تسميات أخرى كثيرة يعرف بها عرضناها كذلك .

2 - انواع الزجل

تناولنا فيه اهم انواع الزجل المغربي بعد ان بينا اننا سنقصر البحث على نوع واحد منها وهو القصيدة المنظمة التي يعرف منشئها .

الفصل الثاني : اللغة والفنية .

جعلناه خمسة اقسام :

1 - مراحل التعريب : تحدثنا فيه عن الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى عهد الموحدين الذي اعتبرناه آخر مرحلة شهدت تمام استعراب المغاربة .

2 - نشأة العامية : تناولنا فيه طبيعة اللهجات وأسباب نشأتها وأوضحنا ان العربية حين وفدت الى المغرب لم تكن معربة ونقية كما قد يظن وأنها كانت تتمثل في الفصحى لغة القراء وفي لهجات الفاتحين القبيلة ، وأوضحنا كذلك ان انصراف اللغوي في المغرب لم يكن بين البربرية ولغة القراء وانما كان بينها وبين لهجات الفاتحين .

3 - خصائصها : جعلناها على نوعين :

أ - خصائص عامة تشمل اللهجة الدارجة المنتشرة في اهم المدن والمناطق المغربية .

ب - ظواهر خاصة بلغة الزجل كما طورها الزجالون وطوعوها لتعبيرهم الفني .

4 - جوانب بلاغية : عرضناها بعد ان بينا ان البلاغة قد تكون في اشعر المغرب والعامى على السواء ، وتتمثل عند الزجالين المغاربة في :

أ - التجنيس أو الجناس .

ب - التصريف وهو ان يتصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها

ج - التضمين أو التلزيم وهو أن يجعل القافية على أكثر من حرف

د - التثني وهو أن يستهل الشاعر الشطر بكلمة أو بكلمتين من

التمطر الذي فيه والبيت بسطر من البيت السابق عليه ،
 هـ - استخدام نوع معين من الكلام كأن ينظم الشاعر قصيدة كل
 حرفها مهملة أو تان يلتزم بدء كل بيت من قصيدته أو انهاء بكلمات
 معينة .

ز - فنية الاستوب - وتتصل في :

أ - التشبيه والمقارنة .

ب - الحركة والحيوية والتشخيص .

ج - الحوار .

د - القصة .

هـ - الرمز .

كما اصفنا اليها بعض اللمحات النقدية التي لاحظناها على لسان
 الاثنياء سواء منها ما يتصل بالشعر أو الشاعر .

الفصل الثالث : العروض

ويتكون من ثلاثة اجزاء :

1- البحور

ناقشنا في اول هذا الجزء ما يقال من ان بحور القصيدة الزجلية غير
 محدودة وما يقال كذلك من انها محدودة في نطاق عروض الخليل ، وانتهينا
 الى ان هذه القصيدة لا تسير على تفعيلات هذا العروض في تناسقها
 المعروف ولا تخضع لأوزانها ، وان كانت لا تبعد عن ايقاعه . ثم فصلنا القول
 في البحور التي تعارف عليها الزجالون ، وهي :

أ - الميمت : وينقسم الى المثنى والثلاثي والرباعي والخماسي .

ب - مكسور الجناح .

ج - المشتب .

د - السوسي .

2 - بناء القصيدة :

ويتكون من :

أ - مقدمة يطلق عليها السرابة .

ب - اجزاء القصيدة ، وهى :

1 - الدخول .

2 - الحربة (اي اللازمة) .

3 - الاقسام (من حيث عددها وعدد الابيات داخل كل قسم)

ج - مقدمات الاقسام ، وتمثل فى :

1 - العروبي .

2 - النواعر .

د - القسم الاخير : ويضمنه الشاعر اسمه - تصريحاً او رمزاً

بالحروف والارقام - وتاريخ النظم واهداء السلام والصلاة والثناء

وهجاء الخصوم .

هـ - الدريكة : وتتضمن - حين توجد - مايتضمنه القسم الاخير

فى العادة .

وختمنا هذا الجزء بنموذجين يوضحان البناء : احدهما من المبيت

والثانى من مكسور الجناح .

3 - نظام القافية :

تناولنا فيه :

أ - براعة الشاعر فى التقفية ، وتمثل فى نظم القصيدة كلها بقافية

واحدة وفى استعمال قوافى داخلية فى الابيات .

ب - القافية فى الاقسام حيث تتبعنا نظامها فى مختلف البحور .

ج - القافية فى المقدمات .

د - القافية فى الدريكة .

هـ - عيوب القافية ، وتمثل فى :

1 - القوافى الصيادية وهى التى لاتستوحى حرفها من موضوع القصيدة

2 - اتخاذ الهمزة قافية .

3 - الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج .

الباب الثانى : الموضوعات

ويتكون من أربعة فصول :

الفصل الاول : المرأة

عرضنا فيه لاربعة جوانب :

- 1 - المحبوبة : يمثل هذا الجانب نظرة الرجال المغربي للمرأة وافتتانه بجمالها كما تهواه نفسه وليس كما هو في الواقع ، فجاءت بذلك الصورة التي رسم لها نموذجاً لا تختلف ملامحه من شاعر لآخر .
- 2 - المحب : تتبعنا في هذا الجانب حال الشاعر في معاناته من حب المرأة ، ضعيفاً ذليلاً يقاسى مختلف أنواع العذاب ويسعى للوصول اليها بشتى الوسائل .
- 3 - الحب : ويبدو تمثل المحب له قويا طامحاً ومتجبها لا يفوى على مواجهته .

4 - ملاحظات ، تناولنا فيها :

- أ - تغزل الشاعر في النص الواحد بأكثر من امرأة واحدة .
- ب - التغزل بالمذكر .
- ج - الرمز بالغزل في المرأة الى معنى سامي .
- د - مدى صدق الشاعر في غزله .

الفصل الثاني : في الحياة

حددنا فيه نظرة الرجال المغربي للحياة في جانبيها الحسي والتجردى:

- 1 - الجانب الحسي : ويمثل إبتسامه للحياة واستمتاعه بملذاتها ، وتناولنا فيه :

أ - إقباله على الخمر .

ب - افتتانه بالكون والطبيعة .

وختمناه بملاحظة عن شعر الفكاهة .

- 2 - الجانب التجردى : وجعلناه عن «الزهد والحكمة» . فقد عبر بهما الشاعر عما يعتل في نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك المجتمع وما يعلل به للوقائع والاحداث في استسلام لقضاء الله وقدره وعما يراه وعظاً ناجعاً للناس عساهم يحسنون سلوكهم ويقتنعون بأن الدنيا ليست غير دار عبور لا يغتريها الا مغفل مجنون .

3 - وذيلنا الفصل بملاحظات عن :

أ - مدى اتصال الزجال المغربي بالحياة في أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها .

ب - لجوئه في الوعظ الى أسلوب الخطاب يوجهه لنفسه او لغيره .

ج - تخصيصه قصائد للتذكير بعظمة الله وقدرته بقصد تنبيه

الغافلين المتهافتين على الدنيا .

الفصل الثالث : مع الناس

تناولنا فيه :

1 - المدح : وهو فن لم يعن به الزجال المغربي لما احس فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع وخلوه نتيجة ذلك من امتناع الذهن والشعور .

2 - اثناء : وهو كالمدح لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد .

3 - الهجاء : وكان من اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الشعراء وجذبت المنشيد والجمهور لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية صاحبه عليه ولما يترك في نفس السامع من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة . ويلحق به القخر و «السولان» وهي قصائد في السؤال والالغاز ، والخصام او «المحاورة» وهي قصائد في المفاخرة والمنافرة .

والحقنا بهذا الفصل ملاحظة عن مدى ولوع الشاعر الشعبي بفن الخصام ، اذ لم يقصره على الاشخاص فقط ، وانما تخيله كذلك في النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون .

الفصل الرابع : في حمى الله والرسول

تبعنا فيه مع الشاعر الشعبي حبه للرسول عليه السلام واستعراضه لوصافه وشماله وجوانب من سيرته كالمولد والوفاة والمعراج ، وماخصه به من صلاة . وهو في ذلك لا يسعى الى غير زيارة قبره والقوز بشفاعته يوم القيامة ، وهي غاية جعلته يتحدث عن هول هذا اليوم وعن شوقه والحنين

الى البلاط المقدسة . ثم انه لا يلبث ان يكشف عن حال ضعفه ورجائه الملح في ان ينقذه الله ويعفو عنه متخذاً وسيلة اليه او الى رسوله الكريم وساطات مختلفة من الاشراف والاولياء يتوسل بهم ويمدحهم كذلك .

وستتنا الفصل بملاحظة عن العشق الالهى الذى يكاد لا يوجد الا نادرا

وعند بعض الرجال المتصوفين .

الباب الثالث : الاعلام

قصداً منه الى التعريف بتطور القصيدة الزجية من خلال التعريف

بأعلامها ، وجعلناه ثلاثة فصول تمثل ثلاث مراحل :

الفصل الاول : مرحلة النشأة

وجعلناه جزئين :

1 - اسماء ونصوص قديمة .

استعرضنا فيه بعض الاسماء والنصوص التى امكننا العثور عليها منذ

عهد الموحدين فى اوائل القرن السادس حتى عهد المرينيين قبيل

منتصف القرن التاسع الهجرى .

2 - الاصول الاولى للقصيدة الزجلية .

حاولنا فيه - استنادا الى ما احدثنا له من اسماء ونصوص - أن نرى

ان كانت القصيدة الزجلية المغربية امتدادا للزجل الاندلسى أم

محاكاة مباشرة لفن التوشيح كما عرفه المغاربة ام تأثرا بشعر اهل

الامصار العرب الوافدين الى المغرب أم استمرارا لعروض البلد الذى

استحدثه اهل المدن بالمغرب أم تطورا للاغاني والمرددات الشعبية

المحلية ؟ وانتهينا الى ان هذه الاغاني والمرددات هى الاصل الاول

للقصيدة وانها قد تكون حاكت عروض البلد وتأثرت بأشعار العرب

الوافدين وخاصة منهم الهلاليين وحلفائهم ، ثم بالزجل الاندلسى

فيما بعد حين انتقلت من البيئات الشعبية الضيقة الى بيئات راقية

الفصل الثانى : مرحلة التطور .

بدأت قبيل منتصف القرن التاسع على يد عبد الله بن احساين

وامتدت زهاء ثلاثة قرون حيث وقفنا بها عند المصمودى فى اوائل القرن

الحادى عشر . وهى مرحلة كانت القصيدة الزجلية تكتسب خلالها كثيرا من الجديد وتحاول احراز كيانها الذى ستستقر عليه سواء من حيث الشكل أو المضمون .

ولاحظنا فى ختام الفصل ان هذه المرحلة توقفت ، وان توقفها دام زهاء قرن ونصف ، وملنا فى تحليل ذلك الى اهمال الحفاظ لرواية ازجال المغاربة واقبالهم على ازجال الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب فى هذه الفترة ، وكانت لهم مكانة فى الدولة . وخاصة منهم سعيد التلمسانى . كما لاحظنا ظاهرة انتشار الزجل فى بيئة المتصوفين المغاربة

الفصل الثالث : مرحلة الازدهار .

بدأت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، وتجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان الذى كان بدوره من الزجالين . وكان آخر بريق لنهضة الزجل فى هذه المرحلة فى اوائل القرن الحالى ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من كبار علماء عصره وزجاليه .

وتعتبر هذه الفترة من اخصب فترات الزجل لكثرة مانبغ فيها من الشعراء ، وقد حاولنا ان نستعرض اعلامهم الذين أتيح لنا ان نهتدى الى بعض اخبارهم وأشعارهم ، فبدأنا بالجيلالى امتيرد ، وختمنا بالحاج محمد العوفير . واذيلنا الفصل باستعراض لاسماء كثير من الزجالين المعاصرين مرتبة حسب مدنهم ، ولاحظنا ان الزجل عند هؤلاء تجدد فى صور ونماذج تقليدية بعيدا عن أية محاولة للتعبير عن الاحساس الذاتى والتكيف مع روح العصر بله التطوير والتجديد .

ملحق :

وقد ارتأينا ان نذيل الرسالة بدليل ضمناه جميع الفهارس التى سبق أن أشرنا اليها (1) .

وبعد ، فلسنا نزع اننا قلنا جميع مايمكن قوله فى الموضوع ولا اننا

(1) نأمل نشره على حدة ان شاء الله .

أتينا بالقول الفصل فيه . وحسبنا اننا فتحنا بابا جديدا للبحث الادبي في المغرب ، واننا بدلنا في سبيل ذلك جهدا يشهد الله أنه كان مخلصا ومتواصلا . وأملنا ان يجد الدارسون من زملائنا الشباب في هذه الرسالة ما يغريهم بمواصلة البحث من أجل احياء التراث بجميع أنواعه ، وأن يجد فيها المسؤولون عن جامعة محمد الخامس ما يقتنعهم بضرورة ادراج ادب المغرب الشعبي في مقررات كلية الآداب الى جانب أدبه المغرب الذي نتحمل عبء تدريسه بها .

وواجب علينا ان نرجي الشكر جزيلا الى أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاحواني الذي كان لاشرافه ما انار لنا السبيل وشجعنا على الماضي والاستمرار ، وإلى سيدنا الوالد حفظه الله لما قدم لنا من نصائح وتوجيهات وقوائد وما بذل من جهد — باتصالاته العديدة وخلال مختلف أسفاره — في البحث لنا عن مزيد من النصوص ، وإلى زوجتنا الحبيبة التي ساعدتنا في التسجيل والتدوين وتحملت في صدق وصبر وتقدير ما كانت تفرضه ظروف انجاز الرسالة من استغراق كلي في البحث وانشغال عما سواه ، وإلى كل من أمدنا بنص أو أشار علينا بفائدة أو دلنا على مصدر ، إلى الاساتذة الاجلاء السادة : ادريس بن الماحي وعبد السلام بن سودة ومحمد الهسكوري ومحمد المنوني وعبد الله كنون وعبد الوهاب بن منصور وسعيد اعراب وعبد الله الرجراجي وابراهيم الكتاني والمهدي الديرو ومحمد السفيني والصمدى المزوار وحسن الرجراجي وجعفر الكتاني وعبد القادر زمامة ومحمد الشليخ والاخ عبد الواحد الجراي والدكتور عبد السلام الهراس ، وإلى اشياخ الزجل الافاضل السادة الحاج محمد بن عمر الملحوني وبنعيسى الدراز ومولاي احمد بن عبد السلام العلوي واحمد سهوم والحاج محمد العوفير وعبد القادر الجراي ومحمد بن الهاشمي وادريس المروني وهاشم السفيني ومحمد حسن التطواني .

والله نسأل ان يوفقنا للخير ويهدينا للصواب .

القاهرة 28 ذي القعدة 1388 — 15 فبراير 1969
عباس بن عبد الله الجراي

مدخل

القصيدة الزجلية

والغناء الشعبي

يمكن تقسيم الغناء فى المغرب الى انواع تختلف لغة ونغما واداء باختلاف مناطق هذا الغناء . ومن الالوان التى تتخذ العربية اداتها فى التعبير نستطيع ان نذكر :

1 - القصيدة الزجلية التى اتخذناها موضوعا للرسالة ، وسنتناول انشادها فى هذا المدخل .

2 - المواويل والعروبيات والسلامات والعيطة والطقطوقة وأعيوع والدقة وغيوان بن يازغة والمزومى : وسنتحدث عنها كأنواع للزجل فى الجزء الثانى من اول فصل فى الرسالة .

3 - الموسيقى الاندلسية وتسمى «الآلة» تطرب لها مختلف الطبقات، وهى تمثل لونا من التراث الذى انتقل الى المغرب من الاندلس ، فحافظ عليه المغاربة و اضافوا اليه . وسنستعرض نوباتها وميازينها بعد سطور .

4 - الغناء العصرى وهو متأثر فى أغلبه بالغناء المشرقى والمصرى خاصة .

5 - اغانى العمل وارقاص الاطفال وما اليها من المرددات البيئية اليومية

6 - الاغاني والانشادات الدينية ، وتنقسم قسمين :

أ - الامداح وأغلبها فى المدح النبوى - ومن هنا جاءت تسميتها - وقد اشتهر بأدائها منشدون يطلق عليهم «المسمعين» وهى ابيات ومقطوعات تنشد حسب نوبات وميازين الموسيقى الاندلسية ، ولكن دون أن تصحبها الآلات الموسيقية .

ب - أناشيد الطرقيين وفقراء الزوايا ، وهى اشعار فى الذكر أغلبها لابن الفارض والششتري والحراق ، او اوراد وأقوال لاشياخ الطرق ، تعتمد فى تلحينها على بعض الطبعوع الاندلسية يصحبها رقص الذاكرين ، وهو رقص يختلف حركة وقوة وحدة باختلاف

أصوات ، هذا بأن مثلا رقص درقاوة والغاسميين هادئا ليس فيه
تير الهز العمودي للجسم والاتاف فان رقص احماشنة وعيساوة
يعتمد على تحريك قوى للجسم والاطراف مع الضرب العنيف
بالاقدام على الأرض • وعائبا عايصاحب الانشاد والرقص عزف على
الآلات الموسيقية ، وتختلف هذه الآلات باختلاف الفرق ، فالآلات
درقاوة مثلا هي آلات الموسيقى الاندلسية وان فل اعتمادهم عليها ،
والغاسميون يعتمدون على الطبل ، اما عيساوة واحماشنة فعلى
النغير والغيطة والطبل والدعدوع •

وتعتبر القصيدة الزجلية من اهم الوان هذا الغناء يطرب لها العامة
والخاصة من الناس ، يقوم انشادها على نوبات الموسيقى الاندلسية ومبارزتها •
وعلى الرغم من أنه لم تنهيا لنا دراسة موسيقية من شأنها ان تتيح لنا
تناول هذا الجانب الغنى عن دراية وادراك ، فقد ارتأينا - تكميلا لمختلف
أطراف الموضوع - أن نشير في استعراض سريع انى هذه الميازين وتلك
النوبات ، تسعفنا في ذلك بعض المصادر (1) التي عنيت بتسجيلها وبعض

(1) وهى : (1) مجموع يضم قصائد وموشحات في المديح النبوى مرتب على
نوبات في الانشاد جمعه احمد بن محمد العربى احضرى
المراكشى (مخطوطة خاصة بالكاتب)
(2) كتاب «الانيس المطرب فيمن تقيه مؤلفه من أدباء المغرب» لابی
عبد الله محمد بن الطيب العلمى ت سنة 1134 هـ لدى
ترجمة ابى عبد الله سيدى محمد البوعصامى (ط حجرية
غير مؤرخة) •

(3) كتاب الحايك في الموسيقى الاندلسية ، وهو مخطوط ،
وكان اعتمادنا على مخطوطة الخزنة العباسية • وقد نشره
فرناندو مارتينز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك في
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص :

El concionero de AL-HA'IK : Fernando Valderrama Martinez
Instituto General Franco de estudios E investigation hispano-
Arabe Tetuan 1954

(4) منظومة قصيرة للحوات مخطوطة بالمكتبة الملكية رقمها
4229 ، اولها :

وها أنا رتبتهـا منظمة نظم لآل فى سلوك محكمة

=

(5) منظومة لعبد الواحد الوثشريسى اولها :

المعلومات التي أخذناها من المتخصصين في هذا اللون من الموسيقى بالمغرب .

اما **النوبات** فاحدى عشرة ، هي :

(1) **رمل الماية** : ذكر الحايك عن احد طبوعه (1) وهو الحسين ، انه يستعمل

«فى جميع الاوقات ونغمته الذ النغمات والحانه اطييب الالحن» (2)

(2) **الاصبهان** : ويقال «ويقال ان ملائكة السرحمن يسبحون بهذه النغمة ،

ونغمته حادة رقيقة حلوة» (3) ويقال كذلك ان مرددات المتسولين قائمة

عليها وأن باب الجنة يطرق بنغمتها لملاءمة رقتها للتذلل والرجاء والاستعطاف

(3) **الماية** : قال عنها الحايك «انها تجلب النوم» (4) وتنفذ بالفراق ،

لذلك فهي غالبا ما تؤدى فى العشايا والامسيات . ويقال ان السلطان

الحسن الاول كان يتشاءم منها ويدعو الى عزف نوبة العشاق بدلا منها ،

واشتهر ذلك حتى قيل فى المثل : «اعكس لقضيا افلعشيا» .

(4) **رصد الذيل** : وقد شاع عن رجال الفن انه «اذا طال الليل فعليك برصد

الذيل» وهي قولة تدل على ان هذه النوبة تساعد على السهر وما يقتضى

طبائع ما فى عالم الكون اربع ففى مثلها اضرب للطبوع مجملها

وهي واردة فى : آ - مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديرية رقمه

5307

ب - كتاب الحايك مخطوط الخزانة العباسية ص 12 - 13

ج - مجموعة احضرى ص 20 (بترتيب مختلف للسلايات

منسوبة للإمام الوجدى ، ولعله خطأ فى انتساخ اسم

عبد الواحد)

(1) لكل نوبة مجموعة من الطبوع . يقول الحايك : «ان الطبوع

فى هذا الزمان بهذا المغرب الاقصى اربعة وعشرون طبعا

ويزاد طبع الصيكة وهي من اعذب مايكون ، ولكل تواش

وأغنية وطبوع كثيرة ... منها الجرعة والرهاوى والراست

والروكة ... وطبوع كثيرة يطول ذكرها وتنتهى الى

ثلاثمائة وستين كما وقفنا عليه فى غير ما تأليف» (ص 52

من El Concionero de AL-H'AIK وفى رأى بعض المعتنين أن

الطبوع تبلغ ستة وستين وثلاثمائة على عدد ايام السنة

الشمسية بما فى ذلك السنة الكبيسة .

(2) المصدر السابق ص 85

(3) المصدر السابق ص 92

(4) المصدر السابق ص 99

من صبر وتحمل لفراق الاحبة •

(5) **الاستهلال** : ويعتبر مما أضافه المقاربة الى الموسيقى الاندلسية على عهد دولة السعديين ، وهو عند الحايك «من الطبع المجهولين ويقال ان الذى استخرجه هو رجل يسمى بالحاج علال البطة فى اوائل ايام مولانا السلطان الاعظم امير المؤمنين عبد الله محمد بن الشيخ الشريف الحسنى استخرجه لدينة فاس» (1) ويقال فى سبب تسميته انه كان يستهل به (6) **الرصد** : يقال انه يوحى بالدلال والعناد ، وانه «رقيق النفحات حلو الالحان» (2)

(7) **غريبة الحسين** : وهى نوبة حزينة يقال ان مستخرجها سلطان اسمه الحسين كانت له جارية «تسمى بالغريبة لانفرادها عن أهلها وأوطانها وكان السلطان مفرما بها فلذلك سميت بغريبة الحسين ، ولها من الاوقات طلوع الفجر ، وهذا الطبع نفماته وألحانه تؤثر فى قلوب السامعين الرافة والحنان وسكان عبر المقل» (3)

(8) **الحجاز الكبير** : ويعرف بـ «الحجاز» يوحى بالعمق والسمو (9) **الحجاز المشرقى** : ويعرف بـ «المشرقى» قال عنه الحايك انه «يستعمل فى سائر الاوقات وانغامه حلوة رقيقة مفرحة» (4) وقال عنه احضرى : «فيه تفريح لسامعه لانه يزيل الغم ويسلى عن المصيبة» (5) (10) **عراق العجم** : ذكر الحايك ان مستخرجه صيكة بن تميم العراقى وانه «رقيق النفحات حلو الالحان وله تأثيرات فى نفوس المستمعين ويدخل للقلوب الفرح والسرور ويجلى عنها الهموم ... ويكسب الفضل للنفوس والشرف ويقوى عزمها على الخير والعفاف ، وما من انسان كريم الشيم سمعت نفسه نفماته الا طربت اعضاؤه ورشحت انامله» (6)

(1) المصدر السابق ص 111

(2) المصدر السابق 117

(3) المصدر السابق ص 124 - 125

(4) المصدر السابق ص 138

(5) صفحة 24

(6) صفحة 144

11) انعشاق : قال عنه احضرى : «نغمته حلوة لذيدة وله من الاوقات

من ابتداء الصبح الى الزوال» (1)

وهما المآزيرن التى تؤدى عليها كل نوبة فخمسة ، هي :

1 - البسيط .

2 - البقائم ونصف .

3 - البطايحي .

4 - القدام .

5 - الدرج .

وتكاد اغلب القصائد تؤدى فى الدرج ، وهو ميزان لا يوجد فى غير

الموسيقى المغربية ، اذ لا اثر له فى «المألوف» و «الغرناطي» وهما الاسمان

البلدان يطلقان على الموسيقى الاندلسية التى انتقلت الى تونس والجزائر .

ويؤكد اكثر المختصين انه من اضافات المغاربة لهذه الموسيقى ، وقد ذكر

احضرى فى مجموعته انه تفرع من «البطايحي» (2)

وتصاحب انشاد قصائد الزجل آلات يطلق عليها «لماعن» او «لمواعن» (3)

نجد ذكر بعضها عند الشعراء على حد مايقول المدغرى فى «الساحي» :

ماهرزك توشيج * والبستان القحيح

والعيدان اتصيح * والرباب اللى نايح

ويقول فى «الصباحي» :

شلف العود والقانون والجنج اجنك (4) اتمنجا واستتر احداها

وارباب امع الآلى ايجابو بنغاييم لوتار

شلف الآلى موسيقتو شبات اعلى حسن انغاييمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا اعلى الرضا ماغزلو حرار

ويقول فى «الكاس» :

(1) صفحة 24

(2) صفحة 12

(3) أصلها الموعين ج ماعون .

(4) لم تعد هاتان الآلتان تستعملان (الجنك والجنج) ولم نوفق

الى التعرف اليهما ، وقد بدالنا من سؤال بعض المختصين انهما

كعب الخضر الكفافح * اصاحي واتراوح * بالتعريجا واكباح

ويقول الرجراجي في «الساقى» مشيرا الى بعض الطيور :

شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح

وانظر للكمنجا او شوف العود ارجيح

ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح

شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقاح

شف العشق الصافى الزم انعا باش اقريح

والتوفيق من الكريم نعم الحى الصبوح

وفد تقل الآلات او تكثر حسب الاجواق ، لكنها لاتخرج عن نطاق

الآلات المستعملة فى معظم ألوان الموسيقى المغربية وهى :

اولا : آلات النفخ :

1 - النيرة او الليرة : وهى نوع من الناي ، تصنع من القصيب المجوف وتكون مفتوحة من الطرفين وبها ثقب يتراوح عددها بين خمسة وسبعة .

2 - الغيطة : وهى نوع من المزمار تتخذ من الخشب ، تبدأ ضيقة فى طرفها الاعلى ثم تأخذ فى الاتساع حتى طرفها الاسفل . تثبت فى قمها قطعة مدورة من العاج او العظم بها فتحة منها يكون النفخ . ويكون بها فى الغالب سبع ثقب ستة من فوق متساوية الابعاد وواحدة فى الاسفل . وهى شبيهة بالمزامير المصرية التى تتخذ احجاما مختلفة وتسمى :

أ) المزمار البلدى وهو اطولها .

ب) المزمار الصعيدى : متوسط .

ج) السبس : وهو اصغرهما .

3 - النقيز : وهو فى شكله كالغيطة الا انه طويل ومصنوع من معدن

آلتان وتريتان شبيهتان بالهارب Harpe والليير Lyre الغربيتين ، وبالسسمية التى تستعمل فى بور سعيد ، والطنبورة المعروفة فى نوبة مصر ، وهما من معروضات متحف مركز الفنون الشعبية بالقاهرة ، وقد افدنا من هذه المعروضات فى المقارنة بين الآلات المغربية والمصرية .

التحاس فى الغالب ، وتؤدى به النغمات الغليظة العميقة •

ثانيا : الآلات الوترية ، وهى نوعان :

1 - داىستخرج نغمها بواسطة القوس ، وهى :

(أ) الرباب الفاسى : وهو عبارة عن صندوق خشبى من كتلة واحدة تغطيه قطعة جلد ماعز ويكون فى طرفه الاعلى مشط معوج يشد اليه وتران غليظان يمران وسط الصندوق ، ويثبت فى طرفه الاعلى مفتاح لشد الوترين يتخذ شكل زاوية •

(ب) الرباب السوسى : وهو عبارة عن دائرة خشبية تغطيها من الجهتين قطعة مثقوبة من جلد الماعز ، ويمر فى وسط الجلد الاعلى مشط ثبت فى طرفه مفتاح لشد الوتر وهو وتر واحد مصنوع من شعر الخيل ، اما القوس فتضيب من خشب معوج بعض الشئ ، يشد طرفيه وتر من نفس النوع •

(ج) الكمان او الكمنجة : وهى آلة معروفة •

2 - ماىستخرج نغمها بالنقر والنبر (1) وهى :

(أ) العود : وهو معروف •

(ب) انقانون : وهو معروف كذلك •

(ج) الماندولين : وهى اصغر من العود وليس لها جوف كبير ، وتكاد تكون اشبه الآلات بالقيتارة الغربية فى رقة نغمها وحدته الا ان جوفها صغير ومستدير •

(د) الكمبرى : وهو عبارة عن قيتارة بجوف خشبى صغير مغطى بقطعة جلد ماعز منقوب تشد اليه ذراع طويلة بها مفتاح لشد الاوتار ، وهى لاتزيد عن اثنين او ثلاثة • وذكر هذه الآلة وارد عند ابن بطوطة فى رحلته (2) وعند والدنا حفظه الله ان الكمبرى نوعان : «هجهوج يحتوى اوتارا ثلاثة ، وسويسد ويحتوى وترين ، واللفظة بربرية الاصل ، جوفها من خشب كغالب الآلات واحيانا تتخذ من ظهور السلحفاة • والذى يظهر انها

(1) قد يكون النقر والنبر بالمضرب او ما يطلق عليه : الصدعة والوترة والريشة ، وقد يكون بالاصابع وهو ما يسمى بالحس •

(2) ج 2 ص 190 وج 4 ص 106 ط باريز حيث ذكر القنابر •

آلة مغربية ، ربواسطتها والدس على أوتارها يبتدىء المتعلمون دراسة الفن» (1)
ومن انواع الكمبرى كذلك «السنيتير» وقد وجدنا ذكره عند العلمى فى
«الانيس المطرب» حيث قال : «وأما الآلات التى اتخذت للغناء فكثيرة منها
العود وهو أشهرها والرباب والشبابة والجنّاح والسنطير وغير ذلك مما هو
شهير» (2) .

ثالثا : الآلات الإيقاعية ، وهى الآلات التى تعرف بالصدمية :

(أ) البندير : وهو عبارة عن دائرة من الخشب شدت عليها قطعة من
جلد الماعز غير مدبوغة يمر فى وسطها قطريا ومن الداخل بعض الأوتار
عددها اثنان فى الغالب ، تزيد الصدى حدة حين الضرب . وبالأطار الخشبى
تقبة يدخل منها الضارب إبهامه حتى يتمكن من مسك الآلة . ويكون الضرب
باليمنى على وسط البندير أو على أطرافه مما يعطى نغمتين أحدهما
رقيقة حادة والثانية غليظة عميقة . ويطلق على البندير فى المدن اسم
الطارة وغالبا ما يكون اطارها أعرض . وتجدر الإشارة الى أن هذه الآلة تعرف
فى مصر بنفس الاسماء حيث يطلق عليها البندير والطارة .

(ب) الدف : وهو عبارة عن مربع صغير مغلق بجلد من الجهتين ،
ولعله قريب من الآلة الطبلية التى كانت معروفة عند العرب بالمربع .

(ج) الطر : وهو بندير صغير توجد فى اطاره ثقب بها أزواج من
الصنوج المعدنية الرقيقة تضيف الى النغم صدى وحدة وزخرفة ، وهو
المعروف فى مصر بالمزهر والرق والدف .

(د) الطبل : وهو معروف ويطلق عليه فى مصر الطبل البلدى . وتجدر
الإشارة الى أنه يضرب عليه بقضيبين أحدهما غليظ ومعوج الرأس يسمى
«الساهلا» والثانى رقيق ويسمى «الريب» .

(هـ) الطبل أو الطبلية : وهى عبارة عن نقارتين أو طبلين صغيرين
ومن حجم مختلف ، يتخذان من الطين الناضج ، تغطيهما قطعة جلد يوقع
عليها بقضيبين رقيقين ، وهى أشبه بالنقاير فى مصر ، إلا أن هذه تتخذ

(1) من مادة «الآلة» (الموسيقى) التى كتب لموسوعة المغرب العربى التى
يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط .

(2) ص : 138

من معدن النحاس فى الغالب وتكون منفصلة .

(و) التعريجة : ويطلق عليها فى لهجة اهل الرباط «لكوال» وهى الآلة المعروفة فى مصر بالطبله وغالبا ماتوضع فوق الركبة او فى راحة اليد ويضرب عليها بالوسطى والسبابة ، وتعتبر اهم آلة يضبط عليها منشد الزجل الايقاع .

ولعل اصل تسمية «لكوال» : «القوال» او «الجوال» وهما افتراضان يدلان على أهمية الدور الذى كانت تؤديه هذه الآلة فى مصاحبة المنشد .
ومن انواعها :

1 - الدربوكة : وهى معروفة .

2 - الهرازي : ويطلق عليه فى لهجة اهل الرباط «الدعدوع» وهو عبارة عن تعريجة كبيرة توضع فوق الكتف ويضرب عليها بكلتا اليدين .
(ز) الهندفة : وتعرف فى مصر بالصاجات وهى عبارة عن زوجين من الصنوج تشبث فى الابهام والوسطى من كلتا اليدين ، وغالبا ماتتخذ من المعدن لانه يقوى النغم ويحليه ، وقد تتخذ كذلك من الخشب او العظم .
بهذه الآلات وعلى تلك الانغام يؤدى المنشد القصيدة ، والعادة الا يكون الناظم ، ويطلق عليه «شيخ النشاد» و «الحفاظ» (1) وقالوا فى امثالهم : «السجاي تيولد والحفاظ تيربي» يقصدون ان الزجل ينشئ ولا يستطيع ان ينشد ويحتاج فى ذلك الى الراوى الذى يروج له قصائده .

(1) من اشهر المنشدين المعاصرين المرحوم المعطى لحسوك من مراكش والمرحوم محمد بوزريع وانتهاى الهروشى وهما من فاس . وقد ذكرنا اسماء غير قليل منهم فى فهرس القصائد المنشدة بآخر الدليل الملحق بالرسالة . وتجدر الإشارة الى ان كثيرا من الشيعيات اشتهرن بحفظ الزجل وانشاده نذكر منهن : فطومة السرقاوية ومريم الشاوية وسلطانة الاسلامية (كانت يهودية وأسلمت) وعن من فاس ، والحجوية وملكة وزهور الضخامة والحاجة زينب والجامعية وفطومة الرباطية وهشومة بزغانو والسعدية الوزانية وبلارة وابريكة ومشطونة وطاطا الغالية التى يقال انها كانت مقربة للسلطان المولى عبد الحفيظ ، والحاجة بنت العنبر وهن من الرباط . ويبدو انهن فى الاصل من فاس وهاجرن الى الرباط بعد ان اوقفهن الباشا البغدادي عن العمل فى فاس .

والمنشد لا يحفظ القصيدة ونشأت الحانها الا «سما» ، او «بالدمى» كما يقولون ، وحتى لا يقترب في الميزان كسرا او «تركيبا» على حد اصطلاحهم فانه يستمع الى اللحن ويردده لمبتائس به وتألفه اذنه حتى «يطيب الميزان» اى يطبخه ان صح التعبير .

ومن براعة المنشد ان «ايركب» اى ان يتسلم الغناء من منشد سابق عليه بقصيدة اخرى يؤديها على نفس الميزان الذى ادى عليه هذا المنشد . ومن براعته كذلك ان «ايفجج» اى يستعرض نغمات وطبوعا مختلفة فى القصيدة الواحدة ، وهى عملية اطلقوا عليها «ليدال» ومنه ما يقدم به بعض المنشدين قصيدة «المزيان» التى يقول العلمى فى حربتها (1) :

حن واشفق واعطف برضاك يا مزيان * لا اسماحا ميعاد الله بالهاجر
فانهم يبدؤونها على طبع الاستهلال ثم ينتقلون الى رمل الماية فالهجاز فالصبيكة .

وقالوا عن المنشد الذى لا يستطيع ذلك انه يغنى «على جنب واحد» وهو دليل على قصر باعه . ومع هذا ففى رأى المنشدين أن بعض القصائد لا تحتمل تغيير الميزان ، او على الاصح جرت العادة بعدم تغييره فيها ، ويذكرون منها :

1 - «خال وشاما» للمدغرى وحربتها :

اللايم لاش اتلوم رح سالم دعنى كف للام ما حجت امن اغرامى
بين خال وشاما

فانها لا تؤدى الا على عراق العجم .

2 - ومنها قصيدة «الكتاوى» للمدغرى كذلك ، وأولها :

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فالرسام اغميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

ويقولون ان بعض المنشدين حاول اداء هذه القصيدة على ميزان رمل

(1) الحربة اللازمة (انظر الجزء الخاص ببناء القصيدة من فصل «العروض») .

المائة ولكنه افسدها .

3 - قصيدة «الهاجر» التى يقول العلمى فى حربتها :

أشى عملت اسلطان مهجنى حتى سلمت افخلطتى واضحيت من ساحتى اجفيل
راقب فيا وجه الله عف ياهاجر لوكر مسجونك سرحو اتفوز بحسماته
فانها لاتنشد الا على الحجاز المشرقى .

4 - قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وحربتها :

ياراسى لاتشقى * التاعب لايبد من لفراق
لاتامن فالدنيا * ابناسها غرارا
فانها لاتنشد الا على عراق العجم .

5 - قصيدة «خناثة» للحبابى ، وحربتها :

عشقى فخنائى * ياترا فالعاهد والقول ثابتا
من تاهت بجمالها احيائى * راحت روحى الصايلا عل لبدر بنعوت
فانها لاتنشد الا على الصيكة والحجاز .

ومن قصر باع المنشد ان يؤدى الميزان «امصور» اى غير متقن لاتنسجم
نغماته مع طبقة صوته ومع كلمات القصيدة ولايتجاوب معه الجمهور
وانعازفون . والتجاوب عندهم دليل الاتقان ، ويقولون عن الميزان السلى
يؤدى فى انسجام انه «انفق» .

والعادة ان يبدأ المنشد البارخ باحدى هذه المقدمات :

1 - **السرابة (1)** وهى قطعة قصيرة تؤدى على غير ماتؤدى به
القصيدة ، وهى اربعة انواع :

(أ) **الزلوك** : وتنشد رقيقة حادة .

(ب) **الكباحى** : يصاحبها ضرب قوى متواصل بالكف ، وتكاد اغلب
السرارب اليوم تكون من هذا النوع .

(ج) **الحضارى** : تنشد فى استرسال سريع .

(د) **السماوى** : يستهل انشادها ببطء كالموال ثم يأخذ صوت المنشد
فى العلو والارتفاع كأنه يصعد بها الى السماء . ويطلق على هذا النوع
(1) سننحدث عنها فى الجزء الثانى من فصل «العروض» لدى الحديث
عن بناء القصيدة .

«السرارب الحسنأويين» • ويقال ان اشياخ فاس كانوا مشهورين بانشاده

2 - الموال : والغالب ان يكون فى لغة مغربة ، ومن الامثلة عليه قول

الشاعر (1)

ومن عجب انى احن اليهم * واسأل شوقا عنهم وهم معى

وتشتاقهم عيني وهم فى سوادها * ويطلبهم قلبي وهم بين اضلعي

وقد يكون فى لغة ملحونة كقولهم (2) :

تأحبك ونهواك * وفى امسبتك ايكرونى

ماراحتى حتى نلقاك * وعليك يشحلوا عيوني

3 - التمهيلة : ويقولون ان لكل قصيدة تمويله تكون على قالبها

وميزانها ، ويذكرون منها :

أ) تمويلة قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وقد تقدمت حريتها ، وتنشد

على ميزان عراق العجم :

أمالى يأمالى أسيدى ياسيدى

للا يامولاتى للا

أمالى مصبرنى

اغرايى لامونى

ب) تمويلة لقصيدة «المرسم» لابن على وتنشد على الصيكة :

أنا يامالى للا يامولاتى للا ادوى

حيانا واجا ايلامى قاوت ايلمى اوجيتنا يالغزال

وهذه حربة القصيدة :

أنا والمرسم يا حمام ثالثنا فالز هو انت

1) ذكرهما العمري فى «مسالك الابصار وممالك الامصار» منسوبين

لابى الصفا خليل الصفدى • (الورقة 59 ظهر من مخطوط جامعة

اسطنبول رقم 4355 A.Y.) حيث اورد الشطر الثانى على هذا

النحو :

واسأل شوقا من اتى وهم معى

2) انظر الموال كنوع من أنواع الزجل فى الجزء الثانى من الفصل

الاول من باب «الشكل» •

المرسوم يبكي اعلى السماعا وانت تبكي اعلى النشا ونا على لغزال
وبنفس التمويلة يقدم كذلك لقصيدة «حنانة» للحبابي ، وقد سبق
ذكر حربتها .

والاسف أن هذه المقدمات في طريق الضياع بسبب جهل المنشدين
لها نتيجة قلة تداولها .

وتعذر الإشارة الى ان قصائد مكسور الجناح والسوسى - باستثناء
الحراز - يستعمل انشادها بمثل هذه العبارات : «قال يانا سيدي» و
«وهو ياسيدي» ويطلقون عليها «الدخول» . ومن الامثلة على ذلك قصيدة
«ام الغيث» للحاج ادريس لحنش ، وحربتها :

قولوا للاغيثا مولاتى * رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث
فان انشادها يبدأ على هذا النحو :

قال ياناسيدي عمدا على لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات
مهما اتقول نارو بردت واطفات
حين ينظر زين الخودات
كيرها زندت واكدات

ومنها كذلك قصيدة «القاضى» التي يقول المدغرى في حربتها :
اقاضى قصا اجرات لى معناها * ماجرات الحد افناس لغرام
ولفى لك ادعائى

فان انشادها يبدأ هكذا :

وهو ياسيدي قصا اجرات لى نحكيها الهل لغرام
بينى وبين بوخال اكحل لرماق
قصتى فيها ماينساق
للرخاخ اصماير لمساق
ناس لشواق

وقريب من هاتين العبارتين عبارات اخرى تسمى عندهم «التشجيرة»
و «التوتية» يضبط بها ايقاع الميزان او «يشد» و «يقبض» كما يقولون ،
وغالبا ماؤديها المجموعة او من يطلق عليهم «الشدادا» وكأن المنشيد

يحس بنقص في الميزان وعدم انسجام الكلمات معه فيعوض بهذه العبارات، علما بأنه يلجأ الى اطالة مقاطع بعض الكلمات ومدّها حسب احتياجه للنغم، وهى عملية لاشعورية تقترب مما يسمى بـ «الكم» في العروض العربي، على حد ما يبدو من بحر الطويل حيث تحذف نون فعولن الثانية وتصبح فعول ولكن المنشد يمد اللام تعويضا لسكون النون المحذوف . ومن الامثلة عليها :

- 1 - ياسيدنا : ونجد الشيخ عمر شد بها بين اشطار قصيدته فى «مولاي بوبكر» على حد ما يبدو من الحربة التى يقول فيها :
- تاك اليقبال والسورور اسوانى * ياسيدنا * بخلافت على لقدر
نجل الملك طلعت البدر السانى * ياسيدنا * سيدى مولاي بوبكر
- 2 - اسيدنا سيدنا : على حد ما عند التهامى المدغرى فى سرابته التى يقول فى أولها :

اسيدنا سيدنا	داك اللايمنى فعشقى ولفى والحال الهالك
أسيدنا سيدنا	ماذا وعظت فيك ماكفيت امن اعتابك
اسيدنا سيدنا	انصحتك افلحديث ماؤدتى لى سالك
اسيدنا سيدنا	واليوم ابلاك ربنا شف اخدود اغزالك

- 3 - ياللا ياللا : وقد جعلها المدغرى بين اشطار أبيات قصيدته «عشية الجمعة» كما يبدو من حريتها التى تقول :

ياللا ياللا	أنا اعشيت الجمعة شاب اشبابى
ياللا ياللا	هلكنى عزبا وشابا
ياللا ياللا	من شاهدهم يسخا بشبابو

- 4 - دادامى اللا اهياللا : وهى تشحيرة «طامو» للمدغرى ، وتردد بعد حريتها التى يقول فيها :

جيش لغرام ياطامو مانقدر اعلى الطامو
دادامى اللا اهياللا

ومن الشد ان يلتزم الشاعر كلمة أو أكثر فى البيت تبدو فى سياقها كأنها من صميم الموضوع وصلبه ، وهى قد تنغير فى كل الابيات وقد (3)

لاتتغير ، من ذلك :

1 - قصيدة بوعبيد الشرقى فانه التزم فيها كلمة «الفقى» فى أول البيت ووسطه ، يقول فى أول أبياتها :

الفقى	الفقى
جيت لك تنظر شرقى	من خاطرى ابغيت انسالك
الفقى	الفقى
لى نعرف ذوقك	الخمير واش عندك سالك
الفقى	الفقى
فى اشرايو عشقى	نبغى انحللو بمقالك
الفقى	الفقى
لحضرت لمدام اترقى	افستى امن احسان اكمالك
ويقول فى حربتها :	

الفقى	الفقى
لوشفت اعويشا تسقى	والكاس من يدها يحلالك

2 - قصيدة «صارم الطعن» للشاوى وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن * ويركب اسفون لحروب وايعيط داني
ها حنا هنا ويكون ادراعو ابحال السانو
فان القصيدة من البحر الثلاثى ، ولكنه اضاف اليها بين الشطرين
الثانى والثالث عبارة يتوهم منها أن القصيدة رباعية ، فى حين أن هذه
العبارة لا يقصد منها غير قبض الميزان حيث كان يمكن ان يقول بدلا من
«ها حنا هنا» : «أسيدنا» وبلغت براعة الشاوى حدا انه فعل ذلك فى كل
الآبيات وبعبارات مختلفة على حد ما يبدو فى دخول القصيدة حيث يقول :
آش را من لابات امساهر الجفن * والفكرا جايلافزاخر لمعانى
بالمفاتنا باش ايسود اعلى لوشا فازمانو
آش را من لابحت افجهد مامكن * واعمل مايرتضى القاصى والدانى
والفراعنا يقطع زى ازعيطا بوزانو
آش را من لالهل الطايلا اركن * واترك فزوايت لهمل هل لضفانى

والمراكنا
 أش را من لاصحب الثابت الدهن * يسلك به الطريق جهر اکتمانی
 وقتما بنا
 یبئی بنیانوا علی یتقانسو
 أش را من لاله اشیاخ افلوطن * واروی منها اکما اروینا بعلانی
 من اشیاخنا
 اقلیل الطاعا امزدری شانو

والعادة ان يتشد آخر القصيدة - وخاصة اذا كان ادرىكة - (1)

سریعا وقویا علی طريقة الکباحی التي تكون علیها السرابة *
 والجدير بالملاحظة ان بعض القصائد لا تشد وتغنی وانما تتلى وتسرد
 ولا يكون ذلك الا فی القصائد الطويلة من امثال «حول القيامة» لعبد العزيز
 المغراوی التي حربتها :

لسم الله المعین افلسطار یهدینی منهاج لقوام

وقصيدة «الذرة» لابن علی وحربتها :

بإساهی من نومك فق سبح الرب لنا وانت تايه افلغورور لواب
 الصلاة والسلام اعلى اخیار لفسب سیدنا محمد طه اشفیع لعراپ

وقصيدة «الجمهور» لعبد القادر العلمی وأولها :

یامن یشفی اضرار عبدو بعد السقم ویفرح من اقوات فالصدر احزانو
 والغالب ان تتم «السرادة» فی زاویة او مسجد او «لمسید» كما
 یقولون (2) وفي مناسبات دینیة وخاصة ذكری مولد الرسول علیه الصلاة
 والسلام *

وللسرادة مثل الانشاد أسلوب معین وانغام خاصة تختلف من قصيدة
 لاخری ، وتقتضى التركيز علی بعض المقاطع والضغط علی حروف القافية
 وإطالة اواخر الكلمات بعنا للتأثیر فی نفس السامعین .

ونلفت النظر الى احدى قصائد «السرادة» فريدة من نوعها فی البناء
 جمعت أقسامها بین أبيات معربة وأخرى ملحونة ، وهی القصيدة «الفياشية»

(1) انظرها فی الجزء الخاص ببناء القصيدة فی الفصل الثالث من
 باب «الشکل» *

(2) المسید هو الاسم الذي يطلق علی الكتاب القرآنی ، ولعل اصله
 المسجد *

التي تنسب للشرقي والتي حربتها :

أنا مالي فياش واش اعليا منى

فقد دم لكل قسم منها بيتين معربين على حد ما يبدو فى القسم الثانى
منها حيث يقول :

ويقول لما شاء كن فيكون	ويبدى، سبحانه ويعيد
ويحكم فى خلقه ما يشا	ويفعل فى ملكه ما يريد
فى ظلمة الارحام	صورنى من نطفا
وابدانى بالانعام	نعا من كل صفا
واخلق لى ما واطعام	وانعام مختلفا

وكما انفردت هذه القصيدة فى بنائها فكذلك انفردت فى طريقة
تلاوتها ، حيث يسرد البيتان على غير طريقة سرد بقية ابيات القسم ،
وتكاد تكون تلاوتهما مجرد قراءة خالية من كل لحن على عكس بقية الابيات .
ونظن فى غير قليل من الميل للترجيح أن هذا الاسلوب السردى اثر
باق من الطريقة التي كان يؤدى بها الزجل فى مراحله الاولى ، وقبل ان
يغنى به ، نقصد من ذلك الى القول بأن تلحين قصائد الزجل واستخدامها
فى الغناء تم فى مرحلة متأخرة لعلها بدأت فى الربع الثانى من القرن
العاشر ، حين حكم الاشباح على قصائد بوعمرى الغزالية ان تنحى من ميدان
السرد فى المجالس العامة ، عقابا على نظمه فى المرأة . وسنرى (1)
أن هذه القصائد انتقلت الى مجالس خاصة كان جمهورها النساء والشباب ،
وأن الشعاع اضطر الى مسايرة جمهوره الجديد فأخذ ينظم له قصائد غنائية
خفيفة ، لعلها كانت السبب فى تحويل انظار الزجاليين الى اتخاذ قصائدهم
للغناء . وفى هذا العصر سنصادف عند الحاج اعمارة - وهو متأخر فى
الوفاة عن بوعمرى - بيتا يدعو فيه راوى شعره الى التفتى به دون خشية
من خصومه ، يقول فى آخر قصيدة «فاطمة» :

ياراوى لبيات عنى غنى اوصول لاتخشى من عديانى

وللحاج اعمارة قصيدة فى رثاء بوعمرى يصفه فى احد ابياتها أنه خير

(1) فى الفصل الثانى من باب (الاعلام) لدى الحديث عن بوعمرى .

من غنى وشدا بالشعر وهو قوله :

النبل القد النشاد سيد من غنى او اشدا

بل انا سنرى (1) ان الزجل المغربى حتى بداية الربع الثانى من القرن التاسع لم يكن يخضع لنظام معين فى الوزن والقافية ، وهما حجرا الاساس لتلحين اى كلام . وسنجد عند عبد الله بن احساين - وهو أول من سبق للاوزان فى الزجل (2) - رفضا لنوع من الشعر لم يكن يخضع للوزن يبدو من تسميته أنه كان يعتمد على القص والحكاية ، وهو «كان حتى كان» يقول ابن احساين فى أول بيت من أول قصيدة موزونة :

نبدا لسم الله انظامى يالى ابغى لوزان

لوزان خير لى انا يامن قول كان حتى كان

ويزيد فى تأكيد هذا الرأى أن القصائد تغنى على انغام الموسيقى الاندلسية كما بينا ، ونحن لانستطيع القول بأن انتقال هذه الانغام الى المغرب تم قبل انهيار الاندلس وهجرة مسلميها الى بلاد الشمال افريقى ، بل انا لانجد قبل الحايك - وكان يعيش فى القرن الثانى عشر للهجرة - من غنى بهذه الموسيقى وجمع شتاتها من ميازين ونصوص . ولسنا نزعم ان الغناء بالزجل تأخر حتى هذا القرن ، فميازين تلك الموسيقى كانت معروفة لاشك قبل ان يجمعها الحايك ، ولكننا لانعرف ان كانت تلاحين قصائد بوعمر و معاصريه قائمة على هذه الميازين ام انها كانت لها نغمات خاصة . و الاسف اننا لانستطيع معرفة اللحن الذى بدأ به غناء الزجل ، كما أننا لانستطيع معرفة الاسلوب الذى كانت تؤدى به القصائد قبل اتخاذها للغناء ، وان كنا لاشك فى ان «السرادة» اثر لهذا الاسلوب . والسبب ان الزجل الذى وصلنا ملفوظا لايسير على غير ميازين الموسيقى الاندلسية .

مهما يكن فان القصيدة الزجلية غدت غناء شعبيا يطرب له الجميع ،

والسر فى ذلك انها جمعت امرين :

(1) فى الفصل الاول من باب (الاعلام) .

(2) حسب ما وصلنا اليه فى البحث .

1 - كلمات يفهمها العوام والخواص من الناس .

2 - الحان قائمة على ميازين الموسيقى الاندلسية ، وهي أغنى وأعذب

ألوان الموسيقى في المغرب .

من هنا كان جمهور الزجال أوسع من جمهور الشعاعر المثقف الذي ينظم لطبقة معينة هي طبقة المتعلمين المتقنين للغة العربية ، ومن هنا كذلك كان الزجال يحاول أن يرضى هذه الطبقة الخاصة فيقتبس من لغتها غير قليل من المفردات والتراكيب ، ويضمن قصائده ألوانا من البلاغة وفنية الاسلوب (1) . وليس هذا فحسب بل انه كان يحاول أن يقدم لها معلومات تاريخية او فقهية ، لاشك انه - وهو أمدى في الغالب - كان يتعب في جمع مادتها بالسؤال والبحث ومجالسة العلماء وحضور دروسهم .

وسنرى حين نتعرض في الموضوعات ثلث قصائد التي تناولت السيرة النبوية (2) مثلا ان الزجال كان يبذل جهدا غير يسير في عرض جوانب من هذه السيرة تجعل المثقفين لا يرضون عن تلك الازجال فحسب ، وانما يقبلون عليها ويفتحون لها آذانهم وقلوبهم وبيوتهم كذلك .

ويزيد في الدلالة على هذا الجهد ما يلجأ اليه بعض الزجالين من استعراض أسماء بعض الكتب والمؤلفين ، ومن خير الامثلة على ذلك هذه الابيات من آخر قسم في قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوي ، وهي قصيدة شبيهة بـ «الحراز» أخبرته فيها حبيبته بواسطة وصيفتها انها محرزة بسبعة عفاريت ولن يستطيع الوصول اليها اذا لم يهزمهم ، فعزم على مواجهة هؤلاء العفاريت ودرس علم الجدول وما يتصل به من علوم يمكن ان تفيده في الوصول الى مفاتيح النصر . يقول :

حلا انشيتها ياراوى

للعاشقين واللى هاوى

فتراجم اللباقا واعقل والميز والرشادا

صنعت الدهرى اقفير

(1) انظر الفصل الثانى من باب «الشكل»

(2) انظر الفصل الرابع من باب «الموضوعات» .

- قارى علم التوحيد اعلى لشيخ ارويتو
واقريت الالفيا والمواق (1) الشهير
وابن عاشر واقريت الرسالا (2)
والخزرجي اوكيد (3)
وابن عطاء الله والسمرقندى واعلوم لكتوب (4)
والدمياطى وامشاكل الزناتى
والسريانى اعلى اوفاه انحقو (5)
وابن سيرين والموطا وكذلك اقبلاغ ندرى سيدى خليل (6)
والبخارى وامعاه دعوت البسملا (7)
واكمل بالرضى مقصودى
واظفرت بالسعادا

على أنا لانريد ان ننفي عن الزجال غاية اخرى من هذا الجهد ، غير
ارضاء المتقفين ، كان يقصد بها الى افادة العوام وتنبير فكرهم وفتح
ذهنهم وعيونهم على جنبات من عالم الخواص ، وهم فى الغالب - وعلى
الرغم من عاميتهم وأميتهم - على جانب غير يسير من الثقافة ، وخاصة منها

- (1) الفية محمد بن مالك الجيانى (ت سنة 672 هـ) فى النحو . اما المواق
فهو احد شراح مختصر خليل فى الفقه .
- (2) عبد الواحد بن عاشر صاحب المنظومة المشهورة فى الفقه والتوحيد .
والمقصود بالرسالة رسالة ابي زيد القيروانى فى الفقه كذلك .
- (3) ضياء الدين الخزرجى السبتي صاحب المنظومة «الخزرجية» فى
العروض ، وتعرف فى المشرق بـ «الرامزة» .
- (4) يقصد ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم «والسمرقندى» المشهور
فى علم البيان .
- (5) الدمياطى والزناتى والسريانى اسما مشهورة فى علم الجدول وسر
الحرف .
- (6) محمد بن سيرين المشهور فى الرؤيا وتعبيرها ، وصاحب «منتخب
الكلام فى تفسير الاحلام» ، اما الموطا فهو كتاب الامام مالك ت سنة
178 هـ ، ولعله من الغريب ان يذكر علم البلاغة ويعتمد على مختصر
خليل ، وهو كتاب فى الفقه ، وما نظنه الا يقصد الى مهارته فى فهم
بلاغة هذا المختصر وحل رموزه ومعنياته .
- (7) الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور .

ما تحتم معرفته ضروريات الدين .

ولعلنا ان نضيف غاية أخرى لامجال لاغفالها هي وليدة المنافسة التي كانت بين الزجالين ومحاولة اظهار تفوق بعضهم على بعض ، وهو جانب يؤكد لنا الصراع الذي كان ينشب فيما بينهم والذي سنعرض له لدى الحديث عن فن الهجاء (1) .

ولم يكن الزجال يحاول ارضاء المثقفين فحسب ، وانما كان يحاول كذلك ارضاء الحكام والامراء والملوك يسعى الى قصورهم يتمتعهم ويؤنسهم بقصائده ، وهي ظاهرة اضطرته الى ان يبتعد عن واقع مستوى الشعب ، مصورا حياة القصور تارة ومخلقا بخياله تارة أخرى (2) ولاجئا الى الرمز والتلميح والاشارة تارة ثالثة .

ومن المتوقع عندنا ان مثل هذا الجمهور الواسع المتباين فى مستوى حياته وتفكيره قد يدفع البعض الى الطعن فى شعبية الزجل المغربى او الشك فيها على اقل تقدير .

ومن المتوقع عندنا كذلك أن تكون ظاهرة تدوين بعض قصائد هذا الزجل ذريعة لكى يتخذ آخرون مثل هذا الموقف من شعبيته ، معتبرين وجوب التداول الشفوى فى كل ادب شعبى .

ومن المتوقع عندنا بعد هذا ان معرفة أسماء منشئ هذا الزجل قد تدعو غير هؤلاء وأولئك الى اتخاذ نفس الموقف من شعبيته ، لان تلك المعرفة - فى رأيهم - تنفى عنه الجماعة التي تعتبر السمة البارزة لكل ادب شعبى والتي تقتضى أن يكون مؤلف هذا الادب مجهولا .

ولسنا ننكر ان كل هذه ظواهر واضحة فى الزجل المغربى لامجال لتجاهلها أو اغفالها ، ولكننا لانرى فيها ما يبعده عن الشعر والغناء الشعبيين فليس فرضا على أى عمل ليكون شعبيا أن يظل محصورا فى نطاق طبقة العوام الاميين ، ولعله من التحجير على الفنان الشعبى أن نجسه فى هذا النطاق ولانبیح له أن يربط علاقات وصلات بطبقات أخرى راقية ،

(1) الجزء الثالث من فصل «مع الناس» .

(2) انظر فصل «المرأة» والجزء الاول من فصل «مع الحياة» .

وأن يشرب إليها بفنه ويؤثر عليها ويتأثر بها في محاولة لاكتساب بعض الجديد مما لاعد له به في بيئته . بل انا نذهب الى أبعد من ذلك في النظر الى هذه الظاهرة بما فيها من رغبة للاقتباس والتنويع ، وفي خلط غير منظم ولا مدروس ، فنعتبرها دليلا مؤكدا لشعبية هذا اللون من الشعر . ثم ان المؤلف الشعبي يعبر عن واقع مجتمعه ، ولكن لامناص له من النظر الى عمل غيره والاستفادة منه وتقليد اشكاله وموضوعاته ، وخاصة تلك التي حظيت عند الجماعة بالقبول وحدث انماطا ينسج عليها ، وقد يسرف في ذلك فيغدو عمله مجرد نقل وتقليد . وهو كفنان لامناص له كذلك من تحكيم تجربته والاستنتاج منها ، وعى كلها اشياء قد تبعده قليلا او كثيرا عن الواقع .

ومالظن تدوين بعض نصوص هذا الشعر يؤثر على شعبيته طالما أن الجماهير توارثته عبر القرون والايال وتداولته عن طريق الرواية الشفوية، لم تلجأ في ذلك الى ما هو مكتوب . ولايساورنا أدنى شك في أن الذين قاموا بتسجيل نصوص من الزجل في كتاباتهم هم من غير طبقات العوام ، وأنهم فعلوا ذلك اعجابا بهذا الزجل او تلبية لرغبة الكبراء والحكام . اما معرفة منشئ الزجل فلا نرى فيها ما يتنافى والجماعية ، فليست الجماعية ان يجهل الفرد وتهدر الجماعة حقوق انتاجه وتمتص منه وابداعه فيه ، وانما الجماعية أن تبنى الجماعة انتاج الفرد الذي يستطيع ببراعته وعبقريته ان يقنعها به ، فتقبله وتعجب به ، وترفضه وتتداوله وتذيعه وتحافظ عليه ، طالما ان هذا الانتاج الفردي يلائم ذوقها ، وطالما انه لا يصبح له كيان مالم توافق عليه (1) .

(1) لعلمنا ان نشير الى ان انتشار الطباعة اليوم سيؤثر على وسائل تداول هذا الشعر ، وسيحافظ على اسم صاحبه وحقه في الانتاج ، لاسيما ونطاق محو الامية أخذ في الاتساع .

الباب الاول

الشكل

الفصل الاول

مفهوم الزجل وانواعه

أولا : مفهوم الزجل

إذا رجعنا الى النصوص القديمة نحاول البحث فيها عن ورود كلمة «الزجل» فانا نجدها مستعملة منذ العهود الاولى للعربية . حقا اننا لانعثر لها على ذكر فى القرآن الكريم ، ولكننا نصادفها واردة فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن كثير فى تفسيره لدى اول حديثه عن سورة الانعام : «... قال شريك عن ليث عن شهر عن اسماء قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسير فى زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض . . .» وقال ابوبكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسى حدثنا ابوبكر بن احمد بن محمد ابن سالم حدثنا ابن أبى قديك حدثنا عمر بن طلحة الرقاشى عن نافع بن مالك بن أبى سهيل عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترتج» . ورسول الله يقول : «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبرانى عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية بن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت على سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد» (1) ويقول ابن الاثير : «زجل (هـ به فيه) انه اخذ الحرية لآبى بن خلف فزجله بها أى رماه بها فقتله ، ومنه حديث عبد الله ابن سلام : فأخذ بيدي فزجل بى اى رمانى ودفع بى (ن) ، وفى حديث

(1) تفسير القرآن العظيم لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ت سنة 774 الجزء الثانى صفحة 122 الطبعة الثالثة مطبعة الاستقامة القاهرة

الملائكة) لهم زجل بالتسبيح أى صوت رفيع عال» (1)

كذلك نجد الكلمة واردة فى الشعر الجاهلى ، يقول الاعشى :

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان برريح عشرق زجل
أى ريح مصوطة •

ويستعرض الزبيدى فى «تاج العروس» معانى كلمة الزجل فيقول :

« (والزجل محركة اللعب والحلبة و) خص به (التطريب) والشد سيبويه

له زجل كأنه صوت حاد اذا طلب الموسيقى أو زمير

(و) الزجل أيضا (رفع الصوت) والملائكة زجل بالتسبيح والتهليل

أى صوت رفيع عال وقد (زجل كفرج) زجلا (فهو زجل وزاجل) وربما وقع

الزاجل على الغناء • قال : وهو يغنيها غناء زاجلا (ونبت زجل صوت) كذا

فى النسخ والصواب صوتت (فيه الريح) • • • • • والزجل محركة نوع من الشعر

معروف محدث • • • • • (2)

ومثل هذا نجده فى كتب الادب على حد ما تقرأ فى «العاطل العالى

والمرخص الغالى» حيث يقول صفى الدين الحلى : «والزجل فى اللغة الصوت،

يقال سحاب زجل اذا كان فيه الرعد ، ويقال لصوت الاحجار والحديد ايضا

والجماد زجل • قال الشاعر :

مررت على وادى شيات فراعنى • به زجل الاحجار تحت المعاول

تسلمها عبل الذراع كأنما • جنى الدهر فيما بينهم حرب وائل

فقلت له شئت يمينك خلها • لذكر او مخبر او مسائل

منازل قوم اذكرتنا حديثهم • ولم أر احلى من حديث المنازل» 3

ويحاول الحلى أن يجد تعليلا للربط بين الاستعمال اللغوى والاستعمال

الاصطلاحي فيضيف : «وانما سمي هذا الفن زجلا لانه لا يلتذ به ويفهم

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثر للمبارك بن محمد الجزرى المعروف

بابن الاثير الجزء الثانى صفحة 122

(2) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى مادة زجل

الجزء السابع ص 355

(3) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر

مقاطع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت فيزول اللبس بذلك» (1) وليس من شك في ان بداية استعمال كلمة الزجل في معناها الاصطلاحي مرتبطة بظهور هذا الفن . واذا رجعنا الى مختلف المصادر التي عنيت بالاشارة الى نشأته فاننا نجدتها تكاد تجمع على أن الذي اخترعه هو ابن قزمان . وليست تهمة في الواقع معرفة اسم السابق الى نظمه بقدر ما يهمنا أن نعرف كيفية انتقال اللفظ الى الاستعمال الاصطلاحي الادبي - هنا يعرض احمد الرباط في كتاب «العقيدة الادبية في السبعة فنون المعنوية» حكاية تقول « ان أول من تناشد به الشيخ أبو بكر بن قزمان المغربي ، وقيل لما انه كان في الكتاب وكان مراهق السن ، فدخل على شيخه الفقيه غلام جميل الصورة حسن الوجه حلو الجانب فنده عليه ابن قزمان وأجلسه بجواره ثم صأر يحييه بالسلام ويؤدده بالحديث فبص الفقيه ففهم وعرف ما في ضمير ابي بكر من الحب للغلام فعبس الفقيه في وجه ابي بكر وأمر الى العريف بضربه ، فضرب العريف ابن قزمان فلما فرغ العريف من ضربه اخذ أبو بكر لوحه ومسك القلم وقد كتب هذا الوزن ، وهو أول اوزان الزجل :

الملاح أولاد اماره * والوحاش أولاد نصاره

وابن قزمان جا يغفر * ما قيل له الشيخ غفارة

فأحس الفقيه على ابي بكر فأخذ اللوح من يده فرأى فيه ماتقدم ذكره،

فقال الفقيه :

«هجيتنا يا بن قزمان بكلام مزجول يعني مقطع ، فسموه زجلا» (2) .

- 1) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر و 18 وجه . ونفس الكلام نقرأه في «بلوغ الأمل في فن الزجل» صفحة 68 مخطوطة الزيتونة رقم 4467 . ونقرأ كذلك في «تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» ل محمد المحبي لدى ترجمة ابي بكر بن منصور بن علي العمري الدمشقي المتوفى سنة ثمان وأربعين والفس حيث تعرض للفنون السبعة المستحدثة ومنها الزجل (الجزء الاول 108 - 109 - 110 المطبعة الوهبية بمصر سنة 1284) .
- 2) مخطوط اسعاد افندي (السليمانية - اسطنبول) رقم 2867 الورقة 6 ظهر 7 وجه

ولكننا نجد استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني يرى انه
استعمل قبل ابن قزمان وفي نوع من الشعر الشعبي غير الزجل ، يقول :
«ولعل لفظ الزجل كان في الاصل يطلق على النوع الشعبي ثم أطلق على
النوع الشبيه بالتوشيح لفظ (هزل) ثم اختلط اللفظان فيما بعد (1)»
ويعتمد في ذلك على نص ينقله من كتاب «جميع نواميس الكنيسة والقانون
المقدس» منسوخ سنة 1046 اي قبل وفاة ابن قزمان بما يقرب من قرن
كامل ، جاء فيه : «لايجوز للقلاريق ان يحضروا الملاهي والزجل في
العرائس والمشارب بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازقان
والتنحي عنهم» (2) ويعلق على هذا النص بقوله : «وهذا نص فيما نعتقد
عظيم الاهمية ، وقيمته ليست في أن الزجل كان موجودا قبل ابن قزمان
فحسب بل انه كان شعبيا له مكانة في العرائس بين الموسيقى والرقص
والاغاني» (3) .

ومن لطيف ما يستأنس به في البحث عن أصل التسمية ماذكر لنا
احد المعتنين من أن لها صلة بسيدي «زجل» صاحب الضريح المعروف في
شمال المغرب . وقد وجدنا له ذكرا عند سليمان الحوات في «ثمره انسي
في التعريف بنفسه» حيث قال عنه : «... سيدي زجل دفين بومناز من
القبيلة التي تنسب اليه (بنى زجل) وقد قدم على المغرب مع موسى بن
نصير سنة تسعين من الهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك واسمه محمد
ولقبه زجل وكان خيرا عالما شاعرا ...» (4)

ومع هذا فان المقاربة لا يطلقون الزجل في الغالب على غير النوع
الاندلسي المعروف ، أما شعرهم الشعبي فيطلقون عليه أسماء أخرى أهمها
«الملحون» . فهذا سيدي ابراهيم التادلي في «فتح الانوار في بيان مايعين
على مدح النبي المختار» يقول : «واعلم ان المديح النبوي يكون بالاشعار

- (1) الزجل في الاندلس صفحة 59
 - (2) مخطوط المكتبة الاهلية في مدريد رقم 4879 ورقة 333 وجه .
ويشرح القلاريق بأنهم Clérigos اي رجال الكنيسة
 - (3) الزجل في الاندلس صفحة : 59
 - (4) من مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد اعراب - اللوحة الرابعة .
- (4)

الموزونة ذات البحور الخمسة عشر ويزاد ما اخذ من هذه البحور كمخلع البسيط ومجزو الرمل ومشطور الرمل ومشطور الكامل . ويكون أيضا من الازجال والموشحات وكذا الملحون كالقصاصد والبراول لكن الملحون منه ما يوافق الاوزان الخمسة عشر المتقدمة ومنه ما يخالفها .» (1)

ونجد التفرقة بين النوعين الاندلسي والمغربى واضحة عند اصحاب الموسيقى الاندلسية الذين يفرقون في الاشعار التي تنشد في هذه الموسيقى بين الازجال ، يقصدون بها الشعر الاندلسي المعروف بهذا الاسم ، وبين البراول (2) ، وهي اشعار عامية مغربية تنشد في بعض ميازين هذه الموسيقى .

لهذا قد يلاحظ علينا في اتخاذ اسم «الزجل في المغرب» عنوانا لرسالة تبحث في لون من الشعر الشعبي المغربي ، طالما أن المغاربة لا يطلقون «الزجل» على شعرهم الشعبي ، وطالما انهم لا يقصدون من هذه التسمية غير النوع الذي عرف في الاندلس . ولكننا نرد على مثل هذه الملاحظة بما يلي من نقاط :

اولا : على الرغم من أن لفظ الزجل شاع اسما للفن الشعري الذي سبق اليه الاندلسيون ، مجردا من الاعراب متعدد القوافي متجدد الاوزان ، فانا لانشك في أنهم كانوا يطلقون هذه التسمية على كل ماكانوا ينظمون باللغة العامية . وقد سبق أن ذكرنا ما ذهب اليه استاذنا الجليل الدكتور الاهواني من أن الزجل كان في الاصل يطلق على النوع الشعبي وان الهزل كان يطلق على النوع الشبيه بالتوشيح . ونجد الحلى ينسب التعميم لغير الاندلسيين حين يقول معقبا على ذكر الموشح والزجل والمزمن والمكفر : «وباقى البلاد لايعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما اعرب موشحا وكل ماخلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا في أى فن قصه الناظم» (3) . بل انه نجد احمد الرباط يذهب الى «ان الشعر هو أصل كل فن مغرب وأن الزجل هو أصل كل فن ملحون» (4) . كذلك نجد الحلى

- (1) مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 3285 د صفحة 27 - 28 .
- (2) سنعود اليها في الجزء الثاني من هذا الفصل كنوع من أنواع الزجل .
- (3) العاقل الحالى الورقة 19 وجه 4) العقيدة الادبية الورقة 18 ظهر .

يعتبر من الزجل شعرا عاميا لايسير على نظام الزجل المعروف ، ويعتبر نظم هذا الشعر مرحلة سابقة على نظم الزجل ، فهو يقول : «وأول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغيره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية ...» (1) ثم ذكر ان لمغليس في ديوانه ثلاث عشرة قصيدة من هذا النوع أشار الى مطالعها (2) ، ومنها قوله :

مضى عني من نحبو وودع * ولهيب الشوق في قلبي قد اودع
ثانيا : اطلق بعض المغاربة لفظ الزجل للدلالة على ما ينظمون من شعر بالعامية ، فعند الشاعر الشعبي سعيد التلمساني في احدي قصائده متحدثا عن نفسه :

اذا كنت زجال فيها كيف تريد (3)

وعند زجال آخر اسمه على يهجو ويفخر (4) :

انكمل زجلي ولي فالزجول * انكمل زجلي
قولوا للعكلى يتسرك لفضول * قولوا للعكلى
والاديب على ايفوق في لغزول * والاديب على

وفي «نشر المثاني» لابي عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري لدى ترجمة الشيخ ابي عبد الله محمد بن مبارك الزعري دفين تاسوت :
«وخاطبه سيدي محمد الشرقي :

يا لساكن ارض البوادي * لا تتعدا شئ الموارد
اصحب هداة الطريقا * تحصل له كل الفوائد
فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هذا * الا من مجدوب سالك

- (1) العاقل الحالي الورقة 22 وجه .
- (2) المصدر السابق من الورقة 22 حتى 25 . ويبدو ان الحلبي خلط بين الزجل والشعر الملحون الذي كان معروفا في الاندلس والذي سنعرض له بعد سطور .
- (3) مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1644 صفحة 70 .
- (4) من مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية في مدريد غير مرتب رقمه 5307 .

يسقى خمر الرجالا * مملوك من الحق مالك» (1)

ثم قال بعد ذلك : «وما جلبه من قوله : يا ساكن الخ ... هو زجل فى وزن المجتث» (2) • وعند ابن عسكر فى «الدوحة» لدى ترجمة محمد بن يحيى البهلولى (3) ان «له زجليات» (4) • ويقول محمد الكانونى فى «جواهر الكمال فى تراجم الرجال» فى ترجمة احمد بن على الغنيمى : «له قصائده ملحونة (ازجال)» (5) •

ويقول ابن زيدان فى ترجمة عبد القادر العلمى (6) : «وما ينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة» (7) •

ثالثا : يبدو أن المغاربة على الرغم من ميلهم للتمييز بين الفنون ، وقعوا فى خلط بينها وتصور ان لم يكن خاطئا فهو على الاقل غير واضح • يقول التادلى فى «فتح الانوار» متحدثا عن أركان السماع واولها الشعر : «ان الكلام الذى يتكلم به الانسان من حيث هو اما معرب او ملحون ، وكل منهما اما منظوم او منشور ، لكن جرى فى الاصطلاح ان الموزون يطلق على النظم المعرب والملحون يطلق على النظم غير المعرب ... والملحون هو موشحات وبراول وقصدان» (8) • حيث جعل الموشح لونا من ألوان الشعر الملحون (9) • كذلك نجد القادري فى «نشر المثنى» فى تعليقه على الابيات

(1) الجزء الاول صفحة 47 طبعة فاس • وانظر المساجلة كذلك فى «ممتع الاسماع» صفحة 128 - 129 لدى ترجمة محمد بن مبارك الزعري •
(2) المصدر السابق •

(3) سنعود اليه فى الفصل الثانى من باب «الاعلام» • (4) ص 46 •
(5) ص 26 وسنعود اليه فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة المدغرى •

(6) سنترجم له فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» •
(7) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج 5 ص 340 •
(8) صفحة 4 - 5 - 7 •

(9) مع اعتبارنا ان هذا خلط نشير الى ان الموشح الملحون عرف فى اليمن على حد ما يذهب صاحب «سلافة العصر» من ان لاهل اليمن نظما يسمونه الموشح غير موشح اهل المغرب ، والفرق بينهما ان موشح اهل المغرب يراعى فيه الاغراب بخلاف موشح اهل اليمن فانه لا يراعى فيه شئ من الاغراب بل اللحن فيه اعذب وحكمه فى ذلك حكم الزجل •
صفحة (243) •

السابقة يذهب الى ان الزجل كلام مغرب وملحون حيث يقول : «هو زجل في وزن المجتث على طريقة الازجال من كونها ملفقة من الكلام الملحون والمغرب» (1) .

رابعاً : لم يطلق المغاربة تسمية معينة على شعرهم الشعبي وانما اطلقوا عليه تسميات كثيرة سنستعرضها ونمثل لها بعد قليل .

خامساً : قد تكون لتسمية الملحون الغالبة على الشعر الشعبي المغربي وما يوحى به الشبه بينها وبين تسمية الملحون التي تطلق على القصائد التي كانت تنظم في الاندلس خالية من الاعراب ، ما يدعو الى الظن بان الشعر الشعبي المغربي ربما كان امتدادا لهذا اللون من القصائد وبالتالي امتدادا للتسمية . ولكننا حين ننظر في الشعر الملحون الاندلسي والشعر الملحون المغربي ، نقيسهما بالزجل في الاندلس ، نجد الملحون المغربي في تعدد اوزانه وتنوع قوافيه وعدم خضوعه لبحور الخليل اقرب الى الزجل منه الى الملحون الاندلسي الذي التزم شكل القصيدة العربية لم يختلف عنها الا في ابتعاده عن الاعراب . فعند ابن سعيّد متحدثاً عن احد الشعراء بعد ان اورد له زجلاً قال : «وله شعر ملحون على طريقة العامة منه :

صحبتي والعنق لمليح لمخلخل * حبي منك نأبت وديني لمخلخل
وعلام بعث ديني ابحك * لو عطيت مرغوبى فيك لس اتسال
فلقد عندك حلاوى لى منوع * وجسالا طوع الامر يخلخل» (2)

سادساً : ليس من شك في أن اسم الزجل غدا في العصر الحديث وفي معظم البلاد العربية يطلق على كل ألوان الشعر التي تنظم باللهجات العامية المحلية ؛ على الرغم من بعد هذه الألوان شكلاً ومضموناً عن الزجل الاندلسي الذي لم يعد ينظم، وليس من شك كذلك في أن الناطقين بالعربية في البيئات المختلفة يحسون الفوارق اللغوية التي تحول دون توحيد السنتهم ، وان حماة هذه اللغة يسعون جاهدين الى هذا التوحيد وخاصة في مجال المصطلحات

(1) الجزء الاول صفحة 47 - 48 .

(2) الجزء الثاني من المغرب صفحة 222 ومثل هذا الشعر هو الذي اطلق عليه الحلبي «القصائد الزجلية» (انظر العاقل الحالي الورقة 22 وجه)

ونحن نرى فى هذا خطوة بعيدة نحو توحيد الرؤية والتفكير والتعليم فضلا عن محور فوارق التفاهم والتعبير ، ونرى كذلك ان دراسة الاشعار العامية بصفة خاصة واللهجات العربية المحلية بصفة عامة هى السبيل الموصل إلى الوحدة اللغوية المنشودة .

لذا ، واعتمادا على هذه التعليقات ، فانا نفضل اطلاق «الزجل» على كل أنواع الشعر الشعبى المغربى ، وتدعو الى هذه التسمية بدلا من أية تسمية اخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار . ويشجعنا على ذلك اننا لازلنا فى المرحلة الاولى للبحث عن التراث واستخراجه وتنظيمه ووضع معايير وتحديد مصطلحاته ثم دراسته والتعريف به ، وهى مرحلة اشبه ماتكون بمرحلة وضع الحجر الاساسى لاي بنيان . واذا كنا نقول هذا بالنسبة للتراث عامة ، فانا نلح عليه بالنسبة للتراث الشعبى خاصة ، لاسيما فى بلد كالمغرب لايعنى فيه بهذا اللون من التراث ، بل لانبالغ اذا قلنا انه لايعترف به مادة جديرة بالدرس والبحث او أى مظهر من مظاهر الرعاية والاهتمام ، وهو موقف يكاد يتساوى فيه العامة والخاصة من الناس اما الاسماء التى يعرف بها هذا الشعر فى المغرب ، سواء عند الجمهور أو عند الاثماخ منشئين ومنشدين فهى :

اولا : الملحون :

يقول بوعمرى فى آخر القسم الثالث من قصيدة له فى الاخلاق والطباع :

ملحونا اقتادل تضوى فالداج ماخطا سرداق

والناس رايدا تطفى نور اقتادلو افكل اغسيق

ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرى :

ملت امن السجيا ولي فيها العار والشنار

واغضب اعلى الشعر الملحون اللى ناظمو فاضها

ويقول المصمودى فى آخر قصيدة «الجار» :

انا حر افقلب كل اكريه ازنجار

لوينظم بالذهيب انا لى عيار

بالميزان الرجيج نعريف غايت ملحوني

ويقول المدغري :

فالملاحون اعليه لنظار

واعلى اللفاظ والمعنى حق انظارو

نعنى جوهر تاج خنارو

بها عل لعوارم تفخر خنارو

ويقول عبد الرحمن بن لفيقه في آخر قصيدة «للاحسنا» :

خذ الحافظ اتراجمنا

من اصميم لفكر عبد الرحمان بالميازن

خترعها فى اتراجم الملحون

ولعلنا ، قبل الانتقال الى اللفاظ الاخرى التى اطلقت على هذا الشعر أن نقف قليلا عند اصل التسمية بالملحون . والحقيقة أنا فى محاولة التعليل أمام اقتراضين مصدرهما معنيان من معانى اللحن ، هما الغناء والخطأ النحوي وقد استبعد الاستاذ محمد الفاسي أن تكون التسمية مشتقة من اللحن بالمعنى الثانى حين قال : «والحقيقة أن لفظة الملحون هنا مشتقة من اللحن بمعنى الغناء لأن الفرق الاساسى بينه وبين الشعر العربى الفصيح أن الملحون ينظم قبل كل شئ لكى يعنى به» (1) وقال كذلك : «اول ما يتبادر لذهن انه شعر بلغة لاعراب فيها فكانه كلام فيه لحن ، وهذا الاشتقاق باطل من وجوه لاننا لا نقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ولم يرد هذا التعبير عند أحد من الكتاب القدماء لا بالمشرق ولا بالمغرب . والسبب أراه أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى التنغيم لأن الاصل فى هذا الشعر الملحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شئ . ونجد ما يؤيد هذا النظر من قول ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخمسين فى أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد بعد أن تكلم على الشعر باللغة العامية فقال : وربما يلحنون فيه ألحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية» (2) . ونحن

1 مقال : «نظرة عن الادب الشعبى بالمغرب» - مجلة البينة - السنة الاولى العدد الرابع غشت 1962 .

2 مقال : «الادب الشعبى المغربى الملحون» - مجلة البحث العلمى - العدد الاول السنة الاولى (يناير - ابريل 1964) .

يرى على العكس من هذا ان التسمية اشتقت من اللحن بمعنى الخطأ النحوي ونعلل لذلك مناقشين رأى الاستاذ الفاسي من وجهات ثلاث :

الاولى : ان هذا الشعر لم يكن ينظم اول الامر ليفنى به وان اتخذه للغناء تم فى مرحلة تالية ، وقد فصلنا فى ذلك القول فى المدخل .

الثانية : اننا حقا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملهون لان الفصاحة قد تكون فى الملهون ، وغير الملهون ، كما سنتعرض لذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب . وقد جانب الاستاذ الفاسي الصواب حين استعمل كلمة «فصيح» ليقابل بها كلمة «ملهون» وما نظنه يجهل ان الذى يقابل الشعر الملهون هو الشعر المعرب وليس الفصيح .

اما ثالث هذه الوجهات فبى ان استعمال هاتين التسميتين : المعرب والملهون متعارف عليه عند كل الذين تعرضوا للونين من الشعر . فابن سعيد يقول متحدثا عن بعض الشعراء : «ولد شعر ملهون على طريقة العامة» (1) ، والحلى يتحدث عن الفنون المستحدثة فيقول «وهى الفنون التى اعرابها لحن وفصاحتها لكن وقوة لفظها وهن ، حلال الاعراب بها حرام وصحة اللفظ بها سقام» (2) ويقول : «... وبعض البلاد لا يعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما عرب موشعا وكل ما خلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزما فى أى فن قصد الناظم» (3) ثم يقول : «ثم تداوله العامة ومن لانس له بالقواعد ومن عجز عن الاعراب حتى صاروا ينظمونه ملهونا» (4) ، بل انا نجد الشعراء انفسهم يستعملون الاصطلاحين على حد ما يقول ابن مقاتل فى نهاية احد ازجاله :

كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل * وكم ذا فى المحافل
قد انشأ غصن حافل * من حل بيت فى مربع * ملهون بألف معرب (5)

(1) الجزء الثانى من المغرب - ص 222 .

(2) العاقل الحالى - الورقة 15 ظهر .

(3) المصدر السابق - الورقة 18 ظهر .

(4) المصدر السابق * (5) روض الآداب لاحمد بن الحجازى مخطوط

آيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) رقم 4017 الورقة 101 ظهر .

أكثر من هذا ان المغاربة استعملوا الملحون في مقابل العرب على حد ما نقرأ عند التادلي في «فتح الانوار» حيث يقول : «الملحون يطلق على النظم غير العرب» (1) .

اما استدلال الاستاذ الفاسي بكلام ابن خلدون فمطعون فيه من ثلاثة وجوه :

اولها : ان كلام ابن خلدون لا يقصد به الشعر العامي المغربي ، فهو يقول : «فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات .. فأهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات .. وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحانا بسيطة» (2) .

ثانيها ان ابن خلدون لم يذهب الى ان اللحن الموسيقي والغناء من خصائص هذا الشعر ومميزاته اللازمة له ، وانما ذهب الى أنه قد يتخذ للغناء في بعض الاحيان ، وهذا ما يفهم من استعماله «وربما» .

ثالثها : ان ابن خلدون حين تحدث عن «عروض البلد» الذي استحدثه أهل الامصار بالمغرب وتسجوا عليه في أشعارهم الشعبية لفت النظر الى خلق هذه الاشعار من الاعراب ولم يشر الى أنها كانت تغنى ، ولو كانت كذلك لما أهمل مثل هذه الاشارة ، فقد قال : «فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا» (3) .

ثانيا : العلم الموهوب ، يقصدون انه حبة من الله مصدره الالهام :

يقول التلمساني يرثى المغراوي :

بستان الزهر صاحب السر المكنون ✽ علم الموهوب ماتنهيه اقراطس (4)
ويقول المدغري في احدى قصائد «الساقى» :

(1) صفحة : 5 .

(2) المقدمة صفحة 510 طبعة بولاق .

(3) المصدر السابق صفحة 530 .

(4) الكناش ك 1644 صفحة 31 مخطوط خزانة الرباط العامة .

واسلام الله اعلى الشراف واعلى الطلبا ناس لحديث واعلى شراحو
واعلى من يتلى قول ربنا واقرأ بالترتيل
واعلى ناس الموهوب كافة واعلى من قصد النبى اوزار افر كاحو
واعلى ملت لسلام كلها يبقى جيل افجيل
ويقول شاعر لعله احمد ابجوات فى آخر قصيدة «الحب احرك لى
بجيوش» :

واسلام بنا للشرفا والقاريين * واعلى اهل العلم الموهوب
ثالثا : السجية :

يقول بوعمرو :

فامهامه انسجيا نقرس حرجات كلها روناق
بالنور والنوار والطيب والشجر لبسيق
والقلب فالسجيا قوتو وامعشتو اعلى نسق
والفاهمين طرز الغايا يدرىو قولتى تحقيق
ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرو :
ملت امن السجيا ولى فيها العار والشنار
ويقول الجيلالى امتيرد فى آخر قسم من خلخاله :
ماضرت اعلى طلبا اولا مشى لى عمرو خلخال
غير ابدىوان اشطارتى وعقلى واكمال اسجيتى وترتيب اشغالى
جلست فى هذا السحلا ودرتها فرجا للعقال

ويقول ابن على فى آخر قسم من محاورته :

بلطافا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم
اذكى امن الزهر واحلا من سكر فقلوب اهل التسليم ولجود اتجيههم زقوم
وابعا : لكلام ، يقصدون انه الكلام الحق الصادق ، وكأنهم باستعمال هذه
التسمية على صيغة التعريف المطلق لايعنبرون ماسواه من الكلام .
يقول المخراوى فى آخر قسم من قصيدة له فى الاشتياق لمكة المكرمة :
ماهوشى من والى اللى ايجيب لكلام
واعسى اللى قاصر فى اهوى افنون الكذب

ويقول ابن علي في آخر الحجام :

وامتالي عند الناس يرحأمو

يذكر في ابساط الملوك اكلامنا ويروي القلب الملهوف

ويقول محمد بن علي بن ريسون :

واللي يحفظ هاذ لكلام ❦ ينجا من كل اعذاب

ويقول المدني التركماني في دريدكة قصيدته في «السولان» :

والهيت لكلام اختم السولان

خامسا : النظم أو النظام :

يقول المغراوي في «حول القيامة» :

نرجع لحديثنا المنظوم ❦ فتمام امشاهد لقصيد

ويقول كذلك في قصيدة الشوق لمكة المكرمة :

يا من يهجرني هكذا انصيغ النظام ❦ نعت الدر المنظوم في اسلوك الذهب

ويقول المدغري في آخر قسم من الزهو :

خذ طرز اختيم العنوان

للواسخ فيه اعلوم لكتوب لانقصاني

لازيادا نظم اترجمان

ويقول ابن علي المسفيوي في آخر «المرسوم» :

يا حافظ نظمي بين لحافل اتحول ❦ كررو بلسانك بكرا مع لصلا

سادسا : الشعر :

يقول بوعمر :

الشعر فيه اشفا لمريض ايلا افنا وزاد ارقاق

ايصيب فيه لوئيس الناطق بالسكات والتحقيق

ويقول ابن علي في اول سولانه :

بسؤالي استغفر واتلق كل من ايعاتب

اللي ايعاتبك كنو عاتبنا ❦ وغاتبك كنو غاتبنا ❦ وهكذا فالشعر اكتبنا

ويقول فيه كذلك :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولمواهب

ويقول في اول قسم من المحاوره :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين ترصاهم
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جبت اخصام الخودات في انهايت شعري منظوم
سابعاً : القريض :

يقول الحاج اعمارة في آخر قسم من فاطمة :

ياراوى لبيات على * غنى اوصول لاتخشي من عدياني
انظامى وقريض وزنى * شلا يطيق عنو مظموس اعدانى
ويقول ابن عمر الكفيف في حربة «الداعى» :
انا زنجار فى اعيون امن ادياً * قول للايم الوغد الداعى
برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

ويقول احمد ابجيوات في «عرصة الرضا» :

افلمواهب لقريض * ساسو طايح لهلا اينوضو

ثامناً : لوزان : اى الاوزان

يقول العلمى في آخر «المزيان» :

لو امدحت من لعجام ارديل فى لوزان * ايعود ساخى مهما فقصايد ينظر
ويقول كذلك فى ختام قصيدة «كان اخلاكى هانى» :
واتهلا فوزانى * واكتم ابياتها عن هل لعقول لخشان
ويقول ابن على المسفيوى فى نهاية «الورشان» :
والحاضرين رحموا ناظم لوزان * فى بابكم ديما مسؤول
تاسعاً : اللغة : يقصدون الكلام ، وهى فى الاصل اللغة .

يقول امتيرد فى «ضيف الله» :

قال افصيح اللغة الحبر الجيلالى * لفقت اجواهر النظام
ويقول ابن على فى اول قسم من الشمعة :

يستغرب من لاتحدثر بخطابك * لغريم فاللغا يسطابك

ويقول ابن سليمان فى آخر قسم من «خدوج» :

ولعبير اسلامى * لاهل اللغة اعمامت هامى

والجاحدين تحت اقدامى

ويقول ابن عمر الكفيف في آخر «الداعي» :

يا حافظ اللغا اتواضع ❀ لاهل المعنى اتريبع
بل انا نجد عبد الله بن احساين في أول قسم من قصيدة له في
مدح الرسول عليه السلام يستعرض ثلاث تسميات هي : اللوغ واللغا
واللغوا ، فيقول :

مداح مادحو بلساني والشوق ليه من لکنان
والمادحو ارباب اكنادو يرضاه ما اعية بلسان
اللوغ واللغا واللغوا بين اللهامع لسنان
والحب د الشفيق الشافع فالقلب او لدخال اتصان
وقد شرح لنا بعض الاشياخ هذه الاسماء فذهب الى ان المقصود
باللوغ العربية الفصحى وباللغا العربية الدارجة وباللغوا اللهجة البربرية .
عاشرا : العلم الرقيق :

يقول المدغرى في آخر قصيدته في الخصام بين الزهور :
نهيت حلتى لارباب العلم الرقيق
الحادي عشر : الكريجة ، سموه كذلك لصدوره عن الكريجة .
يقول محمد بن الوليد التنسيطي الدرعى في حربة احدى قصائده :
ناديت بكريحتى اصوتسى ❀ وارفعت اكفوفى الرب الملكوت وادعيت
اقلت فى ادعوتسى ❀ يامن نجيت يونس اقبطن الحوت
املا قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى

ثانياً : انواع الزجل

يقدم لنا عبد الرحمن الفاسي في «الاقنوم في مبادئ العلوم» تحت عنوان «علم ميزان الملحون» (1) انواعاً من هذا الفن يوصلها الى خمسة عشر ينظمها في قوله :

علم بأنواع من الملحون * وردها لضابط الموزون
له من الاوزان خمسة عشر * على الذي كثر فيه واشتهر
اولها الشرقي الكبير والثاني * شرقي صغير باختلاف الاوزان
والثالث الشرقي الذي قد طرزا * من وزن ذاك العروبي برزا
والرابع الشرقي الصغير صاحب * التاء فيه زائد يناسب
والخامس العواد والمرشوق * ثم المزوج الذي يليق
وبعد البهلون (2) والمستأوى * وبعده القفر كذا العذراوى
وبعده الحورشة العشاري * ثم العروبي والقصيد الجارى
ولكننا باستثناء العروبي الذي سنتحدث عنه بعد سطور ، وباستثناء القصيدة التي هي مدار هذه الرسالة ، لانعرف من هذه الانواع الا العذراوى، وهو من القطع التي تنشد في الموسيقى الاندلسية ، وقد يكون موشحاً او زجلاً .

فمن التوشيح العذراوى مانجده ينشد في صنعتي الدرج والبسيط من نوبة الاصفهان ، وهو (3) :

(1) من أواخر الجزء الثاني من «الاقنوم» مخطوط الخزانة العامة بالرباط D 24 II والاقنوم عبارة عن دائرة معارف نظم في حوالى خمسة آلاف بيت مقسمة على مائتين وواحد وثمانين علماً او باباً . وقد كتب عقب الايات المذكورة «بياض قدره ورقة» مع ان الناسخ يقول انه نسخ من نسخة المؤلف .

في نسخة اخرى من «الاقنوم» رقمها ك 15 : البهلون

(3) انظره في «نوبة الاصفهان» ص 20 و 29 تنظيم Arcadio de Larrea .

يامن ملك عقلى رهين * رأيت على خده اليمين
الزهر والورد والسوسان والياسمين

قلت له آس ذاك اعلى خدك * قال لى القمر
قلت له آس ذاك اعلى شفرك * قال لى الدرر
قلت له آس ذاك اعلى شفرك * قال لى الحور
وما هو تحت الجبين * حاجبين امعرقين
قلت له انت المليح بالحق * قال لى مليح
قلت له انت كحيل الحدق * قال لى وقيح
قلت هل بالوصال تشفق * قال لى شحيح
قلت له اما تلين * وتيل العاشقين
الزهر والورد والسوسان والياسمين

ومما ينشد زجلا من العذراوى هذه القطعة (1) :

لسم المالك الديان * نعم المستعان * نبدأ فى اطرز لوزان
نمدح سيد الثقلين * ذو النور والبيان * والآيات والبرهان
لسم الملك الاعلى * جيل البسملا * نبدأ فى النظام اولا
نمدح سيد الرسلا * مصباح العلا * احمد سيد الفضلا
من به نرغب المولى * يوم الزلزلا * ينقدنا من الوحلا
بدره لرسال * غدا يلى صولا
نرجا من المتعال * قوتى على الملا
وانقول غير محال * لارب غير الله

يبدأ على هذا النحو ثم تستمر الاقسام على حروف مختلفة فى

Palacin بمساعدة الفريد البستاني - نشر معهد الجنرال فرانكو
للأبحاث العربية الاسبانية تطوان سنة 1956 . وانظره كذلك فى
كتاب «الحايك» ص 47 (مخطوطة الخزانة العباسية) وانظره بعد هذا
غير تام فى الكناش المخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1518
ص : 41 .

(1) الكناش رقم 2097 ص 1 - 2 (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) .
انظر بنفس المصدر نمودجا آخر مما يستعمل من عذراوى الحجازى
الكبير (ص 57) .

القافية مع التزام قافية النون فى البيتين اللذين يبدأ بهما القسم .
كذلك يقدم لنا ادريس الادريسي فى كتابه «كشف الغطا عن سرر
الموسيقى ونتائج الغناء» تقسيما لالوان الكريجة يقول فيه : «فن الكريجة هو
الفن الشائع فى المغرب والمعمول به فى مدنه وحواضره وهو المعبر عنه ايضا
بالملاحون وذلك لان جميع الاشعار التى تستعمل فيه ملحونة يعنى الاشعار
الجارية على السنة العامة والخارجة عن البحور الستة عشر وعن الاوزان
الملحقة بها ، وهذه الاشعار لاتقل عن أربعة فنون هى الزجل والكان كان
والموالي والقوما» (1) .

وهو تقسيم غريب وبعيد عن واقع المغرب وحقيقة الفن فيه ، بدليل
أن المؤلف حاول أن يخص كلا من هذه الفنون بفقرة فلم يجد غير نقل ماقاله
المشاركة ، دون محاولة للبحث عن نماذج مغربية لهذه الفنون — ان كانت
موجودة — باستثناء فن الزجل الذى مثل له بيتين للشيخ محمد النجار(2)
او محاولة للبحث عن شبيهه لهذه الفنون فى المغرب . ولسنا ننكر ان فن
الزجل موجود فى المغرب ، وهو المعروف بالملاحون ، بل انا نعتبره شاملا
لكل الاشعار الشعبية ؛ ولسنا ننكر كذلك ان للفنون الاخرى ما يماثلها ،
فعندنا الموالي وكان حتى كان ، وعندنا اناشيد ونداءات ومرددات والوان
مختلفة من الاغانى والاشعار ، ولكن هذا لايكفى لحصر انواع الكريجة فى
تلك الفنون كما لايكفى لجعلها فنونا مغربية خاصة وأنها غير معروفة بهذه
الاسماء .

والحقيقة أنه يصعب استقصاء كل ألوان الشعر الشعبى فى المغرب ،
والسبب ان له مواطن مختلفة وأدوات متباينة ، فهناك المدن والقرى
والبوادي والجبال ، وهناك السهول والريف والاطلس وسوس ، وهناك
لهجات متباعدة ، الريفية والشلحية والسوسية والعربية مع تباين بين
البيئات التى تتحدثها سواء فى المدن او خارجها . ولكل لهجة من هذه
اللهجات شعر شعبى خاص ، ولكل موطن من تلك المواطن أدبه الذى يختلف

(1) صفحة : 108 الطبعة الاولى (مطبعة الرباط) سنة : 1935 .

(2) انظر صفحة : 109 — من المصدر السابق

شكلًا ومحتوى عن أدب المواطن الأخرى . وعلى الرغم من أننا قصرنا هذا البحث على نوع واحد من الزجل هو القصيدة المنظمة المقننة المعروف منشئها ، فإنا نرى - خاصة ونحن بصدد فصل تعريفي - أن نستعرض أهم ألوان الزجل الأخرى الصادرة بلهجة عربية ، لانقصد إلى حصر أو استقصاء ولا إلى دراسة مفصلة وإنما نقصد إلى التنبيه إليها وتحديد أهم الملامح المميزة لها .

ولعلنا نستطيع أن نقسم أنواع الزجل المغربي إلى شقين : أحدهما يعرف منشئه وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث ، والثاني لا يعرف منشئه وقد وقفنا منه على هذه الألوان :

أولاً : البرولة :

ولعلنا أقرب الأنواع إلى القصيدة من حيث الميزان ونظام القوافي والأبيات ؛ وهي من صنائع (1) الموسيقى الأندلسية يغلب وجودها في ميزان القدام والدرج (2) ، وتعتبر بالنسبة لهذه الموسيقى كالدريدكة بالنسبة للقصيدة (3) . وإذا كانت مجهولة المؤلف فليس لأنها من إنشاء جماهير الشعب كما هو الشأن بالنسبة لسلالوان الأخرى المجهولة المؤلف وإنما لأن اسم منشئها ضاع ولم يعن بذكره ، والسبب أن الكلام في الموسيقى الأندلسية يأتي في المرتبة الثانية بعد النغم ، بل لا يقصد منه إلا إلى حفظ اللحن ، وهذا ما يفسر ظاهرة انشاد القطع قبل عزفها بالآلات (4) . وقد اخترنا نموذجين من البرولة : الأول ينشد في قدام الاستهلال والثاني في الحجاز المشرقي :

- (1) الصنائع ج صنة وهي القطعة في الموسيقى الأندلسية .
 - (2) ميزان الموسيقى الأندلسية أربعة هي : أ) البسيط ب) القايم ونصف ج) الطابحي د) القدام . وزاد المغاربة عليها ميزاناً خامساً سموه الدرج وهو غير معروف في الموسيقى الأندلسية التي انتقلت لتونس والتي يطلق عليها (المألوف) وغير معروف كذلك في الموسيقى الأندلسية التي انتقلت للجزائر والتي تعرف بالغرناطي .
 - (3) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من هذا الباب .
 - (4) وهو ما يطلق عليه «لجواب» في الموسيقى الأندلسية .
- (5)

(1) برولة من قدام الاستهلاك

بالعنس طلعت بدر التمام * يادات المحيا الجميل
فاق اجمالك طلعت التريا * والشمس الواسم
حرمات اجمالك ياقد لعلام * يامولات التهليل
زرني يازينت اسميا * بجمالك حاكما
اغزالي كان غشاك لتمام * مازال الليل اطويل
غدى راحا سندي اعليا * مولاتي فاطما
ربي اعطاك صولي * بالحسن ياغزالي
سمعي اغنا اسجولي * والنوم مازهالي
لاتنهري ارسولي * يا عنس لغوالي
حضرا القيم ياريم * بالحظ الرشيا الناييم
سالي اسليم مانى اهميم * بين السرور والنعايم
فرح لكريم لنا ايديم * ايعود فرحنا دايم (1)

(2) برولة من الحجاز المشرقي :

غدر كاس الجريال * زار احبيبي واعطف وجاد هذا الوقت ازيان
احى الدبلا ياساقي واستقى جمع الغزلان * اري لى كاس امكان
نشرب من كف اغزال * حمرا تضوى فالكاس لونها مثل الشمس اتبان
واتلوح اعلى خد المليح تشعل كيف العقيان * وتطرد كل احزان
نعت البرنى الخصال * مول الهمة والسر ولها والزين الفتان
اغزالي اللى خدو اشريف نحكيه البلعمان * او الورد افلفصان
فى اعيونى سحر احلال * واعمى النوم احرام ما نرمش عمرى لجفان
طول الديجور اثبات كانراعى للفجر ايبان * غير اموله حيران
يتبسّم عن الآل * جوهر منظوم انفيس فى الماء احكىت المرجان
والمبسم خاتم من اذهب صنع الله الرحمان * فيهم حارت لدمعان (2)

-
- (1) كناش 8 صفحة 152 (مجموعة الجراي) *
(2) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2097 صفحة 71 ، وانظر كذلك
كناش رقم 17 صفحة 62 (مجموعة الجراي) *

ثانيا : العروبي :

ولعله تحويل لرباعي ، وكأنه كان في الاصل ينظم على شكله ، وهو في الواقع لا يتقيد بعدد معين من الابيات ولا يخضع لنظام ثابت للقافية ، كما هو الشأن في العروبي الذي يتخلل القصائد (1) وانما ينطلق في الالسنة قصيرا أو طويلا ، متعدد القوافي أو محدودها ، ولكنه مع هذا يمتاز بخصائص في انشاده أهمها أنه يستهل بـ «آنانانا» ويختم بالولاويل والزغريد . وهو بعد هذا غناء خاص بنساء المدن يرددنه في حفلات التنزه حين يخرجن للحقول والبساتين ، وفي المواسم والاعياد والمناسبات وخاصة موسم «الطيش» الذي يقام في البيوت والمنزهات طوال ايام عيد الاضحى ، حيث تعلق «المطيشة» (2) لتركيبتها البنات واحدة تلو الاخرى ، وتأخذ المغنية في الانشاد ، وهي في الغالب أم أو جدة أو خالة ، فتستهل بمثل هذا القول :

آنانانا والمحبوب اللي اهويت

يبقى دينا قدامي

وبعد ان تستعرض بعض أوصاف الطائشة ومحاسنها تذكر اسمها

على هذا النحو :

هازيك هي «افلانة»

لضمويا اعليا قلبي واعيانى

والمستعرض للعروبيات - بعد هذا - يجدها تعكس في الغالب وبصدق عاطفة الحب عند المرأة ونظرتها للرجل وتعلقها به ، وكأنها فرصة أتاحته لنفسها لتعبر عما يخالج قلبها ، بعيدا عن أى حرج ، طالما أنها لا تشهد في غير الحفلات والمناسبات الخاصة بالنساء ؛ ومن نماذج هذه العروبيات :

(1) سنعرض له في الفصل الثالث من هذا الباب لدى الحديث عن بناء

القصيدة .

(2) وتسمى في المشرق «المرجيحة» وينطقها أهل الرباط بفتح الميم وكسر

الطاء . أما أهل فاس فينطقونها بضم الميم وفتح الطاء على صيغة

التصغير .

- (1) اطريق سیدی مخلوف * واطريق سیدی داود
اتنزهوا يا لبنات * والصفر مايتعاود
- (2) اوليد عمی اوليد عمی * ياوريدا فی کمی
كان الدی بینتنا * واش جابو لامی
اوليد عمی اوليد عمی * يا وريدا فالكاس
كان الدی بینتنا * واش جابو للناس
اوليد عمی اوليد عمی * يالله البرا
انعلقوا المطيشة * فالليمون بوصرا
- (3) ارميت عینی الدراکم ولاصبت انجیکم
* وليت من وحشکم کیف المطعوما (1)
لو كان صبت طير ابحوم من جهتم
* وايقول شخبار ولكم وكيفانتما
وامحبتکم فی قلبی ملموما
* وامحبت غيرکم اعلیاً محروما
- (4) الطیر الطیر ابنیت لوشباك احریر
* ولا انوبتو ابطیر بعد ما والف
اخوا قفزی وعمر اقفز الفیر
* وارمانی فی لبحور خلانی تالف (2)
لاصارى لاقلوع لاباش انقاذف
- (5) الطیر الحر شفتک فالدلالا
واش دوک العینین امکحلین ولا اخلیقت مولانا
کنت فالما انصیظت لک (3) سبع اطيور عواما
کنت فالسما انصیظت لک زوج اطيور حواما
متی نبی اعلیک زلیجا وارحاما
ابقیت عایش ما ناخذک غیرانا

- (1) المسحورة •
(2) ضائع هائم •
(3) أرسل لک •

(6) قدك يسوا اميا

وخدك يسوا ثلت اميا

وادراعلك يازينت الوقفا

يسوا آلف

ألف فى غشوا

والف فى عشهوم

والف من خادم تكدى فالنار

يامجبوبى ودنى توبا فالشهر

واعطينى كلما من لحديث متمورا (1)

دخلت اعليك ابعينك واحواجبك يالبلر

دخلت اعليك بالنبى زين انصورا

يما ياميمتى للا امنيين الزين

يغلب على لعمورا

ولقد عنى الاستاذ محمد الفاسى بفسن العروبيات فترجم منها الى الفرنسية نحو مائة وخمسين اخرجها بعنوان «الاغنيات القديمة لنساء فاس» (2) ولكننا نأخذ عليه أنه لم يقدم انصص العربى واكتفى بالترجمة ، فكان أن طبع فرصة التعرف الى هذا الفن فى قالبه ولفظه الاصليين .

ثالثا : المزوكى (3) :

يكثر انتشاره فى مناطق السهول ، وهو كالعروبي فى البناء لا يختلف عنه الا فى الاداء حيث لا يستهل بـ «آنا-آنا-آنا» ، وانما يغنى البيت او الشطر فتجيب المجموعة بـ «يوى» وينتهى مثله بالزغاريد . ويبلغ الشبه بين النوعين أن كلماتهما تختلط الى حد انه لا يفرق بينهما . أما التسمية فيبدو انها من ازكا اى صوت وصاح .

(1) جدية من التمارا بمعنى الجذ .

(2) « Chants anciens des femmes de Fès » Editions Seghers
Paris 1967.

(3) سمعناه ينطق كذلك بناء بدل الميم : المزوكى .

رابعاً : الموال :

وقد سبق أن رأينا (1) أن الموال عند المغاربة - سواء أكان مستقلاً أو تقديماً للقصيدة - غالباً ما يكون بالعربية الفصحى وقلما يكون عامياً .
والموال المغربي شبيه بالموال المشرقي من حيث الشكل لا يختلف عنه إلا في الأداء واللحن . ومن خصائصه أنه يستهل بـ «آنانانا» كالعروبي ، وهذه بعض نماذجه :

- (1) تـانـحـبـك ونـهـواك * وفي امسبتك (2) اكرهوني
ماراحتني حتى نلقاك * واعليك يتحلو اعيوني
- (2) مصابني (3) طير طيار * واجوانحي تونسية
وانطير من ابلاد لبلاد * وانعود ماساربيا

خامساً : السلامات :

جمع اسلام ، وهي في الغالب لا تتعدى بيتاً يتضمن التحية والشوق ، تكون أول كلماته «صفطت لك اسلامي» أي أرسلت لك سلامي ، وهي قريبة في أدائها من العروبي . ومن السلامات :

- (1) صفطت لك اسلامي فالشمأش
واش (4) احبيبي فالقلب ولا ما ابقاش
- (2) صفطت لك اسلامي فالتفاح
واش احبيبي اهنا ولا راح
- (3) صفطت لك اسلامي فالشموم
واش احبيبي فارح ولا مهموم

سادساً : العيطة :

بمعنى النداء من عيط اذا نادى . وقد تحدث عنها الادريسي في «كشف الغطا» فقال : «والعيطة نوعان : ملالية ومرساوية ، اما الملالية فمكانها بني ملال والجبال المجاورة لها وبعض النواحي من تادلا ، ونغماتها

- (1) انظر المدخل لدى الحديث عن انشاد الزجل .
- (2) سبيك .
- (3) ليتني .
- (4) هل .

دائما في غاية العلو والارتفاع شبيهة بصياح النذب والبكاء ، والالفاظ المستعملة فيها في الغالب ممزوجة بكلمات بربرية ، ويتولد منها السوسى ، وهو عبارة عن خفة الميزان وانصراف الدور ، وأما العيطة المرساوية فانها بخلاف ذلك تماما ومكانها بسائر قبائل العرب المتمدنة وهى تفوق الاولى في كثير من المواد والتأثير كما انها اجملها فنا والطفها صناعة . وكثير منها بقبائل الحوز كعبدة ودكالة والرحامنة والشاوية . والمركز الاصلى لها والذى تنشأ فيه وتنظم هو عبدة . ثم من هناك تنفرق في القبائل وتذاع ، ويوجد مركز آخر بالشاوية قريب من سطات يسمى قبال وبالوادي الاخضر وتتشكل العيطة المرساوية الى أنواع تتردد فيها وتتحصر وهى اكباح ويؤخذ منه الثلثى وهو عبارة عن الميزان الحضارى ثم السوسى ثم الحريزى وهو خاص بقبائل الشاوية» (1) .

وقد حاول الادريسي أن يخضع فن العيطة الشعبي بكلماته وألحانه للشعر العرب على حد ماشرح في حديث كان القاء بالمؤتمر الاول للموسيقى العربية المنعقد بفاس فى سادس مايو 1939 ، حيث قال : «من يضع سموات وأنا أفكر في فن العيطة وكيف يمكن لى اصلاحه ، والتقدم به سريعا الى الامام حتى لايبقى محتقرا في نظر المتمدنين ممقوتا لدى الفضلاء وأرباب المروءة والوقار فوجدت الامر لا يخرج عن مسألة واحدة وهى ابدال الالفاظ المستعملة في ادوارها بالابيات الشعرية في الادب والاخلاق ، اذ كل ما نشاهد من التأخر والتقهقر الواقع بالعيطة وبالمشتغلين بها ليس الا من ناحية تلك الالفاظ الشنيعة والافاويل المملوءة سقمها وقبحا» (1) .

ويبدو هذا الرأى مشروحا في مقال كتبه الاديب العباس الشرفسى مشيدا بما قام به الادريسي اذ «اعتبر أن مقام به اصلاح كبير على فن الموسيقى المغربية التى هى الطرب الوحيد الشائع بكثير من جهات القبائل المتراصة الاطراف المعبر عنها فى لسان العامة بالعيطة ، وذلك باجراء ادوارها في الشعر العربى الفصيح بدلا من الكلام العامى المبثذل المشتمل

(1) كشف الغطا صفحة 117 - 118 .

(2) المصدر السابق - 119 .

فى الغالب على الفاظ يستحى من ذكرها ومن سماعها لما فيها من السفه والحث عليه . وقد يكون فى المجلس الرجل وولده والرجل وصهره والتلميذ وشيخه مثلا فيصير ذلك الطرب المقصود به التسلية والانشراح فى نظرهم وسيلة من وسائل الكدر والاتراح يجب نبذه والتزهر عن مجلس يحتوى عليه اذا المؤمن لا يقف مواقف التهم . اما الآن بعد أن ادخل عليها مولاي ادريس المذكور هذا الاصلاح الكبير الذى تلقاه ارباب الفن بجزيل السرور والابتهاج فقد اصبح فنا أدبيا لا يستحى منه ولا ينهى عنه .» (1)

ولكن المؤلف لم يورد لنا نماذج من هذه الاشعار التى أخضعها لادوار العيطة ، كما أنه لم يذكر ولو نموذجا واحدا من العيطة فى لهجتها المحلية . فكان أن ضاعت ، خصوصا وأن الاذاعة لم تحتفظ بشيء منها لانها لم تكن قد عرفت التسجيل الصوتى فى ذلك الوقت ، وخصوصا كذلك وان هذه العيطات لم تستمر طويلا على لسان المغنين البدويين الذين لاشك أنهم لم يستسيغوا الشعر العرب فهما واداء . وكان ممكنا تطهير كلمات هذا الفن فى اطار العامية ، فلعل ذلك كان سيخدم العيطة ويطورها ويطهرها من الشوائب . واذا كنا نقول مثل هذا الكلام فليس لاننا ننكر ادخال الفصحى الى العيطة أو الى أى لون آخر من ألوان الغناء الشعبى ، بل لاننا نرى أن الاحتفاظ بفن من الفنون يقتضى الاحتفاظ بأداته ، وأداة العيطة اللغة الشعبىة . ومن الممكن التطوير داخل هذه اللغة أو بالاحرى اختيار النقى منها والقريب الى الافهام فى البيئات المجاورة .

ثم ان عملا مثل هذا يحتاج الى دراسة موسيقية لهذا الفن يتعرف منها الى المقامات والنغمات التى يردى عليها ، ويحتاج بعد ذلك الى تأليف كلمات تناسب هذه المقامات والنغمات . ثم ان تأليف كلمات لغناء شعبى بدوى كالعيطة ينبغى ان يستوحى البيئة التى تطرب لهذا الغناء ، وتتنوقه حتى تنسجم الكلمات مع اللحن وحتى يتجاوب المطرب وجمهوره مع هذا اللحن وتلك الكلمات . أما أن يأتى أحد الى هذا الفن ويحاول اخضاعه للغة لا يستسيغها أداء واستماعا فتلك جناية على الفن لخدمة له .

والعيطة كما سجلنا من أفواه المغنين نوعان : قصيرة وطويلة :
أما القصيرة فتتكون من بيت واحد يكون في الغالب قصيرا ومتضمنا

أمثالا أو حكما وعظات ، مثال ذلك قولهم :

- 1 - مادا بنا * كون اتاويننا (1)
- 2 - ياك اخونا * ابغاو ايفرقونا
- 3 - أنا انتمم * وانت تفهم
- 4 - ابقى فيا لكريين * اتوسدوه اخريين
- 5 - كملت لك الكليب * لا تخرج عيب

على ان سهولة نظمها جعلت كثيرا من الناس ينشرونها الى حد خرج
بها كثير من المتطفلين عن روحها الحكيمى الوعظى بل خرج بها بعضهم الى
الهزل والى ما فيه السفه وينكره الذوق السليم ، مثل قولهم :

- 1 - قلبك عامر * فيه لمسامر
- 2 - الروزى (2) لحنين * تىخلى ديين
- 3 - الدرى مزوينو * شارب البينو (3)

وأما الطويلة فأقرب الى القصيدة من حيث نظام التقفية والتبسيط
واللازمة ، وان كانت بعيدة عنها فى اللحن والاداء * ومن نماذجها ماغناه
المرحوم بوشعيب البيضاوى فى نعى المغفور له محمد الخامس وعودته
الى الوطن :

- 1) وامن لقنيطر المكناش * تسم اتحفر الساس
- لمعمرين ولغراس * شبعوا عافيا (4) وقرطاس (اسيدى)
- اياخوتنا لسلام * عزوا بنا لعلام * سيرو بنا الكدام
- دابا مول الحق ايمان (5)

(1) معنى البيت : ليتنا كنا نتفق *
(2) النبيذ الاحمر والكلمة من الدخيل *
(3) الدرى بمعنى الصبي أو الشاب ، مزوينو أى ما اجمله * أما البينو
فالحمر ، والكلمة من الدخيل الاجنبى *
(4) العافية بمعنى النار *
(5) سوف يظهر صاحب الحق * وهذا البيت هو لازمة العيطة

وجدنا والريف * كل شئ اطريف * ابن يوسف يرجع بالسيف
سیدی سیدی تم اتصاب هو والدراری
أیا خوتنا لسلام ...

الملك امشى وارجع * العديان اقبضهم لوجع
لقلوب ابدات اتشفع * لگلاوى والمقرى لقرع
(ياسیدی)
أیا خوتنا لسلام ...

ارجع احببى للرباط * والناس اتحيه ابلغوات¹
حيو الملك الشجيع * هو والامرا اجميع
أیا خوتنا لسلام ...

الله ينصر السلطان * اولدو مولای الحسن
ويزين لوطيان * دابا مول الحق ابيان
أیا خوتنا لسلام ...

(2) انا زینى یازینى زینى غالهاما
سیدی مولای السلطان
نرسل لیه احماما
أیا خوتنا لسلام ...

رحموا الشهداء اللى امشوا * عبد الله والزرقطونى اقضاوا
والفدائيين اللى ابقوا * فيهم هما الرجالا اللى اسواوا
أیا خوتنا لسلام ...

أیا خوتنا لمسلمين * عينوا الفدائيين
ولو ابلكلام الزين * ينصرهم رب العالمين
أيانا يانا اوين اوين اوين كلا (2) يلغى بلغاه

أیا خوتنا لسلام ...

والله ما انتحسر ولا ترد القلبى
خلى لهموم اتصرف

(1) ابلغوات اى بصوت مرتفع .

(2) كل واحد .

دأبا يفرج ربي

أياخوتنا لسلام

أيانا يانا أوين أوين أوين كلا يلغى بلغاه

يشهد المغنى البيتين ثم تردد المجموعة اللازمة ، ويستمر كذلك مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر لشهد المجموعة بعدد اللازمة مع عزف موسيقى قوى وحاد - أو كمأحي كما يقال - وينتهي بذلك جزء من العيطة ليبدأ جزء آخر على نفس الأسلوب والنظام . ويلاحظ انه يشد (1) البيتين فى البداية أو فى النهاية أو فيهما معا بكلمة يقبض (2) بها النغم (سيدي) أما فى نهاية العيطة أى فى الجزء الأخير فالغناء كله كمأحي وسريع مع ترديد كلمات القبض (أنا يانا ...) وأما العزف فيبدأ بجرات للكمان تعقبها موسيقى سريعة تعتمد التعريجة والطارة والهندقة ثم يبدأ الغناء .

سابعاً : الطقطوقة (3) :

وهى نوع من الغناء الخاص بالجبل فى شمال المغرب ، ولكنها اخذت تنتشر حتى فى المدن وتجد عليها كثيراً من الإقبال . وهى عبارة عن مقطوعة تتكون من عدة مقاطع يتركب كل منها من بيتين بقافية واحدة ، والغالب ان تختلف المقاطع فيما بينها تقفية ومعنى . أما الانشاد فيبدأه المغنى ثم تنلوه المجموعة تردد المقطع بعده ، على انه تضاف عند الغناء فى نهاية الشطر الاول من كل بيت عبارة «يالولاد» أو «ياسيدي» حتى يشد الميزان ، كما أنه يتصل بين المقاطع بعبارة كهذه «أيامولات الدلال» يقصد بها المغنى الى أن يسوى الميزان أو «يخاويه» على حد تعبيرهم .

1 - 2) سبق فى المدخل ان تعرضنا للشد والقبض فى الانشاد
(3) تجدر الإشارة الى أن الطقطوقة نوع من الاغانى الشعبية المعروفة فى مصر . وقد قامت السيدة بهيجة صدقى رشيد بتدوين كلماتها وأنغامها فى مجموعة بعنوان : (الطقاطيق الشعبية) وقالت عنها فى المقدمة (أن أصلها قطقوطة وهو ما يطلق على الشيء الصغير وانها نوع من الاغانى الخفيفة بسيطة فى تركيبها الموسيقى انتشرت فى الربع الاول من القرن العشرين) (ج 1 نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقى) .

وقد اخترنا من الطفطورة هذا النموذج :

ياالولاد) لسم الله ابدينا

وعلى النبي صلينا

سيدنا محمد

هو الشافع فينا

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) يالقايل قل الله

به عمر اوقاتك

(ياسيدي) ما توجد غير الله

عند موتك واحياتك

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) أيا نجوم القبلا

هاذي مورا هاذي

(ياسيدي) ارفعت عيني لله

يوفي لي مرادي

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) أيا جليل زرهون

فيه لحجر فيه الديس

(ياسيدي) الله ايقوى حرمو

سيدنا مولاي ادريس

(أيامولات الدلال)

ياالولاد) جاني النوم وتكيت

فالظل دا لمسكيا

(ياسيدي) دوك لعيون الكوخل

حرقوا التوب اعليا

(أيامولات الدلال)

ياالولاد) أيا بنات العدوا

لعدو دايير بكم

(ياسيدى)

سيدى علال الحاج

هو احجاب اعليكم

(أيامولات الدلال)

ثامنا : أعيوع :

وأصله الجبل عند بنى عروس وبنى امسور وجبل حبيب ، ولكنه انتقل الى مدن الشمال . وهو أقرب الانواع الى الطقطوقة بل هو مثلها من حيث أنه مجموعة مقاطع تتكون من بيتين بقافية واحدة قد يكون بينها رابط وقد لا يكون ، والغالب أنه لا يكون وخاصة فى الموضوع ، بل انه قد يفتقد أحيانا حتى داخل المقطع الواحد حيث يكون الشطر الاول او البيت الاول كله بعيدا فى كلماته عن موضوع بقية المقطع ، ولكن الامر عندهم لا يهم طالما أن الوزن يستقيم والقافية تتحد .

ولاعيوع مناسبات ينشد فيها ، هى :

(1) الصيغ ، ويقصد به فصل الحصاد حيث يخرج الرجال والنساء والاطفال للحقول يحصدون ويعيعون (1)

(2) الزيار ، أى موسم زيارة الاولياء وخاصة مولاي عبد السلام .

(3) مناسبات الافراح كالأعراس .

اما انشاده فقد يكون فرديا او ثنائيا او جماعيا ، ولكنه حتى حين لا يكون جماعيا فان المجموعة تردد ؛ وفى كل الاحوال تلتزم اثر البيت او المقطع كلمة «آياه» ومن الامثلة على أعيوع :

(1) اجديدا السبينا (2) * اجديدا وماشى انبيعا (3)

ماشالوشى اعلى الزين * ماشالوشى اعلى الطبيعا

(2) زوج دا المسمرات اجيدود * فالحيط مارا موشى

وخا (4) ايجيونسى عشرا * ابخالك (5) مايكونوشى

(1) يغنون أعيوع . (2) المنديل

(3) أصلها نبيعها ولكنهم يحذفون الضمير .

(4) ولو . (5) مثلك .

- (3) التففحات دا الحمر * بين لحزام لايبانو (1)
- ذوك لعيون الكوحل * هما اديالو كانو (2)
- (4) رانى افراس النخلا * ريح لهوا يدينى
- عيطت يا محمد * من دالعباد نجينى
- رانى افراس النخلا * ريح لهوا يدينى
- عينى اعلى كل اطريق * آش من اخبر ايجينى
- (5) يالله امعايا يالله * يالله امعايا نلحور (3)
- الظل والما يجرى * والنزاهة تحت الجوز
- (6) صلوا على محمد * صلوا على نبينا
- سيدنا محمد * هو احباب اعلينا
- (7) ياىلى احبيبي العالى * عالى اوفيه انزاهة
- ياد العم ياخوتي * غالا (4) انساعف واهة
- سيدى مولاي عبد السلام * عالى اوفيه انزاهة
- الجلسة امع لحباب * عمرى مائسها

تاسعا : الدقة :

وهي خاصة بمدينة مراکش وتعرف بالدقة المراكشية ، والواقع انها من حيث الشكل والكلمات لا تختلف عن الطقطوقة او أعيوع ، ولكنها تختلف عنهما في طريقة الاداء حيث يسبق الانشاد ويعقبه «التكفاف» . اى الضرب بالاكف ، ومن هنا جاءت تسميتها بالدقة . ومن الدقة هذه الاغنية التي تؤديها احدى فرق مراکش :

آش اداك (5) تمشى للزين

- (1) نهود البنات الحمر اما اضافة لا «في لايبانو» فتفيد عندهم الحال والاستمرار .
- (2) اديالو بمعنى له .
- (3) يستعملون النون بدل لا م الجر .
- (4) تضاف غالا للمضارع فيفيد الحال والاستمرار وهي عندهم ك : «لا» السالفة الذكر في «لايبانو» .
- (5) حملك وأخذك .

وانتیا راجل مسکین
والزمان ایغلبک فالحین
ماسمعتشی آش ادانی

کان فالاول حب ازوین
یجمع مابین القلبین
واصبح العاشق مسکین
فالآخر أصبح نصرانی

درتها (1) بیدیا واعلاش (2) مانخمم (3)

کون ماجابونی رجلی ما نجی لیه
الی دارها بیدیه ایفکها ابسنیه
درتها بیدیا واعلاش مانخمم

عینی تبکی
دمعی یحکی
لما حبو ادمی قلبی
ادمی قلبی

تمضی لیام
وایمر العام
جسمی فنیان
یاناس دا حرام

ولما العین شافت فالعین
قلت لو یازین أنا مسکین
قال لی صافی
صافی صافی

عاشرا : غیوان بن یازغة :

ای غناء بن یازغة ، وهو منتشر فی مدینة صغرو ومنطقة البهالیل

- (1) عملتها (2) اعلاش بمعنی لماذا وأصلها علی ای شیء •
(3) خم بمعنی فکر •

ويازغة والمنزل • ومن اشهر مقطوعاته «فاطما وردا معروفًا» وهى تتكون من ثلاثة اشطار بقافية واحدة ثم شطر رابع بقافية مختلفة :

فاطما وردا معروفًا

هى السلسلا دالشرفا

ماصلحت لى نخطفا (1)

وانعبي لبنات فحوص (2)

ومنها هذه المقطوعة مكونة من أربعة اشطار بقافية واحدة ثم شطر خامس بقافية مغايرة :

خرجوا يالشيبايا

لبلاد شدت الحريا

وازهو قبطت الصينيا

اتكب غير لك اوليا

كل واحد ايشد كاسو

وقد تكون المقطوعة من ثلاثة اشطار فقط يتفق الاولان فى القافية ويختلف عنهما الثالث كقولهم :

كانخمم والقيت الراس كاع (3) خاوى

كانموت وسلطان الزين كايداوى

او ما الطبا (4) والو ماعرفوا اشيبيا

ومثلها قولهم :

كانخمم والقيت الراس فيه لفوات (5)

اشحال من كيا فيها اديال حب لبنات

مايداويها حد ابلا اطبيب تدوا

هذه ألوان من الزجل لم نقصد من ذكرها الا الى اظهار مدى انتشاره

(1) أصلها نخطفها ولكنهم يحذفون الضمير •

(2) انعبي بمعنى ناخذ وفحوص من حوص اى خطف وسرق •

(3) كله •

(4) الاطباء •

(5) لفوات بمعنى الزائد أى أنه غير طبيعى •

وتكيفية مع مختلف البيئات لغة ونغما وأداء ، وهو انتشار لو شئنا تحديده
مداه لاضطررنا الى تتبع كل المرددات والاغنيات . واذا كنا قد قسمنا
الزجل الى نوع يعرف منشئه ، وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا
البحث وآخر لايعرف منشئه ويمثل بقية اللوان ، فان هناك نوعا
آخر من الزجل خاصا فى شكله وموضوعه يعرف منشئه ولكنه بعيد عن
القصيدة وعن كل الانواع الاخرى ولايغنى به ، وهو «الحكمة» ويتكون من
بيتين غالبا مايكونان مصرعين ومتضمنين لحكمة او اكثر . وقد اشتهر
بنظمه الشيخ عبد الرحمن المجدوب (1) الى حد اصبح ينسب له كل مايردد
من حكم بين الناس حتى ولو لم تكن له . ومن الامثلة على حكمه :

- (1) سافر تعرف الناس * واكبير القوم طيعو
- اكبير الكرش والراس * ابنص فلس بيعو
- (2) ولد ابنادم لا تربيه * بعد ماتريه لادم

(1) توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة للهجرة ودفن بمكناس . انظر
فى ترجمته وحكمه :

أ - مناقب محمد بن احمد الحضيكي ج 2 من صفحة 190 حتى 197
(الطبعة الاولى)

ب - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ ابي المحاسن لابي حامد محمد
العربي بن ابي المحاسن الفاسي صفحة 11 - 13 - 18 - 19 - 20
43 - 189 - 190 (الطبعة الحجرية)

ج - كتاب ممتع الاسماع فى ذكر الجزولى والتباع ومالهما من الاتباع
من صفحة 101 حتى 107 (ط حجرية) .

د - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد الرحمن
الفاسي حيث خصص لترجمته الباب الاول (الباب الاول فى التعريف بالشيخ
المجدوب رضى الله عنه) ويستمر من صفحة 14 الى 65 (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط رقم 326 ك) وتوجد من الابتهاج نسخة اخرى
بنفس الخزانة مسجلة تحت رقم ك 2302 ويبدو أنها متأخرة عن
الاولى .

هـ - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب . تصنيف نور
الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية بالجزائر .

و - Les gnomes du Medjdoub - H. Decastries Paris 896

ز - Les quatrains de Medjdoub - : le sarcastique, Poète
maghrébin du XVI^e siècle par J. Scellès-millie et B. Khelifa G. P.
Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

- ياسايلنى اعلى الغول * الغول هو ابنادام
 (3) المال يا المال * اليه لبنات مالوا
 اللي ما عندوشى المال * مايعمل حتى كلبى ابخالو
 (4) احفر السرك ودكو * فالارض سبعين قاما (1)
 خلى لخلايق ايشكوا * الى يوم القياما
 (5) من لا يطعمك عند جوعك * ولا يحضر لك فى امسايب
 لاتحسبوا من افزوعك * قد (2) حاضر قد غايب
 (6) الغرب امريض * وابوذنى اسمعت انذيرو
 والله ما يتمنوا لمغارباً *
 غير اللي كان شمير اعلى شميرى (3)
 (7) ياسيلنى اعلى قرن الثالث عشر
 * اكحل مافيه مارا
 الكسوا اكسوت لمسلمين * ولقلوب اقلوب النصارا
 (8) يا ذا الزمان يا الغدار * ياكاسرنى امن اذراعى
 طيحت من كان سلطان * وركبت من كان راعى
 (9) اقبط الاجر اقبل الدوا * واترك اعليك احديث اللي هاوى
 لمريض اذا ابىرا * ينسى خير لمداوى
 (10) البس قدك والعب امع نذك * واشرب او كل ماتريدو
 وماتخالط غير اللي يعرف * قيمة اباك وجودو
 كذلك اشتهر بالنظم فى هذه الحكم الشيخ محمد الشرقى (4) . ومن
 اقواله :

- (1) القامة من مقاييس الطول .
 (2) قد بمعنى سواء .
 (3) الشميرير القبة وهى كناية عن النصارى والكفار .
 (4) توفى سنة عشر وألف ودفن بجعيدان من بلاد تادلة . انظر فى ترجمته وحكمه :
 أ - كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر لمحمد
 ابن الصغير الافرانى صفحة 25 - 26 - 27 (ط حجرية) .
 ب - مناقب الحضيكي - الجزء الثانى صفحة 91 - 92 - 93
 = (الطبعة الاولى) .

- (1) احفظ العلم واقراءه * الجهل ظلما اعظيما
من لا يقرأ ما يلو جاء * في ادنيتو كالبهيمما
(2) حب الناس ريح افريح * من ريحهم اسقيت لمراير
واللي ايكيل امن الريح * ماتمتللو اغراير
(3) خلطت الناس تفسد الدين * يا صاحبي رد بالك (1)
وايفرقوا بين لشنين * وايضيعوا راس مالك
(4) لابد من يوم معلوم * ترتد فيه لمظالم
أفرحت من كان مظلوم * أويل من كان ظالم
(5) اطلع الفجر وعلا * يا الغابطين فالنعاسي
انبات نسجد ونركع * اياك (2) نجا ابراسي

ج - مرآة المحاسن صفحة 266 (ط حجرية) •

د - نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري الجزء الاول صفحة 47 - 48
(الطبعة الحجرية) •

ه - ممتع الاسماع من صفحة : 110 الى 115 •

و - كناش مخطوط بخزانة الرباط العامة رقم ك 3027

(1) خذ بالك وانتبه •

(2) علني أنجو •

الفصل الثاني

اللغة و الفنية

مراحل التعريب

لا يخفى ان الفتح الاسلامى كان يستهدف أمرين : نشر الدين من جهة ، ونشر العربية أدواته ولغة القرآن من جهة ثانية . وكان طبيعيا - واللغة تسائر الفتح وتواكبه - أن تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وأن ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف .

لذلك تعرضت حركة التعريب فى المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التى تعرض لها نشر الدين (1) ، بل أكثر من ذلك نستطيع أن نقول انها سارت أبطأ منه ، خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغى أن يكون ، لسبب بسيط هو أن فاتحى المغرب لهذا العهد الاول كانوا فى أغلبهم جنودا «يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم فيفضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب» (2) .

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجدون على حد ما يروى من أن موسى بن نصير ترك فى البربر ،

- 1) لم يكن أمر الفتح الاسلامى يسيرا فى المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذى استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنين دولة واسعة الرقعة فى المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين فى بلاد الشمال الافريقى والمغرب خاصة . ويكفى للدلالة على ذلك أن نعرف أن البربر ارتدوا اثنى عشرة مرة على حد قول ابى زيد القيروانى ، وأن اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس (انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110) ، وأن نعرف أن الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب أو بالاحرى لمواجهة تفشى المذهب الخارجى فيه سنة 122 - 123 لفينا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى فى معركة طنجة وقضى على النائية عند وادى سبو وكانت بقيادة كلثوم .
- 2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة .

«سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن والاسلام» (1) ؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن أبي المهاجر «عشرة من التابعين أهل علم وفضل ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن موسى التجيبي» (2) .

ويذكر أبو عبد الله المالكي في «رياض النفوس» أسماء تسعة من هؤلاء الفقهاء العشرة هم :

- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع (3) .
- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (4) .
- أبو عبد الرحمن الحيلي (5) .
- اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله (6) .
- موهب بن حي المعافري (7) .
- حيان بن أبي جبلة القرشي (8) .
- أبو تمامة بكر بن سودة الجذامي (9) .
- أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير (10) .
- اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (11) .

وأغلب الظن أن ما يقال من أن حسان بن النعمان «دون الدواوين» (12) ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة ، وأغلب الظن أن ما يقال كذلك من أن خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة .

وربما كان تسرب المذهب الخارجي إلى المغرب في هذه الفترة (13)

- (1) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان .
- (2) المصدر السابق ص 45 - 46 .
- (3) ص : 72 74 ص : 66 - 67 (5) ص : 64
- (6) ص : 69 - 72 (7) ص : 73 (8) ص : 73
- (9) ص : 74 (10) ص : 75 (11) ص : 75 .
- (12) البيان المغرب ص : 29 .

(13) ما كادت حركة الفتح تبدأ في المغرب حتى بدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق تفقد عليه وخاصة منها الاباضية والصفورية تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم إلى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية أو دينية .

عاملا من أهم عوامل تأخر حركة التعريب عن أن تساير نشر الاسلام ، والسبب أن أمر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة ، فقد أغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى أنها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لاحاجة تدعو اليها في الحياة العامة . ولعل هذا ما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناطق التي انتشر فيها المذهب الخارجي على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد .

وربما كان من الادلة على ان اللغة كانت لاتزال تتعثر أن العملة التي ضربت في نهاية القرن الاول للهجرة والتي كان بعضها يحمل اسم موسى ابن نصير ، كانت مكتوبة باللاتينية ، على الرغم من أنها متأخرة عن حركة الاصلاح النقدي التي قام بها عبد الملك في المشرق (1) ، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال الدين المسيحي في الاقاليم الافريقية مؤرخة في منتصف القرن العاشر الميلادي ومكتوبة باللاتينية ، مما يدل على أن الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (2) .

ومهما يكن ، فقد استطاع المغرب على عهد الادارسة ان يعيش في ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة في مناطق غير قليلة ؛ ونستطيع أن نعزو توسع حركة التعريب في هذا العهد الى خمسة عوامل :

1 - **حالة الاستقرار** التي سادت مناطق نفوذ الادارسة ، خاصة وأن مؤسس دولتهم لم يدخل المغرب غاريا وانما دخله لاجئا ، وخاصة كذلك ان البربر سعوا اليه وولوه امرهم وباعوه عن رضى وطواعية .

2 - **عروبة الادارسة** .

3 - **انشاء جامع القرويين** الذي كان له دور كبير في النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامي في المغرب . وربما كان ذلك الدور ضعيفا في هذه

(1) انظر مقالا حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مارسى W. Marçais « Annales de l'institut d'études orientales ». Faculté des lettres de l'université d'Alger T 4 1938 P. 8

(2) المصدر السابق ، ومن أهم ما تفيد هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وأنه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة .

الفترة ولم يقو الا في الفترات التالية ، ومع ذلك لانريد ان ننكره حتى في مراحلہ الاولى ، خاصة ونحن نعرف أن المساجد جميعها وفي كل البلاد الاسلاميه كانت تعتبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة • لذلك لا ينبغي - ونحن نشير الى هذا العامل - أن تغفل اثر الجوامع الاخرى ، وخاصة في سبينة التي ظلت تحمل مشعل الثقافة فترة غير قصيرة •

٤ - «سيرة الخواريزمي» زعمت هجيرة الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم ولما صغلت السننهم وزودوا بأخبار وعلم جديدة لم يسلم منهم بها عهد من قبل ، لذلك منهم :

أ - دراس بن اسماعيل الفاسي ، رحل الى المشرق والقيروان والاندلس ، دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفي سنة 357 •
ب - أباجيدة بن احمد اليزنسي الفاسي ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكي والشافعي ، وهو صاحب كتاب «الفتوى» الذي ألف في الوثائق على المذهب الشافعي توفي بفاس سنة 365 •

ج - عبد الرحيم بن احمد الكتامي السبتي المعروف بابن العجوز ، رحل الى الاندلس والقيروان ، وكان من فقهاء المالكية ، توفي سنة 413 •

5 - ثورة «توفوق» العربية التي قصدت فاسا في هذا العهد ، قادمة اليها من الاندلس ، والقيروان • أما القيروانيون «وكانوا ثلاثمائة أهل بيت» (1) فقد وفدوا حوالي سنة 189 وأقاموا في العدو اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين • وأما الاندلسيون «وكانوا جما غفيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت» (2) فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى أصبحت تسمى عدوة الاندلس ، وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التي قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 •

ويعرض ابن ابي زرع أسماء بعض القبائل والأشخاص الوافدين فيقول:

(1) الاستقصا ج 1 ص 73 •

(2) المصدر السابق •

«وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس رضي الله عنه وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد وملحج وبني يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لانه كان قريدا بين البربر ليس معه عربى فاستوزر عمير بن مصعب الازدي وكان من فرسان العرب وساداتها ولايه مصعب مآثر عظيمة بافريقية والاندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة ، واستقضى منهم عامر بن محمد ابن سعيد القيسي من فيس عيلان وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدة فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ؛ ولسم نزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الافاق فكثر الناس وضافت بهم مدينة ويلي» (1) .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل أخرى لاشك أنها ساعدت على التعريب :

1 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفيثقية - من اللغة العربية .

2 - عدم مقاومة اللهجة البربرية للغة العربية الا في المناطق الداخلية النائية ؛ اما في المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون بأسا في تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد القوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلغتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان - وهي طبقة لها مصالح - ان تقاوم ، بل انها تهادن وتداهن وتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة اسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطى اهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد في الواقع

(1) «الانيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابي زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

ولا تمارس ولا تنطلق الا في المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البوادي حيث يغلب الصمت على الفلاحين الذين يقضون الساعات الطويلة في الحقول متباعدين ساكتين .

3 - تقدير المفارقة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلغته واعجازه .

4 - تهجير افواج من المفارقة في شكل سبي الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية فقد « قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى افرقية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة من الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فأتاه بمائة ألف رأس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فأتاه بمائة ألف رأس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فأتى بمائة ألف رأس ، فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس . قال الليث فلم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام . قال أبو شيبة الصديقي : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الاقصى وهو يجر الدنيا جرا بالسبي ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس تتلقاه فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقاني مع أبي بوصيفة وصيفة ، فلما أمر بذلك سمع موسى للناس ضوضاء وصياحا ورأى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر للناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندي بوصيف وصيف . فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة » (1) .

وليس من شك في ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين في هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة في التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر أن تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض في أواخر أيام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين .

(1) ضمیمة في بحث الدكتور محمود مكي :

Egipto y la historiographia arabico - espanola

صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية - العدد الخامس سنة 1957 عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) .

وكان محتملا ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وأنه كانت لاتزال للبربر قوة ومنعة ومراكز لم تخضع بعد للإسلام . ومن غريب الامر أن تكون العوامل التي ساعدت - وكان من الممكن أن تساعد أكثر - على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب وأضرمت ناره . فقد بدأ العرب - بعد أن عزوا وكثر عددهم - يستبدون بالامور ، ويوزعون بينهم المناصب واخذتهم النخوة العربية والعصبية القبلية فكان أن شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان أن دخلت البلاد في عهود مظلمة من الفوضى نتج عنها أن تأخر أمر اللغة وأمر الدين كذلك .

وبعد قرون من الاضطراب والخمول ، أتيح للمغرب أن يعرف على عهد المرابطين حياة مستقرة لم تلبث أن خلقت نهضة شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجالى اللغة العربية والثقافة الإسلامية . وأظننا نستطيع أن نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل أهمها :

1 - **قوة الدولة** في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد ومانتج عن هذه القوة من استقرار بعث الطمأنينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم وأتاح لهم فرص التعلم والدرس .

2 - **الوحدة مع الاندلس** وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقاً حضارية وثقافية ، فقد اقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء من الاندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثيل ، ووفد على ابن تاشفين «من كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم واجتمع له ٠٠٠ من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم ينفق اجتماعه في عصر من الاعصار» (1) . وكذلك فعل ابنه على ، فلم «يزل ٠٠٠ من أول امارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك» (2) .

3 - **انشاء المدارس والرباطات** في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعي

(1) المعجب لعبد الواحد المراكشي تحقيق العلمي والعريان (ط القاهرة) صفحة 163 - 164 .

(2) المصدر السابق صفحة : 173 .

الدينى والاصلاح الاجتماعى ، وبقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة .
وأهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التى أسسها على بن يوسف بن
تاشفين فى مدينة مراکش .

4 - **عناية المرابطين بالثقافة** ، فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجالهم فى
كثير من الصديق والتفانى والاخلاص . ولاعجب فالدولة قامت على
اساس من العلم والاصلاح . واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة
والثقافة العربيتين ، فانه كان - باجماع المؤرخين - محبا للعلم مقربا لاهله،
ونقول قليل المعرفة ولانقول جنسلا - كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوه
- لانه لاشك نال من هذه المعرفة قسطة ابان دعوة ابن ياسين ومرابطته معه
ومع ذلك فالباحث فى كتب الطبقات سواء منها الاندلسية او المغربية
لايلبث ان يكشف النقاب عن أسماء كثير من أمراء الدولة وكبرائها الذين
كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

زاوى بن مناذ بن عطية الله بن منصور الصنهاجى المشهور بابن
تقسوط (1) .

خلوف بن خلف الله الصنهاجى (2) .

عمر بن امام بن المعتز الصنهاجى الملقب بالفقيه القائد (3) .

الامير المنصور محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجى اللمتونى (4) .

الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيشت (5) .

ابوبكر بن ابراهيم المعروف بابن تافلويت (6) .

ولعل حركة التعريب سارت بعيدا على عهد الموحدىن حيث نشط نظم

1) التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن الابار القضاعى ج 1 صفحة 89 طبعة
كودير .

2) الجدوة لابن القاضى صفحة 115 طبعة حجرية .

3) التشوف الى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن
الزيات تحقيق ادولف فور نشر معهد الابحاث العليا المغربية سنة
1958 صفحة 198 .

4) التكملة ج 1 صفحة 193 .

5) المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاعيان ج 2 صفحة 488 .

6) مقدمة ابن خلدون صفحة 519 - 520 .

مسائل اللغة العربية ، وحفظ متونها ، وازدهرت ، دراستها ودراسة العلوم اللسانية المتصلة بها ، وشاعت في لغة التخاطب بين مختلف طبقات الشعب لدرجة أن من يتتبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب «لحن العامة» بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامة إلا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة إلى بيئة أخرى مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجأ الموحدون إلى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير والتأثير عليها ؛ فالهedy يدرس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ويأمر بالنداء للصلاة بها على حد اتهام المأمون له (1) ، وعبد المؤمن يكتب لولاته بأن «يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان» (2) و «كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري» (3) . ولكننا نرى أن مجال البربرية كان محدودا لا يتعدى الدعوة الدينية ، وأن العربية لانتشارها كانت قد غدت أداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

ونستطيع أن نعزو هذا الانتشار إلى العوامل الآتية :

1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ، وكان قد استقدمهم المنصور (4)

- (1) الاستقصا ج 2 ص 212 (2) رسائل موحدية صفحة 39 نشر بروقنسال
- (3) القرطاس لابن أبي زرع ، صفحة 46 .
- (4) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من ص 145 إلى 158 والقرطاس صفحة 154 وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو أن استدعاء العرب واستقدمهم للمغرب بدأ على عهد عبد المؤمن (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 تحقيق عبد الهادي التازي) وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ويقول ابن صاحب الصلاة أن يوسف أمر في مراكش «بدخول اشياخ العرب والوقود للمبايعة واخذ العهد عليهم في ذلك قدخلوا ٠٠٠ وتمت بيعتهم» (ص 433) وكان قد أمر «٠٠٠ بتمييز العرب المذكورين وأن يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرة مراكش ٠٠٠ فابتدأوا بالدخول عليه ٠٠٠ على ترتيب توحيدهم أولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائهم فكان الذي ابتدأ أول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وأمروا أن يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم من

بعد أن قدموا الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية . وكان لهذه الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان «العرب لم يكن المغرب لهم فى الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه فى اواسط المائة الخامسة أفاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا فى الدول هناك فكانت أخبارهم من أخبارها . . . وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة» (1) ومثل هذا يراه أبو القاسم الزياني حيث يقول انه « لم يكن بالمغرب كله أحد من قبائل العرب الى ان جرحهم المنصور الموحدى بمكيدة الجهاد» (2) .

2 - وفود جماعة من غز مصر (3) ، وهم طائفة من الموالى اتراك الاصل

حالفوا بنى هلال وبنى سليم فى انضمامهم لثورة ابن غانية .

3 - وفود جماعة من عرب بنى معقل كانوا بدورهم حلفاء لبنى هلال (4) .

4 - زيادة توافد الاندلسيين على المغرب بعد ان تمغربت الاندلس .

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر فى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبادى والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جعلتهم يتجانسون معهم ويتبادلون أساليب العيش والاعراف ، مما زاد فى تغلغل العربية وتمكنها من اللسنة لدرجة اصبح البربر كلهم على حد قول الفريد بيل يتقنون اللغة العربية فى جبال

القبيل المأمور له فتمادى تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون غدوة حتى صلاة الظهر ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر» (ص 434 - 435) .

(1) ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون .

(2) الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالى (وزارة انباء المغرب سنة 1967) وقد علق الناشئ على هذا الكلام برأى غريب قال فيه : «يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بنى سليم وبنى هلال ورباح وصباح وبنى معقل وهى قبائل قدمت منذ الفتح العربى الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب» .

(3) انظر المعجب صفحة 288 .

(4) انظر الاستقصا ج 2 من صفحة 159 حتى 162 .

الاطلس (1) وغدوا - كما يقول كويتي - يستنكرون الأصل البربري ويرفضون الانتساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية فحسب بل يؤكدون انهم عرب وأنه لا تجرى في روقهم نقطة من الدم ليست بعربية (2) وهو رأى يؤكده ماجاء في دائرة المعارف الاسلامية من أن البربر «تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم في أغلب الاحيان (3)

A. BEL

(1)

LA RELIGION MUSULMANE EN BERBERIE

(établissement et développement de l'Islam en Berbérie)

P 204

F.F. Gentier (2)

LES SIECLES OBSCURS DU MAGHREB

P 410

(3) الترجمة العربية مادة : بربر *

نشأة العامية

لسنا نريد أن نذهب أبعد من هذا في تتبع مراحل التعريب ، فليس من شك في أن عهد الموحدين شهد تمام استعراب المغاربة ، وليس من شك كذلك في أن هذا الاستعراب سار في اتجاهين :

الأول : انتشار العربية الفصحى لغة للكتابة والعلم : وتتمثل في نصوص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والعلوم والآداب ، وهى لغة مشتركة بين أبناء العربية والاسلام فى كل الأزمنة والاقاليم . ولسنا بصدد التعرف الى هذا الاتجاه .

الثانى : انتشار العربية لغة للتخاطب والحياة العادية اليومية ، وهى لغة لم تكن معربة بأى حال من الاحوال ، وانما كانت لهجة دارجة (1) تختلف فى المغرب عن غيره من الاقاليم ، وهى التى يهمنا ان نتعرف اليها . و «اللغة فى الاصطلاح الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى الى بيئة خاصة ويشترك فى هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ماقد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص» (2)

1) كان علماء العربية القدماء يطلقون على اللهجة : اللغة واللحن . أما ما نسميه نحن لغة فكان يطلق عليه «اللسان» وبه ورد معناها فى القرآن الكريم .

72 «فى اللهجات العربية» للدكتور ابراهيم انيس ص 13 الطبعة الثانية لجنة البيان العربى - القاهرة سنة 1952 .

وتتميز اللهجات داخل اللغة الواحدة بثلاثة عناصر :

اولا : طبيعة الاصوات .

ثانيا : مبنى بعض الكلمات .

ثالثا : معنى بعض الكلمات .

على أنه مهما اختلفت اللهجات فى الاصوات ، فانه ينبغي أن تظل مشتركة - ولو الى حد - فى مبنى الكلمات ومعانيها ، لانه متى اتسع نطاق الاختلاف فى بناء الكلمات ودلالاتها واصبح كبيرا ومبعدا للفهم ، استقلت اللهجة لتصبح لغة .

ونستطيع ان نعزو تكوين اللهجات الى عوامل أهمها :

اولا : توارث الكلام جيلا اثر جيل .

ثانيا : طبيعة الاقاليم .

ثالثا : الاحتكاك بالاعاجم والاتصال بهم ومدى هذا الاتصال وما ينقل

به من كلمات وتراكيب اجنبية .

رابعا : اختلاف الالسنه والحناجر قوة وضعفا وصلابة ورخاوة .

وقد تنبه ابن حزم الى بعض العوامل حين قال : «... والعربية التى هى لغة مضر وربيعه لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش (1) كالذى يحدث من الاندلسى اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيروانى اذا رام نغمة الاندلسى ومن الخراسانى اذا رام نغمته . ونحن نجد من سمع لغة اهل فحص البلوط وهى على ليلة واحدة من قرطبة كاد ان يقول أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة . وهكذا فى كثير من البلاد فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها بتديلا لا يخفى على من تأمله . ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ فى اللغة العربية بتديلا وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلفة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون : فى العنب العينب وفى السوط اسطوط وفى ثلاثة دنائير ثلثدا . واذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرب الجليقى ابدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا اذا اراد ان يقول محمدا . ومثل

(1) الجرش المحك ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض .

هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل» (1) .
ويذهب الدكتور ابراهيم انيس الى أن تكون اللهجات يعزى الى عاملين رئيسيين هما :

« 1 - الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

2 - الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات» (2) .

حقا لقد اتسع نطاق العربية باتساع رقعتها في بلاد مختلفة فصلت بينها حواجز طبيعية وسياسية جعلت اتصال أبناء هذه البلاد محدودا . فكلما أن نشأت في كل اقليم وبعد فترة ما - طويلة او قصيرة - لغة جديدة متطورة عن اللغة الاصلية تطورا يخضع لطبيعة البيئة والسكان وظروف الحياة في مختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وحقا كذلك ان الصراع بين العربية ولغات البلاد المفتوحة يختلف قوة وضعفا من اقليم الى آخر . ولكن من الخطأ الظن بأن العربية حين وفدت الى هذه البلاد كانت معربة ونقية بل انها كانت تتخذ شكلين :

الاول : اللغة المعربة المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما حمل الفاتحون من علوم .

الثاني : لغة الفاتحين ، وتمثل لهجات مختلف القبائل والطبقات التى شاركت فى الفتح .

ولعله من الانصاف أن نقول ان الصراع بين العربية واللغات المحلية لم يكن صراعا بين لغة القرآن وتلك اللغات ، وانما كان بين هذه وبين اللغة التى كان يتكلم بها الفاتحون ويتخاطبون فى حياتهم اليومية العادية ، أى بين اللغات المحلية وبين مجموعة من اللهجات العربية ؛ اذ من الخطأ الظن

(1) «الاحكام فى اصول الاحكام» لابی محمد على بن حزم الظاهرى ج 1 ص

31 - 32 الطبعة الاولى مطبعة السعادة . مصر .

(2) «فى اللهجات العربية» ص 18 .

بأن هذه اللهجات لم تكن موجودة ، بل انها كانت تعايش العربية الفصحى في موطنها الاصلي ومنذ أول عصورها حتى في غير التخاطب . فليس من شك أن العرب في جاهليتهم كانت لهم اشعار غير تلك التي وصلتنا والتي تمثل مرحلة نضج الشعر والتي يرجع تاريخها الى حوالي قرن ونصف قرن قبل البعثة ؛ وليس من شك كذلك أن هذه الاشعار التي لم تصلنا كانت يختلف اللهجات العربية ولم تكن بلغة قريش وحدها لان قريشا لم تكن قد تمت لها السيادة . وحتى بعد ان أصبحت للغة قريش مكانتها في بلاد العرب - وهي المكانة التي عززها الاسلام حيث أصبحت لغة الدولة والدين - لم يقض على اللهجات القبلية الدارجة .

ومع ذلك كان العرب في صدر الاسلام يأنفون من الابتعاد عن النطق الفصيح . فقد كان اللحن على عهد الرسول صلوات الله عليه يعتبر ضلالا ، ويروى عنه أنه قال ، وقد لحن احد المسلمين بحضرته : «ارشدوا اخاكم فانه قد ضل» و «يروى ان عمر رضى الله عنه كان يضرب على اللحن . فأما العرب فاذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريقة السابلة سقطت عند اهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته» (1) . وكان بنو مروان يبعثون اولادهم للبادية حتى تنشأ السننهم مستقيمة ، فانه يروى أن عبد الملك الزم ابنه هشام ومسلمة بالبادية فكانا فصيحين . أما ابنه الوليد ومحمد فلم يخرجوا فكانا لحانيين . وكان يقول : «اضر بالوليد حبنا فلم نوجهه للبادية» ويروى كذلك انه : «قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف لايعجل على وانا أترض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ، يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من أمور» (2) .

-
- (1) «تقد النثر» لابی الفرج قدامة بن ابى جعفر الكاتب البغدادي . تحقيق د . طه حسين وعبد الحميد العيادي . نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة 1938 .
(2) «البيان والتبيين» للجاحظ ج 1 ص 135 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - سنة 1948 - تحقيق عبد السلام هارون .

وماكاد امر الدولة الاموية ينتهى - وهى الدولة العربية الخالصة - حتى تقشمت العجمة وانتشر اللحن ، فقد غلب الطابع الاسلامى على دولة بنى العباس ، وهى دولة فارسية ما فى ذلك شك ، اتاحت فيها فرص المناصب الكبيرة ومراكز السلطة لغير العرب ، فلم يكن غريبا ان تتعرض اللغة لهزات عنيفة وتواجه انماطا من اللغات ومن اللهجات ، ولم يكن غريبا بالتالى أن يصيب العربية تغيير كبير أبسط مظاهره شيوع الاخطاء وتفشى اللحن وانتشار الاساليب المولدة . يقول ابوبكر محمد الزبيدى فى «لحن العوام» : «ولم تزل العرب فى جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع فى نطقها بالمسجبة وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ودونت الدواوين فاختلط العربى بالنبطى والتقى الحجازى بالفارسى ودخل الدين اختلاط الامم وسواقط البلدان فوقع الخلل فى الكلام وبدأ اللحن فى السنة العوام» (1) .

وبذلك دخلت الفصحى فى صراع مع العاميات كان من نتائجه أن بدأ الناس - وحتى المتعلمون منهم - يعتبرون العربية النقية التى لم تتأثر بالتيارات الجديدة لغة خشنة جافة ، واصبح اللحن يغتفر . يقول قدامة : «وربما اشتقر فى دهرنا هذا اللحن والخطا للانسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس وانه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الاعاجم والاقباط وسائر الاجناس (2)» . بل اصبح يجب على المتكلم ان يلحن فى بعض المواقف وفى هذا يقول قدامة : «وأما المواضع التى يجب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له فى أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه رأى فهو عند الرؤساء الذين يلحنون والملوك الذين لايعربون ، فمن الرأى لذى العقل والحكمة والحكمة والتجربة الا يعرب بين ايديهم وأن يدخل فى اللحن مدخلهم ولايريهم أن له فضلا عليهم ، فان الرئيس والمملك لايجب ان يرى احدا من تباعه فوقه . . . ومن ذلك مايحكى عن بعض من تكلم فى مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون فلحن فعوتب على ذلك فقال : لو كان الاعراب

(1) صفحة 4 طبعة اولى - القاهرة سنة 1964 تحقيق د . رمضان عبد التواب .

(2) نقد النثر ص : 143 .

فضلا لكان أمير المؤمنين اليه أسبق (1) * .

لذا لم يكن عجيبا ان نرى انجاحظ يتحدث في «البيان والتبيين» عن لغة مختلف طبقات الناس ويجعل بابا للحن وآخر للحنين البلغاء ، ويذكر انه «فيل لأبى حنيفة : «ما تقول لرجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل وقتله ، اتقيده به ؟» قال : «لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (2) وأن أبا شيبه قضى واسط قال : «أتيتونا بعد أن أردنا أن نقم (3)» * .

ولم يكن عجبا كذلك ان نرى مجموعة من العلماء في حدود المائة الثالثة تؤول في لحن العامة امثال أبى عبيدة وأبى حنيفة الدينورى وأبى عثمان المازنى وأبى قاسم السجستاني والفراء والمفضل بن سلمة ، وان نرى مجموعة أخرى تؤول فيما بعد عن لحن الخاصة امثال أبى هلال العسكري والحريرى ، في وقت ظل آخرون يؤلفون في لحن انعامه امثال أبى بكر الزبيدي (ت سنة 379) وأبى منصور الجوالقي (ت سنة 539) * .

يتضح لنا من هذا كله أن اللغة العربية التى انتشرت في المغرب كانت تتخذ شكلين :

الاول : مغرب تمثله النصوص المدونة والمروية ، وقد تكيف - ولو الى حد - بالاقليم الذى القى بظلاله عليه وأكسبه طابعا محليا يميزه عن غيره * .

الثاني : عامي ، وتمثله خمس مجموعات من اللهجات :

- 1 - لهجات الفاتحين الاول
- 2 - لهجات الوافدين من الاندلس والقيروان
- 3 - لهجات بنى هلال وبنى سليم وحلفائهما
- 4 - لهجات المغاربة الذين كانوا يحاولون أن يتعلموا اللغة العربية في المغرب * .

5 - لهجات المغاربة الذين رحلوا الى المشرق أو الاندلس والقيروان وعادوا الى بلادهم * .

-
- (1) المصدر السابق ص 144 * .
 - (2) البيان والتبيين ج 2 ص 212 * .
 - (3) المصدر السابق ص : 222 * .

ولعلنا نستطيع ، مما نعرف من مواطن نزول مختلف الوافدين ، أن نذهب الى ان لهجات أهل الاندلس والقيروان كانت منتشرة في فاس والمناطق المتاخمة لها في الشمال ، وأن لهجات بنى هلال وبنى سليم كانت منتشرة في الجنوب . ومع ذلك فالواقع ان من كل هذه المجموعات ومن اللغة العربية الفصحى كذلك ، وبالتأثر لاشك باللهجة او اللهجات البربرية المحلية ، «نشأت بالضرورة لغة للتفاهم لايمكن ان نصورها بسهولة كافية الا اذا ضربنا مثلا *Lingua franca* أو *Pidgin english* او غيرهما من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة . وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوى فبسطت المحصول الصوتى وصوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الاعرابى واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها كما ضحت بالفرق بين الاجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة في مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب (1) » .

(1) «العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب» تأليف يوهان فك : *Johann Fuck* ترجمة استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربى . القاهرة سنة 1951 .
وفى تعليق بنفس الصفحة ان *Lingua Franca* اصطلاح اوروبى يقابله في بلاد الشرق تعبير اللغة الافرنجية ، وهي خليط من الكلمات الايطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشارفة في التفاهم مع الاوربيين . و *Pidgin english* اصطلاح على لهجة انجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية يجرى التفاهم بها بين الانجليز والاجانب على الاخص في بلاد الشرق الاقصى .
و *Pidgin* كلمة محررة عن *business* الانجليزية .

خصائصها

الأسف شديد أنا لانعرف حال العامية حين نشأت في المغرب ولاحين تطورت عبر القرون - وما أسرع ما تتطور - طالما أنها غير مقيدة بكتابة او قواعد . ولسنا نجد من وصفها الا اشارات عابرة خفيفة كالتى قدم المقدسى حين تحدث عن اقليم المغرب فقال : «ولغتهم عربية غير انها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الاقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومى ... والغالب على بوادى هذا الاقليم الجرب وأكثرهم بكورة السوس وهم قوم على عمل الخوازمية لايفهم لسانهم ولاترضى طباعهم (1)» .

كذلك نجد ابن هشام اللخمي في «لحن العامة (2)» يتعرض للغات العامية في مختلف الاقطار ومنها المغرب . وقد نشر استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني بحثا بعنوان «الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة (3)» اختار منه بعض الالفاظ الاعجمية التى تسربت اللهجة المغربية الاندلسية من البيئة المحلية كما اختار بعض الالفاظ التى اكسبتها هذه البيئة معنى جديدا .

ولو سئنا أن نتعرف الى حال هذه اللهجة بعمق واستقصاء وتفصيل لاحتاج منا ذلك الى بحث مستفيض ومجال واسع لايتيحان لنا فى هذا الفصل ولايتيحهما موضوع الرسالة نفسه . لذلك فآنا نكتفى بالقاء الضوء على بعض الخصائص التى عن شأنها أن تقرب هذه اللهجة الى القارىء البعيد عنها وتسهل فهمها عليه .

وقد قسمنا هذه الخصائص الى قسمين : احدهما عام يشمل اللهجة

(1) «أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم» ص 343 طبعة ليدن 1909 .

(2) مخطوط بالاسكوريال حيث توجد منه نسختان رقم الاولى 46 ورقم الثانية 99 .

(3) مجلة معهد المخطوطات المجلد الثالث سنة 1957 .

الدارجة المغربية ، ويقصد اللهجة العامة المنشورة في أهم المدن والمناطق ،
والثاني خاص باللهجة الزجل ، وهي تدخل في نطاق اللهجة العامة لاختلاف
عنها إلا في بعض الجوانب التي حاول الشعراء تطويرها أو اضافتها تطويعا
للمعنى حتى تسعفهم في التعبير الفني .

أولا : خصائص عامة (1) :

1 - فتح عين اسم الفاعل فيقال في :

صالح = صالح (بفتح اللام)

عالم = عالم (بفتح اللام)

باستثناء لهجة الجبل فانها تحتفظ بالكسر .

2 - تسكين عين فاعله فيقال في :

جاريه = جاريه (بتسكين الراء)

قابله = قابله (بتسكين الباء)

نادمة = نادمة (بتسكين الدال)

3 - حذف ياء مفاعيل مع تسكين الميم وفتح العين ، فيقال في :

مقاتيح = مقاتح (بتسكين الميم وفتح التاء)

مزامير = مزامر (بتسكين الميم الاول وفتح

الميم الثاني)

4 قلب (ا ء) انتهائية الى تاء تانيث مربوطة فيقال في :

حمراء = حمرة

ثلاثاء = ثلاثة

صحراء = صحرة

5 - حذف الياء في وادي فيقال : واد بتسكين الدال

وكذلك في جوارى فيقال : جوار بتسكين الجيم والراء

- 1) انظر في ذلك : I — Louis Brunot ; a) Introduction à l'arabe marocain. G-P. Maisonneuve et Cie Paris 1950
b) Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain Mélanges W. Marçais Paris 1950 P. 56.
2 — G. S. Colin : Notes de dialectologie arabe Hesperis - T. X 1930, Fas I.

6 استخدام صيغة المثنى للجمع فيقال :

ويدان (ج واد)

فيسان (ج فاس)

7 - استخدام الجمع للمثنى فيقال في :

ضربتهما = ضربتهم ابزوج (تضاف ابزوج لتأكيد التثنية)

قرأتهما = أقرتهم ابزوج

8 - استخدام الجمع بمعنى المفرد ، فيقال في :

جنة = جنان

قبر = قبور

روض = رياض

خلق = اخلاق

عضو = اعضا

9 - نطق اسم الموصول : الذي = اللى ، وهو نطق تكاد تشترك فيه

جميع اللهجات العربية .

10 - التزام بعض الاسماء الخمسة لحالة واحدة ، مثل :

اباك - خاك

احموك

11 - خضوع الاضافة لاسلوبين :

1 - مركب باستخدام كلمة متاع او ديال ، فيقال في :

كتابي = الكتاب اديالى

دارنا = الدار امتاعنا

2 - بسيط باستخدام الفمائر والتمزام الحركات على هذا النحو :

أ - النصب في حالة الخطاب فيقال :

عمك - خالك - كتابك - دارك .

ب - الرفع في حالة الغائب المفرد ، فيقال :

راسو - جدو - بيتو .

ج - السكون في بقية حالات الغياب فيقال :

حبيها - رجلها (للغائية)

بلادهم - دارهم (للغائبين والغائبات)

12 - ورود اسم الإشارة على هذه الصيغ :

هاذوك

هاذول

ذوك

ذوكا

13 - تسهيل الهمز ، فيقال فى :

رأس = راس

بئر = بير

14 - تشديد الضمير الغائب المفرد ، فيقال :

هو - هي

15 - نطق حرف الجر (فى) دون مد الفاء مع ميل الى فتحها ،

وكتابتها - ان كتبت - متصلة دائما بمجرورها : فالدار -

فالبيت .

16 - نطق (له) و (به) على حالتين :

1 - له بكسر اللام وتسكين الهاء (ومثلها به)

2 - لو بالضم والمد (ومثلها بو)

17 - ابدال هاء الغائب واوا فيقال فى :

كتبه = كتبوا (مع تسكين التاء)

ضربه = ضربوا (مع تسكين الراء)

وقد تحذف هاء الغائية كذلك فى لهجة الشمال ومنطقة صفرو

والبهاليل فيقال فى :

كتبها : كتبوا (مع تشديد الباء)

ضربها : ضربوا (مع تشديد الباء)

18 - تسكين أواخر الكلمات وعدم اتخاذ الحركات وجواز التقاء

الساكنين .

19 - ورود الفعل المضارع فى حالة المتكلم المفرد على صيغة الجمع ،
فيقال :

نكتب - نلعب (بتسكين آخر الفعل)

20 - ورود الفعل المضارع فى حالة الجمع على نفس الصيغة مع مد
آخر الفعل وضمه فيقال :

نكتبو - نلعبو

21 - حذف نون الجمع فى المضارع ، فيقال فى :

ياكلون : ياكلوا

يمرحون : يمرحوا

22 - زيادة حرف (الكاف) أو (التاء) فى أول المضارع للدلالة على
الحال والاستمرار ، فيقال :

كيخدم - تيقرا

ويلاحظ أن لهجة الشمال تزيد (اللام) وعبارة (غالا) فتقول :

لايلعب - غالا يقرأ

23 - إضافة حرف الشين للتعبير عن النفي فيقال :

ما تلعبش - ما تجريش - (بتسكين الشين أو كسرهما)

24 - استخدام صيغة افعال للدلالة على الصيرورة ، حيث تبنى
عليها :

1 - افعال مشتقة من الالوان ، فيقال :

احمار : صار احمر

اصفار : صار اصفر

2 - افعال مشتقة من بعض الصفات ، فيقال :

اعراج : صار اعرج

ارطاب : صار رطبا

أطوال : صار طويلا

احماض : صار حامضا

اصلاح : صار صالحا

25 - استعمال صيغة مفعول (بفتح الميم وكسرها) لمجرد الوصف ،
فيقال :

محساد - مغيار - مبراص - مزيان

ثانيا : ظواهر خاصة :

نظرا لان اللغة العامية لا تستعمل الا للشؤون العادية فانه «من الصعب على من يريد التعبير بواسطتها عن احساساته الخاصة وأفكاره أن يكتفى بمفرداتها المحصورة فيضطر الى الاقتباس من اللغة الفصحى ، ولم يثن هذا بالطبع في أول الامر الا لشعراء كانوا من المثقفين الذين تعلموا العربية الفصحى وأجادوها مثل سيدي عبد العزيز المغراوي في القرن العاشر» (1) فقد ادخل اشياخ الملحون - والمثقفون منهم خاصة - كثيرا من المترادفات وكثيرا من الغريب . وجاء الاميون منهم فقلدوهم في استعمال هذه الالفاظ . ثم ان هؤلاء الاميين كانوا يجلسون الى العلماء ويستفيدون من الدروس والمجالس مما قوى ثروتهم اللغوية . ومع ذلك لم يكونوا يتقيدون وكانوا يتصرفون في الصيغ والتراكيب . ومن هنا نلاحظ جملة ظواهر ، منها انهم :

(1) جمعوا قصيدة على قصدان وأسللة على نمل وكأس على كيوس وحاجة على حيجان .

(2) لجأوا الى الصفات وسموا بها كقولهم للقلب الخبير والساكن ، وللبحر الزخار والمآلى ، ولشمس العشية الذهبية ، وللغزال الحذار أى الذى يحذر الصياد ، وسموه الجفال والشروذ . وكثر ذكر الغزال فى شعرهم لتشبيهه المحبوبة به فأطلقوا عليه الدامى والدروج والربراب والريم والزهام والزهموم والمها والصياح والعراض والعمهوج وأنقرهوب والشادى وشارد العفا والشرشة والشريد والوسنان واليطلول واليعفور .

من هذا قولهم فى أسماء العيون : أبصار وأتماد وأحداق وأرماق

(1) مقال «لغة الملحون» لـاستاذ محمد الفاسى - مجلة البحث العلمى عدد 4 - 5 السنة الثانية يناير غشت 1965 .

وأرماش وألحاط وأعيان وأغلاص وأغناج وتمود ورموق ورواق

ومقلات وانجال ونجلات ونواجل ونيام •

(3) اشتقوا من الاسماء صفات فقالوا : رجيل للرجل الشجاع الصابر ،

ورجول لكامل الرجولة • وقالوا : ميسور - مشتقة من البشر -

اى فرح مبتهج ، واشتقوا من الادب : ملوب •

(4) استعملوا المفرد بمعنى الجمع وخاصة فى صيغة فعول ، فقالوا : حسود

يقصدون الحساد وجحود بمعنى الجاحدين •

(5) استعملوا صيغة تفعال فى المصادر فقالوا :

التحقاق بمعنى التحقيق

التجفال بمعنى التيه والصد

التغراد بمعنى التغريد

التفراذ بمعنى الانفراد

(6) استعملوا صيغة تفعيل فى غير المعنى الذى تؤديه هذه الصيغة فقالوا:

التزهيد بمعنى الزهد

(7) استعملوا صيغة فاعيل بمعانى :

1 - فاعل فقالوا : جهيل بمعنى جاهل وحسيد بمعنى حاسد

2 - منفعل فقالوا : سكيب بمعنى منسكب •

3 - متفعل فقالوا : حبيك بمعنى متشدد •

(8) استعملوا صيغة أفعال بمعنى استنفل فقالوا :

استقام بمعنى استقام •

(9) استعملوا مركبات اضافية للدلالة على بعض الكلمات والمعانى ، فقالوا:

للقلب أمير الاكنان وأمير الحشا وأمير الاسيار (اى الدواخل) ،

وللخمر بنت الدوالسى ، ودم العنقود ، وللمحبوبة ام النيتوت (اى

الشعور السوداء) وأبو دلال وأبو دواح (اى صاحبة الحلق) وللغراشة

أم الوبرات •

(10) استعملوا بعض اللفاظ فى معانى معروفة فى العربية فقالوا :

الاحبار بمعنى الشعراء الكبار •

- البطارق بمعنى العلماء الراسخين •
- الميز بمعنى الذكاء مع لباقة وظرف •
- (11) استعملوا كلمات عربية في غير معانيها المعروفة مثل :
الوسنان للغزال •
العانس للفتاة الجميلة
- (12) تصرفوا في بعض الالفاظ اخضاعا لها للوزن والقافية ، فقالوا في :
البنفسج : بلفجج وبلغجوج وبنفجيج •
امداد : تمود •
- (13) أضافوا ياء الى بعض الكلمات ، مثل :
اطوادي : في اطواد بمعنى الجبال •
كتمانى : فى كتمان
- (14) استعملوا التنوين في بعض الظروف : قبل وبعد •
- (15) استعملوا التنوين في بعض الافعال : ليس • وتكون بمعنى ما النافية
وبمعنى لم • وجعلوها تدخل على الماضي • ومع ذلك فكثير استعمالها
بدون تنوين •
- (16) استعملوا ذى في هذه •
- (17) استعملوا اللذى فى الذى
- (18) استعملوا لان او لان (بنون ساكنة مشددة او مخففة) فى لان
- (19) استعملوا كن فى كأن
- (20) ثم انهم توسعوا فى لغتهم «فاستوعبوا أسماء الازهار والالوان
والاطعمة والطيور والحيوانات والاشجار والملابس والاسلحة وآلات
الموسيقى وأواني المنزل والاثاث وأدوات الصنائع فأدخلوا كل ذلك
فى لغتهم حتى صارت من أوسع اللغات وأغناها بل حتى صار ذلك
من العوائق عن تفهمها وتذوقها لكثير ممن ليست لهم ممارسة ومعرفة
خاصة بهذا الانتاج الادبى الضخم» (1) •

(1) مقال «لغة الملحن» للاستاذ محمد القاسى — مجلة البحث العلمى عدد
4 — 5 السنة الثانية — يناير غشت 1965 •

جوانب بلاغية

تطوى اللغة العامية بطبيعتها على شفافية وفعالية ومرونة وحيوية تجعلها قادرة وباستمرار على امتصاص المعاني والأفكار الجديدة واكتساب الالفاظ والتراكيب الوافدة ، يساعدها فى ذلك عدم تقيدها بقواعد وقوانين متجمدة تحول دون تكيفها مع الواقع واستقبال كل الروافد واحتضان أى جديد .

ولكنها مع ذلك لا تكون صادقة وساحرة وجميلة الا اذا كانت متصلة بمنشئها محتفظة برهافتها وقدرتها على التعبير فى مستوى بلاغى رفيع .
أما الاتصال فليس من شك فى «أن اللغة اذا كانت منفصلة أو شبه اجنبية بالنسبة للشاعر فقد بطل سحرها فى نفسه وسقط التجاوب العاطفى بينه وبينها فأصبحت عاجزة أو أصبح هو عاجزا عن أداء هذا التعبير الوجدانى فى صورته التامة الكاملة الدقيقة التى تشعر بالراحة وتزيح عن صدره ما يحتم عليه ويمتلئ به من انفعال وجدانى . . ان الشاعر لابد أن يمتلك أدواته اللغوية امتلاكاً كاملاً ليكون قادراً على تصريفها فى أغراضه واستخدامها فى نظمه» (1) .

وأما البلاغة فإن الحديث عنها قد يثير غضب الذين لايعترفون باللغة العامية اداة للتعبير الجميل ، وهم كثيرون . وقبل أن نكشف لهؤلاء عن جوانب البلاغة ومظاهرها فى شعر اداته اللهجة الدارجة ، فانا نرى أن نستعرض أقوالا لابن الاثير وابن خلدون لعلها أن تخفف من حدة غضب الرافضين للعامية وأدبها وأن تبعث فى نفوسهم بعض الاستعداد للنظر فى هذا الادب .

(1) «ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر» لاستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الهمامى ص 16 - 17 - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة سنة 1962 .

يقول ابن الاثير متحدثا عن الطبع والآلات ، وهى العلوم ، ومنها اللحن : «وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لاتغنى تلك الآلات شيئا ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ، ألا ترى أنه اذا لم يكن فى الزناد نار لاتفيد تلك الحديدة شيئا (1) » . ويقول كذلك مبينا أن اللحن لايقدح فى الفصاحة والبلاغة : « . . أن الجهل بالنحو لايقدح فى فصاحة ولابلاغة ولكنه يقدح فى الجاهل به نفسه ، لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم ، والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما وانما غرضه ايراد المعنى الحسن فى اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة . ولهذا لم يكن اللحن قادحا فى حسن الكلام لانه اذا قيل : جاء زيد راكب ، ان لم يكن حسنا الا بأن يقال : جاء راكبا - بالنصب - لكان النحو شرطاً فى حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم فى الخطب والرسائل من الكلام المنثور (2) » .

والى نفس الرأى يذهب ابن خلدون فى قوله : «ان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو العمل ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة المهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى اخيه أو ذوى مودته أو شكوى ظلمة أو قصد من قصوده خطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الكلمة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لايحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولاشيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية وانها مستغنية

- (1) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر «لابى الفتح ضياء الدين بن الاثير ج 1 ص 8 طبعة الحلبي مصر سنة 1939 .
- (2) المصدر السابق ص 18 - 19 .

عنها بالجملة (1)» .

ويضيف مدافعا عن شعر أهل امصار المغرب من العرب ومحددا معنى البلاغة : «... ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الغنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقد أن ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها ، وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ان كان سليما في الآفات في فطرته ونظره ، والا فالاعراب لا مدخل له في البلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والتصب دالا على المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت البلاغة ، ولا مبررة بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الاعراب في أواخر الكلم (2)» .

ومثل هذا يؤكد مختصرا في تاريخه حيث يقول : «... الا ان الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون أن الاعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك (3)» اما مظاهر البلاغة (4) في القصيدة الرجزية فيحصرها الاشياخ النقاد

- (1) المقدمة (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم) ، ص 492 طبعة بولاق .
- (2) المقدمة (فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد) ص : 511
- (3) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 18 طبعة بولاق .
- (4) يجدر بالذكر أن الشاعر الشعبي استعمل كلمة بلاغة . يقول ابن علي في أول قسم من «المحاورة» :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين برضاهم
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جبت اخصام الخودات في انهايت
شعري منظوم

ويقول كذلك في آخر قسم من «الحجام» :

غير ابلاغا فاشعر وانظامو

عمرى ماوشمت ولانعرف واشمة ولانا داخل لكلوف

فى أربعة عناصر (1) :

اولا : التجنيس او الجناس ، ولا يكون عندهم الا تاما •

ومن الامثلة عليه قول الكندوز فى «غاسق لنجال» ، وهو اكثر الشعراء براعة فيه :

بحفاك عمدا لى عدت انحيل

ماشمفك تعذابى اولا محانى

سيف لجفا امحانى

لعباد لامحانى

فامحانى الاولى جمع محنة ، والثانية فعل محا فاعله السيف ،
والثالثة فعل لمح بمعنى رأى فاعله العباد • ومن الامثلة عليه كذلك :

دمعائك القلب الدامى ملو الحوف

واتمزق لكسا واكذاك الحافى

والردا وقماش الحافى

ازحفت من ذا القدم الحافى

فالحافى الاولى بمعنى الغطاء والثانية بمعنى الفراش والثالثة بمعنى
حافى القدمين •

ومن الجناس الوارد فى هذه القصيدة :

كمن امليح به اصيارى باتو اهتوف

واغضبت عن النفس وقلت اكتافى

انت اسباب اكيود اكتافى

وبلمليح احماوا اكتافى

فاكتافى الاولى فعل أمر من اكتفى ، والثانية بمعنى التقييد من كتف

أى كبل وقيد ، والثالثة بمعنى الاكتاف ج كتف •

ومنه كذلك قول ابن احساين فى قصيدة «فاطمة» :

كيفى يانا انهار ناموا * عينى فعيون موحرام

(1) تلفت النظر الى أنا سنعود الى هذه المظاهر البلاغية فى «الباب
الثالث» لنرى نشأتها وتطورها •

واعقبلى من الهام همام ❦ بالحال اللى اقلب شاما
فوق الورد الناسما

فالهام الاوى بمعنى الرأس والثانية فعل الهيام .
ويقول الزلايجى فى «الدعى» :

نهزم الدعى دون اتصال ❦ حتى يرضى بالقهرا عن افصالى
وانفصلوا افصالى

فافصالى الاولى من الفصل والفاصلة ، والثانية جمع فصلة ، اى
قطعة .

ثانيا : التصريف :

وهو فى الواقع نوع من الجناس حيث يتصرف الشاعر فى كلمة
باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وغالبا مايفعل ذلك باسم الحبيبة . يقول
المدغرى فى «زهرة» :

مانظرت اغزالى زهرا
الجمت الزهر
او لنظرت الخد فزهر
ابطيب ازهاروا
ويقول فى «مسعودة» :

كولوا المسعودا ياطلوع اكواكب لسعاد
انا من سعدى اسمعادتك وانت مسعودا
انت بدر السعود وانت لالهلال اسعود
ويقول ابن على فى «كنزة» :

ماكيف اوصالك كنز
وافضل من مال ايلا كنزوا
عالجنى ياشمس لحاسن ياكنزوا
ومن التصريف فى غير اسماء الحبيبات قول عباس بن يوسف فى
حربة قصيدة له تأملية :

لاتغرب فالغرب امع لغاربا ❦ الغرب اغريب سايرا فيه اغريبا
من اغرايبوا عن اهلو غربا

ثالثا : التضمين او التلزم :

وهو أن يضمن الشاعر القافية اكثر من حرف ويلتزم ذلك في كل القصيدة او في بعض اقسامها وهو ما يسمى في الادب العرب بلزوم مالا يلزم . وقد برع فيه انجاج احمد الغرابلي ، ومن خير الامثلة على تضمينه قصيدة «ملكة» يقول في القسم الاول منها ملتزما حرفي اللام والكاف :

يا من اطلوع اهلالك
يفجى اظلام لحلاك
تحكي اشموس لفلاك
لله جد لي بوصالك
تنكي ابزورتك عدالك
لني اغلام حسن اجمالك
قبل انصيام يامولاتي وناغلام مملوك
ومن لفراق مهلوك
ويلا تزورني تتعافا ذاتي الهالك
لو تجفى قلبي ايواصلك
ويلادزني ابقى العار اعليك
وفي القسم الثاني منها يلتزم حرفي الراء والكاف ، فيقول :

امحاسنك واسرارك
فتنا الكل من راك
وابهاك ليس يدراك
لازلت نرتجي بشارك
ياتي المرسى بخبارك
وايفيدني ابصح امزارك
وانقول سعد سعدى واكمل قصدى ابيوم مبروك
واضحى الرقيب متروك
انجدد لفراح ونغنم ساعة امباركا
وانقول لك الله اينصرك

من ارقى متواك مامعاه اشريك

رابعاً : التشبيب ، وهو ثلاثة انواع :

1 - تشبيب كلمة ، وهو ان يستعمل الشطر بكلمة من الشطر الذى قبله والبيت بكلمة من البيت السابق عليه وغالباً ما تكون آخر كلمة فى الشطر او البيت ، وهكذا وكان القصيدة سلسلة مرتبطة الحلقات . ويطلق على الاجزاء المنشوبة : «مطارش» (1) وقد برع فيه محمد بوزيان .
ومن خير الامثلة على تشبيه قصيدة «المحبوب» التى يقول فى احد اقسامها :

محبوب خاطرى من فكده عمدا لى * عمدا لى والنوم ضج من لنجال
لنجال على الخد دمعها سلسالى * سلسالى يهو اكما لمطر هطال
هطال امن افراك الملى زاد اهبالى * اهبالى من فكده امن اهويت اغزال
اغزال اقلبها غيرو مايحلالى * يحلالى وصلو ايلاً نعم بالوصال
ومن هذا النوع كذلك ماجاء فى قصيدة «الجار» للكبير بن عطية المراكشى:
امن اهواك هيح وجدى وافنانى * وافنانى خلا امدامعى طوفان
طوفان فوق خدى والنوم اجفانى * واجفانى محبوب خاطرى ببيان
بيان ياهلى واش اعطف جيرانى * جيرانى لغدر عيب للجيران
جيران ماتدور الجار * والجار ما بقى مهجور
مهجور بين صبه النار * والنار تزيد اشور
اشور ما طغا بامطار * وامطار امن اماج ابحور
ابحور فايضا زادت تمحانى * تمحانى زاد بالتيهان
2 - تشبيب كلمتين : على حد مانجد عند الحاج احمد الغربلى فى

قصيدته «عين الرحمة» ومنها :

عين الرحما الراحما ياقرت لنيام * ياقرت لنيام جد لى يابحر التعظيم
يابحر التعظيم والفضل يساعين الرحما

(1) لعلها من الطرش بمعنى القذف وكأنه يقذف بها من شطر لآخر . وعند بعض الاشياخ ان «مطارش» تطلق على كل الكلمات التى يقصد الى تكرارها حتى ولو على غير نظام التشبيب كقول السدراى فى حربة «زهرة» : بمزاري بمزاري - جد لى بوصالك نبرا - يامولاتى زهرا

3 - نشب شطر ، وقد برع فيه التهامي المدغرى ، وخاصة فى قصيدته «فأرحا» التى يقول فى أحد أقسامها :

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
ونا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

بايت من ليعت لجرايح * عقلى بهواك ما ارتاح
وانبرد ابغير أح * بين التنهاد والجوايح
كاوى بجمار لافحا

بين التنهاد والجوايح * بالشوق اتكمد لجراح
الى من دكت اللماح * والغالب مابقى ايسامح
ولايدرى امسامحا

الغالب ما بقى ايسامح * سيفو مملوك اللكفاح
وخيولو تكلب لمراح * بين المسمار والصفايح
كمن قومان طايجا

بين المسمار والصفايح * واستنون الهند والرماح
تزلغ من شوفها الماح * قولوا لصبيغت اللوامح
عطفى بخلاك فأرحا

قولوا لصبيغت اللوامح * ياغصن ايميس فالدواح
أمهر اشروود اقلب طاح * رفدى ياللا الطايح
باللى سماك فأرحا

ولم يكتف الشاعر الشعبي بهذه المظاهر يكشف بها عن قدرته على التعبير الفنى الجميل ، وانما حاول اظهار هذه القدرة فى استخدام نوع معين من الكلام ، وهى محاولة لاتخلو من تكلف ولاتعنى غير تطويعه للغة وبراعته فى ذلك ومهارته . وقد وقفنا من ذلك على نوعين :

أحدهما أن ينظم الشاعر قصيدة كل حروفها مهملة (1) ، ومن الامثلة

(1) هذا قريب مما ذكره الرباط فى «العقيدة الادبية» لدى ذكره أنواع الصنعة فى الموال حيث قال : «صنعة المخزوم وتعريفها أن يجعل

على ذلك قصيدة للنجار يقول في حريتها :

ململا لعل الصمد الاله

عل الماحى صلى واعطاء سر ملكو

ويذكرون أن الشيخ محمد بن الشليخ السلوى عارضها بقصيدة كل
نقط حروفها من فوق وأن الشريف البقالي المكناسى عارضها بقصيدة كل
نقط حروفها من أسفل ، والاسف انا لم نتمكن من الوقوف ولو على بيت
واحد من عاتين القصيدتين .

ومن الامثلة كذلك على الشعر الخالية حروف كلامه من النقط قصيدة
للكبير بن عطية تسمى «اتناشمة» يقول في حريتها :

روم حرم الهادى واسع امكارم احماه

لمرام اموصل والود ولمكارم

مامسى محروم الساعى لوراد احماه

والثانى أن يستعمل الشاعر اسلوب «الختم» ، وهو ان يلتزم بدء
أبيات القسم او انتهائها بكلمات معينة ، على حد ما نجد عند بوعمرى فى
قصيدته «زهرة» حيث يقول بادئا كل بيت بـ «زهرة»

زهرا زهروا للسنات  مصباح الخودات

الناظم جميع أحرف مواله مهملة عدا آخر حروف القوافى معجمات .
ومثاله أقول :

أمحمد محمد رسول مرسل ومدحه لز

واعمل اكما اعمل العالمم واهل العز

كم له مدد كم هلك ساحر وسهمه حز

ورمحوكم دحا حاسد واعداه دز» . (الورقة 149) (ظهر)

وتجدر الاشارة الى ان المغاربة عنوا باظهار مثل هذه البراعة حتى فى
غير هذا المجال على حد ما نجد عند المرحوم احمد بن العياشى اسكيج
فى رسالتين الفهما بالحروف المهمة هما :

أ) مطالع الاسرار لمدارك الاحرار فى شرح صلاة الفاتح لما اغلق
(مطبوعة على الحجر) .

ب) مدد الوصول لادراك السؤل على حل كمال الصلاة على رسول
الله على روحه السلام (مطبوعة على الحجر بفاس سنة 1332) .

زهرا عل لبنات * حازت لها وثباتا
 زهرا شمس انبات * بالحسن اتجلات
 زهرا من عدات * زين عبلا وخناتا
 وعلى حد مانجد كذلك عند الشريف محمد بن لحسن فى قصيدة «هنية»
 فقد ختم كل بيت من أبيات القسم الاخير منها باسم «هنية» ، يقول :
 خذ ارأوى روض لفنان * فمديح للا بوتيتين اهنيا
 بها زال الهول واهوان * صعبى واشهدت باللحطين اهنيا
 وقد برع فى ذلك التهامى المدغرى الذى يقول مثلا فى قصيدة «طامو»
 بادئا كل شطر بكلمة : «مال» =

مال جفنى ساهر طول البهيم * مال جفك فسرور اقيما
 مال خدى ساقط ورقو اسقيم * مال خدك ففراح انعيما
 ويقول فى قصيدته «مير لغرام» بادئا الفرائض بكلمة «أنت» والغطا
 بكلمة «أنا» :

أنت اغلا وزين من الياقوتا الضاوبا
 ونأ بزین غالى مملوك اولا يلى احميا
 أنت ابها من الشمس المرفوعا الغاليا
 ونا بنار شمس خبودك كاوى بنار حيا
 ومن اروع ما نظم الشعراء على هذا الاسلوب قصيدة ينتهى كل بيت منها
 بـ «اقفل» فى الشطر الاول و «قفلو» فى الشطر الثانى . وقد ذكر لنا منها
 الشيخ بن عيسى الدراز هذا البيت :

ياحاضى (1) باب افلخلا من غير اقفل

مايحضى باب غير من كان ابقفلو

وأخبرنا أنه عاوضها بقصيدة على نفس الاسلوب لم يذكر منها
 غير بيت واحد يقول فيه :

عندى مفتاح به نفتح كل اقفل

لو يجتمعوا جميع لقفال ابقفلو

فنية الاسلوب

لئلا نريد أن نختم هذا الفصل عن لغة القصيدة الزجلية وفنياتها دون

أن نشأ عند بعض خصائص الاسلوب فيه ، وهي :

- 1 - التشبيه والمقارنة .
- 2 - الحركة والحيوية والتشخيص .
- 3 - الحوار .
- 4 - القصيدة .
- 5 - الرمز .

والحقيقة أنا سنبحث الحديث عن هذه الخصائص في «باب الموضوعات» عرضا وتمثيلا ، ونتبعها في مختلف المواطن التي وردت فيها بما يعطى عنها صورة واضحة الملامح مكتملة الاجزاء ، ولكننا مع ذلك نرى لزما علينا في هذا الفصل أن نقف عند تلك الخصائص وقفات قصيرة تكون بمثابة اشارات تنبيه لما سيأتى مفصلا في ذلك الباب ، وهي وقفات نراها ضرورية لاسيما وان تتبعنا فيه لهذه الخصائص ، رغم ما سنعمد اليه من تفصيل ، سيجيء خاضعا لتقسيم الموضوعات وتابعا لسيرها وما يقتضيه تسلسلها .

أولا : التشبيه والمقارنة :

لم يترك الزجال المغربي أى شئ لم يخضعه للتشبيه والمقارنة ، مستعينا بكل ما حوله في الحقيقة والواقع او بما وجود عليه به خياله ، سواء في ذلك باستعمال أدوات التشبيه أو عدم استعمالها . فقد شبه المرأة بالغزال وانطائر والياقوتة والقمر والزهرة والمصباح ، وتنبع جميع ملامحها فشبه الشجر بعقد الجوهر ، والقدر بالراية وغصن الآس ، والخد بالوردة ، والخال بالغلام ، والغرة بالبرق ، والانف بزهر السوسان وعصفور صغير ، والصدر بقطعة رخام ، والبطن بقماش صائف مرقوم ، والنهدين بالتفاح ، والذراعين

بالسيوف ، والاصابع بالاقلام ، والسرة بالكاس سالت عنها الخمر ، والافخاذ بأعمدة من ذهب ، والسيقان فى حمرتها بقطعة من البلور اشعلت فيها شمعة كبيرة ، واللون الابيض بالعاج ، والاسمر بالخمر او ماء الذهب ، ثم عكس فعمد الى هذه الاشياء المشبه بها فشبهها بمفاتن المرأة .

ونظر فى مظاهر الطبيعة والكون وتأملها فشبه الشمس حين تغرب بفرس شقراء ارخى عنانها فغدت تغير على الروابى والسهول ، وحين تتجلى فى كبد السماء كعذراء فى عنقوان النمو وعز الجمال . وشبه الفجر عند الطلوع ببدر مضى وعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب كالفاتنات وشبه الليل بسلطان من السودان يقود جيوشا من الفرسان تمتطى خيولا دهماء . وشبه الارض فى حلتها الربيعية الجميلة بعروس سلطنة ، واديمها المنور بزرابى مقروشة من نسيج الخالق . وشبه النخلة بعروس بكر وعناقيدها بالياقوت والجواهر والعقيان ، فى حين شبه عناقيد الدوالى بانثريات . وحين تأمل الدنية وجدها كالحسناء الغاتنة يعشقها كل الناس . ولم يكتف الشاعر الشعبى بالتشبيه المجرد فحسب ، وانما عمد كذلك الى المقارنة فاعتبر جمال محبوبته يفوق الشمس والقمر ، وأن البدر يفار من نور جمالها فيحتجب ، وأنها ياقوتة يتضاءل أمامها الجواهر والذهب والقضة . وحاول أن يقارن بين حاله وحال محبوبته فقابل بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر الذابل ولونها البهى الجميل ، بين سهره يرعى النجوم ونومها الهادئ ، بين سلوها وانشغاله ، بين قوتها اللذيذ وقوته المر ، بين صحتها ونشاطها ومرضه ووهن عظمه ومزاجه .

وقارن كذلك بين حاله المعذب وقد فارقتة الحبيبة وبين بعض الاشياء الاليفة لديه كالشمعة المحترقة لفراق مملكتها ورعاياها ، والحمام الباكى لهجر انثاه ، والرسم الخالى من الاحبة .

وقابل بين الصبح والليل ، بين الصبح فى قدومه كسلطان ارخى ذيل ازاره لابساً حلة من الديباج وبين الليل فى توديعه كغراب أسود شابته عذاره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه وبين الليل سال دمع غرابه . وقابل كذلك بين نفسه ومظاهر الطبيعة فبعث فيها من ذاتيته ما جعلها

تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته في تجاوب وامتزاج مع هذه المظاهر
كتشبيهه الشمس في غروبها وذبول لونها بالحبيب الذي هجرته محبوبته
قاصفر لونه .

ثانيا : الحركة والحيوية والتشخيص :

يكاد هذا العنصر في الواقع يغطي على القصيدة الزجلية ، فالمحبة
ليست نائمة في خدرها او محجبة ، وانما هي دائمة التحرك تصول بجملها
في قوة واعتزاز ، وتتبختر في ثيابها وتميل بقدمها مع هبوب النسيم .
والمحب في حاله المضيئ كسفينة تتقاذفها الامواج ، وهو لا يفتأ عن الحركة
سعيًا للوصول الى حبيبته ، يذهب الى المنجمين ويقصد الاضرحة ويزور
محبوبته ليلا متذكرا في هيئة «ضيف الله» فننهض من منامها ، وتدخله
ونكرمه ؛ وقد لا يتهيا له ذلك فيتذكر في صفات أخرى يحاول بها ان يغري
محورهما ؛ ثم انه ذائب الحركة في البحث عن التذكارات الذي اعطته محبوبته
ايام يوم جادت عليه بالوصال فضيعه .

والحب سيف قاطع وسلطان طاغية يهجم في جماعة من الابطال ،
وأمر جائر مروع يقود الجنود للقتال وقد لمعت اسلحته وخفقت أعلامه ،
وبحر هائج لانهاية لحدوده ما مخرت عبابه سفينة الا اغرقها وشنت الواحها
وشخص ما يعاني المحب من التيه والضنا والشغف والهيام فجعلها
ملوكا للعشق تغطي وتجور . كذلك بعث الحياة في الشمعة فجعلها تتكلم
وتحاور ، وفي الدوالي فصورها تمايل معربة بل جعلها تتزوج وتنجب
بعد أن شخصها وشبهها في نموها بصبيات يكبرن في حجر امهاتهن
وصونهن . والحركة في مجلس الشرب لا تفتر ، فمن العريضة الى الوقوع
على الارض الى النهوض الى الموسيقى والغناء والرقص .

أما الطبيعة والكون فحاول تشخيصها وابرار اوصافها في صور حسية
ملموسة نابضة بالحركة والحياة ، فالليل يهجم والشمس تروح وتشرق ،
وضوء الصبح يطرد الظلام ويزيجه ، والربيع يقبل ويحيي الارض بعد موتها ،
والطر يتزوج الارض فتحمل منه وتنجب .

وينعكس هذا العنصر حتى على الهجاء حيث يستوحى الشاعر معانيه

من المعارك الحربية فينظم قصائد «البوغاز» و «الرامي» و «المهراز» (أي المدفع) والقرصان (أي السفينة الحربية) والغطاس (أي الغواصة) ، وهي قصائد لا تشم منها إلا رائحة القذف والضرب والتحطيم .

ثالثا : الحوار (1) :

وهو نوعان :

- 1) حوار قصير يمكن أن نقول انه يأتي عرضا غير مقصود لذاته ، كالذي يجريه الشاعر بينه وبين «حبيبته يشكو إليها مما يقاسى في حبه عارضا لحاله المعذب ، فتجيبه ناشقة عن أوصافها من خلال مقارنة مع حاله هو : ومثله الحوار الذي يديره مع انشعقة والحمام .
- 2) حوار طويل يقصد الشاعر اليه كالذي نجده في قصائد «الحراز» حيث يتكرر المحب في هيات مختلفة ، وفي كل مرة يدخل مع محرز حبيبته في حوار .

ومثل «الحراز» المرافعت كقصائد «القاضي» التي تصور لجوء المحب الى ممثل القضاء عساه ينصفه من جور محبوبته ، وكقصائد «الخصام» أو ما يطلق عليه «المحاورة» . والحوار فيها قد يدور :

- أ - بين اناس كما بين الحضورية والبدوية ، والخادم والحر ، والزمنية والعصرية ، والشابة والعجوز ، والسمراء والبيضاء ، والطويلة والقصيرة ، والسمينية والنحيفة .
 - ب - بين نباتات كالورود والزهور .
 - ج - بين طيور .
 - د - بين جمادات كالقطة والغراف .
 - هـ - بين مظاهر كونية كالليل والنهار .
 - و - بين أشياء وهمية يشخصها الشاعر كالحوار الذي اجراه المدغرى للثية والضنا والشغف والهمام مع محبوبته التي رفع إليها المحب دعوى ضد هذه الاطراف ، وقد جعلها ملوكا للعشق اغتنمت فرصة غياب محبوبته فاستقرت في قلبه : وتستمع المحبوبة الى شكوى حبيبها والى
-
- 1) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة الجيلالي امثيرد .

دفاع خصومه ثم تجيب تثبت في الامر وتحسمه .
وقد كانت تتخذ بعض هذه القصائد لادوار تمثيلية او ماكان يطلق
عليه «البساط» . والحوار في كلا النوعين يتعدد مجاله بتعدد الاطراف
المشاركة فيه ، وهو في الغالب حوار مباشر يقدم له بفعل القول .

رابعاً : القصة (1) :

يبدو الشاعر الشعبي مغرماً بالسرود والقصص مستوحياً في ذلك الخيال
أو الواقع أو التاريخ .

- (1) فمن القصص الخيالي ما يحكيه في قصائد «الحراز» و «الخصام» و
«الخلخال» و «الدملج» وقصائد «الحجام» و «انفصادة» و «الوصال» .
- (2) ومن القصص الواقعي ما يحكيه عن الخمر مثبعا مختلف مراحلها منذ
غرست الدالية الى أن نمت ونضج عنها وعصر وعثق ثم عرض
للشرب .

ومنها كذلك ما يحكيه مثلاً في قصيدة «المطر» (2) عن الفقير
ومعاناته من البرد والمطر في فصل الشتاء .

- (3) ومن القصص التاريخي نظمها لصفحات من السيرة النبوية في قصائد
«لخلوق» و «الوفاة» و «المعراج» او نظمها لنكبة الحسين أو لبعض
الحوادث والاحداث التاريخية على حد ما فعل الكفيف الزرهوتي في
هزيمة ابي الحسن المربني في القيروان .

ويدخل في هذا النوع ما يطلق عليه «القصائد الايوبية» أو
«الغزوات» وهي التي تحكي قصص الانبياء والاولياء ومحاولات ابرار
ما فيها من خوارق وكرامات . ويقول الاشياخ ان المغراوي كان اكثر
الشعراء نظماً في هذا الباب ، ويذكرون له أسماء قصائد منها :
«المؤودة» و «الشهادية» و «جرير بن جرير» . ويذكرون كذلك
«النباش» للجيلالي امتيرد و «العيواجية» للكبير بن عطية و «الكهفية»

-
- (1) انظر الفصل الثاني من باب الاعلام لدى ترجمة محمد بن عبد الله بن
احساين وكذلك الفصل الثالث لدى ترجمة الجيلالي امتيرد .
 - (2) انظر تحليلها في الفصل الثاني من باب «الموضوعات» (ملاحظة) .

لغانم القصرى و «النمرودية» للغرابلى و «البغدادية» للمكى —
القرشى ؛ ولكنه لم يبق من هذه القصائد الا الاسم ، والسبب أمران :
أولهما : انها قصائد طويلة يمكن ان يطلق عليها : «ملاحم» ومن شأن
القصائد الطويلة أن يقل حفظها والا يقبل على سماعها فتضيع .

الثانى : مذكرو الاستاذ محمد الفاسى حين قال : « وقد كان رجال
الاستعمار أيام الحماية يمنعون انشاد هذه القصائد فى الاسواق ، وكان
المراقبون اذا تقدم لهم أحد المداحين يطلب الاذن فى السفر للتجول فى المدن
والقبائل قصد ترويح بضاعته اول مايسألونه عنه هل يحفظ «الغزوات» فان
أجاب بالنفى اعطى الاذن والا منع لانهم كانوا يخشون بعث العاطفة الوطنية
والدينية فى الفواحي التى كانت ماتزال بعيدة عن اثر الدعوة الاستقلالية» (1)
خامسا : الرمز (2) :

ويتمثل فى ثلاثة جوانب :

- (1) رسوم الوشم ، وتصور حيوانات وأسلحة وإبطالاً وبساتين ، وهى
وغيرها أشياء يقصد الشاعر أن يرمز بها الى مختلف حالات المحب ،
فالغزال للهجر والنفور ، والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ،
والاغراس والورود للوصال .
- (2) الجفريات : وهى القصائد التى تأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع
والناس واستعرض المناكر والعيوب ، ولكن فى رمز وإشارة وتلميح .
وغالبا مايلجأ فى ذلك الى الحيوانات ، فيمثل بالضفادع والذئاب
والجور للسفلة الذين غدوا سادة وبالسباع والنسور لكبار القوم
الشرفاء الذين أذلهم الدهر .
- (3) بعض قصائد الخصام ك «النجمة» للفيلسوف (3) ، وهى تمثل خصاما
بين الليل والنهار وصراعا من أجل الفوز بالنجمة ، وهى قصيدة

(1) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى - عدد 1
سنة اولى - يناير - ابريل 1964 .
(2) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة العميرى .
(3) انظر تحليلها فى آخر فصل «مع الناس» من باب الموضوعات .

وطنية رمز الشاعر فيها بالنجمة الى الحرية وبالليل للاستعمار
وبالنهار للوطن .

والجدير بالإشارة أن الشاعر لا يلبث في قصيدته أن يفك الرمز
ويخرج منه الى التوضيح والتصريح بالرأى والفكرة وهو ما يطلق عليه
الاشياخ النقاد «الدسييس د المعنى» كأنه يدس المعنى للسامع حتى لا يظل
يبحث عنه ويحاول الوصول اليه او ما يسمونه «تيحسس على المعنى» ومن
الامثلة على ذلك ماورد في قصيدة جفرية لعبد الله اعلى يقول في أولها
رامزا الى أن الاحوال تغيرت وأن الدنيا صفت للمسفلة فغدوا سادة :

فرعنت اليوم اعلى البيزان اتولت .

بينت انيابها ودركت الصولا .

والسبع اخشى امن الضبع بعد الزهوات .

لزم التحدير خاف من ولد الغولا .

ويستمر كذلك في رمزه بالحيوانات ثم يكشف في الآخر عما يقصد

اليه من نقد لواقع الناس والزمان فيقول :

لمساجد كنعود افلنعات .

ترجع لقوام عن القبلا مشغولا .

يقوا لبنى عند لتجار لطقات .

ويكثر المال ولثياب المشكولا .

الى جانب هذه الفنية وتلك البراعة والمظاهر البلاغية نلاحظ عند اشياخ

القصيدة الزجلية لمحات نقدية مختلفة نستطيع أن نجعلها في فرعين :

أحدهما خاص بالشعر والثاني بالشاعر .

أما ما يخص الشعر فيتمثل في تقسيمهم له من حيث جودته ووضوح

معانيه وأفكاره واستقامة وزنه الى الاقسام التالية :

(1) كلام بالغ : بمعنى بليغ

(2) كلام مرصع : بمعنى منمق جميل (مرصع)

(3) كلام ابيض : بمعنى بسيط واضح المعاني لاغموض فيه

(4) كلام اكحل : بمعنى معقد وصعب

(5) كلام امسلس : بمعنى مستقيم لا كسر فى ميزانه

ونظروا الى الشعر بعد هذا من حيث لغته فاعتبروا من عيوبها استعمال

الاعراب والكلمات الفصيحة أو ما اطلقوا عليه «البرص» (1) .

وأما ما يخص الشاعر فيتمثل فى تفريقهم بين السجى والوهبى أى

بين صاحب السجى والموهبة . وعندهم أن السجى هو الذى ينظم شعرا

فيه عواطف ومعانى وأفكار . وفرقوا فى السجى بين أنواع ثلاثة :

الاول : المنقول وهو ان يروى الشاعر ما فى الكتب وينظمه كما هو

الشان فى قصائد مولد الرسول عليه السلام ووفاته ، وهى

قصائد تحكى ماورد فى السيرة النبوية .

الثانى : الهىض وهو أن يصف الشاعر الواقع وينقل الحقيقة كما فى

المحاورات .

الثالث : الغيظ وهو أن ينقل الشاعر احساس نفسه وانفعالاتها كما

فى القصائد التى تملأها العاطفة سواء كانت عاطفة حب أو دين .

أما الوهبى فهو الذى له قدرة على النظم فى سهولة ويسر ، دون أن

تكون له عواطف ومعانى وأفكار . ومن هنا قالوا «لامعرب على وهبى» أى

لاجدوى من مناقشته فى المعانى .

ويذكرون أن من الشعراء الوهبين أحمر المريق وهو من كبار أشيخ

مراكش المعاصرين (2) . وكان يملئ على حفاظ شعره فى وقت واحد خمس

قصائد أو أكثر ، وكأنه المدرس يملئ آيات القرآن الكريم على التلاميذ فى

الكتاب . وذكر لنا الشيخ محمد بن عمر المراكشى أن من الامثلة على شعره

الوهبى قوله فى قصيده من باب (السما فوقنا والارض تحتنا) :

شموف اولاد اليوم من كثر لحرار اعموا

ماقبطو فيمانهم غير الله ايداوى

(1) وهو كالتزيم بالنسبة للموشح والزجل (انظر العاقل الحالى الورقة

17 ظهر و 18 ظهر) .

(2) كان من جلساء السلطان المولى عبد الحفيظ . توفى سنة 1365 هـ ،

ولقب بالمريق لانه كان دائما فى حالة جذب يبلل الريق لحيته .

وايلا غاب الصبح لاطبيب ايداوى بدوا

واش المركب دون رايس وقومانو بر ساوا

واش لغنم ابدون سارج ترعى لخطاوى

ويعتبر الشيخ محمد الجابري في فاس كالشيخ المرياق في مراكش ،

اذ يحكون عنه أنه كان درازا وكان يملئ على صناعه أكثر من قصيدة في

الوقت الواحد وهو امام متواله يتسج .

وكما فرقوا بين السجاي والوهبي فكذلك فرقوا بينهما وبين نوعين

آخرين من الشعراء ، هما : السلاخ والمساخ .

أما السلاخ فهو الذي يسطو على شعر غيره فيحتفظ بالمعاني ويبذل

في الالفاظ ، ويطلقون عليه كذلك «الخياط» أي الذي يخييط ويربط بين

ما يأخذ من هنا وهناك ؛ وقالوا في أمثالهم عن عمله «أخياطا مزيانا احسن

امن اسجيا امذيرا» يقصدون ان خياطة متقنة خير من سجية غير ناضجة .

وأما المساخ فهو الذي يسرق شعر غيره ويمسحه بمحاولة القلب في

المعاني والالفاظ .



الفصل الثالث

العروض

البـحـور

يظن كثير من الناس انه لاحد لبحور الزجل ولاحصر لها ، وأن «صاحب الف وزن ليس بزجل (1)» . ويظن آخرون أن عروض الزجل محدود لا يخرج عن نطاق بحور الخليل ، وأن من الممكن تطبيق تفعيلات هذه البحور وأوزانها عليه .

أما أن بحور الزجل غير محدودة فقول لا يخلو من مبالغة وتهويل وتعجيز . حقا ان الزجالين - سواء في المغرب أو غيره - نظموا اشعارهم على أوزان لا نجد لها مثيلا في العروض العربى الذى حدده الخليل ، وحقا كذلك انهم مزجوا فى الزجل الواحد بين أكثر من وزن ، وهى ظاهرة تبدو معها بحور الزجل كثيرة وجديدة وبعيدة عن العروض العربى ؛ ولكننا مع هذا لا نرى لا نهائية لتلك البحور ، بل على العكس من ذلك نحس ونحن نستمع الى ما ينشد عليها - مهما كان جديدا - أنه لا يختلف عما الفنا سماعه فى الشعر العربى ، تكيفه نفس الروح ويضبطه نفس الايقاع ، بل نحس - فى ظن غالب - ان الذوق العربى العام يستسيغ موسيقاه ويضطرب لها ويرتاح حتى عند الذين لا يفهمون كلماته .

وأما أن أوزان الزجل محدودة فى نطاق العروض العربى لدرجة امكان تطبيق تفعيلات الخليل عليه ، فقول نراه بدوره جانب الصواب ، والسبب أن الذين يذهبون اليه يفعلون أمرا لعله أهم عنصر فى هذا الشعر ، الا وهو موسيقيته التى لا تتيح مثل ذلك التطبيق ، بل تنكسر وتضيق لمحاولاته . وليس يخفى أن فى تفعيلات الخليل وما نشأ عنها من أوزان جانبيا صناعيا أساسه الاسباب والاقطار وما تنعرض له من علل وزخافات . وقد بلغ هذا الجانب عند الفراهيدى - وهو جانب تأثر فيه بعلم الصرف ومقاييسه -

(1) هو قول شائع ، وقريب منه ماورد فى «العقيدة الادبية» من ان «الحافظ لالف وزن فشان» (الورقة 24 ظهر) .

درجة جعلته يعتبر «مستفع لسن» و «فَاع لاتن» تفعيلتين مستقلتين عن «مستفعِلن» و «فاعلاتن» مع ان الایقاع واحد . بل اكثر من ذلك نجد العروضيين يفترضون لبعض البحور اصولا تطورت عنها كقولهم فى المديد أن اجزائه ثمانية هى :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن (مرتین)

ولكنه لم يرد فى الشعر الا مجزوءا حيث سقطت التفعيلة الاخيرة ، وكقولهم فى الوافر ان اجزائه ستة ، وهى :

مفاعلتن مفاعلتن (مرتین)

ولكنه لا يرد صحيحا حيث تقطف عروضه فتصير مفاعل ، ثم تحول الى فعولن .

ومثل هذا وذاك يقال فى الهزج والسريع والمضارع والمقتضب ، بل انه لا تكاد توجد قصائد على الوزنين الاخيرين ، ولم ترد فيهما الا ابیات متفرقة ، لعلها بقايا أوزان عربية قديمة ، مثلها فى ذلك مثل الشواهد الشاذة فى اللغة أو النحو أو غيرهما ؛ ومن يدري فقد تكون من اختلاق بعض الرواة العابثين الذين كانوا يحاولون اثبات سعة روايتهم وارضاء الامراء والخلفاء واتحافهم بالطريف النادر ولو باختلاقه . ومع ذلك نجد الخليل يعتمد هذه الابيات المتفرقة القليلة ويعمل فيها صناعته ويضع لها وزنا وأصلا لهذا الوزن .

لذا ، فانه ليس من السهل القول بأن الزجل يسير على التفعيلات العربية ، او بالاحرى انه يسير عليها فى تناسقها المعروف . ومع ذلك فمن المؤكد انه يخضع لایقاع العروض العربى وليس الى أوزانه وتفعيلاته ، فأوزانه تختلف ، وتفعيلاته تتباين فى العدد والمقدار . وهذا ما يجعل من الصعب ، بل من المستحيل ، أن نزعّم أن هذه القصيدة أو تلك من بحر الكامل أو الوافر أو غيرهما . ولو هيء للاوزان المجزأة من يحصيها ويدرسها وينظمها لتمكن ارجاع بعض قصائد الزجل الى أنماط من هذه الاوزان .

ويزيد فى خطأ الرأى الذى يذهب الى ان اوزان الزجل محدودة أن

اتخاذ مثل هذا الرأي يقتضى بادئ ذى بدء حصر كل النصوص الزجلية ،
اذ عملية تحديد الاوزان لا يمكن ان تتم الا بعد جمع هذه النصوص واستقراء
ماتيسير عليه من بحور * ومادامت هذه العملية غير ممكنة ، طالما ان ما بين
ايدينا من نصوص لا يمثل الا نسبة ضئيلة مما انتجه الزجالون ، فمن العبث
والخطأ أن نسطر احكاما مسبقة ونحاول اخضاع الازجال لها ، وانما العكس
هو الصحيح والصواب ، أى أن نستقرى ما عندنا من ازجال ونحاول أن
نستنبط منها احكاما ونستخرج قواعد *

ثم انا لا نرى جدوى - ونحن نريد أن نتعرف الى عروض القصيدة
الزجلية فى أن نثبت مطابقتها أو مخالفتها للعروض العربى المعروف ، طالما
أن لاشياخ الزجل النقاد ميازين تعارفوا عليها ، نرى من الانفع والاجدى أن
نعرضها ، بعيدا عن أية مقارنة بالبحور العربية أو حتى مقاييسها وحركاتها
الموسيقية ، لأن ادراك نسب الايقاع وابعاده فى الزجل يقتضى الاستماع
اليه ودراسته ملفوظا ومعنى به ، وهو شرط لا يتوفر لنا الا فى حالات نادرة
معروفة *

وللزجالين المغاربة تفعيلات خاصة يزنون بها أشعارهم ، أساسها النغم
والايقاع (1) ، يطلقون عليها «الصروف (2)» وهى نوعان :

(1) لعلها لا تخرج عما ذهب اليه اخوان الصفا فى الرسالة الخامسة من أن
«قوانين الغناء والالحان ... ثلاثة أصول وهى السبب والوتر
والفاصلة * فاما السبب فنقطة متحركة يتلوها سكون ، مثل قولك :
تن تن تن ، ويكرر دائما * والوتر نقرتان متحركتان يتلوها
سكون مثل قولك : تن تن تن * يكرر دائما والفاصلة ثلاث نقرات
متحركة يتلوها سكون مثل قولك تن تن تن تن تن فهذه الثلاثة هى الاصل
والقانون فى جميع ما يركب منها من النغمات وما يركب من النغمات
فى جميع اللغات من الالحان وما يركب منها من الغناء ففى جميع
اللغات (رسائل اخوان الصفا وعلان الوفا ط صادر - بيروت -
الرسالة الخامسة من القسم الرياضى فى الموسيقى ص 197 - 198)
وقد استعرضت الرسالة بعد ذلك جميع أنواع الايقاع المركبة من هذه
النقرات وانتهت الى أن منها ثلاثة مفردة وتسعة ثنائية وعشرة
ثلاثية *

(2) يطلق هذا الاسم اساسا على القطع المعدنية التى تتخذ مقاييس لوزن
الكيل أمثال الكيلو ونصفه وما اليهما *

1 - الدندنة : وهي قائمة على «دان دانى» وهو مقياس موسيقى صرف . ومن الامثلة على تطبيقها قولهم بالنسبة لهذا البيت من شمة ابن على :

الا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى
من قيس وارثو بعد افناه اغرام حب ليلى
أدان دان دانى دانى يادان دان دانى
أدان دان دانى دانى يادان دانى
وقولهم بالنسبة لحربة «المزيان» للعلمى :
حن واشفق واعطف برضاك بالمزيان
لا اسماحا ميعاد الله يالهاجر
دان دانى يادانى دان دان يادان
دان دانى يادانى دان دان دانى

2 - مالى مالى :

ويبدو أنهم وجدوها لا تكفى وحدها لضبط الايقاع الموسيقى ، فأضافوا اليها بعض الكلمات مثل : «الرادا - السعادا - سيدنا - للا مولاتى للا ٠٠٠» أو ما اليها مما يشد به الميزان ، كما سبق أن رأينا فى الانشاد (1) . والغالب فى قياس الميزان أن يبدأوا بهذه الكلمات ثم يختتموا بـ : «مالى مالى» . ومن الامثلة على ذلك قولهم فى هذا البيت من «وردة ابن سليمان» :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى
ياعدولى فالمرت اسبابى خسد الورد
للا يامولاتى للا ويامالى مالى
للا يامولاتى للا ويامالى مالى
ومع ذلك فالشعراء حين ينظمون لا يقيسون بهذه «الصروف» ، وانما يقيسون ببعض القصائد المشهورة التى غدت نماذج أو شبه نماذج لهذا الوزن أو ذاك . ومثل هذا نلاحظه حتى عند المنشدين ، فانهم لقلّة معرفتهم

الموسيقية لا يدركون ميازين الانشاد الا بهذه الطريقة ، كقولهم ان «فضيلة»
للحاج ادريس لحنش من قياس «الباكي» للتهامي المدغرى ، وكقولهم ان
«وقت الزهو» لمحمد بن على على قياس «الزهو فبنات وشبان» للمدغرى
كذلك .

والعروض عند الزجالين المغاربة يقوم على بحور وعلى أنواع من
الميازين داخل كل بحر . وأطلقوا على البحور «لرمات» جمع مرمة ومعناها
المنوال وهو الآلة الخشبية التي يستعمل النساك والدرار ، وأطلقوا على
أنواع الميازين داخل البحر الواحد «قياسات» جمع قياس (1) .
ويمكننا تقسيم بحور هذا العروض الى اربعة أنواع هي :

1 - المبيت .

2 - مكسور الجناح .

3 - المشتب .

4 - السوسى .

أولاً : المبيت (2) : أى القائم على عدد معين من الاشطار فى البيت وعلى
عدد من الابيات يلتزم فى كل قسم من أقسام القصيدة ، وهو الغالب فى
استعمال الشعراء . وربما كان أقرب من غيره الى شكل بحور الشعر
المغرب ، ويتفرع هذا النوع الى أربعة أشكال من حيث عدد الاشطار التي
تكون البيت :

1 - المثنى : أى الذى يتركب البيت فيه من شطرين ، يطلقون على

الأول «الفراش» وعلى الثانى «الغطاء» (3) . وله «قياسات» متعددة لاسبيل

(1) أى القياس .

(2) واضح أن التسمية مأخوذة من البيت . ونجدها عند ابن على فى
آخر «المرسوم» حيث يقول : «من حبر معلم» ❦ يا حمام ارويبت المعنى لمبيتنا»
ونجد عند الحاج عمارة فى آخر قسم من فاطمة :

«ياراوى لبيات عنى ❦ غنى اوصول لاتخشى من عديانى»

(3) من عجيب أنا نجد مثل هذه التسمية معروفة فى فن الموال المصرى على
حد ما نقرأ عند ميلاد واصف فى «قصة الموال» حيث يقول : «أما
مواويل القرش والغطا» وينشدها أكثر من مغن فهى تنظم على طريقة
«الموال النعمانى» فى أسلوب النغمة الا ان كل قطعة تتكون من ثلاثة

==

الى حصرها ، أسامها النسب الايقاعية فى موسيقى البيت • ومن نماذجها :

أ - قصيدة «الحجة» لابن احساين ، وحربتها :

يالحضرا قولوا بالسر والجهار * الصلا والسلام اعلى النبى المختار
وهو أسهل «قياسات المثني» ، سواء فى النظم أو الاداء ، ويطلقون
عنه «قياس لشركى» (1) ويصفونه بأنه «محويط لقصير» أى الحائط
القصير القصير ، وهى عبارة تقترب فى مدلولها من قول العروضيين فى
بحر الرجزانه «حمار الشعراء» •

ومنه كذلك قصيدة «الهاوى» لابن على ، وحربتها :

ياالهاوى تهوا من لا ايليه سطوا * تب ياراسى وارجع للغنى القوى

ومثلها قصيدة «فروح» للمدغرى ، وحربتها :

مانروح الفراح ولاانروح بالراح * دون راحت روحى حور اللوامح افروح

ب - قصيدة «زهرة» لبوعمرو وحربتها :

زورينى قبل الا نقبار * ياهلال الدار زهرا

ج - قصيدة «الوردة» لابن سليمان ، وحربتها :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى

ياعدولى فالـموت اسبابى خد الورد

د - قصيدة ابن على «صلوا على الصديق الصادق» ، وفى حربتها

يقول :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام تنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

هـ - قصيدة «الساقى» لامتيرد ، وحربتها :

مواويل كل موال على حدة يتحد الشطر الاول والثانى والثالث
والسابع فى قافية وينشد كل موال من القطعة احد المغنين • يبدأ
المغنى الاول بالموال الاول وهو «الفرش» عارضا مشكلته فى الحياة
فيرد عليه المغنى الثانى بـ «الغطا» شارحا رأيه الخاص فى قضية
زميله • أما المغنى الثالث فيعقب عليهما بـ «القفلة» أو «الغزى العام» •
(انظر صفحة 57 - 58) •

(1) انظر الفصل الثانى من باب الاعلام لدى الحديث عن الحاج اعمارة •

الساقى وكضى لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها
كسب ياساقى راح الليل

ويلاحظ أن «الفراش» أطول من «الغطا» .

و - قصيدة «الديجور» للمدغرى ، وحربتها :

شف الشكاييا شى اشكا ابهجرو شى بالتيهان شى ابعشغو واغرامو
شى بالفركا شى جايب لهديا يرحل ويكيم
وفيها يلاحظ كذلك أن «الفراش» أطول من «الغطا» ، بل أكثر طولاً
من «فراش» القياس السابق .

ز - ومن المثني ما يبدو رباعى الاضطار ، وهو فى الواقع ليس أكثر من
من «فراش» و «غطا» ، وأن قسم كل منهما قسمين ، على حد مانجد عند
امتيرد فى «انعيد اصيامى» حيث يقول :

انعيد اصيامى ، وانكلع كغارت لوزر
عنقت اغزالى ، فالدجا حتى بان الحال
وعلى حد مانجد كذلك عند انشاوى فى قصيدة «صارم الطعن»
وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن ، ويركب سفن لحروب وايعيط دانى
هاحنا هنا ، ويكون ادراعو ابحال السانو

فالفراش هو قوله «آش را ٠٠٠ دانى» ، وهو مقسم قسمين :

والغطاء هو «ويكون ادراعو ابحال السانو»

أما «هاحنا هنا» فمجرد «تفريضة» شدد بها الميزان كان يمكن الا يضيفها
النظم ويترك «الشدادا (1)» يقولونها او يقولون غيرها من العبارات التى
يشدد بها الميزان .

2 - الثلاثى : اى الذى يتكون البيت فيه من ثلاثة اضطار ، ومن

«قياساته» :

أ - قصيدة «عبلة» لبوعمرى ، وحربتها :

(1) انظر المدخل حيث الحديث عن الانشاد .

ايلا تعدبت اعذابى من انواجلى * ويلايانا اهتيت واسعدنى فالسى
اسبابى افلها اغزالى عيلا

ب - قصيدة «دابل لعيان» للعلمى ، يقول فى حربتها :
روف ادابل لعيان * يابو حجيين امعرقا اوزينا
رور لعشيق يراك امن التيهان ياغزيل

ج - قصيدة الحمري فى «التصلية» ، وحربتها :
حلى الله اعليك يلهادى خاتم لرسال * عد ادواب البر والاسماك اللى فالمالى
العايش واللى امضى ومن هو مازال اكبيل

د - قصيدة «زينب» لابن على ، يقول فى حربتها :
يابدر ماغطاك احجاب * فى ادجا ياشمس اتنهار السعيد يازنوبا
فاين العهد يازينب

ويلاحظ أن الشطر الثانى أطول من الاول والثالث .

هـ - قصيدة «راحا» للمدغرى ، وحربتها :
ياعيون المهر يا سالف الظليم اجيد الصياح
أطاوس بين ادواح ، يا قمر ساحى
اقتيب الياس أخذ الشقيق ياراحا

ويلاحظ أن الشطر الاول طويل وان الثانى قسمان ، وهو تقسيم
التزمه الشاعر فى القافية ، أما فى الانشاد فالشطر واحد :
و - قصيدة «الباكي» للمدغرى ، وحربتها :

شهدوا بين ايلا فنيت وامضيت من الوجنا وخالها واخدود الجلار
والشاما والخال والشفر * لهوا خدوج ولغزال السعديا
ويلاحظ أن الشطر الاول جد طويل .

3 - المربوع أو الرباعى : أى الذى يتكون البيت فيه من أربعة أشطار .
ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «باها» لحسون وثير ، يقول فى حربتها :
غاوى الباهى * من ابها من لالها اشبيه
مولاتى باها * الحايض اصغر وزين وجاء

ب - قصيدة «آمنة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، يقول فيها :

أمینا حبك نیران * اعلی نیران * کادیا قاصمیم الوجدان
قاصمیم اکنانی

ج - قصيدة «طامو» للعلمی ، حربتها :

طامو یابیح الخدادا * الحر المسرارا یاغایت لجید
دیری اللعاشق امرادو * ینکی بک کل احسود

د - قصيدة فی «التصلية» لابن احساین ، يقول فی حربتها :

صلی الله امع املایکو عل لحبيب الساری * وامر هل لیمان افلبشر
بصلات الهادی امع اسلامو یایات اسوارو * صلی الله اعلیه وافرأ
ویلاحظ أن الشطرين الاول والثالث أطول من الثاني والرابع .

ومثلها قصيدة فی «التصلية» للغرابلی ، يقول فیها :

لسم الله الواحد لعظیم الحی الجوادی * نشمد حلا طیبها اشدا
لسم الله اسماً امعظماً بها یبدا البادی * وینال امرادو افما ابدا

هـ - قصيدة «فارحا» للمدغری ، يقول فی حربتها :

دسنی تحت لخلال بین ادروغک لملاح * واللبا والدواح
انهیداتک تفاحا * انا خایف امن اعیونک ایجرحونی یافارحا
ویلاحظ أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

و - قصيدة «حجوبة» لابن علی ، حربتها :

یاللی زینک فقی الشمس والقمر افلحجاب * صلتی بحروف اعجاب
صغ لوجابی * عالجنی بوصلک یالیریم حجوبا
ویلاحظ كذلك أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

4 - خامس نشطار أو الخماسی : ای السی یتکون البیت فیہ من

خمسة أشطار . ومن «قیاصاته» :

أ - قصيدة «فاطمة» لابن احساین ، وحربتها :

قالت یما اتقول طامو * قلت وأبیک یالطام
یاقد اعلام فاللطام * قالت ترا یقول طاما

ترات ایقول فاطما

ومنها قصيدة «فارحا» للمدغرى ، وفى حربتها يقول :

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
أنا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

ب - قصيدة «أساداتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، وفى
حربتها يقول :

أساداتى اولاد طه * برضاكم عالجوا الحال
ياناس الجود ولفضال
أنا فى عار للافاطما * الزهرا الطاهرا
وقد يختلط مع الثلاثى اذا ما ضم الشطران الاول لثانى والرابع
للخامس ، ولكنه ليس ثلاثيا .

ومنها قصيدة الطيب الواسرى المعروفة بـ «تاج لملاح» ، وفيها يقول:
رغبوا تاج لملاح فيا * ايجينى غير بالسلام
ويسراعى صلت لكرام

لاخير فاللى اجفا احبيبو * واغدر بعد لموالفا
ومن هذا القياس ما قد يختلط مع الرباعى اذا ما جمع الشطران
الاولان كقصيدة «زهرة» للغرابلى ، وحربتها :

أنا فى عارك أهلال الدارا * ياكركب السحار
يازهرت دوحى لزهار * أما قاسيت امن امراير
وانت لليوم هاجرا

ثانيا : متسور الجناح :

وفيه يتكون قسم القصيدة من أربعة اجزاء :

1 - الدخول : وهو عبارة عن شطر فى استهلال القسم لاغطاء له ،
يبدو كالمطائر الذى كسر احد جناحيه . ويؤكد هذا التعليل فى التسمية
أن الاشطار التى تاتى بعد الدخول غير مبيتة ولاغطاء لها فكانها هى الاخرى
مكسورة الجناح .

2 - مجموعة من الأشعار القصيرة تسمى «لطيلعات» أو «لكراسا» (1).

3 - بيت على وزن الحزبة وقافيتها كأنه تمهيد لها .

4 - الحزبة أى اللازمة .

ومن الأمثلة على مكسور الجناح قصيدة «المزيان» لابن على ، وهذا

أول أقسامها :

1 - الدخول : ته بجمالك عل لقمار .

2 - لطيلعات : الشمس اتغير ايللا اتشوف زينك .

لبدر امن اجيينك والبان غار منك

اسبح من الظليم الوفرا

واضوا من لكواكب غرا

والحاجيين فوق الطرا

نحسابهم نونين

وامعرقين باثنين

واشفار فوق وجناتك ناموا

3 - البيت :

اصوارمو استلو من لجفان * واجفانك غلبو يافهيم شوف اجفاني

ولخدود اسبغهم الجلال * عل لمياض احمرار

4 - الحزبة :

ليا قال المزيان * وصف هذا الحسن ياللى تهوانى

قلت يا دابل لشفار * توصافك لايحصار

ومثلها قصيدة «غيتا» للحاج ادريس ابن على ، وقد بلغ من براعته

فيها أنه التزم قافية التاء فى كل القسم بل فى كل القصيدة ، والعادة أن

تنوع القافية داخل القسم وإن تختلف من قسم لآخر كما سنرى بعد .

يقول فى القسم الاول منها :

1 - الدخول : عمدا اعلى نعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات

(1) ولكنها غير اكراسا التى يقدم بها للاقسام كما سنرى فى الجزء الثانى

من هذا الفصل .

2 - لمطيلعات : مهما تقول نارو بردت واطقات

حين ينظر زين الخودات

كيراها زندت واكدات

حتى عاشق مسكين ماسطاب امنام اول قوت

غير ايشاهد لبنات كيشاهد بيان الموت

والزين اعلى الملوكة ليس يرثي

سلطان كيجور ويعدل وايمو اعطاتو

3 - البيت : ونافساي اوقاتي * نسعى ارضاه واقف ولانقول مليت

4 - تعربة : قولوا للاغينا مولاتي * رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث

فأنا : المشتب :

ويتكون القسم فيه من بيت يفصل فيه بين أول أشطاره وبقيتها
بمجموعة من الاشطار القصيرة تسمى كذلك «لمطيلعات» فكان داخل البيت
محشو بهذه الاشطار الزائدة ، وهذا هو الاصل فى التسمية اذ المشتب
ما تملأ به «اللعوف» و «المضربات (1)» .

ومن الامثلة عليه قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وفى أول أقسامها
يقول :

1 - اول البيت : مافيه مايبقى

2 - لمطيلعات : غير نعم الباقي

ياغفيل مآلك شاقى

لاين تاتزيد احماقى

وين من غرتهم بالمال والنصر

مافاروا غير ابلقبر

مانفهم فيها تدبير

آسعادت من دار الخير

نسال سلوان

واعليه ماصعاب هان .

(1) جمع «مضربة» وهى المرتبة فى اللهجة المصرية .

3 - بقية البيت : وانت ارميتى لهلاكى فى ذا الاسواق

تلحقها مخليا

اولا وجدت اعمارا

ويتضح لنا البيت بشبهه وقربه من الحربة التى تقول :

ياراسى لاتشفى

التاعب لابد من لفراق

لاتامن فالدنيا

ابناسها غرارا

ومنها قصيدة «قمر الدار» لعبد السلام الجربى ، وحربتها :

واجب لى نعدار يلا تلوموى فى حال لغرام يلا اناسى مابيا

غير قهر السدارا

وفى القسم الاول منها يقول :

1 - اول البيت : صاك ابعسكر جرار

2 - لطيمات : للطام اتانى

مايحن من تمحانى

ونانجيل وفانى

غير نرتى وادموع العين حايفا

من فوق الوجنات ساجفا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا وجدت الدايا راقى

اعجز طبى

والجسم صار امهى

اكسانى الظما ياناسى

3 - بقية البيت : جسمى استقام

واخلاكى كطعيا

اولا وجدت ايمارا

رابعاً : السوسى (1) :

ويتكون القسم فى قصيدته من ثلاثة اجزاء :

- 1 - بيت من شطرين يستهل به القسم .
 - 2 - مجموعة من الاشطار المرسلة دون تقييد فى العدد والوزن والقافية
لايخضع لغير تسلسل الانشاد .
 - 3 - بيتان أو ثلاثة أبيات على نفس الوزن والقافية ، تكون كالتمهيد
للحربة التى تتحد واياها فى الوزن والقافية .
- ومن الامثلة عليه قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى ،
يقول فى أول أقسامها :

1 - بيت من شطرين : يا حضرا سمعوا ماصار

بين زوج ابنت افلججار

2 الاشطار المرسلة : شابا عصريا بكرا

والاخرى زمنيا عذرا

فرجونى بين الحضرا

وكنت حاضرا

نصفى لخصامهم

نسمع العصريا

اتقول للزمنيا

يا جارتى اهتيا

سمعى منى اخبار

من يوم اسكنت احداى جارا

وانتيا فاشفار

ياحسبى لله ساليا بخصامك جمع لفكار

عمرى ماشفت اتقول شئ مدرسا

ولا احضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

(1) بعض الاشياخ يطلق عليه «المزلوك» ومعناه فى الاصل الخيط الرقيق .

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس

جارحا بلسانك فات لقياس

مشغولا بيا

ولا العنت شيطانك الشرير

خوذيني نصفك تتشتمى فيا

جهرأ بلا خفيا

فالسنا ساعى لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للشتما النار

بلسانك قلت اعلى الشكارا

3 - بيتان : أ - مصحوبا ديما امعايا مملو ابلكتوب عل لفخار

سابقا بالمعيار

كابرا أميا فالسب الغتب والزورا

ب - لالك المدرسيا فايقا عل ليكار

ياتسمعى لخبار

بالزمنيا غشيا اموخرا للورا

4 - الحربية : آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار

زوج هيقات اصغار

شأبا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

ويكثر السوسى فى قصائد «المحاورات» مثل «الحراز» و «الخصام»

بل يكاد يكون خاصا بها ، ولكن مع ذلك نبدى ثلاث ملاحظات :

الاولى : أن بعض قصائد «الحراز» نظمت فى غير السوسى مثل حراز

الشاوى ، وحربته :

شف حراز الريم حجوبا ❀

بارت احيالو واطفرت ابدات لجمال بعد العز ولحجاب

وحراز مولاي الحسن ، وحربته :

شف حراز الدامي كيف صار لو * حتى بارت حيلتو وحزت ام ادلال
وحراز خديجة للفلوس ، وحربته :

حراز اخديجا سابغ الشفر حرزها يامن اتسال عن شوف انجالي
واغلبتو: بحيالسى او حزت ولفى سابغ لنجال

الثانية : ان بعض قصائد «الخصام» نظمت فى غير السوسى مثل
«العربية والمدينية» لمحمد بن على ، وفى حربتها يقول :

ما بين العربيا امع لمدينيا حاضر افلخصام وامعاهم
حتى اتعايرو ودار المعيار من بعد اخصام الباهيات فالصلح اجريت لهم
الثالثة : ان قصائد نظمت على هذا الوزن ، وهى ليست من المحاوره

كقصيدة «الربيعية» لمبارك السوسى ، وحربتها :

يوم الجمعا خرجو اريام من بهجت فاس البالى
سربات ايحيروا لعقل نحكيهم غزلان
يوم الجمعا خرجو اريام

ومثلها قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وحربتها :

لله يارسول سال الدامى واشى ماعند خاطر باس
أما بعد هذا فيقال فى أصل تسمية هذا الوزن بالسوسى قولان :
(1) انه نسبة لمبارك السوسى لسبقه الى النظم فيه ، مع ان الراجح لدينا
أن الشيخ امتيرد هو الذى سبق اليه (1) .

(2) انه شبيه بالفرد السوسى المنسوب لمنطقة سوس ، ومعروف أن سكان
هذه المنطقة مشهورون بالتجارة والاقتصاد ؛ ووجه الشبه ان الجزء
المرسل فى هذا الوزن - على الرغم من عدم وجود تبين وتقفية
لضبطه - يحتوى على مراكز يقف عندها المنشد فى ايقاع معين كأنه
يعد الفلوس على طريقة السوسيين .

(1) حسب ما انتهينا اليه فى البحث .

بناء القصيدة

اسم القصيدة :

يسمى الزجال المغربي قصيدته «لقصيدا» أو «لقصيد» ويجمعها على «قصدان». يقول الجلالى امترىد فى آخر قسم من «خلخال اعويشا» :
والى سالك عن ناظم لقصيدا : قل افصح اللغا الحبر الحيلالى
ويقول ابن سليمان فى آخر قسم من «الرعء» :

احافظ لقصيدا زد الثقلا اعلى لبهايم
احضى اعقول لهل الدعوات الناكرين لحسان

ويقول المغراوى فى آخر «التوسل» :

وامدحتك فى باب روضتك ابهاذ لقصيد

ويقول المدغرى فى آخر بيت من «أم كلثوم» :

أنت ليا مملوك واغلامى : ونا كذاك لك احببيا خدى الخدها وقصيدى مشوم

ويقول ابن على فى آخر بيت من «القرصان» :

وعلى الجاحدين حجا افقصدانى

ويذايجول فاسلوع يلقاها اموضعا بشيروت وتبيان

ويقول العلمى فى أول القسم الاخير من «كان الخلاقى هانى» :

احافظ قصدانى : سلى اجوارحك قبل ايعموك لكفان

ويسمىها كذلك «القطعة» على حد قول ابن على فى آخر قسم من «المخاورة» :

بلطفنا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم

اذكى من الزهر واحلا من سكر فقلوب هل التسليم والجود اتجيههم زقوم

مقدمة القصيدة : السرابسة :

يقدم الزجال المغراوى لقصيدته بقطعة قصيرة تكون فى نفس البحر

يمهد بها لضبط ايقاع الوزن الذى سينظم عليه ، تسمى «السرابسة» (1)

والغالب أن تتكون من هذه الاجزاء :

I — أبيات تمهيدية يطلق عليها «الدخول» (2)

(1) لعل أصلها من انسرب وتسرب بمعنى دخل .

(2) انظر «الدخول» بعد سطور لدى استعراض أجزاء القصيدة .

2 - « ناعورة » (I) وهي أبيات قصيرة نادرا ما تكون أكثر من ثلاثة .

3 - بقية الابيات

4 - « الردمة » (2) وهي الشطر الذي يختتم به ، ويكون كالفاصل

بين السراية والقصيدة .

وعند الاشياخ أن الذي لاينظم السراية لقصيدته لا يستطيع ضبط ميزانه بل لايعتبر شيخا ، وقالوا في ذلك « من لا يوزن سرارب ميزانو يبغي عايب » . ومع أنها تتفق مع القصيدة في الوزن والموضوع فإنها تختلف عنها في الانشاد ، وقد سبق أن رأينا (3) مختلف أنواعها في الانشاد ، وهي :

I - السماوى .

2 - الحضارى .

3 - الكباحى .

4 - المزلوك .

ويلاحظ اليوم - نتيجة ضعف مستوى النظم والرواية - ان الشعراء لم يعودوا يقدمون لقصائدهم بالسراب وان المنشدين لا يمهدون بها كذلك ، وان فعلوا فانهم يخلطون ، حيث ينشدون سراية هذه القصيدة لتلك ، حتى ولو لم تكن منسجمة معها في الموضوع ، فكان أن تعطلت هذه المقطوعات وضاع أكثرها ، وما بقى منها ينسب في الغالب لغير أصحابه أو لا يعرف قائله . ويطلق على السراب التي يجهل اسم منشئها اسم « اسراب آحراميين » ، وكان بعد هذا أن بدأت السراية تنفصل عن القصيدة وغدت تعتبر عند البعض نوعا مستقلا من الزجل .

ونموذج لهذه المقدمة تمثل بسراية لمحمد بن على جعلها تمهيدا لقصيدته « دامى الجدار » يقول :

1 - المدخول

أقلبى كن عن امصابك صبار * الصبر مفتاح الكنوز والدخيرا
محبوبك لا تعاتبو ولو جار * وارتجا وصلو بعد السوايع لعسيرا

(I) انظر « النواعر » في الحديث عن مقدمات الاقسام

(2) انظر « الردمة » بعد سطور عند ذكر العروبي (3) في المدخل

لو طال الهجر لا غنى من لزار * يا لى ما جبت لهل لغرام سسيرا
انشوف اجمالى واقفا انجيرا

2 - الناعورة

يا عمهوج لجدار * ما هو عمهوج الراتع لقفار
يا شنيار الصفار * يا بدر اتجلى فكمال دارا
يا كوكب السحار * يا من حبو فى ساكنى اتوارا

3 - بقية الايات

يا سالب مهجتى ولاجاب اخبار * لا تشوق بصرى فى ذاتك لنيرا
لا مان اطلببت امن الحال والشفار * جرحوا ذاتى جرح الايلوا جبيرا
ازديت الكى عن اجراحى بالنار * آش يطفى نارى واغصايصى اكثيرا
واهوايا ما ستار * لهوى طالب يفدى الثار
هذا عشقى ولا وجدت ما نختار * عشقى فاسميتى تفتنار
الا وقت اتجور على القلب نارو * يشتد القلب امن اكدارو

4 - الردمة :

(توجدى كانقول يا ستار)

أجزاء القصيدة :

يقسم الزجال المغربى قصيدته الى عدة اقسام ، ويطلق على عملية التقسيم اسم «لفصالا» (I) والغالب أن تبدأ القصيدة بطلع يسمى «الدخول» ولا يعتبره من الاقسام ، تتلوه «الحربة» ثم تتوالى الاقسام بعد ذلك تفصل بينها الحربة فى الانشاد . والعادة أن يضمن القسم الاخير اسمه والصلاة على الرسول والدعاء للاشيخ والعلماء والمنشدين والهجو للخصوم ، وقد يشير فيه الى تاريخ النظم .

وبعض الشعراء لا يnehون قصائدهم باخر قسم منها وانما يضيفون له جزءا يهتمون به قد يطول وقد يقصر ، ويطلقون عليه «الدريدكة» . وفيما يلى نتتبع كل هذه الاجزاء التى تتكون منها القصيدة :

(I) اشتق منها فعل «فصل»

أولاً : الدخول (I) : ويطلق على أول جزء من القصيدة (2) ، وسيتضح لنا من خلال النموذجين اللذين سنمثل بهما لبناء القصيدة في آخر هذا الجزء من الفصل ، وهما قصيدة «هنية» من المبيت لمحمد بن الحسن و «الذهبية» لانبجار من مكسور الجناح .

والجدير بالإشارة ان الشعراء الشعبي كثيراً ما يستهل الدخول بالبسملة أو الخطاب يوجهه لنفسه أو غيره ، والغالب أن يستهل بالبسملة في قصائد المدح النبوى والتوسل والتصلية والمعراج وما إليها مما يعبر عن عاطفة دينية . من ذلك قول محمد بن احسان في أول «تصليته» :

بسم الله ابديت حلتى يامن صاغ اشعارى * محلاها مفتاح للشعر
ومنه قول المفراوي في اول قصيدته له في مدح الرسول عليه السلام :
بسم الله الجواد * به ابديت السلام * عليك في الدمام
ومنه كذلك قول العلى في توسل له :

بسم الفتاح المعبود رب الوجود الودود الدائم المرشاد
ومثله عند الفلوس في أول قصيدته في «سيدنا الحسين» حيث يقول :
ابديت باسمك يا من هو اعليم لسرار * فى امديح الماحى نور لعضا وليقين
وعند عبد القادر الجرارى في «المعراج» اذ يقول :
ابديت بسم المولى لمقسم لرزاق * رب لكوان الحق الدائم لحقيق
اما الخطاب (3) فقد يوجهه لنفسه أو غيره .
ومن الخطاب الذى يوجهه لنفسه قول المفراوي في قصيدته «فى الشوق لمكة المكرمة» يحدث عينه وقلبه :

ابدل نومك ياعين بالسهر ولنواح * احمل يا قلب اكسدارى

(I) تشير الى ان اصطلاح الدخول معروف فى الموسيقى الاندلسية وهو البيت الاول من الصنعة الحماسية والسباعية اى التى تتكون من خمسة أبيات وسبعة .

(2) ويطلق كذلك على أول بيت فى القسم .

(3) سنرى فى الفصل الثانى من باب الموضوعات ان الشعراء الشعبي لجأ فى الوعظ الى الخطاب (انظر الملاحظة الثانية فى آخر هذا الفصل) .

من هم الغريا والجفا وبعد للاح * أين عرفا يا تمارى
هطلوا بالدمع ابصارى

ومنه قول المدغرى يخاطب «اللايم» :

الايم لاش اتلوم * روح سالـم
دعنى كف للام * ما حجت امن اgram
بين خال وشاما

ومنه قول امتيرد يخاطب السائل فى «مصباح الزين» :

اسايل لا تسال ترك اجوابى واسئالى * وانظر حالت حالى
وجهى يوريك ما فقلبنى من غير اغشاشا
ومنه كذلك قول الفلوس فى «حراز خديجة» يخاطب المولع بالزهو :
يا من هو مولوع بالزهو اتراجم لغرام صغ لبيات اسجالى
واتأمل كيف اجرى القصة الحراز الختال

ومثله قول ابن على يخاطب «الشعمة» :

سلتك لله على شجرالك * واعلاش باكيا مادالك
واش كان قصتك واش انهوداك

ثانياً : الحربة : وهى اللازمة ، وبها تعرف القصيدة وتميز عن غيرها من القصائد التى قيلت فى نفس الموضوع ، ومكانها من القصيدة بعد جزء «الدخول» ثم تكرر فى نهاية كل قسم وبها ترد المجموعة على المنشد .
ويزعم بعض الاشياخ ان اسم الحربة تحريف لـ «خروبة» ولكنـه افتراض لا يفهم منه ما يوحى باللازمة أو التكرار او حتى الانشاد والغناء .
وربما كان أقرب الى القبول الافتراض الذى أبداه أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاخوانى من انها قد تكون تحريفا للخرجة المعروفة فى الموشحات والازجال الاندلسية .

والمفروض ان تكون الحربة على «قياس» ابيات القصيدة اى من نفس الوزن ، مثال ذلك حربة قصيدة زهرة لبوعمرى وهى من المثنى :

زورنى قبل الاتقبار * ياهلال الدار زهرا

فان ابياتها تسير على نفس «لقياس» حيث يقول فى أول بيت من القسم الاول :

مال قلبى يرمى بشرار ❖ شاعلا فى قلبو جمرا
وهذه حربة قصيدة «فاطمة» لابن احساين من البحر الحماسى :
قالت يما تقول طامو ❖ قلت وايبك يالطام
يا قد اعلام فاللطام ❖ قالت ترا يقول طاما
ترات ايقول فاطما

وفى أول بيت من قسمها الاول يقول على نفس «القياس» :
قولوا لى اقوا ملامو ❖ لو كان انظرت بالنيسام
مولاتى باشت الريم ❖ ما تلقى افلهوا املاما
ولا تصغى املاوما

وقد سبق ان رأينا فى الجزء الاول من هذا الفصل انه فى «مكسور
الجناح» يختم القسم ببيت يكون على وزن الحربة ويمهد لها ، وكذلك رأينا
بالنسبة «للسوسى» حيث يختم القسم ببيتين أو ثلاثة على وزن الحربة وتمهيدا
لها . ومثل هذا يقال عن «المشتب» الذى يكون فيه البيت على وزن الحربة .
ومع هذا فانا نصادف «حربات» لا تتفق مع أبيات القصيدة فى عدد
الاشطار ، ويطلق عليها : «الحربات المثنية» حيث يضيف لها الشاعر شطرا
أو اكثر . ومن النماذج على هذا النوع ما نجده عندالمغراوى فى «هول القيامة»
وهى قصيدة مبيتة من فراش وغطا ، يقول فى أول اقسامها :
نعم القيوم خالق اكوان الكونين ❖ وسير امسيرها على وفق امرادو
ولكنه أضاف فى الحربة شطرا ثالثا فقال :

صلوا وسلموا على شارق لنوار ❖ محمد شافع لسلام
انهار البعث والقياما

ونجده كذلك عند الكندوز فى قصيدة مبيتة من فراش وغطا يقول
فيها :

ياحباب انشالو صدوا مع الطريق ❖ كيف يزها لى عاد العيش
فقد عمد الى حربتها واضاف لها شطرا ثالثا فقال :
ياللى قبلتو الصادق الصديق ❖ خبروه ابحالى بكمال جودكم
سيدنا محمد سيدى وسيدكم

ومثل هذا تصادفه عند الجبرارى فى «المعراج» حيث يقول فى أول

بيت من القسم الاول :

بعد تمجد المجد اوضح خبر * على المعراج اصاح افيلت السرا

ويقول فى الحربة وقد جعلها ثلاثية الاشطار :

الصلاة على الهادى راكب لبراق * سيدنا محمد لمشرف الصديق

من اسرى من حرم الحرم الفلغسيق

وقد يضيف الشاعر أكثر من شطر الى الحربة على حد ما فعل ابن على

فى قصيدة «الذرة» وهى مبيتة من قياص لمشرقى ، يقول فى أول «الدخول» :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب * وقدس المولى تقديس النجاف لقراب

ومع ذلك فقد جعل الحربة من بيتين فقال :

يا ساهي من نومك فق سبح الرب * لمتا وانت تايه افلغورور لسواب

الصلاة والسلام على اخيار لنسب * سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

ثالثا : الاقسام : وسننظر فيها من جانبين أولهما عددها وعدد ابياتها

والثانى مقدماتها :

1 - عدد الاقسام والابيات :

قد يكثر فى القصيدة عدد الاقسام أو يقل ، كما ان عدد الابيات داخل

القسم الواحد قد يكثر أو يقل حسب نفس الشاعر وحسب ما يقتضى الموضوع

ومما عند الشاعر أن يقول فيه ودوافعه اليه ، وهو تعليل يطلقون عليه

«السبب والمعنى» .

والغالب ان يتراوح عدد الاقسام من اربعة الى عشرة ، وكذلك يكون عدد

الابيات داخل القسم الواحد . ومع ذلك فان عدد الاقسام قد يرتفع فى بعض

القصائد التى تكون مادة موضوعها غزيرة متوفرة ؛ وقد وقفنا من هسائه

القصائد على اربعة هى :

أ - قصيدة «حول القيامة» لعبد العزيز المغراوى فانها تتضمن ستة

وعشرين قسما ، وهى التى يقول فى حربتها :

صلوا وسلموا على شارق لنوار * محمد شافع لسلام

انهار البعث ولقياما

ب - القصيدة «الفياشية» لمحمد الشرقي ، وتشمل تسعة وعشرين قصيدة ،
وهذه حربتها :

انا مالى فياش ❖ آش اعليا منى

ج - قصيدة فى التوسل لعبد القادر العلمى تعرف بـ «الجمهور» بلغ
عدد أقسامها اثنين واربعين ، وهى التى يقول فى اولها :

يا من يشفى اضرار عبود بعد السقم ❖ ويفرج من اقوات فالصدر احزانو

د - قصيدة «سيدنا الحسين» لمحمد العيساوى الفلوس ، فان عدد أقسامها
خمسة واربعون ، وفى حربتها يقول :

يا حضرا سمعوا وفات نور لنوار ❖ ولد فاطما الزهرا سيدنا الحسين

أما بالنسبة لعدد الابيات فى القسم الواحد فانه قلما يزيد على عشرة .
وقد بلغ فى قصيدة «الشمعة» للشريف مولاى التايك ستة عشر بيتا فى
القسم الاول واحد عشر فى الثانى وثلاثة عشر فى الثالث واربعة عشر فى
الرابع والاخير . ومثل هذا الاختلاف بين الاقسام شاذ ولكن الاشياخ يعللونه
بـ «السبب والمعنى» كذلك . وسنكتفى بعرض القسم الاول وهو يحكى
قصة النحلة على لسانها حيث تقول :

بلسان حالها قالت لى نحكى لك ❖	اشيخى عما حملت من لـسـدراك
ويلا اتصيف شيلا توصف فوصافك ❖	عن حالى وماكان لى اقبل لحراك
وانت اغرايبي عاودها بلسانك ❖	وضح ليفادا واشرحها بلغاك
واخبر بكرحتى فالناس الى سمالك ❖	لا تكتم سولان حدث امن اصغاك
ازمان كنت فقصر محبوبك امشايك ❖	واكذاك انايا فصورت التشبهاك
بكمال صورتى صورنى صوارك ❖	شهدا معلوما افملك من لـمـلاك
بعمالتى انصول اسلطانى ما لك ❖	واجناد ابطالى اتروح التيبالك
وظفرت بالسعادة فزمان امبارك ❖	ما ضاها ملاكتى املك لتبراك
وامنين راد ربي بالوعد السالك ❖	كسروا جندى ماتلا انفع لـمـراك
وابهن فى ابساطى بهاز ابغالك ❖	كانوا يعتادوه ناسنا فتسالك
بعد لهلك عصرونى عصرا محابك ❖	واهديت اعسولى اولوا وجدت افكاك
ولاوا دوبرونى بالصهد الهالك ❖	طرحونى حتى اصفيت للتدلاك

واصفات لوضايح ورجعت اسبابك * ولى داي يا شيخى اكثر من ذاك
 كمالوا انت اعروسا لفتيلا تاجك * بها يشرق نور مهجك واضيالك
 بها افكل حضرا يعلا مرتابك * واعلى الزاهى ماتلا ايفيد غملاك

2 - مقدمات الاقسام :

من براعة الشعاع ان يقدم لاقسام قصيدته بأبيات قليلة يمكننا تقسيمها
 الى نوعين : احدهما «العروبي» والثاني «النوعى» :

أ - العروبي :

وهو غير «العروبي» الذى تغنيه النساء والذى اعتبرناه نوعا مستقلا
 من الزجل (I) . ويقولون انه كان فى الاصل يقدم به لاقسام المبيت المثنى
 ولكنه لم يعد كذلك ، حيث تصادفه حتى فى غير المبيت . ويتركب من عدد
 من الابيات تنتهى بشطر يتيم يطلق عليه : «الردمة» و «التديرة» و «التديلة»
 وهى كلها كلمات توحى بمعنى الختم والانهاء .

وعند الاستاذ محمد الفاسى ان العروبي الذى يقدم به للقسم يتكون من
 بيتين كل واحد منهما بشطرين يضاف اليهما شطر خامس (2) . وهذا تقيد
 لا أساس له . حقا ان العروبي قد يكون محصورا فى القالب الذى ذكره الاستاذ
 الفاسى ، على حد ما نجد عند الشيخ إمتيرد فى «فاطمة» اذ يقول مقدمات
 للقسم الاول :

أنا يا فاطما احسانك ما نساء * وانت لحسان من نليت من ناس
 اكشفتى سرنا ولو حتى بغطاه * عيار الحب طابعك كشف انحاس
 حتى بتيان ماعلا دون الساس

ولكننا وقفنا على «عروبيات» يتعدى ابياتها هذا التحديد، واثبات الدليل
 يقتضى منا ان نعرض نماذج من هذه العروبيات ، وهى مكونة من :

I - ثلاثة ابيات والردمة كما فى «التطوانية» للحاج ادريس لحنش على
 حد قوله فى عروبي آخر قسم من القصيدة :

ايا حماة دينا لعنو الشيطان * هذا الغفلا اعلى اعداكم حتى ليس

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الاول من باب «الشكل»

(2) انظر مقدمة «الاغانى القديمة لنساء فاس» .

ما تتفكروا انهار دخلوا التطوان * وخرج فيها الكافر المسلمين
وابقات الناس حائرا بين الطرقان * وهل ليمان كاتقول ابصوت احنين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

2 - اربعة ابيات والردمة ، ونجدها عند العلمى فى «التوسل» حيث
يقول فى عروبي اول اقسام القصيدة :
يا من رسى اجبال وارصدها بصخور * وابحور الطاميا ابقيرو محصورا
ما يرشفها حفير ما يمنعها سور * وافراثن موجها افماها مكسورا
واحجب ضو النهار بظلام الديجور * واهزم لغسيق ابلقجر باهى الصورا
يا عالم ما بدا وما تخفى لصدور * سلتك بملايك لحجوب المشهورا
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

3 - خمسة ابيات والردمة كما هو عروبي احد اقسام «الجمهور» للعلمى،
وفيه يقول :
عبد القادر وصاحبو مول الخلوات * بو وحشيا ومن افقربو من لسياد
وعلى والحاج والاسعد باهى الخصلات * سيدى عبد العزيز لمام الاستاذ
يصرخ ويغيث ويحمى عند الحزات * ويحل ابقدرت لمهيمن كل اعقصاد
والشيخ الى ابراهنو كالشمس اضوات

مول البركا الظاهرا سيدى عياد
وارجال اخرين فى امانزلها اختفات * اسالت ابحق جاهم خالق لعباد
يوفى قصدى ولا يخيب لى مراد

4 - ستة ابيات والردمة على حد ما نجد فى نفس قصيدة العلمى السالفة
الذكر حيث يقول :
يابن عزو يا لكوكب السدرى * الحاج الطيبى اتوافى مظنونسى
العدويا وجارها سيدى بصرى * والحزىو الصالحا والقرموسى
سيدى النجار والاشقرثم البدوى * والشبلى طيب الشذا زهر افنوى
سيدى الجزار طلعت البدر الزهرى * بوطيب منو شمس قلبى واعيونى
والوالى ابن عبود والشيخ الحضرى * والشيخ الجنان لا تجهل ملحوسى
عطفوا عطفًا مختترا تشرح صدرى * وادعوا بدعوتى الله وعينونسى
عبد ارضاكم ما نظن اتهينونسى

5 - احد عشر بيتا والردمة كما في قصيدة «سيدنا الحسين» حيث يقول
الفلوس في عروبي آخر قسم من القصيدة :

مهما دخلوا اضريح لطيب المهتاد * قالوا يا جدنا الهادي محمد
لوريت شين صار بنا دون افناد * في كربلا امع اجيوش الا تنحاد
قتلوا الانصار والاصحاب مع الاولاد * وابن هاشم كلها يا محمد
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد * واحنا فالشوم ولعطش يا محمد
وقطعوا روس آل بيتك عل اعناد * تركوا لثياخ افلوطا يا محمد
سفكوا دم لشراف واعصوا الاحد * سبوا على المرتضى يا محمد
لوريت شين كان دار ابن زياد * هو واهلو وشيعتو يا محمد
طعن الحسين كل من كان افلجناد * ولا رحموا اطفالنا يا محمد
قطعوا راسو ولا اخشاو من الجواد * داسوا باخيل مهجتو يا محمد
كشفوا لحريم دون لعدا والحساد * وبعدها اسبوننا يا محمد
داروا لنا احيال واغلال ولكيسان * ما شفقوا من احوالنا يا محمد
وجهناهم للقوى يا محمد

6 - ثلاثة عشر بيتا والردمة (I) على ما نجد عند العلمى في «الجمهور» حيث
يقول في عروبي أحد اواخر اقسام القصيدة :

اللهم ارضى اعلى خلايف عن الدين * قد انجوم السما قد احماس الديجان
قد اعداد لشجار واعشوب البحرين * وما قالبجر امن اعجايب عل الموان
قد اعداد لرمال فاقفار الارضين * وما من هايمنا اتسبح اعلى لوطن
اللهم ارضى اعلى ملوك الحرمين * اعداد ما فكل تريا من يستسان
واعداد انسيم زهرها بعد النجرين * وانغام اطيورها اتربرج اعلى كندان
قداما سبحو السمارس وامقنين * والحرمل والسرند والطير الحسان
ما غنى اليتروك وارقص بالجنحين * مهما شاف لهزار لحسن بالترنان
وما بات حمام اعلى البرج اينين * باصوات امرخما اتبكسى بالترنان
واعداد النحل والنمل وادوا باخرين * وانوار اعلى لصناف بارزامن لفصان
(I) لا توجد في النص الذي بين ايدينا ردمة لهذا العروبي ولكننا عرضناه
على بعض كبار الاشياخ فدلنا عليها .

اللهم ارضى اعلى اهل السر المبين * رضوان الا ينتهى عن طول ازمان
ما حملت امن اخلايق اجواف الثقلين * بملايك طايعا اوحش وانس وجان
اللهم ارضى على كوكب هل ليقين * ابا بكر الزكى وعمر وعثمان
وابن ابى طالب الافضل قوم الشجعان

ابن عم المجتبى الشافع فالعصيان

وانصر يا ذا الجلال لماس السلطان

ويلاحظ أن بعض الشعراء التزموا نفس «الردمة» فى كل عروضيات
القصيدة على حد ما فعل الحاج ادريس لحنش ، فانه التزم قوله «الله ايجود
بالنصر لعلام الدين» فى كل عروضيات قصيدته «التطوانية»

ب - **النوع (I)** : ويسمى كذلك السويرحات ولكراسا (2) :

I - الغالب ان تكون مكونة من ثلاثة ابيات قصيرة مكونة من شطرين
أو ثلاثة أو اربعة فمن الامثلة على ذات الشطرين ما قدم به الشاوى فى
أول قسم من قصيدة له فى «التصليية» حيث قال :

وجلو من هو حى واجــــــد * قبل لوجود وظهر للمخلق اوجداد
جعلو محبوب احبيب ماجــــــد * كرمو وفضلو واعدى به اعباد
ويح من اعصاه وكان جاحــــــد * جهنم اجزاء فيها مقعداد
ومن السويرحة ذات الثلاثة أشطار قول المدغرى مقدما لاول قسم من

«الساحى»

(I) من لطيف المصادفة ان نجد عند الرباط فى «العقيدة الادبية» ذكرا
للتاعورة تكون فى الموال يقول عنها : «صنعة التاعورة وتعريفها ان
يجعل الناظم اربعة أغصان مواله رتبهم كل غصن خمس كلمات مطلع
كل كلمة ميم ويجعل الميم حلقا فى الوسط ويطالع من الحلق مجرى
كل كلمة فيصير الموال مثل التاعورة (الورقة 149 ظهر 150 وجه) .

(2) ج كرسى. ولكراسا فى مقدمات الاقسام هى غير الكراسا التى تكون فى
مكسور الجناح والمشتب كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى الجزء الاول من
هذا الفصل .

وتجدر الإشارة الى ان الكرسى فى الموسيقى الاندلسية هو الشطر الاول
من البيت الثانى من الصنعة الثنائية أى المكونة من بيتين ويكون ميمــــرا
فى تلحينه .

شف البدر الواضـح * بين نجوم رايـح

لفروبو رخف الجناح

وانجومها لوضايـح * بالفرح تـدالـح

حسنت بنسيم الصباح

والديجور الجانـح * تلقى اسريع اجوانـح

وهرب بخيالو وراح

ومن السويرحة ذات الاربعة اشطار ما نجد عند امتيرد في «الكاس»

حيث يقول في تقديم أول قسم من القصيدة :

طاب اشراب كاسـي * بوجود لعنامـي

واحبابي ونامـي * اجمع بالوجد ايميسـوا

مصباح الغلامـي * داحت عن امياسـي

واتفاجا اكباسـي * اكل عاشق بونيسـو

رتخا كل كاسـي * واذهب شر باسـي

انصبح انماسـي * الكل سلوان اعريسـو

2 - وقد تكون مركبة من اربعة أبيات ، كل بيت :

أ - من شطرين كما عند عبد السلام الزقري في «خلخال يامن»

حيث يقول في تقديم أول اقسام القصيدة :

ابقـات جـوالا * لفكار وين تعمل هذا الخلخال

اهميم لا حـالا * خوفى عليه من لعدو والعـدال

قلت بمقـالا * عنلى اخرايى فالصونا بتفـال

دون لـبالا * بالزرد ولقنا وسيوف العسـال

ب - أو من ثلاثة اشطار على حد ما نجد عند العلمى في «الساقسى»

حيث يقول في سويرحة ثالى قسم :

راح الليل اول ابقـي * الا وقت لمعانقـا

كب ورا وارخى الرواق

والاطيار الناطقـا * عل لشجار الباسقـا

عمرت بلغاها اسواق

كَبِ الخمر الخارقا * في كيسان ابداعا
من زاج ابلاد العراق
تظهر خمرا بارقا * قبل اوانى شارقا
كلون اسحق الرماق

3 - وقد تكون مركبة من خمسة ابيات كما عند المصمودى فى مقدمة
أول قسم من قصيدة «الجار» وفيها يقول :

ما يشبهنى عاشق الجـار * بالحـب سرت ديوانى واخلاى اصفر
نار الحب اقوى امن النار * منها اعذاب قلبى يا صاح ينزبر
من قوتها سارت اجـمـار * بين لحشا اوسط المهجا وامع الصدر
نار اتمادى فيه بشرار * واعيت ما نلاهى وانكابد فالصبر
جيت انزور احمامت الدار * لا حى لا مونس لا غاشى لا خبير
القسم الاخير :

قد يطول أكثر من بقية الاقسام ويتضمن فى الغالب اسم الشاعر
وتاريخ نظم القصيدة واهداء السلام والصلاة والدعاء وهجاء الخصوم :

اولا : ذكر اسم الشاعر : وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن الذكر الصريح للاسم قول المغراوى فى آخر مرثيته المنصور
السعدى المعروفة بـ «لعزو» واصفا نفسه بالفصيح :

وارحم المغراوى الناظم افصيح لعراب * بالبلاغ غير الجهاد أيلفحو
ومنه قول الحاج ادريس بن على فى «فضيلة» واصفا نفسه بالاديب
وقصيدته بعذراء متوجة :

وختمت القطعا ايقول لاديب الحاج ادريس بن على بهاجر الذيل
حلايا حفاظ صايلا * كعداد تاجها امكلى تكليلا
ومنه قول الحاج اعمارة فى «فاطمة» مشيرا الى أنه مقيم فى مدينة فاس:
والاسم على اسألنى * الحاج بن الحاج اعمارة ومكانى
ارض الياقوتا الساطعا سلسالت لكرام

مولانا يدريس بن ادريس البدر الضاوى

الرضوان عليه عد مازاروه امن اقوام

ومنه قول عبد الرحمان القرى فى «زهرة» داعيا الله ان يحفظ
مدينته مراکش :

واسمى ما يخفى القبرى * عبد رحمان طالب لغنى فاشعاره
يظفد بهجتنا الحمرا * ابجاء النبى وازواجو واصهاره
ومنه قول الحاج عبد الفضيل المرينى فى «جمهور الخودات» واصفا نفسه
بالذكى وبأن خبره مشهور ومصرحا بتلميذته للنجار :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينى الاخفات اخباره
الذكى تلميذ النجار

2 - اما الرمز للاسم فقد يكون بالحروف أو بالأرقام أو بهما معا :
أ - فمن الرمز بالحروف قول الجليلى اميرد فى «طرشون» رامزا الى
الجيلالى بالجيم واللامين وواصفا نفسه بأنه أفصح الاشياخ ورئيس الشعراء :
قال افصيح لشيخا جيم الامين رايس لخبار
ومنه قول امبارك السوسى فى «زهره» مستعرضا حروف مبارك
ومصرحا بالسوسى :

واسمى لى يقر انبيتميم وبالعارفين تفسارو
والرا امورخا والكاف افتمهار
والكنواسوسى

ب - ومن الرمز بالأرقام (I) قول محمد بن على ولد اربين فى «الطاهرة»
واسمى اثنين وتسعين فالحروف ظاهرا * واصحساب ابجد حاضرا
والحرف الاول رفعو مشهور

(I) بناء على قيمة حروف ابجد ... وترتيبها عند المغاربة كالاتى :

80	70	60	50	40	30	20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ف	ع	ص	ن	م	ل	ك	ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	ا
1000	900	800	700	600	500	400	300	200	100	90						
ض	ق	ر	س	ت	ث	خ	ذ	ظ	غ	ش						

وقد ورد فى القاموس المحيط للفيروزبى أن «المشاركة» يكتبونها على
الترتيب المعروف فى اللغة الآرامية والعبرية وهو :
ابجد هوز حطى كامن سمعنى قرشت تخذ ضظغ .

فائنان وتسعون هى مجموع قيمة حروف م ح م د بالاضافة الى انه
ذكر رفع الحرف الاول .

ومنه قول مولاي على البغدادي فى «خدوج» :

واسمى ظاهر فاميا اشرح منهاجى تسبى البدهاج

فالعين بسبعين واللام بثلاثين ومجموعها مائة .

ومنه قول محمد بن على المسفيوى فى «المحبوب» :

واسمى فبجد محسوب يالمحسوب اربعا والخمسا والزوج فى احسابى

فكتابة الاربعة والخمسة والاثنين متتابعة (4 - 5 - 2) تعطى رقم

اربعة وخمسين ومائتين وهو مجموع قيمة حروف م ح م د ا ب ن ع ل .

ج - ومن الرمز بالارقام والحروف قول المذنى التركمانى فى

«الزهو» :

واسمى ما يخفى اشهر فبجد المن اقراه

(صين جب) والجليل من لا يسها وينام

فقد رمز بـ «صين جب» فالصناد بستين والياء عشرة والنون بخمسين

والجيم بثلاثة والياء باثنين فيكون مجموعها خمسة وعشرين ومائة ، وهى

قيمة حروف ا ل م د ن ومنه قول احمد بن رقية فى «الشمعة» .

فى رمز النون اسمى يا سالك » زد جيم لى سالك

فقيمة النون خمسون تضاف اليها ثلاثة فيصبح المجموع ثلاثة وخمسين

وهى مجموع قيمة حروف ا ح م د .

ومنه ما نجد عند محمد العيساوى الفلوسى الذى كان يخفى اسمه فى

قصائده الوطنية بمثل هذه الرموز :

I - اسمى للل والبا امضمنا

أى بثلاثة لامات وباء ومجموع قيمتها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف

م ح م د

2 - اسمى كعب

فالكاف بعشرين والعين بسبعين والياء باثنين فيكون مجموعها اثنين

وتسعين . ومن هذا ما نجده كذلك عند الشيخ محمد بن عمر المراكشى الذى

يرمز لاسمه فى الغالب بـ : «بمن» فالباء باثنين والميم بأربعين والنون

بخمسين ومجموعها اثنان وتسعون وهي قيمة حروف محمد .
يلاحظ أن بعض الشعراء سكتوا عن اسمهم ولم يذكره لا رمزاً
ولا تصريحاً ، وهؤلاء هم المدغري والعلمي والسلطان سيدي محمد بن عبد
عبد الرحمان والسلطان المولى عبد الحفيظ العلويان .
ويقولون عن السبب في ذلك بالنسبة للمدغري وسيدي محمد بن
عبد الرحمان ان المدغري كان صديقاً لهذا الامير الذي كان بدوره ينظم ، ولكنه
لم يكن يريد ان يعرف عنه ذلك ، وحتى تنسب قصائده للمدغري طلب
منه ان يعدل عن ذكر اسمه في قصائده . ومثل هذه الظاهرة لو ثبتت -
ستجعلنا نشك في القصائد التي تنسب للمدغري ، فان بعضها - على الأقل -
من نظم سيدي محمد بن عبد الرحمان . ويذكرون من هذه القصائد -
«عزبا وشابا» التي يزعمون ان الامير نظمها حين شاهد «بزقاق الحجر»
فتاتين تطلان من الشباك ، وكان في طريقه لزيارة الاضرحة بفاس على
عادة الامراء والملوك العلويين ، وهي عادة لم تنقطع الا بنفي محمد الخامس
سنة 1953 .

اما العلمي فانا وقفنا على قصيدتين يصرح فيهما باسمه ، هما :

أ - قصيدة «الشافي» وفي آخرها يقول :

وبالبحث عن اسميتي بعد السلوان ❦ عبد القادر اعلام رب الفوقاني

ب - قصيدة «سم الفتاح المعبود» ، وفي آخر شطر منها يقول :

وارحم نساج لقصيدة العلمي

واما المولى عبد الحفيظ فيعلن في قصيدة «الزين» ان من عادته اخفاء

اسمه :

والتاظم طبعو يخفي اسميتو فسجلا ❦ خذ صافي در وعقيان

ومثل هذا يقول سيدي محمد بن عبد الرحمان في «الزهو» :

الحافظ ويلا سالك تالف العنواني ❦ اسمي صونو بالكتمان

كذلك يلاحظ ان بعض الشعراء أشاروا الى اسمهم في اول القصيدة أو

وسطها وليس في الآخر . فابن سعيد في «التوسل» يذكر اسمه في البيت

الرابع من «الدخول» فيقول :

ابن سعيد السرى جد يالسلطان * غير عنى يانجل ابن الديبع طاها
وامتيرد فى «لغصادا» يذكر اسمهم فى وسط القصيدة على لسان الفاتنات:
قالت اريام الحضراوين عز لشيخ * لفصيح الجيلاى شندىك لغزارا
على أن ذكر اسم الشاعر فى الزجل تقليد معروف (I) حتى عند المشاركة
على حد ما نجد عند ابن مكاس فى وسط زجل له حيث يقول (2) :
يوم وهو جاني بضججة * وجبين معقود وعابس
قال لى والله مانت حجة * فى الهوى يابن مكاس
تبقي تشكى لاي من جا * وآخرو ما قلت امس
وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن مقاتل فى آخر زجل له اذ يقول (3) :
كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل
وكم ذا فى المحافل * قد أنشأ غصن حافل
من حل بيت فى مربع * ملحون بالف معرب
وهو تقليد معروف كذلك عند شعراء أهل امصار المغرب من العرب
اذ يذكرون اسمهم فى اول القصيدة كقولهم :
قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حرا اشكت من ازفيرها (4)
.....
تقول فتاة الحى ام سلاممة * بعين اراع الله من لارثى لها (5)
.....
يقول بلا جهل فتى الحى خالد * مقالة قوال وقال صواب (6)
ثانيا : تاريخ نظم القصيدة :

- (I) فى «بلوغ الامل فى فن الزجل» ص 9 لدى الحديث عن ابتداءات الزجالين : «ذكر اسم الانسان نفسه على آخر زجله ويسمونه» الاستشهاد ويبنى فيه على نفسه الشاء البالغ .
- (2) روض الآداب للحجازى مخطوط آياصوفيا رقم (4017) الورقة 103 وجه.
- (3) المصدر السابق الورقة 101 ظهر .
- (4) مقدمة ابن خلدون ص 511
- (5) المصدر السابق ، ص : 518
- (6) المصدر السابق ، ص : 517

وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن التصريح بالتاريخ ما سجل به المغراوي قصيدته ففى

«المدح والتوسل» حيث قال :

الشريف ورخ هذا القصيد السعيد * ليلاية عشر والحداد
سنة خمسة عشر والى عام * سلمك لله جود

2 - ومن الرمز اليه قول النجار فى «خلق» :

تاريخ نظامى ما اخفى اثلاثين المن يقراه

القاف ونصف الراء * زد الف تكمل حساباتو للهادى نهديه

فاذا أضفنا الى ثلاثين قيمة القاف وهى مائة ونصف الراء وهى مائة

كذلك اذ الراء بمائتين ، وزدنا كل ذلك على الف يكون تاريخ نظم القصيدة

ثلاثين ومائتين والف .

ومنه قول الفلوس فى قصيدة «سيدنا الحسين» :

خذ تاريخ النظم افهام بـ شرق بـ جيار * ورمز حـا و - الالف - وبعدهم ستين

فقد رمز بـ شرق و - حـا و - الالف - فالثين بالف والراء بمائتين والقاف

بمائة والحاء بثمانية والالف بواحد ، ثم زاد عليها ستين ، وبذلك يكون

المجموع تسعة وستين وثلاثمائة والف .

ثالثا : اهـاء السلام والصلاة والدعاء :

يقول ابن على فى -التصليـة- مهديا سلامة للعلماء الفاهمين للقرآن

الكريم والاشراف والطلبة وأهل الوفاء والاحسان :

واسلامنا اعلى ناس العلم الماهرين عالمين

واعلى لشراف واعلى الطلبة وهل لوفاء وهل لحسان

ويقول العلمى فى «طامر بهيج الحداد» يطلب من حافظ القصيدة ان

يهدى سلامة للمنشدين وأهل المعانى والطلبة .

أهدى سلامنا للنشادا أهل المعانى والطلبا يأمن احفظ لقصيد

ويقول محمد بن الوليد فى قصيدة له فى «مدح المصطفى» عليه السلام

مهديا سلامة للخلفاء الراشدين ولاصحاب الرسول العشرة وازواجه

وللمهاجرين والانصار ولابناء فاطمة ، ومصليا على الرسول الاكرم ، ثم

مسلماً على الشعراء .

واسلام ربنا يتهيا في كل حال دائم

اعداد ما فعلمو سبحانو ربنا العالم

وارضا على لخلافا

ابوبكر الصديق اعثمان اعلى اعمر

الى ايجهد فالسبيل امساك * والرضى للعشرا المهاجر الانصار
واعلى اسياننا لعرب التياك * والازواج ابجمل والطاهرين لقمار
اولادلا بهم الاستمسك * الصلاة والسلام افكل ليل وانهار
اعليك يالهادى طيب لمساك * قد لرياح قد ارعدها المطار
واعداد القلم واللوح الفلاك * والعرش والكرسى وكنداميا لبچار
واعداد ما خلق فالدنيا من ياك * دايم مادام الملك لغنى القهار
بالطيب ولعبر وعبر وامساك * والسلام انهيبو للمهدين لچار

رابعا : هجاء الخصوم :

ويطلقون على القسم الاخير اذا اشتمل على الهجاء «الزرب» تشبيها له
بالسياج الذى يحيط بالحدائق والبساتين ويحميها ، فكان هذا الزرب
يحمى القصيدة ويرد عن صاحبها الخصوم .

يقول ابن على فى «صلوا على الصديق الصادق» واصفا قصيدته بانها
ديباج ودرة تضىء لم يملك مثلها سلطان ، وطالبا من حافظها الا يخشى
المدعين العاجزين :

خذ ادباج يا حافظ لدرار فى اسلوك الجين

درا على التراكى تضوى ماضم زيبها سلطان

يا حافظ اللغا لا تخشى داعى اعليه هاذى دين

لعديم عرفو مدياسى والى اعديم ما يودان

فعسى الى انعرفو ما فجيا بو الجين ولاعين

فخلاص ابن على ماد الوييقى ايجول كل اوطان

ويقول اميرد فى «خلخال اعويشا» يطلب من الراوى أن يصـوـل

بقصيدته التى شبهها بالابريز وان يهمل الجهلة الجاحدين الفارغين الذين

لا يفقهون رمزا ولا يدركون معنى ، ومتألمًا لحال الفوضى الذي أصبح عليه
الشعر بعد أن كثرت مثل هؤلاء المدعين الذين لا موهبة لهم ولا فهم :
خذ ارأوى بيريز منظم — * غنى اوصول بين ارباب الیضمار
والغنى من لا لو قول مفهوم * عقلو اكفينج دهر ماجاب اخبار
قولو ما بين الناس مدموم * ولا يشبهو متمد نكار
الجاحد اعماء ولادا يفادا ما بين اقماهر اللغا جبجو خال
ما يفقه رمز ولا يحق معناه عكلى هرتال
اولا هي سباب لكلام وامضار اهلوا واتفرقوا وليس اجبر والى
واقسوات البدعا ولججود كثر ووالفن اقلال
قل للداعى عادم لمواهب لو فید كرفت لوغا ما يقوالی
وقت اما شلا فى اغطاه یصدف دكت لبال

الدريدكة (1) :

وهى حين توجد تتضمن ما يتضمنه القسم الاخير فى الغالب ، وقد
تكون طويلة او قصيرة .
فمن الامثلة على الدريدكة القصيرة ما يقول ابن على فى آخر «المزيان» :
ما تخفانى طرغان * سالك فيها ببيان * شفتها بعيانى
بالبك والصوم اتكدار * والفرغا والتفكار
والوهم امع الجولان * والفرغ مع الصومان * والسقام اكسانى
رقت النفس امثيل اشعار * بسر الذات اشهار
والسانى كترجمان * ولا مثلى لدمان * والطبع سيسانى
مايشح العاشق بمزار * ايوصلو لو يهجار
ولا ينكر سولان * ولا يرحم رقبان * فالقضا والدانى
عفت لصحاب السوار * عازالوا فى لقطار
والاسم فالتبيان * ابن على فالعنوان * شاهر عنوانى
والسلام اللامت لجبار * مافاح انسيم ازهار

(I) من درك اذا ضرب برجله سريعا على الارض ، وربما سميت كذلك لانها
تنشد بسرعة .

ومن الامثلة على الدريكة الطويلة قول الشاوى فى نهاية «التصليصة»

مشبهها قصيدته بعذراء يستعرض اوصافها :

صلى الله اعلى المهدي	✽	امام من ادنى وسيد امن اتنادا
واعلى الخلفا هل المجدى	✽	واعلى الصحاب واعلى الالاف ليعادا
اصلاة نوبديها افندي	✽	للصادق لمصدق كهف التوادا
من عشقى واشواقى اوجدى	✽	وامحبتى وغيرانى وامعن هذا
نتهاى العديرا افرصدي	✽	فبساط هل المعنى دايرا وقادا
تسقى هل لمحبا اصرخدي	✽	واعلى اعشيقها تفجى كل انكادا
بتيوت اتبيح نار فكدى	✽	واكمال قدها يشبه للطرادا
واجبين ايلوح ونار تكدى	✽	غرامع طواجب واعيون اسرادا
والانف احكىتو طير فردى	✽	والمرشقين قمرمز واخود اورادا
والشعر اجواهر امن افرندى	✽	والجيد جيد مهرا تاكت شرادا
وامعاصم كبرقين تزدى	✽	واضعود كانعوت اصوارم لهنادا
واصدر عشق المغروم يبدى	✽	حقين فيه تنمايح خرق العادا
والسرا من راها ايودى	✽	فمحاسن البطن تسلب هل لعبادا
والخسر من خسران يفدى	✽	واردافها اتردف والورك ازىادا
وارفاغ افلون ارخام هندى	✽	سائقان والقدام امن اوطاوه سادا
بها رفرف فالجو بندى	✽	فمنازل السعادا تاكت سعادا
لرباب الفن السلام نهدي	✽	بالصدق ولوفا وامعانى وايقادا
والجأحد ما يقوى الجهدى	✽	ايلا اطفى ابجهدو باقى يتادا
ويح الداعى من نار وقدى	✽	خلات فى اعضاه املاهب لهادا
ويلا شال يمسى افندي	✽	شدهاه للمضايق عرت لوشادا
امقلد بحسامى وزردى	✽	يوم نوعى انهد امن ابغى يتمادا
يعرفنى وامعايا وعندي	✽	ليس نمشى انيرو كيف المرمادا
لفظ ارباعى انظام امسدى	✽	فمنازل الصفا برضات النشادا
افحصن احماهم فاح ندى	✽	واكملت بالرضى واثباتا وانجادا
واصفا شربى من هل الودى	✽	حبر الزمان حاشا مثلى يتعادا

اراحم ترحم ضعف جسدي ۛ یوم النشور من زفريات التكهاد!

کمل لی پاکریم قصہ سدی : «ہزم» (I) دوزو فرمام السعادا

نمودگان لایضاح :

وهذان نموذجان لبناء القصيدة أحدهما من البيت والثاني من مكسور

$$= \frac{1}{2} \left(\frac{1}{2} + \frac{1}{2} \right)$$

أولاً : قصيدة «هنيئة» : للشريف محمد بن الحسن ، وهي من

المحيط المثلث ومن أربعة أقسام :

1 - دخول القصيدة :

یحسن عون العاشق لبها من حر الغیوان ۝ یحسن عوتو کل حین نیرانو مگدیا

بين الشلج امع الصهود واجمار الولفيا

محسن عوفو بالمصادفا واصدود الهجران

کیف ایات یصبح ما یلورا حاً قطعیا

یتشکی من ملقاء وادموعو مجریا

يحسن عون العاشق لبها والزين الفتان

بہرحسن عنوانہ مایلو اوقات یوجد اسلیبا

مالك الزين السبيوف له بالهجرا مسقيا

يحيى بن عوف بن ابي يحيى بن ابي اسود الغزالي

يلقى تيه الزين يا هجر لقاء اقهــــــــــــا

هذا حاله ما يليه فاحكامه شرعيا

كيف املكني من اصباي واترك لوئي يرقان

قيل انشوف ابهاك الريم امامن كيا

لِسَعْنِي قَبْلَ لَوْحَالِ الْغُرَالِ أَهْنِيَا

2 - العربية :

تصر الله احمال صورتك اذابل لعيان * أمبروم التيت لال لغزال اهنياً

بِكَ اغْنِمْنَا يَا بَاهِيَا بِشْرًا وَاهْنِيَا

(I) رمز بذلك لاسمه فالهاء بخمسة والزاي بسبعة واليمين كل منهما بأربعين فيكون المجموع اثنين وتسعين وهي قيمة حروف م ح د -

3 - لكراسا :

اما من كيا ابنيـــــران * بشواظها اضحييت انصارع نيراتي
نصبح كيف اثبات سكرـــــران * من غير خمر هايم والوجد افنانني
واخبيري من هول ولـــــان * انراقب لوصال اهنيأ يوفاني

4 - القسم الاول :

وماعن كهلى املت واحمزل الحب ارزان
يدريهم من به كان بالفركا مايبسا
ايسلم عشقي اولا يزيد املام اعليا
ومابحت ابما اخفى ودمع اعينني طوفان
وما ندهل ساكني اروح الذات افهيا
فمسايغ لغرام صاك لي بجنود اقويا
وما حرمت لمنام باشواقى من لجنان
وما حرب بالحيوش مير العشيق اعليا
وما من ليعات فالخشا منو مكيا
وماغرد فالبهيم طرفى ونا يقظان
وما راقبت لالهال فغروب الذهبيا
يطلع كوكب هلتى امعا ابغير اخيا
وما بحديت لوصال بعد انحدث ادهان
تترهى وانقول ياهلال الزين انتيا
مالكاونا غلام يابوتيت اهنيأ
ثم تنوالى الحربة والاقسام الباقية كل قسم بكرسيه ، ونذكر منها
القسم الاخير وهو خال من الاسم والدعاء والهجاء نظرا لان بالقصيدة دريدكة،
الصدر مرمر به يوصـــــان * وانوابغو اتفافح زهوا ترضانني
والضعدين ابروق لمـــــزان * اكفوف من الكمخا وارطب من فاني
وامقايس زندين البـــــان * بخويتم الذهب تكليل اعقيانني
والبطن الطاوى اعلى اقماش الهنـــــداروان
والسرا طاسا اوصافها فتناء امزيا
من لوريق انعوم في اعتيق من الحميا

والبردق المالى امع لخصر وافخاذ السيقان
 كن اسوراي فى اوصافها نفها كليسا
 والساق المدعوج عن اقدام الوصف اهديا
 لجمالك نهدي اعشور لوصاف ابغز وثمان
 وماوصف ابهاك ما اتحد اثناء اسجيا
 لازلت امسلى ابصورتك صبحا واعشيا
 نصر الله ابهاك ياوداد القلب اللفان
 ياقد اعلام المبارزا يوم المشليا
 يامن لازلت اعلى اوصاف الحسن اصيبا
 كب واملا الرايقا بالخمر الكيسان
 هات لى حتى انقول فتمام الخمرىا
 بشرا واهنيا اعلى اقنوم الريم اهنيا

5 - التريكة :

خذ ارأوى روض لفتان * فمديح لال بوتيتين اهنيا
 بها زال الهول واهوان * صعبى واشهدت باللحطين اهنيا
 بها سعد الفال وازيسان * سعدى وراحتى بعد البين اهنيا
 ولفى من نهوا افتيهان * وناثبالها فى تحصين اهنيا
 واتماضت اهموم لحزان * بوجود مالكى بدر الزين اهنيا
 بودواح اسبيغ لجفان * ذات لبها وحمى الرشفين اهنيا
 بهنيا لازال فرحان * قلبى اولايلى اعليها فين اهنيا
 اهنيا للذات سلوان * هنو الريم كحل الشفرين اهنيا
 اهنيا بها العنوان * مختوم فى انهايت تضمين اهنيا
 واسلامى من غير بهتان * لهلالها ولها فالحين اهنيا
 اعقب اشدها افكل بستان * يهدى اتسيم طيبو من طيب اهنيا
 قال ابن الحسن يعلان * مملوكها افزوج اتسعين (I) اهنيا
 اشريف النسب المضممان * لازال فى امجبتو تمكين اهنيا
 واهل الجود احباب واخوان * يتوادو ابطيب التفنين اهنيا

(I) يشير باثنين وتسعين الى مجموع قيمة حروف اسم محمد .

رادف اساقى املا الكيسان * بوجود مالكى بدر الزين اهنيا
ياربى وانت الرحمان * اجعل لختم حسن ليقين اهنيا
ثانيا : قصيدة «الذهبية» لانجار وهى من مكسور الجناح :

1 - دخول القصيدة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا
بوجود لامتى والقوم الى لامى
ماجاوا لنا اخبصار
قرب لى نسطاب فرجتى بعقيق الحميا
بشرا اعلى الرضى كاس كب امدامو
واحنا ما بين الاشجار
فى بستان ارفيع امحتفل وادوات الحسينيا
فوق الروض امع الورد راها ترقص قدامو
واتكلم فرغت لطيار

2 - الحسرة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا * شف لبهيم حين اتمكن بظلامو
واهلب عن ضى النهار

3 - عروبة :

اساقى ساعت الزهو تحبى لقلوب * واتسلى بالفراح بالشوق الجالى
اساقى صاحب لهوا عقلو مسلوب * مولوع بالريام والكاس المالى
شف الحودات حين تاكت من الحبوب * هاذيك الذى اتصول بالذكر السالى
ولا فاتو ابحال ساعت اليوم اليالى

4 - القسم الاول :

أ - دخول القسم (مكسور الجناح) :
لله فين توجد هذا الفرجا اليوم

ب - لطيلعات :

لما امحضر برباب وعيدان
بين لتشين امع الرمان

جالسين اريام اشيان

تحت لغصان

هذا الذاك سكران

ج - بيت ينتقل به للحربة :

واريامنا ايرقصو من غير اخفيا هاجوا وهيجو قلبي صاب امرامو
وارشفنا كاس لعقار

وتستمر الاقسام الثمانية على هذا النحو ، ونقف عند الأخير :

خذ من الدر ولزمرد عقد انفيس يحيى روض العشيق ويشرح الجلاس
به انهد ليجود والي كان اعكيس لني حبر النظام معنوى قياس
واسلامى للشياخ دهات التجنيس بالندا امع لعير عن سايير جناس
من لاطاع لشيخ لابد يمساس

خذ لقماش يامن لاتدرك له سوم

محال اتوجدو فخزين اتجار

هدبه القوم الفجار

قل لهم قال انجار

هيت انجسار

نغما الكل فجار

الى ادعا ابجهلو مافيه امزيا شيخ لكلا بحدو ينج فخيامة

ما حملوه اهل لجدار



نظام القافية

ويطلقون عليها «القافية» و «الحرف» .

يقول الجيلاى اميرد فى سرابة له :

قالت ناس الشعر والقوافى « الزين ابلا تيه صورتو تعداد

ويقول ادريس الميرنى فى ثورته (I) على قيود الوزن والقافية :

أنا بغيت ننظم والحرف ابدا يغور

اعلاه مايكون الشعر ابلا حرف

وقد كانت القافية فرصة للشاعر الشعبى ان يظهر براعته . واجماع

الاشياخ أن هذه البراعة تظهر فى امرين :

أولهما : استعمال القافية على حرف واحد ، ووصفوا القافية التسمى

تكون كذلك بأنها على «مخها» اى لم يدخلها حرفاً آخر . وسنرى ان غير

قليل من القصائد سارت على هذا النوع من القافية الصافية اذا شئنا أن

نترجم المصطلح الشعبى .

ثانيهما : استعمال قوافى داخلية فى البيت ، ويذكرون لذلك نماذج

فريدة : منها ما نجد عند المدغرى فى «الحاجة» حيث جعله مكوناً من سبعة

حروف حيث يقول :

من بك قالى قلت الحاجا

حاجا

بحواجب نقشات خرقت لهاج

واخدود طاهجا

واغوانج

واجعابها افروج

(I) سنتحدث عن هذه الثورة فى الفصل الثانى من الباب الثالث لى
ترجمة الميرنى .

اعلـوج

ومتها ما نجد عند هاشم السعداني في «الساقى» حيث جعل البيت
مكونا من أحد عشر حرفا ، يقول :

غـدر يـاسـاقـى
مـن اـمـدـامـك نـسـقى
يـا طـيـب لـخـلـوق
اـسـقـينـى بـالـرـيق
وـالـرـحـيـق
وـاـشـمـق
مـن ذـاتـى الشـايـقا
وـارـحـم مـن شـاق
لـلـمـسـاق
يـاك المـعـشـوق
حـق يـوفـى لـعـشـيقـهـو

ويقول الاشياخ ان عبد الهادي بناني زاد فنظم البيت في «الساحى»
مكونا من ثلاثة عشر حرفا. والاسف اننا لم نوفق في العثور على هذه القصيدة
أو حتى على جزء منها .

القافية في الأقسام :

أولا : البيت :

1 - المثنى : يسير فيه نظام القافية على هذا النحو

أ - التزام قافية واحدة في الفراش والغطاء (1 - أ) ، وقد تكون :

1 - بنفس الحركات كما عند الحاج ادريس لحش في «المرحسول»

وحريته :

القادى للرباط هـاك اسلامى لسيادى « اولاد الولى بن لمهيدي

2 - بحركات مختلفة كقول الشاوي في حربة «الوصية» :

يا لنايم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تغنم ربحك وتفوز ابلغنايم والطاعنا

ب - التزام قافية في الفراش وأخرى في الغطاء (1 - ب) كما عند

الجيلالى امتيرد فى قصيدة «ضيف الله» وحررتنها :

اضيف الله رد لجواب اصغى لى : لا تحشم رد السلام

وكما عند ابن على فى «الهجران» :

ايلا تهجرنى اخيلتى مصبرنى لجفاها

ويلا تاهت عن اوصالها مانقطع لياس

ج - قد تسير أبيات القصيدة كلها على قافية واحدة ، وقد تخضع

لبعض التغيير ، وخاصة فى «قياص لشركى» حيث تسير أبيات القسم على

قافيتين ، وتكون قافية الحربة على حرف الابات الاخيرة فى القسم ، ومثلها

قافية الدخول ، وتتخذ هذا الشكل :

1 - الدخول : ب ب (فى عدد معين من الابات)

2 - الحربة : ب - ب

3 - القسم الاول : ا ا (فى عدد معين من الابات)

ب - ب (فى عدد معين من الابات)

4 - القسم الثانى ج - ج (فى عدد معين من الابات)

ب - ب (فى عدد معين من الابات)

5 - القسم الثالث : د - د (فى عدد معين من الابات)

ب - ب (فى عدد معين من الابات)

وهكذا يبدأ القسم بعدد من الابات على قافية جديدة ويعود للقافية

الاصلية التى تسير عليها الحربة ، ويسمى هذا التغيير أو بالاحرى هـ :

الانتقال من قافية الى أخرى ثم العودة الى القافية الاصلية «السراج والرواح»

واشتقوا منه «اسرح وراح» (I) .

ومن الامثلة على ذلك «العرصة» للتهامى المدغرى .

يقول فى دخول القصيدة :

حل عينك واتنزه زرد شوف واسطاب : فى ادواح العرصا وزهارها اعجيبا

اغصانها بالفرجات اتعانقوا بترحاب : كيف عنق لحبيب احبيب بعد غيبا

اتمايلو وعربطو فرياضهم بشراب : من اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا

الزهر يضحك والطل يبكى افتنحاب : كن عاشق تضحك لبكاه شى احيبا

ولو تار اتجاوب بانغام عود وارباب : فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا

(I) كذلك أطلق الاشياخ «الرواح» على نهاية القصيدة او نهاية القسم .

ويقول في الطربة

يا لعرصا صول فرحى ابطيب لطياب
طيبك سيدى ولد الساكنين طيبا

ويقول في القسم الاول

شف لبلنزا صانت فى احضان سلطان
قدما واقدرها باثنين زين فى زين

عاليا فسمها لها من لبها شان
فى احجاب احبان مارات كيفها عين

عرسها ما حاط ابوصفو البيب فوزان
لو يزول اقمعتى انعتوا سنين فسين

فى ارياض الملك امرى ابصور واصحاب
ولياه السلسا فجدد اولو اعذيبا

امخت انسيم الصبح بنسيمها الهباب
كابرا اختريت طيبا طيبا اخصيبا

ويقول في القسم الثانى :

شف رنج التشمين اليم كن خودات
من ابناك العربان الصايلات باليت

بالعقيق اعقيان امخسا اكلاذات
ابطالها من بهم ستفات دايم اتغيث

دى اتيه اعلى هاذى كابرات فخنات
زايدات اعقول الى شافهم تستيت

نالرحيل اعجبوك الراشكات لهداب
فالوادج وهمارو رايدا انجيبا

حايطابهم اسود السروت لنجاب
ويح من شاط ايعاود قصتر اغريبيا

وهكذا يستمر فى بقية الاقسام يبدأها بثلاثة أبيات على قافية جديدة
ويعود فى البيتين التاليين لقافية الباء :

وليست كل القصائد تقتصر على ثلاثة أبيات ثم اثنين ، بل أنا نجد بعضها يسير على ستة بدل ثلاثة كما عند الجرازي في قصيدة «المعراج» مع ملاحظة أنه في قافية الابيات الستة لم يلتزم حركة واحدة، ونمثل لها بالقسم الثاني حيث يقول :

حين وصل للقدس وعاد في احما
ادنا الحلقت لنبييا بعد شافها
ثم ربط البراق اخلفو اوراه
زاد للمسجد احضرتو اينالها
ثم صلى ركعتين وثال مبتغاه
بعد صلى ترك البقعا وفاتها
بعدها جبريل اباناء باش جاء
من خمر والانا لخرنا اختارها
من لحليب اروى الساكنو اظماه
قال جبريل الفطرا حزت فالها
ليه نصب المعراج وقال في الغاه
عول الجولا لا مخلوق جالها
الى حضرت من اختارك دون من اسبق
امن الرمال الى نورك عنها اشريق
ازداد شوق المحبوب أشاق للملاق
حين صعد وجبريل امرنسو ارفيق
أما الحبرية فعلى حرف القاف كالبيتين الختاميين .
وكما لاحظنا أن القافية في الابيات الاولى مختلفة الحركات فـ
الفراسخ والغطاء فانا قد نلاحظ مثل هذا «القياس» ولكن بقافية مختلفة على
هذا الشكل :

أ - ب

أ - ب

أ - ب

ج - ج

ج - ج

مثال ذلك قصيدة «الذرة» لابن علي ، وهي على حرف الباء في الحربة

والدخول

ما ينقصو في ملك الله ما يزيدو

أولا يليهم في ملك رب لشيأت تصراف

كيف شا يفعل ماشا ولحكام بيبدو

أولا حدث افساير لشيئا غير باش يعرف

كان فالملك اعلى درا بجل جودو

أولا تحملو درا ولا بحمل يوصف

غير احمل القدرا والقدرا من العرب

افلشيأت اقدرتو واعلى لشيأت غالب

كون الكونين وما من لكوان يوجب

افرض امن الدرا ما شا رب لرباب

على أنه ليس كل قصائد «قياض لشرقي» على هذا النمط في القافية

حيث نجد بعضها التزم قافية واحدة في كل القصيدة ، مثال ذلك قصيدة

للعلمي في «الحكم» يقول في حريتها :

زال تقليد من صلي افخلف لمام » ايلا ايكون افسر اضمير ايقين جازم

فقد التزم الميم الساكن في كل الابيات والاقسام .

2 - الثلاثي : ويسير نظام القافية فيه على هذا النحو :

أ - التزام قافية واحدة في كل الاشطار وان اختلفت الحركات على حد ما نجد

عند الفقيه العميري في «زهرة» حيث تتخذ القافية هذا الشكل :

أ - أ - أ

وهكذا في كل ابيات القصيدة ، وهي التي يقول في حريتها :

انت مكمولت لحاسن زهرا » يارياض امزخرف بشمار

وانت زهرت الزهور وانت لغزال ازهيرو

ب - عدم التزام القافية في كل الاشطار ، وتتخذ ثلاثة أشكال :

أجى بوصالك ما سخيت واتعالى * يمدار صاحب الحال
داوى اجوارح اعليلا * أشوم ليعتق من افراق البتول
ومثلها قصيدة «فارحا» للمدغرى حيث التزم الحاء مع اختلاف كذلك في

الحركات :

دسنى تحت لخلال بين ادروك لملاح
واللهيا والهدواح
وانهداتك تفاحا

خفت ايشرفنى اعيونك ايجرحونى يا فارحا
ب - اختلاف في قافية الاشطار كالنزام الاشطار الثلاثة الاولى لحرف
والرابع لحرف آخر على هذا الشكل :

ا - ا - ا - ب

ومثال ذلك قصيدة «طامو» لامتيرد ، فقد سار في الاشطار الثلاثة الاولى
على حرف الجيم بحركة واحدة وفي الشطر الرابع على الميم ، يقول في حربة
القصيدة .

طامو يا طامو الحجاج * بك اقوى عشقى وهاج
واسكن وسط اسيار لهاج * وارضىيت احكامو
مع ملاحظة أنه يسرح ويروح ولكن ملتزما بحرف الحاء فى اول ابيات
الاقسام على هذا النحو من قوله فى القسم الثانى :

فالبهجا بين لملاح * بها كل اعشيق ناح
طاب ارياض اشدها وفاح * وعبقت ادواحو
ويستمر كذلك بضعة ابيات ثم يعود للقافية الاصلية فيقول :
بحرى لام ادلال ملاح * عذبي مارات اغنجاج
نردع بها قوم اللجاج * من لا يولامو

4 - الخماسى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :

ا - النزام قافية واحدة فى الاشطار الخمسة مع اختلاف فى الحركات

على هذا الشكل :

ا - ا - ا - ا - ا

مثال ذلك قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، فانه التزم فيها الميم ، يقول
في حربتها :

قالت يما اتقول طامــــو * قلت وايبك يالطــــام
ياقد اعلام فاللطــــام * قالت ترا ايقول طاما
ترات ايقول فاطما

ومثلها قصيدة «لفزال» للجيلالي امتيرد فانه التزم فيها الكاف ، يقول في
حربتها :

هل لي بالفارخا ايلاكــــى * ويبوح حيها لخليــــك
لاين بوصيدها اغليــــك * لفزال الشاطنا اخلاكــــى
ما هو فنجوع خالكا

ب - اختلاف القافية في أشطار البيت ، وتتخذ مثل هذا الشكل :

أ - ب - ب - ج - د

مثال ذلك قصيدة «أسادتي اولاد طه» للحاج ادريس بن علي ، فانه جعل
الشطر الاول على حرف الهاء والثاني والثالث على اللام والرابع على الميم
والخامس على الراء ، يقول في حربتها :

أسادتي اولاد طاهــــا * برضاكم عالحوا الحال
يا ناس الجود ولفضال

أنا في عار للا فاطمــــا * الزهرا الطاهــــرا

ومثاله كذلك قصيدة الطيب الواستري «تاج لريام» فانه جعل الشطر
الاول على حرف الياء والثاني والثالث على الميم والرابع على الباء والخامس على
الفاء ،

يقول في حربتها :

رغبوا تاج لملاح فيــــا * ايجيني غير بالسلام
ويراعي صلت لكرام
لاخير فاللي اجفا احبيــــو * واغدر بعد لموالفا

ثانيا : مكسور الجناح :

تخضع القافية فى هذا الوزن لنفس تقسيم القصيدة ، كما سبق أن رأينا ، وتسير على هذا النحو :

1 - دخول القصيدة - ان وجد - يكون على حرف قافية الحربة (أ)

2 - الحربة : على نفس القافية (أ)

3 - دخول القسم : (مكسور الجناح) على قافية مختلفة يلتزمها فى دخول كل الاقسام (ب)

4 - المطيلعات : وهى لا تسير على نمط معين داخل القسم الواحد ، وتختلف حروف قافيتها من قسم لآخر .

5 - البيت المهد للحربة ، يكون على نفس قافيتها (أ) .

ويمكن الرجوع الى النماذج التى مثلنا بها لهذا الوزن فى الجزء الاول والثانى من هذا الفصل ؛ ونضيف اليها هذا النموذج ، وهو قصيدة «الجلار» للمدغرى ، وقد بدأها مباشرة بدخول القسم ، فانه التزم حرف القاف «الجلار» التى دخل بها للاقسام وجعل للمطيلعات قوافى دون تقييد داخل كل قسم وجعلها تختلف من قسم لآخر ، وسار فى قافية البيت الختامى على نفس قافية الحربة وهى الراء ، والتزم ذلك فى البيت والحربة فى كل القصيدة . يقول فى القسم الاول :

أ - الدخول : مهما اتخاصم العنبر والمسك العبيق

ب - المطيلعات : واهلال عيدو البرنى والغرار

ولمدام أكاسى البلار

والموبرا شغل الحرار

واكدالك فوق زخار

صارى اقويم

ج - البيت :

والطماج اعليها اتكأبحوا بجهـاراً ۞ ايشمروا الحرب اسقاراً

بينهم اعلى تاج الزين افلمضامـر ۞ شلا نحكى اليوم صـار

د - الحربة :

بين الورد والزهر والجلال * والظليم والحديد
والرخام اتفاح اقوس والشنابر * خرجوا على عانسى الكحار
ويقول فى القسم الثانى

أ - الدخول : واسباب ما حكيت اخرجت افداج لغسيق

ب - المطيلعات : تسدر فى ارياض امفتح لكمام

صبتهم ايشيروا بكلام

فى احروف امعانى واخصام

دون تدمام

عن عانسى ام احرام

جالو او جولو

ج - البيت

دخلوا ميدان كاخيول الغبارا * دالذا يعيظ ورا
بالمعانى واخصام اكثير ولمعاير * ما حشمو ماتقاوا عمار
على أن من الشعراء من التزم فى هذا «القياس» حرفاً واحداً فى قافية
كل القصيدة سواء فى الدخول أو المطيلعات أو البيت والحربة ، مثل الحاج
أدريس بن على لحنش فى قصيدة «أم الغيث» ، فانه التزم التاء فى كل الاشطار
والايات ، وقد سبق أن ذكرنا جزءاً من قصيدته .

ثالثاً : المشتب :

يلتزم فيه الشاعر نفس القافية فى البيت والحربة ، أما المطيلعات التى يحشو
بها البيت فلا تنقيد بقافية سواء داخل القسم الواحد أو من قسم لآخر . وقد سبق
أن مثلنا بقصيدة «التوبة» لابن سليمان و «قمر الدار» لعبد السلام الجبري
فى الجزء الاول من هذا الفصل وهما من خير الامثلة على ذلك ، ويمكن أن
نشير لنظام القافية فيهما بهذا الشكل :

القسم : أ (- - -)

أ - ب - ج

الحربة : أ - أ - ب - ج

رابعاً : السوسى :

تسير فيه القافية على هذا النظام :

- 1 - تلتزم فى كل الاقسام قافية البيت الذى يبدأ به القسم .
- 2 - لا تخضع الاشطار المرسله لاي تقييد سواء فى القسم الواحد أو بين الاقسام .
- 3 - تلتزم قافية الابيات التى يختم بها القسم فى كل الاقسام .
- 4 - تلتزم قافية هذه الابيات فى الحرية أو بالاحرى تكون هى على حرف الحرية ، فهى تمهيد لها وزنا وقافية . ويمكن تحديد شكل هذا النظام كالاتى :

البيت : أ - أ

المطيلعات : دون تقييد

الابيات الممهدة للحرية : ب - ب - ب - ب - ب

الحرية : ب - ب - ب - ب - ب

ويتضح ذلك من خلال القسم الذى مثلنا به فى الجزء الاول من هذا الفصل من قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن يعقوبى .

القافية فى المقدمات :

أولاً : السرابية :

سبق أن قلنا فى الجزء الثانى من هذا الفصل أن الكثير من «السراب» ضاع ، ولم يبق منها الا القليل . ثم ان السراب الموجودة لا تعرف قصائدها فى الغالب ، ومن هنا كانت صعوبة النظر فى قوافيها وتحديد النظام الذى تسيير عليه سواء فى أبياتها أو بالنسبة للقصيدة التى تقدم لها ، وزاد فى هذه الصعوبة أن الشعراء اليوم قلما ينظمونها ، وان فعلوا فانهم يجعلونها مستقلة .

ومن فحص السراب التى وفقنا الى جمعها - وهى جد قليلة - نستطيع أن نذهب الى انها تسيير فى القافية (I) على شكلين :

(I) نلفت النظر الى أن ارتباط قافية أبيات السرابية بقافية النواصر التى تتخللها شبيه بالارتباط القائم بين قافية أقسام القصيدة وما فيها من سويرجات (انظره بعد سطور لدى الحديث عن القافية فى السويرجات)

٢ - أن تكون على حرف واحد فى القافية ، ومن الأمثلة على هذا الشكل
سراية ابن على التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الراء :

أُقلبى كن عن امصابك صبار * الصبر مفتاح الكنوز والذخيرا
ومنها كذلك سراية المدغرى التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الحاء :
أنا الى ابغرام قلبى مجروح * ولهوى منوفانى ماجبرت راحا
- أن تختلف قوافى أبياتها ، ويبدو لنا أنها لا تخضع فى ذلك لنظام معين ،
وتسير مع طبيعة النغم والايقاع ، وان كنا نلاحظ أنها تكاد تكون فى التقفية
قريبة من العروبي ، ويظهر ذلك من أول جزء فى سراية لامتيرد ، يقول فيه :
اعلاش أمحبوب خاطرى تجفينى * الجافينى واعلاش دالجفا
حببتك من خاطرى ولارديتنى * كاتمينى يا شارد لعفا
خالفت فالةول باش وعدتينى * ولا وصلت رسمى فاسيت ماكفى
قالت ناس الشعر ولقوافسى * الزين ابلاتيه صورتو تعدا
والخير صاحبو يعرف

ثانيا : العروبي :

ويسير نظام القافية فيه على هذه الاشكال :

١ - أ - ب

أ - ب

ب

حيث تكون «للفراشات» قافية و «للعطاوات» قافية مختلفة ، وعلى حرف
«للعطاوات» تكون قافية «الردمة» . ومن الأمثلة على ذلك «عروبيات» قصيدة
فاطمة لامتيرد ، ومنها عروبي القسم الثانى من القصيدة :

كان اسهيتى اتقضى من حال اسهوك * ويلاتهى التيه اتعريك ايامو
نظرى بلامح لبصار الى سبـوك * كما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو
سيرى حتى يشرب عودك بالجامو

ويلتزم ذلك مهما كثرت أبيات العروبي على حد ما سبق أن مثلنا فى
الجزء الثانى من هذا الفصل .

2 - أ - أ

أ - أ

أ - أ

أ

حيث تكون كل الاشطار على نفس القافية . ولكن مع ملاحظة أن حركة حرفها في «لفراشات» تختلف عن حركاته في «لغطاوات» وان حركة قافية «الردمة» تتفق مع حركة حروف «لغطاوات» ونمثل لذلك بعروبي القسم الاول من القصيدة «التطوانية» للحاج ادريس لحنس حيث يقول :

نسعاوا الله فالنصر نعم الرحمان * والفتح الايزول والظفر وتمكين
واجب نتوجهو ونحتالو ببيان * لقتال الكافرين ونسألو المعين
افدوق امع ليمان وينصر السلطان * نعم المنصور سيدنا سبط الحسنين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

وهنا كذلك لا نرق بين أن تكون الابيات قليلة أو كثيرة . والملاحظ أن العروبيات في القصيدة الواحدة لا تلتزم قافية معينة حيث يستقل كل عروبي بنظام معين للقافية .

ثالثا : السويرحات :

يكون نظام القافية فيها كالآتي :

I - ان تلتزم ابياها نفس القافية وان اختلفت الحركات ، وفي هذه الحالة امان تتفق هذه القافية مع قافية القصيدة أو لا تتفق ، لا فرق في ذلك بين أن تكون السويرحة كثيرة الابيات أو قليلتها .

أ - من نماذج الاتفاق سويرحات «تصلية» محمد الشاوي ، وهذا مثال منها يمثل سويرحة القسم الرابع :

يعجز فوصافو كل ناشد * وافضايلو لكثيرا شلا ينعدادو
لو كان البحر امداد نافد * والارض كالواح اتمثال انشادو
والخلق ايوصف فالشواهد * لا وصفو اعشور افضايل امدادو
فهى على حرف الدال الذى فقيت به كل القصيدة على ما يبدو من

حربتها التي تقول :

صلى الله اعلى الشفيح نور الحق المرشاد

عين الجود الطاهر الزكى ربى وامنادى

طه مول التاج واللو والحوض المسرود

ب - ومن نماذج الاختلاف سويزجات قصيدة ادرسية للغرابي نذكر منها

«سويزجة» القسم الثاني ، وهى :

نور اجدينك نور وهـاج * يوهج فى ادخال امهاجى فاد باجو

يعلا ويفوق نور لتـواج * يصرع كل غاوى يقصم باعجاو

به الحق اشهر لبـلاج * والى ايكون كاره عو بعاجو

فقافية السويزجة على حرف الجيم فى حين أن القصيدة دالية كما

يتضح من الحربة ، وهى :

غثنى واحمنى من اعدايا بدر الوقاد

واتشافع فعييد عاصيا تاهت موكودا

أمولاي ادريس يا هلال العز السعود

2 - ألالتزم أبياتها نفس القافية فتتخذ شكلين :

أ - قافية موحدة فى «لفراشات» واخرى «لفطاوات» لا علاقة لها

مع قافية القصيدة ان كانت ثنائية الاشطار : أ - ب

مثال ذلك سويزجات قصيدة «خديجة» لامتيرد ، وحربتها :

لوصول اتوصول * صولى يامولاتى اخديجا

صولت عيلا وجازيا صولى ياسلطانت الريام

وفى سويزجة القسم الثانى يقول :

عتنون اغبت الصـلاح * جيد أركبا رغبة شهاد

واضعود اصرازم لكفاح * والصدر امحصل النهاد

ابطن واعكون للفـراح * سرا وارداف للعـساد

ب - على الشكل الآتى ان كانت رباعية الاشطار :

أ - أ - أ - ب

ومنه سويزجات «الدمليج» لمحمد الدمناىى الناصرى على حد قوله

في سويرجة القسم الاول من القصيدة :

يا مسرار السموات * بك احيات اجسادات
فخلوقك السموات * فأيقنا راح اصوابح
ما مثلك فخلوات * كابرنا فامحبات
لظرا غيك اغرصات * سألنا لاهل اتسابح
صول ابو نجللات * بوصافك تجللات
لبحاسن واجللات * صورتك كل امصابح
ونلاحظ هذه امرين :

احدهما أنه قد تنفق جميع سويرجات القصيدة الواحدة في نفس
القافية كما في قصيدة «التصليّة» للشاوي وقد سبق أن أشرنا اليها .
الثاني أن يكون لكل سويرجة - داخل القصيدة الواحدة - نظام معين
للقافية يختلف من واحدة لاخرى على حد ما تكشف عنه قصيدة «خديجة»
لامتيرد ، وقد سبق أن أشرنا اليها كذلك .
القافية في الدريدكة :

تنظر فيها من وجهين :

1 - قافية أبياتها : والقالب أن تكون موحدة في «لفراش و لقطا» ، وإن
اختلفت الحركات ، وتكون على هذا الشكل أ - أ
وعلى هذا النحو سارت أغلب الدريدكات التي مثلنا بها .
وقد تختلف قافية «لفراش» عن قافية «لقطا» فتتخذ هذا الشكل :
أ - ب

ومن الامثلة عليها دريدكة قصيدة «عنية» لمحمد بن الحسن ، فهي تسير
على هذا النحو :

خذ أراوى روض لغنان * فمدح لال بوتيتين اهنيا

وقد سبق أن اوردناها .

2 - من حيث علاقة قافية أبياتها بقافية القصيدة وما فيها من سويرجات ،
ويكون على ثلاثة أشكال :

أ - أن تنفق قافيتها مع قافية القصيدة بما فيها السويرجات . مثال

ذلك دريدكة «تصلية» الشاوى فانها على حرف الدال كبقية أبيات القصيدة.
ب - أن تتفق قافيتها مع قافية السويرحات وتختلف مع قافية بقية
أجزاء القصيدة . مثال ذلك دريدكة «مسعودة» للمدغرى ، فانها على حرف
اللام ، وكذلك السويرحات ، أما بقية أجزاء القصيدة فعلى حرف الدال ،
يقول فى البيت الاول من الدريدكة :

مسعودا تشفى العلال ❖ عشقى افحبها عمرو مايتبالا
ويقول فى البيت الاول من آخر سويرحة :

الزين احكامو اعلى حال ❖ حب الله فاز ابهيا واجلالا
ويقول فى الحربة ، وعلى قافيتها سارت كل حروف القصيدة :
ثولر المسعود ياطلوع اكواكب لسعاد
أنا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا
وانتيا بدر السعود وانت لهلل اسعود

ج - أن تختلف القافية فى الدريدكة عن قافية السويرحات وسائر
أبيات القصيدة ، مثال ذلك دريدكة «الذهبية» للتهامى المدغرى ، فانها
جاءت على حرف الحاء فى حين جاءت قافية السويرحات ميمية وقافية
الاقسام رائية ، يقول فى أول بيت من الدريدكة :

خذ العشق بين لفصاح ❖ درتو امقابل الصبرحى بفصاحو
ويقول فى أول بيت من سويرحة أول قسم :
شف الشمس ارخات لكمام ❖ عولت للرواح افتيها واقياما
ويقول فى حربة القصيدة ، وهى على قافية الاقسام :
شوف الذهبيا اخدود هامن ذهب التشحار
وارخات اصروع اللجام فوق الرطيان اتغير
نعنيها شكرا امختنا من خيل المنصور

عروب القافية :

وقفنا منها على ثلاثة :

أولا : السقوافى «الصيدية» :

جرت عادة شعراء الزجل المغربى أن يستمدوا قافيتهم من موضوع

القصيدية ، وهي ظاهرة تتضح في معظم قصائد المحبوبات حيث يكون حرف
القافية متفقا مع آخر حرف في اسم المحبوبة ، ومن الامثلة على ذلك قصيدة
«كنزة» لابن علي ، فانها على قافية الزاي ، يقول في حريتها :

ماكيف اوصالك كنز * وافضل من مال ايلا كنزوا

عاجتي يا شمس لحاسن كنزا

ومنها كذلك قصيدة «للاحسنا» لعبد الرحمن بن الفقيه ، يقول في

حريتها :

ألا حسنا * ماصايلا الحسنك حسنا * أيا روامك الوسنانا

درت لحاسن * حسنك به لبدور سنا

صولي بكمال زينك المحسون

وتتضح هذه الظاهرة كذلك في بعض الخمريات مثل «الكاس»

للمدغري ، يقول في حريته :

الساقى وكس لعناس * رادف الكاس

واسطاب امع الريام طيب اوانسا * لاثرتي للبرئيس

ومثله «الساقى» للعلمي حيث يقول في حريته :

راح الليل اعلم لفجرتاك الصبح الراقى * ياساساقى

دور اعلى الحضر بفناجلك تزيان الموسيقى * وازرع للساهى ايفيق

واعتبروا القصائد التي لا تسير على هذه الظاهرة معيبة وأطلقوا عليها

«قصائد صيادية» ، ومن الامثلة عليها قصيدة «طامو» للمدغري ، يقول في

حريتها :

نصرو رايت لكفصاح * بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفير والغنج الدباح

طامو ياقوت الروح

ومنها كذلك قصيدة «ميناء» للحسن بن شقرون ، فانها على حرف الميم ،

يقول في حريتها :

ميناء باشت لمصلاج * مينا روح ادخالي وراحت واصلاج

من اجفاه جمرى لحلاج * طعننسي دون امصلاج

ثانيا : اتخاذ الهمزة قافية :

على الرغم من أن شعراء الزجل نظموا قصائدهم على قوافي من مختلف الحروف ، فإننا لم نعتز لهم على قصائد في حرف الهمزة ، وتبين لنا بعد بحث هذه الظاهرة أن العامية تحذف الهمزة وأن استعمال الهمزة فيها يعتبر من «البرص» الذي سبق أن تحدثنا عنه (I) ، وأن اتخاذها قافية يعتبر بالتالي برصا كذلك

ثم حدث سنة 1965 أن ولدت لجلالة الملك الحسن الثاني بنية سماها «أسماء» فأخذ الشعراء ينظمون قصائد في التهنئة على قافية الهمزة :

من ذلك قصيدة للشيخ الجيلالي من سلا ، يقول في حربتها :

بنت اهمام الشعب سيدنا حسن الاسماء

الاميرا اسماء

مناى امع ارجائى

قرت عين احبيبتنا وراحت لقلوب املا

ومنها قصيدة لعبد الحميد العلوي ، يقول في حربتها :

نفحت لعبير العاطر الذكى نور النور الا يطبق يشفاء الرائي

راحت سلطان اوطانا وفرحت شعبو اسماء

ومن الامثلة كذلك قصيدة لحسن اليعقوبى يقول فيها :

آش را من لا را لوطان يوم لتبساء

بالخلق المبروك ابقرت لمرائسى

أرض من بعد ماكانت كنها البيداء

من ارمال الصحرا صبحت روض مائسى

كلها حرجات وعرصات امن الرياء

امياها دفاقا واشجارها افياىسى

ولطيار اعليها من زيتها ابغساء

هيجت اصاحى بانغامها اغنائسى

(I) أنظر الفصل الثانى من الباب الاول .

وصار شعري ينساب امن الصميم كالماء
في اجداول لجراج اصاح امن احداثي
كيف مانشدي شدو الطير وسط بطحاء
بين ناسي واهلي وايخطو املائسي
وكيف ما يرقسي شعري اعلى اللغا الخنساء
ولبشايير بالسعد اتتنا اصدائسي
وكيف ما نطهج كيف طهجو ارجال ونساء
ونطفح كيف طفحو لبساتن لظمائسي
وكيف ما نستوحى ونانري الايحاء
لهم الكاتب والرسام والروائسي
من اخفوق المصباح الى اجلا الظلماء
طيب لعبير العابق ساير لجوانسي

ثالثا : الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج :

والسبب راجع الى أن العامة لا يفرقون بين هذه الحروف في النطق ،
من ذلك خلطهم بين الدال المهملة والذال المعجمة ، يقول محمد بن الوليد
في قصيدة في «المدح النبوي»

لولاك لا يغاثا لاجفا لانار لاجير صراط اعدى

لانهار لا ليل خلف ذا افهاذا

ومنه خلطهم بين التاء المثناة والتاء المثناة ، يقول محمد ولد افريجة

في أول قصيدة «خنانة» :

يا ذات الزين الوارث .. امنين امجيك أمولاتي الخندا

سبحان امن انشاك أقد الرمح الصقيل ارايا في تسجيح بن شجعان ازناتا

ومنه خلطهم بين التاء والطاء ، يقول محمد بن عمر المراكشي في حربة

«الزردة» :

واضيغ افرسا ملا ايليه ضرسات .. كيلوج فوضيغو عاد تيسرطو

ومنه خلطهم بين الضاد والطاء ، يقول احمد ابجيوات في حربة

«ترصة الرضا» :

سولتك بالفاظ * مدرا زعما ياعرضت الرضا * هازلت فالعز ولظنا
واحجابك لغلبيظ * والا ماك الغير خوضو
ونجد عند الحسن اليوسى فى «المحاضرات» نموذجا من الخلط بين
الضاد والظاء فى زجل لآحد شعراء هوارة لم يذكر اسمه ، لعله عروبي ، وهو
قوله :
يا ابرك لى الزمان واركبت اعليه * والى راد بى المولى المتناه اعراضا
برك لى مركوب مانى ضاربـه
ما نحساب ايامى اعليا مقتاضا
نصبر لحكام المولى حتى تتقاضى
وقد علق عليه اليوسى بقوله «قوله مقتاضا من الغيظ وابدل من الظاء
عنا ضادا» (I) .

(I) كتاب المحاضرات ص 49 طبعة حجرية .

وعند الحل فى «العاطل الحالى» ان الخلط بين هذه الحروف من
المنوعات فى الزجل . وقد أشار فى الورقة (53) ظهر ، الى شعر لابن قزمان
فيه استعمال الظاء مع الضاد والذال مع الذال ، كما أشار فى (54) وجه ، الى
استعمال الذال مع الذال فى زجل لابن حسيم المغربي .

الباب الثاني

الموضوعات

الفصل الاول

المرأة

يعتبر الغزل بالمرأة أكثر الفنون إيعاء لشعراء القصيدة الزجلية بالتعبير ، فتتح قلوبهم وعيونهم وأطلق مواهبهم وقرائحهم وأخصب ذهنهم وخيالهم ، فنظروا الى المرأة بحسهم مفتونين بجمالها ، ورسوموا لها لوحة واضحة الملامح زاهية الالوان ، وتحتوا تمثالا متحرك الاطراف مكشوف الملامح دقيق القسما ، كل ما فيه رائع فتان ، يحرك القلوب ويهيج الخواطر ، اودعوه تصورهم للجمال كما تهواه نفوسهم وليس كما هو فى الواقع ، فجاء بذلك مثالا لا يعنى امرأة بعينها ، وانما نموذجا نسجوا جميعا عليه ، ولكنه مع ذلك تصور ان لم يكن منبعثا من البيئة فهو متأثر بها الى أقصى حد . فقد وضعوا المرأة فى مقام رفيع ، ونظروا اليها مخلوقا متفوقا ممتازا هو جوهر الحياة ومحور الكون . وهى نظرة مقدسة للجنس الآخر ما نظنها وليدة البيئة الحضرية التى ازدهر فيها هذا الشعر ، وانما هى وليدة البيئة البدوية الصحراوية التى نشأ فيها كما سنرى بعد . (I) وليس من شك فيما افادت دراسات البيئات من ان سكان المدن أقل تقديرا للمرأة من سكان الصحارى والارياف حيث تتمتع المرأة بمركز اجتماعى لا يقل عن مركز الرجل ، وحيث ترتفع الى مستوى المشاركة فى العمل وتحمل أعباء الحياة .

ووصفوا حالهم محبين ضعفاء ، يعانون من عشق هذا الجمال أنواعا من الجوى والشجن والشوق ، وألوانا من اللوم والهجر والنفور ، ويسعون الى الوصال بالرجاء والاستعطاف تارة ، وبالعتاب والوعظ أخرى ، ولكنهم حين يفشلون يلجأون الى القضاء عشاء ينصفهم مما يقاسون او الى الحيلة لعلها تقربهم من الهدف الذى يسعون ، وكأننا بهم فى اصطناعهم تلك المظاهر واجتيازهم هذه المراحل لا يقصدون الى غير تعميق الجرح وتهويل الموقف والبلوغ بالمأساة الى ذروة تتعدى الترغيب والتشويق الى استدرار العطف والاشفاق . وحتى هذا الجانب النفسى من الحب بدا

(I) فى الباب الثالث .

عندهم متشابها ، فجاءت حكاياتهم وقصصهم واحدة ، وكذلك جاءت آلامهم وأحزانهم وما يتخذون لشفائهم من علاج . ومن يدري ففعل هذا الشعر كان فرصتهم للتعبير عما يعتمل في نفوسهم من أدواء ليس مصدرها الحب وإنما مصدرها ظروف خارجية أخرى لا نعرف عنها شيئا .

ومن خلال كل ذلك يبدو تمثلهم للحب قويا طاغيا متجبرا لا سبيل إلى قل سلاحه أو هزيمته .

وفرقوا بين الشعر الذى يغلب عليه وصف الجمال وبين الشعر الذى تملأه العواطف ، فاصطلحوا على الاول العشق ، ومعظم قصائده تحمل أسماء الحبيبات ، ولم يتركوا اسم امرأة لم ينظموا فى صاحبته ، وتعتبر زينب وزهرة وفاطمة وخديجة أكثر الاسماء لهم الهاما . واصطلحوا على الثانى التغزل ، وتعرف قصائده بالمحجوب واللائم والجافى والعاشق والمرسول والشمعة والحمام والمرسم ، وهى كلها أسماء توحى بحال من أحوال الحب والهيام .

ولم يعتبروا من الغزل قصائد اطلقوا عليها « تراجم » ، اعتبرناها نحن من صميمه ، وهى كما يبدو من تسميتها قصائد ترجمها الخيال أى حبكها ونسجها دون ان يكون لها حدوث فى الواقع ، مثل الحجاب والفسادة والحرارز والقاضى والضييف والخلخال والدمليح ، كما سيتضح من خلال الفصل ، وكانهم غلبوا فى التسمية الشكل على الموضوع ، وكثيرا ما يفعلون .

اولا : المحبوبة

نظير الشاعر الشعبي إلى المحبوبة فوسمها **بألقاب وأوصاف** تنم عن بعض ملامح جمالها أو تكشف عن عاطفة من العواطف المتأججة فى قلبه . فزهرة بوعمر و « هلال الدارة » :

زورينى قبل الا تقبر ❁ يا هلال الدارة (I) زهرا

(I) الدارة الشئ المستدير أو الجماعة من الناس تتخذ مجلسا دائريا وتتحلق ، وبهذا يحتمل وصف « هلال الدارة » مفهومين : أولهما هلال مدور مكتمل وثانيهما هلال مضيء فى جماعة الفائنات .

وهي عنده « سلطنة الابكار » :

للا سلطانت لىكار * ما يلى سواك امرا
وخديجة اميرد «سلطنة الريام» يطلب منها ان تصول صولة
عبلة وجازية :

لوصول اتصول * صولى يا مولاتى اخديجا
صولت عبلا او جازيا * يا سلطانت الريام
وجمال حجوبة ابن على يفوق الشمس والقمر والبرق :
ياللى زينك فاق الشمس والقمر والبرق افلحجاب * صلت بحروف اعجاب
عالجنى بوصالك يالريـم حجوبا

وجمال طاهرته يفوق جمال حور الجنان :
صولى اعلى الريام ابدىك الغرا الزاهرا * ما تشبه ليك الطاهرا
حر يا تسبى امن اجنان الحور
أما زينبه فيدر غير محجوب وشمس النهار السعيد :
يا بدر ما غطاك احجاب * فالدجى يا شمس النهار السعيد يا زنوبا
شايق انشوفك يا زينب

وحبيبة ابن سليمان تاج كل جمال ومؤدبة :
لوقات احلات * جادت لى حبيبا
حبيبا تاج كل زين * اصيغت لهـداب
حبيبا فوصافها امأدبا

ولابن سليمان خديجة هى قمرية البروج وياقوتة فى تاج وريم :
يا قمرىـت لبروج * اياقوتا فى تاج
يا لريـم خديجا * زورينى يالحظ الدروج(I)
امولاتى خدوج

وخديجة المدغرى - زعيم شعراء الغزل بلا مدافع - لها بهاء وهاج،
وهى كنز ربحه وشمس ضحى مشرقة :

اسباب كيتى واهجرتى واكرايـجى او تهياجى * ذات لبها الوهاج

(I) الدروج : الغزال .

سلطانك الريام اغزالي بوسالقي خدوج

شمسك واضحا * شارقا في وسط الضحي
وانقلب اضحي

ايوب يا كنز ارباحي * طيبك نفجا
وقاطمته راية الكفاح وياقوت الروح :

نصرو رايك لكفاح * بوجنات الوضاحا
والشاما والخال والشفير والغنج الدباح * طامو ياقوت الروح
وزهرته قد الخيزرانة جميلة الاسم وراية النصر وتاج العوارم :
دام الله ايها امحاسن ازهيرو * قد الخيزران زيت لاسم زهرا
وهشومتة سلطان كل حسن :

نصرو اسباب غيواني (I) * سلطان كل حسن
شاما اهشيمتي هشوم من عزها اعليا
وحليمته ذات دلال :

الناس كلها باش اكوونا سباب اعدامي

كي اكويتها من عند بودلال احليم
وزينية ذهب التذهيب وسلطان المواعث :
انا زكت فيك اذهب التذهيب * اسلطانك الوالعات زنوبا
وفروحه همام الخودات :

ياسباب الصد ولكلاج (2) * ياكمال الزهو ولفراح
يا همام الخودات (3) افروح
وفارحته غصن مائس ومهر شرود :

قولوا لصيفت اللوامح * ياغصن ايميس قالدواح
يامهر اشروود افلبطاح
رفدى ياللا الطايح (4) * بالي سمالك فارحا

(1) الغيوان غير محدد المفهوم ، ويحمل الغواية والغنى .

(2) الكلاج : الضنا .

(3) الخودات : الجميلات

(4) الطايح : الواقع ، من طاح اذا وقع على الارض ، ورفده انهضه وأقامه .

أما كلثوم فترى اق لسقامه وياقوتة فى سلسلة من ذهب معروف
العيار وشمس تضىء اماكنه لم يستطع عنثرة بلوغها بشجاعته وسلاحه :
فى كلثوم ترى اق لسقامى *

كلثوم كنها ياقوت فى سلسلة امن اذهب تشجارو معلوم
كلثوم شمس اضواء فرسامى *

كلثوم ما ادركها عيسى فضخامتو اشجع اشناحو (I) مقيوم
وللرجراجى « حبيبة » هى مزاج الخاطر وباشت الابكار والبدر
الساطع وتهليل العز والنصر وناج الجمال والمحاسن :
نصر الله بهاك يامراج الخاطر * يا توكت لبدر * ياباشت لبكار
اتهليل العز والنصر * تاج الزين والمحاسن حبيبا
وللشيخ الشاوى راضية هى مصباح دجاء وضياء عينيه ، وهى مالكة
له بيهاثها المكتمل :

نصرو المالكى مصباح ادجايا * مولاتى لفرال راضيا
مكمولت لبها اضيا عينيا

ولمولاي على البغدادى خدوج هى ربح راحة مهجته :
زورينى ياروح راحت امهاجى * بهواك ساكنى عراج
ام اسوالف ازباجا (2) * تستاهل النصر مولاتى خدوج
وللشيخ علال الكحيلى زهرة هى باشت الصوارم والريام :
اباشت لعوارم خنارى * امعاك شرع الله اعلى كل حال يازهرا
مفروم بك لا اتجفنى * اباشت الريام ازهور
وللفقيه العميرى زهور هى تاج بنات الهوى :
هل تعطف بالرضى اسبغت لُنجال * مولاتى سلطانت الريام
تاج ابنت لهُوا ازهيرو

ولعبد السلام الجربى محبوبه هى قمر الدارة :
واجب لى نعدار * لا تلومونى فى حال لغرام
الاسى ما بيا * غير قمر الدارة

(I) يغلب على المغاربة قلب لام السلاح نونا .

(2) سوالف ازباجة اى سوداء .

أما مبارك السوسى فله زهرة تفوقت عن عبلة وجازية وكل الأبتكار :
سلبت عقل زهرا * إبلها والحسن المكمول حازت اسرارو
بشمائل لبها فاقت عل لبكار * فاقت عن عبلا او جازيا وامجاسن لبكور
وملكة الغرابلى راية الملكة ومالكة وفى حماية الملك :
أرايت لملكك ياهولاتى المالكا * لك العهد او كل ما املك
نصرو ملكا احمايت الملك
وفطومة المكى الصويرى تاج الريام ومصباح الموالعات وراحة الروح
وزهو الانظار :

نصرو تاج الريام لغزال الطام * عانس (1) الفرج زهو النيامى (2)
مصباح الموالعات راحت روحى فطوما
وفاطمة عبد الهادى العامرى راية الهمام وزينة الريام و «بودواح» (3)
انا فى عار قامتك يا رايت لهمام فاللطام * لوجيب (4) زيتت لرسام
رفقى بى اوجن واعطف يا بودواح فاطما
وتكاد تشبهها طامو ابن عمر الكفيف :
مدرا (5) اتزور رسمى بوسالف طامو * مولاتى لغزال فاطما
بودواح اروامك الزهزما (6)
وفضيلة مولاي احمد بن عبد السلام العلوى هلال انجمال المكمول :
روفي ياضى انجالى * ياهلال الزين المكمول
ذات لجمال افضيلا

(1) العانس البكر الجميلة : وهى من الكلمات التى استعملت فى معاني غير معروفة بها فى الفصحى حيث تطلق العانس على المرأة التى طال بها المكث فى بيت اهلها دون ان تتزوج فخرجت من عداد الأبتكار .
(2) النيام : العيون .
(3) البدواح : الخرسنة أو الخلق .
(4) لعلها الشمس من وجبت الشمس وجوبا اذا غابت او لعلها من وجب القلب وجيبا اذا اضطرب وما نظنها تصغير وجبة بمعنى الصدفة الحسنة .
(5) مدرا كلمة للتمنى لعل اصلها : من درى او من يدري او من يدريك .
(6) الزهزما : الغزال ، والروامك : العيون ، وأصلها من رمى اذا نظر .

ومارية الفلوس مشموم الورد والزهر وسلطان الباهيات :

نصر الله ابهاك يا هلال الدار * يارأيت النصر يا سابغ لشفار

يا مشموم الورد والزهر * سلطان الباهيات ولفى مريا

ولعبد الهادي بناني «زهور» هي تاج العوانس :

كولوا لدواحت لزهار * تاج لعوانس ازهور

رفقى ابعاشك ونعمى بالزورا عل لوكار

وله «فاطمة» هي الغزال ومشموم البنات وجميلة الاسم ومصباح الجمال:

ايا مشموم لبنات لغزال زينت لاسم * جسد اعلى المغمروم

يا مصباح الزين فاطما

وبشمى من التفصيل ، ولكن فى أوصاف عامة ، تناول شعراء الزجل

جمال محبوباتهم على حد ما يعرض لنا الجيلالى امثيرد فى «خدوج» ، فهى

بديعة الجمال رقيقة الملامح ، وهى فاضلة وعاطفة ، ذات حسن جميل ساطع ،

ليست لها مثيلة فى بنات جيلها ، يوافقها خليلها وتوافقها فى طاعة متبادلة :

خدوج ابديعت لجمال * خدوج ارققت لحروف

خدوج امنارت لفضال * خدوج انهايت لعطوف

خدوج ماتها امثيل * فبنات اليوم ابلجميع

اخليلا رايمه اخليل * طاعا وخليها امطيع

ومثل هذا يقوله ابن سليمان عن خدوجته التى لا يعرف لجمالها شبيها

فى أى زمان ومكان :

زينك ما هو فعلوج (I) * ولا هو فمدون او لفلاجى (2)

قاللى امضى او ماجسى * ما شاهدوا اغناجى (3)

لو صبت ملتقاها بعد التهجيح

(I) العلوج : الاعجام ، والكلمة واردة فى الفصحى بصيغة علوج
واعلاج جمعا لعلاج بكسر العين وتسكين اللام ،

(2) الفلاجى : البوادر

(3) الاغناج : العيون ، والكلمة واردة فى الفصحى غنجا بتسكين
النون وضمها .

وعند المدغرى أن جمال زينبه معروف فى الشرق والغرب ، يشهد لها به
البدر والكواكب بل ان ضوء البدر تعجب له فاحتجب :

زينب زينها فالشرق أقالغرب * شاهد لها بدر الدجى واكواكب
زينك فيه ضى لبدر تعجب * حتى ادخل امن اغشاء فاحجابو
وتفنن المدغرى فى وصف زهرة فاعتبرها زهوا لذاته ومصباح الفاتنات ،
حازت البهاء والثبات ، وظهرت شمساً تتجلى بحسنها وتفوق بجمالها عبلة
وخناثة ، وفيه يزهى بها مزاج حبيبها ، تصول وقد اجتمعت فيها ثلاث خصال
هى الحياء والطيبة والظرف . ثم انها تنسب لاجرار أهل الجود ، فلا غرو أن
يراهما تاج فاتنات الحضر ومصباح البساتين وقررة عينه وزهرة الورد والرياحين ،
وسلواه وغاية ما ينتزه فيه أولو النظر الفاهمون :

زهرا زهوا لذات * مصباح الخودات
زهرا على لبنات * حازت لبها واثباتا
زهرا شمس انبات (I) * بالحسن اتجلات
زهرا من عدات * زين عبلا واخناثا
زهرا من وفات * واخلاكى زهات
زهرا بالصولات * حازت توصاف اثلاثا

لحيا والطيب امع الطرفا من نسج احرار حل الجود الكبرا
زهرا تاج اعوانس لحضر * مصباح اغراسات قوت عيتيا
زهرا زهر الورد والزهر * والسلوان اغايت لمنازه لهل النظرا
وقريب من هذا ما وصف به الحاج ادريس بن على لجنس ياسمينته ،
ففى ياقوتة فريدة يتضاءل امامها الجوهر والذهب والفضة ، علا شأنها على
جميع بنات جنسها وغدت شمس الضحى تستحى من خيالها وتغيب :
انت اجواهرك مكنونا وامعلقا الثمين

وانت ياقوتنا والياقوت اقليل فى امثالك
والجوهر الصافى والذهب والمجىين

قدام صورتك تتلاشى وايناطرو اقبالك
(I) انبات : ظهرت ، من نبا الشيء نبوة ونباوة اذا برز وارتفع عن
الارض .

انت الذي اعلا شانك على لبنات كامليين

الشمس فالضحى تستحيا واتغيب امن اخيالك
وعنده كذلك حبيبة على هيفاء ناعمة ، فازت بانهمة والسر والطيبة
والذكاء والظرف والجمال الحقيقي والوقار والهيبة ، يشيب لرؤيتها شباب
أهل الغرام ، وقصته معها أغرب من كل الغرائب ، لو حكاهما للرجال لاندكت:
هيفا اوناعما حازت هما اوسر اوطينا
والميز والظرافا والزين الى اعلى ترتيبو

سبعان امن انشاها واكرمها ابلوقزوالهيبا
لوشاعدوا بهاها شبان على لغرام ايشيبو
اغربتني امعها عدات اجميع كل اغريبا

لوجيت يا عدوى نحكياها للرجال ايريسو
ويخاطب عائمة بان بهاءها غير موجود عند سلطان لافى المغرب ولا فى
الصين ، وبان جمالها عربى وأخلاقها حضرية ، وان أى جمال او خلق غير ذلك
ليس بشىء :

ابهاك الا هو عند سلطان ولا افغربنا ولا هو فاتصين (I)

يزها قلبي بجمال صورتك سبعان امن انشا
والزین الى ما كان زین عربى واخلاك امدنت حضر ماهوشى
أما بنعيسى الدراز ففاطمة نيسمت ياقوته محصنة لا تدرك بقيمة فقط،
ولكن مقامها عال رفعة رب السماء ، وهى ليست متفوقة بجمالها على جميع
الفائنات ليس غير ، وانما هى تفرض عليهن الحكم والطاعة فيخدمنها ويقبلن
أقدامها . ولكنها رغم الصولة تمتاز باللفظ والذكاء والفهم ، يكتفى حبيبها أن
ينظر اليها ليحس الفوز والنخوة والاكرام ، ثم انها تسمى العفول
بكياستها وحسن منطقها . واذا كانت تشغل الاذهان وتحير الالباب ، فانها
تسلى عند المنادمة وتفرج الكروب :

اياقوتا امحصنا ما تدراك ابقينا ☺ مرفوعا فمقام

علاه ربى رافع السما

(I) الصين كناية عن اقصى مكان ، أما الغرب فالمقصود به المغرب .

لك جميع الريام طاعوا بالقهر اخديما * واتقبل لقدام

واعلى ساير نغياد حاكما

والصول والملاطفا واعيقا (2) وافهاما * من شفت المنيام

فزت بالفخرو والمكارما

تسبى لعقول ابلكياس والمفاظ احكيما * كندهسى لفهام

واتسلى فوقات لمنادما

وينظر الدراز الى زهرة انها ذخيرته وراحة خاطره ومصباح بصره

ويتبوع كل خير ، تجير الكسر بوجودها الذى يشهد لها به الكهول

والصفار ، وهى عنصر صاف اذا سقت روضا انبت واشهر :

ياراحت لخواطى * يا مصباح لبصار

انت اذخيرتى اينبع الخير * يا جبرت من كان اكسير

يهدار الجود عالج اضرارى * جودك كتحقو كهل واصفار

يا عنصر الصفا من تسقى روضو اسخار (2)

ونا ابغيت روضى يطفح بزهار * بعد زهره ينعم بشمار

وغالبا ما تكون مثل هذه الاوصاف العامة تمهيدا لرسم صورة المتحوية

مفصلة الاجزاء مكتملة الابعاد ، لم يترك الشاعر جزءا واحدا من جسدها

لم يطل النظر اليه ، مبتدئا بشعرها الفاسح وعينيهما الفاترتين ، ومنتهيا

الى ساقها الذعبي المثلث وخلقائه ، منتبعا ما بين ذلك لم يترك ملحا

الا توقف عنده ليسعن فى وصفه وتشبيبه .

وقد برز المدغرى فى تقديم لوحات رائعة كهذه التى رسم لظامو

وهشية حيث يبدو الميسم عقدا من الجواهر تصونه الشفاه الحمر ، والقنود

عائلة يمنية ويسرة تساير التسميم فى عبويه ، والشعر مظفرا ومسدلا

نفوح نسماته الذكية وقد لمع فيه الياقوت الرفيع ، والغرة لامعة كالبرق

أو الهلال او الشربا والنجم ، والحاجبان مقوسين كحرفى نون فى سطر

(1) العياقة : قوة الادراك .

(2) اسخر النتج ، ومنه قولهم : «الله اسخر» فى الدعاء بالتوفيق

والنجاح فى عمل من الاعمال .

وقد مالا على عيون ساحرة ذباجة كالسيوف تغطيها اهداب عالية الريش ،
والخد في حمرة طبيعية غير مصطنعة بالمساحيق كالوردة يحرسها خال
في لون الغلام ، والانف كزهر السوسان ، والذراعان كسيوف يحمدهما
عنقرة يوم الوطيس ، والرقبة تذكر بظبي الفيافي النافر الحذر ، والصدر
تقطعة من الرخام الصافي برزت فيه تفاحتان ، والبطن يأخذ قلب العاشق
في طياته ، والسرة ككاس سالت عنه الخمر ، والافخاذ أعمدة من ذهب
في قصور العمالقة واللخميين ومن يفخر بهم من الاقوام ، تعلوها قبة تفوق
قباب السعدين ، والسيقان حمراء كلون الجمر شبيهة بقطعة من البلور
أشعلت فيها شمعة كبيرة ، يستقى من لونها كما سقى ابن الملوح
دون خمر :

والمبسم جوهر فالشعر * عقدو مصيون فالشفوف العكريا (I)
واسبابى يوم انظرت لقدود اتميل اتساعف التسميم ايمين وايسار
واسموالف وظفاير الشعر * والياقوت الرفيع بنسوم اذكيا
والغرا واجبين لاح فوق الوفير ابرق اهلال والتريا والغرار (2)
والحجين نونين فاسطر * عطفو عطفاً اعلى السيوف المسقيا
والشفر الدباح بالصوارم واهداب امريشين فوق الغنج السحار
والخد العكري ابلا اعكر * والخال اغلام فوق وردا محضيا (3)
والمعطس سوسان نيل اركوبوا للسلطان عكرو من ذهب التشحار
والضعدين (4) اميوسف تنشكر * عند ابن عيس في انهار المشليا
والركبا عراض في افيافي مايا من حى ما يروم الغاشى حدار (5)
وانوابخ تفاح فانصدر * والصدر ازخامتو اصفاه امر مريا

-
- I العكريه الحمراء ، ويطلق العكار على مسحوق النوجه وقلم الشفاء .
2 الغرار نجم لامع .
3 محضية اى محروسة وفعلها : احضاً ولعل اصلها في الفصحى
حظى حظوة عند فلان اذا اصبحت له مكانة عنده .
4 الضعد : العضد (مقلوبة) .
5 الحدار : الغزال ، ومثله العراض ، اما الغاشى فهو الغريب ولعل
أصله في الفصحى غشيه غشيانا بكسر الغين اذا جاءه .

والبحر الطاوى اعلى لطاوى يطوى قلب لعشيق على الاو تحكار
والسرا بالكاس تنعمر * والكاس اجرات فى اطرافو حميا
وافخاذ اسوارى امن الذهب فمنازه لعمالق او لخم اقوم التفخار
صانوها فى قيت النصر * ولا توجد فى اقبوب السعديا
والساق اسقانى اكم اسقى قيس ابن املوح من دون اعقار
ساق احمر من واضح الجمر * نحكى بلار فيه شمعا رطليا (I)
ومثل هذه اللوحة يرسمها الحاج ادريس بن على لعنش لحبيته
لا يضيف اليها الا بعض اللمسات كتشبيبه القد بغصن الآس وتصوره
ضغائر الشعر ملقاة على الاكتاف تفوح نسمات طيبها كأنها تفوح من روض
السوسان ، ووصفه العيون بفتور لا يفتن معه تعذيب العشاق ،
وتنوينه الخد بليون الفضة المصقولة بالذهب ، وتشبيبه
الانف بعصفور صغير ، والرقبة بالكافور وعنق الغزال ، وضافته الشنب
الى الثغر والخضاب المنقوش الى الكفوف ، واعتباره وجود التفاح على الصدر
فى كل المواسم حكمة عجيبة بالغة .

قدك خزان فى روض ناعم اخصيب *
ولا اقصين من الياس هن النسيم اقطيبو
واضغائر الشعر على لكتاف اهوات فى تطيب *
نحكيه فى ارباض السوسان ايلوح فى ترجيب
انظرت حاجبين ارشهدت اشفاه فى تهذيب *
واعيون فاترا ما يفتنر لعشيقها تعذيبو
واخدود لون قلب الفضا لشلل ابتدعيب *
وجنا تحت سيف اللحظ الى هدنى تهديبو
غنجدور كطوير يرانى مشروح فى تركيب (2) *
وانعق فيه جوهر منظوم امزين تشنبيبو

(I) يقال شمعة رطلية او شمع الرطل للشموع الكبيرة ، ولعل
الصفة مأخوذة من الرطل الذى يعنى فى القصصى المنا الذى يوزن به
وكأنهم كنوا به عن ثقلها .

(2) التركيب : الترقب ، ويلاحظ ان القاف فى غير الممدن

ركبا اشقيقت الكافور فالتجراذ واستلهيب *

اتقول عراض امشوش خايف امن اطلبيو

درعين صافيا وامعاصم واكفوف فى تخضيب *

مكتوب فيه جدول له اجميع لعقول اينبيو

وارخامت الصدر فيها حكم بالغ واعجيب *

طول لفصول تنظر عينك تفاحيها واتصيبو

وهكذا تكاد تكون الصورة واحدة عند كل الشعراء لا يختلفون قليلا

الا فى تتبع اجزاها وتلوينها على حد ما نجد عند محمد بن عمر الكفيف

الذى لم ينس ان يرسم الاصابع كالاقلام ، ويشبه اليهود بتفاح على قدر قبضة

اليد ، والبطن بقماش صاف مرقوم ، والسيقان بسلك الشابل (I) الا انها

لم تمس الماء :

اصباح كنهم قلوب

وانهود كتفاح للكمشا راموا

• • •

ابطن امن اقماش صافى مرقوم

• • •

وافخاذ كاشوابل فالما لا عاموا

ومن لطيف تقديم اوصاف الحبيبة ما لجأ اليه التهامي المدغرى من

عكس التشبيه وجعل الاشياء التى اعتاد الشعراء ان يشبهوا بها لتحديد

ملامح المرأة ، تسعى فى خصام ومنافسة الى التمثل بهذه الملامح والتشبه

بها واعتبارها رباطا جميلا يصلها بالمرأة . ولم نجد شاعرا غير المدغرى

لجأ الى هذه الطريقة المعكوسة فى وصف المرأة ، بل لم نجد له فيها غير

قصيدة واحدة هى التى يقول فى حريتها :

بين الورد والزهر والجلال والظليم والحداد

والرخام اتفاح اقوس ولناير خرجوا اعلى عانسي الكحار

بالغرب ينطق جيما مغلقة كنطق المصريين فى المدن للجيم ، وجرت

العادة بكتابتها كافا بثلاث نقط . اما يرتى فلعلها من رنا فى الفصحى بمعنى

أطال النظر .

(I) الشابل نوع من من سمك الانهار كبير الحجم ، لا يظهر فى غير فصل

الشتاء . ويعتبر من احسن الانواع واغلاها .

قصدت هذه الاشياء الشاعر لتثبت الشبه الذى يربطها بحبيبته
فادعى الورد انه شبيه بخدها ، وادعى الزهر ان شذاه قريب من نسيم
نغرها الباسم ، وادعى الجندار ان لونه كلون شفاهاها ووجنتها ، وادعى
الظليم ان لونه من لون شعرها وخطاثرها التى تعدت القار :

وادعى الورد قال الخد اشقيقى اشقيقى

وادعا الزهر قال الثمر الميسوم

امن اشذاه انسيمو منسوم

جاوب الجدار المنهموم

قال بقيوم

شفا برىق مختوم

لوني ولونها واحد

والوجنا اشقيقتو بتمارا

شامتو اعليه يمارا

والظليم ادعا قال الشعر والضفاير

من لوني فاق اعلى القار

وتدخل كوكب الزهرة والبدر المشرق والقوس والمنائر فادعوا
قرابتهم مع غرة حبيبته وجبينها والحواجب والعيون ، وكذلك المسك
ادعى أشوته لخالها العنبرى الطيب :

واكذلك نجمت الزهرا والبدر الشريق

القوس والمنائر قالوا غمرا

ولجبين أحاجب بتمرا

ولعيون اجعاب النجرا

عل العذرا

فقلوب هل الهجرا

والمسك فى اجياب الملوك ادعا انجالها بجهارا

طيبت شامت المسرازا

قالت ذلك العنبر هي اختو أو ساقو
عن خيتو غايت لكجار

وادعت الغزالة شبه جيدها وزعم التفاح الشبه بنهدها وزعم الموير (١)
شبه اديمه ولونه بصدرها وساقها ، وكذلك ادعى صارى السفينة شبهه
بقدها :

وادوات قالت الحدارا دون النطيق
الجيد والصدر وكذلك التفاح
والموير شغل الرجاح
قل يفصاح
قالوا جميع ياصاح
انهود فالصدر اساق لمغيون جهارا
حقين على لختيارا
ريت حتى صارى قرصان بانظواهر
فى قدو وقدها احتار

ولم يعجب الحبيبة ان تتسابق هذه الاشياء الى جمالها متخاصمة
ومتنافسة فشكنتها الى الشاعر متهمة اياها بالزور والبهتان السافرين :

وادوات قالت اصفا ياذا الحبر اللبيق
هاذوا اتخاصموا عن حسنى بجميع
كلها طمع ابلا تطميع
من ابها خدى حسن ارفيع
دايم سطيع
فهمى اطمع ايريع
ادعاوا ابلفجور
او قالوا من صورتى اداوا ايمارا
شوف لامت القرقار

(١) القماش الذى يطلق عليه فى مصر القطيفة .

واش شبهوا فى زينى زورهم ظاهر

لامت لبهوت ابلجهار

وأخذ يبحث القضية ويقارن فوجد قدها ناعما والصارى عودا
يابسا ، ووجد ريش الظليم قصيرا وضوء القمر والنجم يتوارى ولا يدوم ،
وكذلك ضوء المنائر ، اما جبينها والغرة فنورهما يسطع فى كل وقت
وحين .

زكيت فى ابهاها وابهاهم للطريق

واجبرت قدها ناعم والصارى

يابس اعلى عود بارى

شفت ريش الظليم اصحارى

ابعيد شارى

فاسواق لمشارى

ريش اقصير

ونظرت الكسرا

اموضعا امع الفرار

نور زينهم اتوارى

ولجبن اغرتها فاقت لمنيان

يسطع بالليل والنهار

ونظر الى الحواجب والعيون فوجد رميها أقوى واشد عما ترمى به

الاقواس والرماح والسيوف حين تكون فى يد الابطال الشجعان ، وكذلك

نظر الى لون خدها فوجد فهاى لون الورده :

وانظرت حاجب العذرا واللحظ الرشيق

اجبرتهم يخجل منهم حمرى

امن الرما فالوكدا عذرى

بالرماح اسيف اسقطرى

ابسم يسرى

شدو شجيع دهرى

ماكيف دكت العين اجوايحتها على لعشيق ابارا

بالنشاشب البتارا

سلم للوجنا والورد ظل حاير

فى خد اهمامت لبكار

ونظر الى المسك والخمر - مهما تكن صافية فى البلور - فوجدهما من

سلع التجار ، اما خالها وشفاها وريقها ففاقت كل تجارة :

زكيت بالنظر فالمسك أحمر الرحيق

مهما يكون صافى وسط البلار

صبتهم سلعا للتجار

...

الخال والشفاف اريق عانسى المسرارا

فايتين كل اتجارا

آش جاب البلار أمسك والعواطر

لوصاف اسبيغت الشفار

ونظر الى الصدر والنهد والساق فوجدها أصفى من الذهب والفضة ،

ووجد الرخام صخرا أصم والتفاح فى الشجر عرضة للعب الاطفال ،

والخوبر سلعة عند باعة الحرائر ، أما البطن فمثير فاق كل حرير مشهور :

مكنت فالصدر والنهد ابشوف لحديق

اوساق صبتهم زهوا للنظرا

اصفا من العسجد والنقرا

والرخام اجبرتو صخرا

اصميم حجرا

تفاح فوق شجرا

به الاطفال تلعب ومويز فى احوالت الحرارا

بين لامت السمسارا

والبطن فى حسن طيو رفيع ناير

يغلب الحرير مشتهار

ولم يلبث الشاعر بعد هذا البحث المقارن في المزايم المقدمة له (I)
أن دعا كل اصحابها واتهمهم بالزور والتهجم على حبيبتة ، واخبرهم انهم
ليسوا غير جوار لها يحق عليهم ان يخلجوا ويكفروا عما صدر عنهم ،
ونهاهم عن التخاصم اذ يكفيه أنه يسمع مثل تلك المزايم عند الشعراء :

وانطقت قلت لهم سمعوا قول احقيق

تتهواوا كلكم اجمع احشمو

يا صحاب الزور اندموا

لاش عن بوتيت اتهجموا

أكتشتموا

ولوا لا تخاصموا

يكفا الى نسمع من امثلكم كيفها بشطارا

بين لامت الشعرا

ياك لها حسن التقويم سر ظاهر

وانتما تحتها اجوار

وقد يتخرج شاعر كعبد القادر العلوي من تتبع كل اطراف الجسم
ويكتفى بالتشبيب العف الكريم ، يصف فيه بعض الملامح الظاهرة لا
يتعداها ، وفي نطاق المعروف من الاوصاف والتشبيهات ، يقول مثلاً في
البترول وقد شبه قدها براية او شجر كبير :

امثيل قامت شى رايا قدها العالى *

او ابلنزا احكيت فالروض المكحول (2)

زاعنتى (3) بشفار امضى من لعوالى *

والحجين لعطاف والشفر المصقول

طال عشمقى واهواى فى ابها اغزالى *

ذات الحسن لبهيج والزين المكمول

I يلاحظ ان المدغرى لم يتمتع الادعاءات بدقة وغلبت عليه سجيته
فاندفع فى الوصف والمقارنة غير ملتزم بها .

(2) المكحول من اكдал فى البربرية بمعنى البستان الكبير .

(3) زلع : لسع .

ومن اللطيف ان نجد المجبوبة تطلب من حبيبها ان يصفها على حد
ما طلب «المزيان» من العلمى الذى رد بأنه لا حصر لوصافه :
ليا قال المزيان * وصف هذا الحسن يالى تهوانى
قلت يا ذابل لشفار * توصافك لا يحصار
واكتفى فى الوصف ببعض الملامح الظاهرة على عادته فبدأ بقوله :
ته بجمالك عل لقمار * الشمس اتغير
الى اتشوف زينك * ليدر من جبينك
والبان غار منك

ويختم مؤكدا على ضرورة ستر ما عدا ذلك :
والغير ما اتجيبو هدرا (1) ولا عليه تبين
ويواجه العلمى نفس الطلب من مزيان آخر :
قال المزيان اتصيف لى زينى *
امدح امحاسنى كيف ايمدحو ناس لغرام ابدور لحسان
...

ولكنه يجيب بنفس الرد ويضيف أن الهلال ونجوم الليل شاهدة
بأنه جميل :
شيخد (2) اوصافك يالدعيني *
لهلال قلت وانجوم الديجور شهدوا بين انت مزيان
ومثل هذا نجد حتى عند بعض الشعراء الذين لا يتخرجون من
الكشف عن المرأة ، امثال الحاج ادريس لحنش الذى تطلب منه عائشة
أن يصف جمالها فيصبر لها عن عجزه :
قالت لى بوسالفين وصف زينى يا عاشق لمحاسن وانما شى (3)
قلت لها مانقو اتصيف ذاك الزين اعيشا
اعيشا ما نقدر افلوزان * انصف ذاك لبها وابديع الزين

(1) الهدرا : الكلام

(2) شيخد اصلها أى شىء يحد .

(3) الانماش النقطة تكون فى الوجه ، وهى فى الفصحى النمش بفتح
النون والميم .

أما شاعر كالفلوس فتطلب منه مارية ان يصفها فيفعل :
لكن يا عاشق ليها وصفنى فمناهج اللغا وامواهب لشعار
قلت لها يا طلعت تبدر أمر تعمال فيك روى مسيبيا
وكذلك تطلب رشيدة فيلبي طلبها :

قالت يا عاشق ليها وصف زبنى افطرز لنشاد
ومن براعة بعض الشعراء انهم لا يعرضون اوصاف حبيباتهم في
اسلوب مباشر فقط ، وانما يقدمونها لنا كذلك من خلال مقارنة بين حالهم
وحالهن . وقد تكون هذه المقابلة بسيطة على حد ما ترى عند بوعمرى في
« زهرة » حين يقارن بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر
الذابل ولونها الباهى الجميل ، بين نومه الطائر من عينيه وبين نومها
المغمض لعينين شبيهتين بعينى مهرة :

مال قلبى يرمى بشرار * شاعلا فى قلبى جمر
مال قلبك ما جاب اخبار * واشى ما وصلتك هدرا
مال لوى باهت مصفار * امن اضرار اعذاب الهجرا
مال لونك باهى مسرار * يالى ما مثلك كمرا (I)
مال نومي من عينى طار * امن التنهدا والزفرا
مال نومك نيم لشفار * يشفار اعيون المهر

وقد تبلغ المقابلة غاية الحبك والاتقان كما عند المدغرى الذى يقدم
لنا فى حوار رائع يتبادل فيه الشكوى مع حبيبته ، ومن خلال مقارنة بين
حال كل منهما ، وصفا له «راحة» على لسانها حيث جعلها تصف نفسها
فى ردها على شكواه . فاذا شكك جمر نار قلبه ذكرت له جمر خدودها ،
واذا شكك سواد الليل وطوله ذكرت له شعرها الاسود الطويل ، واذا
شكك سيوف الهوى ذكرت له سيوف عينيها ، واذا شكك قلائد دموعه الهطالة،
ذكرت له قلائد جيدها ، واذا شكك هموم صدره الظاهرة ذكرت له التفاح
الناتئ فى صدرها ، واذا شكك نحوله ذكرت نحول خصرها ، واذا شكك ثقل

(I) الكمرة : القمر .

حملة ذكرت له ثقل وركها ، وإذا شكنا غرقه في بحر حبيها ذكرت له
سيقانها السابحة كسمك الشابل ، وإذا شكنا قيود هوام ، ذكرت له
خلخال رجلها الصياح :

أمين اشكيت اجمازى قالت لبدر حتى جمرى لاح
فوق اخدودي لجلاح (I) * زاد تلحاحى
نار قلبك واخدودي ما تزول لجلاحا
الى شكيت اكمال الليل الطويل قالت زين الدواح
حتى نادون امزاح * ليلت اشباحى
من اشعور السالف اكحل اطويل فجلاحا
الى شكيت اسيوف اهوايا اتقول حتى نا عل لكفاح
عندى سيفين اوقاح * غايت اسلاحى
فوق خدى تدمى بهدايا الجراحا
الى شكيت اقلايد وادموع هاطل بالدمع الكفاح (2)
قالت راحت ارواح * صمغ توضاحى
شوف حتى نا فاللب اقلايدو امراحا
الى اشكيت اغدايد صدرى اناتك ووقوفى لجلاح
قالت نهدي تفاح * لاح وضاحى
واقف امبند (3) شف اغدايدو الطفاحا

الى شكيت انحولى تشكى انحول ذاك الخصر افلوشاح
واتقبل يارجاح * تيه ومزاحى
دابداك اولا صايب امن اقيومها راحا
الى شكيت اتقال احمولى اتقول وركى فاق ابترجاح
عمر لقميص او داح * افيمت اطراحى
اخلاكك اوركى من تقل الحمول نضاحا

(I) لجلاح : ملتهب .

(2) الكفاح : السائل المنهر ، ومنه كفح الماء اذا اهرقه .

(3) امبند : بارز ، ولعل أصله في الفصحى من البند بمعنى العلم .

الى اشكيت اغروقي فبحور حبها قالت لى يا صاح
عندى شابل سباح * فالبجر صاحى
دايم احشاك أساكى فاللجوج سباحا
الى شكيت اقيود اهوايا اتقول اسمع الخلخالى صاح
كيف اكيودك صياح * قال يالاحى
اسوا لكيودك واسوايا فالنقام صياحا

ومثل هذا نجده عند عبد الرحمن بن الفقيه المراكشى الذى يبدأ
شكواه لخديجة بقوله :

اشكيت لها من طول اشكايتي اللبدور افداجي

قالت انظر شعري كحل اطويل وابدور اسريجا
واذا كان جسم المرأة فى القصائد التى تصف الجمال يبدو مجردا
عن اى تزيين مضاف ، فان الشاعر الشعبى فى القصائد التى اطلق عليها
اسم «الحجام» والتى وصف فيها حفلات الوشم ، **زین جسم العجوبة**
بأنوان من الصور والرسوم تمثل حيوانات واسلحة وابطالا وبساتين
وخياما وهوادج وغيرها مما يوحى بالتعبير عما يكن من عواطف الحب
وما يحس من آلام الفراق وما يتسنى من سعادة اللقاء ، وكأنه يرمز بوشم
هذه الاشياء الى مختلف حالات المحب والمحبوب ، فالغزلان للهجر والنفور،
والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ، والاغراس والورود للحظات
الوصول ، وهكذا تبدو مخيلة الشاعر ذهبت بعيدا فى تأمل أحوال المحب
المختلفة .

فهذا ابن على العمرانى يخاطب الحجام ويطلب منه أن يختار للبياض
الوشم المناسب ، وان يرسم بين حواجيبها خمسة الكف لترد نظرات
الحاسدين ، وعلى خدها خالا كالنون المتصل بنقطة ، وفى صدرها وحوشا
عظيمة وخيولا ملجمة واغراسا لاشجار الفواكه وطيورا متسرنة وبسطا
وقصورا من الخزف تكون أبوابها من الرخام تفرش بأرائك الحرير
والزرابى واسرة النوم ، تضىء ذلك كله شموع يخسف الهلال لضوئها :
شوف للبياض اواناسب اوشامو *

بين لحواجب اعمل خمسا تلقى الا ايبارك فيها ويشوف

شوف الورد الوجنات فكمامو *

وفخدها اعمل خال اوشاما نون متصل بالنقط معروف

...

فصدرها دير (I) اوحوش يعظامو *

لرخاخ ولفيال وعنقات وما اعمر المخلوات ولطروف

...

فصدرها دير اخيول قيامو

لولا اللجامات ايطيروا لكن كلها بلجامو ملقوف

...

فصدرها دير اغراس تنعامو

لوزات بين شى جوزات وخوخات والنكاص ابنسعات ايروف

دير التفاح ايفوح بنسامو

ولمزج وصفرجل متضلل بينهم ضل الا هو مسقوف

فصدرها دير اطيبار ترنامو

دير العصفور افصيح لكلام

دير البوح الى باح بكتامو

فصدرها دير ابساط لمرامو *

من لبديع ابني اقصور امن الرخام رامت له ادفوف (2)

دير افراشات احريير فرسامو

الحواف والزرايى دير اخوامى امعروجا واتسارح واقتوف (3)

دير النمسيات (4) لمنامو

ديما اقليل نوم العاشق من حرما القاه امنامو مخطوف

دير اشماغ للداج واظلامو

اشمعت ايلا قابله لالهال امن اضياها يضعنى محسوف

I) دير امر دار اى عمل .

2) الدفوف والدفييف ج : دفة وهى الباب .

3) اللحواف ج لحاف وهى متكبات محشوة بالصوف تعتبر أساس أثاث البيت المغربى ، اما الخوامى فجمع خامية وهى الستارة ، وما للتسارح فما يسرح فوق اللحواف ويطلق عليها .

4) الناموسيات : الاسرة .

ومثل هذا نجد عند الشيخ محمد بن موسى في حجامه الذي
يقول فيه :

أحجام اغزال ولقي لوجيب للا الطام * فصدرها نيل لوشام

واعمل بين النهود عرض واركمها غايت التركيم

ويوصي ابن علي حجام محبوبته بأن يعنى بالآلة وأدواته من منديل
مرقوم وطاس مذهب ومشارط أحد من السيوف مصنوعة في أغشية رومية
ومناشف للتجفيف :

معونك يا حجام فقوامو *

للناس انوصفو فالميات البالفين من لبلاغ موصوف

منديلك من القماش تركامو *

الزردخان ما يشبه ليه او بنهم من كل امثال اصنوف

طاسك حتى سوام ما سامو *

من خالص الذهب يا حجام اولاً ايخلصوه (1) اعداك ابمصروف

وامشارط بالخزانات ينقامو *

وامنتين بشفات الاكيفو انقات وافرغ من كل اسيوف

واغشاهم رومي صان فرواهو *

واجفاف لبحر منزولا تحساب من البحر الى مكفوف

دادى يوصى الحجام ان يكون منتبها حتى لا يؤلم الحبيبة :

يا حجام اوشم للزين * كن عايق فايق فالهين

رطب يدك لا تفصح اغزالي (2) بودواح

أما المدغرى فيقتضب لعدم حضور العملية وعدم استشارة الحجام

له فيما رسم ويدعوه للقاضي ولكن تتدخل المجبوبة وتطلب منه ان
يسامحه :

وجابك يا حجام لغزال *

لله باش من موجب اجرحت الباهيا طامو بوخلخال

(1) ايخلص مضارع خلص الشيء اذا دفع ثمنه .

(2) قصح : ألم .

لو كان كنت حاضر ما تمنع لي *
كيف تجرح زهوت نجلى * يالحجج وتفلت لي

...

هذى اكزيت الى مثلك يدعى افلمسايل من غير اشوار *
اجي بلا اخفا للمقاضى مداعيين
قالت الخنار اسمح لو ...
وارضيت الحجج بريال من بعد ما اسمحت افحقى مهما اسمعت رغبت
دابل لشفار

ومثل قصائد الحجج قصائد الفصادة ، وهى التى تصور الحفلات
التى كانت تقام لاجراج الدم حيث تحضر الحسان متزينات على حد ما
يقول امثيرد :

آش را (I) من لا احضر امع اوجوه لريام *
يوم حنطو فتياب العز للفصادا
ريت ذاك الدم الوردى ابشوف لنيام *

زنجفور افيلار اصفا من لعقادا
ويحاول ان يقارن بين جراح الحبيبة وقد فصدت ، والجراح التى
احسها الحجج فى قلبه وهو يفصد :
اجرح الحجج وانجرح من غير اجراح *
عدت جراحهم فالقلب اجراحو
عما تجراحهم اطل ادماء ساح *

اهو فالضمير دكات ازماحو
اما المدغرى فيجعل الحجج ترتعد يده لرؤية ذراع الحبيبة ويفقد
وعيه لجمالها :

امين شاف الدرعين اترعد ايدر غاب من زيتت الخدادا

لمعلم عاد فشدا * ما قدر عنهم يتعدا

به فاقوا لعوانس وتنهدوا

(I) آش را أصلها اى شىء رأى ويقصد بها الاستنهام الانكارى .

له قالت وحدا وحدا * مهل اعلى ديك الخودا

لا اتشوف العينين اللي ايحكبو

ومثل هذه المناسبات تكون في أيام الربيع ، وتقام في البساتين ، وتستعد لها الحسان يبرزن في اجمل الحلي وافخر الثياب ، يقول فضول النصيري :

اوه يا منين اتجمعوا لريام * في ازمان النوار (1) وانوار الفصا

لبسوا من الديام (2) انواع الحجان * في ارياض امحتفل مزيان
كيف راحوا ما بين اغصان

جازوا الريام اشمايل الظرافا وحروف الزين *
كل اغزال تقطف فالنوار ايسار ويمين

ثانيا : المحب

يعاني الشاعر من حب هذا الجمال الوانا من الآلام والاضرار لا تنقطع
منها شكواه . وقد سبق ان رأينا عند بوعصرو والمدغرى وعبد الرحمن بن
الفقيه مقارنات بين حال المحب والمحبوب كشفت عن أسقام الاول وأوصاف
الثاني ، ونريد ان نضيف اليها مقابلات أخرى محصورة في نطاق معاناة
المحب وعدم مبالاة المحبوبة على حد ما نجد عند المدغرى في مقارنة بين
سلوها وهنائها في مراکش واغترابه وانشغال باله ، بين انطلاقها في سرور
دائم والتهابه على الجمر حزينا باكيا سجييا مريض لا يجد طبيبا يعالجه ،
بين نومها الطيب الهادي وسهره الدائم في رعي النجوم ، بين قوتها اللذيذ
وقوته المر ، بين زهوها في صحة ونشاط ، ووهن عظمه ومزاجه :

انت امسليا فالبهجا ونا غريب لوطاني * مفروق عمن ابغاني

انت مهنى ونا بك اجوارحي تشطنو (3)

انت اعلى اسرورك ونا فوق اللهب مكواني * نصلي ابدمعت اعيناني

انت معافي ونا قلبي في اكياد (4) سجنو

(1) ازمان النوار كناية عن فصل الربيع .

(2) الديام الثياب واصليا في الفصحى الاديم .

(3) تشطنو اجوارحو فهي مشطوثة اي مشفولة ومهمومة .

(4) اكياد : قيود .

انت اعلى الزهو والفرجا ونا مريض لكنانى * ولا اطبيب دوانسى
 انت ازيان حالك ونا حالى ازداد حزنو
 انت افطيب نومك ونا نرعى انجوم ديجانى * مارام نوم لجفانى
 انت امسكنا ونابك ادواخلى اتسكنو
 انت الذاذ قوتك وناقوتى امرار بهجانى * حتى اشفاو عديانى
 انت امختترا ونا عظمى ولخلاك وهنو
 ومثل هذا يخاطب به طامو :

مال جفنى ساهر طول البهيم * مال جفنىك فسرور امقيما
 مال خدى ساقط ورقو اسقيم * مال خدك ففراح انعيما
 مال حالى ناحل فانى اهميم * مال حالك فنزايه ديما
 مال كبدي من عجرك حالجيم * مال كبديك كاسي ياريمما

واذا تركنا مثل هذه المقارنات - وسنعود الى نوع آخر منها بعد قليل -
 نانا نجد الشعراء عبروا مباشرة عما يقاسون من احوال الحب ، فابن سليمان
 يشكو السهر والقلق ونار خدوج وسلطانها الذى سل عليه الحسام
 فأحس بالفالج يشله :

نارك فالقلب اتروج

واخيالى ما يخفاك عن امهاجى

سهران طول داجى

واعييت (I) مانراجى

اهواك صاك لى سلطان احريج

زادنى فالخاطر تهجيج

سال احسامو للتوديع

سرت مفلوج من زينها المفلوج (2)

والشاوى يشكو بدوره من خدوج ان طرفها رماه بسهم سام ، ويطلب

الناس ان يكلموها لتعالجه :

(I) اعنييت اى اعيانى .

(2) مفلوج الاولى من الفالج والثانية من فلج الاسنان .

جمرى من لهوا مسروج (I) * والحب ياعدو لى ارمى لى وسط لمهاج
حرىا مسموما حر سنها وداج

...

قولوا اللأ خلدوج * روفى اعلى العشيق المجروح من لغناج
ابقى مسكين اينوح ما ظفر بعلاج
والمكى الصويورى هجم عليه سلطان حب فطومة بطفيان وأبطال زعماء
فتكره نحيلا يبكى ذاته السخيمة وحاله المذموم :
سلطان الحب صاك ببطل ازعام * ما قصد دونى راد اللطام
وناخالى انجيل ذاتى معدوما
والحب اطفى واتركنى يافوهام * كانفرد عن طول ايام
لا حالا اتشابه الجالى حالا مدموما
والحب كما عند امثرد فى «بحر الهوى» اصم وابكم واعمى ، نجيل
مقيم لا دواء لدائه ، يختلط عليه الليل والنهار ويضيق به الفضاء الواسع :
مولاه اخريس اللسان واعمى من بصر الماحو *
زيزون اطرش ما يلو اسمع (2)
تراه افلوقات افقه ادجاه امن اصبرحو *
ترابه يضيق لوسع
ناحل ساقم ساخف (3) لعضا من تمكين اجراحو *
ما رامو فاللدوايا اربع (4)
وهو كما يصوره عبد السلام الجربى فى «قمر الدارة» فى مجلة دائمة

(I) مسروج : مشتعل .

(2) هذا تكرار من الشاعر لأن الزيزون هو الاخرس وقد ذكره . اما
الاطرش وهو الضعيف السمع ، فهو كذلك فى الفصحى اذ الطرش
يفتحتن الصمم القليل .

(3) ساخف اى مرتضى وهشى عليه .

(4) اربع تحوير لربيع اقتضت القافية ، والمقصود به العشب
(الدواء) .

نحيل فان نواح ، دموعه منهمة كالسواقى ونيران قلبه هائجة ملتهبة ،
غليل لا يجد علاجاً لجسمه المنهك ، وقد بدا غير قادر على تحمل الحب او
على مواساة نفسه بغير البكاء ، بل انه لم يجد طبيباً لدائه العضال :

. . .

ونانحيل فانسى

غير نرتى وادموع العين حايفا (I)

من فوق الوجنات ساجفا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا اوجدت الداياراقى

اعجن طبى والجسم صار امهيبى

. . .

ونامالى مكدار عل لهوا ياناسى

ولا اعرفت انواسى

بالبكاء ارحت احساسى

لا اطبيب ايرى كيمى امخالفا

. . .

ويشبه العلمى حاله المتقلب فى « المزيان » بسفينة تتقاذفها الامواج

وكأنها طائر مكسور الجناح :

مثل امع لغرام اسفين ما بين موج

موجا تلوحها موجا ترفدها

ولا اقدر راسها يرصدها

غاديا فالبحر وحدها

اعلى جهدها

مثل الطير الى اجناحو واتى

ولا اشفق من تمراتى (2)

(I) حايقة : نازلة . (2) التمرات : المحنة والعذاب .

اما المدغرى فيشبه نفسه فى «البتل» بقمرى سكران فارق طير
جنسه ، واسير قيده نصرانى لا يمل من الجفاء ، وطفل فطم قبل الاوان
يفوق نواحه نواح جميع الاطفال :

نحكى قمرى اعلى اسطاحو سكران ايظل حالت الى عثمول
فارق طير اعليه ما نزل
ولا شى ميسور فى اكبالو واحل والى اميسرو ليس يطول
نصرانى فجفاء ما ايمـل
ولا صبي اصغير قبل احليبو مفطوم عن انهود معزول
تنواحي ما نوحو اطفال

لهذا فان هواه عنيف لو حكاه للحجر لتكلم ودعا له بالشفاء وعذر
حاله وقدر قصته التى فاقت كل قصة ، او للغراب لشباب واصفر لونه
وجرت مدامعه وبكت عليه أمة الطير ، او لجبل رضوى لاغمى عليه وذاب
وغدا بحرا هائج الامواج :

لو عدت اهويا اعلى الحجر يتكلم وايقول لى الله ايشافسى لضرار
حالك من حال الى اينعذر * عدات اقصىنك اعلى كـل اقصىا
لو عدت اهويا اعلى الغراب ايشيب اتبكي اعلى امشبو لامت لطيار
ويولى فى حالتو صفر * يرقان امدامعو من الوجد اسخيا
لو عدت اهويا على جبل رضوى يسخف ويضحى ايدوب ابصحت لخبار
ويولى بشكايتى ابحر * موجو طوفان ما تسلكو بحريا
ويعتبر بهذا حاله كقيس ويدعو الناس الى رؤية صورة ابن الملوح
مجسمة فيه :

هذا هو قيس يالى ما شافو أجى اتشوف قيس ابعينك ما صار
قيس اغبر فى ساير الدهر * ونا بعد افنانى لهواويا
ومن لطيف الشكوى ما قدم عبد الرحمن القرى المراكشى متألما من
النيه والضنا والشغف والهيام حيث اعتبرها ملوكا للعشق استغلت غياب
حبيبته « زهرة » لتستقر منها فى قلبه بعد أن قسمته بالقرعة ديارا

ومنازل ، حيث نصبت الخيام ودقت الطبول وصوتت الرعود فسالت
جفونه مدرارا :

ملوك العشق اتمكنوا فقلبي جعلوه اقرار

عاد انزل التيه والضنا والشغف الهيام كلها الزم اقرارو

عن اسهام ابقرعت الصبايا قسموه اديار

نصبو لخيام ازامت الطبول اذكلمت ارعود هل جفنى مدرارو

وعظم الامر عليه وسمى الى الطبيب فأشار عليه بعلاج وحيد هو

وصال المحبوبة ، وارسل لها فرقت لحاله وحضرت ، فرفع اليها دعوى

ضد هذه السهام انها جارت عليه وتكتلت ضده :

لك ادعيت التيهان والضنا والشغف الهيام لبلهوا عنى جارو

اتحموا على افغيتك يا زهرت لزهار

ولكن السهام حاولت الدفاع عن نفسها فردت لتكشف عن حالها ،

وهى فى الواقع تتحدث بلسان حال المحب اذ جعلها تنطق بما يحس

وتعبر عما يكن . تقدم السهم الاول فشكا شر سلطان التيه يعظم حين

تغيب ، ورجاهان تسكن لواعجه وتفك اسره وتعالجه بعطفها من الاستقام :

وابغيتك يازهرا اتشاهدى سلطان التيهان حين يعظم بشرارو

وقت ما غبت كيزيد بعد اللعات اشحار

...

وابغيتك يازهرا اتسكنى رعدى واتفكى اجوارحى من تيسارو (I)

واتدونى ابمدت لعطف تنج من لضرار

فأجابته زهرة بان التائه فى حسنها ينبغى أن يساعد ويلين ، والا

يعتبر نفسه متعب الفكر ، وبان طالب العطف والوصال ناج ، وان من شكا

للغالب ظهر حقه ، وان العاشق الذى لا يبحث عن دوائه ليس جديرا

بالعشق :

وادوات ازهور قالت الذى تاه ابحسنى لا يظن فالتعب افكارو

يسمعف غرض التيهان كان لاموا حالو يعدار

(I) التيسار : الاسر ، وفعله يسر

من طلب العطف انجا اومن اشكا للغالب حقو ايبان واضح تشهارو
من لا يبحث فدواه ما يلسو فالعشيق افتخار
وتقدم السهم الثاني يشكو في كدر وحسرة ما اصابه من الضنا بعد
أن انقضت لحظات البروز والسرور ، ويأمل ان تعجل له علاج ناجع
ينقطع به السهر ومراقبة الطيف وتكف به الدموع المتهاطلة كالامطار تسقى
اقحوان الخدود :

زاد السهم الثاني افحصرا * شاكي امن الضنا متكدر تكدير
قال ازهررا بعد لمبارا * واسوايع الزهو وليت افنحسير
راشف من خمور اضاك غمرا * نبغى التبادرى لى بعلاج اجدير
وابغيتك يازهررا اتمهلى عن صور الدمع لغزير همامع بمطار
غرس الكحوان اعلى الخدود واستقاه امن المذار
وابغيتك يازهررا اتنولى عطفك لى فاندجا امراقب غرارو
هاجر لهجوع الطيف صورتك متشخص لبصار
فأجابته زهرة بأن من واجبه ضنا القدر والشعر الاسود وسهام العيون
وغرة الجبين الساطع فان تقبيل الخد يوافقه علاجا يريح أعضائه ويزيل
كدره :

قالت زهررا من صادف الضنا بين القدر اقيمت ليل غاسق تعكارو
واسهام العين اغرت الجبين الساطع بنسوار
لتقبيل الخد وافقوا ايلا عظم اضمناه طردوا من اصميم اسيارو
اصيب السراج فى اعضاء يرتاح من التكدار
وتقدم السهم الثالث شاكي نار الشفاف التى تذيب جسمه شر اذابة،
ثم لا يلبث بعد احتراقه ان يجد الثلج يحيط به والزمهير ، ويطلب منها أن
تعالجه باطفاء جمرة وتبريد جسمه :

والسهم الثالث دون فترا * زاد اشكا امن الشفاف ابقول اجهير
قال ازهررا نارو الزافروا * بها ايذوب جسمى تدواب اشيرير
بعد ايولى فالنار قاترا * يلقى الثلج حايط به وزمهير
وابغيتك يا زهررا اتعالجى من ولى مثل الحديد مهلى فجمارو
والثلج احذاه (I) ايلا القى من الشفاف تبرد اجمارو
(I) احذاه بجانبه ولعل اصلها فى الفصحى هذا حذوه .

فاجابته زهرة بان من طفى عليه الشغف واسره وجعله يشكو
الاضرار لا بد واجد علاجه فى خمر اشعر :

قالت لوجيبا امن اطفا عليه الشغف اجعلوا يسير واشكا بضارو
لا بد اعلاجو ما يكون فمصالى من لشغار
وتقدم السهم الرابع فى النهاية فرجاها ان تؤمنه حتى لا يفتك به
الهيام عقابا له بعد ان شكاه ، وهو غير قادر على مواجهته :
وابغيتك يازهر اتمانى خوفى من فتكو امنائى افشيت اسرارو
لا ايعقبنى بعد السكون ونا مالى مقدار

وكان جوابها أن أمرت بنصرة الشاكين :

وادوات المحبوبة او أمرت اسهام الشكيا ابود لعطف ينصارو
كل سهم انظرتو ابعين لعطف سرا واجهار
وكانت النتيجة ان اسر امير العطف ملوك العشق وانتصر على ارباب
أهل الجور ، فلم يعد للتيه والضنا والسقم والهيام اى وجود وزال عن القلب
همه وكدره :

جاوا ارباب هل الجور عند زهرا طلبوها الفلمكار يبقى تكدارو
فى قلبى حاربهم مير لعطف بوفق لسمزار
ملوك العشق اضحاوا يسرا * فسنبسل لعطف يسرهم امزارو
ما باقى لمتيه جـرا * وكذلك الضنا متضمحل اتارو
والشغف اجنودو افكسرا * جند لهيام كاشف لعطف عيارو

، ، ،

زالت عن قلبى الكسرا (I) * فبساطسطنى اضخام فى تسوارو
ولم يكتف الشاعر الشعبى فى التعبير عن حاله بمقارنته بحال
محبوبته او عرضه فى نوع من الشكوى وانما لجأ الى لون طريف من
المقابلة جعله يدخل فى حوار رائع مع بعض الاشياء الاليفة لديه على حد
ما نجد عند امتيرد فى « الشمعة » التى يقول فى حربتها ، مستفسرا عن
سبب نواحها :

(I) الكسرا : الغمة .

لله يا الشمعا كرى واعلاش د النواح والناس افلفراح
وانت اجواهر ادموع ابكائك الا اعطيل
وعلى حد ما نجد كذلك عند محمد بن الوليد في شمعته مستفسرا عن
نفس السبب :

واعلاش يا الشمعا تبكى مالك * عدلى واشيرو اسباب ابكائك
ونقف قليلا عند شمعة ابن على العمرانى التى يقول فى حربتها :
لله يا الشمعا سلتك ردى لى اسوالى * واشمبك (I) فالليالى تبكى مادالك اشعيل
فهو يطلب منها أن تخبره بحقيقة أمرها مؤكدا لها أن أمره أعظم وخطر :
ليا دون اخفا اشكى ابما فدخالك واحكى قصتك نصفى لك
وناقصتى بها نتعداك

وقبل أن يتركها ترد على سؤاله يفترض أنها تبكى من نار أو سقم أو
فراق ، ويقارن بينه وبينها مبينا أن نار قلبه فاقت كل نار فى جسمه العليل،
وأنه ورث سقمه من قيس بعد أن أفناه سقم حب ليلي ، وأنه مفروق عن حبيبته
صابر على الفراق ، ويتساءل عن سر حالها ما دامت لم تفارق خليلا أو خلية :
اذا باكيا عن نارك نيران فى ادخالى
عدات كل نار اقداتى واجوارحى اعليلا
ويذا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى
من قيس وارثو بعد افناه اسقام حب ليلي
ويذا باكيا بفراقك مفروق عن اوصالى
واعلى لفراق صابر شيصبرنى اعلى لعقيل
ونت امنين جاك احكى لى اللوى والتالى

ما فارقا اخليل ابحالى ما فارقا اخليلا
وتجيبه بأنها كانت فى الاصل نحلة تصول فى مملكتها محجة لا تخرج
الا فى أيام الربيع لقطف الزهور ، ولكنها هوجمت فى عقر دارها ، وأخذت
للمعصرة حيث صفيت ليتخذ شهبها قوتا ودواء ، وليلف شمعها على فتيل
ويوضع على حسكة (2) ويشعل ليلقى عليها قطراته ودموعه . ولكن الشاعر
(I) واشمبك : أصلها أى شىء بك . (2) الحسكة : الشمعدان

يصبرها بانها ان فارقت مملكتها وبنات جنسها فهي في صحبة قوم آخرين
أفاضل ، حيث تسهر مع أهل المال والعشاق وفي مجالس العلم وبيوت الله .
وتضطر الشمعة في الأخير الى الاعتراف بأن ما تقاسيه من نار ليس غير عشر
ما يحسنه ، وأن قصبتها ليست سوى إحدى قصص عشقه وهواه :

صبرني يا حبر اللغا بشعارك ليأ ايخبروا بخبارك

يدريه امن اكون اسوايا واسواك

نأري نحكيا كم لعشور افنارك واسراي اتجي لسراك

قصا امن اقضيص عشقك واهواك

وكما توجه المحب الى الشمعة فكذلك توجه الى الحمام ليبيته شكواه
مما قاسى من الجفاء ومن هجر المحبوبة لرسمه بعد أن تصببت لها الشباك ،
كما نصبت لائى الحمام . ويسأل الرسم فلا يجيب فينسكب دمه لان كل
حبيب يزوره محبوبة الا هو والحمام فانهما لا ينعمان بهذه الزيارة . يقول ابن
سليمان مخاطبا حمامه بهذا الكلام :

قرب نحكى لك يا حمام اعلى ما قاسيت بالجفا

كيف أجرى لك هكذا أجرى لى نعتاد الطير ما يروم الغير وخواف

نصبو ليه الشبكات عديانى كانت فيه حالفا

ونابهم كنت ما نبالى ما يحصل عندهم لولا صادفوه اصداف

طيرى ما هو طماع غير الوعد الغلاب ما اعفا

خلى رسمى يا حمام كيف اخلات الفتا ارسامك بعد التلواف

سولت المرسم لا اخبار اعطانى والدمع ساكفا

بالتغراد ايقسم الليالى غير انا يا حمام وئت في ذا التشغاف

راكل احبيب ايجيه محبوبيو ويزورو عل لوف

واييات افراحا اسليم سالى فاش ايجيه الرقيب لودار الفشواف

وقريب من هذا ما نجده عند ابن على الذى وجد المرسم خاليا من

المحبوبة فقال :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك خالى مهجور

سكانك جابونى انزورهم لله وايين ساروا

واعطنى لخبار

ومثله الكندوز الذى يقول فى رسمه :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك حاجب لبدور

حجبهم عنى او شوقهم زاد القلبى نارو

مكوانى صبار

واذا كان ابن سليمان قد قابل بين حالة وحال الحمام فان ابن على أدخل

الم رسم فى المقارنة فجعل يبكى على الشمعة يقول :

أنا والمرسم يا حمام ثالثنا فالزهو انت

الم رسم يبكى اعلى الشمعاوانت تبكى اعلى النناونا عل لغزال

فقد ألف المرسم الشمعة وطنها لا تغيب ينظر الى ضوءها كلما حضر

المحبيب ، وألف الحمام أنشاه كما ألف المحب حبيبته فى رسم لا يطأه أحد

نرى هذه المجموعة الاليفة وغير القدر المحتوم ، والفراق الذى شئت شملها

وتركها فى حال يبكى له الجواد كما بكى لسرورها الاعداء والعدال :

والفت المرسم يا حمام الشمع تحساب نابتيا

وقت ما تارك لغزال اخياها شعال

وانت تنعم كيف تنعم لعقول المحدثا

والفت انتاتك كيف والفت انا لجمال

فى رسم اعظم ما اوطاوا اوطانو خيل لعت اعتا (1)

غيرانا وانت والنتا والشمع ولغزال

والوعد امحكم ولغراق اللى غيرنا امثالنا

كيفى كيفك يا حمام كيف المرسم فالجمال

لنايبكى الصم ولقضا وانبيكو اللى صامتا

كيف ابكاوا اعلى اسرورنا لعدا والعدال

ومع كل ما يعانى المحب من آلام ، فهو لا يتردد فى تقديم الطاعة عبدا

مملوكا لمحبوبته عساها أن تكون راضية عنه . فامتيرد يرى الطاعة أمرا واجبا

نى الغرام فيخاطب فاطمة بمثل هذا القول :

(1) خيل لعتا اعتا : لعل المقصود بها العاتية

طاعتك لازم عنى واجبا افلغرام

وابن على يتساءل عما اذا كانت مستقبله زينب مملوكا لها يلزم الباب :

يا ترى تقبلنى مملوك لازم الباب

والمدغرى يتعلق بحرم فاطمة ويرجو ألا ترفضه خادما وعبدًا على الطاعة:

زاوك افحرمك قبلينى اخديم الال طيما اعبيد اعلى الطاعا يا طيما

وهو يشهد الناس أنه غلام أم كلثوم دون ما بيع أو شراء ، لا يرى

فى ذلك أى لوم :

شاهدوا باين وديت فختامى أنا اغلام كلثوم دون البيع والشرا مافيهامشى لوم

وهو فى «لعشيق ديما ينقلب» مملوك يخدم ركاب سيده يسير أمامه

ان ركب عارفا بشروط الركب وآدابه :

مملوك سرت نخدم من تحت اركابو سابق كندامو ايللا اركيب

حافظ فضميرى اشروط الركبا

والعلمي يتمنى لو أن المزيان يبادلّه نفس الحب حتى تتساوى العواطف

ويرتاح من الجفاء مقابل مضاعفة الطاعة والخدمة دون ما تقصير :

لو كان اكما نبغيك تبغينى تنقاد (1) لمحبا تسخر للجانبين سر الصديق الامان

انتيا من لجفا اتنهينى * ونا انزبد فالخدماء والطاعا ولا اتشاهد منى نقصان

والمزيان بدوره يوصى محبه أن يصبر على جفاء كاسبه وسلطانه وأن

يخضع ويركع بين يديه وينادى لجمال صورته فى همه وشان ، وهو بعد

هذا لا يريد مالا أو غنى وانما الطاعة ، وهى فى امكانه :

تصبر لجفاى ايللا اعشيقينى *

عشاق لبها مكسوب المملوح ابلقهر ولبها سلطان

واخضع بين ايدي واهدينى * بنديق (2) اكبالتى واتادب لجمال صورتى بالهما والشان

وامتاع الدنيا ليس يغوينى * لكن طاعتى تملكها يا عاشق لبها بالخير والحسان

والعلمى فى «توكت لاهلال» مملوك لا يخرج عن طاعة سيده ويستبشر

لاوامره ونواهيته ، ويرى ان الغلام لايد أن يطيع مولاه كما يشاء ويرضى :

مملوك مايلى عن باب الطاعا اخروج

(1) تنقاد : يصحح لها قد واحد أى تتساوى

(2) بنديق : طاطا وركع للسلطان

نرضى المن يكسبني ابهاه
تستبشر عن أمرونهاه
ولغلام ايطيع المولاه كيف يرضاه
ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش لام الغيث :
مانا الا عبد قلت لها وانت يا مولاتي ابشايين (I) ترضاي ارضيت
بل هو حين يستغيث بها ويطلب منها أن ترحمه بقبلة قبل فوات الاوان
يؤكد لها أنه عبد موروث:

قولوا الال غيث رنا بك كانستغاث
روفي اعلى افريد امواك وغثيه
يا للى بيهاك اسمتيه
لاش عل الجمار ارميته
احميه ابقبل بالغالب قبل ايفوت الفوت
ياك اتعرفيه اللا اعبيد عندك موروث
ويرى الحاج احمد امر يقق نفسه مكسوبيا لزيب بحكم القدر المحتوم
ولكنه راض بما كتب له :

بالحكم الواجب * عبدها متملك مكسوب
راضى مكتاسبى * شفت العين اجنات كما اكتاب
أما الفقيه العميري فخديم لزهيرو صابر على هجرها :
صابر صابر الحبها اشجال ونى مملوكها الغلام
وعاد صابر اعلى اهجيرو

ورغم كل هذا التفانى بظل المحب يعانى من الفراق والهجر والنفور
والغيب الطويلة ويخبر العلمى عن فراق محبوبه الذى جفاه وتركه فريدا
بلا عقل ، براوده طيفه وخياله ، فيقول :
كيف ايواسى اللى افرق محبوبو وابقى ابلا اعقل فى لرسام افريد
كيف اجفانى احبيب قلبى
ظل غير صورتو وانعوتو واخيالو

من لاعمرى انظرت زين اقلبدور ابحالو

ويصور لحظة الوداع وقد ذهل وتقل لسانه وارتخى جسمه وانهمرت
دموعه ولم يقل شيئا لمحجوبه :

ماصبت حين ودعنى ولقى ما نقول

دهلوا اجوارحى واثقل السانى

وارتخاوا اعزوق ابدنى

وهطلوا بالدمع اعيانى

ولكن محجوبه حياه وجلس اليه وجعله يستمتع يقربه قبل أن يودعه
ويمنحه قبلة الرضى ليتركه مسلوب العقل :

أولا اسباني حتى جاني اقلون قانى

واحيانى بالسلام واجلس واسطبت (I) اكادو

امين شافنى امسلى نيم شفرو وقال لى ودعتك يا سيدى

قبل بعد لوداع راضى باش املكنتى

او حاز عقلى وامشى فى حالو

ويستعظم المدغرى فى «الكنأوى» يوم الفراق ، وقد تركه أحباؤه مكويا
ينوح فى حالة تدعو الى الرحمة والاشفاق .

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فى ارسيم اضميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

وهو كالعلمى لا تتركه المحجوبة فى «الفراق» دون أن تسلم عليه ، ولكن
ليس بقبلة وانما بعناق كاعتناق حرف اللام ألف :

لا ايعيد افراق المعشوق يالعشاق بعد ما عنقنى تعناق لام مرشوق

وتطول الغيبة بالعلمى ، فيشتد غرامه ويقوى عزمه ويطول كتمانته حتى

كأنه مسحور سحره راهب رومى يستحيل أن يحن قلبه فهو أقسى من الحديد،

ويتساءل عن هذا السجر أهو طلسم او تعزيز فى الجدول بخط عجمى :

اشتد غرمى واقوى عزمى

(I) اسطاب : استمتع ، وأصله استطاب

اعيتت نكمتي

كيف اللي داخلوا مسجور أعلى قلب اجواه

واللي مسجور ارحيب رومي امحال يحن ليه قليو اقسى من لحديد

ما نعرف داسجور طلسم او اعزيم ابخط عجمي .

وهو قد اشناق الى جمال محبوبته ولم يعد قادرا على تحمل الفراق رغم

صبره الشبيه بصبر قيس على غرام ليلى وصبر عنتره على غرام عبله ، خاصة
وانها لم تبعث له رسولا أو مكتوبا ، مما حيره وجعله يسأل عنها كل من لقيه :

طالت أسيدى هذا الغيبا

واتوحشت ابها

اولا قدرت للفراق امعا

...

نصبر اكما اصبر قلب لعشيق النكيب

قيس لغريم فهو ليلى

واشواق عنتر من عبل

...

لاكتب لارسل اقدم من عند الحبيب

اجميع من القيمت انسالوا

وانقول احبيي عالو

ما بان ما ظهر بخيالو

وهكذا يبدو الفراق على حد قول المدغرى من عفا للنفوس مجفقا للريق

مشيبا للشباب مروعا لسرور العاشقين بخيول جيشه وأعلامه ونباله المعزقة
الفتاكة ورماحه المريقة للدماء :

ريت لفراق أوعدى بالنفوس زهاق ❁ افلحلاقم ريق اهل الشموق به مسروق

ريت لفراق ايتشيب بالصبا ولشواق ❁ كن عاشق فصبا امن الفراق مخروق

ريت لفراق بسرور العاشقين ملاق ❁ ابلخيول افجيشو واعلام ليه موثوق

ريت لفراق أنبل سهمو اسريع مزاق ❁ من اسنون ارماحو دم لعشيق مهروق

فلا عجب والبين بهذا الاثر أن يتخيله ابن سليمان حجابا بينه وبين

حبيبته في شكل سور رواقى من الحديد عرضه خمسون ميلا ، له باب يسمى

باب الرضى ، لكنه فى الطرف الآخر قد أغلقته الحبيبة :

سور البين ارواكى امن الحديد عرضو خمسين ميل فوتاكو (1)

هذا انظن به اغزالى تضريك (2)

بابو اسميتو باب الرضى من عندو مغلوك

وعلى عادة الشاعر الشعبى الشغوف بالتشبيه والمقارنة والرمز فقد
تخيل المحبوب الهاجر طائرا نأفرا خصه بقصائد أطلق عليها «الطرشون» ،
وهو اسم لنوع من الطيور . يقول ابن على العمرانى متحدثا عن طرشونه الذى
غاب وهو يخاف أن يصطاده أعداؤه فيتشقوا فيه وينتقموا منه :

طرشونى مزلى الصيادا ماريت ابحالو لله واش ما شفت لى طير غاب لى
خوفى ايصيدوه اعدايا ويقطعو ابحالو يقدوا فيه ثار المغلوب الا ايقدى
ويقول ابن على المسفيوى عن طرشونه الذى غدر به وجفاه فانهكه فراقه ،
وهو يطلب من الله أن يجمع به الشمل ويحقق الامة :

طرشونى غاب ياهلى واغدرنى واجفانى وافراكو رشانى

نسعى لكريم به يجمع شملى وامنايا

والمحب لا يعانى من الهجر والنفور فقط ، وانما يعانى كذلك من اللائم .
وتجد المدغرى يعذر لائمه لانه لم يذق من كؤوس شراب الحب ولم يجرب
الهنوى وأهواله وكيائه وآلام الفراق والهجران :

لو ذقت يا لايم كيسان اشرايى تعذر من روحى الشاربيا

واتجرب لهوا وجمر اشرايو

واتسوف كيتى وهجرتى واشغابى واجنود الهجرا الشاغبا

وامحاور لهوا او حر اشغابو

وتجد العلمى مثله يلتمس العذر للائمه الذى سلم من الجراح والظعن

واللسع ، فيقول له :

سر أمن لام

ذاتك من لجراح سالما

(1) اى فى وثاقه ، والمتصود الاساس

(2) تضريك : تستر .

ما طعنوك اشفار نايم

ما بهضموك ايام

مالسك امن الصديق شى ارقيم

ويقول للائم آخر ينهاء عن اللوم حتى لا يبتلى ، ويؤكد له انه لو ضمن

سلامته من الهوى لما مل من سماع لومه أبدا :

كف للام

دعنى يا لايم

حالى بسلام يكفاك مشتغل

سلم يامن لام لا اتبلا

لو اعرفت لهوى بلامك يتراك

ما تقنط بسلام

ما نمل من قولك هيهات ما نتخل

ومن عجيب أن احمد ابجرات استطاع ان يؤثر على اللائم ويجعل قلبه يرق وينذهب رسولا الى فاطمة . فهو بعد أن نهاء عن اللوم وحذره من الوقوع فى العجب ، طلب منه أن يسأل ويجول ويستفسر عن الباب الذى يمكنه أن يدخل منه دون خوف . فاذا كان يريد أن ينظر فليتنظر الى حال جسمه العليل ينبئه بالخبر اليقين ، واذا كان شجاعا من الابطال فليقف الى جانبه ليحميه ، واذا كان حكيما متجما فليسلب له عقل محبوبته مقابل ان يهديه نفسه ، واذا كان يواليتها فليذهب اليها ليلوعها وينهاها كما جاء يلومه وينهاها حتى تجود له بالوصال ، وسيقيم له اذ ذاك ليلة زهو وسرور مقابل ما قدم له من مساعدة . فلم يلبث اللائم أن أخذ فى البكاء وذهب الى فاطمة يحمل لها رسالة الحبيب :

ألايم لا تلوم سلم

واعذر ناسى لغرام

ليديك الله أتزطم

بالنعل اقمقام

من لا يوزن ولا يخمم

محسوب من لغشام
والناس احوال
والحال امن اهلو ماتحول
نبيك اتسال
واتسقى (I) بعد ما تسول
وتجول اشحال
وتعرف الباب امناش تدخل
ياك العقل نور من صنعت العالى
سر به الحكم حاكما
القلب ايشوف والنظرا للعين السرديا
ويلا كنت اتشوف شوف احيالى
شوف من حال الدات الساكما
لعا ايخبروك بالكتم فالسريا
...
ويلا كنت اشجيع من لبطالى
...
أجى فكتافى اوكون لى فالتحزار احميا
ويلا كنت احكيم
نزل اشكال اسرار العاطما
واسلب ليا عقيلها ونالك اهديا
ويلا كنت اعلى للمليح اموال
سير بعدا لوم اعلى فاطما
وانهيها كيف جيت اتنهينى وارغب فيا
مضر اتجود لى بوصالى
الى اتجنى بالزورا عازما
نفرح بمجيك واتقيم ليلا زهويا
شفيت لايمى وابكى من حالى
...
وارجع حتى ادى امعاه ابرا (2) بخط ايديا

(I) تستفسر ، واصلها فى الفصحى تستقصى . (2) البرا : الرسالة .

والشاعر الشعبي لا يكتفى بالشكوى مما يعاينه وإنما يحاول أن ينفذ إلى قلب حبيبته والوصول إليها بشتى الوسائل ؛ يحاول بالرجاء والاستعطاف على حد ما نجد عند العلمي الذى يلتمس من محبوبه أن يحن ويشفق ويعفو عنه وينبهه وينهاه ويطلق سراحه ويفديه ويؤزره ، وهو مستعد لقبول كل الشروط :

قابل اشروطك حن واشفق واعطف لى احوالك زورو ويوزرك
تبهو وانبيه اينهيك سرح مسجونك بالجافى وانعم لى ايلفكاك
وافدى ميسورك لى حالو محسوب اعليك واعلى مغلوبك جد واصفح
وقلى حد ما يسمعنا الطيب الواسرى الذى ضيع اوقاته (I) وافنى ذاته طمعا
فى رضى المحبوب وتفانيا فى حبه :

ضيعت فيك اوقاتى * وافنيت فيك وارشييت
واتبييت ما نطمع ذاتى * برضاك يا من اهوييت
رفا ياضيا مقلتى * رنا ابجيك افنيت
وهو لا يطمع الا فى أن يتذكره ويؤزره :
أنا افعارك أسطاني توفى ازيارنى واتفككنى يا عنايتى
يامن طاعوا ليك بالقبرا نبات

وابن على المسفيوى كذلك لا يطمع من محبوبه فى غير الزيارة :
ياهلل الزين المهيوب بالهجب جدى بقدامك ياضيا اهدابى
والمدغرى يطلب من الله أن يجمع بينه وبين حبيبته فى اعتناق على النهج
جميل :

المولى لاقى لاقى * اقريب لاقى
لاشى لاقى * انساود عناقى
اعلى التهد مازين التعناق

والكتدوز لا يرجو من جميل الخال إلا أن يزوره ويصله بعد ان عذبه بتيهه :
أيا سابغ لنجال * عذبتنى بالتيه يا شملاى
زر رسمى يازين الخال * كم لى نرجو لوصلال
I لعله يقصد اوقات الصلاة كناية عن الدين

أما سيدي العربي مول الغربية فهو يرجو من أمير الهوى بعد أن ملك عقله وشوى كبده أن يجود على أغصانه بغيث يروى غرسه ونباته :

يا مالك عفى بك لكباد تشواوا جد باعطارك لغصاني انبات راوى

وقد ترق المحبوبة وترد ولو باعتذار كما فعلت مريا التى زادها الفلوس نارا بشكواه ، فخافت عليه أن يذوب من كثرة السهر ، ولكنها أكدت له ما يعرف من أنها تحت حكم أهلها ، وأنهم لا يرضون العار ، وأن المحكوم لا بد وأن يخضع لقدره :

وادوات اغزالي اهلال عيى قالت لى يا عشيق حسنى زدتنى نار
خوفى غير اتذوب بالسهر ذات العشاق دايبا بالولفيا

قالت لى يا عاشق لبها تدرينى تحت لجكام واهلى ما ترضى عار
والمحكوم يصرف لقسدر هذا عذرى احكتلك دون اخفيا
وسألها عن الحل فى هذا الوضع فدعته الى الصبر لما فيه من حكمة خفية ،
فما كان منه الا أن قبل الارض ورجاها ألا تحرمه من رؤيتها ، وأخبرها انه
سيلازم الابواب صباحا وعشية :

قلت لها يا رايت لملك كيف المعمول فدننى يدامى (I) لوكار

قالت لى مصقولت الصندر الصبر املح فيه حكما سريا

طلحت وبست الارض قلت لها ما عندى ما انقول يا من حزت توقار

لا تحرم جفنى امن النظر هانا عند لبواب صباحا وعشيا

وقد لا تلتفت المحبوبة فيلجأ الى بعض العتاب كما فعل امتيرد وهو يصارح
طامو بأن الافاضل يستحون من العيب وانها لم تستح ولم تكافىء ولم تكرم
ولم تجاز ولم توف أو تواف ، ويحذرهما فتنة الجور ونهاية الظلم ويذكرها بفناء
الدنيا وأهلها وبرحمة الله التى تشمل الجميع ويدعوها الى أن تغتنم شبابها
وتزوره قبل فوات الاوان :

والعيب يا بدع الصورا به لفضال تحشم

وانت ما احشمت

ما كافيتى

ما كرمتى

(I) الدامى : الغزال

ما جازتى

ما وافقتى

ما اوفتتى

الجورفتنا

والظلم انهايتو الضنا

نهجر نهج اظليم

والدنيا كيف اترايها ابهلها راحل وامقيم

غنمى صغرك ربى ارحيم رحمان

فضلعو اكثر

وارحمتمو منشورا لعل اعباده

بها اجميع يرحامو

زورى احبيب قلبك وامولى يالريم غفار

ومثل هذا يقوله العلمى لمحبوبه يطلب منه أن يرحمه بعد ان اهلكه ،

ويلبى طلبه لكى يجزيه الله ما دامت نجومه مضية وهلاله ساطعا بين الافلاك

قبل أن تحجبه غيوم الزمان وتطفى نوره :

وارحم بعد لهلاك

واطلق مطاوبك

تاجر لكريم ايكفيك

ما حد الجوعك ضاويا واعلالك بين نمالك

من قبل اغيومتك

اينطفئ ضو ويخليك

وباعتف من هذه اللهجة يؤنب امتيرد فاطمة (I) فى عتاب ممزوج بوعظ فيأخذ

عيبها أنها تنكرت له بعد عشرة طويلة حسنة ويكشف لها عن عيبها وقد تجلى

أثره فى سقام جسمه، ويلفت نظرهما الى أن أهل الحياء لا يصدر منهم عيب مهما

طال بهم الحال ، وأن الجميل يساعد لنفسه الايام وأن القبيح يصادف

نتائج أفعاله :

(I) يطلق الاشياخ على قصيدة فاطمة هذه : «اتراى فاطمة»

اي ترييتها ،

بعد حسن العشر! واكمال طيب لمرام زام رعدك واهطل بفراثنو اسكيبو
بان عيبك واغشاني فالجوارح اسقام وناس لحييا لوطال الحال ما ايعيبو
لمليح امساعد وامساعداه ليسام ولقبيح افعالو وامصايبو اتصيبو
ولا يكتفي بهذا بل يزيد في وعظها عساها ترق وتلين ، ويحاول ان
يفهمها ان لكل شيء نهاية مهما علا وعظم ، وانها لو كانت قصرا ضخما على
الحيطان لانهدمت اسواره ، ويدعوها الى ان تستيقظ من سهوها وتيهها
وتنظر في حال من سبقوها لتعرف انها منتهية مثلهم :

كان كنت اقصر اتعلى او حاز تضخام لو اعلات الحيطان اسوارها ايريبو (1)
كان اسهيتي اتيقظي من حال اسهوك وبلا تهتي التيه اتعريك ايامو
نظري بملامح لبصار الي سيقوك اكما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو
ويختم تأنيبه بمصارحتها بانها ان رفعت قدرا صغر ، وان الادب
يدل على النسب الطيب ، وبان شمسها مهما اشرفت فان الليل لا محالة
حاجبها ، وبان عمرها مهما طال لا بد وان شيب الكبر يصيبها ، وبانها
مهما حكمت واستبدت في الحكم فان ساعة الظلم لا تدوم وصاحب الظلم فان:
ايلا اترفعي قدرك يصغار لاداب ايدل اعلى اكمال طيب النسما
لو اشمرقت ولاحت فالجوشمسك اعلام لاغني الليل اينادي خلفها احجيبو
لو اتعيشي ما عاشو فالزمان لهرام لا غني عن لكبر ياتيك جند شيبو
ولو احكمت واتحكمت يفرغ لحكام سماعت الظلم اتقوت وناسها ايشبو
وهو لا يحاول ان يعتذر عن هذا العتاب وانما يلج عليه تأنيبا لها لو
عقلته ، ويطلب منها ان تنخلي عن الصمد والجفاء وتنظر اليه وان تصون
عرضها وتكتم عيبها وان تفي بالقول الصادق ، ولا يترك خطابها الا ليؤكد
لها عتابه وانه سيعود اليه :

حدثك احديث للعاقل تنبيه تركي صد الجفا اوصول فوصالي
عرضك صونيه وعيبك الناقص كتميه ما احل من فا بالصدق والقول الوافي
حافيتك ابلحفا او ما زال الحافي (2)

(1) ايريب مضارع راب اي انهدم (2) الحفا : العتاب وفعله حافي .

وقد يلجأ المحب في محاولاته الى ارسال مبعوث يخبر المحبوبة بحالته وبأتيه بها ، وقد اطلق الشعراء اسم «المرسول» على القصائد التي تحكى ذلك . ومن اروعها مرسول الحاج احمد الغرابي الذي بعثه من مراكش الى فاس بعد ان أخذ منه العهد انه سيحضر له محبوبته ، ولكنه عاد بمفرده ولم يحقق الغاية من سفره ، فاسقط في يد المحب وتاه عن عقله وانهمرت دموعه ، وسأل المرسول اول ما سألته عن المحبوبة التي وعده باحضارها ضداً في العواذل ومقابل مكافأة سخية ، تلك المحبوبة التي اشتاق الى خيالها وفارق من أجلها احبابه ووطنه ومنزله وعشيرته :

ليه ارسلت ارسول اعلى او عس يبلغ قصدي امناه وايتوك اهلالو
وايسلني بعد لفراك كيف اتسلت ازمان
قاولني مرسولي ايحضر و امسكت العهد نوثيق واحصرت اقالو
من البهجا لمدت لحضر صفتو (1) عجلان
امشي وارجع بعد حين وانويت جابو كيف قال وفا فقوالو
وانصيب ولي اقريب واعلاش امشي عا بان
مهما سلمت اعليه طاش عقلي واخرجت عل لحوال وادموعي سالوا
اول فكلامي قلت له واين دابل لعيان

...

ياك امرسولي قلت ما تولى حتى ياتي امعاك ضد افعدالو
ونا نسخي بيمسارتي (2) انهار اتجي بالمزيان
امرسولي واين لجيب وين (3) الذي اشتكت اخيالو
وافرقت احبابي ولوطان ورسمي والعشيران
وما زال يلح على المرسول ان يخبره بحال المحبوبة وسيرتها وهل هي
سالية او مثله مهمومة شاكية ، باكية منكدة ، حتى أنباء - بعد ان عهد له بان

(1) صافت وصيغت : ارسل .

(2) البشارة في الفصحى التبشير ، وهي هنا المكافاة التي تمنح للمبشر .

(3) واين بمعنى اين ومثلها وين .

لا غنى عن الصبر لكى يهون الصعب — ان اعداءه حاموا حول محبوبته
وانهم لا شك حرزوها ومنعوها عنه ، ولكنها تشكو افتقاده ناحية حزينه
بالليل والنهار ، فقد استطاع المرسول أن يصل الى دارها ويبلغها كتاب
حبيبها الذى عظم فى عينها ، فقبلته وقراته بكثير من التحقيق ودمعها يسيل .
فكان جوابها أنه من المستحيل أن تنساها ما دام لم ينسها وانها تشفق عليه
من المحن التى لا قبل له بها وان القدر هو الذى فرق بينهما وان لكل قدر
كتابا واجلا وان ايام الهجر لا محالة منقلبة الى سلو وسرور ، وهى تريد منه
ان يمهلها حتى تصادف غفلة الحسود او تضلله فتلحق به ليغنمها ساعة زهو
يرتشفان فيها الكؤوس ، وتؤكد له ان ذاتها وبهاء حسنها وصورتها
وجمالها وروحها وكل جوارحها ملك له وانها ان تخلت عنه تكن خائنة :

امر سولى لله فدنى واخبرنى عن سيرتو واحالو واحوالو

سالى ولا كيفى اهميم شاكى باكى نكدان

قال المرسول اعاشىق الزين اصبر لا غنى والصعب يهوان
محبوبك دارت به الپدين لا ريب حرزوه اعليك العديان
لكن من فخذك ناحب احزين نواح فالضيا وعكاب (I) الديجان
محبوبك اوصلت المنزلو بكتابك وارفع ملتقاه ابتقبالو

واقراء اوحق اشواهدو اودمع انجالو هتان

قال احببى محال ينترك من بالى ونا ما اتركنى من بالو

حاشا حتى نرضى انمحنو ما يستهل لمحان

غير الوعد افرقنا وهكذا قدر مولانا او كل وعد بمجانو

وايام الهجر لا غنى اتعود اسرور وسلوان

قلو ايمهل على حتى انصيب نغفل لحسود او منى ينضالو

وانجيو انغنم ساعت الزهو برشيف الكيسان

ذاتي وابها حسنى اوصورتى واجمالى والروح ولعضا مكسوب لو

الى دزت ما دمت افلحيا يحسبنى خوان

ولكن المحب يرد على المرسول بأنه يخاف ان تطول مدة الهجر التى

(I) عكاب : اى عقب .

تعد ساعتها في حسابه يوما واليوم زمانا :

جاءت ارسولى قلت له خفت ايام الهجر اعلى اخبيرى بطوالو

عنى ساع فى عوض يوم واليوم فى عوض ازمان

كذلك قد يلجأ المحب الى القضاء عساه ينصفه من جور المحبوبة ،

وقد اطلق الشعراء على هذا اللون من القصائد اسم «القاضى» :

وقد ذهب امتيرد الى القاضى ليفصل بينه وبين حبيبته بعد أن غابت

عنه وهجرته وتكررت له ، وهو من حبها مروع مسحور ، ويرجوه ان ينظر

في حاله ويطرد عنه الاكدار :

وهو ياودى جيتك يالقاضى تفرقنا ابلفصال

الى الحق فيا قبضو منى * مال ولفى تساهت عنى

القاضى يحسن عونى * ما افطنى ولفى اتغيب عنى

من حبها ادهانى * سحر ادهانى

...

اهجرتنى ميلافى اخيلتى صالت عل لبدور نكرتنى يا حسرا

شوف من حالى يالفقه طرد اغيارى

ويتوجه القاضى الى المحبوبة يطلب منها أن تجيب فتد بان المدعى لا

يسعى لغير العار ، وانها لم تكثر لاهره لانه قابلها عند باب دارها يوم

كانت خارجة للزيارة ، ونظر اليها وطلب منها أن تصاحبه فى فسحة

فرفضت ، وهو اليوم بدون حياة يتأصبا بعد أن زور فى الشهادة ، وهى

تؤكد أنه مجنون وأنه لم ينظر بعينه الى جمالها ولم يظفر منزله بها ولا

اشتعل شمع من اجلها ، وما تظنه الا يقصد المزاح :

قالت اميدى هذا جا ايحارب العارى * ونا يالقاضى ما جيت اخبار

غير اجبرنى في باب دارنا يوم اخرجت انزور (I) * وارمقنى بالنظرا

قال ياديك الهيفا ارواح تنسارى * ونا ما ابغيت اتبعو للدار

وادعانى يالفقى ابلا احيا دار اشهود الزور * اشهنهو دا الحكرا (2)

...

(I) المقصود بالزيارة زيارة المقابر واضرحة الاولياء والصالحين .

(2) الحكرة : الاحتقار .

وهو ياسيدي قالت بالقاضي هذا به ليهبال * عمرو ما نظر زيني بالمأحو
اولا ظفر بي مركاحو (2) * اولاً شعل عني مصباحو
الحب لاحو مهما اضوا امراحو *

عنوا ابقي امراحي * ما هو ساحي
وغضب القاضي لهذا الرد ، ورمى المدعي بالغدر كأنه يريد ايداءه ،
وطلب منه أن يفارقها وأن يترك الفجور والا يقوه بأى كلام :
دار لفقيه ابغيظ رايد اشراى
وانطق قال لى ياذاك الغدار
فارق عنك مكمولت ليهال لا تدعى بفجور
ما نقبل لك هدرأ

وحاول أن يعرب عن حقيقة حبه فطلب منه القاضي أن يحضر الشهود،
ولكنه رد بالأشهود له غير الخليفة وطائر الحساني وكؤوس المسطار وبعض
انواع الخمر ، ولكن له ما يثبت به دعواه وهو الوشم الذي رسمته بين
نهديهما ، ويمثل طيوراً حراراً وليثاً ولبؤة ، وقصوراً ومنازه ، وطلب من
القاضي أن ينظر بعينه حتى يتأكد :

كلت لو ما حضرو حتى اشهود فوكارى
الا اخليلى وكؤوس المسطار (2)
والحساني والكاس كيظل عكب الديقور
وانواع من الخمر
وهو ياودى واسمع بالقاضي وانظر زين ليزال زكى املامحك
فبديع اصداها
فيه دارت ما يعجبها
اكما ابغت اعلى خاطرها
تاج ليهال
سبحان امن اخلقها

I) المركاح : المنزل .

2) المسطار كما في الفصحى نوع من الشراب حامض ولعله لم يقصد
به غير الخمر رغم انه ذكرها .

فحروفيها انزاها ما ننساها ها ايمرتها
نورها صبيغ ياقاري
بين النهود فزلت اطيور احرار
واعملت اللبث امع البيتو وامنازه واقصور
وانظر زين العفرا

واراد القاضي أن يتأكد من هذه الإمارات فرفضت المدعى عليها لافئة
نظرة الى أن كشف العورة حرام في المذهب وان ما يقوله لم يرد قس
الكتب :

قالت اغزالي للقاضي انبين اعواري
هذا حرام فالمذهب ما يذكر
شين قلت محذوف يافقيه ما جابوه اسطور
واغتاض القاضي ، ولكن المدعى طلب منه أن يحكم بالمشهور ، ونظر
القاضي الى وشمها فناه عن عقله وغدا خصما للعاشق واعتبره ظالما ، ولكن
المدعى حاول ان يسميه ضمير القاضي وان يخوفه الله :
قلت لو خاف امن المولى واشف لضرار
انا اعشيق كيف اجرى لي نهجار
فعاد للقاضي وعيه وحكم له بان طلب من المحبوبة ان تسامحه
ونترك هجره .

واذا كان كذلك حكم قاضي امثيرد فان قاضي المدعى حكم له حيث
طلب من المدعى عليها ان تعفو وتصفح ، وخوفها انشعور بنفس الاحساس
اذا ما حضرت مجلس الحسان ، وكأنه اراد ان يعرك غيرتها ، وكذلك
فعل اذ امر خدامه ان يقودوهما للدار :

قال لفقيه سامح يادلبها الواضح
خوفي اتذوق ما ذاق الى شفت اريام تتمايح لمكاني
قال لفقيه فالحين الخدامو اقوام
زيدو ابدوك قدامي للمركاح
ليه سرتنا من غير اشحاح

والدمع عن خدى سياح
بالسرجاح
ونا انجى ابلقصوح
سرنا اجميع دون اوقيح
لبساط شارق افترضيح
شمل انصيف بالتصحيح
سخنا اعلى ابطاحو
واريام فيه صاحوا
بنغام رايقا تشرح من قلبو اظلام وافجا هول احزاني
شاف الشرود (I) عند القاضي حر الخيام
وادهاه في ادهانو كيف ادهاني
اتوازن اهوانو واهواني
اوافق هجره هجراني
اوقال هاني
نكويت ليس هاني
والى اكواوا بالنيران
واعذاب ليعت التيهان
ما ضرهم شين كان
امنين شفتو راني
اعطفت عل العاني
عاد لخصام صلح ابطلعت بدر التمام واختمت العنواني
أما قاضي مولاي علي البغدادي فيبكي من شدة التأثر لحال المحب حتى
أغمى عليه :

لفقى ابكى بدموع ليام
من حر لهو الهيام
حتي اغشى اعليه العال وغاب لعشيق عن قصد ارامو

(I) الشرود : المغال .

ولاحد اشياع مراكش - لم نهتد الى اسمه - قصيدة فى خصام بين
شابة وزوجها العجوز رفع أمرهما الى القاضى فمالت نفسه للزوجة وحكم
بطلاقها ، ولكن الزوج استنجد بالامير فرد له زوجته ، وهى القصيدة التى
يقول فى حريتها :

اشهدت اليوم اعجوبا

شايب ظل امع شابا فمعاير واخصام

كان اتسالو يا حاضرين

واذا ما فشلت هذه المحاولات فان المحب يلجأ الى الحيل يسعى بها
للموصول .

ومن الحيل أن يقصد الفقهاء والمنجمين ويتخذ الحسرو والشمائم
والتعاويد على حد ما فعل الشيخ الجيلالى حين عجز عن الوصول الى طامو ،
فانه لجأ الى طالب من اولئك الذين يسطرون الجداول حاذق للفلسفة والحكمة
وعلم التنجيم ، فاخبره بعد أن تعمق فى سر بحور علمه ان حظه من حظ
محبوبته ، وان نجمه ظهر فى برج من ابراج النضر تلوح اضواءه :

ناديت قلت فاجبى كرى يامن ايرى او يعلم

بلى اهويت ساعدنى بانوارو

سوف مالو واشى اغيارو

كان يعطى حد اخبارو

القيت طالب خطاط افلايسى العرفو مدوب احكيم

شرح معنى فى كل فن قارى علم التنجيم

غرق سرو فبحور سر وعلان

وانطق قال لى محبوبك سعدك امن اسعادو

نجمك تالك فقوامو

فى برج امن ابراج النضر يرمى اضياه سيار

وكشف له الفقيه عن سر هجر محبوبته وانها تخشى من الرقيب
لكنها قادمة بعد الصدود ، واعطاء حرزا طلب منه أن يعلقه ويحجبه
ويصونه ، وسوف لا يلبث اثره ان يظهر بمجيء الحبيبة ، مؤكدا ان للاسماء

سرا عظيما :

لفقيه قال لى محبوبك بعد الصمود يقدم
هو احبيب وانت له احبيبو
لكن اىخاف امن ارقيبو
ها حرز التجليبو
علقو تنظر لو برهان
الاسما لها سر اعظيم
حجبو واحضيه اعلى الدوام
تنج من كل ارجيم

وسرعان ما ظهرت نتيجة الحرز فجاءت الحبيبة تطرق الباب وتم
الوصال .

كذلك لجأ ابن على المسفيوى الى مثل هذا الفقيه حين غاب عنه
الطرشون وظل يبحث عنه دون جدوى فى كل احياء مراكش ، ولكنه لم
يلبث ان سمع هاتفا يناديه ان اذهب الى باب دكالة عند الفسقية فستقضى
حاجتك . واسرع الى المكان فى غاية الشوق والظما وشرب من ماء الفسقية
وزار ضريح الولي سيدى لحسن ونام فى مقامه ، لكنه لم يحس الا ورجل
يوقظه يبدو عليه من الاعيان ، فقيه نجيب شيخ منجم ماهر داهية ، فاخذه
المحب الى بيته حيث استنحضر النجوم واستفسره عن حاله . ولم يلبث
ان ظهر سره عجيبا اذ سطر جدولا بالهندية وعزم عليه بالسريانية ، وما
ان انتهى منه حتى حضر الخديم (I) فاوصاه ، وغاب ليعود فى الحين
وخلفه الطرشون ، فما كان من المحب الا ان دفع المقابل بان اقام حفلة
فى غسق الليل دارت فيها الكؤوس وعزفت الموسيقى :

اسمعت السان حالى جاوبني يائينسانى * بعد ما تدانى
المعاجاشور باب دكال فالسقايا
سرت ايشموقى الشورها او قلبى عظمانى * القوس فوقانى
اشربت والقيت حاجتى متضيا فالغايا
ذرت الولي الشاهر السر افكل اوانى * اشفا ضر احزانى
سيدى لحسن هبى الى من لولاي

(I) المقصود به الخديم الجنى .

فمقامو نمت ما فقهت اصاح من جائى * يقظنى نوم اجفانى

اجلسمت واقربت ما كتب امن الحب اقرايا

سلم اعنيا ارجول عارات تظ اعيانى * ظاهر من العيانى

شير (I) عنى او قال زيد اللهيا

افقيه انجيب شيخ ناجم ماهر دهقانى * ضايقت فمكبانى

حضر لنجوم تم والقلب امعاء ادوايا

اشكيت اعليه قصصى بعد ماسةسمانى * ورائسى كتمانى

واظهر سرور اعجيب وانعم لى بغداديا

اكتب جدول عمره بالهند ملائى * عزم بالسريسانى

حتى جاء الخديم وصاء ابكل اوصايا

غاب ولى اسريع فالحين ابلا جنجانى * فخلافو سلطانى

طرشونى عن مرسمى تربيت لودايا

واعلى وجب لبشارا حضرت اوانى * فاغسيق الديجاني

قبساط ارغيم امحتفل والمطعم والمايا

ونجد العلمى حين طالبت غيبة محبوبة يقصده الى ضرب الفسال

وقراءة (2) الخط لبشمر بانه سيلقاه بعد سبعة ايام :

بعد ان طرحت اشكائو

واضربت سورث الفال

الخط قال لبشارا ايك اقريب

محبوبك تلقاه بعد سبع ايام اترجاه

ومن الحيل ان يتنكر المحب فى صفة شخص يطلب الضيافة على حد

ما فعل امتيرود فى « ضيف الله » حيث طرق باب دار المحبوبة فى الليل

فذهبت من نومها وفتحت له ورحبت به واكرمته على أنه ضيف الله ،

ولكنها لم تلبث ان كشفت امره فعاتبته - مداعبة - انه كذب وانه يقظها من

نومها دون اشفاق ، وطلبت منه ان يسألها لتبادل السؤال مستغربة من

امكانه التخفى عن عيون الاعداء والعواذل الذين وقفوا له بالمرصاد ، ودعته

(I) شير : اشار ، (2) يبدو انه فعل ذلك بنفسه .

الى الصفراء وخمر الشجر بعد ان اكد لها انه لا وقت للنوم فى هذه الليلة الهادئة الصافية التى تعادل ليالى بما فيها من متعة ونعيم :

انت هو الضيف ما شفق حالى لكتوب انديسا احرام
قالت لى سالنى انفيك بسؤالى من بعد ستويت لمنام
واخذت اتلى اعيون لعدا وانكالى لخطرتك شبدو احرام
هات الصفرا وزيد غدر فمصالى قلت لها ما بقى امنام
ليلا فى ليالها المنعوم اليالى لا ريج ايوب لا انيام
اما احمد بن الحاج فبعد ان قضى ضيفا على محبوبته عشية مكتملة
المتعة ليس لها مثيل نادته لوداع ولتجهيز ركابه حتى لا يشعر اهلها
بتنبيه ، فقد آن وقت الرواح ، والمسافر عابر لا امل له فى المقام ،
وافترقا فى عبرات منسكبة وجذوات مضرومة بعد ان اكدت له انها لن
تنساه مهما طالت الايام :

واغنمنا فرجت لعشيا ۞ مكدول ما لها امثيل
نادت الباهيا اعليا ۞ قالت لوداع يا خليل
خفت اهلى لا اتفق بيا ۞ هات المركوب للرحيل
هذا وقت الرواح * لمسافر رايح * ما ارجى امكام
حافوا عبراتنا اسجام

قلت تبقى ابخير جذوت ضرمت اقلبلنا اضريم
قالت حاشا اندوزك اقطع واجزم لو طالت ليام
ومن الجيل ان يتنكر المحب فى صفات مختلفة يحاول فى كل منها ان
يكسب ثقة الحراز ، وهو الشخص الذى يحرز محبوبته اى يحصنها ويحول
بينها وبين الآخرين ، ويكون فى الغالب زوجها ، ولكنه يرده ويطرده فى
كل مرة الى ان يتمكن من خدعه فيدخل بيته ويتصل بمحبوبته فى غفلة منه ،
فالشواوى جاءه متنكرا فى هيئة عالم فقيه مؤدب من احيار الطلبة ،
عارف بعلم النحو لا ينطق بغير لغة معربة فصيحة ، فى يده صحيح
البخارى ، وخطب عليه متفنا فى خطبته بعد ان سلم عليه ، واخبره
انه قصد حماه ليكرمه ويحسن ضيافته ، وان لاهل العلم اسارا موهبة ،
وكل من اكرم عالما فكانما اكرم النبى . وظل يحدثه بهذا الاسلوب حتى

ظن انه سلب ليه ، ولكنه فوجئ به ينظر اليه بعيون مملوءة وينبذه الى ان
مكان الفقيه هو بيت الله حيث يجلس به ان يقيم حجرا ويقيم الناس
وينفعهم بعلمه لتكون له مرتبة ومكانة ، اما بيته فليس له في دخوله اية
مصلحة ، وطلب منه أن يبتعد دون ما حاجة الى اللجاج والعتاب :

جيتو طالب بفعال مدوبا

حبر امن احبار الطلما دهرى افقيه قارى علم الجعرا

لنظ بالعلم بالقاظ معروبا

فيدي اكتاب امام البخارى ارحالتي تعجب من لهاب

اخطبت بشروني المسسوبا

بعد السلام قلت اسيدى حمالك جيت قاصد زايك رخاب

ايك الروح ابع الذات مكسوبا

قمقامك السعيه اكرمني واحسن اضيافتي بلطافا وصواب

لصحاب العلم اسرار مرصوبا

واجمع امن اكرم عالم اكرم النبي اكم فحديث المجتاب

ودويت معاه شحال من نوبا

حتى اطمعت فيه وقلت اسليتو ابايت اللطافا والتلاب

وانظر فيا بعيون مقلوبا

لفقيه قال لي ايحق يسمى البيت ربي يعمل محراب

وايفيد الناس اكل عوجوبا (I)

ينفع الناس اعلمو وانفعو وايدز لو مراتب

فنتنت فالمحبال واصعوبا

دارى ادخولها ما لك فيه اصلاح سر بعد وانف لعتاب

وجاءه في صفة تاجر يحمل معه صناديق الذهب والفضة والاقمشة

يريد ان يصاحبه ويودع عنده سلعته ولكنه رفض صحبته واثار عليه بدور

السلعة حيث يمكنه ان يحفظ بضاعته . وجاءه في صفة عبد سودانى يعرض

نفسه للخدمة ولكنه طرده لكرهه السواد ولان اهله اوصوه بعدم اتخاذ

(I) اكل عوجوبا : اى بكل الواجبات الدينية التي يجب على الناس

معرفةا .

الوصفاء . وجاءه في صفة فارس معه شباك للصيد وخلفه عبدان ، واهداه غزالا وطلب ضيافته ثلاثة ايام ، فهدده وطرده ورفض قبول هديته لان عنده في اغراسه غزالا احسن منه . وجاءه في صفة باشا ترافقه الفرسان ونصب قبته واعلامه وأوعمه أنه يحمل كتابا من السلطان ، ولكنه رده بحجة انه ليس بوزير او قائد أو أحد المسؤولين حتي ينزل عنده الباشا ، واخيرا جاءه في صفة هيفاء بعيون واهداب جميلة سوداء وخدود وردية وجمال يصد الثائب عن توبته ، وصافحته بايد مخضبة بالحناء منقوشة فذهل لهذا الخضاب والنقش وغربت شمسها ، وسألها امر رقم على اليد ام كتاب ، فاجابته بانها تستطيع ان تخطط روضا عجيبا ابهى واجمل ، وله ان يسأل العجائز والشابات حتى يتأكد ، فمسك بها والحن عليها في أن تنقش يدي حجوبة ، وأدخلها الى الدار في غاية الفرح وهو لا يدري من ادخل ، وخرج مسرعا لاحضار لوازم الحناء . وعرفت حجوبة سر حبیبها الذي جاء في صفة هيفاء نقاشة ، فخلع زى التنكر بعد ان خدع الحراز ، وهدم كل بنائه ، ونعم بقرب حبیبته واخذها عنده وباتا في غاية الزهو والسرور يتساقيان الكؤوس على ضوء الشموع ونغمات الاوتار :

جيت هيفا بشفار مهدوبا

واعيون غاسقا واخدود اورد اوزين يكسر توبت من تاب

صافحت بيديا المخضوبا

بشمائل لبها وانقش الحنا امنين راه نبهض وارطاب

شمس العكلى ولات مغروبا

وادوا اوقالى ياهيفا هادو اتراكم ايديك او الكتاب

قلت اندير اريضات معجوبا

ابها اوسر ما شافت عينك سر اسال اعكايز واشواب

شبر قيا بيدو المغضوبا

انت بغيتك اتورنى فيدين لال شى صنعات اعجاب

واتشوفى بدر الزين حجوبا

لدار ابلعزم دخلنى فرحان ما عرف ياويجو ما جباب

واخرج يجرى باخلاق مرهوبا
وايجيب لى اشروط الحنا وما ايخص وايوالم باستحباب
عرفتنى لوجيبا المحبوبا
فالحن طارت التنكييا (I) افرغ لمقام والكل جالو لكتاب
واسلات اعضاي المرغوبا
واذيت عارمي وارشحت (2) ابجرزها او كل ما شيدراب
بشنا فالزهو واسرور اطيوبا
نتودو اكيوس الخمر قبساط حارساه اصوارم واجعاب
لا واشى لا حساد مركوبا
غير لغزال والصفرا والكيسان والوتر والشمع اللهاب
ومثل هذا نجده عند ابن على الذي تنكر للحراز فى صفة عذراء وعالم
وبدوية وعبد وبطل وتاجر ، ولم يوفق الا فى هيئة حكيم .
وربما كان حراز البغدادى اشهر ما ينشد فى هذا الباب حيث قصده
المحب فى صفة باشا ومجنوب وعبد ولم يوفق الا فى صفة الفقيه ، وهو
الحراز الذى يقول فى حربته :
مال حراز الدامى ما ايشق بيا هيئات * حارس فى كل اوقات
اعلى الدوام ايجنب ولا ابرومنى قطعيا
وهكذا وبمختلف الوسائل والمحاولات ، يتم الوصال بعد طول عناء
:مرارة صبر ، فالطبيب الواسترى جاد عليه الدهر وارخى له الزمان عنائه
مكمل سلوه ورضت ايامه يوم زاره محبوبه جودا وانعاما دون سابق اعلام ،
قاطعا اوصال التيه والجفاء ومنكلا بالرقباء :
الزمت الصبر ما كفى واخفيت ما فكنانى
حتى جاد الدهر بالزهو وكمال السلوان
والوقت ارخى لى اعنانو
وايامى ولات ناشطا
بوجود الى اهويت يوما وصلت لمكانى
من غير انويا قصر فالجفا والتهيان

(I) التنكيية : النقاب والحجاب . (2) رشح به : خدته .

جاد اعلی بحسانو
وانعم لی من بعد ما اوطا
محبوب القلب یامس زارنی یا عثمرا نی
وانعم لی ابلوصال وانکا جمع الرقبان
صایل عن جمع اکرانو
ابدیع الوجنا لمنقطا

وکذلک تزور حبیبہ محمد الشاهد السلوی فینعم بالوصال ، ولكنه
لا یقنع بمجرد اللقاء ومشاهدة الحبیبة ویرید ان یرتفع بحبه کاملا ، اذ
عنده ان النظرة وحدها لا تطفئ لهیب القلب ، وان من العبت اطالتها ،
وان کل من شاهد الجمال یضطرب لا مجاله :

معلوم الشوف ما اطفئ نار الجوف * غیر باطل قوی تشوافو
والی شاف لملیح عمرو ما یتقافا

والعلمی یتم له الوصال فیحمد الله ویشکره ان عافاه من سقمه ،
مقد زال غمه وظهر نجمه بین الابراج کالهلال ، ونال المقصود ودان له
وقت السرور فزهت أيامه وازهرت اغصانه بعد یبس وذبول ، وظهر بدره
ساطعا مضيئا ، فلم یبق له الا ان یرتفع بالاعتناق والارتشاف :

لله الحمد والشکر زال اغتامي *

واطلع بین ابروج نایر نجمی کن اهلل
عافانی ربی ابریت امن اضرار اسقامی *

والمقصود الی اطلبتو وفانی به الحال
واعطف لی وقت السرور وازهات ایامی *

والقح غصنی بعدما الوی وایبس واذبال
واتیقظ بدری اوتاق مسراج اهمامی *

ما باقی غیر المعانقا وارشیف الکیسان
وعند ابن علی المسغیوی أن الوصال متى تم فانه سیلج دون انقطاع ،
وتحلو کاسه ، ویلذ شرابه ، ویطرب قلبه ، وتتحسن علاقاته مع أهله
وأحبابه ، ویخصب روضه ویزهر ، وتنمو أغصانه وتزهر ، ویفنی طائرہ ،

ويتشد أنغاما حلوة شبيهة في التعبير بـخطاب المحب ، ويظهر بـدره مخترقا
حججه ليضيء السهول والروابي ، ويحلو الزمان ، ويستريح البال ، ويهنا
المحب في مكانه :

بك نلهج ضي اغيهوب المـحبوب بك يحلا كاسي وايلد لي شرابي
بك قلبي زاهي مطروب بالمحبوب بك زهرت ناسي واهلي امع احبابي
بك روضي لاقح مخصوب المـحبوب بك طهيج اغصانو بالفيض والخصابي
بك غني طيري فشمهوب المـحبوب بك ينشد ميات ايشابهو اخطابي
بك يدري ناك ابن احجوب المـحبوب بك ضومى فوق الوطيان والروابي
بك الزمان الزمان ياراحت لكنان المـحبوب والى يهواك بك يهنا فمكانو
ويقدم مبارك الموسى عرضا للحفلة التي سيقم انذارته زهرة والتي
ستستمر يوما كاملا في روض مزدهر يعطر بـسنى ألوان الورود والاشجار ،
تعرف فيه الموسيقى وتدور قزوس الخمر على الحسان :

يوم اقزور العذرا

بالزهو يتباشر قلبي ايلوح تكندارو

وانقيم في اساطى ليلا والهار

بالآل (I) وافناجل نخم على لريام اتدور

وانوار مشتهرا

في ارياض امعطر

والورد فاح بازهارو

والياسمين طهجت ما بين اشجار

...

ويستمر في وصف الروض ، ثم ينتقل الى وصف جمهور المدعوين بل

المدعوات بقوله :

جبت اوصاف انوار جبت اوصاف الجمهور

ثم يأخذ في استعراض أسمائهن على هذا النحو :

نبدا ابراضيا اوهموم الخنار وامهني وافصيل اوفارحا او محلا واطهور

...

(I) الآلة تطلق في المغرب على الموسيقى المعروفة بالاندلسية .

ومن لطيف الوصال ما تم لامتيرد مناما في شهر رمضان حيث أفاق
بعد الفجر ليجد نفسه مضطرا الى القضاء والكفارة :

انعيد اصيامي ونكلع كفارت لوزر
عنقت اغزالي فالدجا حتى بان الحال

وقريب من هذا يحدث لابن سليمان اذ زاره محبوبة في رمضان فذاق
من شهده وجنى من ورده ، فاتهم بالافطار ، ولكنه يستفهم محاولا أن يلتبس
لنفسه عذر المريض وأنه لا شيء عليه :

أصاح زارني محبوبى يامس كنت صايم
شهد اقطعت واجنيت الورد قالوا كلت رمضان
مهجور قلت ماذالى
أحبيب خاطر واش لمريض يفطر

واذا ما تم الوصال فان المحبوبة تخلده بتذكار تقدمه لحبيبها يكون
فى الغالب حليا ، سوارا او خلخالا ، ولكنه لا يلبث أن يضيع له فيبحث
عنه فى عناء الى أن يلقاه .

من هذا ما يخبر به امتيرد فى «خلخال اعويشة» ، وقد اودعته اياه
على اثر الزيارة أمانة أوصيته بأن يصونها ويحفظها ليحضرها يوم الوصال.
وخبا الخلخال فى جيبه ولكنه ضاع منه ، فاحتار فيما عسى يجيب به
صاحبه ان سألت عنه :

مهما ودعت الزيم شاق شوقى من تشواقى واهواوا بالدمع انجالى
يوم اتودعت امع لغزال مدت ليا خلخال
هذا أمانا ياعشيق قالت صونو واحضيه وجدو يوم اوصالى
فى مكتوبى درتو اعلى الرضا واتوضر وانشال
خلخال اعويشا درت لبها فى مكتوبى يا فهميم درتو وامشى لى
كيف المعمول ايلا اتسالنى مولات الخلخال

ثم أخذ فى تقييم الخلخال وانه ثمين لا يقدر بمال ، وبدأ فى البحث
عنه فى كل مكان فلم يعثر له على أثر ، واضطر اخيرا الى فقيه منجسم

استطاع بكتابة الجدول وعن طريق الخديم الجنى أن يعثر الخلخال .
اذ ذاك أرسل للمحبوبة فحضرت على التو وأقام لها حفلا مضيئا مطربا
بالوان الفناء والاناثيد ، يتساقى فيه مع محبوبته الخمر والرحيق . وفى
هذا الجو المنعم الممتع حكى لها قصة الخلخال فأشفقت عليه وضمته اليها
وقالت له : ان النظرة فى الحبيب خير من ألف خلخال ، فرجع أمامها
ليبادلها القول بأن وصلها لا نفديه الاموال ، وانها كنزه وكمال فرحته
وربحه وذخيرته وهناه وغناه وغاية رأسماله :

وارسلت المولاتى اوجات تنهد تهليل لبكار عراض الفالى
بحاسنها وايبا اجمالها تضرب لمثال
واعملت افراجا عن اوصولها ما بين الصقرا والرحيق والضو ايلالى (I)
والغاني ينشد باشعار وارقايق كل اسجال
واحنا نرها بوا وخذ (2) واغزلى تدرج فالبساط واتكب المسالى
سقطت ولفى دوك النجال مدت ليا قصصال
ارويت او طحت اعلى انهودما واحكيت لها اقصىتى اللولى والتالى
يوم امشى لى خلخالها اوشفقت منى لغزال
حازتنى مولاتى اعلى اصدرها قالت لى يا عشيق حسنى واجمالى
النظرا فالمحبوب خير لى من الف خلخال
بندقت اوقلت اجد يالعدرا ياتاج القاصرات حرت لغوالى
وصلك عندى يادرت ليها ما تفديه اموال
انت كنزى واكمال فرحتى وانت ربح اذخيرتى وغايت رسمالى
أنت لهننا والفرح ولغنا واكمال الرسمال
ويحدثنا الفلوس عن دمليج (3) ازهيرو الذى ضاع منه ولم يعثر عليه ،
وبعد أن بحث كثيرا عنه فى احياء فاس قابل فتاتين أخبرته احدهما أن
الدمليج موجود عند هيفاء سمراء عثرت عليه يوم كان يزور السلطان ،

(I) ايلالى : يتلألا

(2) براوخذ أى بهات وخذ .

(3) الدمليج بالميم والباء سوار يكون غليظا فى الغالي

فقبل الأرض بين يديها ورجاها أن توافيه به ، فودعته بعد أن ضربت له
موعدا عشية يوم الجمعة بحديقة «جنان السبيل» عند الصهريج الكبير :

قالت وحدا يا عاشق لبها دمليجك موجود عند هيفا بر كيا

قالت لي صبتو انهار كان ايزور انسلطان

اوطحت اوبست الأرض قلت لها لاقتى به يالريم العذريا

قالت دبا ياتيك ابلوفا واطمئنان

قلت لها ياتاج لبدر وين ايتون الميعاد ابشارا دون اخفيا

قالت يوم الجمعة الجايا تلقانا وكدان (I)

أجنا لجنان السبيل قدام الصهريج لكبير وقت الذهبيا

تم ارجنا (2) ولا اتصينا ترجاوك يعلان (3)

والتقى معهما في الميعاد المحدد ولكن سوداء العينين شرطت عليه اذا
آراد الدمليج أن يذهب معهما لرشف الكؤوس ، فأخذ يلتمس منها العذر
لأنه لا يقدر على خيانة محبوبته بعد عشرة طويلة ، ويرجوها أن تراقب فيه
وجه الله . فلم تلبث أن أخرجت الدمليج ، فدعا لها ان يجزيها الله بكل
خير ، وردت على شكره بأنه لا جميل وأن مثله لا يهان . فودعهما فرحا
ناسيا كل ما فات :

قالت لي سود النجال دمليجك عندي دون ريب ولا شكيا

لكن ايلا تمشى العندنا تسطاب الكيسان

قلت لها يا عز لبنات مالي قدرا حتى انخون بعد الولفيا

راقبي فيا وجه لكريم نعم الحى المنان

جبدت لي دمليجي اوقلت لها ايجازيك ا بكل خير خالق لبريا

قالت فالحين ابل اجميل ماشى مثلك يهان

تم ودعت الباهيات وافرحت قلبي وانسييت كل ما فات اعليا

والقاني بالدمليج رب لورا خالق لكوان

(I) وكدان اى بكل تأكيد

(2) ارجنا اى انتظرونا .

(3) يعلان اى علنا .

وللحاج محمد العوفير « خاتم » يقول في حريته :

خاتم ولفي تاج ليها اتوضر وامشى لى
كيف المصنوع ايللا اتسال عنو درت لجمال
رينت لاسم ليل

وفى القسم الذى يعثر فيه على الخاتم تكشف له المحبوبة ان بالخاتم
نفسه أسراراً تجعله « مرصوداً » عليها مهما ضيعه المحب فهو يرجع اليها
تلقائياً :

قلت لها يا سلطانت لعوالم شمالى
صيغى بعدا لقصيتى اتحير جمع العفال
اغريبيا وطويلا
وابديت انعيد البودلال عن شين اجرى لى
يسوم خاتمها ضاع لى
وصرت افقدو معلال
واعضاي افتتخيلا
ثم ضحكت الباهيا اضيا نور اهلالى
وادوات وقالت ريع امن احوالك واغنم لوصال
وازها دون ادبيللا
الخاتم عندى يا عشيق فخرين مالى
واسبابو يا محبوب خاطرى يا عاشق لجمال
فيه اسرار اجزيلا
مرصود اعلى اسمى اباسم الحى العالى
وين ما خليتو ايجى العندى من غير ابدال
بالحكميا لوصيلا
وامنين اعرفتك يا علاج قلبى وادخالى
من حبى ومن افراقى خاتمى تبقي فى تدهال
نك ابعتت ارسيللا

ثالثا : الحب

لعلنا من خلال هذا الاستعراض لوصف جمال الفائنات وحال المحبين
نستطيع أن نستخرج الصورة التي رسمت للحب في ذهن الشاعر الشعبي:
فامتيرد يراه سيفا يقطع قبل الطعن ، ويرى فسادا أكثر من صلاحه
لا ينفع ولا يحمل غير الشقاء والتعب :
هذا حال الحب ولهوا ياطمع بنجاحو *

سيفو قبل الطعن ينقطع
وافسادو بنهايت لفعل أكثر من تصلاحو *

اشقاه اتعبو ابلا انفع
وهو يتخيل الحب أميرا طاغيا جائرا حاقدا مروعا يقود جنوده لقتاله ،
وقد لمعت أسلحته وخفقت أعلامه ، وعامت خيله على خيول المحب وقهرته
يوم المقاتلة بالسيوف والرماح والسكاكين والاشواك :
مير الحب اطفأ اوجار عنى جاب اجنود اعلى اقتالى حاكك لكلاك
لطاراد واعلوم شاكا
عامت خيلو اعلى اخيول لكلاك
بالضركا (I)

والسيف ولقنا والرمح أسكين كل ستمل جانى دكاك
قهروني يوم لمدكا

ويتخيله كذلك بحرا لا نهاية لحدوده ، ما مخرت عبابه سفينة الا شمتت
الواحها ، لا تنفعها فى مواجهته الاعمدة والقلاع :
لهوا بحررو مايلو انهايا توصاف اكلاحو * حتى عاشق به ماطمع
أما من قرصان سار فوقو تشتات الواحو * مانفعو صارى اولاق
وللحب عند ابن سليمان سلطان على رأس عسكر كبير يضم جيوش
كل القبائل جاءت مستعدة لخوض معارك من أجل الموت أو الحياة
متعطشة للقتل :

(I) الضركة نوع من النباتات الصلب له اشواك حادة .

من كل اكبيل جاتنى اليوم محلا (1) *

جابهها سلطان الغيوان

يتويو الموت امع لحيا افكل امقاتلا *

كيف شور الما للعطشان

وهو كذلك عند مولاي على البغدادي في « خدوج » سلطان طاغية

بروع مزاج المحب ، وقد استقر في قلبه بخيوله المتحفزة المدربة :

سلطان الحب اطفى اوروع امزاجى *

رسي افمير لمهاج

خيولو تظل حدراجا *

ديما امحربا غنى غير اتروج

ومثل هذا نجده عند عبد السلام الجربى في « قمر الدارة » حيث

هجم عليه الحب بجيش جرار قاصد لصراعه دون ما عطف أو اشفاق

عليه من محنه ونحوه وفناء جسمه :

صداك بعسكر جرار * للطام اتانى

ما يحس بمحاننى * ونا انجيل واقانى

وهو يرى الحب راكبا فرسا ملاليا جاء يقصد قتاله وقد استعدت

خيوله وفرسانه ، كل متقلد سيفه ، وخلف هذه الخيول فرق أخرى

لا يستطيع أحد أن يواجهها . ومع هذه وتلك جيوش الهوى الذى بدا شجاعا

كميا شبيها بعنثرة أو أبى زيد ومعه خيول شقراء قوية :

والحب اعلى جار راكب الملالي (2)

عنوا ابغا لقتالى

وامر لخيول اتشالى

كلها متقلد سيفو عل لوفنا

وامحال اخرى امرادفا

صاكت مراهم

(1) المحلة الجيش

(2) لعله نسبة الى بنى ملال .

ما يطيق قادر يلقاهم
ولهوى بجيوشهم امهم
اكنى عذبي
بركاب له ذهبى
يشبه عنترا ولا بوزيد لهمام
له اخيول اقويا
اوكلهم اشقارا

وحاولوا من معاناة تجربة الحب أن يستخرجوا حكمة او ما يشبه
الحكمة . وكان العلمى - شاعر الحكمة دون منازع - أكثر الشعراء طرقا
لهذا الباب ، اذ حاول فى هدوء الحكيم المتأمل أن يستنتج بعض الافكار
ويقدم بعض النصائح . وعنده أن عشق الجمال طبع غريزى فى كل شخص
ليب لا يفتر عن أوصاف حبيبه يعتبرها المسك الذكى فى جيبه يتعهد
النفس بطيبه . أما الالفة فريحتها غلاية لا داعى فيها للعتاب ، والشارب
يعذر فى حال غيبوبته ، يسرح به الهوى فاقدنا لوعيه لا يميز داه من دوائه :

عشق لجمال طبع اغريز افمن هو اليب
ديما امعاه نعت احبيبو
كالمسك الذكى فى جيبو
متعاهد النفس ابطيرو
والولف ريح غلاب
متروك فيه لعتاب
مول الشراب يعذار افحال الغيبا
دايع به اهواه
ما يميز داه امن ادواه

وهو يرى ان التمسك بالصبر ضرورى والتمهل لازم لبلوغ المقصود
ونكاية الحسود ، وان من ألح فى طلب الرضى لابد أن يدركه ، وان مجبا
لم ينل مراده دون تعب ، ويرى الا خوف من هيجان الحب ، فالرعد يكون
له صوت يرهب القلوب ولكنه فى هديره مبشر بغيث يعقبه :

من لازم الرضا أو طلبو لا بد أيصيرو
والتي ابغا يغيط احسودو يتبع ابلهل مقصودو
حتى يشكمل معدود

ما نال صب امرادو الا ابتعب وجهاد
صوت الرعد يتوك لقلوب ارهبسا
بعد هدير الغاه اينبشمر بانغيث امن اوراه

وهو لا يستغرب من تغير أحوال المزيان يقبل ففتحسن حاله ويدبر
فيخسر حظه ، يزور فيشرق المكان من ضيائه ويهجر فلا يبقى لبهائه اثر.
ويستشهد بثلاثة امثال شعبية ، يقول الاول ان الجمال لا صديق له ولا
معاشر ، ويقول الثاني ان الذي لا يصبر للمحن لا يبلغ السلو ، ويقول
الثالث ان الذي لا يعطي دنائير كثيرة لا يستطيع أن ينعم بالجمال (1) :

ترورف حتى ييدا حالي امعاك يزبان *

اتفر منى ييدا سعلدى امعاك خاسر

اتزور حتى يشرق امن اضياك لمكان *

اتفر حتى ما يبقى امن ابهاك اثر

كلما قالوا اصدق افلمثال امل الزمان *

مايل الزين اصدق ولا ايلو امعاشر

ما ابلغ سلوان الى ما صبر لمجان *

ولا امك مزيان الى ما ارخي ادانسر

(I) يبدو غريباً أن يستشهد العلمي بهذا المثل ويذهب لهذا الرأي
لأنه لا أثر لعنصر المال في العلاقة بين الرجل والمرأة كما رأينا ، بل
العكس هو الصحيح . وقد صادفنا مثلاً في خلخال امتيرد أن اعويشمه تؤكد
له أن النظر الى المحبوب خير من الف خلخال ويبادلها الرأي فيذهب الى أن
وصلها لا يقدر بمال . بل ان العلمي نفسه يقول له المزيان :

«وامتاع الدنيا ليس يغويني » ، ولعل العلمي عبر عن واقع المرأة
في الحياة وميلها الطبيعي للغنى والثراء ، ولعله كذلك يقصد ما تكلفه
حفلات زيارة المحبوبة من نفقات . ومهما يكن فان مثل هذا الرأي يظل
غير واضح .

وفي روح يبدو عليه بعض التشاؤم يذهب العلمى الى أن ورق المحب
ساقط ، فهو دائما نحيل عليل ، يصفر لونه يوما عن يوم ، لا يجد راحة
لاعضائه ، يهيم فى النهار ويقطع الليل بالسهر والزفرات :
ورقت مول الحب ساقطا ديمنا ناحل كل يوم تنظر لونه يصفار
كنو اعليل ما يوجد راح فى اعضاءه
وايظل ايهوم بالنهار وايبات ايقطع لبهيم ابزفرات
وايراعى لوقات
والسوايع حتى يفجى النهار ضو وايمد اجوانح الليل ويزهر
بنجوم فى اسماءه
وينامو كاع (I) لبصار
وابصارو ساهرين مسكين ايبات
ولكنه يتراجع قليلا عن هذا التشاؤم ليرى فى « ظامو » أنه لا دوام
لاى حال ، فكما أن الرخاء لا يدوم ، فكذلك لا تدوم الشدة ، فيوم حلو
كالتمر ويوم مر كالحنظل :
معلوم كيف ما دامت رخفا عما اتدوم شدا
هذا امواجب احكام اصروف الدهر
يوم احلا من طعم التمر
ويوم كمثل الحنظل مر
ويرى ان طريق العشق والزمان والايام واحد ، فمن سعدت أيامه تهيأ
له كل شىء ووجد كل ما يريد ، واذا حسن حظ العاشق وصل سريعا ،
واذا ساء نفر بنفس السرعة .
العشق والزمان وليام اطريقهم وحدا
والى اسكامت ايامو ياسعدو
كل شىء يسخر بين ايدو
كلما يبغيه ايوجدو
ولا يبعاد

إذا اسكام سعدو دغيا (1) اتراه يوصل

والى اعوج لو ميمونو (2) دغيا اتراه يجفل

وعنده في «اللائم» ان بحر الغرام عميق وملآن ، يفيض كل يوم ،
وأن بحارة كثيرين ضاعوا في قعره ، وان ربح الهوى يذغل العقل ويبث
داء السهر والغفلة :

بحر لغرام غارق واعميق اومالى

كل انهار افيض ويحمل كم من رايس في تخمونجلا

نوزيك طبع لهوى يامن يصفى لى

ريح اهواه ايشوش لعقل وايقيق ضر السهر والغفلا

وكذلك نجد عند المدغرى بعض النظرات التأملية كهاته التي يرى فيها

أن أحدا لا يستطيع أن يهزم العشق والهوى وان كل المحبين مغلوبون ،
وليس لهم الا أن يرضوا بالهزيمة :

لعشق الهوى مارينا غلابو ❖ والعاشق ديما ينگلب

كيف ايدير اللى ما ارضى بالغلبا

وعند المدغرى في « للا اصفية » ان قتيل الحب لا دية له :

من مات امن اعيون المولوع ما يليه ديا

ويرى ابن سليمان في «حجوبة» ان صفات الحب عجيبة وان أحدا لا

يقدر على اخفائه :

صفات الحب اعجوبيا ❖ يكذب من قال اشرامو يخفيه

ويرى في « عطوش » ان عاشق الفائنات مجنون ، يفقد العقل

واستدبر ان واجهته جيوش رامية ، وهو لا يستطيع ان يعمر الاوطان :

عاشق لريام اهبييل ريت رسمو ما ياوى

عقلو مثل الكدرى (3) ايلا ايجيه الراوى بجيوش ما تعمر به اوطان

وعنده في نفس القصيدة أن أساس سور الجمال مغشوش :

اركبت اعلى سور لبها اوصبت الساسو مغشوش

(1) دغيا : بسرعة .

(2) الميمون الحظ .

(3) الكدرى : الحمار .

كذلك يرى الحاج ادريس لعنشى فى « فضيلة » وهو يحاول ان ينسى قلبه همومه ، انه لا يثق بالبنات ولا يامنهن الا مجنون ، مواثيقهن باطله ، لا تفى بالعهود منهن الا قليلات ، يعرفن ميل قلب العاشق اليهن دون تغيير او تبديل فيجازينه بالهجر والتهيه والجفاء والصدود ، ويكسرن القلوب من الجور ، ويخلن بخلا لا مثيل له ، واذا ما اختار أحد من يراها منهن عاقلة فانها تسقيه المرارة فورا دون امهال :

وانقول ألقى انس همومك ما يامن اقلبنات غير اللى كان اصيل
امواثيقهم حق باطلا * من توفى منهم فالعهد اقليل
وايعرفوا قلب لعشيق يغيهم ويعرفوا محبتو ما فيها تبديل
وايجزوه ابلقبلا * بالهجر والتهيه ولجفا والتنخيلا
ويكسرو لقلوب جور منهم ويخلوا بالدوام بخل الاثيه امثيل
من تختار وتقول عاقلا * تسقيك امرار خرقا لا تمهيلا

وابعا : ملاحظات

لا نريد أن نختم هذا الفصل دون أن نبدي بعض الملاحظات المتصلة
بأغزل عند شعراء الزجل :

أولى هذه الملاحظات ان بعض الشعراء يتغزلون فى نفس النص فى
أكثر من واحدة ، وخاصة امثيرد والمدغرى والرجراجى ولعنشى ، فانهم يبدون
متعلقين بمحبوبتين فى آن واحد وفى أكثر من قصيدة .
يقول امثيرد فى هنية وهشومة :

سر احمان

كل للريم اهنيا ولغزال هشوما لوصول اتصول
كل اصل يجبد لصلو
ويقول فى تاجة واختها زهرة :
دام الله الحسن ولحاسن فغزالى تاجا * تاجا هى اوختها زهرا بودواح
ويقول المدغرى عن طامو وهنية :
شهدوا بين ايلافنيت واضنيت من الوجنا او خالها واخدود الجلار
والشاما والخال والشفر * واسبابى فالريام طامو وهنيا

ويقول في مينا والبتول :

الله اينصررك يامينا وايدوم عزك ياغزال البتول

ويقول الرجراجي في طاهو واختها ازهيرو :

عازم بوصالك يامرحت الطام * ام النواجيل الطام

انت اوختك ازهيرو

ويقول الحاج ادريس لعنش في أم الغيث وفاطمة :

كيف اجري لي ياهل ليوحي في حضرت سلطانت النسا لغزال ام الغيث

اشريف العذرات فاطما * عارك الزين بينهم ضمت الكاسي

وليست هذه الظاهرة غريبة ما دام الشاعر حتى وهو يتغزل في

امراة واحدة لا يقصدها بالذات وانما يقصد المثال والنموذج . فاذا كان

هذا هو القصد ، فليس يهم أن تكون الوسيلة اليه واحدة او أكثر .

الثانية : ان غزل الشاعر الشعبي لم يكن دائما بالمرأة وانما كان

يتجه في بعض الاحيان الى المذكر على حد ما نجد عند محمد بن موسى في

«لغزال» الذي قابله أول مرة بباب الكتاب ، وهو غزل لا يختلف عن الغزل

بالمرأة في شيء من الحديث عن اللوم والحساد والهجر والوصل بل حتى

اوصاف الجمال لا نجدها تتغير وان كانت لا تتعدى ملامح الوجه والوصاف

العامة ، بل ان الشاعر يرى ضرورة اخفاء بقية الاوصاف :

من يوم فاش صدفتو في باب لمسيد (I)

وانظسرت حاجبو واتمساد

تمثيل شى اجعاب اهناد

وجبين فاييق الفرقاد

واخدود كن ورد افتح من لغماد

والخال العنبري والشاما من فوق اخمود

والقد امجود غنجور باز قونس وثغر جوهر و انضيد

واشفوف كمثل عسجد

والريق كمصل لشهاد

(I) لمسيد هو الكتاب القرآني ، ولعلها تحريف للمسجد .

والجيد كن جيد الشاد

حد لوصاف هذا عن قصد امرادى

وبالباقي واجب تخفيه اعلى جمع لحسود وانزید المجد

بل انه يصرح باسمه فيقول :

يا هلى رغبوى اتمادى * ينعملى ابلوصال يسعد رسمى بوجود لغزال محمد

ومثل هذا نجده عند المدغرى الذى يقول فى حربة « غزىل » :

دام الله اجمال صورتك يا شادى * انت اعنايتى وامرادى

اغزىل يسلب من جا ايصيدو * زنجار فى عين سيدى محمد

وكذلك عند الحاج ادريس لحنش فى « المهجور » حيث يصف

محبوبه شابا عالما شاعرا ظريفا فصيحاً وفيما صادق القول :

محبوبى ولد الرضا انظيف * واكذلك اخلاقو امنظفا

تالم قارى شاعر اظريف * بفصاحا والصدق ولوفا

شلا افلحسان ما نصيف * ما فيه الكل غر لجفا

...

شاب رضى واعذارو اىلا امجرنى محبوبى انعود بالكشر

ويلا جاد برضاه نستبشر

وقبل هؤلاء جميعا تغزل امتيرد (طرشون) فى طالب حافظ المسور

اسمه محمد وكان قد غاب فخرج يبحث عنه فى كل مكان الى أن قابل

بعض أصدقائه فأخبره انه موجود بالمدرسة :

ها هو قاللى فالمدرسا طائب حافظ لسوار

يتبهاها توكت لقمار

ميمين اوها او دال وضع لهل المعنى اسميتو

زدت انصيبو اكما احكى لى * سلمت اعليه يا كرام

قلت التاج ليها اغزالى * ما لك ياناكر الطمام

انت بزعموك به سالى * ونا للتعب والسقام

وقد يتبادر الى الذهن أن مثل هذا الغزل يدل على انحراف عند هؤلاء

الشعراء وشذوذ فى الجنس ، او ثنائية وازدواج فيه على أقل تقدير ، ربما

كان ذلك صحيحا ولكن الى حد ، ذلك ان مثل هذه الظاهرة قد يكون لها تعليل آخر يجعلها مجرد تنفيس عن ضغط المجتمع على الشاعر وكتبته لجماع عواطفه .

ثالثة هذه الملاحظات تتصل بما يقال من أن بعض هذا الغزل رمزى لا يقصد منه الى وصف جمال المرأة او حبها وانما يقصد منه الى تعبير اسمى .

من هذا ما قالوا عن «فاطمة» الحاج عمارة من أنها لا تعنى غير فاطمة الزهراء ، ولكن نستمع اليه يقول فى حريتها :

أنا فطموني اعلى احوالك اباشت لريام
ونت مغطوما اعلى اعداى يا فاطما
والى فرقنا ايلنا ما طالت ليام
وفيها يقول :

فاطما يا باقة البان * ياسائف الظليم اشعوروا وفيانا
يا ليلال ادعيسه رمضان * بقواس حاجبك اهدابك طعانا
افاطما سود لعيان * ادخيل بك لك خد السوسانا
افاطما خاتم الشفوف ايتيه من لام
افاطما طاستو ابخمر الريق اختيما
واتغارو عقدين امن الدر افغايت لنظام

لعله لا يعقل أن تخاطب فاطمة الزهراء بهذه الاوصاف .

ومن هذا كذلك ما قالوا عن «طامو ابهيح الخدادا» للعلمى من انها لا تعنى هى الاخرى غير فاطمة الزهراء ، ولكننا حين نتمعن فى القصيدة نجس ان الرجل كان يقصد الى التغزل فى محبوبته ، اذ ليس من المقبول أن يقول فى بنت الرسول مثل هذه الابيات :

بتنا اوبات الخمر يتزادا
لا اعدو لا واشى لا حراز احسيد
فهبساط امحتفل مركاتو
الكاس والشمسع موقود

لى ادراعها بات اوسادا
اوريقها بات اشراىى انرشفو ايطعم الذيدا
ايشربو امن احلا تورادو
غفران ربنا موجود

ولكن ليس معنى هذا أن الشاعر الشعبي لم يرمز باسم المرأة الى
معنى اسمى ، بل انا نجد الشيخ ابن ابراهيم (I) ينظم قصيدة فى
« مباركة » يرمز بها الى مكة ، يقول فى حربتها :

حرمت نعم لغنى المالك
ديرى ياللا امعاك
شرع المولى ايلا اهداك
نستحسن فى ابها اجمالك
أمولاتى امباركا

ولهذا علق المدغرى عليها فقال بأن مباركته (2) لا تصلح خادمة
لمباركة ابن ابراهيم .

ومثلها مباركة الكندوز التى حربتها :
جودى يا طلعت لبدر برضاك
حرم ادخيل من سماك
لبها اعطاك كيف ابلانى بك ربنا يهديك
أمباركا
وفى آخر بيت يفحل الرمز فيقول :
واسمك ميم او كاف تغنى سماك
واحذف باور اللى ادراك
يعرفنى جيت لاسم للذى هو بك
أمباركا

(I) وهو معاصر للمتهامى المدغرى .
(2) وهذه حربتها :

نادى نادى اليوم فالك * واخصب بعد الجفاف لأك
واهلالك تاك اغفلالك * والوعد اعلى الضيا اصفالك
باللى ترضى امباركا

أما آخر الملاحظات فحول مدى صدق الشاعر فى هذا الغزل وبالتالى فى حبه ، ولعلنا لن نتردد فى الشك فى صدقه وهو يتغزل فى عشرات انمايات وبنفس الاوصاف والاسلوب . ونخشى ان يكون الحب الذى شرب عنه مصطنعا لا حقيقة له فى الواقع وان يكون نظمه فيه مجرد صنعة ومهارة وتقليد . بل انا فى بعض قصائد « التراجم » نجد الشاعر يصرح بذلك ، فابن على يعترف فى الحجام بانه لا يعرف من أمر الوشم شيئا وأن المسألة بلاغة ومهارة :

عبر ابلاغ فالشعر وانظاهو *

عصرى ما او شمت ولا تعرف واشم ولا داخل لكلف

والفلوس يقول مثل هذا فى دمليج ازهيرو :

ليس عندى دمليج يالسائل ولا شفتو اولا اقبضتو فيديا

الا ترجما امن اتراجم الوهب اولوزان

ولكننا لا نريد أن ننطى عن الشاعر صدق الحب وبالتالى صدق التعبير ، أو بالأحرى لا نريد أن نقطع بهذا النفى . فمما لا شك فيه أن اغلب هذا الغزل من النوع الاباحى المادى الذى لا يكاد يكون لصدق العاطفة فيه وجود ، وقد كانت حياة معظم الاشياخ تساعد على هذه الاباحية من سهر وشرب وما يتبعهما ، وهو جو موبوء لازال بعضهم يتنفس فيه حتى اليوم ، ولعلمهم اتخذوا الحب وشعره ذريعة لستر شهواتهم ونزواتهم واحاطتها باطار عاطفى عذب جميل وربما كان بعض الشعراء يقلدون ناسجين على موال غيرهم دون معاناة للحب أو تجريب للاباحية ، ولعلنا بالنسبة لمثل هؤلاء نستطيع ان نذهب الى تحليل نفسى مصدره الكبت الذى كان يسيطر على بعض الاوساط والذى كان بنفس عنه الشاعر بالقصيدة أو القصائد ينظمها دون ما تخرج من مجتمعه . وقد ينطبق هذا التحليل ليس على الشعراء فقط ، وانما على الحفاظ والمنشدين كذلك . ونكاد نميل الى تفسير آخر اساسه اتخاذ اوصاف الحب وحكاياته وسيلة جميلة للتسلية وملء جزء من الفراغ الكبير الذى يحسه الشاعر فى ذهنه وقلبه .

ولعلنا لن نفعل فى نطاق هذا التفسير انقال الشاعر الشعبى

الى بيئة القصور ومحاولته امتاع الكبراء والامراء والملوك .

ومع ذلك فلا نستبعد أن يكون بعض الشعراء غير هؤلاء ، وأولئك تغزلوا عن حب صادق في زوجاتهم . وقد صادفنا فكرة الزواج عند أكثر من شاعر ، فيومعرو في «زهرة» يذهب الى انه لا داعى لحيرة العاشق ، فبالصادق — وهو كناية عن الزواج — تنم العشرة ويلم الشمل :

والذى عاشق ما يختار * بالصادق اتم العشرا

وكذلك يذهب المدغرى في « طامو وهنية » الى أن كسب الجمال رهن بصحة الملكية ، اى بعقد الزواج يوثقه القاضى :

ما يثبت قاضى اهل النظر * للزين اكسبتو ابصح الملكيا

وقد أكد لنا أكثر من شيخ ان قصيدة امتيرد المسماة « اترابى فاطمة » والتي سبق ان مثلنا بها لعنصر التأنيب والوعظ فى مواجهة صدود المحبوبة ، لا يعنى فيها غير روجه ، بل ذكروا لنا أن فاطمة هذه نشأت معه فى البيت تحت رعاية أهله الى أن بلغت سن الزواج فزوجوها له ، ولم تكد تمر سنوات معدودة حتى تغيرت عليه وأذاقته الوانا من العذاب فاضطر الى طلاقها ، ولكنه لم يقدر على الفراق فنظم فيها أزيد من عشرين قصيدة ، ومع ذلك لم ترق لحاله فما كان منه الا ان أنشأ هذه القصيدة المليئة بالعتاب والتأنيب والوعظ .

ومثل هذه الاخبار والحكايات كثيرة على لسان الرواة والحفاظ ، حتى انهم يكادون يجدون تعليلا ونسبة لكل قصيدة وخاصة قصائد المدغرى ، فانهم يجعلونها قيلت فى سيدات القصر ووصيفاته ، ويتسجون لذلك قصصا وحكايات أقرب الى الخيال الشعبي منها الى الحقيقة والعقل . والواقع انه قد ينطبق ذلك على بعض قصائده لا سيما وأنه كان مقربا لاسلطان المولى عبد الرحمان وولده سيدى محمد ، ولكن ليس بالدرجة التى تروى عن الحفاظ . واذا انطبق هذا الراى على المدغرى فانه لا ينطبق على غيره حيث نستبعد مثلا ما يقال عن «فضيلة» الحجاج ادريس لحنش بأنها زوجته هجرته ولجأت الى قصر السلطان فنظم فيها القصيدة ، وعلم السلطان بالامر من القصيدة نفسها فطلب منها ان تكف عن الهجر وتعود الى زوجها ، فمثل هذه القصة يبدو عليها لا شك أثر خيال الرواة .

الفصل الثاني

في الحياة

الحياة ظواهر وأوضاع وتيارات ، تكيف المجتمعات وتطبعها بسمات مميزة خاصة ، وتلزم الناس بالسير في ركابها راضين عنها أو كارهين . والشاعر الشعبي ، كانسان يعيش في مجتمع ، مجبر على التزام نمط الحياة الذي تفرض معطياتها عليه ، ولكنه كفنان مرهف الحس عميق الإدراك ، ربما رفض هذا النمط وثار عليه ، وإن فعل فإن مظاهر الثورة تبدو في الصراع الذي يعتمل في نفسه يكشف من خلاله عن ردود فعل تمردية تختلف باختلاف نظرة الشاعر إلى الحياة .

ونستطيع أن نلمس نظرة الزجال المغربي إلى الحياة ، مع ما قد يكون فيها من وجوه التمرد ، واضحة في جانبها التجردى والحسى ، فيبدو في هذا راغباً في الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، مقبلاً على الشرب في ولسع واسراف دون اعتبار للتحريم الدينى وتقاليد المجتمع ، ويبدو في ذاك ساعطاً على الدنيا رافضاً لمتعتها ، في استسلام لقضاء الله وقدره ، وفي غير قليل من من الشؤم والقسوة على الناس ، يستنكر سلوكهم السيئ يعزو إليه كل المصائب والنكبات ، ويحاول وعظهم وارشادهم واقناعهم بأن الدنيا تافهة فانية ، وبأنها ليست غير دار عبور لا داعى للتعلىق بها ولا جدوى .

ومن عجيب أنا قد تصادف التيارين يختلجان في نفس الشاعر الواحد ، وكأنه بتجرده وميله إلى الزهد يحاول التكفير عن افراطه في الحس والمجون . وليست هذه الظاهرة غريبة كما يبدو لأول وهلة ، فقد عرفت الشعر المعرب نماذج حية لها تجلت في اثنين من أكبر شعرائها هما أبو العتاهية وأبونواس .

ولعلنا في غير حاجة إلى البحث عن مدى صدق الشاعر الشعبي في سلوكه لهذا الاتجاه أو ذاك ، إذا ما اعتبرناهما ظاهرتي تمرد على المجتمع والحياة ، وهو تمرد لا ريب يطفئ فيه الجانب التعبيري اللسانى على جانب الممارسة والسلوك ، فليس ضرورياً إذن أن نعرف ان كان الشاعر يعبر عن واقع حق حين يرفض الحياة أو حين يتشبث بها ، وإن كنا لانخفى شكنا في واقعيته كما لم نخف من قبل شكنا في صدق حبه للمرأة والجمال . ومن يدري فلعله في مجونه إنما يكمل اطار هذا الحب ، وحتى بهذا الافتراض

فإننا نضل في نطاق التمرد والتنقيس عن كبت المجتمع ، دون اغفال لعامل
التسليية وملء الفراغ من جهة وعامل امتاع الملوك والكبراء ووصف تعرف
حياة القصور من جهة ثانية ، وعامل التقليد والصنعة من جهة ثالثة ، وخاصة
عند الشعراء الاوساط الذين لا يعبرون الا من خلال تجارب الآخرين ، وان
كنا لا نستبعد عن بعضهم صدق الممارسة والمعاناة ، سواء لهذا التيار أو ذلك.

الخمر والطبيعة

وجد الشاعر الشعبي لذته ومتعته في الخمر ونفسه كذلك ، فأمعن فيها النظر والفكر ، متقنًا في تسميتها ووصفها وحكاية قصتها ، ومتحدثًا عن الساقى وأوائى الشرب ونظامه وأدبه وجوه ورفاقه ، محاولًا اغراء من لم يشرب بعد في حث على الاستمتاع بملذات الحياة وإغتنام متعتها ، مادام الله يغفر الذنوب ويعفو عن الزلات . وكان الحديث عن وقت الشرب ومجلسه سبيله إلى النظر في الطبيعة والكون إطارًا جميلًا لهذا المجلس .

أولاً : الخمر :

وتعرف قصائدها بأسماء «الدالية» أي الكرم و «الكاس» و «الساقى» و «الساحى» و «الخمرية» و «الخمار» .
لم يترك الشاعر الشعبي اسمًا من أسماء الخمر المعروفة لم يستعمله ، فهي مدام عند اميرد :

آش من فرحا دون امدام
وهى الراح والصفراء عند ابن على :
كب ياساقى كاس الراح لعتيق

كب ياساقى هات لسمسا * طيب لمدام واسقنا بالكيسان

داروا بالصفرا يا نديم ايجاوربو اللغا في لبهم بالكاس اولاحوا
وهى الرحيق عند ابن سليمان :

كاس الرحيق داير * عقلسى حاير
امعاه طاير * ندرى رشقاتو

وعنى دم العنب عند المدغرى فى «الكاس» :

دم العنب الصالح * فيه اعلاج أجوارح * ناس المعنى والصلاح
وعنده كذلك فى احدى قصائد «الساقى» أنها بشت الدوالى ودم العنقود :

هناك دم العنقود اقطبت لساقى (I) * بنت ادوالى امخنت فحدايق

اعلى السقا واسراير توثيق

بل انا نجد المدغرى = وهو شاعر الخمر الاول - يستعرض معظم

أسمائها فى «الساقى» الذى يقول فى حربه :

قلت أصاحى عات لى الكاس اغفل وارجع لى احجا ونخلنى يا حضار

طاح على القمصال ابلبتر * سلك راسو وسار هربان اجهار

فيذكر منها المدام والسلافة والخل والقهوة والمسطار والمخلتم والنزيف
والقرقف والجرحون والرحيق والخندريس والنشوة والبرنيس والشتايا
والشموس والشمول والشمولة والراح والمعتقة والحيا والصارعة وبنت
الدنان والرموز والقيارة والصهباء والصفافية ودم العنقود وفاجبة الهول ومغشية
الاسرار والجريال والعجوز والخمراء والمقدمة والهرمزية والمذهبة والقسميسية
والشربة وحليب الدالية ولبن العصارة وقتالة الاحزان وبنت الطرب والخمر
وراحة الافكار والمشعشعة والعراقى والصرخدى والجوهري والصنسدل
والمزايجى والاصفر والعدراء والماحيا(2) والغضنفر والطاوسى والفتاك وعصار
الخدود وبرغليا والخمار واللماح ومراح البصر وبنت الكروم :

واصبح نشرح لك لمدام أوصفو وسميتو نحسبها لك اسطار

كن الطيف اظريف امشتمس * سلفك عرضى انزيد لك دون احزارا

نحسب لمدام والخل والقهوة والمسطار والمخلتم(3) وانزيف اتجار

قرقف اجرحون مشتمس * ارحيق اخندريس نشوا بتارا

برنيس اشتيا والشمول امصولا اوراح ومعتق للتخمسار

حميا والصارعا اذكسر * بنت الدنان والرموز اقيارا

الصهباء والصفافيا اودم العنقود امفاجى الهول افاشى لسرار

(I) لساق الطعم .

(2) أى ماء الحياة والمعروف فى المغرب أنه مشروب خاص باليهود .

(3) فى م 2 ص 41 بالخاء وفى ج 108 ص 41 بالخاء .

ايا موعياها ميگاه اينهجار
وانت أرضاوك للوك ارقعو اثناك
غنمو افصورتك ووانك
وبنات الزهو قدامك
برزوا زينو لوصالك
ونت الله شكرك وارفع قدرك شاع خبرك
غرب اصحرا افايجا وامداين واتلول
بك اسجيت لكلام ساقط المايا وانشدناها
بوجود المسرار
ويصفها ابن علي في «الصبوحى» بأنها فى لونها ذهبية كالسما ، وحبابها
كالشهب ترمى بها الرقيب :
والراح كالسما ذهيبا * يرمى اعلى الرقيب اشهابو
وقريب من هذا نجده عند المدغرى فى «الديجور» حيث يشبهها
بالهلال :
والصفرا تسمطع كهلال واكواعبها مثل النجوم فالخمرى عاموا
وهل الخمرى قيساط كل عذراوى حايـز ريـم
وهى عنده فى «الزهو» معتقة من عهد الهرمزان :
صف لى تدراج الكيسان * من امدام اصرخدى ذوقى امعتقو دهمقانى
افعاهد اقديم الهرمزان
ويحكى المدغرى قصة **الخمر** فى «الساقى» فيبدأ بالترحم على البستاني
الذى غرس الدوالى فى روض مزهر ، وعمرها بالمياه الى أن برزت اوراقها
واغصانها ، وبدأت فى ابتهاج متطلعة للعلو ، واعتنى بتربيتها وكأنها صبيات
تربيهن أمهاتهن يحملنهن فى الحجر ويرضعهن من لبنان تديهن المدار ، ثم لا يلبث
النمو أن يسرع بهن فيصبحن شابات بالغات تطل نهودجن وتنسرب شعورهن
على الصدر ويلبسن ثياب الحرير . وما أن اكتمل نمو هذه الدوالى حتى خطبتها
ريـح الصبا للريـح الغربية (I) وتزوجتها فى حفل بهيج ، انطلقت فيه مياه
(I) الريح فى اللهجة المغربية مذكر

الصهاريج والفسقيات وعزفت موسيقى اصدااف المطر الغزير ، وحضره
الهزار ، وقدم الفجر هديته نسيما طيبا طربت له الاطيار ورقصت أغصان
الشجر . ثم حملت بعد ذلك وتوحيتم على ثريا ضريح سيدي بلعباس ، كان
أهداها له السلطان اثناء زيارته ، فأنجبت غنا قيد شبيهة بهذه الثريا ،
فاقت الذهب في صفاء اللون ، ما كادت تنضج حتى جناها ولد الغرام ،
وعصرها في ثوب الهوى وصفها وعتقها في صون الى أن عبت نسمايتها
تبعث على النشوة وتنفي الهجر والصد والاسقام والاكدار ، ثم خرجت
لحضور مجلس الشرب صفراء منيرة تحيط بها الكؤوس ، وكأنها البدر يوم اكتماله
قد التفت حوله النجوم :

ارحم اعلى الغراس يوم غرس ادوالى فى ارياض امنع بنوار
واسقاها بمياه تنهمر ۞ ولقحت ادواحها وتاكت مسرارا
ربها تربيت الصبيات فحجور امته اعلى لهدين المدرار
بتشرغين اغايت الصغر ۞ طلقات اضفرتها اعلى غيظ الجارا
وبعدها بالرضا رجعت اعزيبات احكيته ابنا المجد الجدار
عن لبلوغ اطفحت للنكر ۞ ديك الهادى الوات بالتيه اكرارا
بلغات اطلو انهودها واسوالفها جات حايفا عن ليمن وايسار
لعبو فوق ارخامت الصر ۞ وليست اقماش سندسى عند اذكارا
اخطبها ربح الصبا الريح الغربى عقدو أزواجها بحضور الهزار
فبساط الفرجات والزهر ۞ واخصوص اتفور والصهارج همارا
بشهود الآلى وصيغت الآلا صدف الجواهر أمن المزن الغزار
راحت فى عبروقها اخضر ۞ من فوق اسيررها زهوا للنظار
جاب الفجر اهديتو ابليب انسيمو غنات لو اتزايه لامت لطيار
ورقصت القطبان فالشجر ۞ وارخات اكمامها اعلى الفرج ابشارا
تكلت اصاحى افروضها واتوحيتم اعلى اتريت الطرشون الصرصار
سيدي بلعباس يندكر ۞ أهداها لو اهمام لشراف ازيارا (I)
ولدت شى اعناقد كفها تسطع بضياها اولا مثلها ذهب افتشجار
(I) تطلق الزيارة على الذهاب الى الضريح وتطلق كذلك على ما يقدم له من
هدية أو نذر ، وهى فى البيت بالمعنى الاخير .

صنع الله المالك لكبير * احكمتمو بسرار العقول احيارا
 اجنابها ولد لغرام انصرما قى توب لهما وصفاهما للتقطار
 علقها فى غايت الخفسر * وعبقت انسومها ابشوا بتسار
 انفات المجبر اصم والبين اضيق الهم والجفا واغصايى لمرار
 والسقما فالقلب والكسدر * زالت بشعاع نورها عن احضارا
 حضرت الصفيرا اكم البدر ليلت واج آكواكبو اكيوس اضياها ستنار
 كيسان الفجر امع التيسر * عنسم لبساط عل الحضرا سيارا
 وعو فى «السماقى» الآخر يرسم صمرة الدالية منعمة فى الحقائق دائمة
 السنى ، وقد التوت اغصانها فى حلقات على سرير موقت ثابت ، مائلة معربة
 فى كسل وعنفوان ، وقد تدلت منها عناقيد كثريرات فى السماء علقست
 بأسلاك من الذهب :

هالك دم العنقود افطبت لساقى * بنت ادواى امخنت فحدايى
 اعلى السقا واسراير توثيق
 اغصانها عربطت والتوات افلاحلاقى * فكساويها امكسلا واعبـار
 امشرغنا بخراس التحليق
 واعناقذ مثل اتريات فالافاقى * واقمصليها امعلقا بتعالـسق
 امن اسلوك الذهب افتوريق

أما السماقى فيراه امتيرد مولها حيران ، ويسأله فيبرد بأن السبب كامن فى
 الخمر وفى الجبال الفاتن الذى ينظر اليه :

بالساقى مالك ولهان * عدلى لا تكتم سولان * مال حالك مالىـو
 قال لى مكوايى حيران * خاطرى والسماكن دهشان * والى به قتالـو
 لدام أحسن الحسن * والنظر والعشق الفنان * والهوا واهوالـو
 ويطلب منه ابن على أن يكون مطيعا للمعاتات ، وأن يلبي طلبات
 الحاضرين وأن يكون منتبها

أعمل فالحضرا ما بقينا * طع لبها اوكن فى حالك يقظان
 ويريده المدغرى أن يكون لييا واعيا منتبها ، وأن ينشد مواويل
 واشمعارا حلوة رقيقة ، وأن يوقظ السكارى عساهم يفيقون ، وأن ينحسـى
 امام سوداء العيون ويقبل الارض بعينه بين يديها، وان يزهى القلوب ويحركها

بالوتر والطبوع الشقيقة :

كأس دم العنقود من لبريق ساقى * وابغى ساقى اليبب دهرى فايق
فى اغزىل الموال ارقىق

شم أساقى واسقى غمقى ارماقى * وانغم بشعار كن حربى عايق
وكنض الطايح ياك ايفيق

بندق آكل الارض بشفر لمداقى * وازها صحى لقلوب من لعلايق
ابلوتر واطباع التثويق

وقريب من هذا يقوله العلمى لساقيه يوصيه بأن يذحنى أمام المليح :
طار اغراب الداج ولخمر فاللاوانى باقى * يا ساقى
أهدى كأسك المليح واخضع لوبتبنديقنا * وافهم معنائى اوعيق
ويريد المدغرى من ساقيه كذلك أن يشمر عن ساعده وأن يسقيه
ورفاقه بفراصة حتى يفرج عنهم الضيق والهموم :

قرب الصفرا هات الكاس

امن ايديك اسقنا يا صاحب الخمر بكياسا

مزق اضنانا والتكيس

شمر اكمامك للتسوتس

طوف واسقى واهدلنا افناجلك بفراسا

ما بحالك فالزهو اونيس

ويطلب محمد بن الوليد من الساقى أن يكون خفيفا سريعا فى الصب
غير بطىء :

الساقى ضيف الله ضيف * غدر الكاس آكون اخيف

باش تطفى هذا اللهفا

وعند محمد الشليح فى «الكاس» أن حبيته على التى تسقيه وتسقى
جلاسه :

كبي يا باشا رادفى كاسى من خمر لمراش

فاجى تشوشى * يا هلال الخودات اعبوش

كبي الكاس * واسقى جلامسى

طالت الفرجا يا سلطانت النسا * بوجودك واكدنا اتسنا
 ما كان بهاس * ففسق حناسى
 بعد تكت ليلت لوصال غالسنا * غابو اهل لفجور ولحراسنا
 ومن نظام الشرب وادبه ما يلفت اليه امتيرد نظر الساقى، حيث يريد
 أن يوقظ الحسان ، وأن ينتبه لمدور كل شارب والا يكف عن الصب طالما
 الليل مسدل ستاره .

المساقى وكفى لمرسام * رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها
 كب واسقى ما زال الليل

ويطلب منه ابن على أن يستقى ويشنع ، ففي ذلك علاج العاشق :
 كب ياساقى الراح لعتيق واردف للعشيق هاداك اصلاحو
 بوجود ابنت الحى كب ياساقى كاس الراح
 أما ابن سليمان فيريد منه اذا عريد ووقع أن يوقظه بانشاد الاشعار،
 وأن يعيده للمسكر من الرشف بمجرد صحوه :

اذا نطيح ونظنى بشعار النظام

ما نصحا حتى اتردنى بالمرشف سكران

وهن أوانى الشرب يذكر ابن على الكاس والابريق :

كب يا ساقى هات لنا * صب لمدام واسقنا بالكيسان
 حتى طار اغراب لغسيق واركع فوق كاس لبريق فرجا بصباحو
 ويذكر كذلك فى «الصباحى» أوانى البلور :

كب لمدام ياساقى من بلار * اصغ اوطف بالخمسارا
 ويذكر ابن سليمان الكؤوس والفناجين الملونة :

كب اكيوس افناجل لخمير تشهد عل للوان

ونجد ذكر الفناجين عند المدغرى كذلك :

فق اصاح هات افناجلك واغنم نشوت راحى

ويزيد عليها الطاسة :

كنت امهنى اسليم ما نعرف ياخنارى * كاس اولا طاسا اولاخمر
 اولاندرى اشروطها فحضرت الخمارا

وعند محمد بن الوليد في «الصغرا» أن أواني الشرب أكواب مختلفة،
منها قرفية فخارية ومنها صدفية وخزفية ومنها زجاجية وبلورية ، ومنها ذات
الوان صفراء وزرقاء :

واكوابو المشتعرا

اعلى الصناف داروا

اكذلك اوجاروا

احبيب حار

لغير ارفيع الشراب بهم وانزاح الهول

قرفى واصداف زاجى والودع والخابورى انزاهما

والعلج ابلار

وعند العلمى فى «الساقى» أنها كؤوس من زجاج عراقى (I) شفاف :

كعب الخمر الخارقا * فى كيسان اينادقا(2) * من زاج ابلاد العراق

تظهر حمرا بارقا * فالوانسى شارقنا * كلون اسحق الرماق

بل انا نجد ابن سليمان لا يريد من ساقية أن يقدم له الخمر فسقى

الكؤوس ، وانما يريد أن يملأ فمه ويسقيه ، ويكفيه الريق بلا خمر :

أنا ابلا اكيوس اسقيني * عمر امراشك واعطينى * الريق ابلا اخمريكفينى

والوقت المفضل للمشرب عند امتيرد فى «الساقى» هو الليل :

زد غدر كاسك واملاه * ليلنا بالعز اغمناه

بعد قالو ليلتنا ياالشيخ لا تنساها

وعند ابن على أنه يمتد حتى الفجر اذ يبدأ ممتاز الظلام يرتفع كأنه

غراب طار وركع فوق الكؤوس والابريق ، ايدانا بالصبح حيث بدت خيوط

الشمس الاولى مشعة تضيء غرة الفجر الذى بدا كسلطان جميل تبايعه

الاشجار وتنحنى له ، وقد هب نسيم البستان طيباً وألهم جبين الفجر

ضوءه على الكواكب وأخذت الطيور تغرد فوق أغصان الشجر المائل ، وفاحت

(1) يطلق فى المغرب هذا الوصف على زجاج الملون .

(2) لعل المقصود بها كؤوسا مستوردة من مدينة البندقية الإيطالية .

الازهار المختلفة من ورد أحمر وسوسان منير كالمياهى بسلاحه، والخابورى (1)
 يخبر بحكم العاشق ، والياسمين البهى الكاوى والخيلى (2) مشمرا للكلج
 بخيله ، والنرجس ترمى عيونه زهر «الزين والبها» فى الغدو والروح ،
 والخيتران تتمايل قضبانته تميم مع الرياح :
 حتى طار اغراب الغسق واربع فوق كاس البريق فرحا بصباح
 وليستان اعل انسيم الحضر طيو صباح
 واجبين الفجر ضوى اعل لكواكب واطيار ادواحن اعل ضيو صاحوا
 فوق امنابر لغصان كل طير ايفرد بفراح
 واهمام القبل كشرىف حاكم دار العجلا غرت مصباحو
 أمر لشجار ايباعوه لحسن بجمال الصبح
 مالت لشجار وفاحت لزهار وغنات اطيوار اعل لفجر وتلقا
 ضحكت بالفرح اتفاير الزهر فى ظل اللقح
 شف الورد العكرى ايفوح شف السوسان فى امصباحواتبها ابسلاح
 شف الخابورى ايبخبر الحكم لعشيق الفضاح
 شف ايها حسن الياسمين كيوخلاى فى حالتى امكثر تجياحو
 شف الخيلى خيلو امشيرا مشمور اللقح
 شف اعيون النرجس كترامى لبها والزين فى اغداه وقرواحو
 واقوام اقضييب الحزان يتمايل بين ارياح
 وعند ابن على فى موضع آخر أن الليل قد أقبل سلطانه يسدل
 الظلام بأجنحته ، ويملا الفضاء بعساكره وينصب خيامه كأنه فارس سودانى
 شجاع يمتطى فرسا أدهم ويسل سلاحه ؛ وتجاوبت معه النجوم فلاح
 ضياؤها فى الجو ، وتحت علمه أخذت بدور الجمال طريقها للمكان وكأنهن
 عرائس لم تنظر العين مثلهن ، وفى المكان مدت فرش ملونة بين الاشجار
 والروض البهيح وجدوله المنسربة :
 حضر بالك يا عاشق لبها شف اهمام الداج مد بالظلام اجناحو
 عمر لفضا بعساكر ودى اخباء افليطاح

(1) هو النوع المعروف فى الفصحى بالخابور .

(2) لعل أصله الخيرى وهو الزهر المعروف بهذا الاسم فى الفصحى

نحكي سوادني اشجيع يتبختر بفارتو اعلى ادعم سل اسلاحو
وانجوم القبلا لاجلو فالجو اضياهم لاح
وابدور الزين القاصرات تحت اعلامو يامن اتسال للمرسوم راحوا
همان اعرايس كل ريم شلا شافت للمساح
لبساط ايحير لعقل بفرشات عل للوان ما بين ادواحو
والرياض امهيج بغرايسو اجداول بين ادواح
أما ابن سليمان فيستمر مجلس أنسه يوما وليلة ولا ينتهي الا فسي
العشى وقد اصفرت الشمس ، وهو وان لم يشف لوعته فان الوقت الحلو
الذي أمضاه عل قصره خير من مائة عام :

هذا انهارنا جوزناه (I) اعلى التمام

شمس لعشى راحت صفرا * فالزین ما اسخت انظرا * باقى عاشفت الحضر
ليلا او يوم عندي فعواض اميات عام

وأما العلمی فی «الساقی» فیفضل الفجر :

راح الليل اعلم لفجرتاكي الصبح العراقي * يسا ساقسى
دوز اعلى الحضر بفناجلك تزيان الموسيقى * وازرع (2) للساهى ايفيق

وكذلك يفضل المدغرى فی «الصباحی» :

اغتم الصباحی يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار اقمناها
لاترتى للبرنيس كب ورا (3) ربى غفار

(I) جوز بمعنى قضى واعضى ، وهى من -جاز بمعنى فات ، لاتستعمل الا فى المنطقة الشمالية من المغرب اما فى الجنوب فيستعملون دوز وداز. ويبدو غريبا أن يترد عند ابن سليمان الفاسى

(2) ازرع هنا بمعنى صب له أو قدم له الخمر ، وهى توحى - سواء فى هذا الاستعمال أو غيره - بالحركة الخفية السريعة .

(3) أرا بمعنى هات لاتستعمل الا بهذه الصيغة كاسم فعل الامر ، ولعل أصلها ارى مضارع راي فى المتكلم كأن الطالب يريد أن يعطى الشيء حتى يراه بعينية .

والوقت عند الحاج ادريس لحنش في «الساقى» هو العشية عند

الغروب :

روفي اعليا واعدي لنا عن فرجة لعشيا امدام المباح
اساقى عقب النهار هذا فوز ابوقت السرور واستقنا بين ادواح
شف الذهبيا المراحيا . ليست ثوب لغروب والليل اغشاها
ومثله يريد انجار في «الذهبية» أن يقتنم لحظات الغروب لشرب :
غدر كاسي يا مديم ثبل التروح الذهبيا
شف لبيم حين اتمكن فظلامو اغلب غي النهار
ويرسم امتيرد في «الساقى» اطارا طبعيا لجلس الشرب في غايبة
الروعة والجمال ، فالطيور تغرد وتسبح والحسان ينشدن القصائد والعروبيات
والاغنيات ، والاغصان تتمايل والنسيم يهب :
شعاع لخمير فبذات الحى باح واقشا مكنون اسرارها وطار احياها
لاح طير الحسن الكسيل
ذلك فقصايد تنشد ذلك بعروبها تلفظ والخرافنهاها
كنعت المايا والسيد
تاسى الفجر والليل الشمال ولطيوار اتسبح المن انشاها
ولقصان اكساها تبجسل
عب من جر لفلاك انسيم بعد طرلت لمقام البين للوداع ادعاها
كينادي بالعزم ارحيس
ويقول امتيرد كذلك في «فرجة لعشية» :
بالصفرا والكيسان خمرا نشورا معصورا
ما بين العرسان ولعرايس وكيوس التروح وعلى حضرت لملاح
هاذى تسقى واتزيد
والنوبا ماتنسها
ديك اتجاوب بنشيد
وامحلا صوت الفاها
لخر ترقص واتميد

بغرايح شف اهوها

هادى تسحر لدهان

لخرا تفتن مبشورا

ديك اثريا ديك كمثارا ففساق اديوج

شرق اضياها وضاح فى حرجا عل للوان

بخلاعتهم مشمورا

يتمكن ويروح امن انظرهم تايه مفلوج

يتشكى دون اجراح

مايفدهم ثمان

هل لخدود المعصورا

ملا لتفهم مانتج ماشلا فنتوج

يوم اوقرها يشحاح

ويستعرض المدغرى فى «الساقى» أنواع الطير التى اعتلت أغصان

الاشجار مغردة مسيحة لله فرحة طرية ، ويشير الى المغنى ينشد الاشعار

وعازف العود ينقر برفق فتزهى لنقره الريام ويقمن للرقص :

شف يا ساقنا لغراس * خاطبين اعليهم لطيار قاطبا عساسا

ايسبحو من له التقديس

شف لمام ابشوقو ماس * ولبشيقايغنى بفصحتو الغاه اتواسا

جاوب الحريل والسمريس

شف كمري يشرئى فهواس

امجاوراه امقنين بصوتها الهول اتناسا

شف كالل امثيل اعريس

شف لطيار افطيب اغراس

اكما ازهنا لاريب ازهاوا افرحوا دون اعكاسا

كل طير افمعلاه اوجيس

شف غانى ينشد عساس

شف مول العود ايزهى اريامنا بسياسا

له قاموا فرحا وارقيس

ونجده كذلك في «الساحي» يصور جو المجلس الساحر فيذكر المغنى

ينشد بأنغام وتوشيح يصاحبها العود والرباب ورقص الفاتنات :

ماشفت أساحي ارحيق ينظم فالكاس اعقود ويضحك فالسمع النواح

والقانى بنغام قاصحا * لوتاه احجك من الخمر الكفاحا

مامرك توشيح * والبستان القيس

والعبدان اتصيح * والرباب الى نايح

لو شفت ابتلميح * فنجات افتلميح

بنغاييم واشطيح * ولمقاييس وادواوح

ويضيف المدغرى في «المصوحى» الى هذه الآلات الجناح والجنك

والكمان والسنتري :

شف العود والقانون والجنج والجنك اكمنجا واسنتر احدها

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغاييم لوتار

شف الآلى موسيقتو شهات اعلى حسن الغاييمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا على الرضا ماغزلو حرار (I)

ولكنه لا ينسى التعريجة

كب الخمر الكافح * أصاحي واتراوح * بالتعريجا واكباح

ومثل هذا التصوير البديع لآطار مجلس الشرب نجده عند الرجزاجى في

«الساقى» حيث يقول :

شف البستان اربيع مبهجاج
موجود فيه كل ماكنحتاجو

شف اغصان الروض كعرايس داحت بدواح
بغلاخل وادبالح اعقود الجوهر لوضيـح

وادواوح واكمامها ابلعطر تهجى واتفوح

شف البان ايبان كهفيف الزين المياح
يتنهنا بنساييم لعطوف امرح تمريسـح

متمنع فطفاحت الشباب امورد واجموح

(I) يعنى قصيدة «الصبوحي»

شف السمرجل شامخ النهود أرخى لدواح
بالفرحات اتعانقوا بعشقتى الالوتيريج
والتشمين امقابلو امع الفرصاد الممدوح
شف الليمون الشمط والرنج من عطر وفياح
والورد القانى ابطنو يجلى كل اطريريج
والورد السرى امع الورد العكرى منصوح
شف الجار افدوحتو امعكر قلدونصاح
وامعمم بعبارق السباني للفرح اجنيح
والياس انوار املون بوشامو مسروح
شف اليزيدى شف طمساج * وامدلك اكف لقصور فطهاجو
شف السوسان ابطيب نفاج * والخززان وامضل الملك ابتاجو
وانظر للخابورى اقتبهساج * والزين ولبيها مترونق فدباجو
شف المعشوق اشف عاشقو بغرامو نواح
والنمام رقبهم فى قلبو جمر الفيح
والديدى والديدحان والخطما واليربوح
شف الشكوكى القول عشقى شاكى لحلاح
والخيلى خيلو امسرجا فالמידان اطفيريج
والباغ ابخالو وسامتو للعكرى مجنوح
شف الجسرا طاهجا البهر شاخص بلمساج
يتزها فالقالب ايجول ابنظر واطميريج
والحكم افحكمو ايجور ما يشفق من مكروح
شف اليرقان اهوا ازرقا حتى التحل اوجاج
والبهجا والفن الفلمحابق زاهر وانصيريج
السوسان امع لقرنفل واشكرنظ منقوح
شف اجداول فهدرها سر امن الفتاح
فخلخل لدواح جاريا تلهج بالتسييريج
واترضع فنواور خواص ابماها عذبي مسيوج

شف اترابع افكل مهراج * وارياضنا امزخرف زاهى تفواجى
شف امشاوات الساج والعاج * والياسمين واسرايرها فتنهاجى
شف افرشات حرير وادباج * وامخاد واخداتى بالذهب انساجى
شف اطياف المنعام كتعريف ما شربت راح
صبحت نشوانا ايلها تفجى هول التذليل
بالسر المكتوم كل طير ابما فيه اينوح
شف الحداد ابمايتو ايحير عقل الرجاء
والسمريس اتقول شى اصبى يقرأ بالتوضيح
والنحاف ايجاب الزطوض ايشكى للبوح
شف الزرور ايتيه ويرقص وخفك ابلجناح
يتهد ويبدل النعام اسجول اتوشيح
ما مثلو نساد زايق المعنى بالموضوح
شف الهيزار ابلغتو ايحير فمسا واصباح
ويغرد فالليل والنهار ابصوتو لفصيح
والكلال ايروج افلقفز بنشيدو ممشوح
شف ازرويال ايتروك يفصح فوق القصاص
ومقلين اسادم الجنان اتوضح توضيح
والحضرا فى غايث الزهو والعز المنصوح
وانظر للصبح امطررد الساج * ضوا ابرائىو بيضا من تبلاجى
والشمس امعالمها اطلبراج * لقمحت كل روض ازعرت احراجى
وازهنا ما بين لتنجاج * لا وعد لارقيب ايروع بهراجى
شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح
وانظر للمكنجا اوشوف العود ارجيح
ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح
شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقاج
شف العشق الصافى الزم العفا باش اتريح
والتوفيق من لكريم نعم الحسى الصبوح

وفي الرفقة يرى ابن علي أن يكون كل واحد مصحوبا بخليته
يزهى بها ويتسلى في صفاء ، بعيدا عن العواذل والحساد :
كل اخيل اقبلتو اخيلا ٥٥ بالعز والرضا في سامت لوصال
يتسلوا في حضرا اجديدا ٥٥ بقلوب صافيا رغم اعلى العبدال
كل خلية قد لبست افخر الثياب وعلا جبينها تاج كالبدن الوضاح
مرصع بأغلى الدر والجوهر ، وقد شربن حتى عربدن ووقعن ، ولكن لم يلبسن
أن أفقن مترنمات بأحسن الاشعار :

لبست لبسا واعلى اجبينها تاج ايحير الضمير من متع الماحو
بالجوهر والدر النفيس تعني بدرا وضاح
رشقوا كيسان الخمر وعربطوا واطفاو الوالعات فالحين اوطاحوا
ثم قاموا واتنغموا اوصاحوا بشعار افصاح
وكذلك يرى المدغرى في «الديجور» :

والصفرا تسطم كهلال واكواعها مثل النجوم فالخمر عاموا
وهل الخمر فبساط كل عذراوى حايئ ريــــــــم
ولكنه لا يلبث في «الساقى» أن يهوى الشرب مع جماعة الفائنات :
شف حضرا تسحر لغلــــــــاس ٥٥ شف خودات اهواويات افلهوا وناسا
راخفات شعر دأج اغليس
ويود ابن سليمان أن يشرب مع حبيته في جمع احبابه وأهله :
يحلا امع القاك اشرابى ٥٥ ما بين لا متنى واحبابى
تنسى امحايئى واعذابى

أما أنجار فيريد في «الذهبية» أن يفوز بالشرب مع أبكار المدينة :
أساقى فوز بالنزايه والفرجات ٥٥ وازها بعوانس لحضر وافخر بهم
نبهم للسرور وازرع الطاسسات ٥٥ ساعف غرض الريام لنك ساقهم
أش من فرجا اتلذهن غير الخودات ٥٥ زهوا للعاشقين فرحا بمجيهم
وقد يعرف الشاعر الشعبي عن الخمر الى غيرها ، على حد ما تصادف
عند الرجراجي الذي لا يرغب في غير الاتاي والسكر من عيون حبيته
وخدها :

الساقى بين ملأح كب اتأى الفراح * ترك الخمر او لا تقربو بالتصحيح
واسكر بعيون لمليح * ومن الخد المرضوح
وعلى حد ما تصادف كذلك عند الحاج ادريس لحنش الذى يريد أن
يشرب من الخمر المباحة .

رف اعلينا يامديم واهدى لنا عن فرجت لعشيا امدم المباح
ولكن مثل هؤلاء الشعراء سرعان ما يجدون من يغريهم بالشرب ؛
فهذا امترد فى «فرجة لعشية» قدمت له الفاتنات كأسا مليئة بسائل أبيض
مصفر شك فيه أن يكون ماء ، وادرك أنه غير مباح واعتذر عن شربه ، فعجب
لامره وضحك ، والحق عليه فى أن يشربه حتى تظهر له آثاره ، فهو زهو
بنى عذرة المشهورين وسلواهم ، شاربه أكثر بطشا من السيف وأحد من
أسنة الرماح واسرع من ريح البحار ، ينطلق لسانه وتنتشى جوارحه وتحمر
وجناته وينزاح عنه ستار الحياء ، وكل من لم يذقه لا يرتاح :

رفعوا لى كاس املان * ابيض وامعاه اصفرورا
هذا لماشكيت قلت لهم للعقل اخروج * ما هو ليا مباح
قالوا لى خد اشرب * تنظر واتشوف اعمالو
قلت لهم ما تقرب * منا فى حالت حالو
واضحت لهم اعجب * ضحكوا الريام وقالوا
هذا زهو السلوان * لبنى عذرا المذكور

مولاه ابطش من اسهام واسرع من ريح الجوج

واقطع من سن ارمباح

فوق اجوارح نشوان * واعلى الوجنات احمورا
ايسرح للسون واكشف لحياء للمهروج

من لاذقو ما ارتاح

وهذا المدغرى فى «الكاس» يغرى صاحبه بالشرب منكرا عليه - فى
استفسارات - جفأه ، فهو لم يطرب للغناء ، ولم يشرب كؤوس الفسح ،
ولم تصبه سهام العيون فى شغاف قلبه ، ولم يعض تقاح الصدر ، ولم يذق

رحيق الشفاه ، ولم تهزه ريح الهوى ، ولم يهزمه جيشه القسوى بخيوليه
المتوتبة وسيوفه القاطعة ، ولم يسهر الليالى متأوها متوجعا جريحا ، فليكشف
عن الجولان والهيام فى صباحه ومساءله ، وليشرب كأسا مترعة تمحو الهموم :

غدر كأس الراح لتا وانت عقلك ساحسى * يا صاحسى
اسمع ما قالوا الناس فالكأس ابغير امزاحا * واقبل منى ذا النصيح
وانت عقلك رايح * ماهزوك اكرايخ (I) * مادقت اكيوس لغراح
ما عكروك الوامح * وسط القلب الجارح * مانكويت امن الماح
معضيت انفافح * فوق الصدر اطوافح * مادقت اشغوف لجباح
ما هزك ريح لهوا وغيوانو بين ارياحسى * يا صاحسى
ماهزوك جيشو امع انصالو بخيول اطفاحا * تبى بسيف الديقح
ما هزك فالنوم من اسنون انشاشب وارماحى * يا صاحسى
ما خلاك اعلى لفراش اوجاعك تداحا * ولا قاصك شى اجرىح

...

يكفاك أصاحى اتجول هايم فمسا واصباحى * يا صاحسى
غدر كأس الراح ابلقداح اهمومك تدماحا * اغلغل فى مرطايح

بل يذهب الى أبعد من ذلك فيعد الذى لا يشرب من الدواب :

من لاعربط سارح * فمراتع واتسارح * عدو من كسب لمراح

وماكاد يقدم على الشرب تحت تأثير الاغراء حتى رأى فى العرشف

صلاحه وعلاجه ، وأقبل عليه بلهفة عساه يعوض ماضاع من عمره :

اسقيه اسقسنيه قال لى فالقمصال اصلاحي * يا صاحسى
أرا لى نقدى الى امضى من عمرى واتماحا * واملا لى حتى انطىح

بل انا نجده فى «ساح» آخر يغرى صاحبه حتى يلين ويستجيب ويرغب ،

ولكنه يتعامى عنه ولا يلبى رغبته ، ويتركه يتحرق الى أن يضيق به الحال

فيعمرى رأسه ويكشف عن رغبته الجامحة ويطلب مباشرة من الساقى أن

(I) ج كرىحة وهى الغناء عامة وتطلق خاصة على النوع الذى يقوم على
قصائد الزجل .

يصب له في القدح الكبير حتى يغتم ويعوض ما فات ، وأن يرمى القدح الصغير
 القناء : وما كاد يشرب حتى غاب وغابت معه همومه ، ثم أفاق وأتى على
 كل الخمر ، بل أن مغريه خاف على نفسه أن يشربه لكثرة ما أبدى من لهفة :
 فاق الساجي امن اسهوه جدد فيا الشوفا وهزنى واشمزنى بالمح
 نخلتو (1) وارجعت لى اججحا * جايتعاما اعليه درتو برجاحا
 وبعدها ضاق به حالو عمرا راسو زاد للصفرا دون امزاح
 وانطق للساقى فى امكاجحا * قال اسقنى امن الرحيق الفراحا
 كب ارالى ابلكبيرياك انغمو ماغات والصفير ارميه اللمراح
 صاح اساج اغاب ما اسجحا * واصبح همو ابكاس لدام اتماحا
 فاق ارقص ابلاخفا واضرب الرش (2) ادوا قال لى اسقيه اوسقسقيه اصاح
 واضغم فالصفرا الشارحسا * وادوالى قال لى مترك (3) لاراحا
 شفت الساجى اشرب كل شى سلكت انهارى وخفت لايشربنى يا صاح
 وعنده أن الذى لا يشرب مصاب ، حياته فارغة ، وهو وغد شحيح
 بخيل :

من لا اشرب ارزيج * عايش ريج افريج
 كابر وغد اشحيح * عاش فزمانو كالح
 ونجد المدغرى نفسه يتحدث عن مغريه بالشرب فيعترف - فى
 مزح بين خمر العنب ومدام الحبيب - بأنه كان يجهل كل شىء عن الخمر وأنه
 كان سليم الجسم مرتاح البال الى أن رآها فى عيون سكرى ، وشاهد
 عصيرها على خدين جذابين . وكان قبل شرب المدام - ويقصد مدام العيون
 والحدود التى كانت مطيته للمدام الاخرى - حرا مرتاحا مزهرا روضه ،
 بعيدا عن طريق الهوى ومشاكله ، لا يشرب كؤوس الهجر ، ولا يشتعل الجمر
 فى قلبه ، ولا يعرف اللوعة والسهر ومرارة الغرام :

-
- (1) لم أجبه من نخل نخالا
 (2) لعله الزق ، وضربه أى شربه عن آخره
 (3) مرته والمرأة التعب والمحنة .

كنت امهني اسليم مانعرف ياخنارى * كاس اولاً طاساً اولاً خمير

ولاندرى اشروطها * فحضرت الخمارا

أنا سيدي حتى انظرتها * من اشفار اسكارا

أنا سيدي واعصيرها * اعلى الخدين السرارا

أنا سيدي قبل لمدام ما داخل تحت احكام غير مرتاح

ما عرفت اللهوا جيرا * اولاً شربت اكيوس الهجر * اولاً شعلت اقلبي جيرا

مطلوق معذرفى اعدير * زهو امكدل بازهارى * ما نعرف ليعا ولاسهر

فى طيب النوم ما عرفت اللغرام امرا

وكان الاعراء بالشرب سبيل الشعاع الشعبى للتعبير عن رأيه فى

الاستمتاع بمناات الحياة فامتيرد ينصح ساقيه الحيران الموله أن يستمتع

بالحياة حين تناح الفرصة ويفرح والفرح لا يتم بغير الشرب ووجود الحسان،

وينصحه أن يتمتع بصره ويتنزه فى هذه الوجوه على ضوء الشمع وتقرات النغم،

فقد فات أمس بسروره وشقاؤه ، وقديما نصح بالايستبدل الانسان ساعة

الهناء والسعادة بالتعب والشقاء ، ويطلب منه ألا يكون بخيلاً :

قلت للساقى شد احزام * لاتعائب نفسك بملام

خذلك ايفادا

افعل ما فعلو هل لغرام * حين تعطف عنا ليام

فرحها يتزادا

آش من فرحا دون امدام * واش من حضرا دون اريام

للقلوب الذاذا

متع ابصارك واتزهي افوجه لحباب او مايداوى لقلوب واشتهاها

بالنغاييم واشمع اشعيل

آش باقى لك من تنكاد ليلت البارح معلوما ابفرحها واشقاها

ما يحضر امعاها تهويـلـ

قول فات اصحيح اسمعناه لا اتبدل ساعت لهنـا ابتعبها واشقاها

اولا تكون عل لجواد ابخيل

كيف يذهل عقلك ويغيب ولعوارم قدامك كلها ابما عتناها
 هب نفسك للطوع اتميل
 وابن علي يريد أن يفوز بالزهو والسلوان مادام الله سيعفو ويغفر :
 دبا ربى يعفو علينا : اذما اوفوز هذا حد السلوان
 وهو في «الصموحي» يدعو ساقيه الى أن يغتنم شرب الفجر مادام
 الزمان في غفلة ، وأن يشعل مصباحه بالهناء ، فمن لم يفز ويغنم لن يتسلى
 اغنم امع للميح اصبحك : أما ترى الزمان فغفلا
 واشعل ابلهنا مصباحك : من لا يفوز ما يتسلى
 أما المدغرى فيدعو الى تنزيه النظر وترك الهموم بالاخذ والمطاء واغتنام
 وقت المنادمة بالشرب في الطاسة فليس في لحظات السرور والصفاء ما يقنق
 ويرزعج ويبعث في القلب الوسواس ، وليس مثل الخمر نشوة ولا في
 شربها باس :

نزه ابصارك لوح الباس
 هالك ورا اغنم ازمان لمنادما بالطاسا
 ما فساعت لينا تهويس
 لا يروم اخبيرك وسواس
 كب وانشط واتزهي ما عليك فالوسوسا
 ليس يهوانا غيرك ليس
 رادف اعلينا بالونساس
 ما يخال الصها نشوا اولا فخمرك باسا
 كب وفض من كان العيس

وهو يرى في «الزهو» أن منعة الحياة في البناات وسكنى القصور
 والفروسية والموسيقى والغناء واللباس والتنزه في الطبيعة وشرب الخمر :
 الزهو فبنات اشبان : ولمازه والخيال اميت لوتر والغاني
 ولقماش روض اكيسان
 وأما محمد بن الوليد في «الساقى» فيشرب ليطفى لهفته :
 الساقى ضيف الله ضيف : غدر الكاس اكن اخفيف
 باش نطفى هذا اللهفا

وعنده في «الصفراء» ان الخمر تذهب الوساوس والاهوال ، والله
لا معنى لحياة الذي لا يروى منها ظمأ ولا يحيى نفسه بأنغام الاوتار ، بل
ان النفس تحاسب صاحبها ان لم يجعلها تزهى وتستمتع ، وعنده ان متع
الدنيا كامنة في الكتب والخيل والبنات ، ثم ان الله غفار :

طاب الزهو ولد الشراب وذهب وسواس الهول

فرجا بياض العز ولهنا فرجا لمن ابغاهما
بشر يا بشار

آش را من لاکب ارو اوهاج افسدولت لافحول

آش را من لاجاد وسخاوزها نفسو حياها

بنفايم لوتار

من لازهي نفسو اتحاسبو قالوا هل لعقول

زهو الدنيا لكتوب والسروت البنات انزاها

والمولى غفار

وقريب من هذا نجده عند العلمى فى «الساقى» حيث يرى سرور

الدنيا وزهوها فى الجمال والخمر ، ويرى الصولة والعزة فى الغنى
والفروسيمة :

اسرور الدنيا وزهوها فالزين العراقى * يا ساقى

والصولا والعز فى اركوب الفرسان احقيقا * وامح الفضل ولوريق

وعند أنجار فى «الذهبية» ان لحظة الزهو تحيى القلوب وتسل بالافراح :

أساقى سامت الزهو تحيى لقلوب * واتسل ابلفراح بالشوق الجالى

والشاعر الشعبى فى اقباله على الشرب واغتنامه للذات لا ينسى وبه

ويأمل فى عفو غفرانه ، يقول ابن على :

دابا ربى يعفو اعلينا * ازها اوقور هذا حد السلوان

ويقول المدغرى .

قل للساحى ايفيق امن النوم يسمع انصاحى * يا صاحى

بمعالم وارياح لهوا تهدى طيب الراحى * مولانا غاننى اسميخ

ويقول كذلك فى «الساحى» :

فق اساحى هاك فنجالك والقاء ارشفو ارشيف ياك المولى سماح

قالت هل لوفنا السامحا * من لا اشرب لدام ما فيه اسماحا

كما يقول في «الصبحي» :

اغتم الصبحي يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افمغناها
لا تترتي للبرئيس كب ورا ربي غفار
ويجري العلمى في «الساقى» أن الله كتب السعادة للسعيد والشقاء
للمسقى ، وأنه لا داعى لاستنكار الذنوب أو محاولة تجنبها ، ثم ان الله غنى
مشفق رحيم :

غادر لي لمطاب فرجتى يتحقق روناقسى * يا ساقسى
خل الخل وهات لى الصهباء الكاس احديفا * وامل لى ذاك لميريق
كاتب مولانا السعيد ساعد والشاقى شاقى * يا ساقسى
لا تستنكر امن اذنوب اولاتكل عن تيقا * مولانا غانى اشفيق
والامل عند انجار فى «الذهبية» أن يمحو الله ذنوبه ويقلل توبته بجاه
الرسول صاحب الشفاعة :

وانهايت لحديث انطلبو من لاينام يمحق اذنوبنا ويتوب اعلىنا
بجاه محمد نبينا
اشفيح فينا
حشا ايھون بنا

رہى اکريم من لاتخفاء اخفيا
معلوم ابلوفا وعبيدو يرحامو
بعد النكد امع لوزار

على أن بعض الشعراء لا يقصدون من الخمر حين يتحدثون عنها غير
الخمر الصوفية ، وأبرزهم ابن رموية والحراق وشقور ، يقول ابن رموية
فى داليتہ يخاطب المرید السالك :

اشرب لازم الكيسان ووصال ليلاتسوان
لقد ضاق الزمان عن الجاهل لعتسود
قد شربنا كؤوس زالت بها البوس
غيرنا مات اس (I) ولاعرف مقصود

(I) كلمة غير واضحة ولعله يقصد مات أسى ،

خذ العمل الصافيا امن اجباح الصوفيا

واسقه للروحيا ولا تكن احقود

ويقول الحراق :

اغنى كاس الراح * هاجيبك زار
اسبق اودور * انف الشرور * طول الدهور
صلب الشراب * فالنكد غاب * والخبر صاب
رشف لكواب * امع لحباب * عين الصواب
فازها فيامك * لو اتعيش انهار

نظرا فلحبيب تمحي كل اجرايم * والرحمان اكريم يالى نرجاه
اذا عارضى ماتنفع اعزايهم * لو بعمال الخير كلها تلقاه
ويقول شمر :

من عند الغنى تغيننى * واتزهنى امع لحبيب ابلا فخرى
اسق يا ساقى الخمرا * هذه ساعى الرضا
اظنبت فيك ابلا تفدىنى * واتنزلنى فى امراتب لعلا
ايا الساقى كب واسقنى * وشربى امن اكيوس الخمرا
هن لقلوب هزهم هزا * يالى بيسدك كل عزا
داوى لقلوب باش تبمرا * يالى بيسدك كل قندرا
ياسادنى يا موليا * نظروا نظرا خالصا فيما
انظرت فيكم نظروا فيما * تشرب شربا حقيقيا
سعدى بك وارضى اعليا * يا محمد سرك فيما

كذلك نجد ذكر الخمر الصوفية عند الفلوس الذى يبدو مغرما بحب
المختار شاربا من خمره ، وأية خمر هي ؟ ما أحلاها دون ساق أو كاس ،
وجدت قبل ان يخلق الكرم ، تسرى فى روحه ومهجته وعروقه ، وهى
سابقة عليه فى الازل :

محلا خمر الحب دون ساقى من غير اعراقى * خمر قبل الكرم خالقا
واسرات اقزوحى ومهجتى واعروقى واسقائى * ليا بالازل سابقا
بمدام الرسول الاكرم سقيت اورافه وتفتحت أزهاره وفاح شذاها ،

وبهواه أينعت أشجاره وبالحب ترنمت الاطيار مفردة بأصوات سماوية تنشد
تواشيح الفنون والاشواق ، وتسبح بالسنة ناطقة لا يفهم تسبيحها غير
الخالق الكريم :

بمادامك ياسيد الرفاقى نسفات اوراقى * وازهارى بشباك وارقا
واشجارى بهواك طافحا فالبيستان الناقى * واغصانى فالجو خافقا
وانهارى بشناك فسمواقى ماها دفاقى * وادواحى بالعشق باسقا
واطيارى بالحلب كتلاغى ما بين احداقلى * بصوات الكريم طالقيا
بتواشيح لفنون ولسمواقى تنشد كزواقى * واتسبح بلسون ناطقا
ما يفقه تسبيحهم الا نعم الخلاقى * من ودك بسرار خارقيا
وقبل هؤلاء جميعا كان المدغرى فى «الكاس» قد وصف الخمر بأنها
معنقة لم تعصر ، وبأنها سبقت فى وجودها الكرم وبأنها ألطف من
الهوى وارق من النسيم ، يكفى شم عطرها الفياح لكى تسكر وتتلغ العقل
وتسيل الدموع :

خمر اقديم ابلا عصير من قبل الكرم افلاحى * يا صاحى
الطف من لهوا ورق من لرياح لياحيا * يثلف عقلى الى ارجيح
من سمو تكفيه طبتو ابلعطر الفياحى * يا صاحى
يضحى ما بين لقطار سايح دموع سياحيا * ما بين الحضر اسبيح
ولكننا لا نخفى شكنا فى أن يكون قصد الخمر الصوفية رغم النغمة
الفارضية التى تغطي على هذه الابيات والتى يبدو أنها مجرد صنعة ومحاكاة،
وترجح هذا الشك بقية القصيدة التى يغرى فيها صاحبه بالشرب كما
تقدم . وما نقوله عن المدغرى نقوله كذلك عن العلمى الذى سبق أن مثلنا
ببعض شعره .

ثانيا : الكون والطبيعة :

إذا كان الشاعر الشعبى قد اغرم بحمال مظاهر الكون والطبيعة
فاتخذها اطارا لمجلس الشرب ، فانه ظل يتعشق هذه المظاهر حتى بعيدا عن
جو الخمر ، فوصفها وصفا رائع التصوير بارع التعبير يكشف عن سلامة
دوق ، وصحة - وجدان ، ورقية احساس وشعور بالجمال ،

واستجلاد لحقيقته حيث وجدت . وهو فى وصفه يقارن ويشخص ويبسّر
المعانى فى صور حسية ملموسة نابضة ، يبت فيها
الحركة والحياة ، ويبعث فيها من ذاتيه ما يجعلها
تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته فى امتزاج وتجاوب مع تلك المظاهر .
وأطلق على قصائده فى ذلك أسماء «الذهبية» أى غروب الشمس و«الصبوحى»
و«الديجور» أى الليل ، وهو عندهم الداج والبهيم ؛ وأطلق عليها كذلك أسماء
الربيعية و«العرصة» و«الستان» و«المشموم» و«النحلة» وما إلى ذلك
مما يوحى بمظهر من مظاهر الطبيعة والكون .

1 - الكون :

وصف المدغرى الشمس الثاقبة صفراء ذهبية ، وشبهها بفرس شتراء
أرعى عنانها فغدت تغير على الروابي والسهول :
شف الذهبيا اخودها فى ذهب التشحار
وارخات اصروع اللجوم فوق الوطيان اتغير
نعنها شكرا امختنا من خيل المنصور
ويرى الحاج ادريس لحنش أن الشمس فى لونها الذهبى ليست
ثوب الغروب وقد هجم عليها الليل :

الساقى عجب النهار فوز ابوقت السرور واسقنا بين ادواح
شف الذهبيا الراحا .. ليست ثوب لغروب والليل اغشاه
ويسبح لله الذى جعل الشمس تشرق فى كل أرض ، تزهى وتروق
فى أول الضحى ، وتعلو لتلقى أشعتها على الجدران ، ثم تتجلى فى كبد السماء
يخطف سماءها الابصار وكأنها عذراء فى عز غرورها وشبابها ، لا يستطيع أحد أن ينظر إلى
جمالها ؛ وإذا ما حان الغروب بعد ذلك يصفر جبينها فى لحظات لتروح له
لابسة أردية حمراء :

أساقى سبجان ربنا هذا الشمس افكل ارض تتجلى عل لبطاح
واتزهى فى أول الضحى .. تنشر فوق لدار بيروز ائناها
تبدا بها بعد ذلك تتجلى فى كبد السما اسناها يخطف للماح
كعذرا فاصفر طافحا .. لامن يقوا يشوف فجمال ابيها
ايلا حان اغروبها اسماعا يصفر اجبينها اللغروب اتروح ارواح

فكساروى يا صاح ناصحيا » عكسرى مغلولق فيه تغرب فى ماها
وهى فى حالة الغروب - وقد احمرت خدودها وغدت معصرة -
شبهوة بالبكر التى شربت حتى ثملت وغابت عن وعيها ، فاختطفها عاشق
كان مترجما لها وغطاها بأجنحته ، وترك اهل الغرام يشوادعون وينوحون
تجكى لفراقهم الطيور والاشجار ، ضارعين الى الله أن يعيد لهم اللقاء .
وكذلك فعل جميعه الذى أغضض جفنيه استحياء وهو يودعه، معتذرا ومصافحا
ومقسما أن يزوره ثانية لينتزه وياه :

والشمس احمارو الخدودما ونعصرو نكسرى اعويتفا زرعت كاس الراح
وامتين اتغافات طايحيا » جار عليها اوصيف عاشق ودعا
عس اعليها ابلعيان حتى غابت عن حالها اوغطاها تحت اجناح
واترك اهل الغرام نايحيا » تتودع ابلقراق والوقت ادعاها
واطيور البستان ناحت على الفرقا بصوات حالها وكذلك لدواح
رفدت العشاق فاتحيا (I) » بكفوف اوراقها ايولى ملقاها

شف الى نهراه نيم اشفاو واستحيا وقال لى ودعتك يا صاح
واستعذر لى ابلمصافحا » واحلف حتى ايجى ونشمو انزاها
وعند المدخرى فى « الذهبية » أن الشمس فى غروبها تذبذب وتصفر
كالحيب الذى هجره حبيب بعد أن وعده بالوصال ، فظهرت على خده آثار
الفراق ، ولبس ثوب الضنا الاصفر ، وسكب الدموع ، وذبل لونه وفقد
الصبر ، وحارت العقول فى أمره ، كلما انحدرت شمس العشيّة للغروب
زاد لونه تغيرا خشبة من الليل وطوله وما يكثر فيه من فزع وتنهك وانسكاب
الدموع ، يروح اصفرار خده بصادق خيره ، وتزيده شمس العشيّة تدهيبا
وكانها غبراء تدور على أفلاك المحبين :

ريبت اغروب الشمس ابلهوا تذبذب وتصفار
كن احبيب امقاولوا احيبو وارجع للفيصر
خلاه افوكر ابلار رفيق امفرد مهجور

(I) رفد الفاتحة أى رفع كفية ليقرأ الفاتحة ويدعو الله .

وظهرت افخسود اعلاامت الفرثا من لضرار
والبس خابورى امن الضنا واسكب دمع اغزير
بسموا سيوف لفرآد جرحوديا معكور
وادبال اخيالو اوخالتو طاحت من لغيار
فغرامو واشكايو وعشقو لعقول اتحير
يحسن عونو عادم الصبر بالفرثا مقهور
ما حد لعشيا تغرب ألونو فالتكدار
من خوف الليل الطويل والفرعا والتغيير
والتنهاد اكيت الصبر وامدامع لبحور
فوق الخد اصفورتو اتبوح ابصحت لخبار
والذهيبا كاتزيد فوق اخدودو تشحير
نعنها عنرا اعلى افلاك الغوان اتدور
ومثل هذا الربط بين الغروب والوداع نجده كذلك عند علال الصدراتى
فى ذهبيته حيث يقول :

الشمس اغروبها اعبارا
راحت مشمورا
وانبات اكوكب السيارا
كانت محصورا
والبدر انبا ودار دارا
ليلت عاشورا
والبين جار
تفرقنا من بعد لمزار
واتودعنا من لوكار
واقده واجمار
قلبي واش جا يصبرو .

ويبلغ هذا الربط عند الحاج محمد النجار حدا يجعل شمسه لا تغيب
فقط يوم ودع أهله فى الصحراء للسفر الى فاس ، ولكن تصاب بالكسوف

فتظهر النجوم فى وضوح النهار وتنتشر الظلمات :

لله يا حلى سمحوا فى شئ فات

وادعيوا لى انصيب امنايا

فى بلد فاس كنز اغنايا

عند الشراف هل لعنايا

يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا

تبسط لكفوف ضى وادجا للخالق ساير لخلایق يغفر الواتى

فجميع السيات

الين آوين الشمس فالسما ريناها كسفات

حتى ظهور النجوم فالنهار الكهار العاتى

والظلما سدات .

ويصف المدغرى **الليل** فى «الديجور» فيدعو لرؤيته، مال ظلامه وأطلق
كواكبه فى هالة وهمة كأنه سلطان من السودان أقبل فى حلة فخمة راكباً فرسا
ضخمأ أدهم ، بيده أمان الملك وضمانه ، وخلفه جيوش من الفرسان ملأت
الافاق تحيط به من كل جهة ، يمتطى جنودها خيولاً دهماء ملجمة مائجة كأنها
البحر الزاخر لابسة حللا من ريش الغراب والظليم :

شف الديجور ارخى اكواكبو من شور القبلا ايهيل ويهيل اظلامو
سلطان امن السودان ينتقل فى دهما وازخيم
لايس برناطا فوق امن ادهم منكلضم كورى افثمان صولت تضخامو
قابط لمان امن الشريف واكبل فى زى افخيم
شف اجيوشو تاكو اوعمرو لافاق ايمن اشمال خلفو ومامو
فاق امياكل دهما اتموج نحكى زخار اطميسم
شف اخيامو فالكور كورو بعساكر فرسان كلها قابط الجامو

بكساوى من ريش لغراب وارياش اجناح الظليم
والليل بسكونه وهيبته وغموضه ملجأ يأوى اليه المحبون ، يشونه
هموم وأحزانهم . وانطلاقاً من هذه الحقيقة اتخذ المدغرى وسيلة لحوار يقصد
منه الى تحقيق غاية وتبليغ رسالة، فهو بعد أن شبهه فى «الديجور» بالسلطان،

تخيل المحبين حضروا يقدمون له شكواهم مصطفيين في ساحة قصره ، منهم
من يشكو الهجر ومنهم من يشكو التيه ، ومنهم من يشكو العشق ومنهم من
يشكو الغرام ، وأخرون جاءوا يقدمون له الهدايا يرجونه ان يظل مسددا
ستاره عليهم لينعموا بملذاتهم ويستمتعوا :

شف المشهور فالحين عمروه ارباب الغوان وامر اعلى خدامو
دارت بالشكاي اصفوقها في حرب اتحزيم

شف الشكاي شي اشكا بهجرو شي بالتيهان شي ابعشغو واغرامو
شي بالفخر شي جايب لهديا لليل ايكييم

تقدم المهجور يشكو هجر الحبيب بعد طيب الوصال اسيرا باكيما
رائيا ، وقد طال صبر قلبه واقسم الحبيب الا يفك أسر ، وهو يرجو الليل
ان ينظر حاله ويتدخل بلطف لديه ليكشف له عن حقيقة حال البين ، لعله
يلين ويقبل استعطاف محبه فيرد عليه السلام ؛ ويود منه ان يجمعهما في
مجلس انس يستمتع فيه بالنظر الى جمال حبيبه والاستلذاذ بكلامه ، عساه
يرفو خرق قلبه الكليم . ويجيبه الليل بان عليه - رغم الهجر - الا يياس ،
وان يظل بأبواب حبيبه وفي خدمته ، وأن يلاين ويسعف هواه في غير شؤم ،
وانه مهما طال به الهجر لابد وان يلتقي مع حبيبه في مجلس شرب وأنس .
فكل من لازم باب الجود لابد داخله :

زاد المهجور اشكا ابوجرو من بعد طيب الوصال ارجع مهجور
قال اداجي قلبي امبرو (I) هذا اشحال ونا نرتي مهجور
والهاجر خلانسي افيرو بشمايلو احلف لاطلق الميسور
ابغيك ياليلي اتسوف من حالي واترغبو الى انجي نسعي ادمامو

يقبل تدمامي لايردني بالقهرات اهميم
ابغيك ياليلي اتقول بلطفك لله عاشقك رد اسلامو

واتبين لو حال الصدود من بعد الوصل ادميم
ابغيك ياليلي اتمنا فبساطي نشفا ابهاه وتسمع اكلامو
يرفي ماقطع يادجورنا من قلبي لكليم

(I) ما أكثر صبره .

قال المديونون إلى أطول هجرى يخدم لجيب لايزول عن أمقامو
ويساعف غرض أهواء لا يكون أفقرام أشييم

من لازم باب الجود لاغنائى من مدخل لو اقلول بالهجر ايامو
يتلاقى بالمحجوب بين كامن أساقى ومديم
وتقدم الثائى يشكو حائرا مرارة الهوى وجور مالكه وتيهه بشبابه،
ويرجو الليل أن يكتمه لعل أن يطفىء نار قلبه ويعالج سقمه ، ويطرد
محززيه ، ويعيد الماء إلى مجراه ، ويقفل الباب بقلب سليم ، ويود منه أن
يلم شملهما حتى يرتاح قلبه من اللوعة ؛ وعساه بعد ذلك أن يقبله خادما
وعبدا له . ويجيب الليل بأن من صبر وتحمل الهجر والجرح لابد - مالم
يمل - أن يفوز بصيده مهما طار ، وينصحه بالامهال والمسايسة والطاعة
حتى يفوز بالنظر إلى جمال حبيبه ويشرب معه :

شف التيهان اشكنا اضرر •• من تيه مالكو حارت ليلـ
قال اداجى لهوا امرو (I) •• من تيه امن اهويت اريت امن الجوز
هو تايه فشباب صغـرو •• ونا امبعو راين دار انـ
ابغيتك ياليلى اكلمو ياك ايعالج نار ضر قلبى وسقامو
تغنم اجر الملهوف ابلهوا ياليلى لبـيـم

ابغيتك ياليلى اتقول للمحجوب ايرد لحررز الكدمـ
والما للمجرا والرتاج اللباب اقلب اسليم
ابغيتك ياليلى اتلم شملى يفرغ قلبى ابلهتو من تخمامـ
لعل من بعد الصدود يرضانى عبد اخديم
ادوا لبهم اقال من اصبر وتحمل حمل الصدود وعكر اجسامـ
يقبط صيدو ولو طار لاتمل اصدود لغريم

ارضى غنو حتى ايوالف اتبعو بسياسا اولا تخالف لكلامـ
حتى تشمنا فجمال صورتو والكاس افنعويم
وتقدم العاشق يشكو السهر ، تكشف صفة لونه ما فى قلبه من
داء وتكفى الفاهم للقضاء والحكم ، ويرجوه أن ينظر إلى حاله مكويا

بمفاتح حبيبه ونظرات عينيه ، ما نظرت اليه الا زادت جراحه آلاما ، متلهفا الى الماء وهو
يجرى متوفرا في مكانه ، ويستفسره عن وسيلة لاطفاء عطشه ومعالجة رشح
سهام حبيبه . ويرد الليل ليؤكد له أن العاشق في حيرة مستمرة يقضى
ليله بين الخوف والرجاء ، ويخشى الفراق حين يتم له الوصال ويظل مشغول
البال عند الحجر دائم البكاء والالين :

زاد المعشوق اشكا ابسهرو * واصفورتو كتبت اعلى الخد اسطور
واظهر فوق الوجنات سرو * كيف يخفى اخبار القلب المضروب
والي عايق يقضى ابنظرو * ايجود ويصفح عن حال المعذور
ابغيتك ياليلي اتشوف حال المكوى بحساسنو وخزرات انيامو

وقت ماريتو كيزيدلى تجراح اتعيدم
ابغيتك ياليلي اتشوف حال الملهوف اماه ما اخطا وسط ارسامو

صبرو راحل بغرام امن اهواه امع العشق افهيم
ابغيتك ياليلي اتقول باش اتبرد لله رشكات اسهامو

لنى عطشان الحب ولهوا شربى شرب الهيم
ادوا لبهيم اقال ذاك حال العاشق مشغول طول عمرو فعظامو

مايين ارجاه أخوفو كايكسم داجو تكسيم
ايلا كان احبيبو امعاه يخشى من لفراق الصعيب من بعد امكامو

وبلا فرقو يبقى امعلق الخاطر غير ايزيم
وتقدم المغرم يشكو القهر وأهواله الكثيرة ، ويشكو أوصاف حبيته

التي لاحد لها ولا حصر ، ويريد من الليل ان ينظر الى من اسود حاله
وادلهم وطال ، شبيها بحاله وبشعر الحبيبة الطويل المرخى على الاوراك فى

سوائف ملتوية كالشعابين تاركة باله فى كدر وسواد ، وقد الهبته نار
الخدود ولسعته الحواجب والعيون لسع الارقم ، وكأنها فى نظرتها سيف

ابن عيس يغرس فى قلبه ، وهو بعد هذا يشكو زندق حبيته يلهبان نار
حشاه وقد انهمرت دموعه غزيرة كالمزن شبيهة بلآلى ثغر الحبيبة وجوهر

جيدها . ويجيبه الليل بأن من اکتوى بنظرة العيون مصادف اعدامه ، ولكن
الله يجود بالصحو بعد الغيم :

زاد المغموم أشكا أبقيهم — مرو * وادمعو امزون أعلى الخد اتفور
قال أداجى لهوال كثر — مرو * شلا انعيد من رمكات اليعفور
توصاغو عندى ما نحصرو * بيم جيت شاكى من غير افجور
ابغيتك ياليلى اتشوف من هو حالو اكحل اطويل او حالك تدهامو
مثل اشعور الباهى اطويل وعلى الوركين افخيم

واسوالفها مثل التعابن الملويا فى خاطرى اكحلو واهامو
والقوس السعنى من الحاجب القايس لسع ارقىم

سيك عنثرا فدواخلى امن الخزرا فى يوم اكباح جرد صمصامو
والهيبو من لخدود باهلى والوجنات اجحيم

وادمعو مثل اجواهر الشجر ولاجوهى جيدها اعلى حسن اقوامو
والزند زند نارى افلحشا من برقو لوسىم

وادوا لبهم أقال امن اكوا من خزرت لعيون ذاك صادف تخدامو
لكن الله ايجود بالصحو من بعد التفهيم

وتقدم الذى هجره أحبه يشكو حر نار الفراق فى قلبه وقدرهم به
بعد أن وعدوه بالوصال تاركين قلبه ملتها لايعرف الطبيب له علاجاً ،

ويسأله عما قد يفرج حوله وهيامه ، ويريد منه أن ينظر اليه بفراصة وعقل
ويعالجه ويخبره بمكان أحبه ان كانوا تحت جناحه ام فى خصب ينعمون .

ويرد الليل بأنه ينبغي له ان يسأل ويجوئ ويقتفى أثر رحلتهم ، وان لم
يقدر على ذلك فليصبر على الضيم ، فكل من يعمل يصل ، وليس أمام العاجز

الا أن يصبر ولايشكو اذ عجزه هو سبب ما يقاسى ، والذى يتمسك بالامل
يفوز لابد بغوث من الله :

زاد المغموم أشكا ابغدرو * قلبو ابجر نار الفراق مدعور
قال اليلى حباب غدروا * بعد التفاق عن لودا و اشهور

تركوا قلبى كاوى ابجمر * عكز الطبيب ما عرف الداياشور
ابغيتك ياليلى اتفدى بقاد تفجى احوال قلبى واهيامو

وانظر فىا بفراست لعقل لك خير احكيم
ابغيتك ياليلى اتعالج الصب الى رحلوا احباب قلبو قيامو

واداوا امعاهم خاطرى اولا باقى له احليم
ابغيتك ياليلى اتكول لى واين صدوا لمتى واين حامو

لاينهم تحت اجناحك السعيد اوفى خصب انعيم

ادوا لبهيم قال سول الوجول اتبع ارحيلهم فى أثرو هامو
كان انت ما قديت يالداعى اصبر اعلى الضييم
من اخدم اوصل والعائز يصبر لايشكى عكزو اسباب هجرو واعدامو
والى ما قطع اياس لاغناه ايفيثو لكريم
وهكذا قضى الليل وحكم بفكره لارباب الهوى ، وفصل بالحق حتى
شاع خبره فى كل مكان وجد فى العمل ساهرا يشهد له الشمع والخمر :
أمرو احكم واقضى ابفكرو « لرباب لهوا بالحكم المشهور
وافصل بالحق أشاع خبرو « الشكل فج بين امدان وادشور
واجتهد فالخدماء ابسهرو « بشهادت الشمع والخمر المعصور
أما الذين قدموا الهدايا - وهم أهل الانس - فجأوا يطلبون منه
ان يطول وقد حلا النغم وشعشعت الخمر وأضاء الشمع :

جأوه ناس الفرجات ولخلاعا وهداوه أراودوه عن طول امكاهو
قالو لوياسلطان هل الحب ابغيناك اتقييم
احلات الصيفا ولمدام شعشع والشمع ازهى اولاح فخدود اريامو
والكيسان افميدان حربها تجرى فى تعويس
ويدعو المدغرى فى «الصباحى» للتمتع فى طلوع الفجر ورؤية البدر
مضيئا كعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب فائنات يرعاهن تحظن به
يمنة ويسرة ، ويدعو كذلك - مستغلا أسماء الكواكب فى تلاعب لفظى رائع -
لمشاهدة المشتري ولوعا بشراء العاشقين ، له سوق عامرة بهم ، وزحل
باعثا حمرة على الخدود كعصير الخمر ، والزهرة زاهرة خدودها يزهى
المحبون بجمال ضوئها ، والكيوان يكوى القلوب بلانار ، والمريخ مرخى
لثامه ، والشرى متملية من سناها بعقد والنجم يزهى العاشق بفرته ، ويبشر
بضيء مناره ، والنسرين يسرى فى الرياض بعسكره والنسيم يفوح عطره
منبثا بطلوع الفجر :

شف البدر الضاوى اعريس تآك افحجبا واكواكب اعوانس يرعاهها
دارت دور المقياس به عليمين وايسار
شف المشتري له سوق عامر برقاب العاشقين والع بشراها
شف الزحل ارقى اعلى لخدود اعصير المسطار

شف الزهرا زهر اخودها وتزعجى اصحاب لهدوا عن حسن اضياها
شف الكيوان اكوا ابيكو لقلوب ابلال لسان

شف المريخ ارضي اللتام شف الثريا لابسا اعقود امن لسانها
شف التسرى يسرى اعل المراض بعاكر جمر

شف الفجر ابمرق ايهر العاشق وامارتق البشر بضيها
شف النسايم ابطلعت لفجر يعطوك لجبر

أما الفجر فكسلطان راكب فرسا أشيب ، وقد مسك غي يساره مسحة

حادة يركض خلف وصفائه في كل مكان مشمرا عن ساعده بحزم :

شف لفجر احكيو اشريف راكب الشهب اوبلا اعل ايسارو ممضاها (1)
يجرى اعل وصفانو الفكل جيه ايعزم اتشيار

وهو قد أشرف على الاطلال متولبا كانه المولى اسماعيل ، ناشر عله

المنصور وضاربا بسيفه المصفول في جيش الظلام ، يسير خلفه عسكر من

الخيول الشهباء النجبية الصاهلة :

شف الفجر اركب فوق لطلال * قايم نعيه مولاي اسماعيل (2)

شف اعلامو منصور قتسال * سيفو اعل ابيوش الديجان اصقيل

شف كم من شهب اريج مازل * شهبان خاطف الكتفا له اصهبين

ويقارن ابن عل بين الصبح والليل ، بين الصبح كسلطان ارضي ذيل

ازراه لابسا حلة من الديباج ، وبين الليل في توديعه كغراب أسود شابت عناره

وأضاءت عناره ، بين الصبح كنسر يعلو في تحليقه ، وبين الليل سال دمع

غرابه وقد بدا الضوء من خلال ذلك متجليا يطرد الظلام وينيره ، وظاهر

حمام القبله كالامام في المحراب ، ودار القلك بشيئة ربه فاختفت الكواكب

وهب النسيم من بين الظلمة والتور يحرك الاشجار :

الصبح كغريف ارضي ذيل ايزارو * والبس امن الديباج اغمارو

والليل كغراب أسود شاب اعذارو * واشعل امن الضياء امنسارو

الصبح كالنسر يتعلو * والليل سال دمع اغرابو

(1) ما أحدها .

(2) في رأى استاذنا الحيل الدكتور عبد العزيز الاهواني أن ذكر اسم

السلطان في مثل هذه القصائد ربما يدل على أن بعضها كان مداخل

للمديح ولكن الرواة لم يحفظوا هذا المديح .

والضوء فى السماء اتجلى * رسل اعلى الظلام اعقابو
انظر اترى احمام القبلا * مثل ليام فى محرابو
الفلك كيف دار ابصنعت دوارو * واخفى اكوابو سيارا
هب النسيم بين الداج وانهارو * شوش ادواحنا المسرارا
وعند المدغرى فى «الذهبية» ان الشمس أرخت أكمامها معولة على
الرواح ، وقد أحست بالليل فارسا حازما مشمرا يجمع جيشه يريـد
الهجوم ، فركضت هاربة من بين الاشجار تبدو أشعتها كأسماء الشابل
تلمع وتضىء :

شف الشمس أرخت لكمام * عولت للرواح افتيها واقياما
حست بالديجور لفلام * جمع لجيوش زاد الحركا بزعاها
وهربت وعرت لوهام * خلالت لى الرمح اشقرا بسلاما

...

والشقرا تجرى اعلى اجهدها ما بين اشجار

والفارس تبريمتو اعجب محزوم افتشمير

وامزارج شمس لعشى اشوابل تلمع واتنور

واذا كان كذلك موقف الشمس أمام جيش الليل الجرار ، لم تطفى
مقابله - وما كان لشيء أن يوفق بينها وبين عيد أسير - فان النهار قد
اختطفها وحملها بحزم على أكتافه وغاص بها فى الغروب لتزف اليه فى عرس
يشيع خبره فى الصباح ، ولم يترك لجيش الليل غير الضباب . وحاول هذا
الجيش أن يعثر عليها ولكن دون جدوى ، وظل الليل يعض الندم يرمى
بحره بالموج والظلام ، وشكت اطياره فى اوكارها باستثناء أم الحسن التى باتت
متنغمة ، وحز فى نفسه أن يختطف النهار المشرق نجمة الانارة ويتزوجها ، وان
يتكرر ذلك كل يوم :

شف الشكرا شافت المظلام ابعسكر جرار

واعرفها مثل الظليم ما طاقت لو بعكير

واش ايلاقى بينها اويين الميسور

حوصها جيش النهار عن كهلو فالتشهار
واغطس بها في اغروبها محزوم افتشمير

خلى غير الرعد والضباب الجيش الديجور

طلق الليل اعساكرو اعليه ايمين وايسار

شرق اغرب اعيما ومايوكد ومن دير الديسر

ماوجد وجرا اول الكاو المنزلها شور

...

حوص خيتو ولد لهمام : وابقى الليل بات افصا وانداما
يرمى بحرو موج واضلام : بسواد فوق برناطا دار اعلاما
واشكات اطياردو افلرسام : من غير ام لحسن باتت نغاما
وابقات الفصا افخاطر السديجور القوار

حين اخطف لو شارق النهار انجمت التنوير

واعمل بها عرس كان فالصبوحي مذكور

وابقى جيش الليل فالنهار ايعوم ابتكار

يخطف شمس اعشيتو ايفادى تارو بهديسر

واتروح اعروسا امثيل جيش الفجر المجهور

ويصور المدشرى الصراع على النجمة بين الفجر والليل ، وكان كلا منهما
سلطان بعسكره وجيشه ، أحدهما - وهو الليل - راكب فرسا أدهم ،
والآخر - وهو الفجر - راكب فرسا أشهب . وبينهما ظهرت النجمة
بهية مضيئة بارزة كأنها عذراء منعمة . وتقابل الجيشان ، جيش الليل بسلاحه
وخيو له ، وجيش الفجر بالقمر المضيء . وادعى الليل أن النجمة ملكه طوال
الاجيال ، وزعم الفجر أنها زوجه بالعشق الحلال وانها دائما في رعايته
تلازمه لاتحيد عنه . وماكاد الجيشان يلتحمان في قتال مرير حتى انتصر
القمر وحاز عروسه ولبس رداء غدا يرفل فيه :

يقظ جفناك شف شف حرب الفجر مع الليل

كن اهمام امع اهمام بين اعساكر وامحال

واحد عن ادغم لخر اعلى اشهب مشمول
فالميدان اتحاربوا اعلى نجما حرب اطويل
والنجما بناتهم حسن ابهاها شعاع
نعنها عذرا امخترا تآلت بين افحول
الديجا اشل فجمالها بالعدا والخييل
والفجر ادغم فيه بالكمر حربو قتال
واتلاقت الخيل ابلتر والسيف المسلول
الديجا ادعا وقال دك ملكي من جيل الجيل
والفجر ادعا قال دك زوجي للعشق احلال
في حوزي ديم املازما جنبى ليس اتحول
اتلطمت الخيل افلكفاح ابعيط واصهيل
عامت الكمر اعل اجيوش الادغم لبطلال
حاز الفجر امروستو وليس ايزار مرفول

2 - التجميع :

وبنفس الاسلوب الذى وصف به الشاعر الشعبي عظام الكون ،
ذاتياً نابضاً بالطبوية والحركة والمقارنة ، صور مظاهر الطبيعة ، فهذا حماد
الحمري في « ربيعته » يصور انهزام جيش الشتاء أمام الربيع الذى أقبل
كسلطان منصور حاز كل فخار ، نصفت السماء من الغيوم ورمت ثوب الحزن
وبدا في الافق قوس قزح بألوانه المختلفة كأنه على خصرها حزام (I) :

سارت شماتي كالجيش ايلا انهزم افلكحار
من بعد زام طيلو واتنصر سار افلقفار اكسير
اوجا اهمامنا نسمى الربيع حاز التفخار
وصاب ما يصيب المنصور ايلا امشى اعداء احقير
ارمات السما ثوب حزنها وليست الافتخار
واتعزمت بالسبع الدوان اللى اهداهما لخبير

(I) يطاق في الغرب على قوس قزح : حزام للا فاطمة الزهراء .

وهذا امتيرد يرى في « ربيعته » أن الربيع أقبل بأنواره ، وعت
البركة والهناء والخير ، وغدت الأرض في حلتها السندسية المنقوشة كعروس
سلطانة منورة أحيائها بعد الموت بغزير الأمطار ، وبدأ المطر في تباه زوجها
للأرض تسمود بحاسنه ، ويوم ضمها وسقاها حملت منه ووضعت للسور
ذكورا وأنثا : فأزهرت الأنوار من كل صنف بقدره الله ، وأخرج الناس
للتنزه من كل مكان :

فصل الربيع قبل بنوارو

عامنا عام البركة ولينا والخير

من بركت النبي صلى الله اعلى باهى الصورا

أنقش الأرض بحكمت اسرارو

صبحت اعروسا سلطانا امنورا تنوير

واثابها اسندسى وانراورها انراش منضورا

من بعد موتها أحيائها * بعوارض لطار اسقاها

سبحان ذا الشا والعظم والجود

لمطر كابعاً يتباعى * والأرض زوجتو فحضاها

محاسنو ابدعت لجمال اسود

فنهار ضمها واسقاها * منو احملت فوق افضاها

ضعت للسور اذكورا واغيو

لنوارو كل صنف اتصوارو

كيف صور واصنع من هو الكل ذنب اغفير

من طبت الجنان الساعد للساعدين بالزورا

هاج الربيع وافتح نوارو

فيه لخلایق تهدي كافا اكهل واصفير

لنزايهو اكبل من كل ارسام له واقطورا

ثم أخذ في وصف الاشجار والطيور على حد ما سبق ان رأينا في اطار

مجلس الشرب .

وعند الطيب الواستري في سرايته الربيعية أن في قبال الربيع

سعادة الايام وانتشار مظاهر الخير ، فقد جاد الزمان وضحك
وانفرجت الاكدار وزالت الاحزان ، وظهرت الزهور المختلفة
اليها ، وبدت الارض كأنها من حور الجنان ، طاب عليها السرور
وهي بهذا عروس زفت اليه فجاء عليهما الزهو وغدت بارزة
وأحمل الحبل :

فصل الربيع جميل والوقت ازيان	»	واعلامات الخير للو
جاد الزمان واضحك ثغر السلوان	»	والنكد اتفاجا اوزال
وابطايح الزهر اعلى كل الوان		تسمى من راها ابث
والارض زى حوريا من رضوان	»	واعليها طاب للس
نحكي اعروس واعروسا فى اوان	»	اعليهم جاد الزه
صباحات بارزا فكساوى حسان	»	دام الله اجمالها وا
ومثل هذا نجدده عند غانم الفاسى فى «ربيعنة» :		

ومثل هذا نجده عند غانم الفاسي في «ربيعية»:
 الربيع اقبل فيأمو الريح غلاب وانكسات البيدا بك
 كعرو سامن كل اقماش زايد اديياج حانظا بشياب الكبر
 هايجا عدر اوي امن احراج لغناج ابلح حاسن تسبي فاء
 جات ايام الزينا بالزهو ولفراح

اقبل فصل الربيع وايام المليون

والزهر أتي وانشرح ١
وعنده أن الربيع من فضل الله ونفحة من نفحات الجنة
حال أيام الربيع من جنت رضوان بانث لوراق والزهر
سبحان الوحيه عظيم الشأن بدع اجميع لشيآت
جاد اعلينا برحمتو والسلوان

أما ابن علي فيرى في «الزهو» أن وقت الزهو يدعو للنظ
في أيام الربيع والاستمتاع بجماله كسب :

وأشجارها . تتعانق أغصانها في ترحاب كما يتعانق الاحبة بعد طول غياب ،
تتمایل معربة من شراب كؤوس الندى الرائق السكيب ، وقد ضحك الزهر
وبكى الطل كأنه عاشق تضحك الحبيبة لبكائه ، تنجواب معه نغمات
أوتار العود والرباب المطربة تنقر عليها أيدي العذارى :

حل عينيك واتنزه زد شوف واسطاب
في ادواح العرصا وازهارها اعجيبا
اغصانها بالفرجات اتعانقو بترحاب
كيف عنق لحبيب احبيب بعد غيبا
اتمايلو وعربطوا فرباضهم بشجار
امن اكيوس انداهم امرونا اسكيبا
الزهر يضحك والطل ابكى اقتنحاب
كن عاشق تضحك لبكاه شى احبيبا
ولوتار اتجواب بنغام عود وارباب
فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا
وهو يشبه أشجار البرتقال والليمون محملة بفاتنات من بنات العرب
الدين يسرع أبطالهم لانجاد كل من استنجد بهم ، وهن يصلن بسمرتهن ،
تزین أجيادهن وصدورهن قلائد العقيان :

شف رنج اللتشين اليم كن خودات
من ابنات العربان الصايلات بالتيات
بلعقيق أعقيان امخمس الغلادات
ابطالها من بهم استنقات دايم اتقيمت
ويشبه اشجار الرمان المصطفة بغرائس لابسات حللا حمراء متوجة
الرؤوس :

شف صف الرمان ابهيج كالعرايس
لابسات العكرى فعراشها اعلى التراس
ويشبه اشجار التفاح بأبكار أطلت نهودهن الصغيرة ، وماكذات تطل
حنى اخذتهن الخيرة والدهشة من اكف العشاق وتملكهن الحذر والرغبة :

شف صف التفاح اربا افأرض لامير

كاعنات اضحت انهودها اصغيرا

كيف طلوا وانبهضوا حازهم تحيير

من اكفوف العنناق راهبا احديرا

ويشبه الورد بخدود أبكار المدينة عائدات من الحمام ، شعورهن مبتلة

تقطر على ماء ورد الخدود العنبرى الطيب ، يعتدلن ويملن فى ريح غلابة

كأنهن سمفن تمثر العباب :

شف صف الورد اىحاكى اخدود لبكار ٥ ساكنات البهجا (I) البيضاء ابنت لضر

جايات من حمام اشعورهم غطار

فوق ماورد الخدين طيب عنبر

...

كايعدلو وايميلو ريحهم غلاب ٥ كاقراصن فالبحر امانزهو اسجيبا

ويشبه النخلة بعروس بكر تمتلذذ الياقوت والعقيان والجواهر ،

تتمايل مع هبوب الريح من العريضة والسكر ، وقد أرخت شعورها مسدنة

ومضفرة ، وهى من بنات الحضر زاهية كريمة يفوق جودها الوافر جودحاتم

شف ديك النخلا تحكى اعروس بكارا

امقلدا ياقوت وعقيان والجواهر

كتعربد نى اريوح احوالها ابسكرا

اشعورها مسروحا وامضفرا اضفاير

من لبنات المزيانا زاهيا وحضرا

غالبا حاتم طى ابجودها الوافر

ويشبه أحواض الزهور تكشف عن ابتسامتها من النقاب كوجنات

السكرارى :

ولحواض بنوار امبسما امن انقاب

كن وجنات السكرنات بالصهيبيات

(I) البهجا من أوصاف مدينة مراکش .

ويشبه أديم العرصة بزرايى مفروشة للتنزه متناسقة ، زائه رقم
حريري يفرج الكروب ، ليس من نسج الانسان ولا كتابته ، ولكنه من نسج
البارى جلّت قدرته : أما جداول الماء وسواقيه فكالمعاين تجري ملتبهة
الاجواف :

شف ارض العرصة ماكيفها ازرايى * امفرشا لنزايه هنئى السدى اينسما
ابلهريير امرقم يفجى ادجا كرايى * ماتنسجو بصباغ اولادخل الكتبا
بيد مول القدرى منسوج يا حبابيى * اتفكروا واعتبروا تلقاو كل رغبى
شف ذالك لما فسواقى انسج صباغ * اكما التعان تجرى واحضانها الهيى
ونجد عند المدغرى كذلك وصفا غير مباشر للزهار والاور فى «النجلة»
حيث يستعرض مختلف الانواع التى تمتصها ، يقول مخاطبا اياها فى حربة
القصيد :

صولى ياشاما الظريفا وازهاى أغنى ودندنى وقطفى منى لزهار
اترياق اعلاج كل ضر * ابنت الملك ملك هما واتمار
وفيها يرحب بالنجلة ويهنيها على الصولة التى تتمتع بها فى أمة
الطير ، ويطلب منها أن تغنى بين الورود والزهور وخذود الجميلات وعيونهن
الذباحة : أوحى الله لها فى كتابه وألهمها للتجول فى السهل والوعس
وبطاح الندى لقطف الانوار ، وجعل فى شهدها دواء وحكمة وكسبا :
سهلا واهلا بك بالنحلا واهنيا يالصايلا صلتى عن لطيار
غنى بين الورد والزهر * واخذود الزين ولعيون النخارا
أوحى لك الله فى اكتابو لهمك لبطايع الندا ولقيط النوار
والجولا فالسهل ولوعس * واجعل فيك الدوا وحكما واتجارا
أما ابن على المسقيوى فى «المشموم» فيدعو العاشق الى قطف الزهور
وضمها فى باقات لتقدمها الى الحسان :
يالعاشق قطف النوار بين لريام * كل وحدا رغم لها افنوع مشموم

ويستعرض أنواع الزمور التي تضم الباقية وكأنها عرائس النيل
فيقول :

من افنون النوار اجنى اعرايس النيل
والزدهقان انسرى والشقيق والياس
بابنوج اطماج أقرمزى اشتخيل
وليهر والسوسان امجاوز واسكلماس
ياسمين اغنبار امع لها اقتحيل
ولعشيق أعاشق والرنج والنجاس
اقرنفل والخلى والورد فاح بنسام
ولجكم دون اشريع ابلغرام محتسوم
خد الجوار أشكى اشكا ابلغرام
باح سرو من عشق الباهيات بقيوم
امشريقيا اوشامها يسحر لعقول
وفزين ازويول الراحا اللمسال
والباغ وابنفجيج والديدى متمول
نشوان افغايتو وعنها ما يسلا
والعقيون الددحان اصبح معلول
شاف الزين لبهيج من فايق عبلا
ولم يكن الربيع وحده الذى يتيح فرصة الخروج للتنزه والاستمتاع .
وانما كانت غير قليل من المناسبات تتيح مثل هذه الفرصة لاستعراض جمال
الطبيعة والفاثات كشعبانة وعاشوراء ويوم الزيارة ، يقول اميرد فى
شعبانة :

يوم لتنين اشعبان السعيد يامن ييغانا
لنزايه گيلت اعوانس لمدين الحمرا (I)
آش را من لارا لريام يوم داروا شعبانا
كعرايس نهكيها بارزا افحضرت كسرا
(I) الحمرا من اوصاف مدينة مراکش .

ويقول الحاج محمد النجار في عاشوراء :

أجى اتشوف يامن لاشاف الهايجات يصداروا

كيف شافت عيني حسن يوم عاشور

ويقول الشيخ العربي الفاسي في خروج الفاتنات للزيارة يوم الجمعة :

خرجوا لبيكار

يوم الجمعة لسواحل لبحر

بالآل وانغايم لوتر

حاموا الزخار

شف امدينت سلوان (I) زاهرا

خرجوا لبنات للزيارة « واجى يامن ابغا ايزور

تهنا واتشوف دالعبارا « خرجوا في افراقن لبحور

قالوا يزهوا بالتمارا « خرجوا بسرا لقصور

ملاحظة : شعر الفكاهة :

قبل أن نترك هذا الجانب الباسم المقبل على الحياة الى الجانب العابس الجاد ، نود أن نقف وقفة قصيرة عند فن من الشعر الشعبي لاشك انه تعبير عن روح الاستمتاع والابتهاج ، وهو شعر الفكاهة ، وتعرف قصائده باسماء كـ : « الزردة » أى الوليمة ، و « الطجين » و « الفار » و « الكلب » ولكن الاسف أنا نبحث عن هذه القصائد فلا نعثر منها الا على بقايا قليلة . وقد أكد لنا الاشياخ انها ضاعت في اغلبها بسبب ما كانت تثيره بينهم من شغب وشنآن جعل المنشدين يتحاشونها وكذلك الجمهور .

من ذلك ما يحكى من أن الناس كانوا يطلبون من المنشد قصيدة « الفار » فيقولون له :

«آنه تيجي احلو من فمك» فيرد : «اعلى اوجوهكم» ؛ ويقولون انه كان للغالي الدمناى قصائد في « الكلب » وكان الناس يطلبون الاستماع اليها بمحضره بمثل قولهم «قولوا لنا الكلب دا الغالى» وكانهم يشتمونه ، فتضايق من ذلك وأحرق كل انتاجه في الموضوع ، وحرم على حفاظ شعره أن ينشده .

(I) مدينة السلوان يقصد بها مدينة سلا .

ومن القصائد الباقية قصيدة «الزهو في طبلا حسن» ، وهي تنسب
للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ، وفيها يرى أن الزهو في مائدة
أكل جميلة وصينية شاي عليها برادان ، وكؤوس ملونة :

الزهو في طبلا حسن

لبرارد زوج وكيسان

لونهم يهواني

احكيتهم خرجت بلعمان

مهتل فوصاف الكيسان

عين علجا والخابوري (I) امع لخضر يهواني

شمس لعشى يسحر لدهان

وفيها يقول مستعرضا اواني الشاي وملحقاتها من صينية وبراريد
وكؤوس وزنابيل (2) وبقاريح (3) وبابور (4) وقوالب سكر ومرشات «5»
ومبخرة «6» :

ولبرارد نحكى شابات يافهيم اوزانى

امحزمين بهمام السلطان

ولبقارج مثل الفرسان

راكبين اسروتا وامحزمين المدانى

...

در بابور اصغر فلوان

شعل نار على كلب ابلمجبا فانى

-
- (I) العلجا هو الازرق السماوى والخابوري هو الاصفر .
(2) هى فى الغالب اوانى ثلاثة احداها محبوب الشاي والثانية لقطع لسكر
والثالثة للنعناع .
(3) بالباء أو الميم ج بقرج بفتح حرف الراء - ومد نطقه فى البوادي -
وهى آنية غلى الماء ، وتعرف فى المشرق كذلك بهذا الاسم .
(4) جهاز غلى الماء ويطلق عليه فى المشرق السامور .
(5) مرشات تملأ بماء الورد والزهر للتطيب وهى فى الغالب من الفضة .
(6) مبخرة احراق العود .

عشق الطبل والكيسان

ولقوالب مثل الشبان

...

والزنبيل مثل البيران

ولمراش نحكي غزلان

بارزين افطبللا والعود افلمبخراواني

عبق التسم بالدخان

ويقول عن الحلويات والمأكولات ذاكرة البسطيلة (1) وكعب الغزال (2)

والغريبة والمحمرات والمحمضات والمقليات والمشرملات (3) ، من ضلعة (4)

ومروزية (5) وشواء وطواجين وكسكوس بالفراخ والحمص والبصل :

در بسطيللا فالغطران (6)

واطباصل (7) من كعب اغزال من شغل مخزاني (8)

واغريبا من شغل اليمان (9)

(1) ورقات رقيقة من العجين محشوة باللوز المطحون أو قطع الفراخ والبيض، تطلق وتجمع على شكل دائري .

(2) قطع من الحلوى محشوة باللوز على شكل الهلال .

(3) نوع من طبخ اللحوم يشترط فيه قبل طبخها أن تشرب بالتوابل وخاصة الفلفل الأحمر .

(4) لحم محمر في السمن والغالب أن يكون قطعة واحدة ومن لحم الصدر، ومن هنا كانت التسمية .

(5) ويطلق عليها «المعسل» وهي نوع من اللحم المعسل يوضع عليه اللوز والزبيب .

(6) ، (7) هي الصحن .

(8) نسبة إلى المخزن أي الحكومة والسلطان ، وهو وصف يقصد به الشيء المتقن الرفيع سواء في مأكلا أو ملبس أو غيره .

(9) تبدو هذه النسبة غريبة ولعله قصد أن أشكال هذا اللون من الحلوى في اختلافها ودقتها شبيهة بأشكال الوشي أو الرقيم اليماني المعروف

امحمرات اثلاثا فيبيان

امحمرات اثلاثا ومقليات اثلاثا ثاني

امشمرات ادجاجات اسمان

حمر الضلعا فالفران

لمرزيا لمقليا ياكل الشبعاني

واشبو امن لحم الخرقان

والطواجن مثل الوصفان

ولفرارج مثل الصبيان

فوك لكسكسو بالحمص والبصل رويا نى

والسمن مدوب تزمان

ومنها كذلك قصيدة «الزردة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، ويرى فى حربتها أن المضع فن وفراسة وأن الذى لا اضراس له يظل يلوك الاكل فى فمه قبل أن يبتلعه :

ولمضع اضراسا من لا ايليه ضرسات ❖ كيلوج فمضيفو عاد تيسرطو
وعنده فى دخولها أن الصديق الذى لا ينفعه بخبزتين لا يعول على
طجينه ومرقه ، ويكتفى بشد حزامه ، مقنعا بطنه بالشبع من طعام لـم
يطبخه بنفسه ، ناسيا اياه ليعود الى قوته الذى اعتاد ، ولكنه وجده غير
ذى طعم ولم يسغه فلفظه .

ولحيب الا ينفعنى ابزوح خبزات ❖ مانعول عن طجينو اولا مرقـتـو
الشدكرشى وانقنعها انقول شبعات ❖ امن الطعام ملاطيبتو اولا نصبـتـو
انظن كرشى عمرات اولا عتيق حدجات

وانسى من بالى قوتو اولا قبلتـو
كان لى قوتى وابدانى به نسقات ❖ ما نسيـتـو به امبالى اولا تركـتـو
امين دقتوصبتو مافيه شى النسقات ❖ ملفاه ارميتو من بعد ما مضـتـو
وفى عروبي من القصيدة يتحدث عن الوائم التى يذهب اليها فى
غاية الزينة حيث يجد كل ما يشتهي من موائد رصت فوقها الطواجين
وأصناف الاكل المشبع الشافى للأمراض :

كم من زردا امشيت فيها ليس اجلس
والقيت اللي ابغيت فيها عل لنعسات
وادخلت الدارها امقيب وزينت
قريت لصحونها اللي قبلت
واطواجنها امعمر جات وحضرت
فوق اميادي امبرجا زهوا للسدات
وما وجدت امن اطعام اصناف اعملت
يشفى ضر لبدان من هي زردات
واليوم ابطون منها شبعن واروات
وهي قصيدة تبدو مستوحاة ومقتبسة من قصيدة في «الوصاية»
للعلمي يقول في حربتها :
اللعب من غير اشطارا فوق روس حريات
هكذا مثلث ابتادم في اعشرتو

وفي اولها يقول :
حبيب الا ينفعني اف يوم حرات * ما لحمل عن قلبي غل امن اكلفنو
نساء وتترك حسو انحسبو مات * واعدو ياراسي زليت امن اعشرتو
ولعله واضح أن «زردة» ابن عمر ليست غير قلب لموضوع «وصاية»
العلمي . على أن قلب القصائد ومسختها يشكل نوعا خاصا من الشعبي النحوي
يرع فيه أشياخ مراكش ولاسيما الشيخ أحمر الراس ، وهو أن يأخذ
قصائد جديدة فيمسختها ويقلبها الى موضوع هزل ، وعن الامثلة على ذلك قوله في
الابيات التي أصلها (I) :

اللازهور ازهر وازهارو * بك الزهر الا ازهر
صولي صولي يا غزالي زهرا
فهو قلبها الى ما يأتي :
سكران ريت يامس يلفظ بشعارو * اسكر وطاح في دولت لبيكار
ما عاشق حتى اتكون العشرا

(I) من قصيدة : «زهرا» للتهامي المدغري .

ومن ذلك أنه أخذ «حراز البغدادى» :

مال حراز الدامى ما يتق بياهيها * غير حاضى لوقسات

بالدوام امجنينى اولاً يرومنى قطعياً

فقلبه الى الخراز :

مال حراز البالى ما يتم الكلبات * شاببات وعزبات

كل من جات يبطش بهـا * ويقضى لها اربح وخطيـا

وفيه يقول مستنكرا حال الزمان وما تقضى فيه من انحلال خلقى :

اوصل الزمان فاش ابغوا اميا ملعرج قتالا

ويلا اعيوا ايولوا ايقرجطو (I) ابلا جنوى

ولكن هذا النوع ضاع كذلك بسبب ما كان يشيع فيه من فحش وعبارات

نابية ، بعد أن ظل تداوله محصوراً فى نطاق خاص .

(I) ايقرجط أى يخنق . وهو هنا يشير الى واقعة كانت حدثت بمدينة
مراكش ، مجملها أن خرازاً يسمى الحاج الاعرج كان ورعاً متديناً ولكنه كان
يتصيد النساء الباشيات ويحتال عليهن حتى يأخذهن الى دكانه ، وكانت له
فيه مضمورة ، فيذبحن ويلقى فيها بمونهن . ولم يكن أحد يعرف كيف
يختفى هؤلاء النساء الى أن وقع ذات مرة أن طسر احدهن وأخذ قفطانها
وباعه فى السوق ، ولم يكن هذا القفطان ملك القتيلة وانما كانت قد استعارته
من احدى صواحبها ، وحين اختفت المرأة وانتظرت صاحبته القفطان فلم
يصل ، أخذت تبحث وتساءل ، وصدفة وجدته فى السوق فتمسكت به ،
وانتهى البحث والتحقيق الى أن الذى باعه هو الحاج الاعرج فحكم عليه بعد
أن اعترف بجرائمه ، وطوف فى المدينة قبل أن ينفذ فيه الاعدام ، وكان
يصيح أثناء تطويفه بأن الفساد كثر ، وأنه لم يكن يسعى لغير الإصلاح ،
وكان يقول بأنه لو أطلق سراحه لبضعة أيام لما بقيت باغيه واحدة فى مراكش

الزهد والحكمة

يتمثل جانب التجرد عند الرجال المغربي في شعري الزهد والحكمة ، يقصدهما الى الكشف عما ينفعل في نفسه من بزم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس ، والى وعظهم وارشادهم عما هم يحسنون هذا السلوك . وقصائده في ذلك تعرف بـ «الوصاية» و «التوبة» و «القلب» و «الطبايع» و «الموعظة» و «النفسية» وما اليها مما يوحي بروح التأمل والتنبية . ولا تكاد نجد قصيدة لايملاها الوعظ المباشر المقصود بعيدا عن حديث الشاعر عن نفسه وتأمله لحياته في حسرة على ما فات منها ومحاولة استخلاص العبرة له وللآخرين ، وكأنه نظر الى المجتمع فوجد الاوبئة تنتشر من مجون وانحلال ، والى الناس فألقاهم منشغلين بمفاتيح الدنيا عن الدين ، فتحركت عاطفته الاسلامية واحساسه بمسؤوليته الاجتماعية ، فتصدى يعبر عما ينفعل في نفسه وما يراه السبيل الى الاصلاح . وعلى الرغم من أن الوعظ غدا غرضا مستقلا قائم الذات ، فانه لم يتج القصد للشاعر أن يطيل النظر ويتعمق ويحلل في جدل فلسفي او اقناع منطقي ، وظل مجرد حكم وعظات تتسم بالبساطة والسداجة ، وان لم تخل من بعض التعليل وخاصة في ذم الدنيا والتزهيد في الحياة والنظر الى الموت ، ولكنه تعليل مصدره العقيدة في صورها البسيطة . وكان يمكن أن ينطلق الشاعر الشعبي في ذم الدنيا من تجربة صوفية تجعله يخلق بروحه في أجواء العشق النبوي - ولانقول العشق الالهي فهو لا يكاد يوجد كما سنرى (I) - لا يرجو غير الاتصال بحضرته عليه السلام ومشاهدة نوره لينعم بمتعة حبه الروحي بعيدا عن متع الدنيا وملذاتها ونزوات الجسم وأهوائه طالما أنهما غايتان ، ولكنه لم يفعل حتى في أضيق حدود هذا النطاق ليتأمل الكون ويدرك كنه أسرارها وما وراء حجبها أو لينظر اليه ولو مشدودا الى اطار الطبيعة لا يتعداه ، واكتفى في ذم الدنيا بنبيها والتزهيد في

(I) في آخر الفصل الرابع من باب «الموضوعات»

متاعها مادامت دار فناء زائلة ، ومادام الانسان مجرد غابر لها الى الدار الآخرة . وانطلاقا من هذه الفكرة المتأثرة بالدين ، رسم الشاعر الشعبي للحياة الدنيا صورة بشعة منفرة خسيصة لا يغتر بها الا مغفل مجنون لا يعتبر من الماضين ، وهى صورة نجدها فى القصائد «الجفريات» (I) التى يستوحى فيها الشاعر واقع الحياة والناس ليتنبأ بما سيقع من أحداث ؛ ونجدها كذلك فى القصائد التى صورت الوقائع ، وهى قصائد يغلب عليها الاستسلام لقضاء الله وقدره .

أما الموت فنظر اليه الشاعر الشعبي نتيجة حتمية للانسان والحياة، لا قدره على تجنبه والفرار منه ، وسبيلا للخلاص من متاعب الدنيا ، ووسيلة الانتقال الى العالم الآخر حيث نعيم الجنة الدائم والسعادة الحق، واعتبره مقياس التسوية بين البشر . جديرا بالتأمل وان لم يكن بالشئ الغريب ، فقد طالت ألفة الانسان له وهو ينظر فى التاريخ فيرى فناء الدول وموت الانبياء والعظماء، بل يرى الناس حوله يموتون وكذلك الطبيعة ، حقا انه يأتى بغتة ، ولكنه على ذلك سهل كالنوم .

وقد ظلت فكرة الموت ودم الدنيا سطحية عند الشاعر الشعبي لم يتعمقها ولم يفلسفها ولم يتأمل جزئياتها ودقائقها ليكشف عما يعتمل فى نفسه وكل انسان ، وعما يتطلع اليه دون أن يعرف كيف يصل اليه أو يدركه أو يعبر عنه .

يقول المخرأوى فى تنبيه الانسان الى أن الدنيا فانية وان الدوام لله وحده ، ودعوته الى أخذ العبرة من الفناء مادامت الصحة لاتدوم والشباب يخسون :

مادام الملك غير للدايم لمعين * وماسواه افلورا كلو فانى
خالق لشيآت كلها رب الكونين * نفنا واكداك بامرو نعم الغانى
الصحا ماتدوم والصغر تخوين * اسمع منى الصبح وافقه تبيانى
عبر من ذاتك فالزمان * واش لبـبـدان

(I) نسبة الى الجفر وهو جلد ماعز كان يستعمل فى الكتابة ويزعم الروافض أن جعفر الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث الى يوم القيامة .

ما زالت فالديسان * كيف كانت اكسيل
واعلم بان الرحمان * رب جمع لكوان
غانى مغنى منان * ليس ليلو لمثيل
واعلم بان البقا المن يحيى لعظام * من له الملك حق دايم بدوام

ويحاول أن يبينه العبرة من الغابرين على هذا النحو :

وين نوح فسلام

وين لفضيل سام

وين يدفت أحام

...

وين أيوب افلر صام

...

وين صالح وحام

...

وين داود لهمام

...

وين ابراهيم وين اسماعيل نجد * وين يسحاق وين يعقوب اولادو

وينو الياس وين دانيال اهل الجدة * وين ذا النون اسرور قلبو واعبادو

وين ادريس زال به اغيار النكد * أذ القرنين من ابلغ فى تجهادو

وين موسى المعهود

...

وين شعيب أهود

...

وين النمرود أصولنو

...

وين جالوت ادنيتو

...

وين فرعون الامتو

...

وهو يرى ان الدنيا ليست غير دار مزاج وشقاء وبكاء، من تبعها ذهل عقله

وغدا فى تعب دائم :

الدنيا ما تصلح غير دار لمزاج

. . .

دار التعب الكلاج

. . .

وليكأ والنواح

واتبعها عقلو جاح

عمرو ما يريح

مثل الدنيا عنده كمثل نزل يحط به المسافر أو قنطرة تعبى نهرا أو
سوق تعمى بأموال التجار ، فواحد يربح وآخر يخسر ، من ضحكته له بشعرها
لا يلبث أن ييكى شاكيا من الفقر والغدر :

الدنيا كيف شى انزلا بين امصار ۞ والاقنطرا اتدوز عن شى نهير
والاسوق عامر ايمال التجار ۞ واحد فاسلعتو اربح والثانى اخسر
لاتمن ضحكها ايلا ضحكته بشعار ۞ من ضحكته لوايكأ من اشكاها بلغفر
غدارا ما تدوم منى خذ لخبر

وهى عنده حسناء فاتنة ، يحبها كل من يراها وتحلو فى قلبه ، ولكن الذى
يفوز بها ويدوق عسلها لا يلبث أن يسقى منها المر :

هذا الدنيا احكيها الا طفلا ۞ حاطت بيها اشمایل الزين المكمول
من راها دون ريب فى قلبو تحلا ۞ مهما يطمع فى ازمان كل اوصول
من واغاتو اودار منها شى خصلا ۞ بعدن يسطب اعسلها تسقيه اذبول
وعنده أن الدنيا لا يامنها الا مجنون أغوته بالكذب ، وان شرايها الحلو
يعود مرارة وغصة ، وأنها سرعان ما تسترد ما تمنح :

الدنيا ما تدوم يا صاحى هيهات ۞ من يامنها اهبيل اسلبتو بعد اعطاتو
لوتسقيه لمصال ترجع بالغصات ۞ أما من امر سلبتو بعد اعطاتو
والدنيا عند التجار دار شقاء ونكد وغرور :

دار الشقا ودار النكد ودار لغرور

أويح امن اغواتو امال ۞ عقلو امع الطمع والمال
ولا اتفيد فيه اعمال ۞ الزاهدين دركوا فيها نهج لفلاح

بلسان الذكر والصوم • واصيلات النبي المعصوم
وعند ابن علي • «الوصاية» ان الفجار يرونها جنة وأن الصرفية يرونها
جحيم المؤمنين ، فما أسعد من تركها وتخلي عنها :

جنا الكل فاجر واجحيم المؤمنين شافتها الصوفيا
ياسعدت من سلم في اهواها وخلاء

وعند ابن سليمان في «الثوبة» أن البقاء فيها لله :

ما فيها من يبقى • غير نعم الباقي

يا غفيل مالك شاقى • لين تاتزيد احماقي

وعند العباسي الحرار في «وصايت» انها دار الغرور مليئة بالآفات، سلوانها

أحزان وسرورها غصات وضحكها بكاء وصدقها كذب :

امن اكثر دار لغرور بالآفات • تركوا الفانيا منها لغدر مورت

سلوانها أحزان واسرورها غصات • اضحكها ابكاواصدقها افشروابھوت

سبحان امن اخلقنا واهرنا بالموت

ومثل هذا يقول غلال العلوي في «العراس» :

• • •

عمرها ما عطأت العاهد الحد اولا خشبات عار

ذئبت لغرور ولقرار

• • •

ياماضحك عن ابنادم

• • •

وبعدھا اتغبرر

• • •

ايلا تضحك غير مررا تكند مرات ابلكدار

• • •

وتقول أواه كيف صار

• • •

ما ظنني في ازمان يقدر من شاقو عاد ناكرو

ومادامت الدنيا كذلك ومادام الفناء محتوما :لا داعي للتفكير في الموت

فهو سهل كالدرم ، ذلك ما يراه ابن حماد ويدعو نفسه اليه :

أرأسى يامشوم كيف ايجيك النوم * من هم الموت ما تخم يالعمما
ما تعرف كان ترحل الليلا واليوم * تحمل واتشوف للطريق اتعاما
أما ابن سليمان فلا يريد فى «الطبيب» أن يموت ، ونحس عنده رهبة
من الموت لانكاد تجدها عند غيره لعل مردها الى شبابه (I) :

الطبيب يعرف دايا والدوا سومو غالى

عالجونى ياناسى لا نموت موت الغفلا

وكما أحس الشعاع الشعبى الضيق بالدنيا فكذلك أحسه بالناس ،
وهكذا يرى العلمى فى روح من التشاؤم ، أن كل أبناء جيله مطبوعون
بطابع واحد ، فشافهم النفاق والتحايل والمصانعة والخداع ، وهى كلها
علامات الخراب :

هاذوا شروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

بالحيلة ولمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

مذهبهم ندرية خممت اولاد جيلنا ثاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الرياء ولم يعد وجود للاحسان والصدق والحياء والعرض

والحسب :

شاع الريا واحسان اغبر والصدق غاب

وارتفع لحياء والعرض والحسب

وغدت الصعبة وسيلة للاغراض ، فالذى يخالط أحدا يريد أن

يشمت فيه ، يغدر به بمجرد أن تناح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصعبا اسباب

الى اتخالطو يبغى يشمت فيك

غير تركزن لو يغدر فيك

مايخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

ومن أجل هذا فهو يدعو الى معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلطف ويصانع ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايف فالرخفا والشدا ابخاوتو يستعان

(I) أصيب ابن سليمان بداء القلب ومات وهو دون الثلاثين .

والغنى عندهم عزيز في كل مكان ، لو ظلم وقف الناس يحمونه
ويخوضون في سبيله الحروب ، يتزاحمون لتقبيل يده ، ولكن ليس حبا فيه
وانما في أمواله ، واذا ما انتقم انفض عنه الناس حتى الاقرباء منهم إليه :

مول الدنيا عزيز اقلقرا وبلدون * وامثل ذلك ارفعوا بجانبو اهل البيد
لو يظلم يوجد من يكون فحماءعون * وعليه القوم ايصارعرا الحرب الشديدا
ما بهم فيه امحببتو ابحسن الظنون * واين كان يتزاحموا اعلى بوس اليد
ويلا انتقموا احماق به فقرا ايون * واقريب فالنسبا ايعود منو ابعيد

فالغنى تخضع له الهامات وتعتبر سياته حسنات ، أما الفقير فيبغضه
الناس بلا سياات ، سواء عندهم موته وحياته ، اذا سكنت قلوبوا عنسه
انه ختال واذا نطق استعاذوا من صوته :

مول الدنيا يخضعوا له الهامات

سيااتو عند هل الخدع حسنات

وقليل المال ايبغضوه ابلا سياات * اسدوا عيشوا اسدوا موتوا
ايلايسكت يصير ختال وبهات * ويلا يلوى القوم تسعاض من صو و
وفي نفس الروح وميل الى القوة يرى العلمى في قصيدته في «المولى
عبد الرحمان» أن الاعمى لا يبصر جمال الضوء ، وان الاصم لا يصفى لرائع
الانكار ، وأن الحق ليس له صديق يذكر في هذا الزمان ، غير السيف وصلت
في وجه الطغاة والبلغاة الجائرين :

ما يميز حسن الضو انواجل العصور

ولا ايهز الصمك طيب الغا افكـارو

الحق ماله اصديق اذا الزمان يذكر

دون صدر السيف الااشتت اضمائر

من اظنى وابغى واتنوى وخالف اوجار

ابراهن الهند ابخران لعدا اتبادر

وهو يرى ان قلب الجاهل البليد لاينبهه غير الحسام ، أما غير ذلك

فمستحيل كما يستحيل أن يسك الذهب من القصدير ، أو يزول طعم المرارة

من الحنظل أو يغزل خيط الحرير من الدوم ، أو يحارب بشوكة السم — سار ،
أو أن يعصر الزيت من الرمل ، أو يتخذ العسل من اعشاش الزنابير :

ما يلين قلوب الطامس تذكير

لحسام أيودب ويعلم التماسا

ما ينفزع سك لبريز من القزدير

أولا تزول من الحنظل طيبب لمرارا

أولا ينغزل من عرق الدوم خيط لحرير

أولا تكون الحرب من شوكت السمارة

كان محال امن الرملا الزيت يعصار

أولا تكون لعسل امن اعشاش الزنابير

وعنده أنه يستحق المكروه كل من لم يؤد زكاته وبغى بالفساد ، وإن

الصبيان يذهبون ضحية الكبار والنساء ضحية الرجال :

يستهل من لايسخا بزكا ولعشار

واستهل من يبغ لفساد واضرورا

راح ذنب الصبيان اعلى اوقاب لكبار

وراح ذنب النسوان اقدمت الذكورورا

والسبب أن الدنيا بهرت الناس وأعتهم عن الحق والصواب ، وأنهما

بدأت تغرى حتى ذوى البصيرة :

بهجت الدنيا تركت كل واحد مسحور

عاد حسن ابهاها يسبى هل لبصيرا

ويرى أنه لا لذة في حلاوة تخالطها المرارة ، ولافضل في مدح يعقبه

الندم :

لاصلح فاللذا بعدن احلات تحرار

ولا افضل فالمدح المعكوب ابلمعاير

وعنده في «الدار» — وقد بدا عليه الاعتدال في الرأي — أن الحياة لا تخلو

من الخلاوة والحرارة :

يوم تشاؤم أو يوم اخلو «يوم زقوم» : أو يوم مستعجل بين الطيب والزهامة
وبمثل هذا المنطق يعبر في «طامو» :

معلوم كيف مادامت رخفا ما تدوم شدا

هذا مواجب احكام اصروف الدهر

يوم احلا من طعم التمر

ويوم كمثل الخنظل مر

ويصل هذا الاعتدال عند غير العلمى الى حد الدعوة لعدم التأفف من

الزمان بالخير والشر دائما موجودان ، وليس من داع للبكاء طالما ان كتاب

الله محفوظ في الصدور ، وطالما أن رحمة الله تمحو أوزار المذنبين :

يقول الشاد :

لا تقولوا شي يا حسرا اعلى الزمان : الخير والشر افكل ازمان كائنين

ما حد اكتاب الله فالصدور : لاه نكيوا اعلاه

ما اطعن باس من رحمت الله : واحبيننا الشافع رسول الله

فاش جا ذنب المخلوقين : عند واسع المغفران

وبهذه النزعة يدعو الى ضرورة المعاشة والمعاشرة ، مادام الناس اخوة

يعيش بعضهم لبعض ، ويخدم بعضهم بعضا حتى يكموا كالبنيان المرصوص :

خورك عبدك وانت ديماء خورك مملوك : لا تأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيا له كتعيش : لا تكونوشى طوب افسى ابني اهشيش

عيشوا بالله والنبي ولقرآن امع لحديث

وفيم السعى الى غير ذلك وقد جعل الله الناس طباعا مختلفة كما يقول

محمد بن السمر :

سبحان الله بالطبايع والناس : ما بقى من لاهاج اشرامو

والناس احوال كل واحد فى حالت حالو

وشبيهه بتشاقم العلمى تشاقم النجار الذى مل الحياة ومحنها ولم يعد

يرجو غير الموت فهو طوال حياته يعانى من الحزن :

مل قلبى من دنيا كلها امحان : اولاً بقى يترجى الايموت هانسى

امن اصبايا لشبابي واسق لحزن * ومن اشبابي لازلت اليعلى انعامي
وهو قد خبر الناس فلم يجد فيهم غير الذئاب والشعالب الخسيسه
متنكرة لى صورة خرفان واحمال ، كل منهم يكيد للاخر ، يبعدهم عن الادعية
بعد ما بين السماء والارض :

غير الذيب الخاه وتعالب الخسدان * فى ابطاين لغنم هذا الذاك جانسى
بين لادمى واقوام هذا الزمان * قد ما بين الارض امع اسمها الفانى
ويحس الغربه فى مثل هذا الجو ويتساءل هل هو من هؤلاء الاقوام
أم أن وقته فات أو لم يحن بعد :

وش انا من هذا القوم بالعرفان * اوباقى وقتى ولا امضى الزمانسى
وقريب من هذا الروح التشاؤمى نجد عند تلال العلوى فى قصيده
«المجد» حيث يرى أن «المجد» - ولعله يقصد به الخير - لا وجود له ولا أثر ،
سأل عنه فى السهول والجبال فقبل له غاب اسمه وخياله ، وسأل عنه
العلماء والعارفين فى كل الملل فأكدوا له غيبته وأنهم يبحثون كذلك عنه ،
وسأل عنه الذين فتشوا عنه فى كل مكان وقصدوا من أجله الاولياء فقالوا
انه غاب حين صادف العراقلى ، وسأل عنه رجال الفن والذوق ، فأجابوه بأنه
غاب حين كثر الكذب والبهتان ، وسأل عنه التجار وأصحاب الاموال فقالوا له
لقد ذهب بعد أن فشا البخل ، وسأل عنه أرباب الصناعات فى مدينة فاس
القديمة فأكدوا له أنه لن يعثر له على أثر :

اسألت اعلى الشريف لاسم ما بين اوطا مع لجبالى
قالوا لى غاب له الاسم وكذلك اخيالى

واسألت اعليه ناس لهوا واهل التنبيه افلملالى
قالوا لى غاب حقا وكذلك اعليه انسالوا

وسألت اعليه امن التجول واقصد اعليه كل والى
قالوا لى غاب بعد وصلو صادف عرفالوا

واسألت اعليه ممن اتقنوا والى بدعو الفن دالى
قالوا لى غاب حين كثر البهوت بسجالوا

واسألت عليه أفلتاجر والتهابا وهل المألى

قالوا لى غاب لاسول لردال ابخالو

واسألت عليه فالصنائع وابحثت افاسنا البالى

قالوا لى غاب ليس توجد منهم قلالو

ومن خلال هذه النظرة للحياة والناس يحاول المشاعر الشعبى أن يكون ابتهاجيا فيقدم بعض النصائح التى يمكن أن تجنب الوقوع فى مخالف الدنيا ومهاوى الزلات . من هذه النصائح عدم مطاوعة النفس والهوى والشيطان اهم أعداء ، يقول ابن على فى «الوصاية» :

والنفس ولهوا والشيطان اعدا لاتطاولهم قطعا

واش من عاقل يامن يافهم فعده

ويقول الشساوى :

لعن الشيطان * بالغافل كما لعنوا الله مولانا * مهما ايدور بك اخزه ولعنه

ويقول عبد الوارث فى «الفياشية» :

خالف نفسك واقطع * كل علاقا عنك

واشتها (I) لاتتبع * واسقطها من ذهنك

واعروق احوالك اقلع * ائت نفسك منك

ومنها لتقشف فى اللباس وعدم الزهو به ، يقول ابن احسانى ينهى

عن لبس الحرير وما يبهى الابصار اسوة بالرسول الذى نزع «الفروج»

لاتملك افروج من احريير وقهر لعيان * واعظم بين ايمان الانبيا نعم العدنانى

نزع نزع البغض بعد جاء اهديا فالحين

ويقول كذلك :

لاتتبعتر فكساك وانفايش واتانى

ولكنه لا يريد أن يتمسك ويكون ذليلا ، فالمسكنة والدنة لليهود فى

كل وقت وحين :

لاتتمسكن فالحيات ما فالدين اتمسكين * والمسكنا لليهود افسايرلزمانى

ومنها الدعوة الى عبادة الله واقامة الصلوات ، فعبد الله بن احسانى

(I) أصلها أى شيء تهواه .

ينبه الى وجوب أدائها مع المحافظة على الصلاة الوسطى ، وهى العصر عني
المشهور :

قم الصلا حين وقتها لاتنفس مديان ❖ والعصر عندك ايفوتك وقتوسانى
حافظ عن جمع الصلا وهاد الوسطى تمكين

ويحث المغيراوى على عبادة الله :

اعبد مولاك رب وحدانى ذا العرش ❖ اعبد مولاك لاغنى ذيك يمحيه
ويرشد الشاوى الى صلاة الفجر وضرورة الغنائمها ، فهى ربح وفوز
بالغنائم والطاعة :

يالنايم فق امن النوم راقب لفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعة

ويلح كذلك على الصلوات الاخرى :

ابغيتك اصلات الظهر تلتقائك سابق للجوامع

لا اتفرط فيها واجعل اغناك تقوى واقناعا

ابغيتك اصلات العصر لا تفوتك اوبها دافع

اهويل الفاكا والمغرب صونها دون اضياعا

ولعشا ودهما فى اوقتها بتضارع

والشفع الوتر زد لعضاك راحا وارياعا

ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش :

اتلها فالدين كن رجل ثبت اقدامك ❖ صلى بالخشوع امع الناس اوقاتك

وتجد فى بعض نصائح السلوك الصوفية ، كما عند مولاى محمد الزبادى

المنالى ، حثا على المحافظة على الصلوات وملازمة الزاوية وتلاوة الاحزاب

والآزاد :

لوقات احفظها والزوايا اتلازم ❖ ابلحزب ولوراد امرتين ببيان

يافقير اصنعتك هى الذكر دايم ❖ والصلا والسلام اعلى النبى العدنان

أو كما عند محمد بن رموية فى داليته اذ يقول :

خذ طريقنا معهودا واشيوخها موجودا

ولسرار منها تبدا للعجب السعود

. . .

انجرد عن الحبس وعن الحب للمجنس
واقصد حضرت القدس لبي باسم المقصود
يا طالب الالهام امن اصدور لسلام
افتنا طول الدوام في اشرايع اهل الجود
بالسهر والصيام والعزلا والقيام
والتصديق ابدا القوم انت بهم اتسود
وعند المدني التركماني أن الزهر في قراءة الكتب وأداء الصلوات
والمحافظة على وقت الفجر وفي الصوم والحج والجهاد :
الزهر افلكتوب أوقات * واصلات المختار في وقتو والصوم
والحج الجهاد فالنصارى يوم المعلوم
ومن النصائح الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول ابن احساين
في «اللقمانية» يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في شدة لاتلين
وفي أى مكان وزمان :
وامر بالمعروف فين ما كنت لاتليان
وانهى عل المناكر لقباح افكل ازمانسى
ومنها الحث على التوكل : يقول المغراوي :
اعمل تكلك فالله * لاتترجى سواء
ويقول بوخريص في «المدونة» :
دير تكلك ياقانط افلغنى السلطان * اتوجدو وقت ما تدعيه سامع احنين
ويقول ابن علي في «الوصاية» :
اياك لفلاحا والرزق الضامنو ايجييو لك اوليا تولو كيفيدير فدنيتو ورساه
ويقول علال العلوى :
أنا تكلى فالله يوقينى * لقديم الدائم من لاينام ولاترام اعيسان
جيد جواد الا ايحافينى * المالك لكريم الغانى من لاتنطرد من بابوسعيان
وتتضح الدعوة الى التوكل وترك التدبير عند عبد الوارث في «الفياشية»
حيث يقول :

لنقنط من رزقي لاش * والخالق يرزقني
 أنا مالي فياش * واش اعليا مني
 ...
 مني آش اعليا * ونا عابد مملوك
 والأشيا مقضيا * ما في التحقيق اشكوك
 ربي ينظر لييا * ونا نظري متسوك

 والارزاق اعلى الله * ناكل من رزق الله
 يا قلبي لاتهتم * واصرف هم الباطن
 المقدور لو محتم * كيف اتري واتعين
 سلم تسلم واعلم * أن المقضى كاين
 خذ الرفق ادليك * واترك عنك التدبير
 واستقنع بقلبك * ياتك الله بكثير
 ذا التعب الكل اعلاش * وقل الشئ يغنى

 قالوا لي وقتك ضايق * والنفقا ما تكسب
 قلت ارزاق الرزاق * من ذا يقوى يحسب
 قالوا امشي للاسواق * واتمول واسيب
 قلت افراخ لعشاش * خالقهم يرزقني

ومنها طاعة الله والرسول والوالدين ، يقول الحسن :

بادر بطاعة الله اوقوى زادك

طع الله اوطع النبي وخدم والديك * تطفر بالنجاح ويتنور حالك

ومنها اختيار الرفيق الذي يطيع الله ، يقول ابن علي :

واختر من اترافق شف اللى طاع خالقو جعلو ولفيا

اعسى ايجليك واتولى للوحيد وحده

ويقول غانم الفاسي في «التوبة» يدعو الى العزلة وعدم اتخاذ الرفقاء

اذ لم يعودوا صالحين :

أقربى ما بقى امع من اتصصادق * ويكون البيب محتفل وعشير صادق
عش هاني وحدي وكل فاجر انفيه * وكل من حب اولاد اليوم زائد اشقاء
عش وحدي خلي ليل البلاء ابلاههم * كان ملني مل الطه ارفع لمقام
كل من دارك درزو هون به وانكيه * بعد ما يعمر سرفو لاغنا امن احلاء

ومنها صون اللسان ولفرج ، يقول ابن علي :

وحظي السانك وفرجك واعرف من انشاك تاظفر فيك ووفيا

ويقول الحسن :

لا تشتم مخلوق ادب السانك لا يدرك

تعبان . لسان ايلومك في امهالك

ومنها غض الابصار عن المحرمات كما عند ابن علي في «الوصاية» :

غض لبصر اعلی المحرم وافشونت المحرم كل اخطيا

اقليل من شاف وضربو الشيطان ولا اخطاه

واتسع نطاق التوصية عند الشاعر الشعبي حتى غدا ارشادا الى

ما قد يعود على الانسان بالخير في دنياه او الى ما يمكن أن يعتبر اذبحه

ومعاملة . ونصيحة العلمی أن يتحلى المرء بخمس خصال ويتجنب خمساً

أخرى اذا أراد ان يكون سعيدا ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسالمة وترك

الملام ولقاعة وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الضيق والطمع :

من حفظ خمساً دالحسنات حفظ محكام

وفيه رسمخوا كرسخ لوشم افامعاهم

الصمت والعزلة والهدوء وترك الملام

ولقناعا من كسبهم امن ابادم

يعتدل ميمونو والسعد له يستقام

يرتفع بعد الخفض الهمم الضراغم

ومن اترك خمساً دالسميات ترك عزام

من اجملت المحروم الى اعليه حازم

لحسد والكبر والجفاء وضيق لشيام

والطمع بيت الدل انماصب لحشاميسم

كل سبيا من ذا السميات ضرر سمام

فاق سم الحيات الرقط السوداء

ومن النصائح التي تكاد نجد لها عند كل الشعراء : صلة الرحم ، يقول

ابن احساين يوصي بصلة الرحم ولو بعبور البحار والوديان :

واصل رحمك وبين كان شكك لو ابحور اويدان

ويقول ابن علي :

واصل الرحيم ولا تقطع صلته انقرب اولا بعديا

وصلو لا تقطعو اولا يصلك اخطاه

ومنها المحافظة على حسن الجوار ، يقول ابن احساين يوصي بالمحافظة على

مال الجار وعرضه واعانته ، مشيرا الى أن الرسول ظن أنه سيورث من كثرة

ما أوصى جبريل عنه :

أما وصي اعلى الجار جبريل افكل اوان

حتى ظن الزمزمي عل الجار فمكائسي

يورث ورث الدم لون ما أتاه التبيين

مال الجار احضيه كن مالك صونو تنصان

واعلى عرضو كيراقب لجليل الغائسي

واختصار القول كل جار الجيرانو عين

ومنها الصديق والوفاء ، يقول ابن علي :

الصديق ولرفا فالكلمة ولعاهد ولقبول من الوهبيا

من اقبل عنو رب الكائنات هنــــــــــــــــاه

ويقول الحاج ادريس لحنش :

شد احزام الصديق ولوفا اعرف مايعنيك

ومنها لتخلي عن البخل والاسراف ، يقول ابن احساين :

لا بخل لا سرف كيرضى رب العالمين

ويقول ابن علي :

الرفق افلمعيشا قالوا افضل من التجارا بالف ميا

ومنها تمجيد الكرم ، يقول الشاوى فى «الجواد وليخال» :
يا مولى عمر نعم لجواد لفضــــــــال وليخال اعطهم لخلا اوتهم لخلا
ومنها الحث على التواضع ، يقول لحنش :
لا ترفع هما اعلى لعباد اذا رفعوا بك بوس لقدم لاتحسب اكبر شأنك
اياك العجب يخطر لك ببالك
اذا عظمت نفسك كل لها مالك
اذكر لها الموت تنهزم الذات وتهنيك
وابقى اتحول فاللى فاتوا قدامك
ومنها عدم الفخر بالآباء ، يقول بوخريص :
لا نقول أنا بويانا كان سيد لكران شف ماتغرس من بعدو انت ابتحسين
ومنها الحث على الصمت ، يقول العلمى :
الصمت كيقولو لعرب حكما مجدوه اشعار القدماء
اسكات عام احسن من كلما ابغير ندما
ويقول لحنش :
واتعود بالصمت فيه سر اكثير ايقويك
واتصّب غايت الراحا من شيطانك
ومنها تجنب الغدر والشبهة والتجسس والغيبة والنميمة والمزاح واللهو ،
يقول ابن على :
اياك لقدر والشبهها وامواقف لشيئات الى سويها
خوك فالناس الى وتاك كن لوخــــــــاه
نوصيك لاتجس لاتغتب لاتنسم لاتجهل ازليا
واعظ الخلق افوجهو لاتسبو فقفساه
ويقول الحاج ادريس لحنش :
واترك قيل اوقال ولمزاح اوشين يلهيك
خوفى اعليك تمضى فاللهو ازمانك
لاتدخل ما بين زوج بالشر احرام اعليك
واتشتت لحياب ابتزويق اكلامك

ومنها فعل الخير دون انتظار الجزاء ، يقول ابن احساين :

اهل الخير اولاتعابو يرجع لك تاني

ومنها عدم الرد على الشر بالشر ، يقول ابن احساين داعياً الى عدم الرد

على الشرير معللاً بأنه يكفيه جزاء أنه خفف معاصي المظلوم :

من غتبتك بكفبك فيه خفف عنك عصيان

ومنها الصبر على المحن ، يقول ابن احساين :

اصبر ياراسي اولا تكون عل لحال احزين

ويقول ابن علي في سرابته .

أقلبي كن عن امصابك صبار * الصبر مفتاح الكنوز والخير

ومنها معايشة اهل العلم والدين ، يقول ابن احساين :

واهدى وتهدا وعاشر اهل الدين وليقين

ويقول لحنش

واصحب ناس الدين لاتخالط من لا يوريك

ومنها الرفق بالصبيان والايام وتوقير الشيوخ واغاثة المحتاجين ، يقول

ابن احساين :

وارفق بالصبيان وليتيم رحمو بالي كان

والشايب نوصيك وقرو ولو نصراني

ثم الى استغاث بك كن ايلي الصعب اخوين

وكانت «الفتوحات» فرجة أخرى ليهجر الشعاع الشعبي عن نظراته

المتشائمة للأهوان الذي يراه يتنكر للمستحقين ويصفو للسفلة ، وهي قمة السد

يتأهل فيها احوال المجتمع والناس ويذكر العيوب والمناكر المنتشرة ، دعمت

في الغالب على الرمز والتلميح والاشارة والتشبيه والمقارنة . ومن خلال تأمله

يتنبأ بما ستفضي اليه هذه الاحوال من ظروف ووقائع وأحداث

ويذكر الاشياخ للفقهاء العميري لامية جفرية يحفظون منها قوله :

ذاك الولد المهبول * اصلو من اناضول

الفرخ يشبه احوالو

وهو قول وجسه الناس مطابقا لوضع المولى عبد العزيز (I) بعد أن هزمه
أخوه المولى عبد الحفيظ (2) ، إذ أن أمه تركية ، مع أن الشاعركان كان يعيش في
عبد المولى عبد الرحمان (3) . ومثل هذا قبيل عن زازية الموقت التي أولها :

أسايلنن افيدك بكافر باريكن
استفد أكن غايق واتبع الفرزا
واعتبر ما ذكره فيها عن هزيمة فرنسا تنبؤا بما تعرضت له أئمة
الحرب العالمية الثانية مع أنه كان يعيش في أواخر القرن الماضي . وللموقت
الروبي جغري يستغرب فيه المصيف غدا شتاء والربيع خريفا ، وقد تكلسم
الطنبور - كذاية عن نطق الجماد أو جملة الفارغين - وهذا الناس في ضيق ،
وانتشر الخلاء والدخان ، وقشمت المخدرات ، وكثر النهب والخطف - ولم تعد
الدرهم غير رغبة في اليد لا قيمة لها ، وانعدمت البركة ، وأجدبت الارض
فلا تستج لي صيف او شتاء ، وتمكن الجرحى من القلوب ، وهبت ريح الكساد
عاصفة على لاسواق ؛ وهو زمان ليست للوالى فيه سطوة ، وإنما هو الدهر
يتصرف في العباد كيف يشاء ، تارة يقبل ويرضى والخرى يمسخط ويعاف ،
وليس يو جد وزير يقبل شكوى المظلوم ليبلغها دون خيانة أو مقابل . وليس
غريبا ان يرى كل هذا بعد أن غدا الدين رخوا ولايمان ضعيفا في نفوس
الغاربة ، وبعد ان علا شأن اليهود (4) وأصبحت لهم سطوة ، وأذلوا المسلمين ،

(1) تولى من سنة 1311 الى 1325 هـ . (2) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ .

(3) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ .

(4) تجدر الإشارة الى أن موضوع اليهود اثار غير قليل من شعراء
«الجفريات» لاسيما في هذه الفترة . ولا يبدو ذلك غريبا فحقائق التاريخ
تفيد أن الجمعية اليهودية في بريطانيا كانت قد أرسلت سنة 1280 هـ
أحد اعضائها اسمه روشايل تطالب حكومة المغرب بمنح حقوق وامتيازات
اليهود ، وأن بريطانيا ساندت هذه المطالبة بواسطة سفيرها في المغرب ونشر
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيرا أعلن فيه رأى الشرع ومسا
يوجب لليهود من حفظ الذمة وعدم الظلم ، فاتخذ اليهود هذا الظهير ذريعة
للتجبر والظلم مما اضطر السلطان الى نشر ظهير آخر يبين فيه القصد
من «ظهير الحقوق» ، ذهب فيه الى أن الايضاء إنما هو في حق اهل المروءة
والمساكين منهم المستغلين بما يعنهم وإنما صغاليكهم المعروفون بالفجور
والتطاؤل على الناس والخوض فيما لا يعنى فيعاملون بما يستحقون من الادب
(انظر الاستقصاء للناصري ج 5 ص 113 ط دار الكتاب سنة 1956) ولكن
اليهود استمروا في سلوكهم محتمين بالدول الاجنبية ومقارنتها وتقصلياتها
في المغرب .

وغدا المغرب ينتخب في مشاهات العمى والغواية :

سبحان الله صيغنا ولي شتورا * وارجع فصل الربيع فالبدان اخريف
ملى فالغرب عندنا طنبور ادوا * والناس افضيق حال ملغلا والصيف
ثم اتشنا الكيف وكثرت النشوا * وافشنا فينا النهيب واليهيف ولخطف
وادراهمنا اضحات فيدينا رغوا * لابركا ابقات لاشتوا لاصييف
والحرص اعلى اقلوبنا لنالقسوا * وادفع ريح لكساد على لسواق اعصيف
نزمان ما تشوف للولى سطوا * والدهر بين لعباد كي قبل واييف
ولا تلقى اوزير كي قبل شكوا * ويبلغ مايخون ماي رضى تكليف
قلت اوعدى اضحات فالدين الرخوا * ولى ليمان عندنا فالغرب اضعيف
ليهود قصدت لعلو دركوا سطرنا * واقبلنا دلهم عاد الغرب اكيف

وقريب من هذا قصيدة الشيخ محمد بن عمر في «الهرج ولفتان» ،
يقول في حريتها مؤكدا ان الهرج والفتنة - كما اخبر الرسول عليه
السلام - مسجلان على هذا الزمان حيث يكثر الجور والفوضى والاهوال :

الهرج ولفتان به اخبر طه ايماننا * حدثنا عن ازماننا
ايـجـور الزمان * يقوا هول اتفرتنو
وفيها يذهب الى ان الناس فتنوا بالدنيا وشغلوا بهومها ففقدوا كالدواب
لا يحسون محنها ، فقد انقلب الزمان ، ولم تعد للعيش متعة او هناء ، وعمت
الفوضى ، وكثرت الفتن واتعدمت الاستقامة ، واقتقد العاقل الذي يرشد
الناس للخير وينبهم للشر :

يا اخ الولهـان * بهوم الدنيا الفاتنا
من شطنت لنا اقلوبنا * عشنا كالحيوان
لا من غاق ابتمحانو
وانقلب الزمان * لا لذا فالعيش لا هنا
والدنيا راها امقدنا * من كثرت لفتان
لا من غادى فيمينو
لا عاقل يقظان * ينهنا عن سو افعالنا
وينبهنا ويفيدنا * ولفساد ايمان
واعوان الوقت اتعينو

ولسببى لحيى وعلى قصيدة يتنبا فيها باحتلال فرنسا للفرج.
وفيها يصف حال الزمان كما أخبرته به الاجفار ، فقد كتبت فى الواحها أنه
فى السنة الحادية عشرة ستكثر عيون المياه ويتفرعن الضفادع فى الوديان.
وتتقوى الذئب ، وتضعف السباع ، وتصلو البومة على النسور ، وتنزل
مكانة ذوى الهمة والشان ، وتعلو مكانة السفلة ، ويصبح الفجار فى قرار
مكنين ، ويغدو الوجهاء والشرفاء كالحيوان ، ويظير القول الحق تخبر به
الاجفار معلنا دخول الفرنسيين : (ل ف ر ن ص س)

بعد الصلا على الرسول انوضح ببيان
شرط الساعا نوصف حال الزمان
بها لاجفار خبروا باقى السنين

نظروا فالسواح باحوا بالكتمان
فى عام احداث غشوض العيسين
ويتفرعن اجران فى اجميع الوديان
اتقوى الذئب والسبع ارجع مسكين

حتى موكا اتصلو على اجميع اليزان
واعل الرفعا تخمد ويعلو من شين
ناس الرفعا تعود خافضا بعد الشان
تضحى قوم لفجور فى اقرار التكين

واهل الجاه يضحوا مثل الحيوان
يا اسفا الحق يبقى باين ابسان

خبروا به لاجفار لام وفا ورا ونون وصاد وسين
وهو يرى - من خلال الجفر بالطبع - انه فى السنة الثامنة والعشرين
ستخرج الجيوش ، وتكثر الاهوال والمحن والفتن ، ويضيق العيش على
الفقراء والمساكين ، ويتولى الحكم قوم طغاة ، وتقسو القلوب بعد المين ،
ويبسم لظ للاغنياء ، ويكثر البنيان ؛ ويرى أنه ستشتمد الازمة فى العام
الرابع والثلاثين ، وتدمع العيون فى السنة السادسة والخمسين حيث
سيموت الناس خلال شهرى شعبان ورمضان ، ولكن لن تلبث البشرية أن

تظهر في العام التاسع والستين لتهب ريح النصر على العام الرابع والسبعين :
تخرج لحررك (I) في عام اثنى عشر وعشرين

تكثر لهوال ولمحان امع لفشيان
ويضيق العيش على لفقير المسكين * ويتولوا الحكم القوم الطغيان
ترجع لقلوب قاصدا من بعد اللين * ايخرجوا هل المال ويكثر البنيان
وما يقع عام اربعا وثلاثين * بعد شد اتدور واتعم البليدان
تدمع العين عام ست او خمسين * واتموت الناس بين شعبان ورمضان
يظهر بشار عام تسعا وستين * فيه لبشر ايبان ما بقى تمحان
ريح النصر في عام اربعا وسبعين (2) * خبر الاجفار فيه يرتاد الولهان

ومن «الجذريات» قصيدة «لطف الله القفاقي» للحاج أحمد القرابلي
وفيهما يعزو الى ضعف الايمان فساد الزمان وتولى الطغاة بالقهر والجور :
لولا ضعف الايمان * ما يضعاف الزمان
ويولوا الطغيان * بالقهر جايرين
لقد شاعت المحرمات وكثرت المعاصي وغفلت القلوب عن الموت فكان
طبعيا أن تظهر العلامات دون خفاء ، فتطغى الظلمات ويفشو المكر والكذب ،
وتغر الحياة قوما يطفئ عليهم حب الشهوات ، يأكلون السحت ويفسدون
صناعيا :

بحنا بالمحرمات * والمعاصي اقوات
واقلوب الناس اضحان * غافلا عل الموت
العلامات انبات * للورد ماخفات
واقوات الظلمات * والمكر البهوت
قومان صمت واعمال * غرتهم الحيات
تبعوا حب الشهوات * وقت سحت اسحوت

- (I) لحررك ج حركة وهي الغزوة وخروج الجيش للحرب .
(2) تجدر الاشارة الى ان تاريخ نظم القصيدة كما باخرها هوالف ومائتان
وأربعة وسبعون : «تاريخ عد شر بالفاهم» قالعين بسبعين والذل
بأربعة والستين بالف والراء بمائتين .

فلم يعد شيء يحب في هذه الدنيا وقد عم النفاق فلا عهد ولا ميثاق
ولا صديق ، صعب الوقت وضاق وكسدت الاسواق ، فلا بركة في الارزاق ،
وكيف والناس حادوا عن الطريق ، فأصبح الدين غريبا وكذلك أهله ،
وانعدم الرغق بالضعفاء والاخوة والجيران ، وتنكر الدم لفصيلته :

ما باقى ما يعيشاق * فى ازمان النفاق
لا عهد لا ميثاق * اتوجدو لا اصديق
الوقت اصعب وضاق * كسدت لسواق
لا بركة قارزاق * خارجين الطريق
الدين اغرب وانساق * فى بعض الآفاق
واهلو فقدو الرفساق * ما بقى ما يليق
والدم من دمو جافى * ما يعرف غانى بضعيف خو اوجار
وهو يرى ان مثل هذه الشدة طبيعية طالما ان الناس لا يتجنبون المعاصى ،
ولا يلجأون للاحسان ، ولا يخالفون الشيطان ، ولا يحسون باليقين :

ما جنبنا عصيان * ما فعلنا احسان
ما خالفنا شيطان * ما حسنا بيقين
لذلك يلزم الاستغفار فى الليل والنهار ، وفى خشوع وذل واحتقار ،
وتلزم التوبة الى الله عساه يجبر الكسر ، ويمحو الاوزار ، ويقلل من
العثرات ويحود بخيره وفضله الذى لا حصر له :

لزمنا الاستغفار * فالضيا والسحار
بالذل والاحتقار * والخشوع لكبير
وانتوبو للمقهور * كافا اهلجهار
وانقولو يا جبار * اجبر اللى اكسر
امحى عنا لوزر * أمقيل الاعثار
فضلك شلا يحصار * جد عنا ابخير
وهو لا ينسى ضعف الامة وقضاء الله وقدره ، فيرفع يده اليه بهذا
الدعاء :

يا نعم الحى الكافى * اكفنا شر الوقت ما نسوف اعيار
(23)

يا مول الفضل الوافى * فضلك مايتها ولا اتحدو إسطار
عجل يدواك الشافى * وارحم ضعف الاما الغارقا اقلوزار
قادر تبلى واتعافى * تنسخ الشدا ابلغفو اكما اقلخبار
يامول اللطف الخافى * الطف بنا افما اجرت به القدرا

كذلك كانت الاحداث الحربية السياسية والازمات الاقتصادية
والاجتماعية تبعث الشعراء الشعبي على التأمل ومحاولة البحث عن الاسباب
والمسببات واستخراج العظة والعبرة، يغلب فيها عليه أن يعتبرها قضاء وقدر
من الله ، وأن يقف منها موقف الضعيف العاجز متألما باكيا رافعا اكسف
الضراعة الى الله أن يفرج الكرب ويجود بالعفو .

فالكفيف الزرهولى فى القصيدة التى يذكر فيها خروج أبى الحسن
المرينى الى القيروان وهزيمته يرى أن الله مالك عقول الامراء وشاد نواصيها
كل زمان ومكان لا يدبرون الا بامره ، وان النصر رهن بطاعة الله ، وان
الهزيمة نتيجة حتمية للعصيان :

سبحان مالك اخواطر الامراء * وانواصياها كل حين وازمسان
ان طعناء عطفو لنا نصرا * او ان اعصيتاه غضنا اكل اهوان
ويرى أن قلب السلطان كالجوزاء، وان قلوب الرعية تجرى مجراه، وتتبعه
وتستشير به ، ان عدل فاح نسيمها يخترق الآفاق بعيره الذكى ، وانكشف
الحجاب وبدا نوره يسطع كالصبح بضيائه يعم أثره على الانسان والحيوان
والنبات والجماد ، وان جار مناد الفقير وحل الران فى القلوب :

قلب السلطان يقال كالجوزا * وقلوب الخلق جاريا مجراه
ان كان عادل ابرفت العزا * يطلع منها انسيم ايشق اذكاه
اذا يعدل قد فتحت الغميرزا * كنو مصباح وهو اتصير لضيائه
حتى فالسنبلا أفاالتسرى * يظهر عدلو انعم وغالحيوان
ون كان جابر بنا قترا (1) * يطلع منها عل لقلوب السران
والشيخ الاكل فى قصيدته التى يتحدث فيها عن وضع المغرب

والمسلمين فى القرن الثالث عشر واحتلال الجزائر (2) ، يرد الامر الى قدر

(1) من القتر والاقتر بمعنى الاثتقار او من القتر ج «قتره بمعنى الغيار»

(2) كان احتلال الجزائر سنة 1246 هـ (1830م) ومعروف ان المولى عبد

الله ومشيتته واذنه ، فقد قضى أن يرتكبه العرب ويفشل المسلمون ، وإن يحتل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والاسلام :

العرب ابقدرت الله اتعود مرتدين
اتعود باذن الله سكان الكفرا

ويستشهد على ذلك بقول ينسب للرسول يؤكد أن كفة المسلمين ستقلب في آخر الزمان ، وإن القرن الثالث عشر سيشاهد قهرهم وذليهم :
قال الرسول : «تحتاج دولت لخيار » : «يا بن خلوف (I) راقب شئ ما يطرا
آخر الزمان ينكس وتنقلب ليام » : «قرن ثالث عشر فيه ابني مرة
يتفقوا على ابلاد تسمى ياكرام » : «هاذك زاويا فالزمان مذكورا
فيها الرلى لمخصص وينذكر بعلم » : «جعلو الله عساس اقبالت الكفرا
سبحان مالك الملك الواحد لعظيم » : «آخر الزمان ماذا تحوز من قهرا
هذا القصاص مذكور عامامن اسمنين » : «في قرن ثالث عشر ابلا عبيرا
وفي استسلام لقدر الله وقضائه ينتقل للحديث عن الموت والفناء :

لروح فانما ولجثا مرميمين » : «مالك للوك يبقى اولا بعدها عبيرا
سبحان امن اخلقنا بعد العدم كان » : «من بعد اوجدنا نضحا والثراب مدفونين
سبحان امن اخلقنا امكون لكوان » : «اجعل اوكيل عنا عزرائيل
ويؤكد فكرة القضاء والقدر في قوله :

يا مالك السما يا عظيم يا جواد » : «واجميع ما جرى بسبب القادرا

الرحمن كان يساند الامير عبد القادر الجزائري في حربه مع فرنسا ، وهي حرب استمرت من 1246 الى 1264 هـ فقد قدم الامير الطاعة لسلطان المغرب على أن يتيح له محاربة المحتلين من ارض المغرب خاصة بعد أن هزموه سنة 1259 . ولكن فرنسا لم ترض عن ذلك وادارت أن تعاقب المغرب على موقفه ، فقامت بحملة سنة 1260 في «اسلى» من اعمال مدينة وجدة عند الحدود المغربية الجزائرية هزم فيها المغرب واضطر على ائير الهزيمة أن يعقد معاهدة مع فرنسا كان من أهم بنودها نقى الامير عبد القادر من المغرب ، وهو بند اضطر السلطان المغربى الى محاربة الامير الجزائري وارغامه على التسليم ، فما كان منه الا أن سلم نفسه سنة 1264 .

(I) يخاطب الشعائر الجزائري الاخضر بن خلوف . ونخشى أن تكون القصيدة ليست للاكمل كما يرونها الحفاظ وانما لابن خلوف .

وعنده أن المومن الذى يعبد الله يهون عليه تحمل قضائه :
 اذا اعبدت ربى اتناك خير كثير * اتسلم القدرت الله اولاترى قهرا
 وهو لهذا يوصى بالايامن وبلاستسلام للقدر فى رضى وعلاية :
 احذر اوكون مومن اوخوذ التمهيل * سلم اجميع ماكان بالرضا جهرا
 فمن علامات هذه الفترة ان يترك صوم رمضان ، ويذل المصلون ،
 والا ينهى عن المنكر ، وأن يشيع الحرام ، ويخضع المومنون لاسياد كفار ،
 صابرين باكين منتظرين أن تحين آجالهم :

ثم اتنوح الخلق فيه بالتعراج * رمضان ينهجر ولا تبقى لوجرا
 فيه اهل الصلا مذلولين * ايرخصوا ولا يبقىئى امانكر نكرا
 أكل واحد ابالحرام يلها اهلـو * والمومنين تظهر اعليهم الصبرا
 اوكل واحد ينظر لاجلـو * يرضعوا ذوك لسياد اسكب العبرا
ولهاشم السعداني قصيدة فى احتلال مدينة وجدة «دخول وجدة»
 يقول فى حربتها :

يااسلام ابكو اعلى ادخول وجدا * دون حرب اغنمها لعدو اوناك لمراد
 وفيها يرى أن ذلك نتيجة ضعف القلوب وفقدانها لحرارة الايمان وقوة
 الجهاد :

لقلوب اضعافوا واكساتهم بردا * اولنا نظرنا فهموم ابعد دين لجهاد
 وعنده أن يموت الانسان عزيزا خير من ان يعيش ذليلا :

موت العز فنهار اللقا وبرزوا * خير من عيش الذل افكل حين مبروز
 فلم تعد للحياة لذة ، وقد عز من حافظ على ايمانه فى قلبه ، والامل أن
 تمر سحابة الازمة وتنقشع ليغيب نجم النحس ويظهر هلال السعد :
 مايقات افعيش الدنيا اليوم لدا * عز من دينو ويمانو افقلب لفؤاد
 امصرفين لوقت فعسى اليوم اوغدا * اغيب نجم النحس وينبأاهلال لسعاد
 ولكن فيم الخضوع والصبر على الذل حبا فى البقاء وتعلقا بالحياة
 وهى مهما طاللت فانية ، ليست بدار مقام وانما هى دار عبور ، كل من حل
 بها راحل ، والافواج سائرة ونحن على اثرها بأمر الله وقدره .
 لما واحنا اقفاأنا تصبر للذل * اعلى حب لبقا ولقنا بعد ايطول

ما هي دار لكلام من جاكير حـلـل ٭ شـف القومـان سـايرين اـكـفـول اـكـفـول
واحنا فاتباعهم ابلقدر الموصول

وليس يموت أحد دون أجله المعلوم ولو احاطت به الاخطار والمصائب ،
ومن حان أجله فلا يستطيع تأخيرهما كما كان غنيا ذا مال ، وليس في مقدور أحد
ان يهرب مما كتب له الله وسجل له وحكم به عليه :

ما يموت اقلورا مخلوق دون أجل ٭ لو ا يكون ا فوسط الغضب ما يوصنو
ومن اكمل محسوبو لو كان كاسب موال ٭ ما ينفعو الا دغيا (1) ايـمـد رـجـلـو
كيف يمنع من مكتوبو او كيف ينصال ٭ من احكم العرب اعليه وسجلـو
حقا ان مشيئة الله قد نفذت ، ولكن لابد من لطف منه يفرج الكروب ،
فلا شدة الا وبعدها فرج ، وتلك حكمة الله حتى يذكر ويحمد في كل
الاحوال :

كل من راد الله عل لورا اتسودا ٭ او لازم لطفو ايفاجي هم ضيق لنكاد
كيف معلوم الرخفا بعد كل شدا ٭ باش يذكر الله افكل ضيق وارغاد
ثم ان لقاء الابطال ومقابلتهم شرف ، ومن لم يلقهم محتقر مهما علا
شأنه :

من لا يلقى لبطال لو يعلى محقور

والذي يغفل عن الاعداء ويسكت عنهم اويهادنهم مغرور :

والغافل فالزمان عل لعدا مغرور

ومثل هذا نجده عند الحاج ادريس بن علي في «التطوانية» (2) حين

يوصي الغافل الساهي أن يستعد للجهاد بعد ان جار الاعداء :

اساهي خذ اخيسار ٭ وافيم تعبير القول ولشمارا

نوصيك يا غفيل احتال لامر لجهاد لعدا جاروا

واذا شاء الله رحم الضعف ، وجبر الكسر ، وأتى بالفرج ، واتساح

للمغاربة غزو الكفار وارغامهم على الرضى بالغلب ، وبدد شملهم وكسر

سفنههم :

(1) حيناً وبسرعة .

(2) قامت حرب تطوان مع اسبانيا سنة 1276 هـ (1859) في اول عهد
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن .

ايلا راد الستــــــــــــــــار ۞ ايفاحى عل لسلام اد لكــــــــــــــــدار

يرحم ضعفنا وايعاملنا ابلغراح فعسى تجبارو

ونغزو فالكفــــــــــــــــار ۞ حتى يرضوا الغلب بجهارا

ويبدد لكريم اشملهم وسفونهم لهم يكساروا

وعنده ان الرومى - والمقصود به الكافر - ماكر ، وهى حقيقة نسيها

بعض الناس ، فمجنون كل من يغتر به ويامن لجواره ، فهو فى مكره مثل

النار ان لم تحمد فى الحين تزيد اشتعالا ، لا مثيل له فى القدر ، فهو

يطمع بجذ فى مدن المغرب ، ولكن الشاعر يدعو الله الا يحقق طمعه :

والبعض انساوا ما صــــــــــــــــار ۞ ما يعرفوا بين الرومى هل امكارا

مهبول كل من يتغرا فهذا الزمان والكافر جارو

الرومى مثل النــــــــــــــــار ۞ قالوا ناس التشبيه ولعبــــــــــــــــار

اذا ماطفتها فالساعا اتزيد هذا تمكارو

ليس ابخالو غــــــــــــــــدار ۞ طامع فمدون الغرب بتمــــــــــــــــار

لهلا ابوصلو ولا يوفى له ظن هو وانظارو

واذا كان المغاربة قد اصابوا بهذا العدو فلانهم شغلوا بالدينار وانهمكوا

فى الاخذ والعطاء وقوى بينهم البغض والحسد كبارا وصغارا ، لم يعرفوا

ينهون عن المنكر ويوقرون السادات ويزورون الاولياء ، وقليل منهم من

لا يؤذى جاره :

ايــــــــــــــــا اولى لبــــــــــــــــار ۞ اعتبروا نظروا افسد العــــــــــــــــار

واتأملوا فهذا لقول اللى بان ياسينى اثارو

لتنهــــــــــــــــا بالدينــــــــــــــــار ۞ وغبظنا بالدنيا البخوذ ورا

واقوى البغض والحسد افهذا الجيل فى اكبارو واصغارو

لانهى اعلى المنكــــــــــــــــار ۞ لا توقير السادات فزيــــــــــــــــار

وقليل من اتصيبو فى هذا الجيل ليس كيدى جارو

وهو تحليل نجده عند الموقت فى «الزازية» حيث يقول :

سكان الغرب كلهم عباد اللوــــــــــــــــيز ۞ فيهم الى باع دينو بالخبز

ويرى الحاج ادريس ان الامل فى الجهاد ، ولكن لا جهاد بدون تقوى

وصير ، فهما كالاساس للبنيان ، وليس يكون حصيما اى بزيان بسسسون
أساس :

ليس يقوم لجهاد يالامت لخران ❖ دون التقوى امع الصبر عاذو باثنين
تمثيل الساس للذى رايد بنيسان ❖ اشمن بليان دون ساس يكون احصين
وما حدث ليس غير تنفيذ لحكم الواحد القهار ، فعسى الله أن يعفو
ويظهر وينصر دين الاسلام على ملة الكفر بجاء رسوله المختار :

من نسعاوه لعفو امع اطهارا ❖ ينصر ديننا عن علت لعدا ايجاه طه مختارو
وللشيخ اسماعيل المراكشى قصيدة **أنشأها حين فرضت حكومة الحماية**
اول ضريبة على المغاربة يقول فى حربتها متوسلا الى الله الا يلجى الناس
للمخلوق ، وأن وجود عليهم بعفو ويجيرهم من الضيق :

لاتولجنا للمخلوق ياخالق ❖ جد لنا بعفوك اوجرنا امن الضيق
ويقول فى دخولها متوسلا اليه بحرمة البسمة واسرارها أن يفرج
كرب الزمان المظلم ، ومتوسلا اليه كذلك برسوله الا يحاسب الناس على
تقصيرهم لانه مشفق رحيم :

حرمت البسمة واسرارها افلا تاق ❖ فرج اعلينا من هذا الزمان لغسيق
لك زكنايا الاهى افمول لبسراف ❖ لاتحافنا بالنقصان لك اشقيسقى
ومنها هذا العروبي يرجو الله فيه أن ينظر الى ضعف الناس وقه
ضاققت الاحوال ، وكلت العقول ، واوثقت الصدور ، وذابت الاكباد محترقة
بتار الشدائد ، وبكت القلوب مخفية دموع العين ، وغدت الاجسام كسفن
غارقة :

انظر من حال ضعفنا ضاقت لخالق ❖ كلت لعقول افالصدور الموثوقا
والبعض اكبادهم دابت من لحرارق ❖ من نار الوقت والشدائد محروقا
وقلوب اتنوح خائبا دمعت لمرافق ❖ وامثيل اجسامنا اسعابن مغروقا
وللشيخ ابن عمر المراكشى **قصيدة فى أزمة «البون»** اى بطاقة التموين
ايام الحرب العالمية الثانية ، يرجو الله فى حربتها أن يحن ويجير من الزمان
وفتنه ، والا يترك الناس فى الصف بالوسائط :

حن يامولانا فيننسا ❖ اوجرنا قالزمان

أوجرتنا من لفتسان ۞ ولا تخلينا في سرييس (I) بالوجهيا
وفيها يؤكد فكرة قضاء الله الذي قدر الغلاء، ويرجوه أن يعين الناس،
ويفرج ما نزل ، فهو وحده العاطف المشفق :

كل شيء أبقدرت المولى ۞ من اعلينا قدر الغلا
ايعيننا بقدرتو رب لعباد ۞ عالم بنا يفجى ما تصدر بنا
قسم المعينين ۞ من غيرو مالنا احنين
ويرى أن ما قامت به الحكومة من جمع للقمح وتنظيم لتوزيع الخبز
الهام من الله ، وهو الذي امر ولاية المراكز أن يعينوا رجالا يشرفون على
العملية ، يساعدون الضعيف والعاجز والمرأة والمريض والكفيف والطالب
والشريف :

لهم المخزن من لا ينام
ايجمع الزرع افكل عام
حتى ياامر به لكريم
الى محتاجو افكل يوم
ايقبضو طايب (2) منهم
ومر الولايات كل مركز يعملو لو ارجال
رياس ايعرفو اللفصال
وايساعدوا ضعيف الاما
والعاجزين والى حرما
وايميزو الطالب ويرفعوا بالشريف
والى مضرور امع لكفيف
ومثل هذا يقوله تى قصيدة اخرى فى الموضوع :
جأد المعين برحمتو وافجا كل ضيق
بالهام من المولى قام المخزن

(I) سرييس أى الصنف ، او ما يطلق عليه فى مصر «الطابور» ، والكلمة
من الدخيل الفرنسى .

(2) طايب أى ناضج .

بالزرع الى كان اخزن

بيعان المسكين احسن

افكل مسكن امراكن دارها

للمساكن أفقرا

او ماعملها لصحاب الزرع افلمطامر

الشحاتا هل لقطار

ولمحمد لخلو قصيدة في نفس الازمة ، يرى فيها أن الزمان أصبح مرا

والمصائب كثيرة ، وماذا عسى يفيد ؟ فقد خاض الناس في المناكر ، وعمرت

الاسواق بالمعاصي ، وظهرت علامات كثيرة وعجائب تحير العقول ، فلا الكبير

يهاب ، ولا الصغير يحترم ، ولا الجار يوقر جاره ، لاهياء ولاعهد ، وشغل

الشیطان الناس عن أداء صلواتهم وعن كل ما يهمهم :

هذا الوقت امرار * ولمصائب كثرو شنهو ايفدنا

خضنا فالمنكار * ولمعاصي بها عمرو اسواقنا

علامات اكثار * ولعجائب فيها تقها اعقولنا

لا رهبا لكبار * لا صفار ايحشمو في جيل وقتنا

الجار امع الجبار * لا احيا لا عاهد حجرات بايننا

لهنا الغرار * عن اصلاط الخمسا والي ايهمنا

شف الوقت احرار * من افعالنا هذا الوعيد صابنا

ويذكر بعض مظاهر الغش المتفشى في اوساط التجار ، فالجزار يخلط

لحم الغنم بالماعز ، واللبان يضيف الماء للحليب :

شف اللي كزار * كايبيع النعجا غللى (I) اسوفنا

شف اللي بكار * بالياه ايخلط لنا احليينا

ويستعرض بعض مناكر الوقت فيذكر منها كثرة النساء وتبرجهن في

جلاليب واحذية ملونة ، يزين عيونهن وخدودهن ، ويلون اظفارهن ويكشفن عن

اساورهن وقفاطينهن الجميلة ، وقد بدت الخوازم والايدي المخضبة بالحناء :

(I) تقلب بعض الالسنه نون الغنم لاما .

لعيالات اكشــــــــار * بحلالب واسبابطها املونا
ويصبغو لظفــــــــار * والدمالج فوق الكبوط باينا
والعينين اكبــــــــار * ولخدود الحمرا تلمع باينا
بقفاطن تشكــــــــار * ولخواتم وحنانيها امزينا

وفى الوقت الذى يبقى الرجل فى الدار تخرج المرأة بهذا التبرج ،
وتأتى بالسكر والدخان لتكيف مزاجها به :

الرجل فالســــــــدر * ولما فالزنقا تمشى امشرغنا
واتجيب السكــــــــار * والدخن هذا هو ارشوقنا
وليست الشابة وحدها التى تعرض زينتها وانما العجوز كذلك تضع
المساحيق على وجهها ، وتصبغ شعرها ، وتظن نفسها جميلة فتأتى المنكر ،
ثم ان الساحرات كثيرات :

لعكوزا تــــــــوزار * كاتعكر وتقول أنا امزونا (1)
تفعل فالمنكــــــــار * والشعر اتصبغو ما هو افدينا
السحرات اكشــــــــار * كايسحرو ويقولو ياخديمنا

ويعطينا صورة لحال العيش الضيق الذى نتج عن أزمة البطاقة ، فلا
أقمشة موجودة ، ولا صابون للتنظيف ، واوقية السكر التى تسمح بهــــــــا
البطاقة لم تعد كافية ، وليست فى الدار مؤونة فلا سمن ولا زيت ولا فحم ،
وليس فى السوق لحم الغنم او البقر أو الجمل ولا سمك «المرنا» المعروف
وهى حياة جعلت ربة البيت تقلق وتعرب عن هذا القلق فى قول لزوجهــــــــا
بأنها ضاقت بطبخ الخضر كل يوم وخاصة البطاطس ، وكأنها موصى على
أكلها من طرف الطبيب :

لا كتــــــــان اظهــــــــار * لا صويين باش انگلعو اوسخنا
أبــــــــون السكــــــــار * ولوقيا ماباقشى اتقدينا
لا عــــــــولا فالســــــــدر * لا سمن لا فخر لا زيت كاينا
لا غلــــــــمى يذكــــــــار * لا جمل لا بگرى لا حوت مرنا
لمرا بالمعــــــــار * كاتقول للرجل طابو اقلوبنا

(I) تصغير مزيانة بمعنى جميلة .

عيننا الخضرار * كل يوم الخضرا هي اطيابنا
بطاطا فغطار * واش لبطاطا نعتهم اطيبينا
ومع ذلك فكل شيء متوفر في السوق السوداء يباع في الخفاء :
تحت الكونطوار (1) * كل ماتبقى من لسلوع كايانا
جيب المرشي انوار (2) * كل سلعا مخزونا ليس باينا
وهو لا يرى في ذلك كله الا تنفيذا لحكم الله وقضائه ، فيرجوه ان ييسر
الامور وينشر رحمته لتعود الاسعار كما كانت ، حتى تزهر الايام وتزدهر
الحياة :

تصريف القهار * ولقضا يتصرف بحكام ربنا
يا عالم لسرار * يالمولى يسر لنا أمورنا
ربي يا غفار * ليس عيبت فالى مخلوق كيفنا
حامل من لوزار * لكن ارحمتك ياربى اتعمنا
يا رازق لعمار * يا لغنى من لا يخفاك حالنا
ويرخصو لسعار * كيف كانوا تزهر لنا ايامنا
يا نعم الستار * جد برحمتك يالكريم غتنا
وللحاج محمد بن عمر قصيدة في زفى محمد الخامس يقول في حريتها:

قولو يا هلى معظم يوم السبت افلمدين الحمرا يذكار
عمنا لطف الله وخمد نفتاين
وفيها يرى أن كل شيء بقدر الله ، ولا بد من تحمل هذا القدر والصبر
عليه الى أن يفوت ، ولن يفوز بالنصر الا من رضى بقضاء الله وقبل مصيره ،
اذ لا ينفع الهرب منه فى شيء ، وليس للعبد أى اختيار ، فماله الا أن يسلم
الامر لمولاه ويدعن :

سبحان امن اقضى بقدرته واحكم * ابما اجرى فى جميع البشر
قدرو مولانا واعلم كل كاين

(1) مدرج البيع والمائدة التى يقف خلفها البائع ، والكلمة من الدخيل الفرنسى
(2) السوق السوداء ، وهى من الدخيل الفرنسى كذلك .

في النصر والهزيمة على السواء . وقد كشفت حرب فلسطين الأخيرة (I) عن
تجاوب شعبي صادق مع هذه القضايا ، تحسه عند الحاج محمد بن عمر
الذي طغت عليه عاطفته الوطنية المتأججة فحالت بينه وبين النظر الى هذه
الحرب من خلال حقيقة النكبة التي أصابت العرب والمسلمين ، فهو يحمده
الله على أن تألق نجم الاسلام مضيئاً في الآفاق دون حد لنوره ، وعلمت كلمة
الله يسر خبرها جميع النفوس ، وظهرت أمة الاسلام في برج النصر يؤيدها
الله ، وقد توحدت جيوشها ووقفت متراحة على طول الحدود ، ونادى حط
النصر وظهرت بشائره فسرعه من كان قريبا منه: وهو بأسف لبعد المسافة، ولو
وجد لقطتها أجنحة لطار:

وبعدها يالامت لسلام الحمد لله اطلع النجم الساني
واتجلى فالافاق بان ضيور ما هي محسنة
وارقات الكلما العاليا واخبارها سر النفوس يا جمع اخواني
وظهر شعب الاسلام ايدو لحليم المعبرود
في برج النصر شهدوه اجيوش لسلام جات من كل اوطان
واتحدت الاما الواقفا فمناهج لخمود
نادى فال النصر وبانت ابشائرها يا سعد من اضحى داني
ونا ماصبت اجناح ولوصال اعليا مبعود
اليسمت دولة اليهود فانية منذ العهد الاولى للتاريخ ؟ تنقصهم القيادة
الواعية ويخذلهم الله فتنهم في الحياة وأذلهم في كل مكان ، وجعلهم ضعفاء
جبناء :

مبطولا دولتهم ياهلى خلاهم طورا في اماج طرفاني
لا رايس واعى القاوا لامن بهم ايلود
واخذلهم مولانا اقلحيات اجتنهم أذلهم في كل امكاني
واجعلهم فالدنيا اكرائف (2) لكرائف الجنود

(I) حرب الستة أيام (يونيو 1967)
(2) الكرفا تعنى البخيل حين تطلق على الرجل وتعنى القبيحة حين تقصد
بها المرأة ولكن الربط هنا بين الكرفا والجنود لا يجعل الكلمة تعنى
غير الضعيف والجبان .

ثم ، أليست شوكة المؤمنين قوية ؟ وعدهم الله بالنصر والغلب على اليهود مهما انتشروا في الآفاق ، فما كادت تسمع بشاراة الفتح الالهى تعم الامة الاسلامية ليهلك الطفافة كما هلكت ثمود من قبل ، حتى سطع نجم الاقبال وبدأت علامات الفرح والسرور والسلوان تحيي النفوس والبيد ، ونهضت سائر الامم والاجناس لحماية بيت المقدس مطلقة اعتنها مستعدة للقتال :

شوكت هل ليمان قويا وعدها ربى بالنصر على لجبانى
تغلب سائر ليهود لو اكساو القفر المهدود
مهما سمعت بشار السعادة عم لسلام بالفتح الربانى
يهلك جيش امن اطفا ربنا كيف اهلك تمرود
ها نجم اليقبال بان شف علامات الفرح والسرور أسلوانى
شاع اذكرها واحيات به لمهاج امع لبدود
قامت سائر جناس ناهضا جات اتحامى اعلى البيت طلقت لعنانى
محتالا على لقتال واكدا بطرارد وبندود
واليهود لا يؤمنون ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، والأحقق هو الذى
لا يحتاط من أعدائه ولا يحذرهم :

بالك تامن من خالفو الحد ونقضوا لعهود
وكذاك الميثاق ليس فيهم الى بنا ايتق يقرأ لمانى
لحمق من يامن فى اعداء ماينجده من لنكود
وقد بدأوا يطفون ويتجبرون ويسعون للفتن منذ مدة غير يسيرة ، ولكن
الله سيهزمهم ويصون منهم البيت ويحييه :
هاذى مدا ليهود باش زاغوا واطغوا افرعنو وزادوا لفتاننى
ربى يهزمهم من البيت ويصونو من ليهود
فأرض الشام شرفها الله وأمنها من قديم ، لذلك فهو يرجوه أن
يحميها من اليهود الاجلاف :
الارض الشام الله شرفوا من قادم للآن فيه سائر لمانى
يامولانا حرسوا امن اجلاف الاما لهود

وإذا كان ابن عمر قد نظر الى الازمة بمنظار غير واقعي فاشاد بوحدة صف المسلمين وقوة جيوشهم وبثخاذل اليهود وتشتيتهم وما نتج عن ذلك من انتصار أصحاب الحق وانهازام الاعداء المتعصبين فان الشيخ ابن الكبير المراكشي كان اكثر واقعية في النظر الى الازمة ، وتأمل أحداثها والاعتراف بانكسار المسلمين وليس أسبابه الحقيقية . فالمسلمون مشتتون متنازعون ، في حين أن العدو الى جانبهم يترصد الفرص للانقضاض ، يسانده اخوته وأصدقائه بزودونه بالسلاح :

الفرع ادهانا امع بعضنا بعض العدو اقبلنا يشمنا
وامعا اخوت سلحوه بقنا الى للشخصيات
والمسلمون في حاجة ملحة الى الاتحاد وتوحيد الصف ماديا ومعنويا ، وعنى
كانوا متفقين متراسين فان احدا لن يستطيع مواجعتهم :

لازم للصف انوحده حس امعنا لتاحده الا من يقوانا
اذا كنا متوافقين ما يلحقنا كذاب
أما اليهود فطفاة متجبرون ، وليس من يهلكهم ويمحقهم غير الله ، وهم
أقوياء مستأسدون ومتحدون لمحاربة المسلمين ، وقد نجحوا بالغدر في إهانتهم
وتشريدهم ، وإذا كانوا أقوى منهم فلان أخوتهم وحلفاءهم يمدونهم بالعون

ليهود اظغوا اتجبروا اولامن يهلكهم غيرك العاظم مولانا
امحقهم ابلقوا القادرا والسهم الرصاص
ليهود اقوا اتنمرو واتحدوا عن قتل اخوانا وقصدوا ليهانا
هانه نا حملونا اشردونا غدروا كلاب

لِيُجِيبُوا عَنْ أَقْوَانِهِمْ
قَوْلَهُمْ هُوَ أَنْتَ أَفْقَرُكَ مَا تَحْذَرُ (١)
وَهُمْ لَمْ يَسْتَحْشُوا مِنْ اتِّهَانِ الْحُرَمَاتِ سَعْيًا إِلَى تَحْقِيقِ أَمْنِيَّتِهِمْ ، سَبَّوْا
النِّسَاءَ ، وَكَفَرُوا بِالشَّيْبِ وَالشَّيْبِ ، وَاتَّخَذُوا الْمَسَاجِدَ مَرَاقِصَ ، وَأَخْرَجُوا
الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَنَهَبُوا وَشَرَدُوا وَقَتَلُوا :

ليجود انوار ايحققوا امنيتهم اينكونا ايسبو نسوانا
بتواع الفحش ايعاملو الشباب منا والشباب

(I) الجعاب : البنادق ويقصد أى سلاح .

امساجدنا للرقص هيؤهم اولاد الفاجرين قصدوا متفانا

قتلوا نهبوا لخوت شردوهم افكل اهضاب
وهو يرى ان المسلمين خدعوا فى المعركة حيث نكل بهم العدو
وتحداهم ، فكان مصابهم عظيما ولم يشاركهم فيه أحد ، لذلك فهو يلجأ
الى الله يرجوه اللطف بعباده الاسرى والانتقام من العدو وحلفائه ، فتمنى
نزل الضيم بالعبد فليس ينجيه ويغيثه ويفرج كربه غير خالقه السدى
يرعاه بالليل والنهار :

لمصاب اعظيم أهل الدين لمتين اتخدعنا اولا امن ابكى ليكانا
اربى ياربى لطفك نرجاوك ياوهـــــــــــــــــاب
عجل باللطف اعبيدك اسرى شوه بهم لعدو اراه اتحدانا
والقى من يحميه واحنا فاحما احماك الغلاب
العبد الا ينضام الا من ايفيشو يلا خالقو اولا سواه ايفاجى لكراب
ولكن لا بد من التعجيل بالتوبة والاستغفار حتى تكشف الغمة ويشفى
المصــــــــــــــــاب :

الله أهل لسلام بادروا بالتوبى واستغفروا وطلبوا مولانا
يفجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصاب
ولا بد كذلك أن يتخلص المسلمون من كيد الشيطان ، ويشكوه الى
الله وقد عجزوا عن محاربته ، فهو سبب كل ويل ، أغترهم بالطمع ، واستحوذ
عليهم فغدوا له أعوانا ، وبعدوا عن الصدق ، لذلك فهو يطلب الله الا
يحاسبهم وان يعفو ويسامح ويصفى مآهم ويجعلهم اخوة متحدين :
اجعلنا من هل اليخلاص واحفظنا من كيد يبليس من قصد انكانا
لمن نشكوه غير لك ما طفنا له احــــــــــــــــراب

هو السباب الكل ويل خدلو يارب راه يطلع كاع (I) اداننا
كهربنا ولينا اعوان عندو واصدقنا غاب
ياربى ياربى اولا تحافنا يالكريم سامح اصفى مانا
بك اجعلنا نتحدو ونضحاو للخوت احباب
(I) كاع بمعنى جميعا ، ولعل أصلها فى الفصحى القاع ، وكأن الرصون
الى قاع الشئ يفيد جمعه كله .

وقد أوصى الله المسلمين وأنبأهم بعداء اليهود لهم ، ونبيههم الى ان
من اتخذهم أولياء فهو منهم ، ولكنهم خالفوا قول الله ، وخضعوا لاهوائهم ،
واتخذوهم أحبابا وأصدقاء وتزوجوا منهم ، فكانوا بذلك عوناً لهم على الغلب:
لنا قال المولى الكريم راليهود إعداكم ابهذا وصانا

خالفنا قول الله كلنا درناهم احباب
من ولاهم الله قال هو منهم ابلا احيا اخضعنا لهوانا
وتزوجنا منهم غلبهم كنا له اسباب

ولكنه متفائل طالما أن كل شدة لابد وأن يعقبها الفرج :

الشدا يتبعها الرخا احنا نترجاو تحقيق نصرك يوفانا
رب اللطف الخافى أنت المعطى من دون اسباب
ثم فيم الخوف والجبن ، مادام الموت حقا على الناس ، ومادام الاستشهاد
ضمانا للجنة ؟

الموت اعليتنا حق ياك من مات اشعيد اهنا اوفاز ما يحتج اضمانا
راح اعريس الجننا افلاخرا يا سعدو يسطاب

ملاحظات :

نود فى نهاية هذا الفصل أن نسجل بعض الملاحظات ، عساها تكمل
الجوانب التى قد تبدو ناقصة فى نظرة الزجال المغربى الى الحياة .
الاولى : أنه على الرغم من أن الشاعر الشعبى عاش فى حياته وفنسه
متجاوبا مع مجتمعه مهتما بمشاكله وما يتعرض له من وقائع وأحداث ، فإنه
يبدو وكأنه لم ينظر الى هذا المجتمع الا من علو وبعد ، لم ينزل اليه ولم
يقترب منه ليختلط به ويرسم حياته اليومية ليعرض لوحة مكتملة الملامح
والابعاد . قد يكون ذلك صحيحا ولكن الى حد . حقا ان الشاعر الشعبى ظل
وهو يعالج مشاكل المجتمع والحياة محصورا فى نطاق خاص ، هو نطاق
القضايا الكبرى التى تشغل الرأى العام من انحلال يصيب المجتمع
او أزمات تعترضه ، ولكننا لانريد أن نفى عنه النزول الى الشوارع والاتصال
بالحياة فى أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها ، ونكاد نجزم بأن هذا الشعر
ضاع بسبب عدم رغبة الجماهير فى سماعه وترديده ، وبالتالي عدم اقبال

المنشدين على حفظه وتداوله . ونكاد نجزم كذلك بأن مثل هذا الموقف يتخذه الجماهير والمنشدون من شعر لا يسيغه الذوق الجماعي للترديد والغناء جعل الشاعر بدوره يحجم عنه ولا يقدم عليه الا حين يقوى الانفعال في نفسه ويضغط عليه ويجبره على القول وفي الحدود التي لا تزعج الذوق العام . ويبدو أن رجل الشعب - شاعراً كان أو منشداً أو مستمعا - لا يرى في الحياة اليومية العادية موضوعاً للامتاع طالما أنه يمارس هذه الحياة ويعيشها بكل الابعاد والجزئيات . ومع هذا فإن الباحث لا يلبث أن يعثر على نماذج - ولو قليلة - تثبت تجاوب الشاعر الشعبي مع مشاكل مجتمعه ومعالجته لقضاياها . من ذلك قصيدة «المطر» (I) التي تصور قسوة فصل الشتاء على الفقير الذي لا قدرة له على الاحتماء من البرد والمطر . فالقسم الاول منها وصف لحال الجو الطبيعي ، لقد هبت الريح ، وصوتت الرعود ، ولعت البروق ، وتهاطلت الامطار ، وراح كل الى مقعره ملتفاً في جلبابه ، وغدا الحى بمشيئة الله وقدرته خاويًا بعد أن كان عامراً بالناس ، ووقف الشاعر يطل عليه من سور سطح بيته ومعه كاتبه :

حسيت بالرياح الصرصارا * والرعود افلكوان ايزيم صوتها بهدير
لبروك من القبلا شـاروا * خطفوا المن انظر لبصـور
وابدت شى امشاتي غزارا * صابا من لسحاب الواسقا الما لكثير
والناس كلها لقـرارو * سري وراح فالغـبـور
طلبت عل الحى امن اسطارا * بانلى فاضى بعدن كان فيه جمع اكبر
كلا امشى اسريع السـدار * يضحي من لمطر مستور
سبحان امن اقدرتو جبارا * جل شان الى كيخلى الكون بعداعمير
ويلا ايريد لو تعمارو * يضحي افساعتو معمور
لمطار ما عملت الفـتـارا * وناكما اصبحت اقبيتي ظلت ما قدرت انسير
وامعاى كتابى مختارو * يدري الشعر والمنشور
وفي القسم الثانى يطلب الشاعر من كاتبه أن ينبه الاغنياء الى أنهم

(I) سجلناها من المذيع غير منسوبة الى صاحبها، وسألنا كثيراً من الاشياخ فلم نهتد الى معرفة اسمه والغالب أنه معاصر .

مصاييح التنوير وراحة المتألم ، يجب عليهم الا يتسوا مواطنيهم الضعفاء ؛ ويرسم صورة للعامل الاجير يكدر الشتاء صفو حياته حيث يظل يدور طول النهار يبحث تحت المطر عن عمل يكسب منه قوت يومه فلا يجد . ويعود في المساء الى المغارة التي يسكنها ويقترب فيها مع أسرته الحصى ، فيدخل خاوي الوفاض فارغ اليدين وقد تعثرت قدماء من شدة الكدر والهم ، ويلتف حوله الاطفال ، وتحس زوجته بحقيقة حاله ، وتحاول تصبيره على ما قدر الله ، فهي من أسرة نبيلة كريمة راضية بعيش الحلال مهما كان قليلا ؛ ووجود مثل هذه الزوجة في بيت الرجل الفقير عمارة له :

قل الكاتب لاهل لغارا * عار لفكار اعليكم يا مصاييح التنوير
انتم افشعنا دكارو * وانتم راحت المعكور
الى ايظل يخدم بجارا * انهار تاتيه الشتوا كيظل في تكدير
من حيث مادرك مسوارو * او يظل افطار ايـدور
وايعود افلعي اللمارا * فين يوجد لطفال وزوجتو اعلى حصير
ويشوك اللحم واشعارو * لوصاب لرض به تنغور
ويزيد بلقندام العشارا * والدراري به ايدوروا اكبرهم واصغير
واتحس زوجتو بكدارو * واتقول هكذا مقـدور
بنت لجواد نسل الخيارا * راضيا بالعيش دالحلالون كان اقصير
اعمارت لفقير افـدارو * زوجـا ومتـسا مسرور
ويستعرض القسم الثالث نماذج من الغرباء المشردين الذين يقدون الى المدينة ، وليس لهم فيها مأوى يجدون فيه الدفء ، منهم من يختبئ تحت الاقواس وقد ستر جسمه بازار أو لبس ثوبا قصيرا أو ممزقا يكشف عورته ، ومنهم كثيرون يذهبون الى المقبرة عساعهم يحتمون من الامطار ، ومنهم آخرون يتسولون في الطرقات يسعون الى جود الاغنياء ، ولكن هؤلاء في دورهم وقصورهم مدفون في البطاطين والازر لا يحسون بشيء ، وقد نسوا الكون والخلق :

ما ريت من جاوا اللعمارا * امشردين ولشاعلى كطبيح بالتدبير
ما ريت من جاوا اللعمارا * امشردين وصايو الشتا ولا الفوا نصير

والدفع ما لقوا اثارو * بين لقواس داروا *
فيهم امن اكساتو دزارا

فيهم بالغنى من لابس ثوب عل الجسم اقصر
فيهم امن اتبان اعوارو * من شرگ افوسط المحصور
واشغال متهم فالمقبـرا * امكشيين امن امشاتي كطبح بالتبدير
واخرين فالزناقي سـاروا * يسعاوا جود هل لقصور
وانت اكما لبخيل افـدارو * ناسى الكون والمعمـور
وانت افيشك وتفشارو * بين لبطاطن وليـزور

وفى القسم الرابع والاخير يكمل اللوحة برسم ارملة لا قوت لها
ولا كساء ولا نور ، تظل تدور فى البساتين تلتقط الفاسد من الخضر ، ولكن
جسدها طاهر اشترت بالجوع طهره ؛ وما قد اقبل الشتاء بمطاره ، وهى
تعلل اطفالها ، وتفكر فى وسيلة للتصرف فيما قدر الله ، فى حين يظل الغنى
فى تعاليه وتعاطفه ناسيا كون الله وخلقه :

لو كان ريت كمن صبـارـا * مات لها والدولادها افيوم اعسير
اولا بقى لها تدخـارو * لا خبز ولا كسا لا نـور
واتظل فى ابساتن خضـارـا * تلتقط الطايش والعيان والجسد اطهر
بالجوع شاريا تطـارو * واليوم جاتها لطـور
صبحت للدرارى حـزارا * وكنتم كيف المعمول فى اقضا القدير
وانت افيشك وتفشـارو * ناسى الكون والمعمـور

اللاحظة الثانية : ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب ، وهو
خطاب صريح مباشر قد يوجهه الى نفسه او الى غيره . ولعل مخاطبته لنفسه
تعتبر من قبيل التجريد المعروف فى علم البديع حيث يجرد المتكلم من
نفسه شخصا ثانيا يخاطبه ، بل انا كثيرا ما نجد الشاعر يوجه الخطاب
لرأسه وقلبه ؛ ففي خطاب الرأس يقول ابن احساين فى «اللقمانية» :

لازلت نوصيك ولو صايعلم وعرفان * راسى ياراسى ايلا اصغيتى لبدانى
واعملت بوصايتى اتنال الدنيا والدين

ويقول ابن علي في «الوصاية» :

أراسي نوصيك يا الزايد تعبي واشقايًا » من خلطت هل جيلنا اعسزل

ويقول ابن سليمان في «التوبة» :

تب ياراسي لا تشقى » التاعب لابد من لفراق

لا تامن فالدينا ابتاسها غرارا

ويقول شقور :

بسم لكريم صفت انحاسي ياراسي بسم لكريم خلصتني تخلص

ويقول المدني التركماني في «الزهو» :

اراسي تنها من لمزاج ابتاسو شواه » والغي هل لفساد وخطا والفعل المدموم

ويقول علال العلوي :

اراسي واش ادلعمييا » يزاك اخايب لفكر

الشيب اجرا اعلى الصغر » وانت مازال افلعمييا

مطموس القلب ولبصر

وفي خطاب القلب يقول ابن علي :

ياالقلب اتفكر ما فأت الدول والتالي * كيف شافوه اخبرين اولادرا واليا كيف اجرا

ويقول العلمي :

عدتي ياالقلب الغافل تنخطا الصواب

الصمت كيقولو لعرب حكما

مجدوه الناس القدا

واسكات عام افضل من كلما

ابغير ندها

وقد يخاطب الشاعر غيره على حد ما نجد عند المغراوي في خطاب

الغافل :

يا غافل حضر بك » لاتامن اقدار لغرور اسمع نوصيك

ويقول الشاوي :

حضر لدهان ياالغافل اصغى لوصيتي المزيانا

ويقول الحاج ادريس لحنش :

أغافل مثلى اعلى اصلاح اسمعنى توصيك بادر تب لله وحضر بالك
وفى خطاب الساهى يقول بوخريص :

يالساهى عما يعنيه والعمر فان قم واعزم واخدم يكفا امن اتفرعين
وفى خطاب النائم يقول الشاوى :

يالنائم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تنغم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعسا

وفى خطاب الفاظن يقول العميرى :

ياالفاظن مغرور الواهيا افطن

وفى خطاب محبى الدنيا يقول العباس الحرار :

أغابطين فالفانيا ام السيات غنموا اتوايها قبل الايفوت الفوت

وفى خطاب ابن الدنيا يقول ابن على :

لك ياابن الدنيا خذ اوصايت الدهات الى مرويا

قول مومن لك اعطاها اوخوك فالله

وفى خطاب قبيح الافعال يقول محمد ولد سيدى بوعمرو :

زال حكمك من صرفك ياقيبىح لفعال يالى عن منهاج السالكين ما يل

وفى خطاب الواله يقول الحاج محمد بن عمر :

يا أخ الولهان بهموم الدنيا الفاتنا

من شطنت لنا اقلوبنا

عشنا كالحيوان

لا من فاق ابتمحانو

وفى خطاب الصاحب يقول الشاوى :

رد بالك يا صاح اوصغ طرز لقوال كن عايق قايق خذ لشييا بمهسلا

وفى بعض نصائح السلوك الصوفية نجد الخطاب يوجه للمريد كما

عند ابن رموية اذ يقول :

يامريد وجه قلبك واقرا لوح الشهود

أو الى الفاهم كما عند الشريف المرباط محمد المنالى اذ يقول :

يا بهيم صنع لنظامى اوكون فاهم ۞ ردت نوصيك أوصايا فى طريق لخوان

الملاحظة الثالثة : ان فكرة تنبيه الغافلين المتهافتين على الدنيا جرت

بعض الشعراء الى تخصيص قصائد للتذكير بقدرة الله وعظمته على حد ما فعل

المعراوى فى قصيدة له تناول فيها تكوين الانسان وخلقه ، ومختلف أطواره :

يقول فى أولها :

سبحان المهيئ خالق الانسان ۞ من ماء مهين والاصل صلصال

لآدم ابو البشر امعزوجتو صنوان ۞ منهم ذا النسل اقلزواج نسال

سبحان امن اخلق جميع لوجود شاهد ۞ لله بالشنا والحمد والشوحيه

سوى امن اكفر بجهالت لاحد ۞ عن نهج لهذا ضل اشقاء اعنيد

شان الله اعظيم كيف ينكر الجاحد ۞ واشهود اقدرتو فى اصنعتو ترشيد

وفيه يقول :

كم قد اتى افمحكم القرآن ۞ تطوير انشيت من حال الحال

نظفا ثم علقا افاول النشيسان ۞ مضفا ثم لحم اعظم اوصصال

وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن على العمرانى فى «الذرة» التى يقول فى

حزبها :

يا لساهى من نومك فى سبح الرب ۞ لمتا وانت تايه اقلغرور السواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب ۞ سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

وفى عروبي منها يقول متحدثا عن الذرة وكيف قسمها الله اربعة

أقسام ، الاول للرسول عليه السلام ، والثانى للقلم ، والثالث للعرش -

والرابع للكبرى :

من نور اقبض قبضا واقسمها ۞ اعلى ربعا اكما امن الدار حادت

القسم اللولى للحبيب اجعلها ۞ وقال لها كون محمد كانبست

والقسم الثانى لقلم انشامنهما ۞ ومن القسم الثالث العرش الثابت

والقسم الرابع للكرسى ورثها

الفصل الثالث

مع الناس

لكل انسان فى مجتمعه علاقات تربطه بالاناس الذين يشاركونه الحياة فيه أفرادا وجماعات ، وهى علاقات تتسع وتضيق بمدى اتساع وضيق النطاق العددي لهؤلاء الناس ومدى متانة وفتور الروابط التى تشده اليهم أو تشدهم اليه . ويمكن اعتبار هذه العلاقات عند الشاعر الشعبى من خلال مستويين ، أحدهما عام والآخر خاص . اما العام فيتمثل فى نظرتة السى الناس كجماعات واهتمامه بمشاكلهم وقضاياهم وتجاوبه معهم فى رضى عن سلوكهم أو نفور منهم فى سخط على هذا السلوك . وقد عرضنا لهذا الجانب فى الفصل السابق لما رأينا فيه من تكميل لرؤية الشاعر الى الحياة وبلورة هذه الرؤية وتوضيح لاتجاه الحكم والعظات التى نتجت عنها .

وأما الخاص فينحصر فى العلاقات التى تربطه بأفراد معينين ، قد تكون لهم فى نفسه أو فى المجتمع مكانة تقدير واكبار ، فيثنى عليهم احياء وأمواتا ، مدفوعا بالحب الصادق حينما والتقرب والتعلق احيانا كثيرة ؛ وقد لا يكون لهم فى نفسه غير الشعور بالمنافسة والخلاف والخصام ، فيصيب عليهم جام هذا الشعور ذما وتعييرا فى غير هوادة او لين . وهو الجانب الذى سنتناول فى هذا الفصل ، نقصد به فنونا ثلاثة هى : المدح والرثاء والهجاء .

أولا : المدح

من عميق ادراك الشاعر الشعبى لما هية الشعر ودوره انه ابتعد عن فن المدح انشاءا والشادا ، وفى غير قليل من الاعمال والازدراء ، وكأنه أحس بما فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع ، وخلوه نتيجة ذلك من امتاع الذهن والشعور ، فلم تفتح قريحته للنظم فيه ، وجاءت قصائده لذلك قليلة ، وهى على قلتها لم تجذب الحفاظ اليها والمنشدين ، فكان أن ضاع أكثر انتاجه فى هذا الفن ، الا ما كان منه فى مدح الرسول عليه السلام (1) ، فانه انطلق فى أجوائه ، تسعفه عاطفة خالصة اساسها

(1) خصصنا له الفصل الرابع من باب الموضوعات .

العقيدة الراسخة والحب الصادق ؛ بل انا نجد الاشياخ - شعراء وحفاظا حين يطلقون تسمية المدح او «المداحي» لا يعنون بها غير المديح النبوى . وبين ايدينا نص يفيض بهذا الروح ، يعيب فيه بسوء عمرو على الشعراء الذين تخلوا عن تمجيد الكارم والفضائل ، وغدوا يمدحون الناس ويصفونهم بما لا يمتثلون به ، وهو يفتقد في الممدوحين خصال الثناء ، ويرى ألا أحد يستحق المدح غير الرسول الكريم :

قال الاديب عمرو * اد اعلى الشعرا

اسمعنا عن الاعيان * فقديم الزمان * كانوا يمدحوا الاحسان
واليوم تمدح الانسان * وتقول ذا فلان * ساعا توجدو عجزان
اصغ غايت الرقيب * يامن هو البيب * لك فالداس اعدو وحيب
تمدح ياأخى لنجيب * وتقول ذا اريب * وترى السعد فيه ايخيب
امن هو البيب احسب * فى ذا الجيل اغريب * هذا صبح ابلا تكذيب

نجم الثنا قد غاب * عننا حقيق واغيا

وانبطلت لنساب * رجعوا لكرام تربا

وكذلك الاصحاب * لاثامن الصحبا

لحلفلك اعظيم ايمان * حقيق بالبيان

ما تمدح ولا انسان * سوى سيد الثقلان

كذلك نجد الشاعر العباس الحارر يعتر في بيت من قصيدته الفخرية

أنه لم يرفع بقوائم شعره سطوة ملك أو طاغية جبار :

أنا الذى ما رفعت بقوائم شعري * سطوت مالك شامخ او اطفى جبار

ومع ذلك ، فقد وفقنا الى تدوين عدد من القصائد ، ومن أهمها مجموعة

مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1) ، والمولى أبوبكر بن

السلطان الحسن الاول (2) وكان خليفة فى مراكش للمولى عبد الحفيظ (3) ،

والملك محمد الخامس (4) ثم ابنه الحسن الثانى

(1) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ .

(2) تولى الحسن الاول من سنة 1290 الى 1311 هـ

(3) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ الموافق 1912 م .

(4) تولى من سنة 1927 الى سنة 1961 م ، حيث خلفه ابنه الملك الحسن

أما المولى عبد الرحمن فيمدحه ابن سليمان ويذكر استعداداه فسي
مراكش للخروج الى حرب في الحوز لم يشهد لها مثيل ، زاده وجود
السلطان بهاء وهناء ، قابتهج الناس وانطلقت السنة المنشدین تلهج بشجاعته
وجوده وعقله ودكائه :

فرجا يا بهجت لحضر وانزها * زاد سيدنا فنهاها
اعلى اسرور الملك ايفرحو كل اعقول * واتبشري يا بهجت لمدون
وهو ياسيدي وعلى ازهوك ناسك تنشد بفصاحت السون
وهو ياسيدنا لهما بن الامام لمجد بن سيدي هشام
اشريف امن اسلام ضى لنيام

اشجع امن الضراغم والجواد عل الخلايق
فالحوز غنمت به طيف امنها * صاحب لعقل وانباها
قام حارك بها جميع لحروك امثول * ما شافست عوضها اعين
ويخبرنا الشاعر بتقليد للسلطان يقضى قبل الخروج للحرب ان يزور
على عادة اسلافه ، رجال مراكش السبعة (1) ليفوز بنخيرة اهل الكمال
وينال مقصوده :

وهو ياسيدي ومنين وجد الحركا واسكاد الشور
افعل ما فعلت اسلافو لفضال
طاف عن سبعنو رجـال
فاز بنخيرت هل لـكمال
حـا جـتـو نـال

ونجد العلمى يدعو له الله أن ينصره ويهزم اعداءه الطغاة المتجبرين :
غث لهما ابريح النصر يالقهار * ونقد ادعوتو فالطغات ولجبابر
ويتوسل اليه تعالى أن يحفظه من كل ضرر :

يامن رسي اجبال وارصدها بصخور * وابحور الطاميا ابقهر و محصورا
واحجب ضو النهار بظلام الديجور * واهزم لغسيق ابلغجر باهى الصورا
ياعالم ما بدا وما تخفى لصدور * سلتك بملايك لحجوب المشهورا
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

(I) هم اولياء هذه المدينة المشهورون : يوسف بن علي والقاضي عياض وأبو
الصباس السبتي والجزولي والتباع والغزواني والسهيلى .

ويرجو الله ويسأله أن يكسوه حلة من نور هيئته ويؤيده بالنصر
والحكمة ويوجد عليه بما يبهجه ويسره ، وأن يسعد حظه أينما حل ، وبيارك
فى عمره ، وأن يجعل دعائه على أعدائه كدعاء نوح على أصحاب الطوفان :
يا جليل اكسه حلا ابهيتك نور * وايدوا بالغلب وكرموا ابما ايسرو
وظفرو بالحكما اوله سكم الشور * افكل بقعا بارك ياربنا افعمرو
اجعل ادعوتو دعوت نوح النبى المبرور

اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو انبترو
ويطلب الله أن يفتح له باب التيسير وأن يجعل الاولياء والصالحين
جيشا لحمايته يدافعون عن كلمته ويغيرون ، وأن يعينه ويحفظ جيشه
ويؤيده علمه بالنصر ، وأن يهزم قوم الفساد والزور المخالفين :

افتح لمام غربنا باب التيسير * والصالحين جيش لحماه ايصيروا
حتى اعلى اكلمتوا يوكدوا ويغيروا

نعم المعين عن لهما المنصور * واحفظ جيشوا وايد علمو بالنصر
واهزم قوم لفساد واهزم قوم الزور * وافن قوم لمخالفا بسنون السمر
وقد عم الازدهار عهده فربح التاجر والمتعلم ، وغدا الصبى الصغير فى
الكتاب يتقن تجويد القرآن الكريم :

انزايه ايامو ظهرت لو افجمع لقطار * نال كل من اقرا واربح كل تاجر
توجد الصبى فالكتب اصغير محضار * ايجود الآى تجويد لفقيه الماهر
ورى فيه الفقيه العميرى أميرا للمؤمنين شجاعا رفيع الشأن شريف
النسب من قريش ، يتوسل به الى الله أن يعم الامة بالاحسان :

رفيع الشأن * مااتهمو شجاعان * فحروب امدان

نسبتو عدنانى * من قريش مير المؤمنين

أيا رحمان * كن لى مستعان * بمن تلا القرآن

ودنى واعطانى * اعطاء من خير الدارين

بوجود السلطان * مولاي عبد الرحمان * عمنا بالاحسان

انجدو فزمانى * من احكم فالبرين وبحرين

انقاد له الزمان وارخى له الدهر عنانه فاصلح احوال البلاد واعز
الله به الاسلام :

اعطاء ازمان * الدهر ارخى لو لعنان * اصلح به البلدان
حقنى وارضانى * الله بحكامو عز الدين
وعند عزوز الممتونى انه اعز الملوك ، نادت مدينة مراكش بصولته
ونصره ، فهو سلطانها ومولاها وسليل الرسول :

لك البهجا ندادت * يابن هشام السلطانى
صول اعطاك الله النصر يا عز الملوك * مولاي عبد الرحمن
انت هو السلطان * وانت هو مولاها
مولاي عبد الرحمان * نخبتم لمفضل طه
وهو خلاصة الاشراف ورأفة الله بالعباد ، أمن الخائف وأغاث اللهيان
فغدت الايام حلوة والاوقات ضاحكة ، كما ضحكت ثغور الذين احبوه
بجوارحهم حب الظامى للماء :

هيا خالص لشراف * يالهام الهشامى
بك الله عنا راف * يامول القدر السامى
أمن بك الخواف * ياغيث الشرب الظامى
ايام الدهر احلات * واضحكت اوقات ازمان
كيف اضحكت افواه واجوارحها جبوكة * حب الماء للظمان
وأما الخليفة المونى ابوبكر فيمدحه محمد بن لقزين بأنه هلال ساطع
سعدت بنوره كل المدن والقرى وجميع أركان المعمور واقطاره ، وهو
كريم وفارس وشجاع بل هو أسد الاسود ، ومن سلالة الافاضل النجباء
ذوى السر والعز والمكانة العالية ، وعدهم الله بالنصر وايدهم بجيوش قوية
تبادر فى الجهاد للانقضاى واخذ النار :

لهلال الزاهر * به سعدت واعنات امدينث لحضر
جوف اقبلا امع لعمارا * والتل وسائر منازل فى كل اقطار
ضرغم لقساور * صيئت النجبا لفضل اهل السر
من بهم العز والتجارا * ناس الدرجة العليا عما هل لسرار

سطوا وادخاير * ودهم المولى بالعز والنصر
واعدهم لجهاد فالنصارى * برزاييم (1) ولقواس وقنا اورمع بتار
توكد واتكابىر * فى بحر اليوشا وفحومت السقر
وقت اماركبو من ليفارا * بفديو التار بالعزم ابلا توخار
صال بعساكر * والمدافع وارجال وخيل تشكر
والشجعان امقلد ازكارا * ابامر الله ربنا لجيل الستار
حلت لبشار * بالخليف سيمى مولاي بوبكر
يم القرا فارس لغزارا * مسعد لسلام كافا بالليث الغزار
وهو بعد هذا شريف النسب ، بحر فى العلم ، خطيب على المنابر
تزهى له الارواح وترقص اغصان الشجر ويفوح طيب نسمات الازهار ،
ثم انه لايفتا عن ذكر الله ينفى به الهموم والاكدار :

النسب الفاخر * يم لعلوم الفالح صاحب الذكر
نافى شغف الهول ولكدارا * به ازهات الرواح جن او انس واطيار
مايين امنابر * ابلعطوف رقصت القطبان فالشجر
هب النسيم الروض ابلشازا * ونفح طيبو امن الرضا بنساييم لزهار
وعند عبد الرحمان ابن الفقيه الحاج الطاهر انه خليفة السلطان المولى
عبد الحفيظ نعم الخليفة ، بمثله تفخر الخلافة فى كل عصر ، واذا كان
السلطان سعيدا فى كل مناطق مملكته فهو بخلافة المولى ابى بكر اكثر سعادة
اخليفت المالك فى ذا الجيل * على الهما بالتجليل
جل ونعم لخلافا به فالعصر تفتاخى * ضمها العز الوافر
من اسعادت مولاي حفيظ ايساير لقطار * اسعد بخليفته اكثر
يتنام شفائه (2) استقام الحظ وعم السرور مدينة مراکش ، وقند
دعا الاشياخ للحفلات التى اقام فلبوها فرحين مبتهجين :

بكمال راحتو متسقم لنا الشور
تلقى السرور بالراحا فالبهجا * اتحمده مرفوع الدرجا

- (1) ج رزامة وهى الصخرة الكبيرة او القطعة الثقيلة من الحديد .
(2) يبدو أن القصيدة قيلت فى تهنئة الخليفة بالشفاء من مرض .

كايناديننا للفرجا

فالسلا ما لبات اقلوبنا القول الذاكر * فرحنا اضحى متكاثر

ايجاب التلبيا بسرورنا اتبشر

وتوضح غايت لخبر

وهو محروس بالسبعة بدور رجال مراکش

محروس عز لخلایق بالسبع ابدور

منهم سيدنا يوسف مول الفار

والذي بالشفأ (I) يذكر

ولمام السبتي غيار

له سندا مركز الاوليا ابيدو دابر

...

والمجد صاحب الدليل (2) اعنصر ايفور

فكفالتو يجعل احراكو واسكون

وحرم سيد التباع ايكون

له رقا واحجاب ايصون

سر وعلان

الغزواني احققوا ببشائر

جالين كل ادخاير

ابسيدنا السهيلي يسهل جمع لامر

فقصد مولاي بويكر

ومثل هذا وذاك نجده عند الشيخ عمر المراكشي ، لا يضيف الا انه

نجل السلطان مولاي الحسن ، وأنه جزيل العطاء للقريب والبعيد ، وفريد
عصره في الكرم :

نجل الملك طلعت البدر السانـي * ياسيدنا * سيدى مولاي بويكر

...

يانجل الماـجد الشـريف الحـسانـي * ياسيدنا * ياغايت كل امن اتضر

(1) كتاب «الشفأ في أخبار المصطفى» للقاضي عياض .

(2) كتاب «دلائل الخيرات» للجزولي .

معطاك اجزىل عل القاصى والدانى * ياسيدنا * فالجود فارد العصر
ومن المدح الذى قيل فى محمد الخامس مانجده عند محمد المودن
التطوانى يصفه فيه بأنه الهام نور عينيه ، نصره الله واعطاء سطوة
فاقت سطوة كل من سبقوه ، شبيهة بسطوة هارون الرشيد وعبد الملك
ابن مروان ، به يفخر العصر ويباهى ، حاز الادب وحسن الخلق والتواضع
والدين المتين ، ثم انه من ذرية الرسول عليه السلام وسلالة الملوك :

نصرو ربى يستاهل النصر * سيدى محمد لهما نور اعيانى
اعطاه الله سطرًا عطلت سطوات * دوك اللى فايئين فى لزمانى
كسطوت هارون الرشيد * ومالك بن مروانى
اعلى لصور اتباها عصرنا * واستفخر بذا لهما يافاهم لوزانى

حاز الادب وحسن لخلق * امع التواضع مايجب الانسانى
ثم الدين لمتين * زاد خاسر به الرحمان
ملك بن الملك ولد ملك * دار الملك يا فهم التبيانى
من ذريت عين لوجود * الشافع فالعصيانى
ويتوسل الى الله ان يصلح رايه بحرمة اسمه العظيم :

تصلح ريو يا كامل لسطا * حرمت اسمك لعظيم يا رحمان
ولادريس الزمورى قصيدة خلد بها حفل (I) وضمع الحجر الاساسى
لمدارس باب شمالة المعروفة بمدارس محمد الخامس ، يمدحه فيها بأنه نهض
بالعلم وانشأ المدارس وأقام المساجد ، فأتاح للشباب أن يتفقه فى الدين
والعربية واللفات وعلوم العصر :

يحيا يحيا ملك غربنا سيدى محمد الشريف الحسانى
كيف احيا لمدارس امها العلم وامساجد للدين

فى ايامو المبروكا لسلام العصريين اتفقوها فكل لديانى
حتى العجم وعرب اقراوهم دركوا جساء امتين

بوجود نعم الملك لمشرف واقف احريص ابقلب ذاتو يقظانى
اعلى لمساجد وامدارس للقرايا واشيات اخريين

من علوم التوحيد وعلوم مصريا واقرأوا القرآن

يتفقهوا في دين لسلام واقواعدو المثبتين

فحياتو المبروكا اتزادت امساجد وامدارس اللقرايا ببيان

واتجددو لمساجد اللي اقدام ببني في تحصيلين

وبعد استعراض مظاهر الاحتفال ، وصف وضع الحجر الاساسي لهذه

المدرسة التي ستكون فاتحة خير كثير ، دون ان ينسى اکتتاب سكان الرباط

لاقامتها وافتتاح الملك لهذا الاکتتاب بمبلغ مليون ونصف من الفرنكات :

من بعد هذا الخطبات وقف لهما حجت الساس فارح قلبو هاني

نزلها بلطافا في ساسها بالفتح المبين

تحقيق دا المدرسا افغربنا فيه خير اكثير للسلام بالبيان

أذن عنها ملك غربنا نجل الحسنين

هو الاول معدن الجود اتكرم من مالو الخاص دون الکتمانی

مليون ونصف مليون اهداء سيدي ولا تونين (1)

وامر هل الرباط كلها تغنم دالاجر ولفضل بالحصاني

لاين هذا هو الخير هذا ارباح السديين

وهو في مدحه للسلطان يذكر انتسابه للرسول الكريم ولسلالة ملوك

هو ياقوتتها المضيئة ، وهبه الله الحكمة والعقل ، وأحبه فغدا محبوبا عند

الشعب ، لم يتقدم مثله في المغرب سلطان :

بوجود هذا الملك ونعم ملك اصل الملوك نسب طه المداني

هذا ياقوتنا منهم اضوات ابنور مبين

هذا الملك اتله فيه اوضع حكمت واعطاه اعقل نور نوراني

هذا حاز الملك الشميخ والسعادة للمسلمين

هذا ملك محبوب عند ربي وعند العباد افلحضر والعرباني

هذا سلطان ماقات في غربنا مثلو بعقل افطين

وعند العيساوي الفلوس انه رمح في الحروب مهند يجدد ثوب العز ،

وأنة صاحب المجد ووارث العلوم من الاجداد ، وأنه أسد تسعد بصولته

(1) دون من باعطاء المبلغ .

العباد ، اختاره الله وجعل ثناءه مخلداً في القلوب ينقذ فيها حكمه ، وقد
سعد من جعله عماده وسنده ، فهو ينبوع الفضل والجود ، من لم ينظر الى
عرشه بعينه يظل بصره عليلاً وقلبه متجمداً يعاني من جراح لالتئمت :

العز بك تآك امجد

رمحك افلحروب امهند

واتناك افلقلوب امخلد

يا صاحب المجد

يا وارث لعلوم ولعنيا من جد الجد

يا ضرغم لحميا سعدت بك لعباد

واختارك لجليل الجيد

حكمك افلقلوب امنفد

يسعد امن اعليك امسند

ايولوج نكدو

يا ينبوع الجود وفضل شلا ما ينعد

من لاشاف افعرشك ياسيدي ابليتامد

بصرر ابلا اشكوك امرد

قلبو عمل لبدا متجلمد

لازال افلجراح ايكمد

ويراه قد فاز بالانتساب للنبي الكريم وحاز جميع المزايا والمفاخر
والامجاد ، ويدعو له الله أن يديم صولة نوره المحمدي الذي اضاء نجم
المغرب :

دام الله أيام صولت النور المحمدي ﷺ من به اضوا نجم غربنا سيدي محمد
حاز الفخر ومجد ولمزيا تجل المهتدي ﷺ سلطان المغرب نورنا سيدي محمد
ومن مدحه بعد هذا ماقاله مولاي احمد العلوي متغزلاً في جمال صورته
وعينه الشبيهتين بعيني الغزال :

نصر الله اجمال صورتك يانجلات الشاد ﷺ اتهليل الزين ولها سيدي
محمد

ويقول كذلك :

الله ينصر احسان اجمالك * ياذا الادب والطفاف يا نور اتمادي
ولعله كان متوقعا أن تكون وفيرة حصيلة القصائد التي مدح بها محمد
الخامس ، لما كان يتمتع به من شعبية نتيجة مساندته لكفاح الامة من اجل
التحرر ، وما عانى من جراء ذلك ، ولكن كثيرا من هذه القصائد ضاع بسبب
منع حكومة الحماية لشرديه المحفوظ منها وبسبب ائتلاف الشعراء لما دونوا ،
خوفا من عمليات التفتيش التي كانت تقوم بها سلطات هذه الحكومة فى
البيوت . وقد ذكر لنا بعض اشياخ فاس أن العيساوى الفلوس كان اكثر
الشعراء مدحا لمحمد الخامس ، ولكنه اضطر تحت ضغط مضايقات السلطة
والخوف من البحث والتفتيش الى دفن مجموعة كبيرة من قصائد هذا المدح
فى احدى المقابر .

حقا ان عهد الاستقلال أتاح للشاعر الشعبى ان ينطلق فى مدحه ،
ولكن اسراع الاحداث وتوالى المناسبات ورغبة أجهزة الاعلام ، والاذاعة
خاصة ، فى أن يواكب الشعر الشعبى هذه المناسبات وتلك الاحداث ، كل
ذلك جعل الناظمين - وهم قلة معدودة - يتكلفون مدحا يطفى عليه التقليد ،
خاليا من كل روح ، بل يبدو فى أغلبه وكأنه ليس غير مسخ وسنخ
لبعض قصائد الغزل او مديح النبى وآل البيت والاولياء . وهو احساس
نشعر به ونحن نستمع الى القصائد التى تذاع فى مدح الملك الحسن الثانى
كهااته التى يقول مولاي احمد العلوى فى حربتها :

الله ينصر سلطان حل لبها الحسن * راحت اعضاي روح الروح سود
لعيان

ومنها قصيدة لسلام الفاسى يقول فيها :

حيالك الله يالبدر السانى ياهلال نور اعيانى

ياالحسن الثانى بأرفع لاسم تاج المغرب سيدنا

ومنها كذلك قصيدة للشيخ عبد القادر مدحه فيها بمناسبة استعراض
الجيش ، يقول فى حربتها :

فرحوا بالخوان بالجيش الملكى اديالنا * قايدعم لكبير سيدنا مولاي الحسن

من له لجنود طايعين

وسمى قصيدة لها لاجلها سمى هذه حربتها :

تأييد الجيش أمام الشعب نور لنماد * تاج تيجان العصر اوسيد لبيادي
على اننا الى جانب هذا المدح الذي استعرضنا أهم نماذجه ، نجد
لولا «آخر من المدح» «جماعيا» اذا صححت هذه التسمية ، على حادها نصادف
عند الحسن بن شقرون في رجال الطريقة الفتحية (1) يمدحهم بأنهم نور
وشمع وخياء يضيئون وعلاج للعقل والروح ، من شرب خمرتهم ارتوى في
حضرة الرعمون ، تسميه كورسها ايدي محبيه ، وغدا متجليا في بساط
السلوان ، يسلك طريقا تغمره الافراح ، وجعله الله في مقام العز ومنحه
السر والفضل والفتح :

ناس الفتح القلوب نور واشعاع اضيا لعياني
واعلاج الروح ولعقل منهم امن اسقاه
باح ابخرت لحياب وارتوى افحضرت الرضواني
بكسواب اللي اتناول ببنان امن اهواه
فيه اتجلى يشراع في ابساط البسط السلواني
واسلك منهاج ابلفراح ايوا في من راه

ثانيا : الرثاء :

ويطلقون على قصائده تسمية «لعزو» او «لعزاء» ، وهو مثل المدح في
نظر الشعراء الشعبي ، لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة
للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانتشاد والترديد . ولولا ان بعض المعنيين
دونوا في كتاباتهم نماذج لهذا الفن لكان ضياعه كاملا .
ومن أقدم هذه النماذج قصيدة للحاج اعمارة في رثاء الشاعر عبدالله
ابن احمدين ، يبكيه فيها ويطلب من الشعر ان يبكي على أبيه كالمرأة
التكلى وينوح كالطائر الغريب في الليل وأن يسقى من دموعه جذور النخلة
التي كان يجلس في ظلها لينظم ، فلن يحلو له العيش بعد عبد الله ، ولن
يعرف كيف يتصرف في الشعر ويخرج من مأزقه :

(1) احدى فرق درقاوة مضمومة لشيخها فتح الله بناني الرباطي .

ابك اعلى اباك اشعري ابكا دشى امرا ثكلى

او نوح كينوح ورشان اغريب بوجدو فالليل

ابك اعلى اباك اشعري واسقى اجذور ذا النخلا

اللى اشحال (1) من شعر احداها رصعوا باك اكبيل (2)

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحلا

ونايلا امشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

وللحاج اعمارة كذلك قصيدة فى رثاء الشاعر **بوعمر** يتساءل فيها

عن شعره لم لاينطلق ، وعن دمه لم سال على الخد كالنهر ، وعن ذاته لم

ارتعدت ، وعن فكره لم تجمد وقلبه لم خفق وقد جرحته الهموم :

مال دمعى عن خدى واد * مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفا (3) * جرحتو الف غدا

مال عقلى يا ويحى باد * مال شعري ما يتسدا

وهو يتألم ويتأوه لفراق حبيب قلبه الفذ النبيل المنير الذى برز فى

الشدة والغناء فغدا لايعوض :

آه اعلىا يالعباد * من افراق احبيب الكباد

النبيل الفذ النشاد * سيد من غنى او اشدا

بوعمر المنير الوقاد * لحبيب الا ليه افدا

ومن أهم قصائد هذا الفن واشهرها **مرثية المغراوى فى المنصور**

السعدى (4) ، وهى كلها حديث عن فراق الاحبة والبكاء عليهم ، لم يتعرض

فيها تذكر شئ عن الرجل ، بل ليس فيها مايوحى بالموت غير حربتها التى

أخبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين (5) مايرجون به

كفتهم :

(1) اشحال بمعنى كم

(2) من قبل

(3) من فدفا بمعنى طار

(4) توفى سنة 1012 هـ .

(5) دامت دولة السعديين من 961 الى 1069 هـ .

عام شايب مات الذهبي اخيار لشراب * مابقى للسعديين باش ايرجحو
فقد رمى الفراق الشاعر بسهم غاصب من قوسه أصاب قلبه وزاد
فضربه بسيف ضربة هدت كيانه :

لفراق ارماني قوسو ابسهم غصاب * ماخطاني مكن قلبي او لوحو
بعد ما مكنتي جاني ابسيف غلاب * هذني واهزم ديواني وجيحو
ولم يكتف في الرمز لقوة الفراق بالقوس والسيف ، وانما جعله أميرا
يصول في حزم وشدة ، يقود جيشا ماكاد يصل حتى أطلق عليه سهام وتره
الشديد وضربه بالحسام ضربة قاتلة :

جاني مير لفراق صايل متعزم * واقصدني للفنا ابجيشو واعلامو
بوصولو لاحني ايلبساط امسهم * من وتر اشديد ماخطاني بسهامو
واضربني ضربت لمقاتل بسهامو

وهو من اجل هذا يحق له أن يسهر ويبكى بالليل والنهار ، وينوح
نواحا تتعجب له الغربان وتشيب :

ايحق لي نبكى للفرقا النهار والليل
* انقطعوا ساهر وانجدد اعلى اصباحي
وانكسر من دمع المهرق كالسيل

* اتعجب واتشيب الغربان امن النواحي
ويلومه الناس على البكاء فيطلب منهم أن يتركوه في حاله وقد بان
عنه احباؤه ، وغدا من وحشتهم كالطائر الذي قص جناحه بعيدا عن أهله
وطنه ووضع موثقا في قفص ، طأل فيه سجنه وكثرت محنه :
دعني يالايمي اعلى لفراق نبكى * غابوا عني احباب قلبي مابانوا
راني من وحشتهم في حالا نحكى * طير امقصص فارق اهلوطانو
في قفص اوثيق طال سجنو واعمحانو

وعنده أن في البكاء راحة للذي التهيت قروحه ، وأن الدموع تطفىء
ناره ، ولولا البكاء لذاب قلبه وضلوعه من لهيب الجمر المشتعل في مهجته ،
أما تنهده فتنهده له الشواهي وتنحطم الاشجار :

لبكا راحا للمقروح من الهيبيو * عندما يبكي تخمد بالدمع نارو
اشواهي لو بانو بالتهند ايريبو * وارياض الناعم يتحطموا اشجارو
مهجتي واضلوعى لولا لبكا ايدوبو * اعلى الهيبيو شاعل فالقلب من
اجمارو

ولكنه القضاء الذى جعل الفراق يعز عليه أن يرى روضا يانعا مزهرا
فأبيسه واحرقه :

لقضا فرقنا والبين عند ماصاب * روضنا متنعم حرقو وكلحو
وتلك هى الدنيا تدور دواليها ، ممتلئة وغارغة ، محزنة ومفرحة ،
جامعة ومفرقة ، مشغلة ومعطلة ، يكثر رزقها ويقل موقوتا ومحدودا ومقدرا
كما يشاء الله :

هكذا الدنيا كدولاب اتحول واتدور * دورها يملا ويفرغ فى كل حالا
تارا بالحزن وتارا بفرح واسرور * واجتماع وفرقا وشغال ولبطالا
وارزقها المضمون ابوقتوا يفور ويفور * كيف قدر بحكامو ربنا اتعالى
وللحاج محمد النجار هريثة فى الفقيه حمدون بن الحاج (1) يترحم
فيها عليه راجيا أن تظل البركة فى ابنه :

رحمت ربى اعلى لفقيه السى حمدون * والبركا فخليفتو عز اولادو
ويرى واجبا أن ترثيه فأس وغيرها من المدن وان ينوح عليه المحبون :
واجب ترثيه فأس واقراها وامدون * واكثير الحب فيه يقوى تفرادو
ويذكر أن الفقيه كان معروفا بطبعة الحلو وبالجود والحياء والعلم
والانشاد والاطلاع الواسع والتضلع فى الحديث وسنده ، وأنه ألف كتابا
يحيى النفوس فاق فى أسلوبه ابن زيدون ، لو رآه ابن عبدون لانبهر :

(1) هو ابو عبد الله حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج السليماني
المرداسي توفي سنة 1232 هـ . وقد ترجم له ولده ابو عبد الله محمد
الطالب بن الحاج فى كتاب «رياض الورد الى ما انتمى اليه هذا الجواهر الفرد»
وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 396 . أما قصيدة النجار
فى رثائه فواردة فى ديوان فى الثناء على ابن الحاج اسمه «روضة
النيلوفر ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التى هى اعطر من الادفر»
مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 383 D

غاب الشيخ الشهير بالطبع المسدود* والحدود امع لحيا وعلمو وانشادو
وانشأ حلا لشافها تنشط لبدون* واتحلى ابلحديث واسما باسنادو
يجهت لسوراه فى احياتو بن عبدون* سبحان اللى عطاء وارضاء وزادو
وارقى بالفاظ رايقا عن ابن زيدون* واعلى من باد فالحقيقا جتهادو
كذلك نجد للكندوز قصيدة فى رثاء المولى عبد الرحمن يرى واجبا فيها
عليه ان يرثيه بدمع لا ينقطع كالطر المتهاطل ، وأن يبقى طول عمره هائما
حزينا عليه ، ويرى واجبا عليه كذلك أن يبكيه كما يبكي الذى فارق حبيب
فغدا بيته خاويا مهجورا ، ولم يعد له من حبيب غير الخيال ، وأن يبكيه
بكاء الذى فقد أهله ضائعا فى السهول والجبال ، يبكي تارة وبتيه اخرى ،
وأن يبكيه بكاء العليل الذى فقد الصبر والعلاج ، يسهر مرة ويغيب ثانية
ويستيقظ تالثة :

أنا الواجب نرثى بدمعتى عن خدى طول الدوام كالودق الهاوى
ونا الواجب نبكى طول عمرى هايم نكدان
ونا الواجب نبكى مثل من فرق احبابو افلورى ابقى رسمو خاوى
باقى غير اخيال لحبيب وما وجدو عابان
ونا الواجب نبكى ابكا المفقود اعلى ناسو وتاه قربا واسهاوى
تسرا يبكى تسرا يتيه بين اجبال اوطيان
انا الواجب نبكى ابكا المعلوم الذى صبرو امضى ولاصاب امداوى
تسرا ساهد تسرا يغيب تسرا طرفو يقظان
فالمصاب جلى والرزء عظيم ، لذا فهو يعزى المسلمين فيه ، فقد كان
ينبوعا للحلم والعلم ، اديبا نبىلا راجح العقل ، يعرف كيف يجرح ويداوى
فدا فى كل شىء ، ليس فى اقطار الارض من يعوضه ، حجابا مسدلا على
رعيته ، كم رد عنها من اخطار وأطفا من نيران ، وكم انعم على رجال حكومته
وحاشيته ، وكم فدا من قوم فى لحظة الموت ، وكم رقى رجال العلم ونهض
بمجالسهم :

نفقد لهمام الا انصيب عوضو فقطار الارض كان يجرح ويداوى
أديب انبيل ارجيح افكل اشيا فد اوديان

كم من صهيدات (1) اطلقا اعلى الرعيا فالبجر ويرو لمهامه واعداوى
وابقت احجاب الستر اعلى الغرب واللفظ ولسان

اما لاطف من قوم افلحكوما بالخير ايفوز كل من حرمو ياوى
وما من قوم اقدا افساعت الموت افكل اوطان

وما رقى من قوم افلمجالس دا العلم الا ايحد سامع والداوى
واحيات امجالس العلم بين اكبول وشبان
وموت السلطان لم يترك اثره فى نفوس الرعية فقط ، وانما تركه فى
خيول الركب التى غدت كالايتم مكوية بلظا جمر الفراق ، وفى المظل (2)
الذى عاد ينوح من اليتم والهجر بعد ان كانت أيامه هناء وسلوانا ، وفى
البنود والاعلام ، ونفوس الجنود الابطال الذين كانوا يسيرون خلفه لابسين
افخر الثياب كأنهم عرسان :

خلى خيل الكاد اكم ليتام هداك الدايروم كالليث الكاوى
بلظا جمرت لفراق ماقوا افراق السلطان
خلى لمضل اينوح عن افراق بلسان الحال صاب شلا ماناوى
عاد اميتم مهجور بعد لهنا والسلوان
خلى لمزارك ولعلوم والرايات ولبطال كليها بندو طاوى

كانوا فخلاف المير ليخرجو امثل العرسان
وترك الموت أثره كذلك فى نفوس جوارى القصر النائحات وعبيد الدار
التائهين وفى العلماء والقواد والوزراء ، وغدا المشور خاليا والاطيار نائحة
على الاغصان ، وسكت صوت المغنيات اللائى كن يسرن خلسف السلطان
منطلقة اهازيجهن وزغاريدهن كابرعد :

خلى لجواد اعلى افراكو ✽ ترثى اكما ارثيت انا عل لفراق
واعبيد الدار ابقاوا تايهين امع كل اطريق كليها عقلو كاوى
ويتولوا فالغاهسم سيدنا غمتو لكفان

(1) ج صهيد بمعنى الحر .

(2) يعتبر المظل من أهم مظاهر الموكب السلطاني .

والطلباء والقياد واتباعها داك الدا اينوح بالسمع القاوى
والوزرا فالغاهم كيقلو كنو ما كان
والمشور فاضى عاد بعد توكت سيدى بن لبطل فات العلقاوى
واطيار عل لغصان كينوحو جهر وكتمان
خلى لعياد اصواتهم خجلو ابعدا اصوات لكوان مافيهم داوى
كانوا خلف السلطان كن رعد اقمدا حيان
وبلغ اثر الموت حدا ادرك خف السلطان وحذاءه اللذين باتا يشكوان
الهجر والاهمال :

وابقايات امحائى اتماكو * مهجور ما يوالم لطلوعو سناك
والشربيل الباهى امساكو * مهمول عاد كيدرك (1) تدراك
والشاعر يتمنى لو استطاع ان يفديه بروحه ، ولكن عمره انتهى
ولامناص لا قربائه ومحبيه من الصبر :

واسكن نعم السلطان قبرو * لوكان ابلقدا برفقتي نقديه
لكن انتهى حد عمرو * الصبر واجب على الذى داني ليه
تلك حال الدنيا الغرور ، اين هم الاقوام الماضون ، اين كسرى والظاهر
والرشيد والقوم الشجعان؟ كلهم ذهبوا ولم يبق الا الله سبحانه ، خالق
العباد وقاهرهم بلموت واحاكم عليهم بالقهر :

هاذى هي الدنيا الغارا وين القوم اللى امضوا وين الكسراوى
وين الظاهر وين الرشيد وين القوم الشجعان
ولا دامت الا المن انشاها من قبل الا ايكون العامر والخاوى
سبحانوا جل اجليل ربنا سبحانوا سبحان

سبحان امن اخلقنا وبالموت اقهرنا بعد لحيات الجليل القوى
واحكم بالقهرا اعلى اعبادو نعم المنان
وربما كان من جميل الرثاء واصدقه ماتجى به ذكرى بعض العظماء
على حد مانجد عند الفلوس فى قصيدة عن «مقتل الحسين» يقول فى حربتها
بالحضرا سمعوا وفات نور لنوار ولد فطيم الزهرا سيدنا الحسين

(1) يختبى ويختفى *

وهي استعراض للاحداث الاسلامية منذ وفاة الرسول عليه السلام حتى حادثة كربلاء ، يختتمه بعروبي يعتكى شكوى كان آل الحسين قد تضرعوا بها عند قبر جدهم :

مهما دخلوا ضريح لحبيب المهتاد * قالوا يا جدنا الهادي محمد
لوريت شين صار بنا دون افناد * في كربلا امع اجيوش الا تنجد
قتلوا لنصار ولصحاب امع لولاد * وابن هاشم كلها يامحمد
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد * واحنا فالثوم ولعطش يامحمد
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد * تركو لشباح افلوطا يامحمد
سفكوا دم تشراف واعصاوا الاحد * سبوا على المرتضى يامحمد
لوريت شين كان دار ابن زياد * هو واهلو وشيعنتو يامحمد
طعن الحسين كل من كان اقلجناد * ولا رحموا اطفالنا يامحمد
قطعوا راسو ولا اختاوا امن الجواد * داسو بالخيول مهجتو يامحمد
كشفو الحريم دوك لعدا والحساد * ربعدها اسباونا يامحمد
داروا لنا احبال واغلال ولكياد * ماشفقوا من احوالنا يامحمد
وجهناهم للقوى يامحمد

ونجد كذلك عند محمد حسن التطواني قصيدة في ذكرى المنظري مؤسس مدينة تطوان ، وكانت قد احتيتها جمعية «عباد الرحمان» ، يقول في أول أقسامها :

نشأت هذا الذكرى السعيدا * السيد المنظري امجدد تطوان
قامت لخبيا جادا وكيدا * فيام سيدنا مولاي الحسان
نادات ابدا الحفلا الرشيدا * واعلى راسها عباد الرحمان
وهو يغتنم فرصة اقامة هذه الذكرى ليقترح تكوين ثلاث لجان ،
الاولى لترميم ضريح المؤسس ، والثانية لجمع المال ، والثالثة للعناية
بالتاريخ يرأسها السيد التهامي الوزاني (1) :

لاتخيبننا يا كريم افهذا المشروع لعظيم بجاه سيد اعجام وعربان
اوقفنا لجمع كل خير * وبأرك فالجميع اتخص اللجاني

(1) احد علماء تطوان الافاضل ، ويشغل فيها حاليا منصب عميد كلية أصول الدين التابعة للقرويين ، وهو مؤلف «الزاوية» .

لجنة الترميم للضريح عنها بالتوفيق لاغنى يترجم ينصان
نصحواوا بالضريح نفتخر * فرحا لهل البلاد ببلوغ الامانى
ولجنة جميع المال عنها بالتأييد ولعنيا سمرا واعلان
ولجنة التاريخ ننذكر * ابغوة سيدنا التهامي الوزاني
ومثل هذه وتلك القصائد التي تحيي بها ذكرى محمد الخامس ممثلة
في «ثورة الملك والشعب (1)» ولعل أحدث ما نظم فيها قصيدة للحاج محمد
العوفير يقول في حريتها :

أمن اعظمها ذكرا يامن اتسال تاريخ امخلد
ثورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار انقاه
لكن المولى جاد اعليه ايسدو واكرم مثواه

ثالثا : الهجاء :

ويطلقون عليه «لهجو» و «الشحط» او (الدق) عند اشياخ مراكش ،
وكلاهما بمعنى الضرب . وهو اكثر انتشارا من المدح والرثاء ، بل هو من
اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الرجال المغربي وجذبت المنشد
والجمهور ، لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية الشاعر عليه ،
ولما يترك في نفس الجمهور من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة
والصراع والخصام في أقوى وأحد مظاهرها ، وهي مظاهر غالبا ما يكون
سببها السجال الفتي الصرغ بعيدا عن النزاعات الشخصية ، وان كانت
لاتخلو منها في بعض الاحيان .

واذا كان الهجاء يأتي في قصائد كاملة غرضا مستقلا قائم الذات ،
فانه يأتي غرضا كذلك ، اذ لا تكاد نجد قصيدة مهما كان موضوعها لم تختتم
بأبيات هجائية ، على حد ما سبق ان بينا لدى الحديث عن بناء القصيدة (2)
وتعرف قصائد الهجاء باسماء مثل «الدعى» اى الذى يدعى ما ليس فيه
و «المطموس» اى البليد ، و «الديب» و «الرامى» و «المهراز» اى المدفع و
(1) الواقعة في العشرين من اغسطس وهو اليوم الذي نفى فيه الى جزيرة
كورسيكا مع أسرته عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة والى
(2) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب «الشكل»

«البوغاز» و «القرصان» أى السفينة الحربية ، وهى كلها أسماء تدل على أن الشاعر الشعبي كان يستوحى هجاءه من المعارك الحربية والبحرية خاصة . ويلحق بالهجاء الفخر وما يتصل به من محاولة تعجيز الخصم فى قصائد أطلقوا عليها «السولان» أى السؤال ، وهى عبارة عن احاجى والغاز يعرضها الشاعر على خصمه يطلب منه فى تحد ان يحلها

كذلك تلحق بهذا الفن قصائد تعرف بـ «الخصام» او «المحاورة» ، وهى قصائد مفاخرات ومنافرات على نحو «المدنية والعربية» او «الشابسة والعجوزة» او «الخادم والحر» او «الزمنية والعصرية» .

ومن أدوع الهجاء قصيدة «صارم الطعن» حيث يتعرض الشاوى لخصومه (1) ، يراهم مجرد حنالات ، يصيحون كالذئاب العاوية ، يلقون بأنفسهم فى المخاطر وهم دون مستوى مواجهته ، ويشبههم باليومرة التى تصطنع القوة والبراز ، وبالدجاجة التى تشد الباز من جناحه :

ريث موكا خرجت متصنعا المكفاح * والدجاجة شدت فالباز امن اجناحو
ظهرت ادياب الغابا عرسو اقلبطح * ولحتايل بعد الكلبا اليوم صاحوا
ولكن انى لهم الهرب وقد وقعوا فى قبضة الباز ، كبلهم بسلسلة
مهندة غدوا يرزحون فى قيودها ، وسيفترسهم كالاسد ويشركهم مجرد
شظايا :

لين تهرب قوم الضبعا اوشاق لمراح

* صادهم باز اغنمهم تحت من ارياحو

لهم اصنعت سلسلا من شغل الهند

* من عشر ادروع مالكيه معدودا

بكعوب امن النحاس واخراس اعلى الوجد

* واميا فيها من لعنانق موجودا

دالهادا يتجبد فالغلال واحديد

* بين حرص لكعوب اعدابها اتزادا

طاح فيهم ضرغم لوحوش فارس البير

* اتركم اشظايا مهما ارقى ونادا

(1) الاممف انا لم توفق للتعرف الى اسمائهم .

وهم عمى ومدعون ومن أخط المستويات واقبعتها ، ولكن الأيام سلطته
عليهم لأصلت فيهم سيفة ، وهم يعرفون انهم متى وقعوا في قبضته فلن
يطلق سراحهم :

امن الزبالا للطيفور (1) او مجرا اتبالا

✽ ماشفوا القوم العميا ابشيين فعلوا

سلطتني ليام اعلى اقباح لقباح

✽ كل داعي بالزور ابصرمى انجرحو

كلهم ايعرفوا خبرى افكل مسركاح

✽ امن احصل قيدي عمرو لالقي اسراحو

ومهما بكوا بالدم وناحوا بالليل والنهار فانهم لن يرتاحوا ولن يخرجوا

من سجنه الا بالموت :

اسناسملى عنهم مطبوخا افليل وصباح ✽ كل واحد يبكى ويقول يا جياحو

ما يخرجو سجنى حتى اتغيب لرواح ✽ لو ابكوا دموع امن الدم لارتاحوا

وعنده انه خير للجاهل بالشعر والعاجز عن خوض المعارك ان يعذر

نفسه ويترك الامر لاهله والا يحاول رفع رأسه ، فان المظلوم لا يقدر ابدا

على معاندة غالبه :

من لا يدري الغا او لا يقوى لحروب

✽ يعذر راسوا ولا يخرج امن اترابو

يخمد خمد الدياب بين اوطا واشعوب

✽ وينارق فاللقا اسبادو وانجابو

واش المظلوم كايعانده غلابو

(1) الزبالة المزيلة والطيفور يقصد به شيئان متتاربان ، ففي لهجة اصل
الشمال يعنى مائدة الأكل ، وفي غيرها يعنى مائدة صغيرة مقعرة
يحمل بداخلها صحون الأكل أو الحلوى أو التمر والحناء أو غيرها .
وغالبا ماتستعمل فى المناسبات والولائم الكبيرة . وقد استبدلت
فى معظم الاوساط بالصوانى الفضية . وفى كلا المعنيين يدل التعبير
على الانتقال من المزيلة الى الموائد التى تعرض أمام الضيوف ، وهو
يليد الانتقال السريع من مستوى وضيع الى مستوى عال رفيع دون
استحقاق . وقد سار كالمثل يضرب فى هذا الباب .

ويزمخ الهجو بالفخر فى أسلوب غير مباشر ، فيرسم صورة مثالية لاشك أنه يقصد بها نفسه ، يبدو فيها دائم السهر من اجل التحصيل والغوص على المعانى والافكار الزاخرة ، يبحث جهد الامكان لارضاء غيره واسكات طنين المتفرعين ، يتجنب الجهلة وأصحاب الضغائن والاحقاد ، ويرافق أهل الفائدة ويجالس العلماء ويصاحب العقلاء يضيئون له الطريق، له اشياخ فى كل مكان يطيعهم ويروى عنهم ، وهو بعد هذا يتقلد السيف ويركب السفن معلنا عن استعدادة لخوض الحرب ، وقد ساوت قوة ذراعه قوة اللسان ، أما خصمه فعلى عكس هذه الصورة ، كما يبدو من استيفاماته الانكارية :

آش را من لابات امساهر الجفن * والفكرا جايلآ اغزآخر لمعانى
بالمفاتنا * باش ايسود اعلى لوشا فزمانو
آش رامن لايحت افجهد مامكن * واعمل مايترضى القاصى والدانى
والفراعنا * يقطع زيار عيظها بورانو
آش را من لالهل الطايلا اركن * واترك فازوايت لهمل هل الضغاني
والمراكنا * واعمل هل لعلوم من رفقانو
آش را من لاليه اشياخ افلوطن * واروى منها كما اروينا يعلانى
من اشياخنا * اقليل الطاعا امزدرى شانو
آش را من لاجرد صارم الطعن * ويركب امقون لجروب وايعيطدانى
ها حنا هنا * ويكون ادراعو ابحال السانو

ولا يكتفى بهذا بل يزيد فيصف خصمه فى أسلوب مباشر ويشبهه بالنخاعة الملقاة على الارض تدوسها الارجل فى مقت ، بلغت به الخيبة والفشل أن بلل جلد دفه بعد تسخينه ، وتقلد للطعان عصى طنبا رمحا ، وتدرع بالجلد ليقيه ، كل همه مصروف للء بطنه ، لايفتر لسانه عن الشتم والكذب ، لايصول مع غير المغتابين المدخنين ويتملق الحنالات :

كتنهخما فالطين * معفوسا بالرجلين * والمقت اعليها باين
فذك جلد اكوالو بعد ما اسخن * فلد كلخا وظنبا رمح اثمانسى
للمطاعنا * واعمل جلد ابني القيط اعوانو

همته مصروفها فعمارت لبطن * والسانو بالشتيم يصنع وايباني
به ماهنا * واصوابو لعديم زاد امهانو
صولتو عند اصحاب الناب والدخن * يلحس لعماش للحتايل بالعاني
كان شافند * يكشر ويعرى اعلى تيبانو
ابلكذوب اقلبو طاوى اعلى لخون * نكن مهما ايتوك حر البيزاني
بالعائنا * يتلف فرك اليوم عن جتجانو

فهو من قوم الخداع والشيطنة والكبر ، مثلهم مثل الخنافس تسكن
الخرائب وتتعلق بالاولانى البالية ، وقد حنت قفاها وهى تدب يدوسها
الناس ، او مثل الذباب يتجمع على جلد لبن فاسد مطروح :

هل لخدع واتشيلين * وانقضا واتعرين * لهم اموجد تمولى
زيهم زى اخنافس بعضها اسكن * فالخرب ابعضها ادرج بين اوانى
باليا احنا * نلتفيس اقفاء من دبانو
از دبان اعلى شكوا من الرغن * بات البنها وظل من ليهاءانى
عافها اغنا * عنها وارماها اعلى عديانو

ويحاول أن يستنتج من الموقف بعض الحكم فيرى فى ايجاء بالمقارنة
بينه وبين خصمه ، ان الزردخان لايسج فى الاماكن العفنة وان نبات
الحنفة لايتسبه الحريو الرقيق ، وأن من عمى عنرت رجله فى قب برنسه :
ماتسج الزردخان فامنازل لعفن * والحلفا ما شبعت لحرير الفانى
من اعمات ايامو قالوا هل لوزان * تعثر رجلو اققب سلهامو هانى
جيت لاغنا * لبطل للكهان سحر اكهانو

ويروى ابن حمدوش فى قصيدة هجائية يخاطب بها ادريس لحنس
أن كل من حق بابه واستقره لابد وأن يجيبه ويرد عليه ، وأن كل من آلمه
ضمرسه يصرخ ففله ، وأن مايقدمه الانسان من خير وشر ليس غير سلفة
لابد وأن يرد ، وأن لكل قول جوابا :

من حق الباب * مايلو غير اجوابو * غر به من جابو
من ضراتو الضرسا جا الكلاب (1) * قالت لعراب
الخير والشر اسلوفا كل قول بجوابو

(1) آلة قلع الاسنان .

ويرى محمد الزلايجي ان قول «الدعي» باطل ، وأن سجيته لاتساوى
بصلة ، وأنه بالجهل يصلئ نار الجمر ، وأن سور الدعوى لا أساس له ،
وأنه لا بد أن يهزم جند الجهاد ، مهمة كثروا ومهما حاولوا الفرار :

قول الداعي بطل * * * يهزم جند الجهاد اجمعهم لو طالوا
لو يهرب لئى عرض او طول * * * من صادفتو مبطل
وما سجيتو ماتسوا بصلا * * * بالجهل فوق الجمر اصلا
سور الدعوى مالىو الساس ضايغ قالوا

صح عنى خذ المعقول

مروى عن هل لعقول

وهو لا يعبا بادعائه وانما يتقن مقاله ليصيب به المقل وينقل كاهل
الجاحدين :

ما يشوشنى قولت قال * * * اولاً نعبا بوجوه لمغالى * * * امطرز امقالى
زنسجار افلمقالى * * * والجاحدين لفظى عنهم ثقلا
ويهزمه دون قتال ويرغمه على الرضى بالقهر والغلب ويقطعه اربا :
يهزم الداعي دون اتصال * * * حتى يرضى بالقهرا عن افصالى
وانفصلوا فصالى

وهو لا يهزم الارذال مادام سورده عاليا ، وكل من حفر حفرة لا بد وأن
يقع فيها :

ما يهمنى شئ لردال

سورى سور عالى

والحافر كايوقع افما احفر فمدالو

أما عباس بن بوسنة فسور دعيه منهمد وشمله مشنت :

سور الداعي مهدم وشملوا مشنت * * * راب سور الداعي واتشمتت الشمل

كلما اشتعلت نار الحرب أصابه شرارها بسبب سوء أعماله :

كل ساعا تيران الحرب تنشعل

اعلى الداعي تزند من قبح افعالو خاب فاعلو

سعيه يخيب وغزله ينحل ، وقد بعث الله له من يجزيه عن افعاله :

خاب سعى الداعى واتحل ماغزل

عن فعلو جاب ربنا من جزالو يوم دازلو

وقع بين اوقايح الزلزلا

وأما محمد بن عمر الكفيف فقد فاز برضى الشعراء ، وغدا لذلك

شجاعا بارعا وعودا فى عين «الدعى» الوغد اللثيم :

أنا زنجار فى اعيون امن ادعا * قل لليم الوغد الداعى

برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

وقد كثر الاشياخ التأفهون الذين لا يبعث كلامهم على غير المقت والمثل

يحطون به من شأن الفن ، ولو سكتوا لكان خيرا لهم :

كثروا فرمانا اشياخ الربعا * اكلامهم ايقوى تصداعى

مهما نصغاه كائمتو وانمل افساعا

والهوتلا امبخسين السلعا * اعلى الغاهم اصمكت اسماعى

لو سكتوا خير مايقولوا معنى مبشاعا

ولم يعد فى هذه الصنعة مايليق بعد ان نزل الميزان ، والسبب هؤلاء

البغال الذين فضحوا سوق الشعر فى كل مكان دون حفظ أو رواية او طبع :

مباقى مايليق فى ذا الصنعا * اكلام بالميزان الكراعى

...

فضحوا سوق اللغا ابغال المرتعا * اشحال منهم املاو ابقاعى

ماحفظوا ما رواوا مايطعوههم طباعا

ومثل هذا نجد عند مولاي احمد بن عبد السلام العلوى فى القصائد

التي كان يهجو بها خصومه (1) ، منها قوله :

بالداخل بحر المعنى ابغير تيجال

صغ طرز ايمانى وردات افلخجالى

وقوله :

لاتقى لاشراراك * يالداعى سيف السانى اطوال

واكشفت اسراراك * بالمواهب رمحى شظاك

(1) ذكر لنا أنه هجا كثيرا من الاشياخ وخاصة الغالى الدمناى .

وقوله كذلك :

نداك احصولك * يالداعي مالك منو اسلاك
قطعت احبولك * افلعضا نارك تكبت لك

وهن التهجاء المتبادل مانجده بين ابن على وتلميذه ابن سليمان . ففي
«ليل النزه» يخاطب ابن سليمان خصمه بخبره في تحد ان بساطه في
قلعة غطاءها وافرأشها خير ولكن لا تغطاها غير اقدامه ، فهي نقمة على كل وغد
قبيح لا يستطيع الاقتراب من العساكر التي تحميها والرقباء :
ابساطنا في قلعا ماتوطاها اقدام

الا اقدامنا توطاها * صعب اجبالها ووطاها * الخير افرأشها وغطاها
نقما الكمل داسر * فيها حاصر * ابلساكر مادام احياتو
ما يتعدى شئ احدىها من دون الرقبان
وقد داسر بقدمه على قفا الظالم العاجز الذي غدا كالبرومة يخمد صوتها
كلما صرصر الباز الحر :

رجلى اعلى اقفات الظالم * من لا يكون فارس ناجم * رانى اعلى لحروب
املازم

آش اداء لسقارا * يوم القارا * ابقى اعبارا * موهون افداتو
يخمد فرخ البوم كان صرصر حر البيزان
ويستغرب لجدول الماء يعاند بحر الطوفان ، وللضفادع تشرك المستنقعات
وتخرج للصحرأ تقصد غار الشعبان ، ولاهل الوقت يرفعون شأن الكلاب
الناحية مثلهم ويحملون الاسود :

كيف اجرا للساقيا اتعاند بحر الطوفان

...

او الله ربست الجران كيتعدا مرجاتو

اخرج للصحرأ ابغى ابروم الغار الشعبان

...

اهل هذا الوقت لقباح مثل الطاروس ابنيحاتو

رفعوا له اتجاه والسبع ماداروه افشان

ويرد عليه ابن علي في «الديب» يذكره بفضله وجميله عليه ، ويكنى
عن ذلك بقصة يعنى فيها أنه خرج ليصطاد غزالا اذا به يصطاد ذئبا ،
فأحذنه لداره وعطف عليه في حنو واشفاق واطلقه في روض الازهار وأطعمه
وسماه ولحقه لم يرض بالنعم الطيبة الحلال التي قدمها له وظلمت نفسه تتوق
لجيفة يدهمها في خربة ، فلم يلبث ان هرب من الدار :

وأخرجت أنبرى (1) اغناحيات الصيد غرضى انصيده اغزال
حيحت لصيادا برنى يصطاد ما يجيب الوجبا * ما جاب غير ديب وشديتو
المسمى أدينو فالروح أرتيت له بعد الغلبا * حنيت لو واشفقت التمرينو
في روض ازهارى انلت هذا الديدب اشتيق الميوث واشسبال
وجبتلو لحم الفاني نحساب في امكاني * يرضى بانعايمي اطعمتوا واسقيتو
وترنى دخري ما ارضا بانعايسم واللى احلال توكمال
ما كن عيشتو غير الجيفا كان سابها * في خربا خلى لك المقلى في زيتو
اهرب من وكري واش وكري بانى للديب بالعقال
ولكنه له بالمرصاد يبحث عنه ، وقد وضع له مصائد كثيرة لن يستطيع
الافلات منها مهما حاول الجرى والحيل والفرار ، والويل له ان وقع فى
تبطشته ، فهو يمشره بحرب لن يقوى على خوضها :
وانبشروا بحرب الا يقوى له فى اموهو يغيا * واشفايت الدياب افتشتيتو
تعرفنى نبرى جرئو ويلا جيتو له لهوال
اشحال امن امصايد عندى فامخابعى وامن خنبا * للديب ويل بوه ايلا
جيتو

آش جهدو يجرى ينتطع جهدو واتبور اعليه لحيال
لم يعترف بالجميل ولم يعرف أن احسانه اليه هو الذى سيحكم
ويتصرف ويأتى به فى الحال ، اذ ذلك سيسجنه ويقيده الى أن يموت :
ما يعرف خيرى فيه يحكم وايجبو لى الزمان والحال
واندير له سماجور الهند بسلسلا اتقلها كورا * حتى اسوت فالسجن ابغيتو

(1) مضارع برا بمعنى بحث .

ويستأنف ابن سليمان هجاء لابن علي فيوجه له «قرصانا» يقول في
حربته :

هكذا قول للداعي ايدير قرصان ويخرج * كيف من سافر بين امواج
واغنى وانجا

ويرد عليه ابن علي في «قرصان» آخر يغلب عليه الفخر هذه حربته :

حجب القرصان السبع لمثاني

من عين كل معيان اذا يفها ابحسن اجمال القرصان
ونقف وقفة قصيرة مع ابن علي في قرصانه الذي خاض به غمار
البحور عارفا بالخارطة والبوصلة ومختلف الرياح والكواكب فاهما منتبها ،
ميزانه النظر الذي لايمثله ميزان :

راكب فوق اللجات قرصاني

فابحور لعاني صاب الواري وجال فوق الجوج الطوفان
ونا مدوب وقابض ادماني (1)

ندري انكارطا وامعلم فالبوصلا او حافظها على لتقان
وارياح اتميز ليس تخفاني

وكذلك لكواكب ندرها مانشوف اتراكم لمزان
ابقسطاسي وادماني وديواني

واعلى كل ربح انساقر ماني اغشيم (2) دهرى حاضى لوزان
عايق فايق بالشوف ميزاني

قالوا هل اللغا فالغاهم ولا ابحال شوف العارف ميزان
فقد اطلق قلاعه وقصد عمدا بلاد العجم والديلم والعراق واليمن ،
وجال في البحور السبعة ، وغاص بحثا عن المرجان والياقوت في مختلف
ألوانه :

نهضو لقلوع وجلت بالعاني (3)
لبلاد العجم والديلم واكدالك لعراق وبلد اليمان

(1) المقود .
(2) الغشيم : قليل التجربة .
(3) عمدا .

والسمع ابجور ادخلهم عانى
ندري احسابهم وامخير باللى ايزيد واللى فيه النقصان
جوال عل الوجبات فازمانى
غواص بين لجات لبحر اصاح صنعتى نصاد المرجان
والياقوت الوهاج يرضانى
من كل لون عدت انصيف لبيض والزرق وكذلك اليرقان
واللون الرابع شابه القانى
هذا مناصف اخلاكى وقت مانصيف لك اصدور الغيان
لم يشاهد أحد مثل ماشاهد وهو يبحث فى أعماق البحار عن الجواهر
والعقيان والدر واللؤلؤ واللجين والزمرد والزبرجد والعقيق والحجر
اليمانى ، وقد اجتمعت له فى خزائنه من هذه الكنوز درر مسلوكة فى خيوط
من الذهب ، كما اجتمعت له ألوان من الاقمشة والحلل والحلى * ثم عاد
الى شاطئه بلاده فدوت طلقات المدافع يتجاوب صداها فى كل أركان الفضاء:
من لاشاف اكما شفت باعيانى
بين اللجوج غير انبرى برجحتى اعلى الجواهر والعقيان
والدر امع اللؤلؤ شهانى
واللجين والزمرد والزبرداج والعقيق وحجر اليمان
واللى يشبه هادوا فتبيانى
فاخزائنى امد خر من كل ادرار ناصح فاسلوك الذهبان
من كل انواع اوسقت حجانى
اوسقت امن اقماش الهندى اوما يماثل فانواع الحجان
كسملت البهر ابلاد عشرانى
بامدفع شلا ماجوبت او جاوبو انفاضى من كل اركان
وما أن وصل الى الشاطئ حتى رفع السنجق ولف القلاع ومد الحبال
فجاء التجار للقائه وجاء آخرون لا يعرفونه يسألون عن المرسى التى قدم
منها ، وتم البيع والشراء ، وعاد الى مكانه وقد ناداه وقت الفرح والسرور :
وارفعت السنجق بعد جولانى
اتقيت لقلاع واجيدت احبال مركبى واقلعت النيشان

جات اجمعين التجار تلقائي

والخيرين عاد سمعوني جاو ايسمولوا شمن مرسى اخرج فلان

بأعوا واشيروا اورجحت لمكاني

واللى ايريد حاجا خلصها (I) من اخزايينو بلغها ثمان

هذا وقت الفرجات ناداني

بالعز ولهننا والسطوا والفرج ولنا واسرور وسلوان

هذا قرصان الا ايلو ثاني

فالبحر المحيط اخبارو عند الدهات من يدريو القرصان

ومثل هذه المساجلات الهجائية ما تبادلها ابن ريسون والغرابلي ،

يبدأها الأول فيوجه لخصمه «الرامي» بعد ان اتقن الرماية وحضر سلاحه

مزودا بالبارود والرصاص وخرج للصيد متنوسلا بالمولى ادريس يدعو

الناس للتفرج :

جال عقلى فى ترميت بازرياسا واتمزع * ساكنى منها فى تهايجو

زايد درجا

درت شيخى مفتاح الغرب صاحب الطبع لبيح * عبت الواخد عن منهاجو

فى ذا البهجا

درت رنا مقيو ماياها امن ازناد امزبرج * فى ايمينى واللى لحتاجو

من مانرجا

درت بارود امشعر صنعت ايفادا وسنطرج * ابلحساب وتعبير اصناجو

عقلى صنجا

درت مايكفيه امن ارمصاص فى اوجه لعدا يخرج * لوخرجت الميدان اهراجو

تكشى خرجا

مكننا قول السن ابخى بالرميا يتفرج * شارتو يسقطها فابراجو

حاضى مرجسا

لقد شمر عن ساعده وخرج للصيد ، فويح للغراب ان صادفه فى الجو

فسيصيه بما لن يعالج منه ، وهو غراب اسود القلب والريش ، دعا عليه

(1) دفع ثمنها .

لمن ادريس فلا يستطيع الاقتراب من أسوار البرج ، وان حاول فانه سيقع :
عن اطرافى سموت اخرجت للصيد سترج * عل لبدا نرعى من راجو
كنتبجا

ريح نغراب النلى فالجوج صار ريشو سمار امدج * لادوا لا راقى لعلاجو
طير الخلجا

فيه دعوت مولاي ادريس مايروم السور البر * غالس القلب امثيل ازباجو
وعند لفجا

طاح افلقتال المذكور الذى شاتو يوهج * صيدو من عنقو بافلاجو
فسالچ فلجا

ويرد عليه الغرابلى فى «بوغاز» انشاءً يحول دون خروج القرصان (I)
وقد اختار لانشائه بقعة على الشاطئ بين التلال والفجوات ، وأقام مرسى
بنى أسوارها من الحجر المنجور ، تحيط بها البساتين ، وأبوابها ثمانية
ليست عند عجم أو خزرج ، وحول الاسوار أطلق الاسود والاشبال والنمور
التي ستفتك بأظافرها فى المعاندين :

درت بوغازى للقرصان وقت مايزعم يخرج * تلتقاء نفاض امن ابراجو
يصدق وهجا

اخترت بقعا على حرف اليم بين اشوامخ والفج * خلق مانع بفرائن عاجو
ليس اتنفجا

انشيت مرسى وابنيت الساسها ببيان المحدث * للصعود اترقات ادراجو
عل وتنججا

من لحجر المنجور اسوار فاقت المرمر لبلج * واشرازم كدور افتاجو
ترمى وهجا

وليساتن عن ربع اركان وانفاض الكمن برج * درت خلف السور وتبهاجو
دور افبهاجا

1) يبدو أن «بوغاز» الغرابلى رد على «قرصان» لابن ريسون وليس على
«الرامى» ولكننا لم نعر له على قرصان .

دوت بيان الاعى افسر لعجام وخزرج * كل باب افتقويم ارتاجو

خزنت خوجا

واحفير اعلى السور ودور ولسود اعلى المنهج * ولشبال افرادو وازواجو

سكنت ولجا

والنمور فقلوب هل لعناد بامظافر تبعج * من القاوه لتقاوه اسماجو

قطع المرجا

ويجيب ابن ريسون على خصمه فى «المهراز» الذى اقامه فى مواجهة

البوغاز ، مرفوعا على سور متيع من الحديد ، يصعد له بألف درج ،

لتنطلق منه على البوغاز قدائف ثقيلة تنسفه وتزعج قلب الجاحد وتنزل
كالصواعق عليه :

فى اعراض البوغاز انشيت سور مرصود اعلى اللج

طالع من لحديد ادراجو

ألف درجا

سور مهرازي سور امنيع سام فالبحر امزبرج

ضن واجزم من راد احراجو

تركو نهجا

قابل البوغاز المخدوع بلعمير يتفرج

من البومب (I) ايضاى لرتاجو

حتى يفجا

كل بومبا فيها قنطار لجعيد اتزعج

صاعقا تنزلوا فامهاجو

وقت الخرجا

ولكن الغرابلى يرى أن خصمه بليد جاحد جاهل ، أتلفه الشيطان ،

فغدا عاجزا عن التفكير والانتاج ، ووقع من أعلى الجبل على حجر صلد
فتكسر :

(1) القنابل والقذائف والكلمة من الدخيل الفرنسى .

ریت قلب الداعی مطموس غلف ابتجاده اسمج

* عایم افجهلو من تسماجو

حلکو ربجا

تلفو شیطانو واحکم اعلیه عمرو ماینتج

* لوحو بین احیاف احداجو

یبهیم ادجا

طاح من جرف اعلی منداف فوق من صلده امزدج

صادف اهراسو من تزداجو

وادلج دلجا

واذا کان یظن انه بالمہراز سینسف نه البوغاز فهو مخطیء اذ قد صنع

له «غطاسا» یغوص کالسّمک فی البحر ، زوده بالمذافع والقذائف والمناشیر ،

یہلک کل من صادفه أو اعترضه .

درتلو بابور الغطاس ضد مہرازو لعرج

* زی سمک ایغوص ابتماجو

بین اللجا

ابلمہارز واصواعق والنفاض وامناشر تسودج

* من القارہ خرقوہ اوراجو

فوق الموجا

هكذا من ينشئ غطاس تحت لمواج ايموج

* کل من صادفو قلب اصناجو

وابقى كرجا

سام بوغازی وارقی فالصعود واخفق کمن فج

* اعفارت الجن ابخرق امواجو

خرجت حرجا

من زعم ینخل تحت ارمایتی ابمہراز امکرج

* مایهم ابطالی کجکاجو

دون المرجا (1)

(1) ذکر لنا الشيخ بتعيسى الدراز أن لهأشهم السعداني قصيدة سعى بها

==

ومن أشهر الهجاء المتبادل ما دار بين الغرابلي والتركماني . وهو هجاء أساسه خلاف موضوعي حول الايمان والعمل ، وهل الايمان وحده يكفي أم لابد من العمل ؟ ويطلق عليه «العروض» أي المعارضة ؛ فالغرابلي يرى في «الدعى» أن الشهادة وحدها ليست كافية وأن العمل واجب ، في حين يرى التركماني في رده عليه أن في الايمان بالله ورسوله كفاء وخيرا في الدنيا والآخرة ، وأن نية المؤمن أفضل من عمله . ويبدو أساس الخلاف واضحا في حربة كل من القصيدتين ، يقول الغرابلي :

يالداعي بالعرف اصنع الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ويقول التركماني :

الداعي شهيد والشهادا بالله ابالرسول تكفى واكفات وكافيا اوخير

فالدنيا وافلاخرا اكثر * والمومن نيتو افضل من اعمالو

يبدأ الغرابلي فيرى أن خصمه دخل في بحر لا يطيق هول أمواجه ، وأنه سار مع هوى نفسه ، وأنه بلغ من الهبل والعمى حتى غره الايمان وزين له الشيطان سوء الاعمال .

ويرى أن كل من صفا قلبه يعمل ، وكل من غدا قلبه مشوبا يستحلى الآثام . لقد أمر الله بالفروض ، فكيف يريد أن يتساهل فيها ؟ ثم ان الشهادة لا تكتمل بغير شروط لابد ان تستوفيها . انه يريد أن يطلق عناينا شدة الله ورسوله ، فهو ناكر شمس العلياء التي أنشأها الله من النور ،

الى الصلح بين الغرابلي وابن ريسون يقول في حريتها :
الصلاة اعلى الماخى سيد كل ماخالحي ادرج * لمفضل طه وازواجو
زين الملجا

وذكر لنا كذلك أن ابن ريسون كان السابق الى هذه الخصومة وأن الغرابلي لم يكن يكتفى في الرد بالقصائد فقط وإنما كان يلجأ الى التماثل ووسائل السحر - وكان بارعا في ذلك - فتصدى لخصمه بها ويقال ان ابن ريسون ظل من اثر ذلك مدة اثنتى عشرة سنة مقعدا في بيته مكتوف الايدي الى أن قال السعداني قصيدته في الصلح والتمس من الغرابلي أن يذهب عند خصمه ويقبل رأسه . فذهب وماكاد يمسه بيده حتى نهض من مكانه سليما .

هينيه فيتهمه بعدم التمييز بين الحلال والحرام وبأن حياته كلها سفه وفجور
ويهان وبأنه لم يجالس العلماء قط :

بالداخل في بحر الا تطبيق لواج احوالو
بمساعف لغراضها اقغيوان احوالها
من اهبالك غرك ليمان بالمطموس انجالو
لك زين شيطانك سوء اعمال وبهالك
من اصغاف امرايت قلبو ايدير مايجير حالو
والذي مازيم لصفا اماتمو يستحلاها
امر فرضمو ربى شمد فيه وتبغى تسهالو
والشهادا لهاكم من اشروط لاربب امعاها
كيف ترخف من شمد الحق بعد رشذك مرسالو
الننا كر شمس العليا اللي امن النور انشاعها
باللي مايفرق بين لحرام حتى واحلالو
عشتك فالدنيا الا افجور وافشر واسفاهها

. . .

لاتعائب قول اللوام حين نصحك باقوالو

باللي ماجالس عمرو هل لفوايد وانباها

تم اخذ في شرح وجهة نظره والتدليل عليها فبيننا أن العمل أصله
النية ، وأن كل من معنى لشيء يناله وقد خاب من لا يبحث في شريعته ولا
يعرف مقاصدها ، وأنه ينبغي معرفة ما يجب في حق الله تعالى من صفات
الكمال وما يجوز وما يستحيل ومعرفة قواعد الاسلام ، من صلاة وصوم حتى
يقوم الدين ويكمل ، وترد عن النفس مخالب المنكر والفحشاء ، بل انه يطلب
منه أن يردعها وينذرها ويقهرها ان طغمت بحديث الموت :

لعمال أصلو النيا ومن اطلب شى اينعطالو

خاب من لاخبر فاشريعته وحقق معناها

جيب مايوجب في حق الجليل صفات اكمالو

او مايحوز او مايستبح كيف نبأنا طيه

جيب اوصاف اقواعد ليمان يامضيح رسماو

اوجيب اوصاف الاسلام كان كنت (1) تقراها

فالصلاة والصوم اتها و قوم دينك واكمالو

اورد نفسك عن فعل الفحش قبل تفرق فاختاها

لومها وانذرهما فعسى اتنال زى اللى نالوا

الى اطغات اقهرها بالموت حق تدخل لجواها

حقا أن الشهادة مفتاح الدين وبدءه ولكن الفرض تمامه وكماله ، والبادىء
للعمل دون انهاءه كالخارج للحرب وفى يده قبضة دون سيف • فالمسلم
يقول بلسانه ويعتقد بقلبه وينفذ الفروض بجوارحه ؛ ويخشى على كل من
فرط فى الدين اذا ما حان أجله أن ينسى الشهادة ، فلا احد يضمنها عند
الاحتضار الا من جاد الله عليه وذكرها وحافظ عليها :

الشهادا مفتاح الدين والفرايض لكالو

من ابتدا لشيا دون اكمال سار حجا فابداها

زى من راد اقبطة دون سيف يلقى عدائو

واش من مرا للقبطة دون سيف تقضى بامضاها

القول باللسان والاعتقاد افلحديث اكما قالوا

ولجوارح تمتائل من افرض عنها مولاها

كل من فرط فالدين لقويم يوم ايجى اجالو

اعليه ايخاف ايلا يحتاج للشهادا ينساها

ماضمن حد الجد افساعت لمنيا تعطالو

غير من جاد اعليه الله وافتكرها واحضاها

ويستفهم فى انكار عن تارك الصلاة او الصيام أو الزكاة أو الحج ان

كانت تكفيه الشهادة فينجو أم لا تكفيه فيحاسب ويعاقب :

جول واسأل فالخمس اوقات امن اتركها مدالو

كان قيه القول او اشهادتو اكفاتو معناها

(1) كان كنت بمعنى لو كنت •

جول واسأل من اترك الزكا ولا زكى مالو
عاش فحرام او اشهادتو اكفاتو معناها
جول واسأل من اترك الصيام واشروط اكمالو
كان يتعاقب او اشهادتو اكفاتو معناها
جول واسأل من وجب الحج بعد زادو فاحلالو
كان يتحاسب او اشهادتو اكفاتو معناها
ويطلب منه أن يتوب ويرجع عما مالت اليه نفسه ، وأن يتمسك
بالتقوى والطاعة حتى تصفو ذاته ، وأن يتخلى عن هواه ويطرد الشيطان
اللعين الذي يغويه ويزين له المساويء ويلذذ الشهوات ويتسرب الى داخل
الانسان ويسرى كسريان الدم فى الجوارح :
تب وارجع واترك ما ريت له لجوارح مالوا
ولازم التقوى والطاعة اتفوز ذاتك بصفائها
لهوا والشيطان اعداك يالتابع عدالو
ايبين لك لفضل حتى اتغيس نفسك فبلاها
اللعين ايلذذ للمومنين شهوات محالو
افلجوارح يسرى سرى الدم ويسكن فحشاها
ولا يتركه دون أن يرميه بالجهل والعمى واتباع الشيطان ، ويسأله
كيف يلقي ربه فى ظلمة القبر ويوم الحشر حين ينشر أمام كل واحد كتاب
تسجل فيه الاعمال الحسنة والسيئة فيجازى عليها جميعا :
غابت اشموك واهزمها اظلام جهلك باكحالوا
لادبك الشيطان اعماك زى قومان اعماهما
باشى تلقى غبت المحود ولوقوف وتهوالو
يوم تزفر جهنم اعلى لخلايق بالظاهما
يوم لاتنفع مرو لاشجاعتو ولا كثر مالو
فى اصحوفك توجد لسطار دون ريب تقرأها
من ايجى بالسىا بمثيلها امن الله تجزالو
من ايجى بالحسنى عشرا من المهيمن مجزاها

ويرد التركمانى فيتهم خصمه بأنه حمار ابن حمار ، دخل ميدان المعارضة بالجهل ، حاملا خشبة غير منجورة ولا مسواة ، وأراد أن يتناول على من لم يكن يعرفه ولا يسمع به ، ويتساءل عن سبب ما نزل به ، أهو مصاب بخلل أم مدعو عليه فى وقت صادف باب الاستجابة مفتوحا ، أم أنه يجنى نتيجة حلف زور أو غضب الوالدين ؟

ياداخل بحر المعنى بوجادى (1) واحمار بن احمار ورافد كلخا ابلا نجير واتبعت من لايلو اخبر * ولاعمر اسمع حسك مدالو واش انت مخلول او صادفت شى دعوا امكنا ساعنت لجابا اعلى الضمير او احلوف ابلا اصفا اغدر * أو من الوالدين سوقك واضلالو ويدعوه الى الاستغفار لو كان مسلما متحققا من الشهادة يراها اعظم من أى عمل • فكم من مغرور ظل يعمل حتى اقترب من الفوز ولكنه تبع نفسه فمات كافرا بأعماله ، وكم من احد ذاق بعد الكفر حلاوة الايمان بقلبه فشهد بالله والرسول وأدرك وغاز واعتبر بفضلها شهيدا ، وكل من قالها لامحالة يسير الى الجنة يوم الحشر ومعه فضل الله ، اذ تكفيه الخاتمة ، فهى تعادل كل حياته :

استغفر لله لونت مسلم وامحقق بالشهادا ماتجعل عنها اكبير
أهى من كل شى اكبر * ولاعنها اعمال يعلى باكمالو
والعمل ابكلمت الشهادا أهى به واش من عمل انفع كمن اغرير
اخدم حتى شاهد الظفر * واتبع نفسو ومات كافر باعمالو
واكذلك ضدو اشحال من واحد بعد الكفر داق غسل احلاوت ليما ابلخبير
وانهار اتبرا من الكفر * اشهد بالله والنبي بلغ اعمالو
قالوا مات اشهيد امن افضلها واجميع من قالها افصرو للجنة لاغنى ايسير
وامعه فضل الله افلحشر * تكفيه الخاتما اتعدل بجالو
ثم انه لاينكر الاعمال ولايتركها ولايدعو الى تركها . ولكنه يرى ان
المومن مومن ولو كان زانياً أو سارقا أو هاجما أو قاتلا أو مخمرا ، ومهما
اعتبره خصمه كافرا ، اذ تكفيه كلمة الايمان • والمومن لا بد وأن يتوب مهما
(1) البوجادى بمعنى عديم التجربة •

حاد عن الطريق ، وهو يجبر اذا تاب ولايعدم الفضل طالما أنه محافظ ففى قلبه على هذه الكلمة ، ففى رأسماله وسلاحه وعزه ونصره • وهل ياترى يقبل العمل من حمار مثل خصمه لولا أن الله يستر ويعفو ويقبل عباده ويرضى عنهم بجوده وفضله ؟ :

مانكرت اعمال ماتركته ولا عمري انيت حد ايتركو لكبير والصغير
الا لالايم قلت لو اعذر * وما فالتغيب امن احكام ابمجالو
والمومن مومن قلت لوزانى او لاسارق او هاجم او قاتل او مخير
نطق اللالايم قال ذا كفر * قلت اكفاتو السابقوا وسعد فالو
والمومن يرجع بعد يدلع ولايد اينال فضل الكلما من لالها انظير
ويلاتاب المومن اجبر * ولايعدم افضل حاضى راسمالو
والمومن من فضلو وراسمالو واسلاحو ونصرو وعز اكلمتو ليما فالسرير
يتلها ويحمد ويشكر * وجعل ارجاء افلمكرم قبالو

• • •

ولعمال اصلا او صوم وازكا واجهاد وحج ياترا يقبال من امثالك لحمير
والستار يسمح و يستر * وقبلنا ابجل جودو وافضالو
ويحاول أن يظهر فضل كلمة التوحيد فيراها تضم سبع كلمات تصد
عن سبعة أبواب من أبواب الجحيم وألف ، يظفر صاحبها بالنعيم ويسلخ
الآمال • واذا كان العمل من الفضة فكلمة الاخلاص من الذهب العالى
العيار ، بل ان الله خلق عمودا من نور لايقربه الا من يقول لا اله الا الله :
وكلمت التوحيد جاب لحديث اسبع كلمات ضاما ضد اسبع ببيان فالسعر
والف تغلق باب واظفر * مولاهم بالنعيم وابلق امالو
والعمل اىلا ايكذ فضا كلمت لخالص ذهب يبريز امشعر خالطو اكسير
وافضل ربى مايلو احصر * سبحان الدايم لغنى جل اجلالو
عمود امن النور مايلحقو الا من قال لا اله الا الله السامع لبصير
يهتز العمود ويجهر * يبردت وسع لفضل ومن افضالو
وهو يرى خصمه قد ارتكب ذنبا كبيرا لن يستطيع التكفير عنه بغير
الذهاب لمدينة مراکش مذموما حقيرا حتى ينتهى من امره بالذبح • فسينادى
(27)

بالنفير في الحمراء وغيرها من المدن والقرى والبادي ليعلم به ، ثم يأخذه
للحمام حيث يفسله بالفطران ويخرجه بعد ذلك في موكب مكبلا مغلولا ،
ويذهب به الى فندق الجلود ويلبسه جلد تيس اسود ، ويضع له أسورة
في حجره ، وحزاما بظفائر وحذاء من النحاس الاصفر ليرقص به ، ويتوجه
بكومة من الريش وعمامة عليها خمسة قرون طرية اللحم ، ويعلق له سبحا
حباتها من الحلزون ، ثم يطوفه المدينة بالولاول والزغاريد ليرجمه الاطفال
بالحجر وينكتوا عليه ويضحكوا طوال سبعة ايام ، وان تعب خلاليا يعاد الى
أغلالة ويركب حمارا :

وانصحك عاريت مايكفر ذنبك الا اتجى البهجت لمدون امبهدل احقير
وانجزرك وامالك ينجزر * حتى نحتال عن اخلاصك وافصالو
ونطلق البراح (1) افلمدين الحمرا وافخوزها ويمشى حتى للغرب بالنفير
قباد (2) امدان اوعر (3) * يعلم بك لسلام ويرجع في حالو
ونا نفرج بك انديك الحمام الديق ببياض تفسل واتوم افلغدير
وانخرجك ابندقا وطر (4) * ويديك امكتفا وعنقك فاغلالو
وندخلك الفندق لبطانا ونفرغ اعليك واحد الكسوا مكمولا اعلى الشهير
ماقيمتها مال افلعفسر * من غروس اشبه القلبك فاكخالو
وانبايل (5) افحجرك طايشين ايماننا واشمال ولحزام امخالف بضفاير واعسير
والسباط اقدم امن الصفر * في رجلك للشمطيح ايقل امثالو
واعلى راسك رايمنا ازكوا بالريش او عنها اعماما برديل افوقها اندير
خمس اقرون الحومها اخضر * ومن البيوش (6) شى اتسابع يحمالو
وانطوفك اعلى الشهد افمراکش بالكف ولولاول وازحام اكثير ولهدير
ويرجموك اطفال ابلحجر * واخريين اينيبوك ولا ينظالوا

(2) البوادي .

(1) المتادى .

(3) الجبال .

(4) سبعة: ان ذكرنا في المدخل هاتين الاليم «الهندقة والطر»

(5) اسورة .

(6) الحلزون ويطلق عليها كذلك الغلالة وخاصة في لهجة اهل الرباط .

سبع ايام وكل يوم تطويها فالحومما اولا ارمتمى ترجع لغلايلى ايسير
فوق احمار زرد وعتر * حتى يجتمعوا الناس ويحتالو
كذلك كان الفخر عند الشاعر الشعبي جانباً فى فن الهجاء وان لم
يحفظ باهتمام المنشد والجمهور ، لما فيه لاشك من انانية وحب شخصى *
ومن الفخر ما يذهب اليه محمد بن الصغير يخاطب حساده انهم لن يستطيعوا
معارضة كلامه مهما اتفقوا ضده ، فشعره يحلو انشاده ويتوق الناس لسماعه
ويطربون ، فهو غزل صافى سلس رقيق عرف كيف يسلك فيه مختلف
المسالك والمسارب ، لا يخشى من الغرق ، وقد شيد قلاعاً واعتلى القمة :
قولوا للبغضيين قولى ليام اتلاقى * محال ايعرضو اكلامى لوجاواتفاق
نظمى يتقال اعشاقا * اهل الفرجات شوقوا
غزلى صافى اسليس رتقا * سالك منهاج كل طرقا
وايق امسارب الطروق
جفنى مضمون من الغرقا * وامشيد ابلقوع زرقا
وازيادا طالع اللقوق

ومنه قصيدة لعباس الحرار يفخر فيها بأنه لا ينفذ صبره عند الشدة
يوم يضيق الناس وتعبس الوجوه ، ولا ينقطع مورده يسقى جميع الظامئين
حيث لا وجود للماء ، ولا يغيب نجمه زاهراً مشرقاً بتور ثنائه فى كل مكان ،
وبأنه لم يمدح قتل ملكاً أو طاغية ولم يؤذ أحداً ، ولم يفضح سرا له أو
لغيره ، ولم يأكل غير أكل شريف حلال ، وبأن شعره لا يخلو من حكمة
وبأنه ورث الرياسة عن أجداده وأنه لا يفر من مواجهة الأقران :

أنا الذى ماتضايق الشدا صبرى	* يوما تنقأبح لوجوه أنا الصبار
أنا الذى مايزول للظامى نهري	* مورد عذبى فامواطن لاما يندكار
أنا الذى مايزول فلك اسماء ذكرى	* يشرق باكواكب الثنا فى كل اقطار
أنا الذى مارفعت باقوايسم شعبرى	* سقطت مالك شامع او اطفى جبار
أنا الذى ماكويت مخلوق ابجبرى	* كاتم سرى ولانفضح الحد اسرار
أنا الذى ما اخلات من حكما جبرى	* مشتمل اعلى قوا ايفادت كل اخبار
أنا الذى ماتكدر اجواهر ثغرى	* لقيت منان لو انجوع اسنين اشوار

أنا اللي وارث الرياسا من بكرى * من جد الجد حزتها امن دارالدار
أنا اللي ما اتشاهد اعداى ظهري * يوما تتواجه لقران لفدى الثار
وكانت على العكس من ذلك عناية الاشياخ «بالسولان» كبيرة ، وهو
فن يتصل بالهجاء وتحدى المدعين ، حيث يوجه الشاعر لخصمه جملة اسئلة
هى فى الغالب احاجى والغاز ، ان لم يحل رموزها فهو مغلوب وعاجز .
وغالبا ما يمهّد للسؤال أو بالاحرى لمجموعة الاسئلة بمقدمة يخاطب بها
المدعى او راوى القصيدة ، وكذلك يختم السولان .

فهذا ابن على فى «سولانه» يطلب من راى القصيدة أن يفخر بالسؤال
الذى ليس له مثيل :

باسؤالك استفخر يا حفاظى * اولا ابحال عند اللى عارفين سولان
ويخاطبه فى القسم الاول يؤكد عليه أن يفخر ويواجه كل معارض ،
وأن من عاتبه أو اغتابه فكأنما عاتب الشاعر او اغتابه ، ويخبره انه ضبط
الحروف ورتب القوافى ، ويوصيه أن يقرأ جهرا ماكتب له على كل الناس
القريب منهم والبعيد ؛ ومن كان منهم يدعى فليجب على السؤال وليجل فى
معانيه وليشرح جوابه حتى لا يظل مدينا فيشهد عليه العدول :

باسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

اللى ايعاتبك كنو عاتبنا

او غتبك كنو غتبنا

او هكذا فالشعر اكتبنا

اضبطنا لك لحروف والقوافى لها ترتيب

اقرا بالجهر ماكتبنا على لبعيد ولقريب

واللى داعى لنا ايرد لجواب

ايجول افلمعانى

ويشرح لسؤالنا اجوابو

اولا يعود مديانى

واعليه شاهدين اعدولى

وارضى ايكون مديان

ثم يستعرض له بعض الإنغاز كهذا الذى يسأله فيه عن ماهية علم الشعر
والوهاب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن اقسامها التى لا يعتبر شاعرا من
يجعلها : وكل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه الله الموهبة
ويوصى راويه الا يهاب المدعى بالجهل ، فهو اعجز من ان يأتى بمثل هذا
السؤال أو هذا الشعر مهما طأل به الزمان :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولوهاب

واعلى اتعن (1) اسبيل يدخل لجسام

كان تهم فالخلق ارسام

قسموه الفهام اقسام

من لا يدريها لا يقول شاعر فالقول ايجيب

واللى داخل بحر لهوا بجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

واللى ادعا اعليك اجهلو بالك تستهابو

ما جاب عوض سولانسى

ألو ايعيش ما عاش المرو ولا ايجيب لوزان

ويختتم القصيدة بتحذير للمدعين ان عجزوا عن الرد - وهو عليهم

واجب - انه سيبقى دينا فى عنقهم طوال الحياة ، وأنهم لن يساوا شيئا

بعد ذلك ؛ ومن عرف كيف يحل السؤال فليشرح اجابته وليعرف بمصادره

وليُنظَم ذلك على نفس الميزان :

وانسال من ادعاوا بجوابى واعليهم واجب

ويذا يعجزو عنهم يبقى دين

لجواب الواضح لمبين

طول ما دمننا فالحيين

لاتحسبهم اسواوا وخذلك فالخلطا تجريب

من يفقه لشيئا اكما انشاهها علام الغيب

معناوى ياتينى افصح لخطاب

(1) وعلى أى .

ايقيدنى بشرح اسؤالى فاشمن اكتاب صايو

واعلى اطيوع ميزانسى

واعلى اكواكبو وادراجو طرقان هل الغيوان

وللتركماني «سولان» يقول فى حربته :

اصغ اوجول واتامل يا انسان * جاوب اسؤالى كان انت البيب فاطن
ويسال فيه من جملة ما يسأل عن طائر يجول نى البر والبحر دون
أجنحة أو زاد ، يقطع الارضين فى ساعة ويصعد للسماء بسرعة ، يبيض
ويفرخ فى البطاح ، رأسه فى ذنبه ، وليس لعينه مثل بل له عين زائدة
واذنان ، ولكنه لا يسمع الا بوحدة ، ترى ماهو وأين يقيم ؟ :

عن طير سلتك ايجول ابلا جنجان بر وابجار

وابغير زاد أولا ليه ابضاعا

ويقطع لرضين افساعا

وللسما يصعد باسراعا

وايبيض ويفرخ اقلبطح ايمن واشمال

وابراسو فى قزبتو وعينه ابغير امثال

بمقعد وبودنيه رد بالك

ويسمع غير بودن وحدا سبجان ذا المواهب

وابعين زايذا ثانى

يندر اوحده ماندرى

اكما هو اوفين كاطن

ومن امثله يستفسر عن رأى الشرع فى أمر رجل سافر الى فاس
وترك زوجته فى القصر ، وفى يوم سفره تزوجها غيره فولدت له ، وكتبت
للزوج المسافر تخبره بمولود رزق به وأصبح ذا مال ، وتقسم انه ليس
ولده ولا ولد زنا وتطلب منه ان يلحق بها على الفور ، فامتلل وحضر ولكنه
وجد نفسه مغلوبا على أمره وغريبا بعد ان كان قريبا :

وانهار فاش سافر غيره خذها

وارجول سافر الفاس اخى زوجته اقلقصر

اولدت امعاء امن ابطنها
ولدت اكتسبت انراجلها
فالكتاب قالت ولد زاد عندك واصبح ذو مال
تالله ماهو امن ازنا ولا هو ولدك واحذال
واقدم بالتكبير اوجسى اتبارك
وامتائل الرجول امرها واضعها امن المغالب
من بعد كان دخلاى
عند الامر ارجع برانى
والشمرع باش اذن
وبمثل ماختم ابن على ختم التركمانى فقال :
ياحافظ القا خذ اسؤال المن ادعا مختصر
يعزم ابلجواب اويأتينى به
ويرضى بالغلب اعليه
ويقبل شرطى والسوريه

أما فى الخصام فيتحفنا ابن على فى قصيدة «العربية والمدينية (I)»
بحوار رائع بدأته بنت المدينة فرمت محاورتها بأنها كلبة الدوار رببت فى
الخلء ، واذكرتها بالقرب تملأها فى الصباح وبالخطب تجمععه فى النهار
وبالرحى تسمهر عليها طوال الليل ؛ حياتها تعب وشقاء ، ورجلها حافية
متشققة ورأسها عار ، تفترش التراب عند النوم وتوسد حجر الكانون ،
وتسنان ماينها وبين بنت الحضر تربت مصونة فى بيت العلماء . وأين هم أهل
البدو الوسخون من سكان المدينة يعمرن المساجد وينصتون للخطب ويعثون
ابناءهم للكتاتيب :

قالت لمدينيا ❀ العربية واش افعالكم تنسأهم
تربيت لخلأ كلبات الدوار ❀ آش ايجيك لبنات لحضر واتراى لعلوم
وانت بدويا ❀ ماتفكرت لكرب فالصباح تملأهم
واتحرفى احبل لخطب كل انهار واتظلى واتبانى اعلى الرحى ما طال الديموم

{1} المقصود بالعربية : البدوية .

متعوباً مشقياً * ارجليك ابلحفا ينشقوا افسرت اشقاها
والراس ابلعرا عمرو ما يستار وابحال التمود ترقد من جهلك واتقوم
كحيا مطويا * بالرفايق كستغطى بكفاهم
واتوسدى مناصب كانون النار واتروحي عيانا اعلى الشراب ترقدوا حموم
ما فيكم انقيا * هكذا سيرت هل برا اسواك واسواهم
شيخيك لهل الظل والجدار * وامساجد للخطبا امع الصلا وامسايد وارسوم
وردت البدوية مشبهة الحضرية بالبوحة في الغار ، دائرة المرض
لا يغيب عنها الطبيب ، لونها يصفر بدون داء ويذبل من أثر سم جير الجدران
الذى ينعكس عليها فيجعل طبعها ساما كذلك ، وهى ميتة فى حياتها ، لم
تخرج يوما الى البادية لتتعرف الى حى محاورتها تحيط به الاشجار ، وتحمية
الخيول والسيوف والرماح والاشواك من الاعداء . ثم ان العرب موصوفون
بهاكرام الضيف وبالطبع الكريم ، وهم كذلك ينشؤون المساجد ويتخذون
الخيام كتائب للتعليم ، وكل من زارهم ينال من خيرهم على عكس المدن
التي لا يوجد فيها شىء دون مساومة أو شراء :

وادوات العربيا * قالت المدينيا يالفاهم الغاهم
خمدى ياشبيهت موكا فالغار * آش ايحيبك لبنات لعرب واعوالى واسهوم
وانت بلديا * شوف لمثالك ماعمر الطبيب يخطاهم
وابغير ضر كتدبال وتصفار * سم الجير ايولى اعليك مايثبه لك مسموم
موتك وانت حيا * ياللى ماشفت عمرك عربنا ومأواههم
امعمرين بصوارمهم لقفار * لوكان اتشوفى حيناً اذا صاكت قوم القوم
بسيروت محضيا * ابلقنا والدركا يدرقو امن اعداهم
وامثيلهم من يوصف ويذكر * هما كرمين الضياف وهل الطبع المكروم
وامساجد منشيا * ونخيام الطلبا واجميع كل من جاههم
يمشى ابخيرهم يتشكر تشكار * واش ادى اللمدون كل شى بالمشرا والسوم
وعلى هذا النمط تسير المحاوره تتناول جوانب مختلفة من الحياة
الاجتماعية فى كل من المدينة والبادية . تفخر المدنية بأنها محجبة تحافظ
على الصلوات وتعيش حياة زاهية منعمة وترفل فى الحلل والحلى ، وتعير

البنوية بأنها سافرة تظل تدور فى الاسواق وترعى الابقار وتقلع نبات
الدوم . ليس لها مآثرهى به من النعيم والرفاه والحلى واللباس ، عيشها
مدموم اسامه الذرة والشعير وعفنها كثير والماء عندها قليل ، أما العربية
فترى أن التقوى موجود فى القرى والمدن على السواء وتعير ساكنات المدن
بأنهن شر الخلق ، اجتمعت فيهن كل الهوم والسيئات وأعمال ابليس ،
ساحرات كاهنات غادرات بالاخوة والازواج ، تنفسي فيهن المناكر . وينتهى
الحوار حين تفخر العربية بأنها من أصل قرشى معروف وأن الله وعد العرب
بثلاث بالجنة والقرآن والرسول ، وتذكر بنت المدينة بأنها ببغضها للعرب
تبغض الرسول ، ولكن هذه سرعان ماترد بأنه لولا موقف محاورتها مامت
العرب بسوء لانها تنفانى فى حب الرسول وفى سبيل حبه تتغاضى عن كل
مافانت فيها من شتائم وتطلب منها ان تستغفر .

ثم يتدخل الشاعر للصلح ويقيم لهما نزهة ليسليهما وينسيهما الخصام:
قلست الهم اعلياً ✽ صلحكم وانزاهتكم كيف كنت نشهاهم
وصالحتهم وقمت الهم انهار ✽ كيف يشتهاو الباهيات وافجيت الهم
اهموم

ومثل هذا الخصام نجده عند امثيرد فى قصيدته التى حربتها :
امى احنا وايلي امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا
وايلي امى لوريت يافاهم اللغا

ولكنه يجعل محاورتيه تدعوانه ليصلح ما بينهما ، فيتدخل ويرضى
كلا منهما فيبدي اعجابه بجمال العربية الكامن فى جادبيتها وعيونها الفاترة
وخدودها الموردة وقدها العالى : كما يبدي اعجابه بجمال بنت الحضر
الشبيهة بياقوتة فى تاج النصر مصونة فى ابهج المدن .

ويرى أن الله كتب عليهما هذا الخصام وأنه ليس فيهما مايعاب :
فلم تلبتا أن انشرحتا لكلامه وصفا قلبهما وغدنا تتبادلان اللعب والضحك :
قالوا مرحبا جابك ربى يافصيح الشياخ اعز الماهرين

جول اخمم فالجحين فارقنا

قلت لهم حتى عيب ما هو فيكم

زينات زينكم يرضانى

انت اتبارك الله العربيا

امرونا مسرارا بعيون نايماسرديا

واخدود فاتحنا عكريا

والقد قد صارى

وانت يابنت لحضرم

ياقوتنا فى تاج النصر محضيا

فى بهجة لمداين صولى ياروح راحتى وهنيا

هاد لغيار جابو ربى

لجواد مايعيمو

حاشا يكفا من لخصام

انشرحو واصفاو لقلوب افرحو

جازونى بخير اجازيت اباهيات ساروا فى حفظ الله ديك

تلعب لخرها لها ضاحكا

ومن أروع قصائد الخصام وأشهرها قصيدة «الخادم والحر» للغرابلى

يقول فى حربتها :

قصا اجرات للخادم والحر * يوم ظلو فخصام اكثير عل المعيار

وفيهما تصف الخادم (1) الحر بأنها كسولة وبخيلة وصفراء وباردة

وثقيلة ومسمومة ، دائمة الشكوى من الاضرار غير قادرة الا على الخصام

والتعجير ، كل من مسها يصير غليلا ويصفر لونه ، أمها ساحرة وأبوها

يقضى يومه فى جمع الاعشاب والبخور ، وان كانت حرة فانها هى الاخرى

قد تعتق وتظفر بالحرية . ثم ان الخادماات يكن فى الدور الكبيرة عزيزات

فيهن العلاج واللذة الطيبة ولونهن يفوق لون العنبر . وترد الحر بأنها

تستحق كل ما حصل ، فقد قبلتها للسخرة وهى كالحمار يعيظ بها الويل ،

لا تخرج من المطبخ ، وتضرب بالليل والنهار ، رائحتها كريهة ، ولونها أسود .

وتذكرها بيوم مجيئها فى حال بؤس بلباس وحذاء ممزقين ، ثم انها مثار

شؤم ، كل من اقترب منها يعمى من شدة رائحتها الكريهة . ولم تكتشف

(1) المقصود بالخادم الامة .

الحرّة بهذا الرد وزادت فعنفت معها في القول - الذي سنحمل به - ووصفناها بأنها عجوز بنت عجوز وبأن الله فضلها عليها ، لو قتلناها لما حدثت أي شيء ، وأنها قرية قاذورات وعلقة في بئر ، طباحة تسرق اللحم من القدر ، أمها تكشف عن الحظ في المحار وتتلطف على القديد ، وأبوها يسعى من دوار لآخر يضرب في طاسات الحديد ، وأخوها يجول في الحي ينفخ في المزمار من أجل جمع قطع الخبز لبيعها ويبقى بالجوع ، أما هي فكانت خنزيرة أو القردة المسوخة . ثم تسألها هي على دين الاسلام أم كافرة ؟ وكيف تم مجيئها جائعة حافية عارية الا من فوطه انثرت بها ؟ وبأية عملة اشتراها التجار أبلح او الودع ؟ وتذكرها بأنها حين وصلت لم تساو عشر دينار ، وكم مرة دللها السمسار ، وكل من رام شراءها يأخذها لتقضي الليل عنده ويصبح وقد تضايق من رائحتها الكريهة وشخيرها الشبيه بالمنشار ، فيردها للدلال ، الى أن قدر لزوجها أن يشتريها دون مشورة . وحين أتت للبيت وجدت ربه بارزة في فراش قبتها ، جميلة لابسة افخر الحلى والثياب . ثم أخذت تصف جمالها وبشاعة الخادمة مقارنة بين بياض شبيه بضوء القمر ولون كقطعة من الليل ، بين سواف رائقة للتصفير وشعر مكور كحبوب الابرار ، بين حدود حمراء منقوشة وحدود مشققة كالمندوب عليها بالاطفار ، بين أنف دقيق كالبار ، وانف منتفخ كالكير يوقد نار الجمر ، بين شفاه حمراء كالشهد وشفة بعير ، بين نهود صدر كبرتقال في شجر ونهود كالباذنجان الكبير ، بين أقدام دقيقة وأقدام كاظلاف الحمير . وما ان وصلت الحرّة الى هذا الحد حتى فقدت الامة وعينا ومسكت بحجر وقذفت الحرّة ولكنها أخطأتها ، فحصى وطيس الحرّة وأخذت تلطمها وتضربها كيغما اتفق بقفل حديدى كبير . وقام هرج وضوضاء في الدار ، وكادت ان تقتلها لولا ان حضر الجار وفكت الامة من قبضة سيدتها . وحين رجع رب الدار وحكى له ماوقع باع الامة واستراح وعاش بقية أيامه يزهي مع زوجه الجميلة :

قالت افلجواب الحرا مهما اطوال لكحار

سكنى بالنكرا بنت النكرا ❦ اعليك فضلنى ذا لقدرنا

اولو اقتلتك شى مايجرا

لاش اتصلحي ياكربت لخنز ياعلقا فى بير

طيا با طباخا او سارقا اللحم امن الطنجيسر

اتقول يما حافظا الكارا

امك ابلودع شوافا واعلى لكديد تسعار

واباك يالقنجارا (1) * بالقرقا اىطل ايكوع وايدور كل دوار
اوخوك اقلمدينا داير شهرا * كايسوط افقرن اعشارى افقاع مزمار
وايدور افلحوم ايلم الكسرا * ايبيعها وايقل بالجوع بن المطيار
وانت امثل حلولا فى قفرا * او قردا ممسوخا ساكنا افلوعار
اعلى اضنايتك حكم المسخ اجرا * عيدي لى جنسك اسلام او كفار
واعلى امجيك عيدي لى كيف اجرا * ابلودع ولا بالملحا اشراوك تجار
جابوك ابلحفا والجوع ولعرا * ولا اسويتى يوم اوصلتى اعشور دينار
ولاعليك بعد اكشيف السترا * امتزرا بالفوطا وامتبع السمسار
واشحال ماتدللتى من مرا * من راد ايقلب عندو اثبات فالدار
فالصباح كيقول ايولاهى جرا * بايتا كاتشخر شخرات زى منشار
وصنان ريحك خنزيرين شكرا * خرجك للدلال وعاد له ماصار
دلال امن احواز البهج الحمرا * اعيا ايهابت وبعدها ابقى افلكرار
حتى جا المغرور امع القدرا * اشرا وخلص فالساعا ليس دار بشوار
وامنين جيت صبتينى مشتمرا * بارزا فكساوى واحلول زهو لبصار
وافراش قبتى ماهو فى حضرا * كل من شاعد زينى دون قيس يعدار
شوف ابيض لونى كضى القمرا * شوف لونك كنقطا امن اظلام لسحار
شوف اسوالف تعجب للضفرا * شوف شعرك لمركب كاحبوب لبزار
شوف انقيش عل لخدود الحمرا * شوف لخدودك زى النادبا بالظفار
شوف الانف باز افبطحا خضرا * شوف انفك نحكيه كير واقد اجمار
شوف اشفايفى كاشهدا حمرا * شوف دوك اشلاقم لبعير جافتحكار
شوف انهود صدرى ليم افشجرا * شوف لنهودك دنجلات دوك لكبار
شوف اقدامى كن خدلج واطرا * شوف لقدامك نحكيهم افراقش احمار

(1) الحمامة .

تما انرا الخادم رفدت حجرا * شيرت اعلى الحرا واتقول كلمت الدار
زكلاتها وحركت لها الحرا * ابقات تعطيها بالزكروم دون خشيان
وما اكلت من طرش ابلا فترا * عاد رجعت لحسبها بعد بان لعوار
بالهرج نوضت فالدار الكسرا * امشات تقتلها لو ما كان حاضر الجار
وفكها وخرجها واتبرى * حين جامول الدار وعاد ليه ماصار
باعها وعينا راسو وابرا * وسار يغنم زهوا اياموا مع الخنار
ومثلها قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبي ، وحربتها :

آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار (1)

زوج هيفات اصغار

شابا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

وفيها نجد ثريا «العصرية» تنهم هنية «الزمنية» بالامية والتأخر ،
لم تذهب مثلها للمدرسة ولم تحضر المجالس ، مشغولة بأعراض الناس تشتم
وتغتاب ، ولكن هنية ترد بأن محاورتها غير مؤدبة وبأنها مشغولة بدفاترها
ودعن شعرها المخلوق وتسريحه ، لباسها بعيد عن الوقار ، سافرة الوجه ،
غارية الرأس ، لاتعرف شيئا عن الطبخ وشؤون البيت :

نسمع العصريا اتقول للزمتيا

يساجارتي اهتيا

سمعي مني اخبار

من يوم اسكنت احداي جارا وانتيا فاشغار

ياحسبي لله سالبيا بخصامك جمع لفكار

عمرك ماشفت اتقول شى مدرسا

اولا حضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس جارحا بالسانك

فبات لقياس

(1) الخصام .

مشغولا بيا
اولا العنت شيطانك الشرير
خوذيني نصفك تشتمى فيا
جهرا ابلا اخفيا
فالستا تاشت لعشيا
عند اغروب النهار
قالوا للمشتاما النار
بالسانك قلت اعلى الشكارا (1)
مصحوبا ديماما
ممليا ابكتوب عل لفتخار
سابقا بالمعيار
كأبرا اميا فالسب ولغتب والزورا
لألك المدرسيا فايقا عل لبكار
ياتسمعى لخبار
يالزمنيا غشميا اموخرا للورا
قالت الزمنيا بجهار
يا لعصريا هذا عار
ياك حق الجار اعلى الجار
ماعرفت كود الهدرا (2) اعلى الشكارا
قمت كسرا
وزايدنا اتفلقى ابلحجار
مخصوصا ادب بالشبانيا
يارهط البويا
مشطونا ابلشعار
السانك مطلق ما عرفت مونا
ولا اعجنتك معجونا

وَمَعَ اكْتِئَاشِكُمْ مُسْتَطَوْنَا
طُولَ النَّهَارِ
أَنَا زَمَنِيَا أَوْ حَاجِبَا فِي دَارِي
وَمَعَ الشَّغَالِ طُولَ انْهَارِي
لِيَا أَصْفَايِ
أَنْتَ دِيمَا أَقْرَبَا
صَايَا فَالْمَحْزَمِ مَعَ أَقْوِيْمَجَا دُونَ انْهَارَا 'مَجِيْفَكْ
اَكْرِيفِيْطَا خَائِفَكْ
وَأَنْعَالَا مَحْسُوبَا صَانِدَالَا
لِلْخُرْجَا وَالْدُخُولِ
شَرَعَ اللّٰهُ أَمْعَاكَ يَا الْعَصْرِيَا
مَادَرْتَ أَصْوَابَ لِيَا
فَالشَّعْرَ امْحَلِّقَاهُ تِيَا
دُونَ لِقْرَاضِ لِقْصَارِ
حَتَّى الرَّاسِ مَعَ لُوجْهِ بَايِنِ
لَا دُرَا لَا نَكَابِ
قَالُوْهَا مَثَلَا أَعْلَى أَبْحَالِكَ
خُرْجِيْ سُوْقَ الزَّحَامِ
أَشْ أَتَعْرِفِيْ قَالِطَبَاخِ
طَبَجِيْنَ امْحَمِّرِ ابْلِغْفِرَاخِ
وَلَا مِيْدَا وَلَا مَخْرَقَا
وَلَا بَسْطِيْلَا امُورَقَا
لَا تَقُوْرَمَا لَا مَحْنَشَا اشْغَلِ الدَّارِ
زَايِدَاهَا تَعْفَارِ
مَا تَعْرِفِيْ لَشَّغَالِ الدَّارِ
حَتَّى دُوْرَا
أَشْ غَيْرِ الدَّهْنَا وَالرَّاسِ حَالِقَالُوْ لَشَّعَارِ

امخالفا للآثار

فالسوالف نظرا

ماهى ابحال بتورا

ونجيب العصرية بأنها مهتمة بالتعلم وطى مراحل الدراسة ؛ فلم تجد الزمنية غير التركيز على مظهر العصرية الذي لانراه لائقا وعلى معرفة الطبخ وشؤون البيت لاسيما ان جاءها ضيوف فانها تعجز عن تهيبء الطعام وتأخذهم الى المطاعم . ولكن العصرية ترد بأنها منقفة وأن الطبخ من اختصاص الخادمة التى تتقن كل أنواع الطهى ، وتخبرها بان خطيبها راض عنها تخرج معه وقد تعرفت الى أهله وتعرف الى أهلها . وتدعوها الى ان تخرج من غمة الدار وتصبحها فى فسحة بالسيارة لتزور مدرستها . وتؤكد الزمنية أنها محجبة تنبع العادة وأنها بذلك سعيدة ؛ وهى كذلك مخطوبة ولكن على الطريقة التقليدية حيث لم ينظر اليها خطيبها ولم تنظر اليه بعد ، يقول أهلها انه شاب صغير ومن خيرة الناس ، وقد خطبها فى البيت وتولى أبوها الامر وهو يبعث لها بالهدايا فى الاعياد . ويتدخل الشيخ الجار فيصلح ما بينهما ويصارع الزمنية بضرورة مسايرة العصر ومحو الامية ، وينبه العصرية الى ضرورة تعلم شؤون البيت . ثم يعود اليهما بعد سنة ليجدهما عملتا بوصيته فتحضر له العصرية مائدة اكل شهية وتنسخ له الزمنية أقسام القصيدة .

ومن الخصام المعتاد مانجد فى محاوره بين العروس وحمااتها ، وهى محاوره لم نوقق للتعرف الى صاحبها ، تقول حربة القصيدة :

ماغظمها فالزمان قصا سارت يافاهم لخطاب

بخصام اكثير خرق عادا بين اعكوزا وشابا

فالعروس تعير الحماة العجوز بكبر السن وضعف العقل والغيرة

وتوعو عليها بألوان من العلل والامراض قبل ان تموت ، بضعف البصر

والبرد وداء الجانبين والحمى والمرض الخبيث . فقد انحنى ظهرها وشاب

رأسها وخلا فمها الا من ناب ومع ذلك مازالت نار الرجال تلتهم اعضاءها :

قالت للشايبا اكبرت واهتوت بالعايبا

غرقي اكرفتي لعكايز منى يعطيك الضباب — والبرد اعلمت الجنداب
والحمى واخيبت يديوك للروضا اعقابا

بعد ميخنتك ظهرك احنا والراس لك شاب ■ فمك مافيه غير ناب
مازال ياخلك نار الرجل فاعضاك تاكبا

وتحييها الحماة لتطعن في عرضها ، داعية عليها بانقسطاع الرجل
فكثيرا ماوعظتها ولكنها لم تنتبه من عماها ، كانت تريد ان تشتغل في
البيت كما يفعل من هن خير منها ، وتقنع بالواقع وتحمده الله عماه تعالى
يرضى عنها كما رضيت هي عنها عروسا لولدها ، على الرغم من أن طالعها
ان شمرها على البيت حيث ضاق العيش وارتفع الخبز وشاب رأس ابنها
الشباب ، ولكنها كلبة لاتعطف طالما ان قلبها ميت اسود ، وطالما انها لم
تستوف دينها :

نسمع فاشاينا ونطق ■ قالت للبيت كيتك
عدفتي عرضك لمشتت ■ يقطع ربي ارجيتك
اعيت انراحت وانحلت ■ مافقتي امن اعيتك
معيت اعليك قلت واش الميقي ياغرت لكلا ■ واتكوني من اهل الدواب
واتعرف بين الزمان ابعدانو يالساينا

واخدمى كيف لالياك وانقي ابنا اكتاب ■ واتجسدى غائق الرباب
او طلييه يقبل اعلينا ويهون كل صعبا

كيف اقبلنا اعليك بعد اعرفنا اندامك الزغاب ■
ملى حضروا الخير غاب

وارضينا ابلقضا وقلنا لاهرب من لكاتبا
ادويت امعاك باللطافا من جانب وقتنا اصعاب ■

والولد اصغير كيف شاب
نبغيك اتساعفيه واتكافى من دى لعابا
وامنين شفت قلبك ميت اكحل امن اغراب ■

والظن اللي انويت خاب
احرام اعليك يالكلبا دينك ابلا امراتبا

وفرى العروس فى ردها انها لو لم تستح من شيب الحماة للظمتها ،
وأن كبر السن معدن كل العيوب وأن الخدمة والكنس لا يلقان بها
وبمئيلاتها من الشواب ، وأن شغل البيت من واجب الحماة ، فهى تخرج
بلا لثام ، وعليها ان تنفق فى السوق وتطبخ وتقدم الطاس (1) وتحضر
المائدة . اما هى فتنعم مع زوجها فى مجالس الاستمتاع متزينة فوق الفراش
وعلى ضوء الشمع وأمامها صينية الشاى يتساقيان فى سلاو وتيه وضحك
وملاعبة . واذا ما شئت الخروج للحمام أو الذهاب لفرح عند الاصهار فان
العجوز تسير خلفها حاملة لها رزمة الملابس على ظهرها كما تفعل
غيرها من العجائز :

نسمع فالبنت ابغير دهشا ■ للشايبا وقالت ابصوت الهيب
ماحق اعليك غير طرشا ■ لولا استحييت امن الشيب
ولاينى بالشاخشا ■ لكبر معدن كل عيب
آش ابقى لى ايلا اخدمتك قولى حشمت بالشواب (2) ■

واتهون انشطب الرحاب

ولانرضى انكون لك خادم يا عجب لمعاجبا

انت بعد ايلابقيت سهم الخرجا ابلانقاب ■

والمقضيما والطياب

وارفود الطاس يتبع الميدا واعليك واجبا

ونا قامجالس امع ولدك فوق لفراش بالشواب ■

واعلى الماكول والشراب

والشمعا شاعلا اقبيني والصينيا امرتبا

ترا نسقيه ويسقيني بتاى اعجيب افلكواب ■

ترا نسلوا ابلحجاب

ترا بالتية واخنات متى نرا ضحك واملاعبا

(1) آنية غسل اليدين قبل الاكل وبعده

(2) جلبت لهن العار ، من الحشومة بمعنى العار ، وهى كذلك بمعنى الحياء

انهار ايلض لي الحمام واحضور افراح النساب ■
وايلا كنت امن اللباب

تتبعيني ابحال لعكايز بالرزما امراكيا
وتسير المحاورة على هذا النمط في تبادل الشتمائم ، تحاول الحماة ان
تحط من شأن العروس والطعن في أخلاقها ومستوى أسرتها وأن تقنع ابنها
بضرورة طلاقها لتخطب له غيرها . وترد العروس بالوان من السباب
تستوحيا من الشيوخوخة وآثارها المادية والنفسية على الحماة . ثم يتدخل
الولد بعد أن حار في الامر وكأنه يصارع الف امرأة وبعد أن بكى وقرأ ولعن
الشیطان ، فينحني أمام أمه ، يدها خلف ظهره وخده في التراب معترفا لها
بأنه لها عبد ، ولكنها أحرقتة بالحطب والنار ، وذلك جزاء كل من يساعف
زوجته وتهون أمه عليه وتغلبه نفسه ، وهو يفضل أن يؤدي في الدنيا
ويزيل غضب امه ويريحها على أن يظل متابعا في الآخرة ليعاقب شر عقاب .
فكان أن لانت الام وحنث وزال عنها كل كرب . ثم التفت الى العروس
بحزم ونظر اليها بعينين ملتهبتين ، فاعتذرت لوالدته ورجتها ان تفك رقبتها
من العقاب وأكدت لها انها تائبة الى الله وأن اسلامها سيتم ويحسن على
يدها :

طاح الولد يبكي ويقرأ ■ ويلعن المارد الرجيم
ويحك اعمامته ابقهرا ■ وادموعو ساكبا ابيضيم
واتقول اتلقى ابالف امرا ■ والعز ابوجهك لكريم

اينادي بعد مد ايديه اوراه اوخذ اعلى التراب ■
العبد اوكل ما اكسباب

انا مكسوب عبد يالميما (I) وانت الكاسبا
احرقنتي ياميمني فالدنيا بالنار ولحطاب ■
يستاهل امن اخطا وساب
واسعف امراتو وهان بمو والنفس اعليه غالبا

اللهم انخلص اهلنا وانقول اصفنا من لغضاب ■

خاطرِكَ ولا بقی اعناب

ولا نبقي الاخرى نتعاقب شر لعاقبا

■ حنت وارطابت لميما وزال من خاطري لكراب

واهلنا من بعد التعاب

واتلفت اقلما بقلب امصم واعيون لاهبا

■ زاوكت فمو وقالت لها عتقى رقبا من لعقاب

منفعا واجبر والتواب

واليوم انا اعلى ايديك اسلمت ولله ثايما

وقد تتعدد المحاورات في قصيدة واحدة على حد ما وجد في «الخصام بين عشر جوارء لابن داوود» ، وهي عبارة عن خمس محاورات ثنائية تدور بين البيضاء والسمرء ، والطويلة والقصيرة ، والسمينة والذميمة ، والحضرية والبدوية ، والشابة والعجوز . وهي في الواقع مجموعة محاورات مستقلة لا يخرج الحوار فيها من الثنائية الى نطاق واسع تتعدد فيه الاطراف كما يتبادر من التسمية

تبدأ البيضاء فتفخر بأن لونها كالعاج وجسمها كقطعة قطن في يد النساج وبأن بين البياض والسواد مثل ما بين الليل والنهار ، والوسخ والنظافة ، وبأن السواد شبيه بالقار :

لوني ابيض اكما العاج ■ بدني اكما القدان بيدين انساج

بين لبياض وبين لسواد ادراج ■ مثل النهار والنساج

انظر تفكرتك فالثوب المجلوب ■ صاحب لبياض محبوب

وما السواد من راد ينقئ ■ باطل كذاك يشقى

وانت لونك يحكى للغار ■ واديت (I) يأسودا تعاندينى

فتجيبها السمرء بأن لونها كلون الخمر في الزجاج وكماء الذهب يكتب

به التاج ، أما العاج فليست تنقش به غير القباقيب ، وفي البياض خمسة
كلها باره وثقيل هي الملح والجير والرخام والعاج والقداد (I) ، تداس
مبخوسة الثمن بالاقدام ، وليس يسام غالبا غير الاسمر كالعسل والمدم
والمسك والعنبر والتبر والبرهمان ، ولولا السواد في العين ما نظرت الى الدنيا
يشرق اكما الخمر في قطعان الزاج ■ تسما وطيبا واعلاج
وبماء الذهب كيمكتب التاج ■ ونقش القباقيب العاج
ماريت افلبياض سوى خمسا ■ معروفين بالثقل ولبراد
ملح وجير به تكسا ■ وارحام وعاج غاليياض اقداد
مبخوسين او قلها بخسا ■ تحت لقدام اجرعوا النكاد
وارفاعت لسوام * تعرف لاسمر
شهد لعسل وامدام * والمسك والعنبر
والتبر حين يغنام * والبرهمان لحر

لولا السواد فالعين ■ ماترمى الدنيا
وتفخر السمينه بأنها ان جلست اشبهت جيشا وان مشيت تبخترت
كمركب محمل موسوق ، جمالها شحمها والشحم معشوق ، لاحتجاج الى
رداء او كساء ، ولحم السمين لذيق في حين ان لحم الهزيل مذهب مردود
ليس غير عظام وجلود . وأما النحيفة فكالقطة يبيت زوجها في قنط وهم
ونكد كانه يغسل الموتى لايلمس غير العظام والجلود ، وهي تستغرب له
كيف ينال منها مقصوده :

تمشي مثل المركب الموسوق ■ ويذا تجلس كمنى امحلا
زينى شحمى والشحم معشوق ■ مانحتاج اردا اولا اجلا (2)
لحم السمين ملذوذ ■ واما لهزيل مردود
مارج اعظام واجلود

وانت يارقيا مثل القطا ■ زوجك انراء افقنطا

(I) لم يتضح لنا معنى هذه الكلمة
(2) الكساء

ايبات فى مرتبا ❁ هاهيم اهميم منكود
يفسل الموتى ❁ يلمس اعظام وجلود
عجبنى وكيف حتى ❁ يبلغ امماك مقصود

فترد. النحيقة بأنه شتان ما بين الغزالة والناقة ، وبأن السيف لولا
رقته ما قطع ، وبأنها لطيفة ظريفة الطبع . أما السمينة فلا طعم لها ، يكفى
أن يعرق جسمها قليلا ليحمض :

كان هي لغزالا تشبه الجملا ■ او افلحضور اتجلا

...

وامن الرقا السيف كما يقطع ■ ويشطر كل من صادف بدنو
منى عيا اللطافا ■ والطبع والظرافا
ياصاحبت لغلافا

وانت باسلا تشبه للزقا ■ تحماض ابقل عرقا
وتفخر الطويلة بقدها الذى يغار منه البند والرمح ، وتشبه القصيرة
بكيس كالسلاحفة الملتصقة بارض او القردة تتخرج فى مشيها ، وتستشهد
بما يقال من أن الكامل الوافى فى الناس لا يغدر وأن الناقص مستعد للغدر
وأن الكامل من الثياب يستر والناقص يكشف العورة :

نطقت الطويلا قالت بالشدا ■ مثلى ايصول بالقدا
منى اغير بين القامات البند ■ والرمح كيف ينحد

...

ومانت ياقصيرا خنسا ■ مثل الفكرون فالشراب يحبو
فمشيك اتدردب ■ كنك قردا

اسمع قول الناس واستعبر ■ واتأمل فيه انخبرك خبرا
الوافى فالناس ما يغدر ■ والناقص تزيان لو الغدرا
والوافى فالثياب كيستر ■ واللى ناقص يكشف العورا
فترد القصيرة تشبه قامة محاورتها بقامة الزرافة وبأنها تدور
كالمروحة حين تهب الريح ، وتفخر عليها بأن السهم على قصره يذهب ابعده
من الرمح ، وبأنها لا تكلف زوجها كثيرا فى المأكل والملبس فبييت فرحا ،

المسهم شبر عادی ■ حصلات کیودی

أنا فاكلي واكسوتي نرفق ■ بالراجل وانبيتو فرحان

بانت اعليه اطلوا

ما تحترقو فالصيف باللقطا ■ ما ندحاو امع امخيض شكوات

• • •

بوجوه مستوریں ■ عن لعیون فاحجاب

وايدنها يشرق كما الياقوت او الذهب النايير الشعال

وايدنها يشرق كما الياقوت او الذهب النايير الشعال

وإما أنت يالسمغرا شربت اتموت ■ اربيع الظل ابلهوا يذبل

...

بالصيد والفرجات ■ كنقطعو الازمان

وانعمرو الخسوات ■ وانأمنو الخوفان

واللى ابروح ايبات ■ من سماير الضيفان

نتعاندا عل الكادا والمركوب ■ والذهب فوق لركوب

والسحا ولحسن ولكرام وصدقا ■ نزلوا جميع رفقا

ونشخر العجوز على الشابة بأنها لم تعد تلمد فأراحت نفسها وزوجها

من هم الرضاع وبكاء الصغار ، طعمها لذيد يشتهيها الدوق شبيها بطعم

التين الذى لا يحلو الا بعد يسهه ، ثم ان القادة والفرسان لا يركبون الجذع

الصغير ويفضلون عليه الفرس المكتملة يذهبون بها للمبيت فى أى مكان :

اقتطعت الولدا واتهنيت ■ واتنها زوجى وصبت امنأى

ما نكسب غير الزبون فالبيت ■ ما عندى مصاص ولا زواى

...

طعمى الذيد وابتنى ■ للسانوق فيه شهوا

...

ما كتراشى (I) التين ■ يحلا اذا يالوا

...

القدوات اضراغم الفرسان ■ افرسان الحرب والحملا

ماقط ارضوا يركبوا الجدعان ■ قالوا لك فامثالهم كلمات

اركب كارج ابييتك فرحان ■ لاین ماعولت به اتبات

فتجيبها الشابة معيرة اياها بالتجاعيد ، تدعوها للنظر فى عيني

واسنان كل منهما ، وفى جيدها الذى تغار منه الغزالة ، والوجه المضىء

والجبين الواضح وثغرها الشبيه بالشهد وريقها الشبيه بمدام معسول ،

أما العجوز فان طبعها شرس نخر وكذلك قولها والفعل ، كما أن السم

يخالط جسمها ، وريقها مهلك ، ثم ان الناس لا يمدحون غير الفتى الصغير

سواء فى نبات أو مأكول ، أما غيره فيحطب وتوقد به النار ، ومعروف ان

العجائز لا يدخلن الجنة (I) ؛ وإن الكبر مذلة ومرض أولى منه القبر ، وليس
يحمد الكبر في غير الدنائير :

قالت لها الصغيرا كيف اتشبهنى ■ باكما شك المتنى

انظر اترا العينك وانظر العينى ■ وانظر اترا السنك وانظر السنى

والجيد منو غارت الرشا ■ والوجه ايلوح ولجين اصباح

والمرشف سامد ويقشى ■ والريق امدام فى اعسل لجباح

طبعك اقبيح امسوس ■ قولك امع افعلك

السم فيك مدسوس ■ ريقك كيهلك

اجميع ماهو افتى مشكور ■ فاجميع انبات الارض والمأكول

فالقاح الارض كلها واشجور ■ كل فتى منها ايصول وايقول

والشارف يحطب بالشاقور ■ يصلح للنار اشهير معقول

واللى اعجوز قطعى ■ ماتدخل للجنا

لكبر فيه امذلا ■ ومرض ابغير علا

لقبر به أولى

ماهو لكبير املح الا فالمضروب ■ مسكوك اموهوب

ملاحظة :

بلغ ولوع الشاعر الشعبى بفن الخصام انه لم يقصره على الاشخاص
وانما تخيله فى الثبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون . وقد سبق
أن عرضنا لخصام بين الورود والازهار (2) ، ونريد ان نقف قليلا عند
ألوان الخصام الاخرى

فمن الخصام بين الطيور ما يقدمه محمد بن على المسفيوى فى البستان
حيث يعرض لمعاورة بين أم الحسن والكنار . فأم الحسن تتهم الكنار بأنه

(I) اشارة للحديث النبوى الشريف «اما علمت ان العجائز لا يدخلن الجنة»
يعنى انهن يدخلنها شابات

(2) انظر الفصل الاول من هذا الباب

يخسدها لجمالها ويعيرها بين الطيور ، وبأن محاولاته في التقرب اليها
لن تجديه ، وسيظل جسمه يحترق بنار الاكدار تبدو آثارها على وجهه
الذابل المصفر من هجره لوطنه ، فقد أصابه الغرور وحضر الى بلدها
يسعى الى المجد ولكنه لم يدركه ، وهو شقي أسير مقصوص الجناح مسقوم
الذات ، ومع ذلك يريد ان يبرز عليها ويتفوق :

ابغضتني واشمتني بالعار من لطيور

ليس انفعتك في امحبتى تحزار

مكواك في جسمك نار

ومن لكدار

عن جسمك لون الضنا ولصفرار

ومن لغرور

جيت لبلادى ولا دركت شان

ولا عمرت بك اوطان

في كل آن

تصفار وتدبال ابلهجر يرقان

.....

طول ايامك افلشقا امع السجان

أسير عيادم الجنحان

حتى لبيدان

مسقوما وانت اتعول يا ولهان

عنى اتران

ويجيبها الكنار بأنه يعذر في حاله لان العشق وهوى الفاتنات هما
سبب الهموم الساكنة في جسمه ، فقد اتى به صغيرا من بلاد العجم
وأدرك مقاما رفيعا لترنمه بالانغام في أوقات السرور والهناء ، حيث يتصدر
مجالس الانس كالسلطان تحيط به الفاتنات والفتيان ، يهديهم الحنان
ويرحبون بأنغامه المتفنتة :

دار لهموم لوكان اتعرفى الساكنة افلجسام

فامصايب لعشق واغرام
بهوى اليريام
اتعذرى حالى اولا تزييد اكلام
ليا اتروم
جابونى ونا صغير من لعجام
وادركت اعلو وامقام
طول الدوام
كانلاغى وقت لهنا ابكل انقام
ولا انعام

تلقانى وسط لبساط كالسلطان
بين اليريام وشبان
نهدي احنان
واكذلك فى شغلى ابغيت اليتقان
قالوا اهملان

وتنطق ام الحسن بعد هذا تعيره بان قلبه فى حريق وضيق ، لم
يجد من رفاقه من يشفق عليه ، اخذ بحيلة وسجن وعزل عن وطنه ، لاصديق
له بين الطيور ، هائم فى قفصه دائم الظم والجوع متغير الالوان

قلبك امن اجفاك احريق
وانت افضيىق
ويحك ما صبت اليوم قلب اشفيق
بين الرفاق
سجنوك ابحىلا اولا ايليك تدريق
مالك فالطيور اصديق
ولا ارفيىق
عن وطنك معزول ما تعرف اطريق

.....

وانت يا عجمي اعلى لبدا ظمآن

بالجوع انخيف عيان

واعلى اللوان تختلف وانت افلققص هيمان

وسط لعفان

ويرد الكنار معيرا محاورته بأن وجهها أسود كقابها ، تخرج في
الليل شبيهة بالجان :

وجهك اكحل ابحال قلبك

وايلا ايبان الليل تخرج انت من لفظان

امثيل جان

ثم يتدخل السمريس ويصلح بينهما ذات البين

ومن الخصام بين الجمادات ما ذهب اليه خيال الحاج محمد بن

عمر المراكشي حيث تمثل حوارا بين القلة والغراف في قصيدته التي يقول
في حريتها :

الخصام اكثير أفاهمين نوضح شلا يوصف ■ والكلا والغراف ■ داروا
باتنين اخصوما

باتوا فالمعيار مارتاوا اولا هم قصصروا

وفيها يقول على لسان الغراف يعير القلة دون خوف بأنها غدت زائدة

لا يحتاج اليها بعد ان استغنى الناس عنها بالخوابي التي تملأ بالماء وتبخر

بالعود ، وهي لم تشاهد الركوات المختلفة الاصناف تحمل في همة وشأن

متبخثرة على البغال لتملا وقد وقف عندها الحراس :

نسمع فالغراف ■ قال فاجوابو ولا خاف ■ للكلا فالتعناف

شيظت يامدموما

لخوابي بالما كاي عمرو ■ بالعود اتبخرو ■ ماشفت ركوا اولا انظرت

عمرك وقاف

عندو ركوات اصناف

درکوا هما واحکوما ■ دايم عل لبغال كي عمرو ■ بالما يتبخترو

وترد القلة بأنه اولى بالغراف أن يخجل وقد استغنى الناس عنه

بغراريف الخزف والبلور الجديدة (I) المحيرة ، تشتهى العين ان تراهها
زينة في الدور الكبيرة تقدم في المناسبات ، أما الغراريف مثله فملقاة في
المطابخ متظايا معيقة :

جاويز الكلا اسريع قالت هذا الغراف ■ من شيط يا غراف ■ ماجاتوشى
احسنوما

ماشاف اغراف ادلبديع وبلار ايجيرو

اعشمايا : هما اشموفهم فيهم مايتشاف ■ موجود غير الناف (2) عند
الكبرا مفهوما

في ساعت لفراج بست (3) حاشا مايشوغرو

واويناك برى افلكشماش ما بين اشقاف ■ اشميايا حين اتعاف ■ طارت
منو شاقوما

تركوه استغناو ابلغراف الا ينفيرو

ومن أروع الخصام بين مظاهر الكون مايتحفظا به العيساوى الفلوس
فى تصيدة «النجمة» التى تصور الصراع (4) عايبها بين الليل والنهار ،
يقول لى حربتها :

سحقوا الخصام ماجرا للضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لأكام

وانصار الضى وحازها الرسمو وانزاح اللوم

وهى فى الحقيقة قصيدة رمز الشاعر فيها بالنجمة للحرية وبالليل
للاستعمار وبالنهار للوطن . فقد اشتد حزن الليل وبكاؤه وأبينه وطال
به لسهى ، وسأله قومه عن سبب حاله فأجابهم بأنه اختفاء النجمة وعجزها

1 المقصود فى المعاورة الغراف المصنوع من الفخار

2 الكلمة من الدخيل الفرنسى ، بمعنى جديد

3 بمعنى زينة وهى من الدخيل

4 سبق أن رأينا فى الفصل السابق ألوانا من الصراع بين بعض مظاهر
الكون وخاصة بين الليل والنهار ولكنه لم يكن فيه خصام وحوار
كهذا الذى نمثل به

له ، واستغربوا لذلك وقد ضم تحت اجنحته كل النجوم وطلبوا منه اسمها
ونعتها فرد عليهم بأنها الحرية لاتخفى ، يريد أن يذهب اليها فى أى أرض
أو بحر تكون ، فقالوا له انها كانت من قبل فى القيروان :
والليل أقرا حزنو من الجفنى ■ كيهدر ويزيم ■ قالوا لى ناسو اشبيك
خبرنا يا الهمام

قال لهم النجما اخفات عنى ■ واهجرت النوم

قالوا لو جمع النجوم ■ تحت اجناحك لفحيم

واتقول النجما اخفات لك يا صاحب لحكام

ورالنا سمها ونعتها لاتبقى مهموم

قال الحريا ابلا اخفا سماها لعظيم

فاشمس ارض اتكون اولمافا بحور رسام

قالوا فالقيروان قاطنا كانت قبل اليوم

وذهب مسرعا الى القيروان وسائر بلاد تونس فلم يعثر لها على اثر ،
وبعث جواسيسه يبحثون عنها فى كل مكان ، وطالت به السنون ينتظر
وهو مهموم حزين . ثم جاءه الخبر بانها فى حوزة النهار حيث يوجد سلطان
فى المغرب يمتطى جوادا ملجما مستعدا بجيشه للقتال . فتاقت لها نفسه
وهيا جيشه كذلك ، وكانت مقابلة كاد فيها سلطان النهار ان يأتى على الليل
بسيفه ، وخاطبه بأن طالب الحرية ينبغى ان يكون فارسا مقداما وانه هو
صاحبها منذ اليوم :

جاو الجساس جمع قالوا لو يالغريم * جينا خبر النجما انتيا فارس ضرغام

حاجبها مير الضيا افرسمو وانت مغموم

اوجدنا سلطان فالضيا دون شكا فالغرب امكيم *

وجندو للحرب واجدا بالرماح ولحسام

واهمام الضى اشجيع عن اجوادى امسرج ملجوم

قال السداج ابغير توقار * لا بد ما نخور النجما بسقارو

لوطال الحرب اقليل وانهار * عندى اجنود هما للحرب اصهار

قام الضى ابسيف بتسار * واهوا على الداج كاد يقطع اتارو

واخرج سلطان الضى للوعى ندا يا لبهيم *

من راد الحوريا ايكون فارس حربى زطام

انا مول النجما اليوم ولا من بعد اليوم

ورضى الليل بالهزيمة وسلم أمر النجمة للنهار الذى عفا عنه وامره

بالرحيل ، ولكن الليل امهله ورجاه أن يكون له عبدا يخدمه فى كل شىء ،

فوافقته النهار ، على أن تعقد بينهما شروط تحدد مدة اقامته وتعود على

البلد بالخير (I) :

انطق الداج وقال للمضى انا لك اخديم * وانتظم لحوال كلها كمادت نغلام

أمر بجميع ما تريد انفعلو محتوم

وادوا الضى وقال للدجا هذا الامر الزيم *

خبرنى لصلاح ارضنا شيقداك من عام

قال هك هوام ياما بالشرط المبروم

ولكن الليل لم يلبث ان تنكر للاتفاق وغدا يحشد جيوشه ويقوى

مركزه فى الساحل والداخل ويكسب له اعوانا يتقوى بهم ، فما كان من

سلطان النهار الا أن ارسل له كتابا يستفسره عن هذه الحشود ، فأجاب

الليل بانه يسعى بكامل استعدادده لحياسة النجمة التى طالما بحث عنها

ولاقى الهوم والاهوال فى سبيلها ، ورد النهار بان نجم الحرية فى أرضه

منذ الف عام كما يشهد التاريخ :

احرك الليل وجا على البحر كيرحل ويقيم *

وانزل فالساحل كيف مذكرت وزاد القدام

واعمل صدقان احدها واصبح شملو ملموم *

واخرج سلطان الضى فى امجال كفجر ابسيم

وارسل للداج اكتاب بالحواب وحسن لنقام *

قالوا شتريد افارضنا لاش اجمعتى د الفوم

وادوا لبهيم وقال جيت للنجما بالتقويم *

عندى مدا جوال عنها فالعرب وعجام

واحجبتها عنى وحجها خلانى مهموم *

(I) اشارة الى عقد الحماية المبرم مع فرنسا سنة 1912

خبرنا بالنجما الى اعشقتى حتى تفهام *
وانطق سلطان الضى للدجا قالوا يا لثيم
قال الحريا اغرامها فى قلبى مرسوم

قال اهمام الضى للدجا ياك الكذب اذميم *
نجم الحريا افارضنا هذى الف عام
طلع لتاريخ العرب شامخ اعلىنا كم ارسوم *

وهيات الظروف ليل فحكم بسلطانه البلاد مستوليا على خيراتها
طاغيا ومتجبيا ، يقتل ويسجن ويطرد ويشرد ، واحس النهار بقومه ثابتين
واعين لقضيتهم فدعاهم الى ضرورة الاستعداد للانتقام وتخليص البلاد من
الليل الخائن ، فاستجابوا ، طائعين لاوامره واعتبروا انفسهم حماة الشعب
مستعدين للتضحية بالارواح . واعترف لهم سلطان النهار بهذه الشجاعة
المعجودة فيهم يوم البراز . ولكنه نصحهم بان ينهضوا للتعليم وان يطيعوا
رأى زعيمهم :

فاق اهمام الضى بالدجا خوان امن اقديم
واثبت اليخلاص امن اقوامو وافجا لغسام
واعرف ما دار الدجا من مكر لله مضموم

واخرج من لحجاب الكباح المحرم قديم
شار اعل قومه الخالصين ايشدو لحزام
بلسان الحال ادوا وقال لهم اليسوم اليسوم

...

قائوا قوم الضى لاحقا قولك قول احكيم
احنا لك ارعيا ابلا اشتر الركابك خدام
امرنا واتشوق منا ما يفجى لهموم

نحن حماة الشعب دون شك خدام واخديم
نحن لشبال اشهود عندنا فالتاريخ العسام
ليس انبخلو بروحنا اعل ذا الشعب المضيوم

قال اهتمم الضي للرعيـا بلسان احليم
تدريكم افساعت لوغاما تخشوا آلام
انتم المخلصين امن الضيا مانا جاحدكموم

لكن خادوا وصيتي بهضوا للتعليم
تبعوا رأى الزعيم صاحب الفكر واهتمام
هذي روجي وأرواحكم هذا العارف يا قوم



الفصل الرابع

في

حمى الله والرسول

ليس غريبا والشعر الشعبي مرآة تنعكس عليها نفس منشئيه
ومردديه ، وان في غير وضوح وصفاء ، وليس غريبا كذلك وهذا الشعري يقوم
بوظيفة — ولو محدودة — في نطاق التوعية الروحية والتعبير عن شعور
الجمهير الديني ، أن تكون المناخ النبوية والتوسلات من أغنى الموضوعات
التي شغلت ذهن الزجال المغربي وملأت قلبه وعقله . فافاض في القول كاشفا
عن خالص حبه للرسول عليه السلام ، مادحا ومصليا ومتوسلا ، ليس له من
غاية غير زيارة قبره والتبلي بمشاهدة نوره عساه يكسب عطفه وينال شفاعته
ويحشر في زمرة يوم القيامة .

وقد سبق أن رأينا في أول الفصل السابق أن الشاعر الشعبي
ابتعد عن فن المدح الا ما كان منه في الرسول عليه السلام فانه انطلق
فيه ، الى حدان تسمية المدح أو «المداحي» لا تعنى عنده غير المديح
النبوي .

ولم يكتف الشاعر الشعبي بارتضاء القول في المديح النبوي ، وانما
جعل منه فنا قائم الكيان ناضج الصور مكتمل الخصائص ، تناول فيه سيرة
الرسول بما فيها من صفات وشماثل ومعجزات ، عرض قصصها في قصائد
أطلق عليها المعراج و «الخلق» اي ميلاد الرسول ، و «الوفاة» يعني وفاته
عليه السلام . وقد يتناولها عرضا في قصائد التوسل والقصائد التي سماها
« حول القيامة » حيث يتحدث عن شفاعته الرسول في أمته ، وفي قصائد
الحنين الى البقاع المقدسة والشوق لزيارتها ، وهي قصائد يمتزج فيها
ذكر هذه الاماكن بالحديث عن الحب والوجد . كذلك غدا التوسل عرضا مستقلا
مقصودا لذاته مستوية معانيه ، وان اتى عرضا في قصائد المديح .

وكما حبذ مدح النبي فكذلك حبذ مدح ابنته فاطمة وحفيديه الحسن
والحسين ومدح الاولياء والصالحين تبركا بمقاماتهم وكراماتهم وتوسلا
بها الى الله .

وكانت المواسم الدينية - وخاصة ذكرى المولد النبوى والمولد
الطريقى - أعظم مناسبة لانشاد هذه القصائد . وكان ضريح سيدى فرج
بفاس ، منذ منتصف القرن العاشر (1) حتى اليوم ، من أهم ملتقيات
حفاظ الملحون فى ذكرى مولد الرسول ، تسرد (2) فيه القصائد التى تحكى
قصة السيرة وخاصة منها المطولات التى يندر تداولها ويقل اقبال الناس
عليها ، والغالب ألا تلقى فى هذا المحفل غير قصائد كبار الاشياخ أمثال
المغراوى والنجار وابن على وغيرهم من أعلام الفن .

حب الرسول

عبر الشاعر الشعبى عن حبه الصادق للرسول ، فبدت فى تعبيره
بعض سمات الحب المعروفة فى شعر الغزل كالفراق والهجر والحنين والبكاء،
تعلوها مسحة من روحية المعنى وسمو العاطفة ، وتتخللها بعض الانفعالات
والمواجيد البسيطة الساذجة .
فحب الرسول عند النجار علاج للقلب لا يستطيع طبيب أن يداوى
بغيره :

يا مسعدنا به حب للقلب * اعلاج لا امداوى من غير ادواء

اشتعلت نار غرامه واتقدت فى صميم مهجته فلا يطفئها موج البحر
الزاهر لو فاض ، وبكت عينه من الشوق حتى رسمت دموعه سطورين
على الخد ، وغاب النوم عن عيئه فى كل وقت ولم يعد يستطيع الاكل من
النسم والهيام ، وهو يطلب ممن كواهم الشوق مثله ان يعذروه ، ويرجو
أن يمنح نظرة فى الرسول نور الحق السامى لانه علاج دائه :

شعلت نار اغرامسى * واكنات فى اصميم امهاجى قبل الصيام
موج البحر الطامى * لو فاض لاطفاها بالداجل والديسام

(1) انظر الفصل الاول من الباب الثالث لدى تعليق على قصيدة ابن عبود
المعروفة بـ «المحرى» .
(2) انظر الفرق بين السرد «السراة» والانشاد فى المدخل .

واكتب ذمى انيامى * سطرين فوق سجن (I) الوجن لهل لعلام
بعد اجفيت امنامى * فالضى ولغياصب واضحى قوتى اصيام
عذر نسى فهيامى * امن اكواو كيفى واكماو اعلى السقام
نرجسا طب اسقامى * والمنع انظر وانفوز بطيب لمرام
نور الحق السامى * صلى اعليه ربى وعلى آلو اكرام
وابن على فى « جل الصلا مهديا » يعشق الرسول ومقامه منذ صباه،
ولكن البعد يكيده له ، فهو فى حالة يرئى لها من شدة السهر ، وقد حطم
الفراق جسمه وأوهن قلبه ، وفاضت دموعه حتى ان غرقة منها تفوق
الامطار . وغبتا حاول أن يخفى هواه ، فان عليه شواهد تكشف عن اسراره
الدفينة ، اذ لا ينفع فى الهوى كتمان . وعرف أهل الغرام داهه ، ولكن لا
علاج له غير زيارة كنز غناه ومنبع سروره وسلواه :
عشقى امن الصبا فمقامو والبعد كد لى والبيسن
لحال حالتي مدالى نرعى اكواكب الديجان
هد لفراق ديوان اسيارى ولخبير (2) صار اوهم
غرفا امن ابحور ادموعى ولا اعوارض من امزان (3)
اشحال ما خفيت اهوايا والبين افلمهاج اكين
خبرو اشواهدى بسرارى ما فاد افلهوا كتمان
وهل لغرام عرفوا ديا مالى اطبيب فالبريسن
الا اوصول كنز اغنيا هو السرور والسلوان
ويعبر ابن الوليد عن حبه للرسول بأن فيه عز روحه وهواه :
آه اعلى بهواك * يامن روحى فهواك عزها وهواها
وقد تمكن الغرام من كبده وسكن الحب جسمه ، وهو حب خفى ،
ولكن مرضاه كثيرون ، اصابه فشقيت أعضاؤه وحرمت عيناه النوم ، يقضى

(I) فى القصصى : السحنة يفتحون بمعنى الهيئة .

(2) الاسيار الدواخل والخبير القلب .

(3) اعوارض امن امزان اى سجب ممطرة ، وهى كذلك فى
القصصى اذ العوارض ج عارض وهو السحاب الذى يعترض فى الافق ، أما
امزان فجمع مزنة وهى السحابة البيضاء او المطرة .

ليلته من الاشواق في مصارعة الافكار والهواجس ، عيناه ترقرقان وجوارح
قلبه ترجو الوصال :

وانت الي اغرامك ذلك اطنابو اعلى اكبادى
والحب ولمحببا سماكن لعضا
واخفا وكثرت المرضى
صعبن واحرممت الغمضا
اشاق لعضا

وانبات امن اشواقى فالداج نصرع لعزائم
والغير فى امنامو متهنى كيبسات نايم
عينى اتبات رقرافا
واجوارحى وقلبى ترجا لوصال ليل واتهار

والحراق يخاطب محب الرسول ان يفنى فيه اذا اراد ان يتم له
الوصال ، ويشهد نور الحضرة المحمدية ، ويرقى سعده على جميع الاكوان
حتى يغنيه عنها بنظرة واحدة . فمن كان هذا الحبيب نصيبه فهو يشفى
من كل الاسقام والاضرار ، وتشرق شمسوه واقماره وتأتبه البشائر فى
كل وقت وحين :

يامن ابغى اوصال احبيبو * افتنا اشموف نور الحضرا
وارقى عل لكوان اتصيبو * يغنيك عنهم اينظرا
من كان ذا لحبيب اتصيبو * من كل باس حائلو ييرا
تشرق اقلقلوب اشموسو واقمارو * واتجيه افكل وقت ابشارا

اما الغرايل فيشقى عقله من الحب ويشتعل جمره فى ذاته ، ولو
فاض موج البحر لما اطفأ نار اشواقه . من ذاق طعم الهوى ينصفه ومن
لم يذق لا يعذر ، ليس به غير حب الهادى ضوء عينيه ، فهو يتمنى أن
ينظر اليه :

آه اعلى بلحب عقلى شاق * واجمار البين اكداث فسفاقى (I)
ألو فاض ابموجو بحر دشاقت * محال ايمرد نار لشواقى
ما يعذرنى فهو من لا ذاق * والى ذاقوا يعطوا تحقاقتى
بما حب الهادى ضى لرماق * على نظرا فبهاه برماقتى

(I) اتقدت فى دواخله .

وعنده ان حب الرسول ملك الروح والعقل والاحشاء والاكباد ، وترك عيونه ساهرة ودموعه سائلة ، وليس يتمنى الا أن ينال غاية مراده ويرتاح مزاجه المكدر ، وهو مملوك يريد ان يكون فى كنف سيده حتى يعيش فى رغد وهناء ، بل انه يهرب من أخطائه يريد اللجوء الى حماه كما تفر من أعدائها العيس والغزلان :

حبك املك الروح ولعقل واحشايها واكبادى * وانجالى (I) بدموع ساهدا
هل يا مدرا انال بها غايت امرأتى * وترايح اخلاكى الناكدا
آسى ايل المملوك دون سيده فحماه ايفادى * وينال العيشا الراغدا
اهروى لحماك امن اخطايا ما هرب الشادى * والعيس الى ظلمت لعدا
واما الفلوس فحب الرسول عنده فرض على المسلمين دائم باق ،
به يروق اهل الايمان ، وهو رونقه وحلته المنمقة ، وهو يقوى شوقه ويروى
المشتاقين ، بل ان حبه كان سابقا لوجوده مسجلا فى صحيفته بقلم القدر .
ويرى أن كل من لا يملأ قلبه حب الرسول فهو عامى الابصار غارق الذات
فى بحر اللهو ، هائم فى الشقاء ، تمزق ريشه أعضاءه :

حبك فليسلا من فرض باقى عن كل اخلاقى * به هل ليمن رايقا
حبك يا عين لوجود عندى هو روناقى * واحلول اكساتى امنقا
...

حبك يا سلطان كسل تقى قوى تشواقى * به اروات اقوام شايقا
ونا قبل انكون كان حبك سابق فوراقى * بفلام القدرا الصادقا
قلب الا سكنو احوالك باقى عامى لرماقى * داتو عل ليام غارقا
فلجوج اللهو لقصيف حتى هام افلشواقى * واعضاء ابريحو امزقا

اوصاف الرسول وشمائله

وانطلاقا من هذا الحب الصادق العميق غدا الشاعر الشعبي يستعرض
أوصاف الرسول صلوات الله عليه يقتبسها من شمائله وخصائصه المعروفة.
فهو عند الحاج اعمارة غاية الجمال الهاشمى القرشى المدنى ، حبيب الله ،

(I) العيون وأصلها فى الفصحى من النجل بفتحيتين سعة شقة العين.

وقرة الابصار ، وعين الهدى الهادى ، ومصباح الانتصار ، وعين الرحمة ،
وسيد السطورين :

زين الزين الهاشمى القرشى محبوب البارى
المدنى قرت لبصار
محمد عين لهذا مصباح انتصار
عين الرحما سيد امن اسرا
وهو عند المغراوى فى « عين الرحمة » سيد الرجال المصطفى صاحب
الشفاعة والخاتم :

ازغرتى ازغرتى (I) اعلى المصطفى سيد الرجال
عين الرحما صاحب الشفاعة والخاتم طه
وهو جميل الملامح مشرق الانوار ، المخصوص بغاية الكرامة ، جعله
الله رفعة وشانا وبعثه رحمة :

هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف صلى الله عليه
لازم اعلينا انجملو اسم القيوم ابدع لكوان
وانصلبو اعلى الرسول شارق لنسوار انبيننا
المخصوص ابغايت لكرام جعلو رفعا وشان
من بعثو رحما اوجد من فضلوا به اعلينا
وهو تاج المرسلين وخاتم الانبياء الكرام ، قدره كبير لم يحصر
وصفه اكبر العلماء ، سبحانه من خلق صورته وكساه الحسن والكمال ،
ومنحه الحرمة وعلا درجته الرفيعة . والنظرة الى جماله لا تفدى بمال ، وكل
من عشق غيره لم يكن غير الهول واللبو :

من مدحو يدخل تحت ظل يوم القياما
لنو تاج المرسلين وانهايت لنبيا لكرام
قدرو اكبير ما تنهى وصفو علما
سبحان من اخلق صورته واكساه بلحسن الكمال
اعطاء الحرما

(I) زغردى (انظر آخر نص بهذا الفصل) .

ادرجتو العليا علاها

نظرا للعشاق في اجمالو ما تفديها امال

هول راسو كل امن اعشقى غيرو كيتلاها

وهو عند النجار سيد الدنيا ووجهها ، صاحب المعراج وخير الاولين

والآخرين ، ليس بشابه أحد :

والقدار اجفيه واعلم سيد الدنيا اوجهها من لا حد سواء

طه مول المعراج خير من ياتو والي فاتو

انه المفضل طه خير الانام :

نحسن به اختامي * محمد لمفضل طه خير الانام

لا مثيل لجماله ، ومادحه لا يخيب ولا يهمل غزله :

حسنو مالو ثاني * حاشا ايخيب مداحو غزلو ما يبور

وعند النجار كذلك انه صاحب التاج واللواء والخاتم ، وانه سيد

الابرار ومشرق الانوار :

لمفضل سيد لبراز * طه شارق لنوار

صلوا على المختار * محمد مول التاج واللوا والخاتم

ويصفه ابن علي بانه صاحب الكرامات خير النسب على القدر :

وانثنى بصلات لمفضل محمد صاحب الكرايم بن عبد الله

خير النسب اوعلى القاسم

وهو الشفيع الذي جاء بالفرقان ، وعين الهدى وسيد البشر :

صلى الله اعلى اشفيعنا من جا بالفرقان عين لهدى رسول الله

يا عشاق افسيد لبشر * عيننا في اصلاط لمفضل طه

وهو عين الوجود ، لولاه لما كان آدم او اى مخلوق ، ولما وجدت

ارض تسكن او قفر خال ، لولاه لما أرسى الله الجبال ولما وجدت بحور

بأمواج تصوت كالرعد ، وبعجائب في أعماقها تفوق لكثرتها ما فوق الارض

وما يغطيها من موج ، لولاه لما كانت السماوات والافلاك تملأها الملائكة

تسبح بحمد الله دون انقطاع ، ولولاه لما كانت الحجب والكرسى والقلم

والعرش :

لولا عين لوجود ما يكون آدم ولا يكون حتى مخلوق امعاء *
 لا ارض اسكان لا اقفر * ولا كانوا اجيال لجليل ارساها
 لولا عين لوجود ما تكون ابحور البماج كرمود اتركلم بهياه *
 واعجائب فوسطها اكثر * من فوق الشرق او موج اغطاها
 لولا عين لوجود ما تكون اسماءات اكل فلك منهم بملك املاء *
 مسفلين ابدا ابلا اقفر * في تسييح لله بصوات الغاها
 لولا عين لوجود لا حجب الاكرسى ما يكون قلم ابامرو نهاه *
 سبق باسم الله فالسطر * باسم عين لوجود مقرون امعاها
 لولا عين لوجود ما يكون العرش افعلت استعجب مهما تنشاه *
 تذل الحي عالم الامر * ايسبح ادوار به دارت معتاها

ويستعرض ابن علي بعض خصائص الرسول ومعجزاته ، فهو صاحب
 الشفاعة ، وهو الذي انشقت له الارض وحضرت الملائكة بين يديه ، وهو
 المؤيد بالعز والنصر ، رضي الله امته للنعيم ، وهو الذي كانت تسجد
 الملائكة لضيائه كوكبه حين يسطع ، وهو صاحب الاسرار والمعجزات من صفوه ،
 دانت له النخلة ليحظى ثمرها ، ونبع الماء بين اصابع يده ليسقى جنود جيشه
 وقد اطعمهم من صاع تمر ، وفر اليه الغزال وكلمه الضب ففهم كلامه وآمن
 برسالته ، ودخل الغار مع رفيقه فستر بابه بتسييح العنكبوت وعشش الحمام
 وشجر اليفطين ، وغرس عودا نخر اذابلا فعاد بذكر اسم الله مخضرا واثبت
 ثمرها طيبا :

هذا هو صاحب الشفاعة نهل الدروب لكثيرا واعده بها مولاها
 داخل حرمها ما يشوف شر * ونامنو اطلبت للروح افداها
 هذا هو من انشقت اعليه الارض اجات لو املاك ابامر امن اعطاء
 المؤيد بالمعزز والنصر * اماتو فالنعيم لجليل ارضاها
 هذا هو من كانت لملك تنظر كوكبو حين يطلسم تسجد لضيائه
 ويولي ايفيب عسل لبصر * سبعين الف سنا ويطلع فوقها
 هذا هو صاحب لسرائر امع المعجزات له ظهورا من حال اصباها

يوما كان افعالت الصغر * له النخل ادنات بثمر واجناها

صلى الله اعلى من اتبع من بسين اصباغو الما اسقا جيشو بعد اظما

واطعمهم من صاع امن اتمر * من بركتو اروات والصاع اكفاها

صلى الله اعلى امن اهرب لغزال العندو اكلم الضب افهم الغام

واشهد لو برسنت لبدر * واصعد معصوم كان ملقاء اعلاها

صلى الله اعلى امن ادخل برفيقو للغار ولهبون اطلق غزل اسداه

واليقطين ابعرفها انشر * واحمام العش دار بهو وابناها

صلى الله اعلى امن اغرس عود امسوس بعد ما ذكر لسم الله

وارجع لو من بركتو اخضر * واظمم بتمر مختلف طعم احلاها

ويصفه العلمي فى « الشافى » بانه علاج كل مريض ، رفيع المكان

سيد الموالى وقدوة الافاضل ، شريف القبول سراج الهدى وكوكب

المعالى والظاهر المطهر والصادق القول :

جد بدوا يا طيب كل معلول * يا رفيع المأوى يا سيد الموالى

يا قدوت لفضالا يا شريف لقبول * يا سراج الهدى يا كوكب لمعالى

يا الطاهر لمطهر يا الصادق القول * ادخيل جارك عند الله روف يانوالى

وهو عند ابن الوليد الزاد والعون واعز الاهل ورسول الله المختار

وسيد الابوار :

فيك عاد الزاد العوين يا عز الوالدين

انت ارسلو الله يا المختار * منك نور لنوار * وانت سيد لبرار

وهو الكامل البهاء :

يا لمصطفى ضيف الله يا المختار * ياكامل لبها نزهى قبهاك

وجد الحسنين :

هل يا مضرا نلقاك ونشاهد نور ابهاك يا حمد ياطه يا لمصطفى زين الزين

يا جد الحسنين

وهو عنده جميل الوجه أسيل الخد أسود العينين :

اتحى ذاك الوجه الجميل ونشف فالخد الاسيل ونزه فالطرف الكحيل

وهو طيب المسك :

الصلا والسلام افكل ليل وانهار * اعليك يا الهادى طيب لمسك

ويمدحه ابن الوليد كذلك باله تاج المرسلين ، اعطاه الله فممنح
الرحمة للمسلمين من عطائه ايها ، به تم الاسلام وصحت الهداية يسوم
هداه الله وتولى أمره وأجله من نوره ، وعلا درجته وشرفه ونصر به
الدين :

وانت لكريم اعطاك * والرحما من معطاك * للسلام اعطاها
بك يسلم المسلمين صح اصدق لمين
صح لهذا بهذاك * انهار الله اهداك * للهدى هداها
ودها في لميت اثنين بك المولى لحنين
يوم الحق اتولاك * من تور اتجلاك * ادرجتك علاها
شرفك وانصر بك الدين يا تاج المرسلين
انه سيد الثقلين ، اكرم الله متواه ورفع درجات مأواه ، وسماه
الزكى بن الرسل ، وقرن اسمه باسمه ، وجعل الشمس تشعشع فسي
السما بنور ضيائه ، وتزدان به الارض والسما :
اكرم لكريم مثواك * وارفع ادراج مأواك * واسمك بين لرسال الزكى
واسمو مقنون باسمك
والشمس ابنور اضياك * شعشعت قسماها * زانت السما والارضين
بك اميد الثقلين
وانه طبيب روحه وعلاج دائه ونفسه ، احسن فيه الظن ليدويه ،
جعل الله صلاته فرضا في مجالس المسلمين ، يحدث عنه العلماء ويؤلفون
الكتب فيه وفي الصلاة عليه :

وانت علاج روحي والروح الساكن افجسدى
وانت اطيبها واعلاج ادواها
فيك حسن الظن اقداهها
وانت الى الله امر بصلاتك فرض لازم
اعلى امجالس أمتك وحدث بك كل عالم
ونفتها (I) السولافا
واكدايا فى اكتب النساخ امصحح افلسطار
وهو مدد ونور وعن ورحمة للعباد ، وهو المبين الشافع فى المذنبين ،
(I) الراجح انه يقصد التأليف كما يفهم من السياق وليس اللفظ .

من رأى صورته فاز بالكرامة ونال الكرم ، وتزوج الحور فى جنة النعيم ،
وشفى وغفر الله ذنبه بالنجاة من النار :

مدر شفقتك نور اعز للمعبدى

لله الشكر يا جد الحسنين

يا المصطفى زين الزين

يا الشافع فالمذنبين

يا المبين

من شاف صورتك يا محمد فاز بالكرام

نال الكرام

وازواج الحور افجنات انعام

وابرا اراح واتعافى

والله يغفر ذنبه واقبض النجا امن النار

وهو الامام المهدي وخاتم الشهداء وعروس الملك وصاحب اللواء

والحمد ، رقا الله وشرفه وناداه :

سيدها امن اكرمنا بالمصطفى الهاشمي الامام المهدي

الشفيع لشفيع خاتم الشهداء

...

الظاهر لمظهر عروس الملك صاحب اللواء والحمد

من ارقى واترقى واتشرف واتسادى

ويكشف الشاعر عن هذا النداء القدسي يخاطبه به الله ان يا محمد

قد هديتك فأهلا بك فى بساطي فتقدم وطأه ، ليس لى حبيب يماثلك ولم

أناد لحضرتي محبوبا ، خلقتك من نور النور ، فى صلاة أمتك عليك

غفران لاوزارها قليلة او كثيرة ، جعلتك شفيعا لامتك يوم الحساب

وبدأت باسمك قبل خلق الكون قرنته باسمي وقدرتي وعزتي وكرم

جودي ، من سألتني بك وجدني فى غاية الاستعداد . لولاك لما كان عرش

او كرسي او لوح او قلم او نبي يهدي او ملائكة تاتيكم مني بالرشد ،

ولما كانت الاغاثة والجنة والنار والصراط والنهار ياتي فى اعقابه الليل ،

ولما كانت الدنيا والبحر والارض والسماء المضيئة بالنجوم ، ولا الشمس

والقمر والكواكب الفريدة . لولاك لما كان آدم والخلائق التي خلقت من
أجل العبادة ، ولما كان الايمان والصدق والمسلمون يهتدون الى طريقى ،
ولا حياة ولا ملة ولا صبر ولا زهد . لولاك لما كانت الكتب والعلوم ولا
قضاء الحق وشهوده وشهادته ، ولما كانت الصلاة والصوم والحج والزكاة
الواجبة فى المال ، ولا الفروض والنسب ولا العمل والدين . لولاك
اما كان الرعد والبرق والمطر والخصب والشجر والطلح والتضيق ، ولا
الفضل والاستنجاد والعطاء ، ولا الحكم والحكام والملك والقيادة ، ولما نال
الاشياخ عندي غاية مرادهم بمنحك !

ناداه ربنا سبحانه امن انشاء واهداه الى الرشده
قال نو يا محمد هالك ليفسادا
اهلا بك زء اوطا افهسطى يا لى ما مثلك عندي
احبيب اولا محبوب لحضرتى انسا
انا الى الخلقك من نور النور لمتك فصلاتك تقدي
اوزارها من قلل النقصان وزادها
انا الشفيع فيهم وانت الشافع قمك يوم التندى
واسمك خالقو قبل الكون ابتدا

...

قرنت اسمى واسمك بقدرتى اعزتى واكرام جودى
من اسأل بك اوجدنى غايت لوجدا
واعلم قال نو يا مختار انسا الى عند ظن عبدي
با لعلوم يا كرمتم لجدا
لولاك لا عرش لا كرسي لا لوح لا قلم لا نبي يدي
لا ملايك منى تاتيک بالرشادا
لولاك لا ايمان لا جنا لا نار لا جسر صراط امعدى
لا نهار او لا ليل خلف ذا افهيدا
لولاك لا بحر لا دنيا لا ارض لا سما بنجوم اتكدى
لا شمس لا قمر الا كوكب نفرادا

لولاك ما يكون آدم او لا يكون بادي ولا عبيدى
لا خلائق اخلقتهم لاجل لعبدا

...

لولاك لا يمان الا صدق الا اسلام يهدو النجسدى
لا حيا لا مل لا صبر لا زهدا
لولاك لا كتب الا علم الا شهود فالقرطاس اتودى
لا قضا بالحق تزكى اشهود ادا
لولاك لا رعد لا مبيض اولا فيض لمزن وكم مزدى
لا خصب لا دوح الا طلح لا تضدا
لولاك لا صلا لا صوم الا حج لا ازكا للمال الوبدى
لا فرض لا سنا لا دين اولاكدا (I)
لولاك لا فضل لا صرخ ولا يكون كف لعطا بيدى
لا حكم لا حاكم لا ملك لا اقيادا
لولاك لا شياخ ايمدحك لعزير يا حبيبى نالت عندي
عكذا بك اكمل لمرام والسودا

ويصفه التركمانى بانه لا مثيل له فى الارض او فى السماء ، فى
الغيب او فى الوجود ، سبجان الذى انشاء واسعد به آمنه ، هو
صاحب اللواء والحلة والتاج والورد والفرس النجيب ، وصاحب الخاتم
والسر والمعجزات التى لا عد لها ولا حصر ، من اجله خصص روض الجنة
رحمة للسعداء وعذاب النار للجاحدين ، لذا يرجو ان يراف به فانه
صاحب الاغاثة يوم الشدة . وهو عروس يوم القيامة ، يفرج غمها
حين يشتد الهول ويستعصى الفداء :

انت والله ما فلرض امثيلك افالسما اوجد * وحدك فالغيب والوجد (2)

سبجان الى انشاك واسعد بك الام الساعدا

انت المخصوص باللوا والحلا والتاج والورد * والفرس الناجب لمجد
والخاتم والسر أمعجزاتك شتى امشاهدا

(I) الكد والعمل . (2) الوجود ، أما اوجد الاولى ففعله .

انت لجلتك كان روض الجنة رحماً لمن أسعد * والنار عذاب لمن اجحد
رافاً يا صاحب لقائنا عن ذا الشد الواكدا

...

انت هو اعريس القياما فشهارة الهول والشك * بسين اهل القرب والبعد
وانت فراجها اذا اشتد الهول وعصا لفا

أما القرابي فيراه نور كل الانوار ، المبرور الصادق الامين ، امام
المومنين ورحمة لاهل الايمان ، وأول الاولين وامام المرسلين :
أحمد يا نور كل انوار * صلى الله اعليك يا المبرور

انت الصادق وانت الامين انت امام المومنين * انت رحمة ربى لاهل ليمان
انت أول الاولين * انت امام المرسلين * واعلا منهم رتباً واعز وشان
ويخاطب الرسول عليه السلام بأن الله اختاره ورفع قدره واصطفاه
ومنحه المعجزات ، لا سبيل الى حصص ثنائه ، لو انضدت الارض صحيفة
والاشجار اقلاما والبحور السبعة مداداً لما وصف الخلق غير عشر معشار
قدره وجاهه ، من نظر الى حقيقته ذهل عقله مهما كان ثابتاً ، لانه بشر
وليس كالبشر ، اخباره في التوراة والزيور والانجيل والفرقان وكتب
الجنس :

يا من جعلك ربى انبى مختار * وارفع قدرك عن سائر الجمهور
يا من اصطفاك الملك الجبار * بالمعجزات الواضحة والنور
يا من سركم وانك ما يحصار * لو كانت من لمداد جميع البحور
والارض اصحيفا وانقلوم اشجار * لا وصف الخلق اعشور من نعشور
لو نظرت احقيقتك لبصار * تذهل لعقول الراسخ والتصور
لنك بشار اوليس كالبشار * ، اخبارك التورات والزيور
والفرقان والانجيل والافكار * خبرك بوجوه حمالك المبشور
واما الفلوس فيصفه بانه التقى حبيب الله صاحب الحجة الموثقة ،
وصاحب اللواء والتاج والبراق :

صلى الله اعليك يا التقى محبوب الباقي * يا مول الحسج الواقف
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى * لغرامك لخلق شائقا
(30)

المولد

وكان مولد الرسول الاكرم وما يتصل به من أخبار تذكيرها السيرة النبوية مادة خصبة لشعذ قريحة الشاعر الشعبي وبعث الهامة ودفعه الى التعبير عن كمين عواطفه نحو صاحب الرسالة عليه السلام . وتعتبر قصيدة «مولد النور» للغالى الدمناتى من أزوع القصائد التى سجلت هذا الحادث العظيم، بدأها بذكر النسب النبوى من جهة الاب ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

هذا محمد الزكى قوشى لنساب * ابن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف افترتاب * ابن قصي الدكي المدوب الارب
ابن كلاب لوضيخ بن مر المجتاب * ابن كعب المجد راحت انقلب الكارب
ابن لؤى النقى الراقى بن غالب

غالب ابن فهر المذكور بين لعراب * بن المالك بن النضر دون تكذيب
بن الكنانة من به لثال تضراب * بن الخزيمة زخار لحسان لعجيب
بن المدرك بن الياس در لجياب * بن نزار ونزار الاديب لحسيب
بن محمد ابلأ عدنان ابلختصار * اجود محمد هاذو سرهم سمارى
وانتقل الى نسبه من جهة الام ، فذكر انه ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومتوقفا فى نسبها عند كلاب الجد المشترك فى سلسلة الاب :

أما ام الشفيخ من لها شريف * أمين بنت وهب بن عبد مناف
ابن زهر المرتضى نعم المتصف * ابن كلاب الذى اسرارو ما توصاف
هو جد النبی اوجد مو تعريف * كيف اروينا حقيق من بعض العراف
ثم ذكر نور الرسول ، وقد جعله الله يتكون فى صلب آدم ، وينتقل من فاضل لفاضل الى أن وصل لعبد المطلب ثم ابنه عبد الله :

افصلب آدم اتكون نور سيد ارسال *

وسار ينتاقل نورو من لفضيل لفضيل

ابعد ابلغ النور الصلب الذكى المفضل *

سيدنا عبد الملطب طب لعلييل

كون المولى من صلبه اوضح لجمال *

آب محمد عبد الله نعم لجليل

وكان بعد ذلك زواج آمنة بعبد الله يوم الخميس فاتح رجب او

يوم الاثنين ، لم يلبث أن تلاه الحمل . وما كادت تحمل به حتى اكرمها

الله بكل خير ، اما ابوه فارثقى سعده وغدا نور جبينه يسطع ليل نهار :

او بعد عبد الله ادخل حق الامنا * تم حملت بشنيع القوم كامل الزين

اول رجب ليل الجمع اكما اروينا * كان عرس آباويه اوتول ليل لثنين

سعد امينا أم الهاشمي انبينا * اكل خير اكرمها نعم لعظيم لمعين

أسعد عبد الله اهلل لبها السيار * آب طه من فاز ابغابت توطارى

كان نور اجبينو يضى اليل وانهار * ابن انوار المصطفى سيد انظارى

وما ان عاد الرسول نطفة حتى نودى فى السماء والارض أن النور

يسطع وأمر الله رضوان ففتح باب الفردوس ونطقت دواب قريش فى الليل

مقسمة أن الرسول قد تكون فى رحم أمه وأصاب الملوك بكم وانقلبتم

أسرتهم :

يا رسول نطفنا يافهام * فبطن مينا الزايقا دوحه لنسوم

نودى فالسما وفلرض ابتسوم * بدا بأمر الجليل لعظيم القيسوم

أن النور تسطع من حاز التفخام * الى عنو اشقيعنا نعم المعصوم

فبطن مينا اضحى افدا الليل مقيوم

وأمر الله الرضوان لفضيل لوسيم *

ايحل باب الفردوس اكما اتقول لعلام (٢)

ثم انطلقت ادواب قريش وقت لبهيم *

واقسمت بين اتزاد الهاشمي افلرحام

أو كل ملك اصبح بين لخلق ابكيم *

اوصاب ليه اسرير و مقلوب صح لكلام

وما كاد يمر شهران على الحمل حتى توفي عبد الله :
لما مرت من حمل مينا شهران * مات المرحوم آب طه بالتمكين
ورأت آمنة ليلة في المنام آتيا يخبرها أنها حملت بسيد البشر على
الاطلاق :

عهما حملت بالتقى طيب لخلق * آتاهما آت قال لها قول البيق
راك احملي ابسيد لبشر بليطلاق * قالوا فالتوم رات والرؤيا تصديق
وغدت بعد ذلك على غير عادة النساء لا تحس ثقلا او ضيقا او وجعا
او حرقا :

ليس شعرت بحمل ولا بشغل واضياق * اولا بما يوقع للنساء من الوحى واحريق
وذات يوم ، وهى بين اليقظة والنوم ، آتاهما من سالها عما تشعر به
من الحمل ، مؤكدا لها أنها تحمل بسيد الانام . وحين اقترب الوضع عاد
البشير وطلب منها ان تستعيذه بالله من شر الحساد واوصاها اذا ما وضعت
ان تسمى المولود محمدا :

ان قالت آتاهما آت بين نوم وافياق *
اقال لها كان اشعرت ابدا الحمل عيق
ابسيد لنام احملي قال جل بشمار *
امهل اعليها قالت زينب لحواري
أحين قرب ميلاد المجد خير لخير *
ثم آتاهما دلشمار كيف دارى
وقال أعيديه ارب لورى الجبار *
من اشرار الجساد امكالب اشنارى
ايلا وضعت طه سميته اعلى الختار *

سيدنا محمد امفرج لغيرارى
وما ان بدات تحس آلام الوضع حتى رأت شيئا ابيض شبيها بجناح
طير مسح على فؤادها فزال ما كان بها من روع وكرب ، والتفتت لتجد
شرابا صافيا ابيض كالحليب فشربته من لظمها ، فاذا هو حلو كالشهد :
كاجناح الطير قالت ابيض لا تميت * جا وامسح عن افؤادها فالحين ابرات
واذهب عنها الروح واجميع الكربات

التفتت وجدت شربا صافيا ابتذعات *
ظنت البنى لاجل لبياض كيف نظرت

بالظما كانت نور اهلال كل غيدات *
بعد ما شربتها مثل المصال وجدت

وتقوى المخاض فرات بياضا ناصعا يمتد بين الارض والسماء ،
وسمعت هاتفا يوصيها بأن تصون مولودها حين تضعه من الآفات وعيون
الناس ، ولمحت بعد ذلك قوما وقفوا في الهواء تبدو عليهم الهيبة وتسد
حملوا ابريق من الفضة كما لمحت اطيارا تغطي السماء ، مناقيرها من
الزمرد واجنحتها من الياقوت ، ثم تبدى لها الشرق والغرب ، وظهرت
لها ثلاثة اعلام ، احدها في المغرب والثاني في المشرق والثالث فوق
ظهر الكعبة :

ولمخاض اتقوى عنها وبعدها رات *
انلعيان ادباج ابياضو ابصيح وصفت

امتد بين الارض وبين السماء وسمعت *
قائلن ايقول لها واحكات كيف سمعت

قال صونية افوقت الوضع من الآفات *
خوف من عين الناس وبعد ذاك لمحات

قوم وقفوا فالحوا حايزين صولات *
فيدهم ابرايق فضا او تم رمقات

اطيار غطاو اسمها سرهم ينعات *
من ازمرد منقرهم كيف راد واحداث

ومن الياقوت اجوانحهم ثم نظرت *
بامر المولى شرق اغرب كيف ذكرات

بعدها رات اعلوم اعلا لحقايق انبات *
اجميعها ثلث اعلوم اغدادهم حسبات

البرلى فالشرق الثاني افغرينا رات *
افوق ظهر الكعب لاخور حق واضحات

ثم خذها لمخاض وبعدها المولات *
بالعزم وضعت طه والفراخ كبلات

وبذلك تمت ولادة الرسول قبل الفجر على المشهور أو بعده صباح
يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول حيث يجب أن يعم الفرح
والسرور :

أكان ميلادو قبل الفجر كيف شتهار وبعض قالوا من بعد الفجر قول وارى
اصباح لثنين اخلاق اشفيغ ناس لوزار اتناش ربيع الاول قالت لحبارى
واجب اتفرحو لخلوقو بقلب واسيار لاین لاجلو كان الخير افلقطارى
وهنا ينهض الشاعر ويقوم (I) ليهدى السلام للرسول الاكرم على هذا
النحو :

حق اعلينا انسلم اعلى محمد وقت اخلوغو انقول من داخل لفؤادى
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد اوحوش لقفار والطير الفدغادى
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد لحصا والتراب واقراهب لوهادى
وأخذ الشاعر الدمناتى بعد ذلك يستعرض بعض المعجزات التى
ظهرت اثر الوضع مباشرة ، وأهمها اهتزاز ايوان كسرى وانهدام شرفاته
الاربعة عشرة ، وخمود نار فارس التى ظلت موقدة مدة الف عام :

حين اتزاد الرسول طه بحر العلم ظهرت من غير شك للناس اعلايم
منها كسرى اهتز ايوانو واغتم من بعد املاكتو ابقى حاير هايم
واشرارفو امن ابنه عادواليه اردم ربعا عشر كيف قالوا اكمن عالم
بها كسرى ابقى اضميرو متفاكم

أنار فارس خمدت يوما اخلاق لحليم بعد كانت موقودا ألف عام بتمام
وتحدث عن قصة الرضاع وكيف ان نساء سمعد سمعن مناديا يخبر
بمولود فى مكة سيتسعد مرضعه ويسعد كافله فهرعن الى مكة . وكتب
لحليمة ان تكون مرضعه ، وتقدمت اليه ، فاذا هو يبتسم كالهلال الساطع
تلوح أنواره ، فأرضعته من ثديها الايمن ثم أعطته الايسر فرفضه لحكمة
أرادها الله ، وهى أن يبقى هذا الثدي لاخته فى الرضاع :

صا بوكن اهلال اوضيغ لايح انوار اكذاك وجهو متبسم ذاك فالانارى

I — على عادة قراء المولد النبوى حين يذكرون خروجه عليه السلام
الى الكون .

ثم حملتو فيديها ابشوق لسيار اوتدما ليمين اعطاتو ابلين طسارى
اشرب متو فالحين اعطات ليه ليسار ليس رادو بحكمت امخصب الشجارى
ابقى الشدى الخوه افلحليب هكذا سار سيرت القرشى تحكيمها افدا الشطارى
ثم ذكر بعض المعجزات التى واكبت السيدة حليلة فى طريق
عودتها الى بنتى سعد وقد حملت معها المولود ، منها أنها عوفيت من أدواء

كانت تحسها وأن الضمام كان يظلمه عليه السلام طوال الطريق :

ربما عافاها من علت الجوارح لاجل المدنى طسه امليح للملاح
ولضمام امعاه اتمشى اكما لجوانسح :ظلملوا يا صاحى من حر شمس لمضاح
وما كادت تشرع حليلة فى تربيته حتى بدأت ترى له اسرارا باهرة .
تسلم عليه الحجارة والاشجار ، وترخى هذه أغصانها عليه حين يمر
تجنها لتظلمه :

أقامت احليما بترابى اهللال لفلاك سيدنا محمد من عظمو المالك
كل يوم اترى له اسرار ما تتراكم ركم اعلاما شافت للنبي السامك
وساعتاتمرا بسيد الخلق تحت لشجار اعليه ترخى لفضان اصاح ادلشجارى
وابلفصاح اتسلم عنو اشجار واحجار يا سعدنا بمسلكننا من لوعارى
وحين بلغ السن الرابعة جاءه ملكان وشقا صدره وأزالا من قلبه
مضغة وطهراه بماء قيلت فى وصفه نغوت كثيرة :

وحين كمل ربع اسنين الشفيح بثبات كان لو شق الصدر الى ادعى اعداتو
جائلو زوج املايك فى انهار سدات ثم شقوا صدورو وكذا صميم ذاتو
ورولوا من قلبو مضغ ابغير تمرات وظهره ايماكم اقوال فى انعاتو
وأخذ بعد ذلك فى الصلاة على الرسول ، وبها أنهى القصيدة .

ومثل هذا العرض المفصص نجدة مجتملا فى تنايا قصائد الصلاة
أو المدح ، كما عند الشاوى فى «تصايفته» حيث يقول :

ليلت زاد اوحات ليه للملايك دون اعداد رقعوه اقلقا من لحرير اخضروقادى

للزور لشقات له للملاك اجنود اجنود

طافوا به اعلى الكون وبلغ قصد لمراد وارجع سيد المرسلين لمقام وجدادى

وشرقت انوارو الاحت اعلى الجهات ابنود

مهما جاوا يقربوه لمتدى انفر وابعاد حتى جات احليميت النسا حرت لسعادى
بالفرحا لها انحاز وارضاهها عين الجود

سارت به الناس بها اوربات اضيا لتمام حين ابلغ شدة افادت يوم اعلاج انكادى
ساز اخوه امع الرفيق يسرح مالمو مكدود

له اوحى جبريل لمفضل كهدف التمجاد بالطاس البريق من انهر جنت لخلادى
والما من كوثر ولمايك بحماه اتلود

شقوا صدر الطاهر لمطهر نعم المهتاد غسلوه انظفوه زالت المضغ للهادى
شايين دار احكاه خوه واشنع خبر الممجود

وليس كل الشعراء يستعرضون القصة حين يتناولون مولد الرسول
عليه السلام ، بل ان بعضهم يقف عند تمجيد شهر ربيع وذكرى المولد
الواقعة فيه ، على حد ما نجد عند المدغرى الذى يرى انه بقدم هذا
الشهر الانور هب الانسيم يبشر بكل خير ، فاضت النعم وازهرت ورود
البطاح ، فليس كعيد مولد النور عيد يزهر ويزهر ، تفيض بحوره وتزخر
أمواج ذخائره ، ويستقيم السعد فيغدو الكون شاكرًا لله :

هب انسيم لعفو ايشر * لعباد ابكل خير
فى ربيع الشريف لنوار * فاض الخير لكثير
وازهى زهر لبطاح * وازهر * من لحزين لكثير
مولود النور * ما كيفو عيد ازها او زاهر
فايض ببهور * موجو زخار امن الدخاير
واسقام الشور * الكون اصبح لله شاكر

وعنده أن عيد مولد النبى منور ليس كنوره نور ، يفخر على الاعياد
الكبار بوجود الرسول البشير ، ويفوق شهره كل المواسم :

عيد املود النبى امنور * ولا كيفو امنيسر
عن لعياد لكبار يفخر * بالمرسول لبشير
ما كيفو افلامهم اشهر * بين انجوهو اشهير

الوفاة :

وكما تناول الشاعر الشعبى قصة الميلاد فكذلك تناول قصة

الوفاة ، وكان الغرابي من أكثر الشعراء استيفاء لمختلف فصولها ، وفي قصائد كثيرة كهاته التي يقول في أولها :

يا ساهي وحد رب لكون لجليل * حتى باقى فى ملكو بالدوام لازال
قدر اعلينا فرض الموت دون تمهيل * ما يدوم املكو يلا لغنى المتعال
ومن أروعها القصيدة التي يقول في حريتها :

معظم يوم يتوفى بدر التمام * سلطان النبيا بلقاسم
يبدأها بنزول آخر سور القرآن الكريم حين جاء جبريل يختمها له ،
وعودته عليه السلام الى بيته فى صحبه يشكو من صداع حيث عصبته له
عائشة رأسه :

وانزل جبريل بصر الجبار اعلى ارسول خير البريا
واتلا عليه سور ختمت لسوار انظر يا فهم الا شيا

...

واقدم المنزلو وصحبو لحلام وادخل البيت عيشا عازم
قالت لو اشبيك اقرت لنيام * فقال امن اوجاع ساقم
وادنت عصبته لوخو الاسلام * وانبا غيرها بعلايم
وامر عليه السلام بلالا أن ينادى الناس للصلاة فى المسجد حيث
يريد أن يجمعهم ، ثم خرج اليهم وخطب ، وحلفهم الله ان كان بلغ
رسالته بصدق ، وهدى الى سبيل الرشاد ، وأحسن القول والفعل ،
ورأف بالايتام والغرباء والارامل ، وأنباهم بما فيه صالحهم ، فأجابوه
بانه جاءهم بالدين القويم الواضح ، بلغه بحق لا تبديل فيه ولا تحريف ،
ودعوا له الله ان يجزيه :

يا قوم سلتكم بالله المتعال * هل جيتكم صادق ناصح
برسالتى او حسن القول الفعال * واسمى الرشاد الصالح
واحسنت ابليتام اغربا وارمال * وانباكم افكل امصالح
قالوا جيتنا حق ابلا تبدل * بالدين لقويم الواضح
بجزيك ربنا بالخير ولنعام * وانت الكل مومن راحم
واحس سلمان كان الرسول يودع المسلمين وداع الرحيل ، وصارحه

باحساسه ، فكان رده عليه السلام أن الموت فرض ، وإن العمر محدود ،
وإن الجميع راحلون ، لا يجزى أحدهم عن الآخر :

ثم جاوبو سلمان أقدمهم * ما لك يا البدر الواسع
كنك كتودع جمع الاسلام * بوداع الرحيل العازم
قال النبي أحمد للماجد * سلمان خذ بك إيفادا
فرض لمات عنا واكد (1) * لعمر ليس فيه أزيادا
والقلق للرحيل اموعد * هذا ما جزى عن هذا
وعاد الرسول الى بيت عائشة وجمع نساءه ، وطلب منهم أن يصبرن
وألا ينحن لکی يعمهن الغفران ويرغد عيشهن ويزيد خيرهن :
وادخل البيت عيشا بلقصد اوكيد (2) *
فالجين عن ازواج نادا
وقال لا تنوحوا والله اشهيد *
صبروا اتمكم ايفادا
وايكمم غفران وعيش ارغيد *
والخير عنكم يتزادا
وتأخر عن الصلاة وأتاب عنه ابا بكر . وخرج بعد ثلاثة ايام للمسجد
متكئا على عثمان وعلى ، فوجد ابا بكر في المحراب يبكي وينوح ، وأراد
الصديق ان يخلی له المحراب ، ولكنه طلب منه ان يبقى في مكانه حتى
يؤم بالناس :

ندا على اتجى والعباس امعاك * واخرج بنهم امتكى
حتى اوصل المسجد المبرك * واستنشق اشده المسكى
يوجد بابكر فالمحراب اكذلك * اينوح ابلشواق ايبكى
واجلس عن اخلافو درت لفلاك * ايزيم (3) بسقام الحلاك
راد الصديق يفرغ لو دون اشكال * ناداه الرسول المكى
اثبت في اصلاتك بالناس ايمام * تغنم جل طيب اغنايم

I و 2 - أكيد

(3) يثن .

وبعد ان صلى الرسول جالسا تكلم فى الحاضرين ونهاهم عن البكاء والنواح ، وسالهم عما اذا كان لاحدهم حق عليه أن يقتص لنفسه ، فتقدم عكاشة وذكر الرسول بضربة تركت أثرها فى نفسه كان عليه السلام ضرب بها ظهره يوم تبوك ظنا منه انه يريد الهرب ، فى حين انه كان يريد أن يذهب للاستطلاع :

صلى اجلوس طه سيده لانام * حتى اقضى الغرض اوسلم
واسأل عن الاما وانطق بكلام * وانهى عن النواح الهزم
وقال يا جميع الحضرا * من كان له حق اعليا
ياتى القصاص افرا * من قبل ما تجى افنيا
ثم جوب باجهرا * عكاش ابغير اخفيا
أقال يا طلوع البدر لمير * انا ابل الحق الشاهسر
كنا افأرض تبوك افحرب اكبير * واخرجت نسرح ونخبر
ما هو اهروب منى ولا تؤخير * رب لعباد حاضر ناظر
واضربتنى الظهري دون التقصير * ضربا قثرت فالخاطر

فسالت دموعه عليه السلام وامر بلالا أن ياتيه بقضييب أخذه عكاشة غير مبال بلوم الصحابة وطلب منه الرسول ان يضربه ولكن عكاشة أجاب بأنه كشمف ظهره قبل الضرب ، فهو لذلك يريد منه ان يفعل كذلك . فنزع صلوات الله عليه قميصه ، وما كاد يفعل حتى بدا الخاتم بين كتفيه بسطع بنور رباني يفرج الكروب وتحار فى وصفه العقول والافهام . فلم يستطع عكاشة الضرب واخذ يتمسح بالخاتم والنبي الكريم يدعو له بالخير ودخول الجنة :

قال جزاك لكريم اعليا خير * وارسل ابلال عند الامر
جاب لقضييب فالساعسا ابلجزام * والدمع اءن اعينونو سجم (1)
قبضو الشيخ عكاش دون املام * واصحاب النبي تنلايم
ثم الرسول ندا بالجهرا وقال * تركوه حين مبا (2) يقبل

(1) سجم كما فى الفصحى بمعنى سال .

(2) مبا أى ما أراد وهى فى الاصل ما بغى بحذف حرف الغين . وهو

فقال لو اتقدم والسخ لجدال * واقص اجزاك منى واعدل
وقال كيف تضرب وانت ما زال * اقتوبك اضيض مرفول
انا اعزيت ظهري افاذك الحال * نبغى اكما افعلت تفعل
نوع لقميص طه واظهر لختام * بن لكتاف نعت الخاتم
شلا (I) اتصيف لعقول واليفهام * به اختص عل لعوام
يضوى بنور واضح يفجى لغنام * من نور اد لجلال العالم
لغريم نال جل انصينو * واظفر ايكمل ما يتمنى
مرغ عل الخاتم شينو * واقليد عروض المزنا
وادعالموا بخير احببو * واضملو ادخول الجنا

وقال كيف تضرب قوت لهداب * ونا اوصيف من وصفانو
وتجكى القصة بعد ذلك كيف عاد عليه السلام الى بيته ، وكيف بعث
الله عزرائيل لياخذ روحه ، ولكن الرسول اميله حتى يسأل شيئا يعتمل في
صدره ، ورفع كفه الى السماء وشكا من شوقه لجبريل الذى ما كان يظن
أنه سيغفل عنه ويتخلى فى هذه الايام . وما كاد ينتهى من سؤاله حتى نزل
الملك الامين وسلم عليه :

وادخل المنزلو يتسنى المكتاب * محسوس امن اوجع ابدانو

عزريل جلا ابأدب وانقر الباب * ثم ادوا ابفصح السانو
وقال جيت لكم ياهل لمقام * انزور درت بن هاشم

قال مهل اعلى نسأل بدمام * عن شين ما افسرى كاتم
مد لكفوف وادعا واسأل * وقال يا سامع اسؤ الى

تعبير خاص بلهجة مدينة مراکش وقد سارت عنهم عبارة تعدد فيها هذا
الفعل ، هى قولهم : الى بيت بيتو واللى ما بيت ما بيتو الى الذى بغيت
بغيته والذى ما بغيته ما بغيته . ومن الغريب ان يأتى مثل هذا التعبير
على لسان الغرابلى وهو شاعر من فاس ، ولعله فعل ذلك مدفوعا بالميزان ،
اد لا يبدو أن ذلك من تحريف الرواة ، لان ما بغى لا يستقيم معها الميزان .
(I) فوق ما تصف ، وتستعمل التعظيم والتكثير .

جبريل ما نويتو يغفل * نعى اضمتهى فى حالى
ثم لامين فى السنين انزل * واشمما اسلام نعم العالى
اذ ذاك اطمأن الرسول وحمد الله ، واذن لعزرائيل ان يتقدم ويأخذ
روحه مستعدبا لقاء ربه . وفي الحين صعدت روح محمد الى صدره واحس
بغضته تضغط عليه ، وعبر عما أحس ، فاجابه الملك انه لم يذق عشر
معشار سكرات الموت ، وامهل عزرائيل لحظة ليدعو ربه ان يخفف عن
أبناء امته ضيق الموت وما يحس من شدة حره على ذاته ، فلم يلبث أن
سمع هاتفا قدسيا يقسم له بعزته وجلاله بالا بديقهم سوى ما أذاقه وان
يجود عليهم ويعفو ويرحم ، ثم حمد الله وشهد بجهر :

أحمد ربنا واشرح ابتسام * وقال العزرائيل اتقدم
اعزم وخوذ انتهى لمكان * مجلا انقا اعظم الاعظم
فالحين روح طله صعدت * لمصدر الشريف اورسات
وانطق بلسان امتبت * يا ملك ما صعبها غصات
قال لو ابحق جاهك ما دقت * اعشور امن اعشور السكرات
قال لو امهلنى على لدعو دعاء * بطأ ولغو لماتى
خفف على الام ضيقت لمات * وشد حرها عن ذاتى
سمع اندا ابذن سامع لصوات * وجلال عزتى واقدرتى
لذاق سوى ذاقك مسن لمات * وانجود ونعفو برحمتى
وتحكى القصة بعد ذلك ان عليا وابن العباس غسلاه ، وهو ينالان
كاليد من البهاء والنور وكفنوا فى ثوبه كما شاء وطيباه ، ثم دفن ، وقد
ذهلت العقول واحترت الابواب وغدا الناس فى دهشة وحزن :

وحارت لمقول ودحشت لوهام * واشتعال امن اضمير اتفانكم
وتأواللقام اخصوص ولعوام * شلا يطيق بوصف ناظم
ادتاوا ليه وقت التفسيل * وغسلوا لمفضل وعلى
وجوده كالبسدر فاليكيل * والنور امن ابهاء ايلالى
وكفنوه فتياجو اكما قال * وابنوع كل طيب احتفلو

وبعد ادفينو اشتدت لنكال * واشحال امن اعقول اندهنو
وتنتهى قصة الوفاة بالكلمة الخالدة التى فاه بها الصديق ليهدىء من
دوع المسلمين وفزعهم ودهشتهم حيث قال : «من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » :

اكثر اصياح بن الناس ولهوال * شد لفراق عنهم حبلو
وقام ببكر واطب افهل الال * خطبا لا تخطبت قبلو
وقال فخطبا يا جمع السلام * الموت فرض عنا لازم
من كان يعبد الماحى سكن ارغام * هذا وصف ثمان ابنادم
ومن يعبد الحى لا يعدم * باقى اقديم بنا عالم

المعراج (1) :

وهكذا ، وعلى هذا الاسلوب فى عرض السيرة النبوية تناول الشاعر
الشعبى قصة الابرء والمعراج فى القصائد التى اطلق عليها « المعراج »
ومن أشهرها قصيدة عبد العزيز المغراوى وعبد القادر الجرارى . يقول
المغراوى فى أول معراجه :

لسم لعظيم ذا العرش الديان * رافع لفلاك افلهوا دون اعماد
من خص المرسلين ابايت البرهان * وارسلهم ابلهوا اودين الارشاد
ويقول الجرارى فى حربة معراجه :

الصلاة اعلى الهادى راكب البراق * سيدنا محمد لمشرف الصديق
من اسرى من حرم الى حرم افلغسيق

وفى أوله يقول :

ابديت لسم المولى لمقسم لرزاق * رب لكوان الحق الدايم لتحقيق
والصلا عل الماحى طيب لخالق * خير لورا لفضيل الماجد الشفيق
والرضا آل والصحاب والرفاق * وهل البيع والعهد الوافى لوثيق
بعدها فكرى هاج وخاطرى اشتاق * نحتك معجز كبر اكما ايليق
فالسرا والمعراج ففهب لغساق * لكن اصلات الماجد قولها اسبيق

I - كان مفروضا أن يسبق المعراج الوفاة ولكنا أخرناه لانه دونها
عند الشاعر فى الاهتمام وهذا ما جعلنا لا نفصل فيه القول .

التصليية (1) :

ومن عميق تفانى الشاعر الشعبي فى الرسول عليه السلام وتعلقه به أنه لم يقف فى التعبير عن عواطفه الجياشة عند الحديث عن حبه وذكر صفاته وعرض مراحل من سيرته الكريمة ، وإنما زاد - متوعا فى مدحه - ومتفننا فيه - فخصه عليه السلام بقصائد اطلق عليها « التصليات » يصلى فيها عليه محاولا أن يبلغ بصلواته أكبر عد يمكن تصويره أو تخيله ، مستعرضا أنواع الكائنات والمخلوقات المختلفة ، عساه يبلغ أعلى درجات العد والحساب . ومن أروع التصليات وأقدمها تصليية معمد بن عبد الله ابن احسانين ، وفيها يبلغ بصلوات الله على نبيه الكريم الى عدد ما هطلت الأمطار وسقت من اشجار ، وعدد ما حملت هذه الاشجار من غلال ، وحمل النخل من تمر ، وعدد ما يوجد من بساتين وأغراس عطرة :

صلى الله اعليه عد ما هطلت من لمطارى *

وما كشقى امن الشجر

وحملت امن اغلول والنخل عد اثمارو *

وما من حرجات (2) عاطرا

وعدد البحور والانهار الفائض منها والجاف ، وعدد ما فى جوف الارض من عيون وآبار لا تحصيها العين من الكثرة :

صلى الله اعليه عد لبحور امع لنهارى *

ما واكح فيها او ما اعمر

وما فى جوف الترى امن اعيون اوعد ابيارو *

شلا شافت عين كترا

1 - المقصود بها الصلاة ، وقد استعملناها محافظة على المصطلحات المتعارف عليها عند الاشياخ ، والمعروف لغويا أنه لا يقال صلى تصليية فى الدعاء ، وإنما يقال صلى صلاة بوضع الاسم موضع المصدر ، أما التصليية فالقاء الشيء فى النار لاحتراقه .

2 - الحرجات البساتين وهى كذلك فى الفصحى اذ يقال مكان حرج بكسر الراء وفتحها أى كثر الشجر .

وعدد لسم القر للعدار ، ولفحات الزمهير والحز ، وعدد نسيم
الصباح وما هب من رياح غربية في العشايا الساحرة :

صلى الله عليه عد لسم القر افلعذارى *

وازمهير الحز بعد قر

واعداد انسيم الصباح او ما هب ابتطارو *

واغرابى لعشوى الساحرا

وعدد الرياح والاعاصير والبرق الخاطف للبصار ، وعدد الرعود

تدق طبولها ، والبروق المضيئة تعلن شاراتها عن مطر شير :

صلى الله عليه عد لرياح امع لعصارى *

والبرق الى خاطف لبصار

والرعد ايلا رعدوا اطلولو وبروق شامرو *

واذن بالرعد الفازرا

وعدد الغيم المتوارى القابر ، وعدد السحاب المجمل انذى حارت فيه

العقول :

صلى الله عليه عد لغيام الى متوارى *

ذاك الى فتوايحو اغبر

واعدد الوارى امن السحاب الى فى كدارو *

كتضحى لعقول قاصرا

وعدد نجوم الثابت والشارى ، ودوران الارض والافلاك فى كل وقت

وحين :

صلى الله عليه عد نجم الثابت والشارى

فغروب ولسمحار والفجر

وما دام الليل فى اعقابو يا صاح انهيارو *

منهما لحوال دايرا

وعدد ما ظهر المريخ والمشتري ، وما اشرقت الشمس وضاء القمر ،

وعدد كواكب زحل وعطارد والزهرة :

صلى الله عليه عد ما انبى مريخ ومشتري *

وما بانث شمس ولقمر

والزحل وكوكب عطارد ساعت يظهر *

ونجمت الزهرا الزاهرا

وعدد ما فى اعماق البحار ، وما من وحوش فى القفار ، وعدد الاطياف

المختلفة بأجنحة وحكمة من المبدع العظيم ، وعدد ما باضت انثى الطير :

صلى الله عليه عد ما فدواخل البحارى *

وما من لوحوش افلقفسر

واطياف ابلجناح والحتايم ذا البادع طاروا *

وما باضت كل طائرا

وعدد الحيوانات الاليفة ودواب النحر والركوب :

صلى الله عليه عد بكم الساكنين لجدارى *

لموالف بنا امن الصغور

واعداد الى للنجير كانوا وانلى تختسارو *

للركبا يوم لمفانصرا

وعدد النحل والنمل ، وعدد انهماك من الحيوانات والحشرات ما ظهر

منها وما خفى عن العين :

صلى الله عليه عد لهوام يا من هو قارى *

ونحل ونمل وعد ما كبر

وما من لهوام ما تسافر عن حيث اصغارو *

بوجود القدر القادر

وعدد الذين نسوا ذكر الله من ابيض واسود واسمر واشقر واعجام

صغر ، وعدد اقوام البدع والغدر :

صلى الله عليه عد لنفاس السما والذكارى *

ليبيض واسودها امع لسمر

وادهم وابراكا مع الشفار واعجام اصغارو *

وقوم البدع والمفادرا

وعدد تكور الليل والنهار :

صلى الله عليه ضى وادجا تنبى فشطارى *

مكتوبا من اجل انذكر

صلى الله اصلا امدوما تبلغ لى فقرارو *

فى حضرت ربي الدار

وعدد مدن كل الاقطار وما فيها من دور وتصور ، وعدد الصغار

والمدائر والقبائل ودواويرها ، وعدد تلال البيد والقفار :

صلى الله اعليه عد لمدون افكارى *

وما فيها دار اول قصير

والصغار ودشورها اوكل اقبيل ودوار *

واتلول البيد القفار

وعدد الهضاب والسهول والشعاب الخالية والمعمورة ، وعدد الربى

وعدد كل طول يقاس :

صلى الله اعليه عد لكدي اوجين لغدارى *

واشعاب القفار او ما عمن

والربوات او عد كل طول وقيمت مقدارو *

بكيال الدنيا انصاروا

وعدد الغابات والبرارى وما فيها من عرين الاسود والتمور ، وما بها

من ماوى وغيران :

صلى الله اعليه عد لغياب امع لبرارى *

وعرين الامد والتبر

والتموى دجميع امن امكنها كل فى غار *

صلى الله اعليه غاروا

وعدد اكسية الحيوانات الضارية وغيرها من صوف وحرير ووبر

وريش وشعر :

صلى الله اعليه عد لكسا د الى هو ضارى *

بالصوف والحرير والوبر

والمكسى بالريش والذى مختلف بشعارو *

والى ما ضارى اساترا

وهو يصلى عليه بقلبه ودواخله ولسانه وعقله وفكره عدد الاكوان

التي لم يحص منها حتى العشر :

صلى الله عليه والسلام اقبلني واسمعي *

ولساني والعقل والفكر

عد الكون الي ما احصيت منو حني مشاري *

صلى الله عليه كاتبرا

وعدد ما في علم الله وهو فوق الحصر ، وعدد الزبور الذي لم يبق

منه غير خبره ، وعدد الألواح العامرة بالحكمة :

صلى الله عليه عد علم الله اشد كاري *

علم الله الا ايلو احصر

عد الزبور الذي الا ابقى غير احصاري *

والسواح ابلحكام عامرا

وعدد الانجيل وقاريه قبل ان يحرقه ويطلق نوره جناد الحكمة .

صلى الله عليه عد لنجيل وعد القساري *

والقاري اكما وحي اخبر

قبل ايجيو الي امحرفيو يطفيو انوار *

جناد الحكم القادرا

وعدد سور القرآن الكريم وما تظم من سطور ، وعدد حكمه وبراهينه

واسراره ، وعدد ما في السنة الطاهرة :

صلى الله عليه عد سورات القول الواري *

وما فالسور امن اسطر

واعدد الحكمت ولبراهن واعداد اسرار *

وما قالسنا الطاهرا

وعدد الرسل والانبياء في كل عصر ، وعدد الاولياء والاقطاب

والملائكة ، وعدد الجن الذي لم تره الابصار :

صلى الله عليه عد لرسال افكل اعصاري * والنبيا لنسوار ادليشار

وانوليا واقطاب ولمازيك ويسن ما ساروا * والجن الا رات باصبرا

ومثل هذا نجده عند المغراوي الذي يبلغ بصلوات الله على الرسوا

فى «عين الرحمة» عدد الحب وأوراق الاغصان ، وعدد الفواكه التى تنتجها
الاكوان فى كل عام ، وعدد نجوم السماء وحور الجنان ، وعدد اعشاب
البيداء المختلفة الاصناف ، وعدد ما احاط به علم الله وكل ما هو حى
وميت وكل ما ظهر للعين وما خفى :

صلى الله اعليه عد اطعام الحب اوراق لغصان

واعداد الغل افكل عام من لكون انجيننا

واعداد نجوم السما وسور الجن والجنان

واعشوب البيدا اعلى اصناف ايسار وايميننا

واعداد ما احاط به علم الله كيف اقضاء كان

والحنى والميت او شلا شافوا عيينا

وكذلك النجار فانه يصلى على النبى الكريم عدد النحل وشهده ،

والاطيار المغنية فى رياض حافل بالفلل ، وعدد الجراد والنمل وما زرع

الفلاح ، وعدد الحصى والرمل ، وعدد انفاس الخلق والالوان والصور

المتشابهة ، وعدد اصناف الارزاق المختلفة ، وعدد اللغات والمتحدثين بها

والسامعين ، وعدد حروف آيات القرآن وسوره والحديث الشريف ، وعدد

ما يلقيه الفقيه لطلبته ، وما فى السماء والارض من سكان ، وعدد ما دب على

الارض ، وعدد الرائحين والفادين ، وعدد ومضات البرق الخاطف واصوات

الرعود وهبوب الرياح وما تهطل من امطار ، وعدد مياه البحور وعجائب

الحوت ، وحب الجوهر والياقوت والمرجان وكل ما يلمع ، وعدد الاقمشة

الهندية المزينة كالزرايى ، وعدد نعيم الجنة والقصور ، وعدد ما فى

علم الله :

اعليه اصلات الله دائما قد اتحل واعفاء

وما غنت اطياف فى ارياض احفيل ابغلاتو

واعداد اجنود الجراد والنمل جندو يتعداه

وما زرع الفلاح ولحصا والرمل اعتماتو

ما تقوى نحصيه

وأعداد انفاس المخلوق واللوان اصورت لشبابه

واصناف ارزاق امخالفها او كلى امحدث بلغاتو

والللى يصغى ليه

واحروف آيات اسوارو ولحديث ارقمت معناه

وما فاد الطلبة افقيه نجمى يدري معناه

مهمما بلفظ بيمه

وما فتخوم اسفاليها او قد الساكن فسماه

وما دب على الارض قاطبا والرياح شمباتو

والعاطف لمجيه

وما شمار البرق لخطيف والرعد اصوت انداه

وما هبت لرياح والركم اكافى من تاسو

والمتسوكلى بيه

وما صميت لمطار امن اسمها وابحور امياه

واعجائب حوت فحجابها وحب الجوهل واتقات

مرجان ايوتيه

وبديع الياقوت الرقيق وما يلمع بضيماه

واقماش الهندى وما يماثل نوار المعرجات

لزرابى تحكيه

وانعيم الجن وتصور وما شئ علم الله

ويذهب ابن على فى عدد صلاواته الى ما خلق الله وما شمار على الارض

وعام فى البحر ، وعدد سائر المخلوقات التى لا يمكن احصاؤها ، وعدد ما

طار فى الجو من اطيبار ، وعدد التحل وما قطف من ازهار ، وعدد ما هبت

الرياح وصوتت الرعود ولمعت البروق ، وما نزل من امطار ، وما فاض

بمائها من أنهار ونبت من أعشاب ونما من أشجار ، وعدد ما انتفع المخلوق

بهذا الماء ، وعدد ما ظهرت النجوم ، وعدد اوقات الفجر ومصلية ، وما

أشرقت الشمس وضاء القمر ، وعدد الاكوان التى أخفاها الله :

صلى الله اعلى اشفيعنا عد ما خلق لكريم يدري من فوق اتراه

وما دب افساخل لبحر * من مخلقات لا من يقوى يحصاها
صلى الله اعلى اشقيعنا عند ما طاروا اطيوار وارقوم الجوا اعلاه
يقدرتسو واتروج للوكر * واعدد انحل ما قطف زعر اعفاهما
صلى الله اعلى اشقيعنا ما هبت ثرياح وارعود والبرق اشعاه
وما نزل الارض امن امطر * واعدد اعشوب به تفتحت واحياهما
صلى الله اعلى اشقيعنا ما فاضت لنهار ابلمياه اساق ابسجراه
وما لتفتحت به امن اشجر * واعداد ما تنفع الخلق ابماها
صلى الله اعلى اشقيعنا عد ما طلعو انجوم والفجر او من صلاه
وما طلعت الشمس ولقمصر * واعداد اكون رب لعباد اخفاهما
ولاين على تصليته رائعة يقول فى حربتها :

صلو اعلى الصديق الصادق جند الشراف نور العين
امام النبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان
وله اخرى يدعو فيها للصلاة الدائمة دون حصر :
عين الرحما يا عاشقين طهصلوا عليه * اصلات الاتحصى امداوما هى ربحاماتو
اخاتم كل ارسال

اما ابن الوليد فيصلى عليه مائة الف مرة صلاة صافية خالصة :
يا صاحب الشفاعة صليت اعليك فى انشادى
اميات الف من اصلا مقبولا
ثابتا من عند المولى
امحققا ما فيهها لولا اولو ابندولا (I)

بل يصلى عليه فى كل ليل ونهار ، عدد الرياح والرعود والامطار ،
والاقلام والالواح والافلاك والعرش والكرسى ومياه البحار ، وعدد ما خلق
الله من اغصان دائمة الفوح بالطيب والعبير دوام ملك الغنى القهار :
اصلا والسلام فى كل ليل ونهار
اعليك يا الهى طيب لمسالك * قد ارباح قد ارعادهما ولمطار

(I) اللولة : الشائبة ، والبندول : التبديل والتحريف .

راعيت القلم واللوح الفسلاك * والعرش والكرسي واكذا امياه لبجار
واعدد ما خلقى فالدنيا من ياك (2) * داييم جا دام الملك لىقنى القهار
بالطيب ولعبير وعنبر وامسك

ومن اروع التصليات بعد هذا تصلية الشاوى التى يقول فى حريتها:

صلى الله على الشفييع نور الحق المرشاد

عين الجود الطاهر الزكى ربىي واسنادى

طه مولى التاج واللوا وانحوض المورود

الغاية من المدح والتصلة :

والشاعر الشعبي فى مدائحه وتصلياته مدفوع بحب يتأجج فى قلبه
لنبيى الكريم ، وهو حب لا شك فى أنه خالص صادق ، وان بدا فى التعبير
عنه تشابه وتماثل أساسيهما وحدة الرؤية من جهة ، وتدم تعمق حال
الوجدان لاستخراج الجديد من الافكار والاحوال ، وخاصة عند الشعراء
الاورساط من جهة ثانية . ولكن هذا الحب رغم خلوصه وصدقته ليس غاية
فى نفسه ، وانما هو وسيلة لتحقيق هدف يطمح الشاعر اليه وهو زيارة
مقام الرسول الاكرم والدخول فى حماه لنيل شفاعته وادراك الجنة . وقد
يبدو فى ذلك ما يدعو الى الطعن فى صدق هذا الحب طالما أنه ليس بتصمودا
لذاته ، ولكن عظمة الغاية التى يسعى اليها وبعدما يشفعان لهذا ازدواج ،
وهو ازدواج يكاد لشدة تقاربه يوحى بالتحام الغاية والوسيلة فى وحدة
وارتباط . ولا عجب فالمحب اى محبب يسمى الى تيل رضا حبيبه ووصاله ،
والوصال بالنسبة لمحب الرسول يتم بزيارة مقامه الشريف ومشاهدته
نوره . اما رضا عليه السلام فدليله ان يمنح محبة الشفاعة يوم القيامة
حتى يفوز بالجنة . لذا فلا غرابة ان يتخذ الشاعر الشعبي مديحه للنبيى
وصلاته عليه جواز عبور للبقاع المقدسة ثم الدار الآخرة عساه ينال
فيها الجزاء الحسن .

فالمغراوى يطلب من الله أن يجود عليه بفضله ويجعل مقامه فى الجنة

ويكرمه بالنظر الى وجهه :

يا ذا الجليل جدد علينا * في ذى اوديك حرمت في
واجعل امقامنا فالجنا * ابهرمت الشريف ارسد
وارحم اسلافنا واكرمنا * بزيادت النظر في وجه
ويرجوه ان يعجل له بزيارة مقامه الكريم حتى تشفى
في جماله وان يمنحه ظل لوائه يوم الحساب ليفوز بالجنة وين
عجل ابزورتى امقامك نعم النظرا * تشفى في جمالك الرو
وانكون تحت ظل الواك انهار العسرا * الفوز والجنب نار
وهو يرى في «عين الرحمة» ان مدح المختار تمزه وان
يوم القيامة في ظله :

ربي كريم اجعل ارحمتو سبقت غضبو افلا زال
واجعلها فقلوب هل ليما من مدح المختار انزاها
من مدحو يدخل تحت ظلو يوم القيامة

لنوتاج المرسلين وانهايت ل
ويرى كذلك ان تعبد الرسول يطرد الحاسدين ويطهر
وان صلاته تصفى القلوب من الكدر :

تمجادو يجرى اعلى انكودي ويطهر جمع لحران
اصلاتو اتصفى اولا تحلى فالقلب اغبينا
ويسال الله ان يلطف يوم الحشر ، فهو قادر على ان
ويعمهم بالغفران ، وان ينجيه من شر النار المذرة وان يسه
وان ييسر له الطواف بالكعبة ورؤية حرمها والسمي بين ال
ومشاهدة مقام الرسول وطيبة . اذ ذاك يهنا ويعود طاهرا ك
وقد انطلقت مهبته وارتاحت روحه :

...

من نسعاوه لقبول يلطف بنا يوم لوقوف *
والخلق كسل ابفعلو

يسعدني فدائيتي يجعلني نمشي أنطوف *

بالكعبا واثشوف حرمها والمرى والصفا

انشاهد عين لوجود المفضل عن اجميع لفضال *

وانشاهد طيبا اوقبتو نمصرها وانراها

نتيما وانعود كيف نبقي ميا صافى ازال *

اصميم المهجا ايربع والروح اقصيب انساها

ويرى النجار أن الصلاة على النبي تمحو سيئات المكثر من الذنوب :

واكثر الذنب ايزيد في اصلاتو تمحا سيئاتو

وغاية المني عنده ان يحج قبل ان يموت ، فبذلك يندى روضه

ويتفتح زهره ، وهو مشتاق لزيارة البقيع والكعبة والحجر الاسود ، لـ

وجد الى ذلك أجنحة لطار ، وقد طال جرحه وليس له دواء غير الاقتراب من

باب السلام ، ولكن جسمه مثقل ، وليس له ريش يطير به ، فهو لهذا

راض بالقدر :

اتوجه يا بادي * نوصيك للمسفر واعمل قبل الموت زاد

يصبح روضك نادى * ويفتح الزهر والسوسان من نغساد

ونقول آتغردى * اعلى لبقيع والكعبا واحجرت لسعاد

تو صبت امردى * واجتاح طير زاعم تدنا به لبعداد

طال الجرح الكامي * عالو اطبيب دون القرب الباب السلام

لكن ثقل اعظامي * والريش خاني وارضيت ابما افلحكام

واين على يرجو من عمدوحة الا ينساه ، ويطمع ان يدخل في حماه

لينجو من حر جهنم ، فقد اثقلت كاهله الاوزار فلا يستطيع تحملها جسمه ،

ومادحه يصول ويفخر ويطلب الجنة :

أحمد لا تدوز (I) مداحك طامع في احمالك ينجا من حر الظاه

حامل عن كهلي من لوزار * وامحمل عن اعضايا شل تقواها

أحمد لا تدوزي ربي يفقر المخلق كافا الو جمع اعصاه

(I) داز فات ولعن اصلها من دامن في الفصحى .

مداحك يصلول ويفخسر * نك الجننا اطلب وانت مولاها
 أمحمد من ادخل افحرمك يحى وزرو لكريم ليجلك اجعل مأواه
 فالجننا يهنا ويستقر * دار اليكرام ينكرم من فحماها
 أمحمد لا تدوز مداحك طمع الخير فيك اجعل الجننا مجزاء
 كان اشفعنى ربنا اشقر * النفس الو تعيش فى وزر خطاها
 ويرى العلمى فى احدى « جيلالياته » ان الصلاة على الرسول حرزه
 ورقبه وأمانه ، تحفظه وتصون دينه وايمانه ، ويراها زهوه ونزهته وسلواه
 وعزه وحرمة وشأته ، هى ورده فى كل وقت وحين طالما امتدت به الحياة :
 هى حرزى ورقيتسى هى الامان * هى حفظى اوصمون دينى ويمانسى
 هى زهوى وانزاهتى هى السلوان * هى عزى وحرمتى هى شمانسى
 هى وردى اعلى الندوام افكل احيان * ان شاء الله ما فاعبات ابقانسى
 أما ابن الوليد فيطمع فى أن ينظر اليه لكى يصلح فسادة بجاء
 مديحه ، وان يشهد له بانتسابه اليه ، ويرحب به حتى يزول عنه الكرب
 والضيق وأن ينقذه من الاضرار ، ويدخله فى زمرة للجنة ، ويسقيه من
 حوض الكوثر ، وتلك أقصى غايات الضيافة :

وابغيت فيك نظرا تصلح بمدادها افسادى

وابغيت فيك تشهد لى بالنسب

بعد تلقائى بمرحبا * اتزول عنى هاذا الكربا * اكل نشبا

وابغيت فيك تنقذنى من لضرار واسقايم

وابغيت فيك ندخل فزمرتك للجنان زاعم

اكمال عز اضافة

وابغيت فيك تسفينى من حوضك ما الكوثر

فاذا ما تمت له النظرة فى طه خرجت كل انكاده واغتنى بعد فقره ،
 وعلم ان الله قبله فى جنته واعتقه من النار ، وحق له ان يصلول بشرفه
 الحسنى مفتخرا دائم الفرح ، زاهيا منتشيا ، وقد سلم من كل عيب ، وهو
 يلج على الرسول الاعظم ان يجود عليه فى سخاء وعطف ورحمة :
 ونا ايلا انشموك ياطه تنفجا انكادى

ونعرف بين رب البيت اقبسى
امن اعذاب النار اعتقنى
بعيد فقرى نصبح مقنى
اشريف حبنى
انصون والفخر افطول ازماني
بفراح دايما

اشريف بالزعم متخمر من كسل عيب سالس
ونت معدن النواجا جداسخ اعطف وارحمنى ياطب كل اضرار
وهو يريد ان يراه فى المنام حتى يعالج من سقمه وتزهى عيناه ،
ففى رؤيته بشرى وغنيمة :

هل يامدرا نلتاك فى انامى
فيسرا من اسقامى
وتزهى انيامى
نظرا قصورتك لكرىما
بشرا على الرضا واغنيما
أبسو لال فاطما

وعنده ان النظر اليه غاية طلبه ومناه :

اخيار كل ما نتمناه
فالدنيا شموفا فيك يا عربى
هادك حد رغبى
عند الكريم ربي

ومثل هذا يذهب اليه التركمان حين يرى ان الصلاة على النبي مفتاح
كل المقاصد وغايتها :

طه واصلاتك الشريف مفتاح الكل امن اقصد * اعليك اغايت لقصد
واما الغرابى فيريد من الرسول ان يكون له سندا يوم القيامة حيث
الامة كلها لاثلة بحماه ، فذلوبة كثيرة ، وهو يخشى من ضيق القبر وعذابه
ويرجو ان يقبل مدحه هدية ويرضى عنه ويرشده وينظر فى حاله ويأخذ

بيده حتى يصلح فسادہ ويخف حمل ذاته الثقيل :

أطه نبغيك اتكون لي اسنيد واسنادي * افيوم الا تجزي الوالدا
عن مولود او لا اسنيد دونك يوم المعادي * والاما فحماك لايسدا
أطه ذنبي اكثير خوفا من ضيق الحادي (I) * يوم اتكون الذات فاقد
لا أهل لاخوان او لا عمل او ليس التفردى * لا توبا للائم هساد
أطه تقبل اهديتي برضاك وتمجادي * وارشدني جل لمرشدا
انظر من حالي اوخوذ بيدي ينصلح افسادي * ذاتي حمل اشغيف راقدا
لعله واضح من هذا ان اهل الشاعر من الرسول يكاد ينحصر في

أمرين : أحدهما الفوز بشفاعته يوم القيامة والثاني زيارة مقامه .

اما الشفاعة فقد جر موضوعها بعض الشعراء الى الحديث عن يوم
القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء وعقوبات ، وكيف يشفع الرسول في
المسلمين ، على حد ما نجد عند المغراوي في «هول القيامة» حيث يذكر انه
عليه السلام كان قد اخر دعاءه الذي طلبه منه الرب الكريم ليحبيه عليه ،
الى يوم الحشر ليجعله عاما على أمتة خاصا بالشفاعة :

اتجوا الهاشمي باهيج انوار * ويقولوا جملت لأمام
جنا لك نطلب الشفاعة يا مختار * يا عالي الجاه ولمقام
ويقول انا لها واليوم الموعود * وخرت اجواب ادعوتي عنداسؤالي
عند امنابر ايقوم بمقام المعبود بين اكراسي لوليا شمس ايلالي (2)
ويسجد فالترا اينادي ياموجود * وعدك بشفاعت لورا تجبر حالي
ويقول الدايم لمسرمد * ارفع راسك من السجود
اشفع نشفع يا محمد * واطلب تعط ابل جود
وايقول الهاشمي لمجد * اعجل بقضاك يا ودود
اهل الجنا يدخلوها وهل النار * يمشوا لها ابل مرام
انا الشفيع فمتى وانت الفقار * يا عالي الجاه يا ملام
ايقول الرب كونوا افجنت رضوان * اهنيأ جميع ما وعدت اليوم اكون

الشوق والحنين للبقاع المقدسة :

واما زيارة مقام الرسول الاكرم فقد اتاحت لكثير من الشعراء ان يعبروا عن شوقهم وحنينهم للبقاع المقدسة وما يعانون من ذلك الشوق وهذا الحنين ، فعبد الله بن احساين دائم السهر والبكاء من الشوق ، معتل الصدر من التمهيد ، لا شيء يطفىء من لآزله غير زيارة ارض طيبة حيث يريد ان يمرغ وجهه على قبر الرسول ويتضرع اليه أن يمنحه الامان :

والى الله شاهد عن قلبى واللسان كل احيان

انبات كنضل ابشوقى والدمع كاينو لمـران

بتناهدى اتعلل صدرى والصعب ما بقى يلىان

تمشى الارض طيبا نطفى ما فالقلب من نيران

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر العدنان

وانقول ياشرىف لاسم مداح طالبك نلامان

ثم يعود الى منزله فرحان ليصلى ويصوم ويمدح الرسول :

وانعود من الحج المركاحى يا عنايتى فرحان

للصوم والصلا وامديحك بين لحديث والقران

ويخاطب الطالب لحسن حجاج البيت ، وقد تعلق بهم قلبه وارتبط

عقله ، متمنيا ان يقف مثلهم فى عرفات ويلىى :

عقل طاش امعكم يا زيار العدنانى

لجبل عرفا واما

قلبى كيتمنى

بفضل مول المنا

نحصن بالحرم ايسانى

نوقف فى موقفكم

وانلبى بالرحمانى

يرحمنى بفضلكم

وانقول ابلفت امانى

وهو يامل ان ينادوه فيقطع المسافات ليلحق بهم :

مدداً لي بالدحقان
تربى نهج الطريقان
ندهولي يا صدقائي
نصبر في حضرتكم
مير العشاق اسقائي

ومن اجل ذلك يرجوهم ان يدعوا له الله ان تتم له مشاهدة نور
العين والشرب من المعين ما دام يعشق وما دام الشوق يدعوه :

رغبو فيا المعين
انشاهد نور العين
تروى من راس العين
نعشق والشوق ادعائي
فالمعلا ننظركم
وانشاهد من يرعاني
كرموني بدعاكم
خائف نفسي تسعاني

ومثل هذا نجده عند الكندوز الذي يخاطب الزائرين يرجوهم ان
يخبروا صاحب المقام بحال مهجته الفانية وذاته النحيلة من الشوق ، يقضى
ليله ونهاره تائه الجوارح ذاهل الروح ، لا يحلو له عيش فيرغب فيه ولا
يناديه الموت فيرتاح ، دمه متهاطل كالمر لا يفتت ، وسهره لا ينقطع من
فراق من سلبه وملك عقله ، لا يزيد قلبه الا لظى واحتراقا وقد حالت دون
الوصول اليه الروابي والجبال ، وهو وحده الذي يستطيع معالجة دائه :

خبروه ابحالي رامهجتى ارشأت * من الوحش وذاتي بالشوق ناحلا
اكما انظر انلاي (I) بالشوق كنبات * ولجوارح تاهو والروح داهلا
ما زهي لي عيش اولاً ناداني امات *
من افراق امانكم لنجال هاطلا

ليس تغتر كالودق (I) الساكن الدقيق *

تاه عقلي شى ايلقنى ابحبكم

...

وين ما سمرت انشاهد ما ريت اخيال *

فالفكر والمقظ والذات فاهيا

اسملىنى واملكك عقلى سيد الرجال *

تاهت اسيار الذات امام داويا

...

تنى ماعا ايزيد انقلب الظل احريق *

يا لى غيبتم اوفين حدكم

اكما انقيل نمشى سهران كسل ليل *

من اهوى محبوبى فاقد راحتى

...

درقوه اعليا لرواب الطواد *

ليس من غيرو كان الليعنى اطييب

كذلك بيعت الفلوس سلامة للرسول مع الذهاب لزيارته ويطلب منه

تبليغه انه من الفراق ينحب معذب القلب هائل الدمع ملسوع الضمير ،

راجيا ان يقرب لمفامه وحماه وقد طال غيبته :

يا الغادى لمقام الماشى المرشاد *

بلغ اسلامى حزم لاشي الهادى

قل اللحييب من افراقو عدت انجيب *

وقلبى ابلغراق يا صاح متعذب

قل اللحييب دمع عيني هائل اسكيب *

واضميرى ابلغراق لا زال امنكب

قل اللحييب ردت لمقامو تقرييب *

هادى مد اشحال ونا متغرب

امتى لجماه فحياتى نتغرب

(I) الودق كما فى النصيحى المطر .

ويتوسل الى الله بمن زاروا بيته ان يزين اسمه ويزكيه وينعم عليه
بلقب الحاج ، كناية عن أدائه الفريضة :

يا لمولى زكى اسمى باسم الحاج * ابجاء من حج أطاف أزار حرم طه
فما أسعد من زار مقام الرسول الكريم وأدى الشهادة عنده ، وما
أسعد من رأى سكان طيبة وفاز بالعز والرشاد ، وما أسعد من شهد نور
الهدى المبهج ، فما مثل النظر إليه تنزه ، ولكن هل سيمتع بصره فى جمال
الرسول ليرقى عند رؤية صورته ؟

يا سعدات من زار امقام سيد لسياد يا سعدات من عندو أدى الشهاداد
يا سعدات من شاف امقام تنك لوهاد قوم طيبا فاين بالعز والرشاداد
يا سعدات من رانور نهدي المبهاج ما بحال النظرا فشمائلو انزاهها
ياترى ننظر فجماالو ابشوف نغناج عاد نترقى لما صورته انراهها
وقد تتاح الزيارة للشاعر فيحس هذه السعادة على حد ما تم للحاج
اعماره الذى غدا سعيدا وقد حج مع الابرار ، وطلب العفو عن أوزاره ،
وزار مقام النبى المختار ومتع بصره فى قبته ، أنعم الله عليه بالزيارة فتتور
قلبه ، وتلا القرآن فى مسجد الرسول وسبح فى ساحته :

سعد سعدى حجت امع لقطاب لبرار سعد سعدى وطلبت لعفو عن اوزارى
سعد سعدى زرت امقام النبى المختار سعد سعدى متعت افقتو ابصارى
سعد سعدى نعمنى خالقى ابلمزار سعد سعدى واتنور ساكن السيارى
سعد سعدى فى مستجدو اقريت لسوار سعد سعدى سبحت افساحتو البارى
لذلك فما شاهد — فى رأيه — شيئا من لم يشاهد مقام الانوار ،
وما أدرك من لم يدركه ، وما أحس من لم يحس سر الاسرار فى مقام
المصطفى عظيم الاسرار ، وما فاز من لم يفز بالحج والذكر عند قبر النبى
الكريم ، وما رشف من لم يرشف من ماء زمزم العذب خير الآبار ومظهر
القلوب :

آش شافوا من لاشافوا امقام لنوار واش ذركوا من لادركوه افلعمارى
واش حسوا من لاحسوا بسر لسرار فى امقام المصطفى عاظم السرارى
واش نالوا من لنالوا الحج واذكار فوق قبر الهادى لمشوق البازى

واش رشفوا من لارشفوا افخيرليبار بير زمزم لعذيب امطهر السيارى
واذا ما هيئت الزيارة للشاعر فانه قد ينقل وصفا للركب ومراحل
الحج فى قصائد أطلق عليها «المحمل» ، وهذا ما فعله عبد القادر بخريص
الذى وصف ركب الججاج المغاربة وهو يستعد للرحيل من فاس ، وقد
ضم جماعات من سوس ومراكش والحوز والعرب والبربر ومختلف القبائل:
أرواح أراسى اتمشوف هذا الركب السايير
خلا ناس المذوق سايقا لمقام المختار
مادامن قومان جات تمشى لدحج اتخاطر
من سوس امراكش اللفريج جلوا الخطار
واهل الحوز اوكل امن اتها واعرب وابرابر
واقبايل شلا انصفها والطلبيا لخيار
ويعطى صورة لاطر هذا الجمع الذى برز فيه اكابر أهل فاس ،
حيث نصبت الخيام واصطفقت الخيول ولعلت الخناجر والسيوف والبنادق
والرماح ، وحضر أبناء السلطان يحيط بهم الخدم والحشم ، ووقف رئيس
الركب يستعد للرحيل وقد فاضت عينه بدموع كالجواهر :
واخوايج هل فاس برزوا بمضارب واسحاحر
واخيام اعجيبا امتحفا فرجا للنظار
واهجاين واخيول رايضا واصوارم واخناجر
وامكاحل واسنون والسيوف اتقصر لعمار
واولاد الملك عبدو رضى اسناهم زاهر
حفت بهم ناس لوفنا واعبيد ولحزاز
والحاج الطالب (I) فاض بحرو دافق بجواهر
واتها للميز والسفر بالمال ولجوار

I - فى البحث الذى كتبه الاستاذ محمد المنونى عن «ركب الحاج
المغربى» ان ركب هذا العام (1326) حج فيه المولى ابراهيم ابن السلطان
المولى سليمان وان الذى ترأسه هو الحاج الطالب بن جلون (ص 15 ط.
معهد مولاى الحسن - تطوان 1953) .
(32)

واجمال وابغال ولحمل والصائم والفاطر

واهوداج واجحاف صائنا واعوانس وابكار

ويستعرض مختلف مراحل الحج ، وتبدأ فى رابع حيث مكان
الأحرام - بالنسبة للمفاربة - والشروع فى التلبية ، فالطواف بالمقام
وتقبيل الحجر الاسود والوقوف بعرفات ، ثم الهدى والنحر فى منى
صباح يوم العيد فرمى الجمار ، وبعد ذلك يؤدى العمرة ويقوم بزيارة
قبر الرسول فى المدينة :

وافرايح يحرم امن اتھيا للحج وهاجر

ويلبى للمحى امن اصميم القلب البكار

ويطوف ابل مقام ولحجر قدامو يتجابر

وافعرفا تكمل حجتو ابرحمت الجيار (I)

وايضحى بمنى اصباح عيدو وايولى طافر

بفرايض وامناسكو او حجو يرمى بجمار

وايجب العمرا اعلى النهايا ويطيش الزخاطر

وايجدد بالسير للشفيع الماحى لمزار

أما اذا لم تنجح الزيارة ، فيكتفى برسول يبعث معه كتابا للنبي
الاعظم ، على حد ما فعل الحاج محمد بن على المسفيوى فى «المرسول» الذى
يقول فى حريته :

من الغرب اتسير ابلكتاب بالمرسول وصلوا الحمد طه خاتم الرسالا

ويشير عليه بالطريق الذى ينبغي أن يسلك للوصول الى المقام
المقدسة ، مع تحديد لكل المحطات التى يمكنه أن يتوقف بها ، وهو فى
البدء يوصيه ان يتجنب الصحراء لقلة الماء وصعوبة الطريق وينصحه ان
يسلك طريق الساحل وان يظل فى ركاب الحجاج :

لا تفرق الحجاج اتنال كل تقراپ فى اجمعهم تدرك لمراد دون ريبا
جنب الصحرا تنجا من هول واشغاب قلت الما فيها واطريقها اصعبا
اعلى ا طريق الساحل تفندا وصغ للقول رايد النصحك بحديشى افد لمقالا

أما الطريق في المغرب فيبدأ من الرباط فسلا فمهدية فأصبيلا
فالعرانش فطنجة فسبتة فتطوان فمليلية فجبال الريف :
امن الرباط اخرج كريك بنفجسا ولقبول ايشملك طيو اعطير افاج
في اسلا تلقى لرجوعك فترجا دور مهديا وزلا (٤) ار فوت لبراج
من لعرايش ندام في طوبنا العجا ايزورت الوالي لمكنى السعيد الحاج
يسن على سبتا وفتطوان محفول انكون فملالا واتعود افلكفالا
دور فجبال الريف اولاً اترافق اجهول اترك خلفك فومان الجور ولجهالا
ثم يعبر الحدود للجزائر حيث يمر بوهران ومستغانم والجزائر
العاصمة فعنابة ليصل الى تونس ، وفيها يزور بنزرت وتونس العاصمة
حيث يوصيه أن يقف على مقام سيدي محرز قبل أن يأخذ طريقه لسوسة
وسفاقس وقابس ، ومنها يدخل الى ليبيا بادئا بطرابلس فطبرق فينغازي
فبرقه .

دور للغزوات بنى انصاف بظهر * وهران (2) اقبالو يشبا احصين زاهر
مستغانم امروسر اكلها امخير * كان فالتية اتيان امدينت اترايو (3)
بعد عنابة في بنزرت ماترى هول * بات في تونس لها روح افلمهالا
دور سيدي محرز واغدا متيل رقاص * ذكر احبابي في سوسا امع اسفاقس
في احماهم تحظى هاني او لاترى باس * ما نطقن اقبالك حتى اتشوف كابس
بعد كابس في امساير اتشوف بفلاس * من اسواحل جرب حتى طرابلس
بات واقصد طبروق اولاً اترافق اكفول * اتصيب بنغازي طرف اليم غفالا
كن في برقا حاضى لا يصيدك ادهول * في امهامه درنا ما تلتق ادهالا
ويصل بهذا الى الحدود المصرية الليبية ، فيدخل السلوم ومنها الى
الاسكندرية فدمنهور فطنطا فالزقازيق فبنها فالقاهرة :

زد السلوم اصغالى الفيدك بغراض * ابلعدى كن افلمتى اخفيف لعضا

-
- 1 - يغلب قلب صااد أصمبلا زاي
 - 2 - يغلب على المغاربة نطق وهران بكسر الواو .
 - 3 - يغلب على الجهات الشمال الاغريقية قلب جيم الجزائر تاء وكاتها
تستقل الجمع بين الجيم والزاي .

في اسكندرية تلقى من لوفاحظ. * لدمنهوور اكلف ابلمشي اكبالا
فوت دار الرهبان تدرك عز واقبول * بلعباس المرسى اللي افلحظا
رد سيدي البدوي كان رايد اتصول * افطنطا ما تحتاج لمراسمو ابدا
لن كازيك امع بنها اتصيب فالحين * منها روح المصير يا رسول فرحان
ويتوقف ثلاثة أيام في القاهرة ليزور مقام سيدنا الحسين والقلعة
وضريح الامام الشافعي والسيدة سكينة ويستمتع بصفاف النيل . وهو
خلال هذه الايام يتفرج على حفلات المحمل بقبابه وهوادجه والمشاعل
والعساكر في زيا الجميل والابواق والاعلام والطبول :

سرتقام ولد الهاشمي اتصيب فالحين الجاههم اسع الرب لورا المنان
اطلع للقلعا لخصينا ومنع العيني اعلى لخبير انفتش من به حق ستعان
زر لام الشافعي اتعود مشمول بالثنا والبركا ولا تر امبالا
اكداك ست سكينا (I) طب كل معلول افجرمها زد ادلل غايت الدلالا
اجلس تلتيام افرجا ابفيتك اتسال بنزايه بين القلعا وساحل النيل
كل يوم افراجا بين لكبول واطفال في ايام المحمل اللي هو موكب احفيل
بالجوامر شمع يبريزها ابلهلال ولقيب وهوادج تشفى اسقام لعليل
ولعساكر تظهر في زيا المكمول افلكسا وما دركت كيفها اعمالا
ابلعساكر واغوايط ولعلوم واطبول ايجددو داك الموكب كل ما اتبالا
أما الرسالة التي يحمل فسيبلغها عند شباك المقام ، حيث يوصيه أن
يضع يده ويخبر صاحبه الكريم انه جاء مبعوثا من محب فنى جسمه فى
حبه ، لو اسنطاع لقدم روحه مقابل وصله ورؤية نوره ، جاء برسالة منه وقد
تركه رهين الشوق يريد أن يتشرف بطيب اللقاء ، وألا يحرمه من رؤية
جمال وجهه وأر فى المنام ، فكل رغبته وكسبه أن يجود عليه بالرضا
والعطف :

بعدها توضع فالشباك راحت ايديك

قل لويا من روح النفس هايم اقداك

(I) الذي يحفظه الرواة هو «ست ستينا» ولكن لا يعرف ضريح بهذا الاسم
في القاهرة ، ورجحنا أن يكون تحريفا لـ : «ست سكينا» .

جيت من عند الله جسمو افنا افحبك
قال لك حق الله بين لعباد نباك
لو ايصيب ايبدل روجو ابطيب وصلك
ايشوف نورك من سجدت لو اجميع لملاك
جيت برسالا واتركتو ارحمين شوقك
راد يتشرف يا سيدى ابطيب ملقاك
لا تحرمو من نظرا فى اجمال وجهك
حبها ولو فى امنامو ايشاهه ابهاك
كان رقتلو من بعد الرضا ابعطفك
ذاك رغبو واكمال اتجارنو امن اوفاك
ومثل هذا نجده فى القصائد التى يطلق عليها «الرحول» أو «الورشان»
أو «الحمام» حيث يرسل الشاعر طائرا الى البقاع المقدسة يحمل رسالته
لرسول ، مارا بنفس المراحل ومزودا بنفس التوصيات . من هذه القصائد
«مرحول» الحاج عمر المراكشى الذى يقول فى حريته :
أولد لحمام ادى لى عنوانى للصادق لمصدق رسول الله
ومنها كذلك قصيدة الحاج ادريس لحنش المشهورة بـ «حمام المدينة»
والتي يقول فى حريتها :
هاك اكنابى يا حمام المدينى من أرض فاس سر اتزور المدينى
ويوصيه اذا ما وصل الى الشمالك أن يلقي بالكتاب ويبلغ الرسول أنه
مبعوث من طرف عبد ثقلمته الاوزار ، تحبسه وتقيده جرائم كبيرة ، وهو
يرجو شفاعته ليل نهار :
أوقف فالشباك الشريف الزاهر والى اكناب للماحى تاج انصارو
ثم قل اشفاع لعباد الطاهر هذا كتاب عبد امثقل بوزارو
محبوس امقيد فى اجرايمو لكبار يرجا اشفاعتك فى ليلو وانهارو
التوسل :
واذا كان الشاعر الشعبى قد عبر فى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة
والشوق لزيارتها عن حال ضعفه مثقلا بالاوزار ، فانه فى قصائد التوسل

كثيـف في وضوح أكثر عن هذا الحال وعن رجائه الملح في الله أن ينقذه ويعفو عنه ، متخذاً وسيلته إليه أو إلى رسوله الكريم وساطات مختلفة (I) .
ومن أشهر قصائد التوسل قصيدة العلمي التي يقول في حريتها :
يا من ابلاني عافني ارحمتك اقال خف ثقلي يتسرح يرتخا اعفالي
وفيها يطلب من الله أن يغفـره حتى يتفرج كربـه ويصرف همه ويهنا خاطره ويسلو قلبه ، فليس له من ملجأ الا هو بعد أن فشلت كل حيلة وخيمت الاكدار في ساحته ، وهو يريد أن يقضى حاجته في الحال متوسلاً إليه بالرسـل والانبـياء والاولياء والسادات والصالحين وكافة الاقطاب والابدال وجبريل وملائكة العرش وعزرائيل وميكائيل واسرافيل واسماعيل وابراهيم :

غثني يتفجأ كربى انلوح لهـوال * خاطري يتهنأ قلبي ايعود سالى
لين يركن من بارث لو اجمع لحيال * اوعاد منزل ديوانى ابلكندار مالى
ادخيل لك أمولاي بالانبيسا ولرسال * ادخيل لك اسيدى بجاه كل والى
ادخيل لك بالسادات الصالحين لفضال * كافا لقطاب ولجراس وابدالى
يايلاه اسألتك بجاه حق جبريسل * اسع املايكت العرش هل السما العالى
اوجاه عزريل وميكائيل ويسرافيسل * كل ما نطلب لك نبيغه ينعطالى
اوجاه اسماعيل ومول لمقام لخليل * حاجتى نبيغها فالحين تنقضى لى
وهو حين يتوسل الى الله يعرف أنه غير غائب حتى يرجوه أو عاجز حتى يعذره ، وانما هو قريب حاضر ناظر ، جزيل العطاء والاحسان ، قادر على أن يشفى ذات العبد من كل علة :

عانت شى غايب نرجاك يالجليل * اولاً انت شى عاجز تعدر يالمولى
اقرب حاضر ناظر معطاً احسانك اجزيل * تقدر تشفى من ذات العبد كل علا
أما هو فضيف الجسم ثقيل الحمل لا يعذره الناس في بلواه ، لا حول ولا قوة له ولا جهد ولا حيلة ولا تدبير فيما قضى الله :

لبدان اضعيف والحمل جابر اثقيل * ولخلاق ما تعدر حال من اتبلا
مأيل قوا ولا جهد ولا حـول * ولا تدبير افلقضاً ولا حيلة

(I) معلوم أن للدين رأياً في موضوع التوسل الى الله بالغير أو التوسل لغير الله ، ولكن ليس من شأننا أن نتعرض له في هذا البحث .

وأمله كبير في أن يبلغ مقصوده ، فالعبد اذا شكأ لسيدته قبل
شكواه وحرره ورفع مرتبته ، لذا فهو يدعو ويرجو منه القبول والاسراع
فيه ، ما دام باب الاجابة غير مقفل ، وما دامت خزائنه مفتوحة
للسعاة مثله :

اذا اتمكا العبد اعلى سيدو ايزيد يقبال *

ايحورو ويديرو فمراتب لمعال

باب اجابا عندك ما تسد بقفال *

اهتسازك مفتوحا للساعي ابحالى

...

من عندي انا الدعي ومن عندك لقبول *

والحاجا ما تكون فيها تمطلا

أليس هو القائل لرسوله : «واذا سألك عبادي عنى فانى قريب
اجيب دعوة الداعى اذا دعانى » ؟ واذن فلن يخيب عبد دعاه وسأله ،
فهو سريع العطاء ، تنفيذ امره رهن بحرفى الكاف والنون ، وتلك قدرة
الجليل التى حارت فيها العقول ، وما حاول احد ان يحقق فيها الا وغاب
عن عقله وتاه :

حق قلت يا ربى للنبي الرسول * من ادعاك فعبداك حق تستجب لو
كيف يدعى عبدك واخيب بالمسؤول * يا سريع المعطى لجميع امن اطلب لو
أورك بين الكاف ونون حق معمول * من اتحقق يحق واخيب له عقول
ولا عجب فقدرته وسعت كل شىء ، اذا اراد شفا العليل واغنى
الفقير ورفع الوضع وعلا شأنه وجاهه ، واسعد الشقى وغفر له معاصيه
وصيره من اوليائه . لذا فالواقف ببابه يطمع فى العفو الذى وجود به
على العصاة أمثاله :

اذا ردت بحكمك تسفى لعليل * وبدا ردت لفقير يرجع ذو مالى
وبدا ردت لوضع يدنا للتفضيل * ترفع جاهو ايود فى منزل عالى
وبدا ردت الشقى اتسعد بالجليل * تغفر لو ماأما اعصاك واتجعلوا والى
بعفوك اتجود * عل العصات ابحالى

وهو يرجوه الا ينظر الى قبائح أفعاله ، وان ينظر الى ضيقه وضعف حاله ، فلن تنفع الله طاعته ولن يضره جهله ، ما دام غفارا لا يحاسب على الضلال :

لا تنظر يا كريم لقبايح فعلى *
انظر من ضيقتى وضعف الحال
ما تنفك طاعتي ولا ضرك جهلى *

لنك غفار ما تحافى بضلالا
فيه رجاؤه وعليه توكله ، ولا يريد ان يسلمه الى من لا يرحمه ولا يرئى له ، هو المتعالى يعلم سر قلبه وانه لا يفكر فى غيره ، مهما ضاق به الحال وفاض قلبه فهو لا يسعى لغيره ولا يفتر عن سؤاله :
من فيك البرجا راعليك الاستكال * لا تولجنى اليد من لا يرئى لى
انت تعلم اسر قلبى يا متعال * لا ينى ما ندير غيرك فى بسالى
مهما يقنط ساكنى ويضيق الحال * نسعاك اولا يغيب عنك اسؤالى
ولا بن الوليد توسل رائع يقول فى حربته :

ناديت ابكرحتى اوصوتسى * وادفعت صوتى الرب الملكوت
وادعيت اقلت فى ادعوتى * يا من نجيت يونس فبطن الحوت
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى

وهو يتوسل به اليه ان يسمع دعاءه ويلبى طلبه ، فقد وقف ببابه مملوكا يرجو ان يغنيه من احسانه وفضله الواسع ويهديه لذكره ويجعل هذا الذكر قوته والد فى لسانه من كل لذى ويكتب له فى قسمته قصرا بالجنة :

انلهم ابحقك امولاي اعليك *
سملتك بك يا سميع المن ادعاه
كن افطلبى اسريع اكما نطلب لك *

يا من صورت صورتى فى شين ارضاك
انت السلطان مايلك فالملك اشريك *
ونا المملوك واقف فى بابك نرجاك

ياربنا اسألك * من فضلك واحسانك * وانت الخير عندك
ضافى اعلى اعبادك * اغننى بفضلك * الواسع اخزانك
واجعل مشروبى اوقوتى * ذكرك فلسانى اغلى من لذ القوت
واجعل يا خالقى اقسمتى * اقصر امزيد افجنت لعلا موروث
وله آخر يتوسل فيه الى الله باسمه وبعض سور القرآن الكريم ،
يقول فيه :

نتوسل باسمك ليك اوصاد اوطه اوقاف والقرآن لمين والرحمان ياسين
ولمولاي على شقور توسل يقول فى حربته :

ياالله نتوسل لك ابنورك يا سيدنا مولاي محمد حبيب عندك
يرجو فيه الله ان يحن ويشفق على عباده ، والا يخيب من جهل
بأمره والا يعاقب العصاة لانهم يلتمسون رحمته ، فكل الخلق فى قبضته
وحكمه ، وكلهم يعرفه بقدر ما يريد هو ، بيده شفاء المريض لا يداويه
غيره ، وبيده القبض والبسط ، واحد فى ملكه لا شريك له :
حن واشفق اعلى اعبادك ياسيدنا *

اولا اتخيب شئ ياسيدنا من جهلك

لا تزعج ابلعقويا اعلى الى اعصاوك ياسيدنا *

اوهمما ابلعحيب يرجاوا رحمتك

كل ما خلقت ياربى كلو فى احكامك ياسيدنا *

كلها اوما بينت لو منك

والى امريض امعلال ادواء بك ياسيدنا *

اولا ايداويه يا سيدى من غيرك

يا باسط لنعام ابسط اعبادك ياسيدنا *

ابخيرك يا سيدى ونعمك

القبض والبسط كلو منك ياسيدنا *

فيه القت يا مولاي عبيدك

لا شريك امعاك اولاً مشرورك ياسيدنا *

واحد احد فى ملكك

ومن طريق التوسل الى الله لون جماعى يشترك فى انشائه اكثر
من شاعر يطلق عليه « التويزة » او « الراحة والشفاء » (I) ، وهو عبارة
مساجلة يقصد منها الى طلب شفاء صديق مريض ، او انتقام من طاغية ،
يتطارح فيها الشعراء عربيات أو اقساما تكون فى مجموعها قصيدة (2)
ومن اروعها تويزة مراكشية شارك فيها الاشياخ محمد بن لكبير ومحمد بن
عمر ومحمد بن بوسنة ومتوسلين الى الله ان يشفى صديقا لهم مصابا
بداء الضيقة النفسية ، بدأها ابن الكبير داعيا الشعراء الى طلب الرحمة
والشفاء لهذا الصديق ومتوسلا الى الله ان يدركه بلطفه الخفى :

أسادنى افوامس العلم الموهوب * يامن لكريم هبكم افضل وافى
عنكم اسلام فايق المسك افلجويوب * يعبق عن جمعكم ياهل لقوافى
وبعد مرو اقصدكم وجا مزعوب * امريض النفس طالب الله ايعافى
طلبوا له الرحمة العالم لغيوب * اسميع امجيب ابلخطا ليس ايعافى
هو يعفو اعليه من هذا المكروب * يشفى ضرر افحين بدواه الصافى
وادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

(I) فى مراکش يطلقون على هذا اللون «التويزة» وفى فاس يطلقون
عليه «الشفاء والراحة» . ومعنى التويزة الحصيلة ، وهو اسم شائع
عند الفلاحين . وذكر لنا الشيخ ابن عمر المراكشى فى نشأة التويزة عند
شعراء الملحون قصة اسطورية تقول ان ملكا كان له كنز لا يفتحه الا ايام
المجاعة . وفى يوم من هذه الايام أراد ان يفتحه فلم يستطع فاستدعى
العلماء فمجزوا فهددهم بالقتل . وكان احد هؤلاء العلماء متصلا ببعض
اشياخ الزجل فحدثه عن الموضوع فقال له الشيخ : «انتم علماء الاوراق
ونحن علماء الازواق» واخبر العالم السلطان فاستدعى هذه الطبقة من
حملة علم الازواق - وهم الشعراء - فاخذ كل منهم ينشئ وينشد الى ان
تيسر فتح الكنز .

(2) ذكر لنا اكثر من شيخ ان التويزة تقال قصيدة فى فاس
وعربيات فى مراکش .

فأجابه محمد بن عمر :

واعلمك السلام يا نعم المدوب * اسلام الا يزول من عند اولافى
استلذنا جل قبورك والمخطوب * افسان هذا الرجول من ضرو خافى
له تسال اعلاج ضرو دون اسبوب * يشحى سالى اسليم هانى متعافى
ما بين اهلوا ولامتو فارح مطروب * توب الراحا اكسما ليس بالوافى
راندست بالمسقم ما بقى مشغوب * شفاء الله امن الضيقا متشافى
حفظو من لاينام والنسى كل انكوب * وامضى ضرو وعاد بدنو صافى
له تسال لكريم وكفى منصوب * فدعايا كنقول يا نعم الكافى
ادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

ثم رد عليهما ابن بوسته متجاوبا متهما فى التوسل :

اتى مسطوركم بالامت لنجاف * واشرح صدرى امنين ريتو بهدافى
افسان هذا الرجول بالضيقا موصوب * بالراحا بشروه ضرو متنافى
وفاء الله بعلاج ارمى لنحوب * نجاه الله سار جرمو مترافى
المهم ابعاه لجيبب المحبوب * طسه عين لوجود نعم المقتفى
اللهم ابعاه ما ضمت لكتوب * وابجاه الساجدين فى كل افئافى
اسألتك بك لك عجل بالمطلوب * يامن ترى ونيس ترى كشوافى
ادرك هاد لمريض باللطف الخافى

كذلك توسل الشاعر الشعبي للرسول على حد ما نجد عند ابن الوليد
الذى يتوسل اليه بحرف القاف من القدرة ، وبحرف العين من اعز اصحابه
العشرة ، وبحرف الفاء من فضل فاطمة وبحرف اللام من الملائكة المقربين :
ادخيل لك ابقاف القدرا * اعين عز اصحابك عشرا * افا فضل فاطم الزهرا
الام لملك لقربا عند مولاك

ويقف عند بابه يشكو متوسلا الى حماه ليعتق روحه من ايدى اعدائه :

هو اها الخشن والشيطان اللعين :

واقف عند بابك شاكى
زكت يا محمد فجماك
فادى روحى بفدالك
امن ايدين اعداها

نفسها واهواها لخشين

والشيطان اللعين

ومثله توسل الطالب لحسن الذى يقول فى حربته راجيا من الرسول

أن ينجيه من حر النار :

فكنا من صهد النيران * يالعدنان * يا رسول الدنيا والدين

ويطلب منه الا يفرط فيه يوم اللقاء الكبير ، فهو صاحب الفضل

والبر والشفقة ، وان ينجيه كما نجا الفارقين مثله فى الذنوب :

يا رسول العاهد لوثيق * لا اتفرط يوم الملقى

يا فصيح اقوال التصديق * والفضل والبر اشفقا

يا مسلك من كان اغريق * فالذنوب امثلي وابقى

ويتوسل اليه بعمر وعثمان والحسن والحسين والصديق وعلى وبقيّة

الصحابة الاركان واهل القرآن ، وبحمزة وفضلاء عقىل وبحرمة الكتاب

وصحف العلم ، يتوسل اليه بكل هؤلاء أن يفكه والمسلمين فى ساعة

الحساب :

ادخيل لك بعمر وعثمان * بالعدنان * والحسن واكداك الحسين

والصديق اجملت لركان * يالعدنان * ابعلى وهل اللبين

ادخيل لك اجملت لصحاب * يالعدنان * ابحمز وفضايل عقىل

ادخيل لك ابهرمت لكتاب * يالعدنان * والصحوف اعلم ادليل

اتفكنا فى ساعته لعقاب * يالعدنان * يا شريف النسب انفضيل

ويتوسل معمد بن الحسين العلوى الى أصحاب الرسول العشرة

الشرفاء المنورين الذين سبقوا الى تصديقه :

زكت فحما نعم العشرة اخيار لصحاب *

اصحاب معمد من لا كيفهم محبوب

زكت افحرم لصحاب نعم الاكرمين *

من بهم طابت لمكارم فلجسنا

هما الشرفا لمكارما فالعالمين *

هما الى نورهم لكمل اقتبسنا

هما الى صدقوا ابلحليم الامين *

مهما نور عل لفلاك ارضا واسنا

فيما جابه صدقوا نور اشمسنا

ويتوسل الحاج ادريس لحشش الى أبناء الرسول أصحاب الجود
والفضل ان ينظروا الى حاله حتى يظفر بأمله ويسلو وتهنأ روحه ويزول
عنها الشقاء ، فقد جاء يسعى حماهم ، وهم اهل الوفاء والرحمة ، ونجوم
الدنيا الزاهرة ، عساه يقبل وينال الرضى ويزهى بالبشر حاله ، فقاصدهم
لا يخيب ، وقد صال عليه الزمان فأتاهم شاكيا تسيل دموعه :

أسادتى اولاد طه * شوفوا من حالى

جمعوا داتى امح ادواها * فظفر بمالى

واتريح الروح امن اشقاها * وانولى سالى

أسادتى اولاد طه * بغى نبرا من لعلال

شوفوا حالى اغير حال * رفعوا عارى اوصارخونى تهنا روحى الحايরা

أسادتى اولاد طه * احماكم جيت يافضال

قبلونى بالرضا انال * يادار الجود ولوفا وانجوم الدنيا الزاهرا

أسادتى اولاد طه * قاصدكم ما يرا انكال

لين ابغير ولغزال * اهرب لمقام جدكم يا اهل الرحما الناشرا

اسادتى اولاد طه * عنى هذا الزمان صال

والدمع من لعيون سال * قبلوا من جا لبابكم شاكى يزها ابلعشرا

فليس له من دواء غيرهم ، فى رضاهم عنه ربحه وغناه وراسماله ،

وهو يرجو ان يقبل عبدا فى حماهم للخدمة ، فهم آل النبی الاصفياء الاوفياء

المطهرون ، أعطاهم الله من اسراره الباهرة ، وهم ابنا فاطمة القرشبية

الشريفة الكريمة درة الجمال الحسنة الافعال ، الشبيهة بحور الجنان :

شيدونى ابلا دواكم يا اهل لمعالى

ربحى واغنای فى ارضاكم هو رسمالى

قبلونى عبد فى احماكم نخدم مدالى

انتم اهل الصفا ولوفا وانتم اهل النبى الآل

طهركم حق ذو الجلال
واعظاكم كامل لعطيا حسن اسرارو الباهرا
انتم اولاد الشريف القرشيا درت نجمال
لكريما زنت لفعال
مولاتي فاطما البتول الحريا القاصرا
والى اولاد فاطمة كذلك يتوسل الغرابلى فى قصيدته التى يقول فى
حربتها :

طلبكم ضيف الله سرخنا ياهل احسان *
من يقصدكم حاشا ايخيب ياهل انبيت العدنانى
لشراف الحسين

وفيها يقول متوسلا اليهم بجدهم ونورهم السننى وشانهم العظيم
وطيبهم العطر أن يفكوا اسره ويغنوه ويجيروا كسره ويزيلوا ظلمته ويضيئوا
نجمه ، فتفتح له أبواب الخير ويربح ويسعد فى آخرته ودنياه ، وطالما ان
خلفهم مستر ، فهم رحمة للعصاة والمتقين ، وكل من لجأ الى حرمهم لا يخاف ،
وهم يشفعون فى محبهم فيدخل الجنة :

نبحى اسراح يسرى * وغنا فقوى * اوطب كسرى
نسعد وانفوز ابلمزيا حين ايطفقو اسبادا
هل نؤفا ضمانى لشراف الحسين
وابحق جدهم نسألهم الماجدين

وابحق نورهم الوسم * وابحق شانهم الفاخم * وابحق طيبهم الناسم
نبحى انلوح ظلمى * يضوى نجمى * ابتور يسمى
وابواب الخير تفتح افريج الدنيا لآخرنا نسألهم يعطانى
نسعد فالدارين

يا ولاد الزهرا الطامرا الشمرنا نخبة عدنان
ما داموا فالدنيا انجالهم تقات وعصيانى
بهيم مرحومين

كيف الخافوا واحنا افحرمهم يالمت لخوان

ايشفعوا غالى حبههم ويمثل الجنائى

يقم حور العين

ومثل هذا التوسل بأولاد فاطمة الزهراء نجده عند الفلوس اذ يقول :

يا ولاد المختار الياسمى لارسال * لا تدرؤنى يوم البعث ولهموالى
 اركم اكسا الدنيا ياهل لكرايم * يا ترى فيها كم يتمتعوا انيامسى
 وركم انضام اسم لغنى الداييم * اتل الخلد احياكم اوجاهكم ساهى
 اذا اعطفتو عنى روضى ايعود ناعم * من اسقيتوه ما يبقى اكليل ضامى
 اذا ارضيتو عنى ترمى اجميع نهوال * ما يجيب امن اقصدكم ياهل لعالى
 اذا اعطفتو عنى قلبى ايربح والبال * كان وصل ارضاكم على ارضى العالى

يا هل النور السمانى جيتكم مكيود * سر حرا سجنى بالشراف امن اكيادى (I)
 يا هل النور السمانى جيتكم مطرود * درنكم ما عندى من ذا الغلال فادى
 يا هل النور السمانى جيتكم موكود * عاملونى يا آل المصطفى الهادى
 يا هل النور السمانى جيتكم موصال * سرخونى يكمل قصدى امع اسوالى

مدح الاشراف والاوتياء :

واذا كان الشاعر الشعبى يتوسل بأبناء الرسول فهو يمدحهم
 كذلك ، فابن الوليد يطلب من المنشد ان يفخر بفاطمة بنت رسول الله
 عروس يوم القيامة ، الصائلة بجمال الشرف على سائر بنات آدم ، ويطلب
 منه ان يمدحها ويتغنى بمدحها حتى يفوز بنظرة فى جمالها ويفرح :
 صول ياغانى وافخر ابلا فاطما الزهرا بنت ارسول الله اعريس يوم القياما
 الصايلا ابزين الشرف اعلى ابناات آدام

وامدح للا فاطم بنت الرسول * غنى بالمدح وامدح حتى بالمدح

تربح نظرا فزينها وافراح

(I) مكيود : مفيد ، والاكياد القيود . (2) سائل .

امدح يامدح أقول أزيد قول * عسى ان شا الله اتحوز نظرا

افزينها واتفوز كنز امعظم افلكنوز

ولكنه لا ينسى شرف المقام فينبه مخاطبه ويطلب منه أن يتعظ
ويتأدب ويتأمل ويمتثل ويطلب الامان ، ويهدى كلامه الجميل الى أم الجمال
حتى يهدأ من الفتنة ويحوز الهناء وينال الغنى ويفوز بنظرتها في المنام :
اتعظ واتأدب واتأمل يارجول

وامتائل واطلب لمان

واهدى كلامك الحسن

لم الحسن

وارتاح من الفتنة

واطلب لهناء

اتنال لغنا

واتفوز ابعد لحلاما

ويذهب شقور في مدحه للاشراف حفدة الرسول الى أنهم معروفون
في كل مكان ، لا يخفى سرهم ، من احبهم عظم وشرف وغدا سيقا مصقولاً
لا يقل ، ومن ابغضهم صار حزيناً ذليلاً مهموماً :

اولادك في اجبال ووطا ساروا بالتعريف *

شوقوا بالناس سرهم عمرو ما يخفا

الى ايحبهم صار امعظم اشريف *

سيغزو مطحون عمرو ما يخفا

والى يبغضهم صار احزين احسيف *

كيف المغبون الى يرقد لحفا

وفي نطاق مدح الشرفاء حفدة الرسول والتوسل اليهم ، مدح

الشاعر الشعبي مشاهير الاولياء والصالحين وتوسل اليهم (I)

(I) لا يخفى ان للدين رايًا في تقديس الاولياء والتوسل بهم او اليهم،
لا تعرض له ، فهو بعيد عن موضوع البحث . وكانت قد قامت في المغرب

وكان المولى ادريس (I) اوفرهم نصيبا ، ويطلق على قصائده مديحه
«الادريسيات» ومنها قصيدة للعلمي يصفه فيها بأنه هلال أهل الرأفة
والوفاء والاحسان ، اذا رأف به نال لا شك ما فى طنه ، وهو الاعير الذي
لا يعجز عن تنفيذ الاحكام ، يامر ان عطف فينفذ امره :

الملك «ل الرأف والوفاء والاحسان» * الى اترؤف ابلا شك نال ما فظنى
بالخير الا يعجز عن الشؤة لبحكام * ليل انتظمت امر يصل شرط كازم
شاهد بوجوده أقدم الكرماء أمثال تدنى وزيد وتاجهم حاتم ، كما تشهد
الانس والجن والوحوش الهائمة والبر والبحر وسائر العوالم :

لك تشهد بالبحر والساحين لقدام *

اعنيل عسى أو زيد وتاجهم حاتم

الانس والجن ايشهدوا وأوحوش لهوام *

ولبحور وبرين وسائر لعوالم

من العشرينات الى الثلاثينات من القرن الحالى حركة سلفية متأثرة
بالوهابية ودعوة الافغانى ومحمد عبده الاصلاحية ، قادها الشيخ ابو شعيب
الدكاى ، حاربت تيار الضرق والاضرحة والزوايا ، وبحلنا فى شعير
المعاصرين الشعبى علنا نجد انعكاسا لهذه الحركة فلم نجد شيئا حتى
قابلنا شيخ مكناس المسيد بنعيسى الدراز فذكر لنا انه كان مرة عائدا
من زيارة حسيح المولى ادريس فقابله احد اشياخ مكناس كذلك ، يسمى
هو لى احمد الدلال ، وعلم بامر الزيارة فخطبه بعروبي فيه روح سلفى
لم يبق منه فى علم الشيخ الدراز غير هذا المشطر :

اجى نوصيك يالى زاير لقب

فاجابه الدراز فى روح معاكس بعروبي لم تحفظ ذاكرته منه غير قوله:

عرك يبتيس يالى عت ابلقب

عنهم لا خوف لا حزن قول العالى

صادرك حل ليمان والتقوا والحب

حب المولى اوحب خاتم لوسالى

وواضح انه يردد فى هذا العروبي الاية التى كان يتمسك بها
الطريقون وهى قوله تعالى «الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»
(I) وفد المولى ادريس الى المقرب فارا من وقعة فسخ سنة 169 هـ
وبابعه المغاربة سنة 172 ومات مسموما سنة 177 ، ودفن بزرهون ،
وخلفه ابنه ادريس بن ادريس المتوفى سنة 217 والمدفون بمدينة فاس ،
وكلاهما كان موضوع «الادريسيات» .

هو مقام الخير وكهف الاحسان والجود ، وهو القطب والسلطان
المرفوع الاعلام ، وهو القرشي الهاشمي المرشود الوارث للفضل والحلم ،
وهو سند المساكين والغرباء والمفقودين ، يلوذ به الفقراء والاغنياء واهل
المدن والقرى وساكنو الخيام والاقطار المجهولة ، يتوسلون به وينادونه
فتصيبهم جميعا رحمة الله :

يا مقام الخير وكهف احسان والجود * يا لقطب السلطان الراقب ابنودو
يا حسن القرشي الهاشمي المرشود * يا وارث لفضل والحلم من اجدودو
اسنيده لمساكين والغرباء اوكل مفقود * او غانين وفقرا بك كيلودو
او هل لمدون وقرىات وساكنين لخيام * وهل لقطار الا نعرف لهم اسم
كافا ترغب واتنادى بفصيح لكلام * او كافا ترحام ابفضل لغني الراحم
ويتوسل اليه بحرا فاض ماؤه على الثرى ، ويرجوه ألا يترك روضه
يابسا وان يعطف عطفا تشفى من الادواء ، شبيهة بعطف الناقة على بكرها
بين العيس ، ويتوسل اليه ذا منزلة عالية لا تخفض ، ونورا يسطع ضياءه
كالشمس ، جاءه ولهان مستهام القلب مفتاظا متعب الفكر مهموم القلب يرجو
ان يجود عليه بالعلاج :

يا من بحرو اعلى الثرى دايم فياض * لا تترك روض غلتي ظمان ايبيس
اعطف عطفا اخذنترا تشفى لمرض * عطفت ناقا اعلى ابكرها بين العيس
ياماسك امتزلا اعلاها ما يخفاض * يامن نورو انبا اعليك اضياه اشميس
اعزم لي ابالعلاج يا مولاي ادريس

فالذى لا يسقى غرس روضه من مائه لن يفوز بزهر جميل ، والذى
لم يغتن أو يربح فى حماء فان جيبه يبقى خاويا ويظل مفلسا على الدوام ،
والذى لم يعالج داءه بدوائه يظل متألما من مرضه :
من لا يسقى ارياض غرسو من ماكم * ما يدرك ماينال بهجت زهر انفيس
من لا غنا وفاز واربح فجمماكم * يبقى جيبوا على الدوام اصفر مفليس
من لا يبر استقام ذاتو بدواكم * لا زال ابضر علتى معثور احسيس
ويرى الطالب لحسن ان ببركة المفضل مولاي ادريس شاع ذكر خير
مدينة فاس بين مدن المغرب :

امدينت فاس خيرها يتذكر بين المدن افغربنا

ابرکت الفضل مولای ادريس

ماس رمحه فظهر العز والفرح ، حيث جنب الناس الفتنة ، وملا
صدورهم بالعلم وابعد عنهم الوسواس :

هـا رمحه ماس * هل العز افرحا عنهم جنب لفتان

لعمر الصدور ابعلم التدریس * ذهب الوسواس

أما الغرابی فيرى له مجدا قديما متاصلا يصونه كرم الجدود ، يكفيه
النسب الطاهر الذي يقربه من الرسول :

لك المجد اقديم صائنا اكرام لجداد * بالعرفان اغايت الرضا ماهي مجودا

دريا تاصلا (1) عيها ما يحتاج اشهود

تكفيك النسب الطاهرا وقريب الميعاد * من معدن الجود ولحظا نسب مجودا
ما بينك وبين الزكي غير ادى لجدود

ذاعت علومه في كل مكان متقنة يرويها كل الناس ، غزيرة لا تدرك الا

بجهاد :

واعلومك نائي اصقوعها في غايت لبعاد * متقونا يروي الساجها عمراوازيودا

مغزورا تغزير ساجيا مدروكا بجهود

وكالادريسيات «الجيلانيات» وهي القصائد التي قيلت في المولى عبدالقادر

الجيلاني (2) على حد ما نجه عند العلمی حيث يصفه بأنه بدر لاجد للمعان
شعاعه ، يهيج بذكره الشباب والكهول والشيب في أركان الدنيا الاربعة
من عجم وعرب وانس وجن :

بدر الا ينتهي امن اتمعنوا لمعان * المشریف الكامل التشریف الكيلاني

ياسميدى بك ايلغطو هل ربع اركان * اشباب اشبابا وكهل وشيباني

1 — الطاصلة : الاصل ، وقد ترقق الطاء .

2 — الجيلاني (ويغلب نطقها باللام) او الكيلاني او الجيل ، ولد في
جيلان سنة 471 هـ وتوفي ببغداد سنة 561 ، واليه تنسب الطريقة القادرية ،
ولها عدة زوايا في المغرب .

أبدان وأتقوى والمعجم والعربان * اتعيط كافا باسم الجيلانى
كيف ابتدأ الانس بك ابتدأ الجان * سبحانه الواحد لوحيد الوجدانى
منحه الله من سره وقوته ، وولاه ملكا على كل السلاطين ، يرفع من
أراد له الله العلو والرفعة فيصعد به الى أعلى الدرجات ويحط من شاء اهانته
وتعظيمه فينزل به الى أسفل مقام :

ولله الحق عن اسلاطين كل اوطان * التبختر فى امجاسن الملك الهانى
ترفع من راد به خير لعلو امكان * يصعد فالحين للمقام القوقانى
واقترل امن ايقاع سلب ويهان * يحط اسريع للخصيخ السفلانى
ويمثل للمهانين بالسودانى الذى استولى عليه الكبر ورفض طاعة
الشيخ وقال غاضبا الا طاعة الا لله الذى ولاه ، فكان ان سلب كل شيء
وعدا حزينا وخرج من عالم النور الى عالم الظلام ، وتبدلت حلوة غسل
القبول الى مرارة الهجر :

كل اقل مد ارقبتو طابع رضىان * اسوى ما كان امن احديث السودانى
تناضت نفوس وقال بكلام الفضيان * ما نعرف حد دون ربا ولانى
ثم فالحين شاهد السلب والحزان * راح امن الضو للمقام الظلمانى
بمل غسل لقبول بمرار الهجران * معلوم الكبر ان اسباب الحرمانى
وعند العلمى ان تعظيم الاولياء جزء من الايمان ، يسلو لذكرهم خاطره
وبفرح مزاجه ويلين قلبه ، ويتهلل من البشر وتذهب احزانه :

تعظيم الاولياء امن او ظايف ليما * ونا تعظيمكم هو سلوانى
عند ذكركم توجده قلبى فرحان * كنى عنكم من كثرت مازهانى
قلوبى القاسى اىلا اتفاكدكم يلىان * تهلل ايشارتى ويذهب شيطانى
حبه لهم قوة لساعده وحجاب يستره من عيون الحساد :

دوت اشكال حبكم لمضودى عوان * احجاب اعلى اعين لحسود اخفانى
وهو عبد له يخدمه عساه يوفيه بعض جميله عليه وعساه وجود عليه
برؤية بدر وجهه فى المنام ، مثله حين يراه كمثل المرتعش من البرد ينظر
الى قرص الشمس فيشفيه الله من داء البرد :
عبد انخدمو انكون له من الخدمان * اولنا نستونا البعض من شايين افانى

من قرط الحب شقت لمرؤيا عزمان * ابلانا شفت نور وجهك يكفانسي
كيف اللي شاف دارت الشمس البردان * عن ضمور البرد قال لكريم اشفاني
وكيف وفضله أعظم من ان يحصى أو يحصر ، فلو اجتمع الانس
والجن والحيوان ومخلوقات ما وراء الكون ، ولو اجتمعت دواب الارض
وطيورها وهوام اليم وحيتانه ، لو اجتمع كل هؤلاء ومثلهم آلاف آلاف
الاضعاف ليشربوا من بحره لظل بحره ملآن فائضا :

لو اجتمع آدمي او جن او حيوان * او عاشمين اورا الشهد اللوزانسي
وادواب الارض واطيور امع الجردان * او عا فاليم امن امصوام وحيتاني
يرواوا اجمع والبحر يسقى مليان * وامثلهم ضعف آلف ألف ضعفاني
لذلك فهو يتوسل اليه بجاه الرسول عليه السلام والصحابة وكبار
التابعين ومشاهير الاولياء والعلماء في كل مكان ، وبجاه الملائكة والانبياء
والاماكن المقدسة والكتب المنزلة أن يعالج سقم ذاته ويحميه ويرعاه .
وهو يستعرض أسماء المتوسل بهم على هذا النحو :

الجيلال حرمت جدك بولماسان * الهاشمي لهمام ذا النور المساني
وابن ابي طالب الفضل روح الشجعان * كوكب لمجاهدين رشدي ومساني
وبابكر الزكي عمر وعثمان * نرجا نرم اللقا ايكونوا رفمانسي
...
واجمع الانبيا امن ازمان الطوفان * لزمان المجتبي اشفيغ العصيانسي
...
وابحق املايك تعظيم المستعان * واسندرت المنتهى وعرش الرحمان
...
حرمت طيبا امن شحمرتيا ممكن * من ليم ارجال ابلا اضمانسي
...
وابحق العلم وخديت المضممان * والايمان اوكل من لهسم يانسي
...
بسلافك ونحفاذ والاهل والجيران * داوي ذاتي او لود بيا وارغانسي
وبمثل هذا الروح يتوسل اليه في قصيدة أخرى يقول في حريتها:
لاغلاك آليت البيوت أهولاي عبد القادر * صارخني ماتخاف أولد رسول الله
وقريب من هذا نجدده عند الطالب لحسن الذي يقول في حريته
قصيدته الجيلية :

غثنى يا مولى بغداد * ادخيل لجواد * بك شجنى محسوب اعليك بك عانى
ويقول فى رجال مراکش السبعة :

ليغائا يالفضالى * ياناس البهجا لبذور سبعة رجال

ويقول الفقيه العميرى فى سيدى عبد السلام بن امشيش (I) راجيا
منه الرأفة والعون ومشبها اياه بالبدر الذى لا يتوارى ضوءه على طول السنين
وقد حجب أنوار كل الكواكب :

انا يا بن امشيش غارا بالرأفا كن لى اعوين

يا بدر انبا اولا اتوارى يضى ما طالت السنين

يخفى لهلال ولمنارا والسيرى الباقيين

ويشبهه الحاج ادريس لحنش بالهلال الذى اشرق نوره فى المدن
والبوادي :

انمجد لهلال الذى اشرق اضياءه * بين لمدون ولديا

انام الوسيلا ضيف الله * ابن امشيش غير اعليا

ويقف لحنش بباب حمى الجزولى (2) بحر الكمال وكريم النسب
المقرب من الرسول عليه السلام ، يرجوه أن يعطف عليه ويكرمه بشراب
ويعطيه من فضله ما يطلب :

عطفا اويا الجزولى * مولاي ابن اسليمان بحر لكمال

عطفا اويامام الغربا * العبد جالعندك يشرب

كره و فحماك ابشربا * واعطه ابلفضل ما يطلب

لنك ياشريف النسبا * من سيد لوجود امقرب

ويتوسل معجد بن المختار الشرايبي الى الله بالتباع صاحب الخير
العظيم والسعد الطالع والقدز الرفيع لكى يكمل قصده ويبلغ مناه ، ويرجوه
أن يسقيه من سر بحره الفاض الذى فاقت جلاوته الشهد حتى يفوز كما
فاز أتباعه وقد هداهم الله بسره :

I — هو شيخ أبى الحسن الشاذلى ، قتله سنة 625 هـ اصحاب المشعوذ
أبى الطواجين الكتامى بجبل انعلم فدفن هناك .

2 — محمد الجزولى صاحب «دلائل الخيرات» توفى سنة 870 هـ .

أرسول الكيمياء * لله غير اعلىس
اطلب ربي فيما * يكمل ليا قصدي
بك اتوسلت لله * راجاه ارسول الله
نورك ما تمناه * اطلع السعدى
الله ارفع قدرك * اسقنا من سرك
ابم فاضى بحرك * احلى من الشهيد
أيا سيد التباع * ربحت منك لتباع
لاين سرك نفاع * بك المولى يهمنى

ويصف الطالب لحسن عبد الرحمن المجذوب بأنه طب كسره وصاحب

الاقوات :

فى حق الله طب كسرى * سيدى عبد الرحمان المجذوب لوقات
وقد جاءه قاصدا متلهفا مطرودا من شدة الشقاء والتعب عماه يفك
أسره ويبشره بزيارة لمقام الرسول عليه السلام ، فقد اشتاق له :
غارا لله جيت قاصد لك لهفان * مطرود ابلا طراد من شد التمحان
يا بو لوقات سيدنا عبد الرحمن

تبشر حالى اوفك حصرى * شايق لمقام من اعليه اوحى لايات
فشمير رمضان بعد لسبرى * واحكم حكم لمين فجميع الاشنيات
وللفقيه العميرى توسل الى بو عسريه (I) يقول فى حربته راجيا منه
أن يجود عليه :

ضيف ربي غارا جود يا سيدى قاسم * لمختنر هيا حمر لكرون يا بو عسريا
والرغبة التى يتوسل اليه فى تحقيقها أن يكون له خلف وعقب فى

(I) لعلة أبو القاسم بن احمد بن الرشيد السفينانى المتوفى سنة سبع
وسبعين وألف والمدفون على ضفة وادى ارضم حيث له فية كبيرة . ترجمه
الافرائى فى الصفوة (ص 157 - 158 - 159) قال : «أصحابه يلقبونه بأبى
عسريه لانه كان يعمل بشماله أكثر ، كان رحمه الله من الموليين فى ذات
الحق سبحانه ومن أهل الاحوال الصادقة والشطحات الربانية . وكان فى
ابتداء أمره معدودا من شجعان قبيلته ، ومن أهل الفروسية الثامة فيهم » .
ترجمه كذلك صاحب «ممتع الاسماع» ص : 134 .

حياته ، وأمله في ذلك كبير طالما أن برهان الشيخ قاطع ظهرت آثاره في كل مكان يفضي حاجة كل من قصده وبغنيه :

عني واسرخني أيا الشيخ أكون أمجازم
أبغيت لولاد فالدينيا الموفيقم ابغينيا
أبغيت تنعزم أمعابا أكون فالدينيا فاجسم
الوالي برعمائك بدان الملحضر البديا
كايجوك من لقبایل اوسوس اوعرب تتلايم
كلها تقضى حاجتها اوكيف من جا بالنيا
اشحال من واحد تغني اوسار في حالو قادم
هكذاك أنايا يا شميخ واتكمل ليا

وقد يمدح الشاعر كل الاشراف أو جماعة منهم دون تحديد للاسماء ، على حد ما فعل المديني التركماني واصفا اياهم بأسياده الابرار أصحاب العز والنصر ، ومشبها اياهم بالاسود الذين لا يهابون الجائرين ، ومتوسلا اليهم ألا يتركوه معذبا بين الثلج والجمر ، وهو عبد الدار :

واسيادی لبرار کلهم اقساور
مايهمهم الجايـــــر
عيب عل لاسود هل العز والنصر
تبقى بين الثلج والجمر
ونسا عـــــبد الدار

ومثل هذا نجد عند المديني في قصيدته التي لا شك يمدح بها الاشراف العلويين ملوك الدولة ، يقول في حريتها متوسلا الى المولى ادریس والمولى على الشريف جده الاسرة العلوية :

غاراً مولای ادریس بن ادریس أمفتاح الغرب والشريف الفيلائی
سيادی مولای اعلى الشريف الينبوعو خصال
وفيها يصفهم بأنهم المسك والعرد والورد والندا والعبير ، وأنهم طيب القرس ورثوا العرش عن الرسول عليه السلام ، وأطيب سائر المخلوقات وأنهم الاصل ، ومن سواهم الفرع ، وأنهم الملوك الصائلون على الدوام ،

وأنهم الفتح المبين في قلوب العارفين الواصلين ، من لم يصل بهم تاه في
الظلمات ، وأنهم مفاتيح كل المغلقات وعلوم الأولين والآخرين ، بهم يفتح
العباد أقفال أبواب الله :

هما المسك اخطيبو أعود (I) والورد امع النداء اعبير فوطا واجبالى
والجنا فاح انسيم طيها من طيبت لفضال
هما طيب الغرس والعرش ميراث امن انسيم لحبيب راحت لنجالى
هما طيب الثقلين جن وناس وانسا وارجال
هما الاصل والخلق كلهم افروع من اوجودهم وجدى يبقى لى
هما لملوك اعلى الدوام بهم صايل من صال
هما الفتح لمبين في اقلوب العرفان الواصلين حضرت لوصالى
من لا يوصل بهم تاه فالظلمة عن لوصال
هما امفاتح لمغالى الرقيقا واعلوم اللولين والختم التالى
هما افبيان الله للعباد امفاتح لقفال

ومن قصائد مدح الاولياء والصالحين بعد هذا ما يطلق عليه «الجمهور»
أو «جمهور الاولياء» وهى قصائد - كما يبدو من تسميتها - تستعرض
مجموعة كبيرة من الاولياء ، ومن خير الامثلة عليها قصيدة العلمى يقول
فى أولها :

يا من يشفى اضرار عبده بعد السقم * وايفرح من اقوات فالصدر احزانو
وفيها يستعرض أولياء المغرب على هذا النحو حيث يذكر بعض رجال
مراكش كالفاضل عياض والامام السهيلي وابى العباس السبتي ويوسف
ابن على والجزولى :

(I) المقصود به العود الهندى وهو نوع من البخور معروف بطيب عرقه
حين يحرق ، وهو شائع الاستعمال فى البيوت المغربية حيث تصنع لاهراقه
مباخر خاصة تكون فى الغالب من الفضة ، ويطلق عليه فى المغرب «العود
نقمارى» .

قاضي عياض والسهيلى والسبتي * ابو العباس غوثنا بسو لدراوش (I)
هو يطفى ابصرختو صهد الهفتى * اكما يطفى السا الظاجوف العاطش
يا يوسف بن اعلى انجيت ايلارفتى * عيظت اعليك عيظت المرو الداهش
الجزولى الشريف ستجب لدعوتى * دعوت من اعلى العطف ييحث وايفايش

لاه الله يارجال حضرة مراكش

كذلك يستعرض العلمى فى هذه القصيدة بعض كبار المسلمين على
نحو ذكره الحسن والحسين وحمزة والعباس وسعيد وسعد وطلحة والزبير
وأبى عبيدة وأنس وابن عوف :

ياحسينين ياسياد اجميع الناس * عند اذكر جاهكم يصغر كل اكبير
ادخيل اعمامكم حمزا والعباس * واسعيد وسعد ثم طلحا والزبير
وابجاه أبا اعبيد والسيد أناس * حرمت بن عوف لا تركونى فى ضير
سالوا من رافتو اعلى ساير الناس * ساعد واشقى ومعتذر واغنى وافقير
يعطينى كل ما اطلبت اكثير الخير

ومن هذا النوع من القصائد ما يطلق عليه «المرحول» ويقصد به الرحلة
تتشد لزيارة بعض الصالحين على حد ما نجد عند الشيخ البرى السلوى الذى
اعتاد أن يخرج لزيارة بعض الصالحين كل عام ، يزور وزان وصدحاء ثم
تازروت ووليها سيدى يوسف ومنها الى جبل العلم حيث قبر سيدى عبد
السلام بن امشيش ، ومن الجبل الى تطوان ليزور سيدى بركة ثم الى طنجة
ووليها سيدى بوغراقيا ، ومنها للقصر الكبير لزيارة سيدى بوغانم ، ومنه
الى لال ميمونا والشريف ابن منصور ، فالى مولاي ادريس الاكبر بزوهون
وجاره سيدى محمد بلخير ثم الى سيدى بوغابة وسيدى علال فى طريق
عودته الى سلا :

فى كل عام نقصدهم أوكل يوم بالحاجا مقضيا

طاحت اصبنها رقدوا احوال من طاح

...

(I) ابو الفقراء ، اشارة الى مذهب السبتي القائم على أن « الوجود
ينفعل بالوجود » .

أزرت وزان أشفت ارکان السعيد واضراغم لحييا
أزرت سيدي يوسف في تارزوت مصباح
واطلعت للجبل لمكنى جبل لعلام بصناكر اعلى النيا
من ابن امشيش المولى عبد السلام نرتاح
أبعدها اخرجت التطاون قابط لفيافي والبريا
زرت سيدي بركاوالكريم فتاح

.....

من الطانجا شايلاه ابشامنج لقدر بوغراقيا
اشكيت بالغربا واغرابي وتكلاح

.....

من اللقصر ياصاحي خويا قلت وبن الندلوسيا
وين بوغانم وين الساكنين لبطاح
وياك فالقصر تنغشم يا من لا اعرفت لو طويا
لقصر برجالو طول الدوام صلاح
منو الال ميمونا والخير ماخطا رجل ووليا(I)

اقرت معروف الله واختمت سورت افلاح
واخرجت كانسالي اعلى الحد انا غشيم وطريقو ملويا
ماوصلنا حتى شفتنا امسايف اقباح
منو اللعنيا بن منصور الشريف وارجال الصوفيا
والبحارا ساداتي كلهم صلاح
والغوث ابن ادريس اكبير الخصال اخايلو عندي مرويا
احداه سيدي محمد بلخير امن السياح

.....

اصبح الصباح وارمات الشمس اعلى لبطاح واخطفنا سروي
زرت سيدي بوغابا باللسان لحلاح
واعلى الشجيع سيدي علال الشيخين عز المساويا
اعمارت المعمرورا والفائز واسلاح

I يطلق اسم « الوليا » على المرأة

منو البورزيم أفتوا واثبتت لمسافات المثنيا

اعلى اوصالى اسلا ثم ابراروا لجراح
وقد لا تناح للشاعر فرصة الزبارة فيكتفى برسول يبعثه ، وهذا ما نجد
عند الحاج ادريس لجنش الذي بعث مرسوله يحمل رسالة الى الولي ابن
المهيدي ، في قصيدته التي يقول في حريتها :
الغادي للرباط هاك اسلامي لسيادي * الولي بن لمهيدي
يبدأ الرحلة من فاس الى الرباط مستعرضا أسماء الاولياء الذين سيمر
بهم في طريقه :

أمرسولي هاك البرا (I) * تدها لسيادنا لظهار
من فاس الحضرا الزاهرا * لرباط الفتاح ولسرار
اطريقك سهل ظاهرا * اسمع لي لبيان ولخبار
زور الشيخ امع سيدي يعلى جاري * والمتفنى به لاح بدرى
باب المحروق فوتها واتوسل للبارى * يكفيك الستار كل شري
بوعبد النور ولفقيه الشيخ الجراي * سيدي مسعود طب ضري
الشدادى اوبوبكر اشموسى واقمارى * اتأدب للباقيين واسرى
وهكذا الى أن يصل الى سلا حيث ضريح سيدي ابن عاشر وابن حسون
وسيدي موسى ثم الى الرباط حيث زاوية الشيخ ابن المهيدي ليسلم الخطاب
الى مقدمها الذي سيتكفل بتسليمه للسادة الشرفاء :

هاغر اسلا اقريب بلسان الحال اينادى * وايقول اهلا زيد عندي
ثم تدخل اقواسها * ناشط بنسيم لعنى اتميس
زور العارف عز ناسها * بن عاشر والدر النفيس
بن حسون وتابع راسها * سيدي موسى نور اشميس
واقطع لمدينات الرباط هم اكدارك ناسى * فتنام العج افدوك نفسى
وادخل للزاويا اسعد تدفع قرطاسى * لمقدم صافحسو اورسى
هو يعطى اكتابنا للسادات امجادي * للى بهم حاج وجدى
واقصد لضريح جدهم فمان لقصادي * بن لمهيدي للصلاح يهدى

(I) الرسالة .

ويذكر بعض أولاد الشيخ ، من مات منهم ومن لا زال على قيد الحياة ،
أمثال سيدي الحاج محمد وسيدي غلال وسيدي عبد السلام والسيد الجيلالي
والسيد الستل وسيدي الحاج بنعيسى :

بن لمبيدي به عزنا * له السر الواضح المبين
معظمها عند سلطاننا * مدامت ليام واسنين
ولدو نبال السر ولعنا * ورث ذاك الجاه لمبين
نعني سيدي الحاج محمد عمو الثاني * ثم الاول اسراج اعياني
سيدي غلال له جاه اعظم رباني * كان ابري والنبى امعاني
أوسيدي عبد السلام امع سيدي الجيلاني * سيد الستل بدوام حصني
يارب نعم لجميع افجنت رضواني * والى باقى عنهم نعني
لمحل سيد الحاج بنعيسى سرو ساني * ادعى لى واكمل به ظني
بن عمو شامخ لقد جملت لعياني * اسدى بومهدى اشريف سنني
.....

ايطلبوا لى الله عند اتمام لوراد * يطلع بكمال اسروز سعدي

ملاحظة : العشق الالاهي

ونبحث بعد هذا عن العشق الالاهي في شعر الزجال المغربي ، فنفتقده
أو نكاد ، وكان الشاعر الشعبي ابتعد أو تعمد أن يبتعد عن النظر الى ذات
الله والتفزل فيها والتعبير عن حبه لها ، حتى في أبسط صور هذا الحب
الخالية من التفكير والتأمل والفلسف ، وأغلب الظن أنه خشي الوقوع في
التجسيم وتشبيه الله بخلقه . ولعلنا لن نستغرب ذلك من شاعر شعبي
محدود الثقافة بسيط الايمان ، يلقي بشعره الى الجماهير تنشده وتنغني به ،
وهي بدورها لن تقبل على أى شيء لا يوافق مزاجها الساذج . ثم انه مهما
ارتفع المستوى الفكرى للشاعر وجمهوره فانه يظل محصورا في نطاق
الفكر العام ، ونعرف ان الفكر المغربى طوال فترات التاريخ — اذا استثنينا
عهد الموحدين — كان يتمسك بحرفية النصوص ويبتعد عن التأويل ، بما
لا يتيح المجال للنظر في ذات الله وصفاته وتعقدها وبالتالي للتفزل فيها
والتعبير عن حبه . ومن هنا اتجه الشاعر الى الرسول عليه السلام بفجر كل
طاقة حبه الروحي ومدالفته الدينية .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الشاعر المتصوف أبا الحسن الششتري ، وهو — كما سنرى — (I) أحد الذين نقلوا الزجل الاندلسي إلى المغرب ، كان ينظم قصائده وموشحاته وأزجاله في مذهبه متغنيا بحب الله ووحدة الوجود، ولكن يبدو أن الناس الذين كانوا يستمعون إلى أزجاله في الاسواق وحلقات الذكر ، لم يكونوا يدركون في هذه الأزجال ما تصور من جوانب مذهبه التصوفي الفلسفي ، ولم تكن تأخذهم غير واقعيتها المتجلية في شخصه وهو يجول في الاسواق ينشد ويغنى ، وكذلك كان شعراء الشعب لا شك ، لا يفهمون مذهبه ، وربما كانوا سيقدمون فيه ويكفرونه أو فهموه .

ومع هذا فإننا حين نتعدى نطاق هذه الطبقة من الزجالين الشعبيين إلى طبقة العارفين المتصوفين ، فإننا لا نفتأ نعثر على بعض ألوان حب الله . ومن هنا لم نجزم في الحكم بعدم وجوده ، وقدلنا في بداية الملاحظة أننا « نفتقده أو نكاده » . وربما كان عبد الله الهبطي (2) أكثر من غيره تعبيرا عن هذا الحب ، يتجلى لنا ذلك في بعض قصائده ومقطوعاته كهااته التي يقول في أولها :

للرب شوقوني * يا أيها الرجال

للحضرنا وصلوني * حتى نرى الجمال

وكقوله من قصيدة أخرى :

ربي دايم اعظيم حضار * قد جهلت انعتو

ايغيب عني ما نقدر * أو يحضر انموتو

حن لجمال عذبني * يا قوم العندو

قهر لجلال يقهرني * من قريبو البعدو

من لطفو للعين * يختفى ويبعدو

وكقوله كذلك في « القصيدة التورانية من المسامرة الربانية » :

الحبيب في ذي المباني * التي سوى وعدل

قد ظهر لى بالعيانى * لا ترانى بعد تغفل

(I) في الفصل الأول من باب « الاعلام »

(2) انظره في الفصل الثاني من باب « الاعلام » .

أن تقول بعد التجلى * ربما يسدل حجابو
يظهر لك لكن يولى * فى لحظا يضرب نقابو
لا تامن عند التحلى * أن يعرك من ثيابو

قد يقول قائل : وماذا عن القصائد التى خصصت للسلوك الصوفى
ونصح المريدين ، أليست تعبر عن الحب الالاهى مهما كانت صور هذا الحب
وصفاته ؟ حقا انا نشتم رائحة عشق ذات الالاد فى بعض هذه القصائد ، وان
كان يبدو من هذه الرائحة خلط بين حب الله والرسول . ونستطيع أن نمثل
لذلك بما ورد فى دالية ابن رمويه حيث يقول فى لغة تكاد تكون معربة :

هم فى الحب واتوله وفى القلب ردد الله
ثم غب فى الله بالله كالجلى والجنيد
طف ابكعب لوصال وافن ذاك لخيال
وقف عند لخيال واشرب كاس التفريد
فحجنا مشروط وموقشوف ومنوط
على البذل والسقوط وتمام الوعود
حجت لهوا اغالت وبالنفس اشتربت
وعلى الصادق هانت بها نال المقصود
اتجرد عن الحس وعن الحب للجنس
واقصد حضرت القدس لب باسم المقصود
اذكر ما دمت طالب وفى وصقو راغب
حتى لا يبقى حاجب وتصل للمعهود

وحتى اذا كانت تشتم من مثل هذا النموذج رائحة تتصل بالحب الالاهى ،
فلعله واضح أنها خالية من تناول ذات الله وصفاته وعلاقة السالك بربه وما
قد يصل اليه المرید من مشاهدة او اتحاد ، وانها محصورة فى التنفير من
الحب الجيسى والحث على الذكر .

وقد يقول آخر : وهذه الاشعار التى تنشد فى حلقات الذكر وخاصة
منها قصائد الحراق ومقولاته ، أليست هى الاخرى تدور ولو من بعيد فى

فلنك حب الله والتغزل في حضرته ؟ قد تكون ، ولكننا لعدم وضوح صورة هذا الحب
نميل في غير قليل من الترجيح الى أن الحراق لا يقصد غير حب الرسول
عليه السلام ، ولنستمع اليه يقول انه حين جن الليل وسطعت كواكبه لطف
الله به ووافاه بالمرغوب اذ ظهر له حبيبته وظل يمتع النظر فيه ، فهو يهديه
روحه لا يطالب بها أبدا ، وهو له عبد مكسوب اذا رضى به :

جن الليل اعليا * حتى ظهرو اكواكبـو

والطف ربي بيا * وافى ليا المرغوب

بان احببى ليا * ماذا لنا انراقـو

روحى ليه اهديا * عمرى فيها مانظالمـو

ويدا يرضى بيا * آنا لو مكسـوب

وهو يرى أن كل من حلت النية في قلبه ظفر بالمحبوب :

واللى فيه النيا * بظفر بالمحبـوب

ويقول كذلك انه حين تم له الوصال وأشرق نور بهاء حبيبته نسي كل
شئ فليس يذهب عقله غير هواه :

جاد اعليا برضاه

لحبيب اللى حيتـو * زارنى وانعم لى ابـلوصال

حين اشرق نور ابـهـاه

كل شئ بالقهر انسيتـو * ياهلى عقلى اذا شفتـوه زالـ

ما بى غير اهـواه

ويذهب في موضع آخر الى أن ذكر الحبيب ذرا يشفى من داء الالهـام ،
به يضىء الوجود ويجلى ظلام الحب :

ذكرو احقيق للقلب ادوا * يشفيه امن اسقامـو اوهامـو

به لوجود كلـو يضيـوا * من عشق لـهـوا واظلامـو

وعنده ألا أسعد ممن عشق الحبيب وخلع في حبه العذار ودار في حلقة

الذكر ينشد الاشعار في مدحه وحوله القوم سكارى من هواه :

ياسعد امن اضحى يخلع فيه اعذارـو * وايدور فى اسواح البـدارا

ينشد افلحبيب اسجالـو واشعارـو * والقوم امن احـواه اسكارى

ويشجعنا على هذا الرأي ما شاع في قصائد الذكر عند غير الحراق من
تمجيد الرسول صلوات الله عليه ، ومن أروعها قصيدة المغراوي التي يطلب
فيها من مخاطبته ، لعلها حبيبتة أو زوجه أو نفسه ، أن تزغرد فرحا وطربا
بالمصطفى ، وأن لا تفلل ساكتة ، وأن تستوحى صوت زغردتها من وجدته ،
ويستغرب منها صامتة كأن نغمته لم تهزها ، ويشبتها ويلج عليها في الطلب
أن تزغرد بصوت عال على سيد الرجال والناس :

ازغرتي ليس ساكتا * من وجدى صيغى اوصيتي
مالك مبكوما أو صامتا * ما هزك غيوان مايتي
كوني زكموطا أو ثابتا * واعلى سيد الرجال زغرتي
واعلى سيد الناس زغرتي * بالصوت العالى اقوام
ويلج على ذلك أن يكون طول النهار ، يطلب منها أن تسد حزامها
وتكف عن المشى والحركة ، فقد حضر ضيف الحفل واشعل الشمع من
العشى وفرشت الزرابى ورصت المخدات على اللحوف وأسدل الستائر
على القباب ليبدأ الذكر والصلاة في هذا الجو ، جو الفرح بضيافة الرسول :
ازغرتي لا تمل شئ * بن اصلاات الصبح ولعشا
شد احزامك مابقى امشى * ذا الفرجا ضيفها اغشا
اشمعها يكدي من لعشى * واقطوف ازرابى امفرشا
واخايد فسوق اللحوف * واخوامى زينا اعلى اساط القبا سجا
هل الحضرا اعظمو ويذكرو نعم الرؤوف * ابلوا اعلى خير خلق الله المصطفى
هذا عرس اضيافت النبي محمد زين لحروف * صلى الله عليه والرضا لهلو والخلفا
ما دام ادوام لغنى ينظر حضرا فينا ايشوف

فالليلة ممتعة يجب السهر فيها وقد هب النسيم الطيب العطر ، وعين
العاشق تنظر ، وكل من نظر الى الله ينصر :
ازغرتي لازم السهر * ليلتنا ليلا امحننرا * هب انسيم الطيب ولعطر
واعيون العاشق نظرا * اللي نظر الله ينتصر

الباب الثالث

الأعلام

الفصل الاول

مرحلة النشأة

اسماء ونصوص قديمة

ليس من شك في أنه من الصعب تحديد نشأة شعر اداته لهجة عامية دارجة ، وليس من شك كذلك في أن تلك الصعوبة تزداد حين لا تتوفر النصوص الأولى لهذا الشعر ، مروية كانت أو مدونة ، لذا فإنا نجد غير يسير علينا أن نحاول بحث أصل القصيدة الزجلية المغربية ونشأتها طالما أن الرواية الشفوية لا تمتد بعيدا عبر القرون ، وطالما أن المصادر المكتوبة لم تعن بتاريخ الآداب الشعبية وتسجيل نصوصها إلا في القليل النادر .

وقد لجأنا إلى هذا القليل النادر علنا نعثر فيه على ما يسعف فسي البحث ، كما لجأنا إلى الشيوخ الرواة وتتبعنا معهم تسلسل محفوظاتهم حتى الخيوط الأولى منها عسانا نقف على مرويّات قديمة ، فتجمعت لنا من المصدرين مادة هزيلة ، ولكنها على هزالها ألقت بشعاع من الضوء رقيق لا يساعد على غير تلمس السبيل في متاهات مظلمة لسرى قد يحمد عند الصباح وقد لا يحمد .

وقد حاول الأستاذ محمد الفاسي أن يحدد البواكير الأولى لهذا الشعر ، فوقف عند قصيدة نظمها ابن عبود في منتصف القرن العاشر ، واعتبرها أقدم نص . وفي هذا يقول :

« وكانت أقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنائش القديمة هي قصيدة «الحربى» للشاعر ابن عبود ، وهو من أهل فاس ، كان أيام الوطاسيين وكان مع سيدي عمرو الوطاسي قائد الجيوش الوطاسية في وقعة تادلا بين أحمد الأعرج السعدي وأحمد الوطاسي ، وهي التي أسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب ، وهذه القصيدة في وصف هذه المعركة ، وتاريخها سنة 943 هـ الموافق لسنة 1536 م (1) .

(1) مقال «الادب الشعبي المغربي الملحون» مجلة البحث العلمي العدد الأول السنة الأولى 1964 .

أما القصيدة ، ولم يذكرها الاستاذ الفاسي (1) ، فهي التي يقول
الشاعر (2) في أولها :

(1) اكتفى بالتعليق عليها بقوله في نفس المصدر : « وقد اجيز ابن
عبود على هذه القصيدة بتلبية طلبه في جعل محل بقاس رهن اشارته
لانشاد قصائده به يوم المولد النبوي . وهذا المحل هو ما يسمى مسيد
سبيدي قرح بسوق الحناء بقاس وقد خلفه فيه الشاعر الكبير سبيدي
عبد العزيز المغراوي . ولا زال شعراء الملحنون الى يومنا يجتمعون يوم عيد
المولد وينشدون كلام سبيدي عبد العزيز المغراوي وكلام النابهن منهم ،
ومن ادرك أن ينشد شعره في ذلك المحفل البهيج فقد بلغ المنتهى في تقدير
زهلته له »

(2) تجدر الإشارة الى أنه تطلق على الرجالين المغاربة اسماء وصفات،
أهمها :

أ - الشعراء : يقول ابن علي في القسم الرابع من «السولان» :
واسلامي عن كل من احضر * متادب في كل حال للشعرا
هكذا سبوت هل لشعار

ب - النظام : يقول عبد الفضيل المرينسي في «الفصادة» :
قالوا عرجبا بالنظام

ج - الاشياخ : يقول امتيرد في نهاية مجاورته :
قال اكمل لشيخ عز الودبا حبر النظام

د - أشياخ السجية (تميزا لهم من المنشدين الذين يعرفون بأشياخ
لكريحة) يقول المرينسي في قصيدته المشار اليها :
شافوني احضرت اكبالتهم شبروا اوندوا
رسلوا لي الخادم قالت ليا
من اكون اقصد النيا
قلت لهم شيخ السجيا

هـ - أشياخ النظام (تميزا لهم كذلك من اشياخ لكريحة)
يقول المكي الصويري في آخر « فطومة » :
واسلام الله لشيخ النظام

و - أهل النظام : يقول محمد الشاهد في آخر قصيدة « معلوم الشوف
ما طفا نار الجوف » :

نتهى قولى امع انظامي * من فضل الا ينم
احسنت اعلى الرضا اقسامى * برضات اهل النظام

ز - أهل القوافي : يقول محمد بن الكبير في «تريزة» :
عنك اسلام فايق المسك افلاجيوب
يعبق عن جمعكم يا اهل لقوافي

مال الخيل السنى اخنلط فميدان * صمكت هاذى الذى واهنك الهاذى
والغبرا عمدت اكسات اعلى التيجان * حتى عاد النهار غائس فارصادى
ولسنا نوافق الاستاذ الفاسى على اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل
مرويا او مكتوبا فقد وصلتنا قبلها بعض النصوص منها ما هو من نوع زجل
القصيدة ومنها ما يختلف عنه ، وهى نصوص سنستعرض بعضها فى هذا
الفصل - بعد سطور - وسنترك البعض الآخر الى الفصل الثانى من هذا
الباب .

حقا ان قصيدة ابن عبود تعتبر من النصوص الاولى للزجل فى
الشكل الذى بدأ يستقر عليه وقد أخذ يجرز كيانه ، وحقا كذلك ان القرن
العاشر يعتبر بداية انطلاق مرحلة جديدة بالنسبة لهذا الزجل - كما
سنرى فى الفصل الثانى من هذا الباب - ولا نقول بدايته ، ولكننا نستبعد
أن تكون اللغة العربية قد تم انتشارها فى القرن السادس بشكليها المعرب
والدارج ، وتمر اربعة قرون دون أن يصدر شعر عن الناطقين بهذه اللهجة
الفنانين ، ثم فجأة يظهر فيها نمط من الشعر مكتمل جميل . وهو رأى تدفعنا
الى ترجيحه هذه النصوص التى وقفنا عليها ، على الرغم من انها مختلفة

ح - اقوامس الملحون : يقول سعيد التلمسانى فى رثاء عبد العزيز
المغراوى :

لو حد عبد العزيز قاموس الملحون * من لاحاطوا ابشرح معناه اقوامس
ط - اقوامس العلم الموهوب : يقول محمد بن لكبير فى استهلال
التوزيع السالفة الذكر :

اسادتى اقوامس العلم الموهوب * يامن لكريم هبكم افضل وافى
ى - أرباب الموهوب : يقول المرئيسى فى «الفصادة» :
واسلام ربنا لرباب الموهوب

ك - الودبا (اى الادباء) : يقول المدغرى فى «زهرة» :
واسلامى للشراف والطلبا قال القارى * ما دوحى انسام لعطر
واعلى الودبا اقوامس الموهوب الشعارا

(وانظر كذلك قول امتيرد السابق)

ومتباينة ، كما يدفعنا اليه ما ذكره الحسن الوزان (I) في كتابه « وصف افريقية » ، فقد لاحظ في فصل منه بعنوان « شعراء بالعامية الافريقية » (2) ان هؤلاء الشعراء كثيرون ، وانهم كانوا يتبارون لاطهار براعتهم الشعرية في مناسبة ذكرى المولد النبوي حيث يتجمعون صباح يوم العيد في ميدان رئيس القناصل (3) ويعتلون المنصة واحدا تلو الآخر لالقاء اشعارهم وقد تجمهر عليهم الناس ، ثم ينصب أميراً للشعراء من احرز منهم قصب السبق . وذكر كذلك ان السلطان المريني كان يقيم حفلا بهذه المناسبة يستدعى له رجال العلم والادب ، وان الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه فينعم على الفائز الاول بمائة دينار وفرس ووصيف وحلته التي يكون لابسا في هذا اليوم ، ويمنح سائر الشعراء خمسين دينارا لكل واحد . ولاحظ الوزان بعد ذلك ان هذه العادة انقطعت منذ انهارت دولة بني مرين (4) ، وهي فترة تمتد عنده مائة وثلاثين عاما .

وهذه أسماء الزجالين وما وصلنا لهم من أزجال او اجزاء من أزجال

على الاصح :

ابن غرلة

قال عنه الجلي : «وقد كان ابن غرلة الشاعر المغربي ، وهو من اكابر اشياخهم ينظم الموشح والزجل والمزنج فيلحن في الموشح ويعرب

(I) الحسن بن محمد الوزان (901 - 956 هـ ، 1495 - 1548 م) ولد في غرناطة ورحل مع أسرته الى فاس وقام بجولات داخل المغرب وخارجه في الشمال الافريقي وبلاد المشرق . اسر سنة 926 في نابولي بايطالية وأخذ الى البابا ليون العاشر فقربه اليه لعلمه وتجاربه ، ودعاه الى المسيحية فتمسح وسمى بـ : جان ليون Jean Léon وهو الاسم الذي يعرف به في اوربا . ويقال انه بعد موت البابا عاد الى الشمال الافريقي ونزل بتونس وفيها توفي .

(2) « Poètes en vulgaire africain » p 130 131
Description de l. Afrique - Jean leon Africain
Ed. C.H. SCEFER Paris

(3) Le chef des consuls لعله يقصد به رئيس القواد او الوزراء

(4) من 674 الى 869 هـ

فى الزجل تقصدا منه واستهتارا ، ويقول ان القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك ، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته فى دار انطراز (1) »

وقد كان ابن غرلة يعيش فى عهد الموحدين ، بل كان معاصرا للخليفة عبد المؤمن الكومى ، وتذكر المصادر حبه لاخت هذا الخليفة ، وفى ذلك يقول الحلى : « فمن موشحاته المزمعة الموشحة الطنيانة الموسومة بالعروس التى نظمها عن عشيقه ربيعة اخت عبد المؤمن الاموى (2) ملك الاندلس وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه الاجتماع بها ، والواقعة مشهورة ، وكان حسن الصورة جليل القدر ذا عشيرة » (3) وذكر له مطلع هذه الموشحة ، واوله :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى * صيدى الغزالة من مراتع الاسد
ثم زاد قائلا بعد ذلك : « وقيل انه لما اخرج الملك ليقتله نظر الى الناس وارتجل بيتا فى الوزن يستنجد به عشيرته لاخت ثاره :

خدها الاسيل * بدت منه انوار
طرفها الكحيل * سل منه بشار

قد اسرت عبدا * ولم اك بالعبد * مت لا محالة * فاطلبو دمي بعدى (4)
وقبل ان نورد بعض ما ذكرته المصادر لابن غرلة من قطع فجدية نفث قليلا عند ملاحظة لاشك ان القارئ سيثيرها ، وهى اذا ما كان ابن غرلة مغربيا حقيقة اى من المغرب الاقصى ، ام اذا كان اندلسيا ونسب للمغرب على اعتبار ان النسبة بالمغربى كانت تشمل حتى الاندلسى نظرا للمفهوم الذى يدخل فى المغرب كل المنطقة التى تقابل المشرق ، ونظرا كذلك لان الاندلس عاشت فى وحدة مع المغرب الاقصى طوال عهدي المرابطين والموحدين .

(1) العاقل الحالى الورقة 20 وجه وظهر ، وسنعود الى موشحات ابن غرلة .

(2) هذا خطأ ، والصحيح : عبد المؤمن الموحدى .

(3) العاقل الحالى الورقة 20 ظهر .

(4) العاقل الحالى الورقة 21 وجه .

والواقع انه ليس من السهل البت في هذا المشكل الذي كثيرا ما يعترض الدارسين لتاريخ الاندلس والمغرب وآدابهما ، ولكننا مع ذلك نرجح أن يكون ابن غرلة غير اندلسي ، ونعتمد في ذلك على نص وارد عند الحلبي : « . . . وعداثن الاندلس المختصة بالمسلمين دون غيرهم اربعة وهي التي خرج منها الموشح والزجل وهي اشبيلية وقرطبة وبلنسية ومالقة والذين خرجوا منها من الزجالين سبعة وهم يخلف بن راشد ابن قزمان مدغليس الحبيط البردعي الجمال ابن اللمنكة (1) »

وسبق لنا ان اثرنا هذا الموضوع مع الاستاذ الصديق الدكتور احسان عباس ، فكان رايه في ترجيح مغربية ابن غرلة انه لو كان اندلسيا لما جروا على نظم موشحة في اخت الخليفة وان ذلك لا يتصور صدوره الا من مغربي . وقد ذكر الرباط لابن غرلة في «العقيدة الادبية» اجزاء من الزجال يقول فيها :

بنت قزمان في خياها * عند اباهها
العريس خاطب اباهها * وقد تباها
لو يكن بزال * كان امعاء اموال * الا دا دجال
بالمحال يقنى الاست البراقع (2)

ويقول في جزء آخر :

ان كنت ريس ومالك عاقه * هذا خبرك على الزلاقة
اسمى * وارمى (3)

بل انا نجد الرباط ينسب لابن غرلة قطعة « عروض البلد » التي ذكر ابن خلدون لابن عمير - كما سنرى بعد - ويمثل منها البيتين الاولين ، وهما :

(1) المصدر السابق الورقة 22 وجه
(2) الورقة 45 ظهر ، وقد قدم لهذا الجزء بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة مقرر من »
(3) المصدر السابق .

أبكاني بشاطئ النهر نوح الحمام * على غصن في بستان قبيل الصباح
وكف الطلا يحكى مداد الظلام * وريق النداء يجرى بثغر الاقحاح
ويقدم لهما بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة رحمه الله مقر من
رباعى » (I)

كذلك ذكر له صاحب « بلوغ الامل فى فن الزجل » بيتين قدم لهما
بقوله : « ومن لطائف ابن غرلة قوله فى مطلع :

بعد ذبحك يا فروجى * واش ايفيد الجرى
كنت جرى من قبل ماتدبح * وعنيك يـرى (2)

عبد المومن الموحدى (3)

ذكر له الرباط قوله : (4)

يا عصفير الجنيّة * جل ربي نشاكم
الجمل طوله وعرضه * لم قد يطلع احداكم

رميلة أخت عبد المومن

قال عنها الحلى بعد ان ذكر علاقتها بابن غرلة : « وكانت هى ايضا جليلة
القدر جميلة الخلق فصيحة اللسان تنظم الازجال الرائقة الفائقة » (5)
ثم قال : « ومن ازجالها الرقيقة الرشيقة الزجل الذى مطلعہ :
مشى السهر حيران * حتى رأى انسان * عينى وقف
تقول فى خرجة منه تصف خلا كان بخده :
اسيمر جنان * فى شقة من نعمان * قد التحف » (6)

ابن خبازة

قال عنه صاحب « الجدوة » : « ميمون بن علي بن عبد الخالق

(I) المصدر السابق الورقة 44 ظهر

(2) مخطوطة الزيتونة رقم 4467 ص 47 .

(3) تولى سنة 524 بعد وفاة ابن تومرت وتوفى سنة 558 هـ .

(4) العقيدة الادبية الورقة 38 وجه

(5) المعامل الحال الورقة 20 ظهر

(6) المصدر السابق الورقة 21 وجه .

الخطابي نسبة الى قبيلة من صنهاجة من اهل مدينة فاس ، ويعرف بابن خبازة نسبة الى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة ، كان سريع البديهة ناعما نائرا مع الابداعة والتفنن في اساليب الكلام معرفة واتقانا في هزله وجده على اختلاف اللغات (1) ومثل هذا الكلام نجده في «ازهار الرياض» ينقله المقرئ عن «الذيل والتكملة» فيقول : «كان ممتقنا في اساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات» (2)

وليس من شك في أنه يقصد باللغات وهزل الكلام النظم ففى الزجل ، والاسف اننا لم نعثر له على أثر لذلك .

ابن حسون

سماء الحلي ابا عبد الله محمد بن حسون الحلبي المغربي ووصفه بالاستاذ والشيخ (3) وذكره لدى الحديث عن اسقاط الهمزة عند الزجلين حيث ورد له بيتا من زجل يقول فيه :

كم نبت منكده * من هواك وهجرانك يا مليح القد

يا مليح بمن سماك اش هذا التجنى

طول ما نشتهى قربك تبعد انت عنسى

ان كان الرقيب بلغ لسك قضية على

اس انا فى ذا الجد * عوذ بالله يا حبي الاخير هو اجود

وعلق عليه بقوله : «فقد اسقط الهمزة فى موضعين فى قوله ليك

بمعنى اليك وفى لفظة عوذ وأصلها أعوذ» (4)

(1) ص 208 وقد استمرت ترجمته حتى 214 . توفي آخر سنة 637 بالرباط ودفن بسلا قريبا من الشيخ ابراهيم ابي حاجبة . وقبره معروف بسيدي الخباز واليه ينسب الباب المعروف بهذا الاسم فى سلا . انظر فى ترجمته الذيل والتكملة ، ورايات المبرزين لابن سميعة ، وتحفة القادم لابن الابار ، والعدد السابع من ذكريات مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون .

(2) الجزء الثانى ص 379 . (3) الورقة 36 وجه و 54 وجه .

(4) الورقة 30 وجه .

وذكر له كذلك مطلع زجل لدى حديثه عن اسقاط حرف العلة ،
يقول فيه :

صحبة العينين السود طول صدورك ابلائي *
انا في هرواك هايم وانت ترضى هجراني

قال بعده : « ومراده صاحبة العينين » (1)

ثم ذكره بعد هذا الاستشهاد على اقامة الخاقم خذ ، بقوله :

قد ضحك ذو الصباح * واقتطع سر التوار

لا زمان غير ذا الزمان * المذلة على الرسول

خترا ذا المهرجان * خترا جر الذبول

ومكان ابدع مكان * تفتن فيه العقول

ولقاح املح لقاح * وئسار املح ثمار

والطيور قامت وقام * الوتر مع الجوار

« فقوله خترا بمعنى خذ ترى ، وله مثلها في خرجة أخرى من هذا
الزجل :

لا تقل شراب وراح في الزجاج ولا عقار *

خترا ماء الغمام قد رجيع من نور ونار » (2)

ومثل بمطلع أحد أزجاله لادخال حرف النداء على قافية الالف واللام ،
وفيه يقول : (3)

احجر بالغزال واتدلل * واعمل ما تريد فمن بلى يحمل

كما استشهد باجزاء من ازجاله في الوصل في القافية ، فاشار
الى قوله :

ارفع قطيعك وطيب واتملا * والسخ عمن ولى

فالوصل الالف بعد اللام ، ثم قال في احدى خرجاته :

وهذى عندي نصيحة في الله

فالوصل منها الهاء » (4)

ثم ذكر له مطلع زجل هو : (5)

(1) الورقة 33 ظهر (2) المصدر السابق 36 وجه

(3) المصدر السابق (4) المصدر السابق 41 ظهر

(5) المصدر السابق 49 ظهر

لى تقدير شمسور بن عبد عسقت الفلازنية

وأخر ما أشار به الحل لابن حسون قوله : « وجدت للشهيد الامتياز

ابى عبد الله محمد بن حسون أجلا لى رجل مقلعه :

صحة العينين السود طول اصد ذلك ايلاني

يقول فى خرجا يمت عند حكاية عن قول معشوقته :

وترقى سيفاً عجيباً * مستحب من اجفالى

بالثال العجمة فى لفظة عجوبة مقابل الدال المملة فى لفظة

السود « (1)

ويذكر مبارك شاه لابن حسون من رجل قوله : (2)

لو ريتنى حين نلتقيه * مما تجد من شوقى ليه

نصفى وقرع من يديله

اما بعد هذا فنجد ذكرنا لابن حسون فى ختام بحيدة الكفيف الزهرى

التي يذكر فيها هزيمة ابى الحسن المربى فى القيروان ، حيث يقول

مخاطباً نفسه :

واستغفر يا لكفيف لابن حسون * وتفكر ما ذكر فى عام ستا

فهو يدعو نفسه الى الاستغفار له والى تذكر ما قاله فى السنة السادسة

ولسنا نعرف هذا الذى قاله ابن حسون ، ولسنا نعرف كذلك من ذكر

الكفيف له ، لأنه شيعه — وكانت العادة أن يهدى الشاعر السلام ويقدم

الاستغفار لشيوخه — ام لأنه سبق فى رجل له الى ذكر حوادث هذه السنة

المشار إليها ؟ والناظر انه شيعه .

ابن حسون السبعين (3)

يقال ان ابا الحسن الشمشرى (4) حين وفد الى المغرب اتصل بابن

(1) الورقة 54 وجه .

(2) السفينة ج 4 الورقة 26 وجه مخطوط رقم Feyzulial 1612

مكتبة Mille: اسطنبول .

(3) عبد الحق بن سبعين السبعين 613 — 660 هـ .

(4) 668_610 .

سبعين وتلمذ عليه ، ويقال كذلك ان المتصوف المغربي اعطى تلميذه علما وطلب منه أن يتجول في السوق مغنيا ببيت زجلي يقول فيه :

ابديت بذكر الحبيب * وعيشسى ايطيب

ومضى الششتري يغنى فى الاسواق بهذا البيت وقضى يومين دون ان يستطيع اضافة شىء اليه حتى كان اليوم الثالث فأكمله وقال :

لما دار الكاس * ما بين الجلاس

عنهم زال الباس

اسقاهم ابكاس الرضا * عفا الله عما امضى (I)

ومثل هذه الحكاية تثبت لا شك ان ابن سبعين كانت له معرفة بنظم الزجل وان هذا الفن لم يكن غريبا على المغاربة الى حد انهم يسمعون فى الاسواق .

ابن شجاع النازى

ذكره ابن خلدون على اثر ذكر فن «عروض البلد» (2) حيث قال : « فاستحسنه اهل فاس وولعوا به وانظموا على طريفته وتركوا الاعراب الذى ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوا أصنافا الى المزدوج والكازى والملعبة والغزل ، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها » (3)

واورد له مقطوعتين ، يقول فى بداية الاولى : (4)

المال زينة الدنيا وعز النفوس * يبهى وجوها ليس على باهيا
فما كل من هو كثير الفلوس * وله كلام والرتب العاليا

(I) انظر شرح احمد زروق على نونية الششتري التى يقول فيها :
ارى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
(مخطوط الاسكوريال رقم 4186 ص 21)

(2) منشور اليه فيما بعد .

(3) المقدمة ص 530 .

(4) المصدر السابق .

ايكبرو من كثر مالو ولو كان اصغير * ويصغر عزير الثوم اذا يفتقر
من ذا يطبق صدرى ومن ذا يقير * يكاد يغفغف نولا الرجوع للقدر
ويقول فى بداية الشامية : (I)

تعب من تبع قلب ملاح ذا الزمان * اعمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك
ما منهم مديح غاصبه الا وخان * قليل من عليه نجس ويعبس عليك
يهو اهل العشاق ويتمنعوا * ويستعدو تقطيع اقلوب الرجال
وان واصلوا من حينهم يقطعوا * رائ عاهدوا خانوا على كل حال

الكفيف الزهوني

قال عنه ابن خلدون فى مقدمته : «وكان لهذه العصور القريبة من
فحولهم بزهرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابدع فى
مذهب هذا الفن ، (2) ومن احسن ما علق لى بمحفوظي قوله فى رحلة
السلطان ابي الحسن وبنى مرين الى افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان
ويعزيهم عنها ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عيىهم على غزاتهم الى افريقية
فى ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول فى مفتتحها وهو من ابدع مذاهب
الابلاغة فى الاشعار بالمقصد فى مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة
الاستهلال :

سمجان مالك خواطر الامرا * ونواصيها فى كل حين وازمان
ان طعنناه عطفهم لنا قسرا * وان عصيناه عقب بكل هوان
... (3) »

ثم ذكر له منها جملة أبيات . وقد وقفنا على القصيدة كاملة - وهى
طويلة من واحد وتسعين واربعمئة بيت - بآخر مجموع مخطوط فى خزنة
مراكش رقمه 184 واوله شرح المقدمة الوغليسية للشيخ زروق .

I المقدمة ص 530 - 531 .

(2) يعنى الفن الذى نظم فيه ابن شجاع التازى . وقد ذكر ابن خلدون
عن الذين نظموا فيه كذلك على بن المؤذن من التمسان ولكنه لم يمثل
نظمه .

(3) المقدمة ص. 531 .

المنصور الاعشى

ذكر له الحل (I) مطلع زجل هو قوله :

الحبيب ابيض يا حبيب * وكؤوس الخمر حمر
نعم المزج بالرحيق * فط ما نعرف السلو
فالطيب في حريق غريق * عايم ابيض عجب لو
فاسفنى مع زشما رشيق * كل من راه ميجلو

مولاي الشاد

وهو اقدم شاعر وجدنا ذكره عند الاشياخ الحفاظ ، ويقولون عنه انه من تافيلالت وانه كان يعيش في أوائل القرن التاسع للهجرة ، وينسبون له قوله يذهب فيها الى أن «من لا يحفظ موهوب ينفى عقله مقلوب » ، ويستنتج بعضهم من هذه القولة المبكرة أن الشعر الشعبي المغربي كان يطلق عليه « الموهوب » او «العلم الموهوب» قبل ان يسمى « الملحون » او غيرها من التسميات .

وكل ما يحفظ الاشياخ من زجل مولاي الشاد مقطوعتان قصيرتان ،

يقول في الاولى :

لا تقولوشى يا حمر اعلى ازمان * الخير والشرف كل ازمان كايين
ما جد اكتاب الله فالصدور * اعلاه نبيكوا اعلاه
ما قاطعين ياس من رحمة الله * واحبيينا الشافع رسول الله
فاش جا ذنب المخلوقين * عند راسع الغفران
ويقول في الثانية :

خوك عبدك وانت ديما الخوك مملوك

لا تأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيسا له كاتعيش

لا تكونوشى طوب افشى ابني اهشميش

عيشوا بالله والنبي والقرآن مع نحديث

وقد علق عليهما الشيخ احمد سهوم في حديث اذاعى نشر في « مجلة

(I). الورقة 4I وجه وظهر .

الاذاعة والتلفزة المغربية فاعتبرهما تمثلا للملحون «قبل ان توضع له بحوره وعروضه ، انه مجرد كلام غير موزون وغير مقفى لكنه بليغ وهادف وفيه مسحة من جمال الشعر» (I)

عبد الله بن احسان

يقول عنه كبار الاشياخ انه كان معاصرا لمولاي الشاد وانه مثله من اضرا فى تافيلالت . ومن جملة ما يحفظون له قصيدة طويلة ، هذا نصها :

نبدا لسم الله انتظامى يا الى ابغا لوزان *

لوزان خير لى انيا من قول كان حتى كان

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يا اخوان *

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عنوان

حتى انقول ما قالوا عشاق الدبى افكل ازمان *

وانكون افلقريض الملحون انا المادحو حسان

مداح مادحو بلسانى والشوق له من لکنان *

والمادحو ابقلب اکنانو يرضاه ماعيا بلسان

الموغ واللقا واللغوا بين اللها امع اسنان *

والحب ذا الشفيع الشافع فالقلب ذا الدخال اتصان

رانى الله شاهد عن قلبى واللسان كل احيان *

انبات كتضل ابشوقى والدمع كايندر لمزان

بتناهدى التعلل صدرى والصعب ما بقى يلىان *

نمشى الارض طيبا تطفى ما فالقلب من تيران

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر عدنان *

وانقول يا شريف الاسم مداح طالبك للامان

انت اشفيع يا محمد والى راحم ورحمان *

والعباد بين شافع وارجيم ايعاين لعفسو نهفان

أنت أشفيق يا محمد والي عدا حسان *
ونا حسنت ظني فآله وفيسك طالب الغفران
وانعود من الحج المركاحي يا عنايتي فرحان *
للمصوم والصلا وامديحك بين الحديث والقمران
تاريخ حلتني «رخل» عند ازمانها افكل ازمان *
والقايدين كاع امحضروا ونا فقيهم وزان
واسمي افلامتي عبد الله بن احسان الوزان *
اسايلين عني فاضروا عاصي ومعدن النقصان
ترجا من لكريم التوبا امن الرسول فالميزان *
اشفاعتو الهذا الاما ونا فوسطها فرحان
واتمام ما نظمت السيدى من ذا العقيق والعقيان *
اصلا موصلا للماحي ما ناه طير عل لغصان
وسلام ربنا للشرفا واهل نهذا افكل امكان *
والناظمين عن ميزاني والي ايزيد لو ميزان
ونميل الى اعتبار ابن احسان من خلال هذا النص يمثل مرحلة
جديدة فى الزجل المغربى ، لعلها فاصلة بين ما كان من قبل وما غدا
عليه . وسنعود اليه فى بداية الفصل الثانى ما دمنا قد اعتبرناه كذلك ،
ونكتفى الان بملاحظتين :

الاولى : ان الشاعر يشير الى «كان حتى كان» فى أول بيت مقارنا
بينه وبين «لوزان» ، ولعله يقصد به «كان حتى كان» نوعا من الشعر
الشعبي يعتمد القص والحكاية كما يبدو من التسمية ، و به «لوزان»
الشعر القائم على الوزن ، وهذا ما يعزز الاعتبار الذى ملنا اليه فى أن هذا
الشاعر بدا مرحلة جديدة فى القصيدة الزجلية المغربية

الثانية : قوله فى الرمز لتاريخ قصيدته به «رخل» فالراء بمائتين
والخاء بستمائة واللام بثلاثين ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهى سنة نظمه
نها ، وبهذا نستطيع تحديد تاريخ مرحلة القصيدة الزجلية الجديدة .

أصل القصيدة الزجلية

نحن بهذا أمام نصوص قليلة ولكنها على قلتها متباينة الاشكال متباعدة الفترات . ومع ذلك فهي تثبت وجود زجل في المغرب منذ عهد الموحدين ، إلى الوان من الزجل مختلفة عن القصيدة المعروفة الآن ، وهي ظاهرة لا تدل على غير تطورها عبر الزمان . وعلى الرغم من ذلك يبقى السؤال قائما حول نشأتها ، وتبقى كذلك متفرعة عنه جملة اسئلة عن الاصول التي استقت منها وتأثرت بها قبل ان تعزز كيانها :

- 1 - أهي امتداد للزجل الاندلسي ؟
- 2 - أم هي محاكاة مباشرة لفن التوشيح الاندلسي كما عرفه المغاربة ؟
- 3 - أم هي تأثر بشعر اهل الامصار العرب الوافدين الى المغرب ؟
- 4 - أم انها استمرار لعروض البلد الذي استحدثه أهل المدن بالمغرب ؟

5 - أم انها تطور لآغان ومرددات شعبية محلية ؟

كل هذه اسئلة تراودنا في محاولة البحث عن البذور الاولى للقصيدة الزجلية لا نرانا نخرج منها الا بردود لا تقوم على غير التخمين والافتراض .

أما الزجل الاندلسي فقد تأكد لنا ان المغاربة نظموا على نمطه في عهد الموحدين (1) ، ولكننا لا نعرف ان كانوا قد نظموه في العهد السابق . وعلى الرغم من ان النصوص لا تسعف ، فانا لا نستبعد ان يكونوا نظموه في عهد المرابطين (2) ، يدفعنا الى ذلك سببان :

الاول : ان المغاربة في هذا العهد - وبعد ان تمت الوحدة بين البلدين - كانوا يقلدون الاندلسيين ويحتذون خطاهم في مختلف مناحي الحياة ، وخاصة منها الحضارية والثقافية .

(1) من 524 الى 674 هـ .

(2) من 430 الى 524 هـ .

الثاني : ان الاندلس شهدت على هذا العهد ازدهار فن الزجل حيث لمعت أسماء كبار الزجالين وعلى رأسهم ابو بكر بن قزمان .
والذى كنا نستبعده هو أن ينظم المغاربة الزجل على عهد الموحدين لما نعرف عن هذه الدولة من محاولة الابتعاد عن تقليد الاندلسيين وإيجاد كيان خاص بها يعبر عن شخصية أهم ما تمتاز به هو التأثير بالدعوة الموحدية والميل الى البساطة والوضوح والبعد عن الزخرف والتعقيد .

ويبدو ان هذه المحاولة لم تتعد الرسميات الى الشعبيات ، حيث صادفنا غير قليل من الزجالين المغاربة فى هذا العهد ، بل أكثر من ذلك وجدنا صاحب « العقيدة الادبية » يتحدث عن الاختلاف حول مخترع الزجل ويذكر من المختلف فيهم ثلاثة من المغاربة هم ابن غرلة والخليفة عبد المومن وأخته رميلة ، يقول : « اختلفوا فيمن اخترع فن الزجل فمنهم من قال ابن غرلة ، وقيل يخلف بن راشد ، وقيل ابن قزمان ، وقيل مدغليس ، وقيل عبد المومن ملك الاندلس ، وقيل رميلة اخت عبد المومن . والذى اتفق عليه الجمهور أن أول من تناشد به ابن قزمان وبعده القيم مدغليس وبعده ابن غرلة وبعده يخلف بن راشد وبعده سبع الاندلس عبد المومن وبعده رميلة » (I)

ولعلنا نستطيع ان نذهب الى أن نظم المغاربة لفن الزجل فى هذا العصر الذى كان يحاول منافسة الاندلسيين وعدم تقليدهم يدل لا شك على نظمهم له فى عصر المرابطين من قبل وان وجوده فى عصر الموحدين ليس غير استمرار لما كان من قبل .

وعلى الرغم من أنه لم ترو أزجال مغربية كاملة ، فانا من خلال النصوص الناقصة التى ذكرت لابن غرلة وابن حسون لا نرى اختلافا بين الزجل الاندلسى والزجل الذى نظم هؤلاء الشعراء ، وهى ظاهرة يمكننا أن نستنتج منها فى كثير من الترجيح أن الزجل الاندلسى انتقل الى المغرب عن طريق تبادل الوفود والرحلات . ويكفى فى التمثيل لهذا التبادل أن نذكر قدوم أبى الحسن الششتري الى المغرب ، فقد كان يتنقل

(I) الورقة 37 ظهر .

داخل المدن المغربية وينظم ازجالا يتغنى بها فى الاسواق كهذا الزجل الذى يقول فى مطلعہ :

شويخ من أرض مكناس * وسط الاسواق . يغنى

آش اعليا امـن الناس * واش اعلى الناس منى (I)

فهل كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تشيد فى الاسواق وحلقات الذكر دون أن يتجاوبوا معها ودون أن تهمز بعض المعتنين منهم لمحاولة النسخ عليها ؟ نحن لا نشك فى أن تأثير المشتري كان قويا فى نفوس المغاربة ، وهو تأثير تدل عليه الأزجال التى لا زال يرددها فقراء درقاوة حتى اليوم - وهم طائفة من الشاذلية - ، وتدل عليها محاولة بعض المتصوفة المغاربة تقليد المشتري فى بعض ازجاله على حد ما نجد عند محمد الشرقى فى قصيدة زجلية يبدو فيها التاثر واضحا بزجل المشتري السالف الذكر ، وهى القصيدة التى يقول الشرقى فيها :

انا مالى فياش * آش اعليا منسى

انقط من رزقى لاش * والخالق يرزقنى

كذلك تدل على تأثير أشعار المشتري عناية المغاربة بنسخها وشرحها على حد ما فعل الشيخ أحمد زروق (2) وابن عجيبة (3) ، وقد كان بعض العارفين يحثون اتباعهم على قراءة هذه الاشعار وانشادها . يقول ابن عباد الرندى (4) داعيا الى ذلك : «وأما مقطعات المشتري وازجاله فى فيها شهوة واليها اشتياق ، وأما تحليلتها بالنغم والصوت الحسن فلا تسهل فإن قدرتم ان تقيّدوا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك » (5). وهذا يجعلنا لا نشك فى أن المغاربة - حتى فى نطاق التصوف - حاولوا ان ينظموا فى هذا الفن الجديد ، بل انا تكاد نجزم بذلك خصوصا

(I) ديوان أبى الحسن المشتري ص 272 تحقيق الدكتور على سامى النشار الطبعة الاولى الاسكندرية سنة 1960 .

(2) المتوفى سنة 899 هـ

(3) المتوفى سنة 1311 هـ

(4) المتوفى سنة 790 هـ .

(5) انظر مقدمة الديوان ص 4 .

حين نجد مؤرخا كأحمد بابا التميمكى (I) يقول : «وقد نسمح الناس على
مثواله كثيرا فما ابرقوا ولا ارعدوا ولا قاموا ولا قعدوا الا من قل وتدر
لأنهم ان اصابوا علما أخطأوا حالا وبالعكس » (2)

واذن فقد عرّف المغاربة الزجل الاندلسى ونظموا متأثرين به
ومقلدين له ، وهذه حلقة من حلقات البحث .

وما قلناه عن الزجل نقوله عن الموشحات ، خصوصا وان عهد
المرابطين شهد ازدهارا لهذا الفن بظهور وشاحين كبار فى الاندلس أمثال
ابن بقمى واحمد بن على المشهور بالأعمى التطيلي وعلى بن حزمون المرسى
وأبى بكر بن باجة ، وخصوصا كذلك وأن غير قليل من شعراء التوشيح
وفدوا على المغرب فى فترات مختلفة أمثال الحفيد ابن زهر وابن حزمون
والهيثم المريبطرى وسهل بن مالك الغرناطى وابن الخطيب فيما بعد .

وقد رويت لابن غرلة أجزاء من موشحات ، فقد ذكر له الحلى طرفا من
موشحته المعروفة بالعروس (3) وهذا مذهبا واول أبياتها :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى * صيدى الغزالة فى مراتع الاسد
كيف لا أصول * واقتنصت وحشية
ظبية تجول * فى ردا وسوسية
صاغها الجليل * فهى شبه حوربه

(I) المتوفى سنة 963 هـ .

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 70 طبعة فاس سنة 1317 هـ .

(3) لاحظ استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى أن هذه
الموشحة ليست الموشحة العروس التى ذكر ابن سناء الملك فى دار الطراز
فقال : «اذا قارنا عدد الأجزاء فى أغصان هذه الموشحة واقفالها عرفنا انها
ليست الموشحة العروس التى أشار إليها ابن سناء الملك فتلك كما صرح
دار الطراز تتألف من اقوال ذات سبعة أجزاء وهذه اقفالها اربعة أجزاء »
(انظر الزجل فى الاندلس ص 113) علما بان ابن سناء الملك لم يسم
ابن غرلة .

كذلك وجدنا في « كتاب مجموع موشحات » (I) موشحة لابن غرلة
يقول في مطلعها :

يا من حكى خده اشقائق * وما له في البها شقيق
تركنتي بالدموع شارق * لما بدا خدك الشريق
ويقول في خرجتها :

بكر غدت في الدنان عائق * ما الحر من رفها عتيق
تلوح في الكاس شبه بارق * ان مزجت صرفها بريق

واورد له الشهاب الحجازي (2) موشحة هذا مذهبها واول ابياتها :

باسم عن لآل * باسم عن عطر
نافر كالغزال * سافر كالبدر
اي ظبي ربيب * اي فيسه ارب
ريقه كالضرب * والما كالضرب
يا له من حبيب * باسم عن حبيب

(I) مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم 4243 - السليمانية - اسطنبول
(الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر) وقد وردت نفس الموشحة منسوبة لابن
غرلة في كتاب « روض الآداب » للشهابي الحجازي - الورقة 98 وجه وظهر
(مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 2293 قصر توبكابي باسطنبول) كما
وردت في «مجمع الورق المنتخبة» الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر (مخطوط
مكتبة فاتح رقم 3918 السليمانية اسطنبول) ولكن منسوبة لعلاء الدين بن
أبيك وليس لابن غرلة .

(2) كتاب «روض الآداب» الورقة 96 وجه و 97 ظهر مخطوط مكتبة
أحمد الثالث رقم 2293 . وفي نسخة أخرى من الكتاب مخطوطة بمكتبة راغب
باشا باسطنبول رقم III5 الورقة 190 انها لصالح الدين الصفدي ، وفي
نسخة ثالثة رقمها 4017 في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول (الورقة 91 وجه)
ان الموشحة لاحمد بن حسن الموصلی .

واورد له الحجازى كذلك موشحة ثانية (1) يقول فى مطلعها :

زاير بالخيال * زايل عن قربى
باهر بالجمال * باهر بالعجب

ويقول فى خرجتها :

صديها وقال * وهو يلقى قربى
نحظ، عينى تنال * قلت آه واقلبى

كما انه رويت لابن حسون فى سفينة مباركشاه (2) موشحة يقول

فى مطلعها واول ابياتها :

ما احمق * عن قطيع من دقق
الصباح قد اقبل والظلام قد ولى
والنجوم قد غابت فى حجاب علم الله
ونجوم الاغصان قد بدت ان تجلى

واذن فقد نظم المغاربة الموشحات على طريقة الاندلسيين ، وهذه

حلقة ثانية من حلقات البحث .

واما شعر اهل الانتصار العرب الوافدين على المغرب فقد حدثنا عنه

ابن خلدون فى المقدمة فقال : « فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون فى الخروج من فن الى فن فى الكلام فهربا هجموا على المقصود لاول كلامهم ، واكثر ابتدائهم فى قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون ، فاهل انتصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى

(1) نسخة راغب باشا الورقة 191 ظهر و 192 وجه وظهر ، فى حين انها فى نسخة مكتبة احمد الثالث (الورقة 97 ظهر) منسوبة لجمال الدين يوسف الصوفى .

(2) الورقة 25 ظهر و 26 وجه مخطوط فيض الله مكتبة Millet رقم 1612 اسطنبول .

الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ، واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي « (I)

واورد من هذه الاشعار قصيدة على لسان الشريف ابن هاشم ييكي الجازية بنت سرحان ويذكر طعنها مع قومها الى المغرب (2)

قال الشريف ابن هاشم على * ترى كبدى حرا شكت من زفيرها
بعز للاعلام اين ما رات خاطرى * يرد اعلام البدو ويلقى عصيرها
وماذا شكات الروح مما طرا لها * عذاب ودائع تلف الله خيرها
واورد منها « قولهم في رثاء أمير زناتة ابي سعدى البقرى مقارعهم

بأفريقية وارض الزاب ورثائهم له على جهة التهكم » (3) ، هذا اوله :

تقول فتاة الحى سعدى وهاضها * ولها فى طعون الباكين عويل
ايا سائل عن تبر الزناتى خليفة * خذ النعت منى لا تكون هيبيل
واورد منها كذلك « قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى برجم :

فشايب وشباب أولاد برجم * جميع البرايا تشتكى من ضهادها

ومنه قوله يعاتب اخوانه فى موالة شيخ الموحدين ابي محمد بن
تافراكين المستبد بحجاجة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة ابنى
اسحاق ابن السلطان ابي يحيى ... :

يقول بلا جهل فتى الحى خالد * مقالة قوال وقال صواب

مقالة حيران بذهن ونم يكن * هريجا ولا فيما يقول ذهب

... » (4)

وقد كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشد وتروى ،
وهذه حلقة ثالثة من حلقات البحث .

ونصل بعد هذا الى الحلقة الرابعة وهى « عروض البلد » ، وقد

تحدث عنه ابن خلدون فى مقدمته فقال : « ثم استحدث أهل الامصار
بالمغرب فنا آخر من الشعر فى اعريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم

(I) ص 510 . (2) ص 511 - 512 .

(3) ص 512 - 513 . (4) ص 517 .

الحضرية أيضا وسموه عروض البلد ، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من أهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب ، مطلعها :

ابكاني بشاطئ النهر نوح الحمام * على الفص في البستان قريب الصباح
وكف السحر تمحو مداد الظلام * وماء الندى يجري بشفر الافلاج
باكرت الرياض والطل فيه افتراق * سر الجواهر نى نحور الجوار
ودمع النواحر ينهرق انهراق * يحاكي ثمايل حلفت بالثمار
لورا بالفصون خلخال على كل ساق * ردار الجميع بالروض دور السوار

...

فامتحنه أهل فاس ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذى ليس

من شأنهم « (1) »

اما الحلقة الخامسة والاخيرة فالاغاني والمرددات الشعبية . وعلى

الرغم من أنه لم تصلنا نصوص لهذه الاغاني والمرددات ، فاننا لسنا بحاجة اليها لنثبت وجودها ، فكل شعب — مهما كانت درجة حضارته وتمدنه اولية — اغانيه ومردداته ، بل «لسنا فى حاجة لان نثبت من الناحية العقلية ضرورة وجود الاغاني فى المجتمع الانسانى كله وان الاغاني الشعبية قديمة العهد بين سكان المدن والبادى وان الحياة الاجتماعية بمناسباتها المفرحة والمحزنة قد حتمت التعبير الجماعى الذى يستعين بالآلة الموسيقية وبالتنظيم اللفظى فاصطنع فن يجمع بين هذين الجانبين الموسيقى واللغة هو ما نصلح على تسميته بالاغنية الشعبية » (2)

وليس المغرب بدعا من الشعوب والمجتمعات ، فقد كانت له اغانيه ومردداته وانشيده يتنغم بها فى مختلف اللهجات المنتشرة فيه ، وبالعبارة العامة منذ ان تم استعراجه على عهد الموحدين وربما قبل ذلك . هذه اذن حلقات اوجب علينا استعراضها ما نفترض امكان اعتباره أصلا لنشأة الزجلية المغربية ، قبائها يا ترى نربطها ؟

(1) ص 529 — 530 .

(2) الزجل فى الاندلس لاسناذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى ص 3 .

لمسنا نستطيع أن نقول بأنها امتداد لتيار الزجل الاندلسي ، فالفجوة الزمنية بعيدة بين الفترة التي وصلتنا عنها نصوص مغربية متأثرة بالزجل الاندلسي وبين الفترة التي ظهر فيها الزجل المغربي محرزاً كيانه وخصائصه والاختلاف الشكلي ظاهر بين الماوتين وخاصة حين نقارن بين الزجل الاندلسي والزجل المغربي في المراحل الأولى لتطوره الأخير ، وخاصة عند أمثال الشاد وابن احساين .

ولسنا نستطيع القول كذلك بأنها محاكاة لغن التوشيح لانا لا نعتقد ذلك حتى بالنسبة لشاة الزجل في الاندلس .

وإذا جاز لنا ان نتحدث عن محاكاة القصيدة الزجلية المغربية لمنظمن الانماط الشعرية فاعلم الظن أنها لعروض البلد الذي أثار اليه ابن خلدون لاستحسان الناس له ونظمهم على طريقته . ويميل بنا الى ترجيح هذا الظن الشبهة الكبير الذي نجده بين النصوص التي نظم المغاربة متأثرين بعروض البلد كما عند ابن شجاع والكفيف وبين الزجل المغربي في مراحل الأولى وقبل أن يحوز كيانه الحالي أي عند الشاد وابن احساين .

كذلك لا نخفي ميلنا الى الظن بأن اشعار العرب الوافدين ، وخاصة منهم الفيلاليين وحلفائهم ، القمت بظلال كثيفة على القصيدة الزجلية المغربية ، فليس من قبيل المصادفة ان تكون القصيدة في شكلها الحالي ظهرت في جنوب المغرب وان يكون اغلب اعلامها من الفيلاليين الصحراويين ، ونحن نعرف ان أولئك العرب الوافدين أقاموا في الجنوب ، وليس من قبيل المصادفة كذلك أن يتخذ الزجالون المغاربة من التقاليد ذكر اسمهم في قصائدهم ، وهي عادة تعارف عليها الشعراء العرب الوافدون ، (1) بل ليس من قبيل المصادفة بعد هذا ان نجد في الازجال المغربية آثاراً للقصص والملاحم الشعبية التي جاء بها أولئك العرب ، تتمثل في الاشارة الى أسماء عبلة وجازية وعنترة

(1) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب « الشكل » .

والشجعان الزناتيين (I) وفي التعليل لوجود هذه الاسماء بانها مقنيسة من القصائد الاصمعيات (2).

ومع هذا فنحن نرجح ان تكون الاغانى والمرددات والانشيد الشعبية المحلية هي الاصل الاول للقصيدة الزجلية ، وقد ذكر لنا الشماط ما يطلق عليه «الموهوب» كما ذكر منها ابن احساين «كان حتى كان» . وبذلك تكون القصيدة نشأت شعبية محلية نابعة من البيئة ومتأثرة بها كغيرها من الفنون والآداب الشعبية ، ولكنها ظلت محصورة فى نطاق ضيق محدود . ونرجح كذلك ان تكون هذه القصيدة اثرا طبيعيا من آثار استعراب المغاربة وانسجامهم مع اللغة الجديدة وتطويعهم وتذوقهم لها فى قالبها العامى حين عجزوا عن ذلك فى قالبها العربى ، وهى بذلك نتيجة الازدواج فى اللغة تعاطاها العوام فيما بينهم ، ولكنها لم تصبح لونا ادبيا معترفا به اذ لم يتح لها الشاعر الغنان الذى يعمل فيه موهبته وعبقريته ويقدمها فى صورة فنية مكتملة . وظلت لذلك مدة طويلة تنففس فى جو شعبي خالص ، وبقيت بهذا نماذجها الاولى مجهولة .

(I) على حد ما يقول اميرد فى «خديجة» :

لوصول اتحول * صولى يامولاتى اخديجا *

صولت عبلا وجازيا * يا سلطانت الريام

ويقول مبارك السوسى فى «زهرة» :

سلبت عقلى زهرا * بالبا والحسن المكمول حازت اسرارى

بشمايل لبها فاقت عل لبكار * فاقت عن عبلا وجازيا وامحاسن لبكور

ويقول المدغرى فى «ام كلثوم» :

كلثوم تريباق لسقامى *

كلثوم كنها ياقوتا فى سلسلا امن اذهب تشحارو معلوم

كلثوما شمس أضوات فارسامى *

كلثوما ما ادركها عيسى فضخامتو اشجيع اسناحو مقيوم

ويقول محمد ولد افريجة فى «خنانة» :

يا دات الزين الوارث * امنين امجيك آمولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك اقد الرمح الصقيل أرايا فى تشجيع بين شجعان ازناقا

(2) يستعمل الاشياخ مصطلح «الاصمعيات» دون ان يعرفوا انه يعنى

قصائد اهل امصار المغرب من العرب كما شرح ابن خلدون وكما سبق ان أشرنا لذلك .

ولكننا نرى ان الشعراء الشعبيين تأثروا بعد هذا بالازجال الاندلسية والموشحات فى محاولة للتقريب بين القصيدة كلون شعري عامي وبين الاشعار التى كانت تلقى فى مجالس غير العوام عند العلماء والحكام والملوك ، وفى محاولة كذلك لغرض وجوده وتوسيع نطاقه واقناع الطبقات المثقفة والارستقراطية بهذا الوجود ، وهى طبقات لا شك كانت معجبة بالازجال والموشحات الاندلسية بل بكل ما هو تراث اندلسى ، لا سيما وان غير قليل من الاسمر الاندلسية انتقلت الى المغرب وظلت تعيش على ماضى تعزز به وتفتخر ، وهو شعور يكاد يعم جميع المغاربة حتى الذين ليسوا من أصل أندلسى .

والغالب ان هذه المحاولة تمت حين انتقلت القصيدة الزجلية من البيئات الشعبية الصرفة الى بيئات راقية ان لم نقل انها بعيدة كل البعد عن الشعب . ومثل هذه النقلة تظهر فى التفنن الشكلى الذى اصبحت عليه وزننا وقافية (I) وفى المعانى والافكار التى بدأ يصورها الرجال المغربى والتى لا تمت بصلة للشعب ولا تمثل الا حياة الرفاهية والقصور والطبقات الغنية المنعمة ، وهى حياة يكاد تصويرها ان يكون اقرب الى تسج الخيال منه الى الواقع (2) .

على أنه لا ينبغي ان ننسى عاملا آخر ساعد على التأثر بالازجال والموشحات الاندلسية ، وهو انتقال الموسيقى الاندلسية الى المغرب بنوباتها واناشيدها ، وهى موسيقى حافظ المغاربة عليها . وقد سبق ان راينا (3) انهم اضافوا الى الميازين الاندلسية الاربعة ميزانا خامسا هو السدرج وان الحاج علال البظلة استخرج طبع الاستهلال فى أوائل ايام السعديين . وكان طبيعيا ان ينظم المغاربة - لهذه الاضافات على الاقل - مقطوعات كانت

-
- (1) انظر الفصل الثالث من الباب الاول وانظر كذلك الفصل المقبل عن تطور القصيدة الزجلية .
(2) انظر فصل المرأة من باب الموضوعات وانظر كذلك الجزء الاول من الفصل الثانى من نفس الباب .
(3) فى المدخل .

بلغة عامية فى الغالب ، ولعلنا نذكر «البراول» التى سبق ان جعلناها نوعا مستقلا من الزجل المغربى لا يختلف كثيراً عن القصيدة .

وتتجلى عناية المغاربة بالموسيقى الاندلسية ومقطوعاتها - حتى بعد ذلك - فى العمل الذى قام به الحايك التطوانى فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى من جمع الموشحات والازجال التى تنشد فى هذه الموسيقى فى كتاب يعرف باسمه .

ولعلنا ان نذكر بعد هذا ان القصيدة الزجلية حين دخلت مرحلة الغناء لم تجد غير ميازين الموسيقى الاندلسية ونوباتها تقيم عليها الالحان .



الفصل الثاني

مرحلة التطور

رأينا فى الفصل السابق أن مرحلة جديدة من القصيدة الزجلية بدأت قبيل منتصف القرن التاسع للهجرة فى أواخر عهد المرينيين على يد عبد الله بن احساين ، وهى مرحلة تطوروية كانت القصيدة خلالها تكتسب غير قليل من الجديد وتحاول احراز كيانها الذى ستستقر عليه ، سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وليسست هذه المرحلة قصيرة ، فهى تمتد زهاء ثلاثة قرون ، ومع ذلك فانا لم نتتبع كل شعرائها وما أنتجوا من أرجال ، واكتفينا بذكر الاعلام الذين قدموا جديدا أو طوروا قديما ، ولم نقف الا عند النصوص التى اعتبرناها معالم فى طريق هذه المرحلة . والحقيقة أننا لم نقصد الى ذلك ، ولكن المادة التاريخية والشعرية لم تيسر لنا لاستعراض كامل نؤرخ به لهذا الفن ، والسبب أنها لم تدون فكان مألها الضياع ، وما بقى منها فى أذهان الاشياخ قليل ، وهو على قلته ملئ بالتناقض والخرافات ، يحتاج الى كثير من التصفية والغريلة حتى يستخلص منه ما يمكن اتخاذه أساسا للدرس والبحث .

لهذا سنركز على القصائد نفسها ، نحاول أن نستكشف منها ملامح هذه المرحلة وما يميزها من ظواهر التطور والتجديد ، وسنتتبع نصوصها من خلال استعراضنا لاعلامها ، حتى نجتمع بين التاريخ للقصيدة والتأريخ لمنشئها ، وسنبداً بعبد الله ابن احساين ونختم بالمصمودى .

عبد الله بن احساين

من قبيلة «اضراء» بصحراء تافيلالت كما يصرح فى شعره . ولسنا نعرف تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نستطيع القول بأنه عمر زهاء مائة عام معتمدين على أمرين :

الاول : ان احدى قصائده مؤرخة في سنة ثمانمائة وثلاثين ، واذا افترضنا أنها من أولى قصائده ، فيحتمل ان يكون قالها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره .

الثاني أنا نجد يذيل قصيدة لاحد تلاميذه يسمى الحمري ، وهي قصيدة مؤرخة في السنة العاشرة بعد المائة التاسعة ، وليس من شك في أنه كان اذ ذاك في أواخر حياته .

ويعتبر ابن احساين - في رأى بعض الاشياخ (I) - صاحب مدرسة وأستاذ جيل ، وضع لمن جاء بعده من الزجاجيين غير قليل من التقاليد ابتدعها في زجله ، والاسف أنه لم تصلنا منه غير قصيدتين سنحاول منهما أن نستخرج ما يعز له من ابتداعات وأسبقيات :

أولا - البحر المثنى : يستشف سبقه الى النظم على هذا البحر من استهلال القصيدة الاولى حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامي ياللسي ابغا لسوزان

لوزان خير لي أليا من قول «كان حتى كان»

ربي الى الهمنى نمدح جد الشراف يالخوان

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لي عنوان

ويستشف كذلك من قوله في نهاية نفس القصيدة :

واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان

والفاظمين عن ميزاني واللى ايزيد لو ميزان

فهو يريد أن يقول شعرا موزونا سلسا يراه خيرا من «كان حتى كان». وقد سبق أن رأينا (2) أن «كان حتى كان» ربما كان نوعا من الشعر غير منظم ولا موزون ، يقوم موضوعه لا شك على حكاية القصص والخرافات ، كما يبدو من تسميته .

والجدير بالملاحظة ان هذه القصيدة على قصرها - فهي لا تضم غير سبعة عشر بيتا - ليست معروفة الا عند كبار الاشياخ ، وأول قصيدة

(I) هو السيد أحمد سهوم الذى استفدنا من تقايدته غير قليل من النصوص والاخبار المتعلقة بشعراء هذه المدرسة .

(2) أنظر الفصل الاول من هذا الباب .

بحفظها أغلب المنشدين على «قياصها» هي «تصليية» ابن علي ولد ارضين
التي يقول في حريتها :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام لنبييا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

ثانيًا - البحر الثلاثي : نظم فيه قصيدته «اللقمانية» ، وهي - كما
سنرى حين نتحدث عن سبقه الى تأريخ القصائد - منظومة سنة ثمانية
وثلاثين وثمانائة ، أي أنه ابتدع هذا البحر بعد ثمانى سنوات من ابتداعه
البحر الاول . يقول في أول «اللقمانية» :

يا راسي توصيك كيف وصى ولدولقمان * وانت تصغا كيف ماصغا ولدو لبياني

واتوصى بوصايته المرويا قوم آخرين

ثالثًا - البدء بالبحر المثلث : يبدو في أول بيت من القصيدة «المثناة»
حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامي ياللي ابغا لوزان

لوزان خير لى أنيا من قول كان حتى كان

رابعًا - توجيه الاشارة الى الرأس : يقول في أول بيت من قصيدته
اللقمانية :

يا راسي توصيك كيف وصى ولدو لقمان *

خامسًا - الاشارة الى تأريخ نظم القصيدة : يقول في أواخر أبيات
القصيدة الاولى :

تاريخ حلتى «دخل» عد ازمانها افكل ازمان

والقايامين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان

حيث رمز به : ر خ ل ، فالراء بمائتين والحاء بستمائة واللام بثلاثين ،
ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة التأريخ .

ويقول مؤرخا لقصيدته الثلاثية ، محددًا تاريخها بالشهر واليوم :

واسمى عبد الله بن احساين نسل العدنان *

مركاحى فاضرا وحلتى فالوزن السانسي

«خرجها الى» جماد والشهر باقى لو يومين

أما السنة فرمز لها ب : خ ر ج هـ ل ، فالخاء بستمائة والراء بمائتين
والجيم بثلاثة والباء بخمسة واللام بثلاثين ، ومجموعها ثمانية وثلاثون
وثمانمائة .

وأما الشهر فجمادى ، وأما اليوم فقبل نهاية الشهر بيومين .
مما ذكرنا - ذكر الأسماء : يقول في قصيدته الثنائية مصرحا باسمه وبأنه
من قبيلة «اضرا» :

واسمى اهلامنى عبد الله بن احساين الوزان
اسمايلين عنى فاضرا عاصى ومعدن النقصان
وكذلك يقول في «اللقمانية» مشميرا الى شرف نسبه كما يتضح من
آخر أبيات ذكرنا منها عند التأريخ .
سابعاً - اهداء السلام والصلاة والدعاء : يعرض ذلك في الابيات
الاربعة لقصيدته الاولى حيث يقول :

نرجا من لكريم التوبى امن الرسول فالميزان
اشفاعتو الها ذا الاما ونا فوسطها فرحان
واشفاعتو الها ذا الاما هي اذخيت ليمان
اشفاعتو الها ذا الاما هي الضامننا لجنان
واقام ما نظمت السيدى من ذا لعنيق والعقيان
اصلا اموصلا للماحي ماناح طير عل لفصان
واسلام ربنا للشرفا واهل نهدا افكل امكان
والناطسين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان
ويقول في اللقمانية :

واقام المقصود فالصلا عن سيد عدنان *

زين الزين الهاشمى احمد محبوب الغانى

والرضوان اعلى اجميع آلو وانصار الدين

ثامناً - هجاء الخصوم : يعتبر نفسه استاذاً وسائر الشعراء له تلاميذ ،

حين يقول في قصيدته الاولى :

..... والقابلين كاع امحضروا ونا فقيهم وزان

فالقائلون عنده - وهم الشعراء - امحضرا ، وهو الاسم الذى يطلق على صيغة الكتاب القرآنى ، أما هو ففقيه ، وهو الاسم الذى يعرف به مدرس الكتاب ومدرره .

تاسعا : تذييل قصيدة التلهيد : وهو دليل اعترافه بشاعريته واجادته حيث يختم قصيدته بيتين أو ثلاثة . ويقال عنه فى الاصطلاح «اطبع لو» (1) ولا يكون الا بعد أن يراجع الشيخ القصيدة أو على حد قولهم «صفى لو لقصيدا» و «دور اعليه» . ويعتبر التذييل شهادة يعتز بها الشعراء مثبتيين تلمذهم على كبار الاشياخ الى حد قالوا : «شيخ ابلا اشياخا باطل شاخ» (2) . من ذلك ما نجده فى نهاية قصيدة لحمد الحمري ذيلها أستاذة ابن احساين بهذين البيتين مشيرا فى البيت الثانى منهما الى أن الحمري يحفظ معانيه :

واسلام ربنا للشرفا وهمل لعلوم ياحضار
اعداد ماهطلت امن امطار وما لقحت من تزهير
فاشعار حافظ امعانا حماد رايق للشمطار
والحمد للكريم الدائم عما اعطى ابلا تقصير
وقد قدم الحمري لبيتى أستاذة بقوله معتزا بسنده :
والحمد والشكر فالختما واصلا اتسير للمختار
من درع ابن احساين الحمري حماد رمزها «فلخير»
وتجدر الاشارة الى أنه رمز لتاريخ قصيدته بالفاء واللام والخاء والراء ،
فالفاء بثمانين واللام بثلاثين والخاء بثمانئة والراء بمائتين ، ومجموعها
تسعمائة وعشرة .

(1) نصادف هذا المصطلح عند محمد بن عمر الكفيف فى «الدعى» حيث يهجو الاشياخ الذين كثروا دون أن يكون لهم سند من حفظ أو رواية أو تلمذ على أشياخ يطبعون لهم ويجيئون :
فضحو سوق اللغا ابغال الرتعا * اشحال منهم املوا ابقاعى
ما حفظوا مارواوا ما طبعوهم طباعا
(2) ويقال كذلك انه «سلك الطريقان» أى حصل على تجارب وتعرف الى مختلف جوانب الفن عن طريق تلمذه على شيخه .

هذه جملة الاسبيقيات التي استغلطنا استخراجها لعبد الله بن احسان
من ثانيا قصيدتين هما كل ما وقفنا عليه من زجله ، وقد وجد من شعراء
قبيلته غير قليل من السخط بسبب اتخاذه الوزن ، وهو سخط يكشف عنه
قوله في اواخر «اللقمانية» :

من غتبك يكفيك فيه خفف عنك عصيان *

كيفتبونى فقبيلتى عن طررز اوزانى

نرجا من ربى ايتوب عن ساير المسلمين

ولكن احتضان ابن احسان لجماعة من تلاميذه فى الفن ، سواء فى
اضرا أو خارجيا ، جعل ابتداعاته تنتشر وتفرض وجودها فى بيئة الزجل
ويعترف للسابق اليها بالفضل ، وهو اعتراف تكشف عنه هذه الابيات التى
رثاه بها أحد تلاميذه الفاسيين واسمه الحاج اعمارة ملقبا اياه بأبى الشعر ،
يقول مخاطبا شعره ، يحثه على البكاء على أبيه حتى يسقى من دموعه جذور
النخلة التى كان يجلس اليها ابن احسان لينظم قصائده :

ابك اعلى اباك أشعري لبكا دشى امرا تكلى

اولوح كينوح ورشان اغريب بوحدو فالليل

ابك على اباك أشعري واسق اجذور ذا النخلا

اللى اشحال من شعر احداها رصعو اباك اكيل

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايجسلا

ونايلامسى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

حماد الحميرى

نعرف أنه من تلاميذ ابن احسان وأنه كان يعيش فى أوائل القرن
العاشر كما تقدم . وقد ظل ينظم على بحرى أستاذة كما تكشف قصائده .
فمن نظمه على البحر المثنى قصيدته «الريعية» التى يقول فى حريتها :
الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار
ايسبحو النعم الغنى ولما افقلب كل اغدير

ومن نظمه على الثلاثي قصيدة «التصليية» التي يقول فيها :

صلى الله اعليك يا الهادى خاتم لرسال
عد ادواب البحر والاسماك اللى فالماالى
العايش واللى امضى ومن هو مازال اقبيل

وقد ظل كذلك يسير على جميع التقاليد التي سنها أستاذه ، ولكنه - فى رأى الاشياخ - لم يكتف بها وأضاف لها من عنده . واذا كانت كل أسبقيات ابن احساين محصورة فى نطاق الشكل ، فان ما أحدثه تلميذه الحمري يتصل كذلك بالشكل ، ولكن يتعداه الى المضمون . ويتبين لنا ذلك من خلال قصيدة واحدة هي التي وفقنا الى تسجيلها كاملة ، وهي «الربيعية» :

اولا : تطور المضمون :

ويتجلى فى كون القصيدة نظمت فى وصف الطبيعة وجمالها أيام الربيع ، وهو موضوع يؤكد كبار الاشياخ أنه لم يكن معروفا من قبل عند الزجالين الذين كانوا لا يخرجون فى أشعارهم عن المدائح النبوية و «التصليات» والحكم والمواعظ .

وقد سبق أن مثلنا ببعض أبيات هذه القصيدة لدى الحديث عن شعر الطبيعة (I) ، ونود هنا أن نلاحظ أن الحمري جعل ربيع شعره أزهى من ربيع الزمان ، هذا ينقضى بمرور فصله ، وذاك دائم الازهار والاثمار لا ينتهى ولا يذبل ، يقول فى القسم الثانى من القصيدة :

هاك ارياض يا من لاشاف ارياض فى اقريض اشعار
انزايه لفكار ارياضى الشعر فايق التشجير
لخريف كايقصف لدمر والورد ويربى لزهار
والورد والزهر فارياضى فيام لخريف اغزير
لشجار افلخريف اتغرد واتنوح عن اشباب اقبار
ويحف ورقها ويفدق ويصير كحطب لهجير

(I) أنظر الجزء الاول من الفصل الثانى من باب (الموضوعات) .

ونا اشجار روضى خضرا تسبى ارباع النظار
فخرىف ولمشأتى ، والصيف اربيعها اربيع اغزير
اغصان يانعا مسرارا والسورق منها يخضار
واقطاطر النداء فعروق ساير الشجير

ثانيا : تطور الشكل :

يتمثل فى ثلاثة جوانب هى : تقسيم القصيدة ووضع لازمة لها
واستعمال الحوار .

1 - تقسيم القصيدة :

قسم قصيدته «الربيعية» الى تسعة اقسام كل منها مكون من
خمسة أبيات وهذا أولها :

سارت لمشأتى كالجيش ايللا انهارم افلكحسار
من بعد زام طبلو واتنصر سار افلقفار اكسير
وجا اهمامنا لمسمى الربيع حايىز التفخار
وصاب ما يصيب المنصور ايللا امشى اعداء احقير
ارمات السما ثوب حزنها ولمست الافتخار
واتحزمت بالسبع الوان اللى اهدى ليا لخبيسر
وانعائم لغنى سبحانو واسقات منها لشجسار
شلا احصى السان الفاصح سبحان ربنا تقدير
اعراجن الثمر فالنخلات الراكبات عل لجدار
واعناقذ لعنب فادوالى سالىو عل لعصير اخبير

2 - وضع الحربة :

فقد جعل لقصيدته حربة أى لازمة تلتزم فى نهاية كل قسم ، هى
قوله :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار
ايسبحو النعم الغنى والمأ افقلب كل اغدير

3 - استعمال الحوار :

وهو حوار بسيط وقصير أجراه فى القسم الثامن بينه وبين النحل

والفراشات ، وقد سماها «أم الوبرات» . فقد جاء على لسان الفراشات ما ضمنه الحموى أول بيت من هذا القسم ، وجاء في رد النحل ما ضمنه في الشطر الثاني من البيت الثالث ، أما هو فردده عليها يبدأ من آخر البيت الرابع ويكمل في البيت الخامس ، يقول :

«اهلا بالربيع الملى جانا بعد ماهزم لمطار
واهلا بالنسيم الملى هب حامل اشدا واعبير»
هكذا قالت أم الوبرات الطائفات عل أزهار
الراشقا اعطور النوار افطاست الندا نغزير
سمعوا اقوالهم النحللات وجابو ابلا تستار
«لاصيف لاخريف ابغينا الا اربيعنا لمينير»
لكلام ابلقلوب يتسمع فسادا امرايح النوار
ونا بقلب قلبي صفتو وانطقت قلت: «كل اغريب
ما راد غير راسو والهانى مارتا اعلى محتار
واللى القى اغراضو وامرادو مايسالشمى عن غير»

محمد بن علي بوعمرو

وهو كذلك من تلاميذ عبد الله بن احساين اذ يتروح عليه في آخر قصيدته «عبلة» ملقبا اياه برفيق النخلة ، فيقول :

لازم ايجى من يدري فضلى * والفضل الخالقى فالاول والتالى
ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا

ونعرف من تأريخه لاحدى قصائده أنه كان يعيش بعد السنة الثلاثين من القرن العاشر ، يقول في أواخر قصيدته «عبلة» :

بوعمرو محمد لعشيق ابن علي * والرمز «الحب اقهرنى قتالى»

فقد رمز ب : ل ح ب ق ه ر ن ق ت ل فاللام بثلاثين - وقد ذكرها مرتين - والحاء بثمانية ، والباء باثنين ، والقاف بمائة - وقد ذكرها كذلك مرتين - والهاء بخمسة ، والراء بمائتين ، والنون بخمسين ، والتاء بأربعمائة ، ومجموعها خمسة وعشرون وتسعمائة .

وقد أحدث بوعمرو - حسب ما انتهىنا اليه في البحث - بعض التطور على مضمون القصيدة وشكلها ، يتمثل الاول في سبقه الى الغزل ، ويتمثل الثاني في ابتداعه وزنين : احدهما داخل البحر المثني ، والآخر داخل البحر الثلاثي ، كما يتمثل في نظمه قصائد غنائية خفيفة :

أولا : تطور المضمون : الغزل

يعتبر بوعمرو أسبق شعراء القصيدة الى النظم في الغزل ، ولقب لذلك ب : «العاشق» . ومن محاولاته الاولى فيه قصيدة «زهرة» التي يقول في حريتها :

زوريني قبل الانقبسار * ياهلال الدار زهرا

وقد كان لغزل بوعمرو وقع سيء في نفوس معاصريه الذين استاءوا منه وسخطوا عليه لاتخاذهم المرأة موضوعا للشعر ، وبالغوا في ذلك فرموه بالزندقة والفحش على حد قول أحدهم - اسمه لمراني - وهو من امدغرا :

زنديق ابن الزنديق الوغد اللي ايردنا فساق

يستاهل الرجيم ابلحجر حتى يموت بالتحقيق

ويلا يموت يتصلب عام وبعد دلتو يحرق

وانشتتو ارمادو وانقول هكذا بغى لعشيق

فهو عنده زنديق ابن زنديق ووغد دنس الشعر بفسقه ، يستحق الرجم حتى يموت ثم يصلب مدة عام وتحرق جثته بعد ذلك ويذر رمادها جزاء عشقه وقوله فيه .

وعن مثل هذا السخط العنيف عبر أحد شعراء عراكش المعاصرين له اسمه حسون وتير فقال :

ملت امن السجيا ولي فيها العار والشنار

واغضبت اعلى الشعر الملحون اللي ناظمو فاضرا

الفاسق اللثيم الزنديق اللي شنع بالبيكار

أولي اجتاح اندفد وانطير له للصحرا

وانديرو له لكيل واسلاسل من الهند للتشيار

وانطوفو اشهر وانجسمو عشرين عام في عسرا

فقد مل الشعر الذي غدا فيه العار والشنار ، وضاق بالملحون الذي
بنقله شاعر اضرا محمد بوعمرى ، وهو يرميه بالفسق واللؤم والزندقة
والتشنيع بالابكار ، ولو كانت له أجنحة لطار اليه حتى الصحراء ليضع له
القييد في رجليه ويكبله بملاسسل الحديد ليقوده منها ويطوفه شهرا ثم
ليسجنه مدة ثلاثين عاما .

ولم يكن بوعمرى يسكت عن خصومه ، وكان يرد عليهم بأنهم لا
يعرفون حقيقة ما به وأنهم لو أدركوا هذه الحقيقة لاتخذوه نبراسا يضيء
لهم الطريق وتبعوه ، وبأن سر ما يعانى كامن في رقة قلبه ؛ يقول في القسم
الثاني من قصيدة تأملية :

واسباب ليعتى وامصابى حتى اوصلت للتخناق

قلبي ارحيف يامكوانى طبعى ابلا اشعار ارقيق

البعض راد لى تشنيقا والبعض راد لى نحراق

والبعض راد لى نتصلب بالسلاسل حين اعشيق

تالله لون عرفوا ما ساكن القليب بالتحققاق

حتى انكون لهم شمعا تضوى افضيق كل امضيق

وفي القسم الاول منها يرجو الله أن يطبعه بطابع قومه أو يطبعهم
بطابعه حتى لا يظل كالعاقل بين المجانين أو كالمجنون بين العقلاء ، وحتى
يتفاهم مع مجتمعه الذي يحلل من الاشياء ، ويحرم ما يشاء :

يا خالق لخالق خلقتى بطبايع دا الخلاق

ولا اخلايك خلقتهم بخلايى التبان الطريق

ايلا انقول لهم ياناسى هامسارب التحققاق

ايحيوا اللخرايف ويقولوا هانهايت التحقيق

والعاقل لفطين ايلا كان امشى الحارت الحماق

هو ايصير لحقى والحومق عاقلين بالتحقيق

ناعميل بين المومق والهميل توسط العيساق

والشحال حلدوا من شبات وحرما ابلأ تحقيق

كدت كان يرد عليهم محاولا أن يبرر لغزله على حد ما يقول في القسم السادس والاخير من «زهره» مسائل الذين لعنوه — في استفسار انكارى — عن العيب الذي يمكن ان يكون في التغنى بمحاسن المرأة ومدح الجمال ، ويطلب من الله أن يقيه شر الجاحدين :

واتمام القول افلشمعار * ياللى نعوسى جهيرا

آش من عيب اعلى لشطار * تقنا بمحاسن لمررا

واش من حشما بالحبار * قى امديح اعلوم النظرا

ياحلى والجحاد اكار * بين امدشرا وامغشرا

والستر من عند الستار * منهم يوفينى جهيرا

وقبل ذلك وفي القسم الرابع يطمئن الذين يخشون من العار الذى يلاحق بأهل حبيبتهم فيبين لهم أن العاشق لا يحتار في أمره طالما أن العشرة تخم بالزواج ، وقد كنى عنه بالصدائق :

خافين اعليا من عار * كيدل احسب البكار

والذى عاشق ما يحتار * بالصدائق اسم العشار

ولم يقف سدهم خصوم بوعمرو عند هذا الحد ، وانما زادوا فمنعوا تداول جميع قصائد حتى ما كان منها في غير الغزل ، فلم تعد تشد في المساجد والزوايا والمجالس العامة حيث كانت العادة أن تشد قصائد الزجل ، ولكن الشاعرا استمر في اتجاهاه الجديد الذى وجد قبولا واستحسانا على المجالس الخاصة ولا سيما عند النساء والشباب . واضطر بوعمرو الى ان يسائر جمهوره الجديد وانما يظم له أغنيات خفيفة كباته التى يؤكد بعض الاشياخ أنها ما زالت تغنى حتى اليوم في الصحراء ، يقول في أولها :

اتقربو الزوج اخراص * طسار النعاس

خلونى هنا لونس * غابشوا الفاس

وسنعود الى هذه الأغنيات فيما بعد كتطور الشكل عند الشعرا ، ونبقى قليلا مع بوعمرو في مواجهته لخصومه ، فهو لم يقنع بالمصير الذى

آل اليه شعره وظل يرد على خصومه مؤكداً تمسكه باتجاهه فنظم قصيدة «عبلة» التي يقول في حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابي من انواجلى * ويلانا هنيئ واسعدنى فالى
اسبابى فالهنا اغزالى عبلا

ولعله فى اختيار اسم عبلة لم يكن يقصد غير الابتعاد عن أسماء النساء المألوفة ومحاولة اقناع خصومه أنه لا يعنى بنت هذا أو زوجة ذاك أو أية امرأة بالذات .

وفى القسم الثانى يخاطب الذين شوهوا قوله ولاموه على هواه ، ويبين لهم أن الحب كنز حصل هو منه على قدر كبير ، وأن المحبة رضوان من الله يهبه للعفيف ويرفع به الوضع ويغنى به المعدم ويحول به القفار الى جنان :
ياللى شوهتو ليا افعايلى * لوموتى افلهوا ونا فسجالى
نوريكم حب ماتوصلو خلا

لمحبا رضوان الخالق العالى * للى هو اعفيف الحب احلالى
وايامو ابلهوا العذرى تحلا

ايلا ايكون اوضيع افلعباد ياللى * ما ساق اخبار لازم اينال لمعالى
ويعود ايلو اجنان ما كان اخلا

كم عادم فغنائه اليوم بان لى * الحب اكنوز ياللى كايفسقالى
أنا بعدا ادر كست منها شلا

وفى القسم الرابع والاخير يكشف لخصومه أن البون شاسع بين العشق والفسق ، وأن العاشق لا يمكن أن يكون فاسقا ، وأن العشق يبعث الرقة والنور فى قلب الجاهل البليد فيصير فاضلا ليبيبا أدبيا لا تمل مجالسته :

عاشق وفاسق مايتصاب فى اخلا * ولا فعمارت لميدون ولطلالى
بين العشق والفسق عندى شلا

من اعشق يترقق لو كان كرغلى * ويصير افضيل بين لامت لفضالى
اليب اديب عنو ماتسلا

ويرفع شكواه الى الله من أولئك الذين اغتابوه وهاجموه فاسودت

صفحة وساء حظه :

يا للى بفتبكم سعدى اسود لى * واشكيا للكريم لجيل العالى
لاقولا خافيا ولافعلا

ولكنه لا يفقد الامل فيمن يدرك فضله ، فيقول فى آخر بيت من

قصيدته :

لازم ايجى من يدري فضلى * والفضل الخالقى فالاول والتالى
ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا

وكذلك كان ، فقد جاء فيما بعد شعراء عرفوا قدر بوعمرو واعترفوا

بفضله ونزهوه عما اتهم به معاصروه ، من هؤلاء الجيلالى المتبره ثابته

قال فيه :

ماوتيتى حاشا لله * غير ساعفتى من تهواه

زاد لك اولاعا

الزهو فسطور انظناه * ولعوا ساقى سميناه

ولودن سماعا

ومنهم كذلك التهامى المدغرى شاعر الغزل الاول فانه قال :

لو كنت فى ازمان «العاشق» * انكون لو الخس الشقيقتى

وانحق للجحود احقايقى * وانقول بالناسم فسق

والحقيقة أننا حين ننظر فى قصيدة «غيلة» لبوعمرو نكاد نلتبس

العدر لثورة معاصريه الذين لم يالفوا فى الزجل غير المدائح النبوية

والتوسلات والمواعظ ، ثم فجاء يسمعون لشاعر مثل هذا القول :

انظم وانغنى سعدى اسكام لى * وانقول افعلتى وشعرى واسجالى

فى محراب لغرام هى القبلا

ليس من شك فى أن بوعمرو كان جريئا على مجتمعه المحافظ حين اعتبر

الحبيبة قبلته فى محراب الغرام ، بل انا لا نجد شاعرا آخر من الغزلين

الذين جاءوا بعده استطاع أن يجرؤ على مثل هذا القول باستثناء التهامى

المدغرى الذى قال فى قصيدة «غيلة» :

اخلعت لعدار فى محراب لىوى وصليت * وامطارب لخمى تركع لصلاتى

ومن عجيب أن الموقف الذى اتخذه معاصروه منه بمنع تداول كل شعره وما نتج عنه من انتشار قصائده الغزلية فى بيئات خاصة حمى هذه القصائد من التلف والضياع فى حين ضاع كل ما عداها من زجله .

ثانيا : تطور الشكل :

ويتمثل عند بوعمرى فى ابتداعه وزنا قصيرا لكل من البحرين الثنائى والثلاثى ، وفى نظم قصائد خفيفة للثناء .

1 - الوزن الاول للبحر الهشئ :

ويعتبر أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وقد سبق اليه فى قصيدة «زهرة» التى يقول فى حربتها :

زورينى قبل الانقبار * ياهلال الدار زعرا

ويؤكد الاشياخ أن أحدا لم ينظم فى هذا الوزن غير التهامى المدغرى فى قصيدته «فروح» التى يقول فى مطلعها :

مال ذاك الغنج الذباح * كايذ القلوب المجروح

2 - الوزن الاول للبحر الثلاثى :

ويعتبر كذلك أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وكان أول نظمه عليه فى قصيدة «عيلة» وهذه حربتها :

ايلا اتعذبت اعذابى من اناجلى * وبلا نا هنييت واسعدنى فالى

اسبابى فالهنا اغزالى عيلا

ويؤكد الاشياخ كذلك أن أحدا من الشعراء لم يوفق فى استعمال هذا الوزن كما وفق الفقيه العميرى ، على حد قوله فى احدى قصائده :

بارت احيال لعقلا افجيلنا * والحق اغبر ولعلايم كبالا

وعلامات المسيح لنا وصلو

3 - قصائد خفيفة للثناء :

اضطر بوعمرى الى نظمها تلبية لطلب جمهوره الجديد بعد أن أعرض الاشياخ عن شعره ومنعوا تداوله ، وهو جمهور - كما سبق أن ذكرنا - محصور فى نطاق النساء والشباب . وقد وقفنا على قصيدتين من هذا النوع الغنائى الخفيف ، يقول فى الاولى على لسان فتاة سافر

حبيبها الى ناس وتركها وحيدة لا تكاد تمام حتى يوقظها صوت حلقات
اذنيها لتسمير طوال الليل معذبة غليظة القلب ، وهي ترجو الناس أن
يحدثوا أباه وأمه وعمها في كولميم لينهضوا في البحث عن حبيبها الذي
طالت غيبته وكانها مدة عام :

اتقربوا الزوج اخراص * طار النعاس
خلوني هنا لو ناس * غابوا القاس
اثبات ساهرا فالليل * ليلسي اطويل
لو عمل كيف كان اكبيل * باقسي اهبيـل
تاسيت فالعذاب اشحال * لبسسي اعليـل
دالشي احرام أو احلال * صسدوا الخيل
جاني البارح فالنـام * مساشي اليوم
واشمو البارح افليـام * أسيتسهم
اتقول غاب هذا عام * رادي النـوم
دالشي احلال أو احرام * صسدوا الخيل
لاغبوا لي ابا وامى * لا غيسوهم
لاغبوا لي اعلى عمى * من كولميم
ابفتشوا على نجمسى * بين النجوم
دالشي احلال أو احرام * صسدوا الخيل

ويقول في الثانية مستعرضا مجموعة من الفائنات المزدغيات في
سن السراقة يتحدثن باللهجة الشلمحية والعربية ، وقد لمع جبينهن كاليدر
رانطلق شعرهن الفاحم على الخدود ، وما كاد يراهن حتى أحس بدوار ،
ودخل معهن في حوار حيث سألته عن مكان قدومه فرد بأنه من منطقة ورغة
جاء الى امزدغا لينظر الى طفيان الجمال في خدهن وليعاني من جفائهن
ربحي حبهن :

روح اتشوف الزين ياللى ما شاف الحسن فامزدغا
طشلات افجهده لملوغ
صاكا صاكا دايزين اعلى ورغا رافدين صيغا
يلغوا بشاغا اولوغ

اجبين كالبدن والتيتوت مفروغين اعلى لخدود فرغا

واين اللي راهو ايروغ

مهما ريت ابهاهم دوخوا دماغى ياصاغى ولا وجدت وين انروغ

قالوا لى امنين اتكون قلت لهم أنيا من احواز ورغا جابتنى رجلى انزيغ

انشوف الزين افخذكم طاغى * وانتما جيككم باغى

جفالات كللكم غواغا * مزينكم بملاغا

والجدير بالملاحظة أن مثل هذه الاغنيات خرجت فيما بعد من نطاق

مجالس النساء والشباب ودخلت مجال الانشاد حيث اتخذها المنشدون

لخفتها مقدمات للقصائد الكبيرة يضبطون بها ايقاع النغم واللحن ، وقد

تطورت هذه المقدمات الى ما عرف فيما بعد بالسرايات كما سنرى فى

الفصل الثالث من هذا الباب .

وقد ظل بوعمر طول حياته ينظم فى الغزل لم يتراجع عنه الى أن

وافته المنية ، فرثاه أحد رفاقه فى التلمذة على عبد الله بن احساين هو

الحاج عمارة الفاسى بقصيدة منها هذه الايات :

مال دمعى عن خدى واد * مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفا * جرحىو ألف غدا

مال عقلى ياويحى باد * مال شعبرى مايتسدا

آح اعليا ياالعباد * من احراق احبيب الكباد

النبيل الفند النشاد * سيد من غنى أو اشدا

بوعمر لمنير الوقاد * احبيب الا ليه افدا

الحاج اعمارة

من شعراء فاس كما يصرح فى آخر قصيدته «الحجة» اذ يقول :

والذى سالك عن اسمى ابلجهار * الحاج اعمارا مادح درت النوارى

من امدينة مولاي ادريس صيل لطهار * امدينة العلم وأرض النور افلقطارى

وهو من تلاميذ عبد الله بن احساين ، وقد ذكر لنا بعض أشياخ فاس

أنه نشأ فى طريانة بالطالعة الصغرى ، وأنه عمر طويلا حتى قارب المائة

عام ، وأنه دفن بمقبرة باب الفتوح فى نفس المدينة . وعلى الرغم من أننا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته فإنه من المؤكد أنها بعد وفاة بوعمرو لأنه رثاه .

وقد وقفنا من زجله على أبيات فى رثاء ابن احسان وبوعمرو سبق أن أشرنا إليها ، وعلى قصيدتين : أحدهما «فاطمة» والثانية «الحجة» . وعلى الرغم من أنه نظم فى الغزل قصيدته الأولى فإن أحدا لم يثر عليه ولم يخاصمه ، ولعل مرد ذلك لأمريين :

أولهما : أن ثورة الاشياخ ضد الغزل كانت قد هدأت لا شك ، ولعلمهم بدأوا يالفونه ويعجبون به ، علما بأن قصيدة «فاطمة» مؤرخة خمس سنوات بعد قصيدة «عبلة» لبوعمرو الذى ربما كان توفي حين نظم الحاج اعمارة قصيدته ؛ ويتضح تاريخ نظمها من قوله :

ومن الحلا ياللى اصفى «غالى» ذاك اقوام * مهديا لام النيوت مولاتى فاطما
ذات الزين الفايز الدكى سلسالت لكرام

فقد رمز ب : غ - ل أما الغين فبتسعمائة وأمام اللام فيثلاثين أى أن القصيدة نظمت سنة ثلاثين وتسعمائة .

الامر الثانى : ان الاشياخ بدأوا يلتمسون التبريرات للحاج اعمارة ويحاولون تأويل قصيدته زاعمين أنه لا يقصد غير فاطمة الزهراء (I) . وبإمعان النظر فى قصيدتى الشاعر يتبين لنا جانبان من جوانب التطور يبدو أن الحاج اعمارة سبق اليهما ، أما الاول فوزن جديد للبحر المثنى يعرف ب «قياس لمشركى» ويظهر فى قصيدته «الحجة» وأما الثانى فمقدمات الاقسام المعروفة ب «النواع» وذلك فى قصيدته «فاطمة» .

أولا : قياس المشركى :

وهو وزن من البحر الخنثى سبق أن رأينا (2) أنه أسهل أوزان هذا

(I) فى حين أن الواقع غير ذلك كما بينا فى الملاحظة الثانية بآخر فصل «المرأة» من باب (الموضوعات) .

(2) أنظر الجزء الاول من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

البحر ، وكان أول ما نظم فيه قصيدة «الحجة» التي يقول في حريتها :
يا لعظمرا قولوا بالسر ولجهار * الصلا والسلام اعلی النبی المختار
وهي قصيدة تحدث فيها عن أدائه لفريضة الحج ، ويبدو أنه نظمها
في البقاع المقدسة ، ومن هنا جاءت تسمية وزنها بـ «المشركي» منسوبا الى
المشرق ، بل انا نراه يؤكد ذلك حين يقول في البيت الرابع من القسم الاول
انه أتى به من مكة :

واش كنزوا من لاكنزوا قياض لشعار * يوم جبت من مكا تربت الطهاري
ويقول كذلك في أول بيت من القسم الخامس والاخير :

هاك ياراي ددا من ادران الشعار * في اقياص امشركي من بلدة السراي
والملاحظ أن شعرا لم ينظم على هذا الوزن - كما جاء به الحاج اعمارة -

احسن من التهامي المدغري في قصيدته «فروح» التي يقول في حريتها :

مانروح اللفراج ولا نروح بالراح * دون راحة روح اللوامج افروح
ثانيا : مقدمات الاقسام (النواصر)

لعلها ظهرت لأول مرة في قصيدته «فاطمة» التي يقول في حريتها :
انا فطمني اعل امواك اباشت لريام * وانت مقطوما اعل اعذابي يافاطما
والذي قرأنا ايلمنا ما طالمت ليام

فقد قدم لكل قسم باييات ثلاثة ابتداء من القسم الثاني دون الاول
الذي كان يمهده له بالمعربة على عهد الحاج اعمارة ، ثم اصبح يقدم له فيما
بعد بالسراية .

وكسأل على ذلك نورد «نواصر» القسم الثالث من القصيدة ، وفيها
يقول :

كم اسنين وكم امن اشهور * واشحال من اليالي داروا وانهاير

وليا منسي مهجسور * طمني اعجاني واشراي لراي

بعد الصبر اكتب مسطور * مرسول سار به وعانيت ابشاير

وبها ينتقل للقسم حيث يقول :

افاطما لله جا اكتابي فايح بنسام * افاطما لاجواب جاني لا تسليم

اطردني مرسول عاشقك وانسميت ليام

أفاطما كم نيل بنت انطوف ابلسام * أفاطما كيف طاف بالكعبا اقورما
فيس وكيف ارجا ارجيت لايعفو من لغرام
أفاطما حاجت لمطار بليت لى لغرام * أفاطما والقيام زايدنى تغييمما
لاوجيتك لايدر فالسما لانجما فظلام

ماتمت بنت عبد الله بن احسمين

هو ولد عبد الله بن احسمين السائب المذكور وعميد الزجل بعده . واذا
كننا لا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته فاننا نستطيع جعلها بالتقريب فى
الستوات الأولى بعد المائة التاسعة وقبل وفاة والده بسنوات قليلة ، لانه
يصرح فى قصيدة له فى «التصليية» انه لم يمنع نظره فى والده كناية عن
كونه مات وتركه صغيرا ؛ فهو يقول فى القسم السادس والاخير منها داعيا
لوالديه بالجنة :

والى سالك عن اسمى اشمعري محمد * ماتمت افاوالدى ابصر
عبد الله بن احسمين يجعل فالخلد اقرارو

وامعاه الحرا البارو

ثم ان هذه القصيدة مؤرخة فى السنة السابعة والثلاثين بعد التسعمائة ،
يقول فى القسم الاخير منها :

تاريخ الحلا افرمن «غزلى» قولوا للدارى * فابعد ما قبل ماكثر
والكسدا فاضرا وروحها سمرت فى زوارو * من تركو لعيون هامرا

فقد رمز ب : «غزلى» ثلثين تسعمائة والذى بسبعة واللام بثلثين ،
ومجموعها سبعة وثلاثون وتسعمائة .

فليس بعيدا أن يكون نظامها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره ،
وليس بعيدا كذلك أن تكون من أول ما نظم .

وتد وقفنا من قصائده على اثنتين : احدهما فى «التصليية» ويذهب
كبار الاشعاع الى أنه سبق فيها للبحر الرباعى : والاخرى فى التغزل فى
«طامو» ويذهبون الى أنه سبق فيها للبحر الخماسى والى التجنيس والتصريف
والتضمين والى الشعر القصصى كذلك .

أولا : البحر الرباعي :

فقد جعل البيت مكونا من أربعة أشطار على حرف واحد في القافية
وبحركات مختلفة ، والتزم نفس الحرف والحركات في كل القصيدة ، ويتضح
ذلك من حربتها التي يقول فيها :

صلى الله امع املايكو عل لحبيب السارى * وامر هل ليمان افلبشر
بصلاة الهادى امع اسلامو بايات اسوارو * صلى الله اعليه وافرا

فانه التزم قافية الراء في كل أبيات القصيدة وجعلها في الاشطار
الاولى على الكسر وفي الثانية على السكون وفي الثالثة على الرفع وفي الرابعة
على الفتح .

ومن الزجالين الذين نظموا على هذا البحر بنفس الوزن محمد بن علي
ولد ارزين في قصيدته «الوصية» وان لم يلتزم بنفس الحرف والحركات
المختلفة ، وفي لازمتها يقول :

بعض الناس احباب درتهم نوجدهم اعدايا * من عدالى كرهنا احصل
واعيت انهادى افحيهم ماداروا بهديا * كل مادارو لنا اوصل

ثانيا : البحر الخماسي

نظم عليه قصيدته «طامو» التي يقول في حربتها :

قالت يما اتقول طامو * قلت او أبيك يالطام
يا قد اعلام فاللطام * قالت ترا يقول طامما
تسرات ايقول فاطما

ويذكر الاشياخ أن أحدا لم يستعمل هذا البحر في نفس الوزن الذي
وضعه له ابن احساين كما استعمله التهامي المدغري ، ومن الامثلة على ذلك
قصيدته «فارحا» التي يقول في حربتها :

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
ونا عقل امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

ثالثا : التجنيس (1) أو الجناس

ويتضح سبق محمد بن حسان إلى استعماله في هذا البيت من قصيدة «طامو» حيث يقول :

كيفي بنا انهار ناموا * عيني فعيون موحرام
واعقبلي من الهام هام * بالحال التي افقلب شاما
فوق الورد النامما

فالهام الاولى بمعنى الراس والثانية فعل الهيام .

رابعا : التصريف (2) :

وهو أن يتصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وكأنه نوع من الجناس ، ويتضح ذلك في حربة قصيدة «طامو» .

خامسا : التضمين (3) أو التلزم :

وهو أن يجعل الشاعر قافيته على أكثر من حرف شبيها بلزوم ما لا يلزم في الأدب المعرب ؛ ويتضح سبق ابن حسان إليه في حربة طامو السالفة الذكر حيث جعل القافية على حرفي الطاء والميم .

سادسا : الشعر القصصي :

فقد حكى في قصيدته «طامو» قصة حبه لها بدأها بأول لقاءهما وأعجابه بجمالها الذي وصفه في القسم الاول حيث تشجع على أن يسلم عليها ويسألها في نهايته عن اسمها ، فقال :

قلبي فيها النقى اغرامو * زعم لطفى اعلى السلام
ماردت بالحيا اسلام * جرت قبظتها ازعاما
قلت اسمك بالناسم

(3،2،1) أنظر الجزء الثاني من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

فأجابته بأن أميا تسميها «طامو» ، وحين سألها بم يسميها أبوها ردت
بأنه تارة يناديها بطامة وتارة بفاطمة . وقد ضمن هذا الاستجواب في حربة
القصيد .

فزاد جوابيا لو شئت وسرت في جسده كالخمر وأسكره وأفقدته وعيه
وعقله ، ولكني لم تلبث أن لاذت بالفرار وكأنها الغزال حين يحس بخطر
الصيداء يحوم حوله ، ولم تفعل كالنعامة توهم نفسها أنها بعدت عن الخطر
بدفن رأسها في الرمال ! وساعدتها على الفرار أقدام شابة قوية لم يقدر على
متابعها لو هن عظمه ، فاختفت عن نظره طائفة كحمامة وتركته كالقمرى
الظامى ؛ ذلك ما يحكيه في القسم الثانى اذ يقول :

صوت العذراء مع انغامو * امرا فمفاصل لجسام
خمر ذاتى ابلا امسدام * وافقدت العقل والفهام
صدققت هى الفاعما

دارت مادار فى اوهامو * لغزال الراتع لو هام
حس بالصياد به حام * ما درق راس كالنعاما
واينى طار فالسمما

الباهى عانتو اقدامو * ونا لموهن لعظام
ماطقت لجرى ابلقدام * والخودا كنها الهاما
فتلوى الرمل فاييمما

حتى خفتات بها عدامو * تلبى من ليعت لغرام
من بعد اسمام ولكلام * طارت كطيرت لحمامما
فوت كمرى لها اظما

وظل في القسمين الثالث والرابع يحكى أثر حبها عليه معذبا مسيدا
طوال شهر الى أن كان يوم خرج القوم للصيد وخرج معهم على حد ما يقول
في آخر بيت من القسم الرابع :

حتى لليوم فاش قاموا * المصيد اسياتل لخيام

ونا مالد لى امكام * واخرجت امع اهل الزعاما

اليوت اضرعنم لخمسة

ويحكى فى أول القسم الخامس أن الناس تشبثوا فى البطاح والآكام

بحسب عن الصيد حتى كان آخر النهار وعاد الجميع ، وقد اصطاد بعضهم

النعام والغزال آخرون ، أما هو فعاد ومعه فاطمة :

كلا ننساق فى اقوام * ما بين ابطايح لوهام

وتشتتنا على لاکام * ضلينا كافا اهياما

من مور او حوش هايما

حتى عكب الضيا اظلامو * عدنا بجميع فى اسلام

شى منا قانص النعما * شى جاب من لغزال لاما

ونيا جيت فاطما

أدريس المرينى

الثورة على قيود الوزن والقافية

من شعراء مراكش ومن معاصري محمد بن عبد الله بن الحسنين كما

سرى من مساندته له فى دعوته التجديدية ، ذلك أن المرينى ضاق بقيود

الزجل المتمثلة فى الوزن والقافية ، ودعا الى التحرر منها فى ثورة عليها

تكشف عنها هذه الابيات .

أنا ابقيت ننظم والحرف ابداء يغور

اعلاه ما يكون الشعر ابلا حرف

غير حس او قول الكلمات

ولودن تسمع ماقلتى

ولقلوب اتغنى بفنالك

تابعا تلديد المعنى

ولا اعنات ابشى قافيات

.....

لاش نهجس فكري فالحرث

ونعجس عقلي فالتبييت

ولفكار اتمائل لطيور

مارضات اقفز من لبيات

جايب اسلوكو من لحروف

والركايز من لقياسات

فهو في هذه المقطوعة يوضح فكرته وبدافع عنها بروعة ، انه يريد
أن ينظم ولكن القافية تخونه . ولم لا يكون الشعر بلا تقفية ؟ لم لا يكون
مجرد كلمات تعبر عما يحسه الشاعر ، تسمعها الاذن ويتغنى بها القلب
متجاوبا مع ما فيها من معنى رائق لذية دون اعتماد على القافية ؟

ويتساءل في الجزء الثاني منكرا تقييد الفكر في القافية والعقل في
الوزن ، في حين أن الافكار كالطيور لا ترضى أن تحبس في قفص الابيات
المشبهة أسلاكه بالقوافي وركائزه ب «القياسات» .

والعجب أن المرينى لم يتعرض لنقد معاصريه الذين لا شك فوجئوا
بهذه الدعوة التحريرية ، وربما كان السبب في سكوتهم أن عميد الزجل
في وقته وهو محمد بن عبد الله بن احساين لم يتخذ من دعوة شاعر مراكشي
موقفا معاديا ولا حتى سلبيا ، بل على العكس من ذلك وقف منها موقفا ايجابيا
كأحسن ما يكون الايجاب واقواه ، فنظم قصيدة على نسق مقطوعة المرينى
دليلا على تجاوبه معه ومساندته اياه ؛ والاسف أنا لم نقف من هذه القصيدة
إلا على هذه الابيات القليلة التي يقول فيها :

وصف لهوا وعدو خبرو به لكتوب

اصغ انصف احساب اعدادو

للذى سول بجهادو

وجاه محال اقترشادو

ونكاد نجزم بأن هذا التجديد في نظام الوزن والابيات والقافية هو

الاساس الذي انطلق منه مكسور الجناح والمشتبب والسوسى .

عبد العزيز المغراوى (1)

عميد زجالي عصره كما يكشف وصف الاشياخ له بأنه «شجرة الكلام» عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر وأول الحادى عشر ، وكان معاصرا للمنصور (2) السعدى ، حيث نجده يرثيه بقصيدته التى تسمى «لعزو» والتى يقول فى حريتها :

عام شايب مات الذهبى اخيار لثراب به ما بقى السعدى بساش ايرججسو
وهو من أمغرا فى صحراء تافيلالت . وقد ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز
أن أحد شعراء فاس - واسمه باحدو - كان يتهاجى مع المغراوى فيعييره
بصحراويته ، فكان المغراوى يرد عليه بمثل هذا القول معتزا بأصله
وشرف نسبه :

فيلالى ياحزين مانكر حسبى من جد الجدد

من اقريش الى عثمان

(1) وجدنا فى بعض مصادر التراجم المغربية ذكرا لعالم يدعى عبد العزيز المغراوى من تافيلالت كان قاضى الجماعة بفاس وكان يعيش فى نفس الفترة التى عاش فيها شاعرنا الزجال ، ولكننا لا ندرى ان كان هو أم غيره ، وقد سألنا عن ذلك من عتوا بالتاريخ لعلماء فاس فلم نظفر بجواب ، ومهما يكن فانا نورد ما وقفنا عليه فى تلك المصادر . يقول محمد الصغير الافرانى المراكشى فى «كتاب صفوة من النشور من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر» : «ومنهم الفقيه القاضى أبو محمد عبد العزيز بن على الفيلالى المراكنى المغراوى قاضى الجماعة بفاس ، كان فقيها مدرسا أخذ عن ابن مجير والمنجور والحميدى والسراج ، ذكره سيدى العربى القاسى فى تأليفه المعمول فى شهادة اللبيب حسبما ذكره الشيخ ميارة فى شرح الزقاقية ، توفى رحمه الله عام أربعة عشر وألف» . (ص 102 ط فاسية) .

ويقول أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري فى «نشر المثانى» : «ومنهم الفقيه العالم القاضى عبد العزيز المراكنى المغراوى الفيلالى ولى قضاء فاس بعد أبى مالك عبد الواحد الحميدى ، وفى وفاته قال المكلاى :
فواها لاحكام توارى شهابها * بعبد العزيز المراكنى المعزل»
(ج 1 ص 98 - 99) .

(2) هو أحمد المنصور الملقب بالذهبى ، تولى على اثر وقعة وادى المخازن سنة 986هـ وتوفى سنة 1012هـ .

ولعله كان من العلماء على حد ما يقول عنه الإدريسي في «كشف الغطا»: «وكان من أهل العلم وذوي الزهد والورع» (١)، وعلى حد ما ذكر لنا أعلاه الاشياخ من أنه كان يدرس بجامع القرويين . ويقولون عنه أنه انتقل إلى فاس وأقام بها مدة طويلة ، وأنه خرج إلى رحلة استطلاعية في بلاد الشمال الإفريقي دامت بضعة شهور عاد بعدها إلى أمفرا ، ويقولون أنه خرج بعد ذلك بظاهرتين جديدتين في عالم الزجل هما : «الصروف» و «العروبيات» .

أولاً : الصروف :

أحس المغراوي أن الشاعر إذا أراد أن ينظم قاس على قصيدة غيره ، ليست له قواعد أو ركائز أو ما يسمى في العروض العربي بالتفعيلات ، فدعا إلى اتخاذ «الدندنة» مقياساً و «صروفاً» لوزن الأبيات . وقد سبق أن رأينا (2) أن هذه الدندنة تقوم على «دان داني» وأنها مقياس موسيقى صرف ، أساسه النظم والإيقاع ، كما سبق أن مثلنا لتطبيقاتها بمثل قولهم بالنسبة لهذا البيت من شمعة ابن علي :

أيلا باكيا يستامك شوفي استقام حالي *

من قيس وارثو بعد افناه اغرام حسب ليلى

أدان دان داني داني يـ اـ اـ دان دان داني *

أدان دان دان داني داني يـ اـ اـ دان دان داني

ثانياً : العروبيات (3) :

وهي الأبيات التي يقدم بها للأقسام ، ويذكرون للمغراوي من قصائده

1) كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء . ص : 112 .

2) أنظر الجزء الأول من فصل «العروض» بالباب الأول . والجدير بالملاحظة أنه يوجد في الزجل التونسي وزن معروف يطلقون عليه «المغراوي» يدرجونه تحت نوع يسمونه «التقسيم» يسير على الشكل الآتي :

لسم المصمود في البقا واحد احـد * لا دونو دون ابتسم خيرو جرت الاقدار

(أنظر مقالا لـ محمد المرزوقي بعنوان «الشعر الشعبي في تونس» نشر في مجلة الفنون الشعبية بالقاهرة - العدد الأول - السنة الأولى 1965) .

فلعله منسوب للزجال المغربي عبد العزيز المغراوي ، خاصة وقد عرف عنه أنه قام برحلة طويلة للشمال الإفريقي زار خلالها تونس والجزائر .

3) أنظر الجزء الثاني من فصل «العروض» بالباب الأول .

الأولى التى اتخذ فيها العرب بيوت تسمى «الغاري» التى يقول فى حربتها :
زد بالك للقبلا را الحال ضسوا * واقبول امن الله امقرب لخطاوى
لقد تدم لاحد أقسامها بناء العربى :

يا راسى تب شفت لمآثم يقواوا * تب المولاك تب يا هذا المنوى
واعمل حسنات قبل لصحوف ينطواوا * تنقاعهم قارغين واتولى مكوى
يبليس امع النفس فى الخى اتواوا * رانت ما زال غابط وزايد تهوى
راسى لله لين غادى يامغوى

أما القسم فهو :

ياللى كايستها سهرامسور سمها * فارقاسهوك استيقظ لاش ذا السهاوى
ماحضا زرع الى ما حارثو افربوا * ولا حوت من يرجا لسوايع لفجاوى
لا اتخاف امن الذنب ايلا اتقل واقرا * تب لله اوقم الليل ذا اتساوى
قم واستغفر للمولى افكسل نجوا * اولا تغلى نفسك تهوا مع السهاوى
اترك ارضا النفس ويبليس لا تنكوا * رجلي فعلو الروح العالى السطاوى
بالشماكي من «الفالدين جالك ادوا * ايلا اتعلمو تضمحى من كل دا امدواوى
ويتبر المغراوى من كيار المشعراء الذين برزوا فى الموضوعات الدينية،

ومن أهم قصائده، فيها «المسراج» التى يقول فى أولها :

نسم الله لهظيم ذا العرش الديان * وافع افلاك اقلها دون اعمساد
من خص المرسلين ابآية البرهان * وارسلهم اباهدا ودين الارشاد
نسم الله ابديت نظم لسمند به * ويحتمى ابحكمتو ما لم نعلم
بجاه اجل اقدرتو وارجايا فيه * بهدينى للصواب قصدى نضم
خالص مدح الرسول صلى الله عليه * رأت امع اصحابو عد امواج اليم
ومنها كذلك «هول القيامة» التى يقول فى أول أقسامها :

نعم القيوم خالق اكوان الكونين * وسير امسيرها اعلى وفق امرادو
انكون اللولى انشاء اعلى وصفين * العلوى والحضيض ملك وابلاود
والفرقى املايك جميع الثقليين * والسفلى كون الجمهور اعبادو
والفلك الدائم لمغيب * فاسيار اميار لودود
والنار للكافرين تلهب * بلظاها مالها اخمود

وانعيم السرمد لموهب * لاهل الاسلام افلخلود
من أمن بالله والرسول لخيار * سعدو الرحمان واستقام
واكمل اسعادت الهادي نعم المختار * الماحى صاحب لحسام
وعلى الرغم مما يقال من أنه لم ينظم فى الغزل فقد وقفنا منه على
عروبيين مرتبطين بحادث وقع له يستنتج منه الاشياخ صلاح الرجل وسمو
نفسه وتقواه . يحكى فى هذا الحادث أن المغراوى كان خارجا من جامع
القرويين فلقى فتاتين تتوادعان فقال لهما معلقا : «وأنا أين اذهب ؟» فردت
عليه احدى الفتاتين : «اذهب الى الحبس» فما كان منه الا أن ذهب فعلا
الى السجن وأقسم ألا يخرج منه الا اذا حضر الشخص الذى أمره بدخوله ،
وكانت للمغراوى مكانة وسمعة فى فاس فاضطر باشا المدينة الى أن «يطلق
البراح» أى المنادى يجول فى الاحياء يطلب حضور الشخص الذى دعا على
المغراوى ، وكان خارجا من القرويين ، أن يدخل السجن . وسمع أبو
الفتاة النداء وأخبر به أهله فعلم أن ابنته هى المعنية بالامر فذهب بها فأطلقت
سراحه . ويقال انه بعد أن حضرت الفتاة لتسريحه أنشأ هذا العروبي
— ويبدو أنه كان مولما بنظم العروبيات حتى فى غير القصائد — :

ركبت اعليا عنسى من طاق الطاق

وكل طاق ابظاقر

عينى رات شى ازواق داروه الحداق

مر مر العاشقين منو يحماقو

هذا حال لغرام يا من لاذاقو

وتذهب الحكاية الى أن الاب قدم ابنته للمغراوى زوجها له ، وفى ليلة
الزفاف دخل المغراوى غرفة زوجه ، ولكنه لم يلبث أن خرج منها دون أن
يشعر به أهل الدار ولا أن يعرفوا من أين ولا كيف فعل ، ووجدوا مكتوبا
على ورقة — تركها لهم — هذا العروبي :

أنا عاشق مانا فاسق

نعرف ربى احقيق

مرجان واعقيق فيدى متلاقى

الدنيا هاتدوم سبحانه الحي الباقي

أما بعد هذا فيأتى ذكرى من كرامات المغراوي أنه حين جاء من الصحراء إلى فاس كان يلبس العصاة والقسيس الصوفييين ، فضحك منه أهل فاس ، ولكنه حين جلس للدرس بهم . وذات يوم حاول بعض رواد درسه أن يهزأ به وسط المجلس فالتفت مع خادمة له أن تأنبه أثناء الدرس وتزعم بأن البغل مات ويحتاج إلى معجراوى ليقيوده ويدفنه ، وكانت العادة ألا يقوم بذلك أهل فاس ، فبجأت بالفعل وأخبرتة ، فقام إلى المغراوي - وهو يلقي درسه - وطلب منه أن يقوم لدفن البغل فلبس الغلب وأخرج من الجامع وذهب مع الشخص إلى المكان (I) المعين فوجد البغل قد مات بالفعل ، فأخذ المغراوي يجره من كراعته مارا به من حي إلى آخر ، وكلماً مر بحي انهدمت بيوته ودكاكينه فأدرك الرجل والناس صلاح المغراوي فأخذوا برجونه أن يتوقف عن السير .

ويحكى عن صلاحه بعد هذا أن «بلغته» ظلت جديدة طوال سبعة عشر عاماً لم يلحقها التلف والبلى لأنه كان يسكن المدرسة المصباحية ولا يخرج منها إلا للدخول إلى جامع القرويين لأداء الصلاة .

هذا وقد وجدنا في أول ورقة من كتاب (I) يضم قصائد للمغراوي فائدة بقلم كاتبها أحمد الهاللي يقول فيها : «يوجد ضريح صاحب هذا الكتاب بمقبرة تسمى باسمه بين عبد القادر الهاللي جنوباً وامبارك بن عزى شمالاً ولا زالت عند الساعة . له عائلة كبيرة بعضها في أنحاء المغرب وبعضها جالس بقصر امسيفى فرقة الغرفة ، وهم دار علم وكرم وشهامة وتقوى وصلاح ، وقبره فيه ثلاثة أمتار تقريباً وليست له قبعة حيث يمكن أنه كلما بنوها عليه تهدمت . وتتصدده الناس من كل حدب وصوب للبركة . ويقال : كل طوبىل خاوى سوى النخلة والمغراوي ، كما يزعمون أن الشقى - وقانا الله - هو الذى لا يزور قبره» .

(I) يقال انه هو المعروف الآن بـ «زقاق البغل» وإن سبب التسمية هذا الحادث .

(II) مخطوط الخزنة الملكية رقم 860 .

من كبار أشيخ القرن الحادى عشر ، وهو امتداد للمغراوى وعميد الزجل بعده كما تكشف القولة السائرة «المغراوى شجرة الكلام والمصمودى فرع من فروعها» . ويراد أشيخ الزجل النقاد مقعد الفن وحلقة وصل بين مرحلة سابقة لا يعرفون عنها الا القليل ومرحلة لاحقة كاد الركود يأتى عليها فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن شهدت ازدهارا كبيرا سنتحدث عنه فى الفصل الثالث من هذا الباب .

والواقع أن المصمودى يعتبر آخر شعراء مرحلة التطور الذين وصلنا أخبارهم ، فقد انتهى بنا البحث الى أنه شارك فى تطوير القصيدة بشيئين : أحدهما شكلى يتمثل فى محاولة وضع تفعيلات جديدة لعروضه ، والثانى يتصل بالمضمون وهو السبق الى أسلوب المراسلة فى الغزل .

أولا : مائى مائى :

اشتهر المصمودى بثورته على «دندنة» المغراوى وتبديلها ب «مائى مائى» حيث يروى عنه أنه قال «زولوا علينا دائى دائى مات وقتها واعملوا لنا مائى مائى» . وقد سبق أن رأينا (2) أن «مائى مائى» لا تكفى وحدها لضبط الإيقاع ويضطر الوازن بها الى أن يضيف إليها بعض الكلمات التى يشد بها الميزان مثل «الرادا - سيدنا - للأعولاتى للا...» وذكرنا من الأمثلة على تطبيقها قولهم فى هذا البيت من «وردة» ابن سليمان :

لا تلومونى فى ذا الحال بجيت نسيه وانودى *

يا عدولى فالسوت اسبابى خد السوردا

لا يامولاتى للا ويا مالى مالى *

لا يامولاتى للا ويا مالى مالى

ثانيا : المراسلة :

(I) من لطيف الاتفاق أن يطلق «المصمودى» على بعض الإيقاعات الموسيقية حيث يفرق فيها بين المصمودى الكبير والمصمودى الصغير .
(2) أنظر الجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول .

وقد ظهرت لأول مرة في قصيدته «يامنة» التي يقول في حريتها :
قولوا ليامنا تهليل العثماني * مينا يامينا امعاك شرع الله

فبعد أن طالمت غيبتها واشتدت لوعته بعث لها خطابا مع رسول ،
ولكنها طوت الخطاب وطردت الرسول وهددته أن عاد إلى مكانها وطلبت
منه أن يرجع إلى صاحبة ليكي واياه ، وأقسمت بصوم عامها ألا يظفر مرسله
بها أبدا ، فقد شامت بعد الوصل أن تهجره ، وهذا حال الجمال ولا يسد
للعاشق أن يرضاه . ذلك ما ضمنه القسم الثالث من القصيدة حيث يقول :

صغطت اللغزال ابراتي * مرسولي امشي طرداتو
اقرالها احروف ابياتي * قبطسات مصولا عن مخطوطة
قالت لو : «ابصوم اسمااتي * بيا لا اظفر فحياتو
من ذا النهار ماتتصورفمكاني * ولي العذو ابكي انت واياه
بعد لوصال ردت انهجرو بلعاني * عدا حال الزين عاشقو يرضاه
وارجعت اللبكا بالدمع الطوفاني * الكتابي تطوا ودرت له اعزاه

ولكنه لم ييأس وأرسل مبعوثه مرة ثانية بعد أن حثه على عدم الملل
وأغراه بالمقابل أن قضى حاجته . وما كاد يصل إلى دارها وينقر الباب
حتى وجدها في الانتظار وقد انهزت دموع عينها ، والكتاب بين
يديها مفتوح تقراه ، فرحبت بسلامه واعترفت بخطأها معلنة توبتها إلى
الله ، وطلبت منه أن يبلغ حبيبها أنها ستلحق به يوم الاثنين وينضم
إلها . وكذلك كان حيث أوفت بوعدها فسعد قلبه وطابت له الحياة .
هذا ما يحكيه في القسمين الرابع والخامس - وهو الأخير - اذ يقول :

عاود قلت : «يا مرسولي * اترك الشواح وارجع لها
بادر لا تكون املول * لا بد حاجتي تقضيها
احكي لها وكن افضولي * ونا بشارتك نعطيها
ولي لعند وافى بكتابي ناني * نقر باب الدار صابها ترجاه
وامدوع عينها فانت دمع اعياني * واكتابي محلول فيدها تقراه
«مرسول عاشقي هو هذا جاني * اهلا بسلامو تايبا لله

لله يا رسول احبيبي * ولي او وفرج نكدو
ولي وكر لو بذنوبى * واعطيه السدال ايسعدو
ويلا وتيت يستر عيبي * حاشا مما يخالف عهدو
يوم لثنين هو العاهد يرجاني * وانقدو فرجا اعل احسان ارضاه
وافات يامنا فى عساهما ثانى * قلبى من بعد الصدود طاب امانه
اما بعد المصمودى فقد تشعب شعر المراسلة وتعدى نطاق المحبوبة
الى نطاق البقاع المقدسة ومقام الرسول عليه السلام ، وغدت قصائده تحمل
أسماء مثل « المرسول » و « الحمام » و « الورشان » اى الطائر ، بل
تطور عند بعض الشعراء الى الحديث عن الرحلة والتجوال على حد ما نجد
عند الكندوز فى « الرحلة » وابن على فى « الطوموبيل » ، وهى قصيدة
مشهورة جال فيها بسيارته كل بقاع الارض ، وفى حريتها يقول :

سعدى زارتنى اخيلتى لغزال ام ادلال
وازهينا بعد اوصول واركبنا طوموبيل
واتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول



بالشيخ المصمودى تنتهى هذه المرحلة فى أوائل القرن الحادى عشر
بعد ان بدأت بعبد الله بن احساين فى أوائل القرن التاسع ممتدة عبر
ثلاث مئات من السنين شهدت القصيدة خلالها تطورا لم نستطع لضعف مادة
التاريخ والنصوص ان نقف عند غير بعض اعلامه ومعالمه . وكان منتظرا ان
تستمر هذه المرحلة ويظهر اشياخ كثيرون ، ويبدو انها استمرت بالفعل وان
الركود اصاب الرواية ولم يصب النظم لانه سيئين لنا لدى الحديث عن
سعيد التلمسانى أنه حين قدم الى المغرب فخر عليه الزجالون المغاربة
وعابوا عليه الموازين الجزائرية البسيطة ، وسيئين لنا كذلك فى الفصل
القادم انه ما كادت تمر هذه الفترة حتى انطلق الزجل ناهضا مزدهرا ،
وما كان له أن ينطلق لو لم يستمر سيره دون توقف .

وإذا كنا نرى ذلك فانا لا ندري الأسباب التي جعلت الرواة يركدون ،
ولعلهم لم يركدوا وانما اهتموا قصائد الزجالين المغاربة فلم يتداولوها
وتداولوا بدلها قصائد الزجالين الوافدين من الجزائر ، والدليل على ذلك
أن المنشدين المغاربة يحفظون حتى الآن كثيرا من هذه القصائد وان بعض
الكنائش التي عثيت بتدوين الزجل تضم منها غير قليل . وربما كان
العامل في هذا التحول اعجاب الرواة بإنتاج الشعراء الوافدين وما كان
لهم من مكانة عند السلاطين جعلتهم يبسطون نفوذهم على الحفاظ ويغرونهم
برواية قصائدهم . وتلك عادة جبل المغاربة عليها ، يؤخذون بما يأتي
به الغريب ويبهرون به حتى ولو كان تأفها غير ذي قيمة ، ينطبق عليهم
ما يقال في المثل من ان «مغنية الحى لا تطرب» .

والاسف انه حتى بالنسبة للزجالين الوافدين ظلت الرواية محصورة
في شعر واحد او اثنين ، ولا سيما في قصائد سعيد التلمساني ، ولعل
السبب في ذلك انه كان متصلا بملوك الدولة .

وكم كان يكون مفيدا لو ان الحفاظ قلموا لنا اسماء اغلب الوافدين
وكثيرا من قصائدهم ، ولو انهم رويوا كذلك الى جانبها اسماء المغاربة
وقصائدهم ، ولو انهم فعلوا لكان في امكاننا ان ننظر في انتاج هؤلاء
وأولئك ومدى التأثير المتبادل بينهما والمنافسة كذلك . حقا لقد وصلتنا بعض
أزجال الصوفية في هذه الفترة ، ولكنها محصورة في نطاق ضيق يجعلها
بعيدة عن أن تكون موضوعا للمقارنة .

مهما يكن فقد دام هذا الركود زهاء قرن ونصف لم ننتفع سبحانه
الا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر على عهد السلطان سيدي
محمد بن عبد الله (I) حيث بدأت فترة نهوض وازدهار هي التي سنخصصها
بالحديث في الفصل التالي من هذا الباب . ومع ذلك فقد لاحظنا خلال مدة
الركود تلك ظاهرتين نرى أن نعرض لهما : الاولى انتشار الزجل في بيئة
المتصوفين ، الثانية قدوم بعض زجالي الجزائر الى المغرب .

(I) سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ولد بمكناس سنة 1134 هـ
وتوفي 1171 هـ في 1204 .

اولا : زجالون متصوفون

تقدمهم لنا مصادر الترجمة المغربية لهذه الفترة ، وقد وقفنا منهم على هؤلاء : (I)

عبد الرحمان المجذوب :

سبق أن ذكرناه كشاعر «الحكمة» الاول واشربنا الى مصادر ترجمته واستعرضنا نماذج من أبياته المزدوجة في هذا النوع (2) .
ونضيف هنا أنا وجدنا في « تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان » (3) لحمدون بن الطاهر الجوطي ، لدى ترجمة مولاي التهامي الوزاني وكان ايضا من الزجالين : «انه ذكر بين يديه كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب ، وهو :

غميت نظري افنظرو ۞ وافنيت عن كل فاني
حققت ما نظرت غيرو ۞ اورحت والقلب هاني

(I) ليس مقصودنا استقصاء كل المتصوفة الذين كانوا ينظمون الزجل فلعل معظم رجال التصوف كان لهم ميل الى نظم لاتصالهم بالجمهير . ومن هنا لا سبيل الى تتبع هذه الظاهرة ، ومع ذلك نود ان ان نضيف الى من ذكرنا : السيد الغزواني . فقد وجدنا في كتابته عبد الله الشرقي (مخطوطة الخزنة الملكية رقم 5958 وهي مجموع من الكراريس والاوراق) : «ومن كلام سيدي الغزواني نجل سيدي محمد الشرقي نعم الله بهما أمين :

ريت لعريس انعرس ريجو ايهوس من شرق وغرب اتهوس ياابا
انخسر الى يابس يفجي الدحامس ايسوى الى ناعس ياابا
جوابه لاييه نفعا الله به أمين :

هيا الراقد نض اسال فوق المعاني ۞ كان اسمال نعطيك اخبار ياابا
لا بد من لهوال عقبي الليالي ۞ مارس اعليك افحالي ياابا ... »
وهي قطعة من عشرة ابيات .

(2) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكل » لدى الحديث عن « الحكمة » كنوع من الزجل .

(3) ص 100 - 101 طبعة حجرية .

فقال مولاي التهامي رضي الله عنه هذا انما قضى حاجة نفسه ولم يقض حاجة لغيره فاننا لا اقول هكذا فقليل له وكيف تقول يا سيدي ؟
قال أقول :

من جا الحضرتنا يبرا * يحمي ابقاؤ مستمن
ايحيى لعاس يمشي نقرا * وسيدنا محمد ضامن «

متمم القصيدة :

سبق ان ذكرناه كذلك في نفس الموضوع (1) ونضيف له هنا مراسلة زجلية دارت بينه وبين ابي المحاسن الفاسي (2) تدل على انه كان ينظم في غير المزدوجات الحكيمية ، وقد ذكرها محمد المهدي بن احمد بن علي ابن ابي المحاسن يوسف الفاسي في «كتاب ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع» فقال : «وكان الشيخ صاحب الترجمة صاحب فيض وقوة في حاله فكان لا يعتبر أحدا يشكره لكنه اذا وجد من هو اعلى منه أنصف له واعترف ، وقد كان وقع له انكار في جانب سيدي يوسف الفاسي بسبب كلام بلغه عنه حملة على غير وجهه فكتب - اعنني صاحب الترجمة - اليه كلاما يعرف فيه بحاله ويصف له مبالغ الرجال ويدعوه الى صحبتته ، فلما اجابه سيدي يوسف وتعرف له اعترف بتقديمه عليه . وذكر ذلك هنا متأكدا لما فيه من وصف صاحب الترجمة لحاله وهو اعرف بنفسه من غيره . قال صاحب الترجمة :

الملك والملوكوت وصفهم منعموت اهل الجبروت ما غيبروا عنا
تنوح السموت على ارباب القوت بادر لا يفوت غنك وقتنا
شموس القلوب تشاهد المحبوب في عالم الغيوب شرابها مختوم
الشرق والجنوب في طيها مكتوب تخرق الحبوب للمواحد اليوم
رياح الصبا تساتي على غبا وارباب المحب عما خفاهم حال

(1) انظر آخر الفصل الاول من باب «النمكل» لدى الحديث عن «الحكمة» كنوع من الزجل .
(2) المولود سنة 937 هـ بالقصر الكبير .

القلب نبا من شرك اقربا والروح جاذبا في حضرة الجلال
نفحات المحب من رياض العرب بها لم يزل روضا زاهيا
اذا سقيتوني اشراب الرشيف ثم انشاهدوا ليلى كما هيا
قولوا للنسوى اتبيح لهوى القاب انكوى من حبك الحراق
القيت النسوى وتركت ما نهوى فالوا الى الدوا في راكب البراق

فبلغ سيدي يوسف خبر هذا الكلام قبل ان يدخل يده وانه
قاله معرفا له بحاله لما بلغه عنه وانه مع ذلك انكر حاله فكتب اليه كتابا
يذكر له توجيه ما اراد بكلامه في شأنه وانه ليس من دأبه البحث في
الخلق جملة فضلا عن مثله ويعلمه بانه ممن يحبه ويحسن الظن به ويعرض
عليه حاله على جهة اتهامه لنفسه لما بلغه عنه من انكاره وتنازل معه في
ذلك كله غاية التنازل ثم دخل يده كلامه فاجابه عنه بكلام على وزنه
وقافيته معرفا بحاله هو نصيحة له وتادية لحن كتابه ، فقال :

الملك والملوك في طينا منعوت حتى الجبروت لا يختفى عنا
جملتها مبيتوت حتى الرحموت وقات الوقت هو وقتنا
شمسودا التحقيق قد تعطى حقيق لمن سير وديق للواحد القيوم
عقوف بالتوفيق فنعوتو ارشيق قل يسقى الرحيق الصافي المخنوم
رياح الصبا ما تنتهى عنا والعالم الاسنى هو مصعد الكمال
القلب للمعنى والروح متهونا والسمر يتعنى من سرذا الجلال
نفحات المحب وكذلك المحبوب فارياض التعريف احوال مستويا
لكن فالتهذيب يختلف المطلوب حتى في التشريف اسرار سريرا
من هو متهنا ما يخشا لعنا بشرب يتعنى يمسى من السباق
موصول المنا من كل ما يتمنى محفوف بالعنا في الواحد الخلاق (I)
هذا وينسب له بعض الاشياخ القصيدة «الفياشية» التي حريتها :

انا على فياش : واش اعليا منى

كما ينسبها له جامع الكناش ك 3027 (1) من مخطوطات خزانة
الرباط العامة . مع ان المعروف انها للمشيخ عبد الوارث .

محمد بن عبد الكريم بن يحيى التنازى :

ترجمه محمد بن على بن مصباح المعروف بابن عسكر فى «دوحة الناشر
لمعاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» (2) وعنه نقل الحضيكى
فى « المناقب » (3)

قال عنه ابن عسكر : «وحدثنى بعض الفضلاء من اهل بلده قال : كان
المشيخ رحمه الله عاشقا لا يكاد يفارق السماع ساعة واحدة ، وله قصائد
كثيرة :

خرجنا واحد الصباح * انشاهدوا روضا ابيها

واطيار تشهد يا صاح * لله بالوحدانية» (4)

وقال عنه كذلك فى نهاية ترجمته : «ولله توشىحات وقصائد
ومقطعات كلها رائقة وله على برودة الامام البوصيرى تخميس عجيب ، وله
فى فن التصوف العجيب من النظم والنثر .. توفى فى آخر العشرة الثانية
والله اعلم» (5)

محمد بن يحيى البهلولى :

ذكره ابن عسكر فى «الدوحة» فقال عنه : «كان هذا المشيخ ممن لازم
باب الجهاد وفتح له منه ، وله فيه اشعار وقصائد زجلية وغيرها .. وله
زجلية ومقطعات حسان فى البحث على الجهاد منها اللامية المشهورة
التي خاطب بها السلطان ابا عبد الله البرتغالى ، ومطلعها :
قل تلامير محمد يا طلعة الهلال * الويلة غالسواحل من افضل الميالى

(1) ص : 2

(2) ص 51 - 52 - 53 - 54 ط. حجرية

(3) الجزء الثانى ابتداء من ص : 17 .

(4) ص 51 - 52 .

(5) ص : 54 .

ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مراد والعشر يا كرام * نفسي على انجهد سلبت والسلام (I)

عبد الله بن محمد النهبطي :

ترجمه صاحب « الدوحة » فقال انه « الشيخ العالم الزاهد المحقق جنيد زمانه وقطب دائرة أوانه الهضبة الراسخة والحجة الدامغة الناسخة » (2) وان « اصله من صنهاجة طنجة من قبيلة ايمنة (3) » وان « له تأليف عديدة بين منظوم ومنثور وله في علم المشاهدة الشأن الذي لا يدرك ... وكان الشيخ ابو القاسم بن علي بن خنجر يقول هو غزالي هذا الزمان ولقد من الله علينا وعلى المسلمين به » (4) . ثم ذكر انه كرامات وختم بقوله : « توفي ... سنة ثلاث وسمتين وقد نيف على الثمانين ودفن بزاويته بموضع يعرف بمواهب » (5) .

له « كتاب الاشادة لمعرفة مدلول كلمة الشهادة » و « الفية في تاريخ الدولتين الوطاسية والسعدية » . وقد وقفنا في الخزانة الملكية بالرباط على كراس ، لم يرقم بعد ، يضم له ست قصائد زجلية كلها في الذكر والشوق للحضرة ، منها هذه القصيدة التي يقول في اولها :

ربي اعظيم يا حضار * قد جهلت انعموتو
ايغيب عني ما نقدر * او يحضر انموتو
حب لجمال عذبنى * يا قوم العندو
قهر تجلال يقهرنى * من قربو البعدو
من لطفو المعين * يخنفنى ويبعدو

احمد بن حضرة المناسي :

ترجمه القادري في « نشر المثنى » (6) والحضيكي في « المناقب »

(I) ص 45 ، 46 ، 47

(2) ص 7 .

(4) ص 7 - 8 .

(5) ص 13 .

(6) ج I ص 255 .

حيث قال عنه «وله كلام ملحون يخبر بالمغيبات ظهر أكثرها ، توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين والـف ودفن داخل مدينة مكناس » (I)

أبو البقاء عبد الوارث بن محمد الأياصوني :

ترجمه ابن المقاضي في « شجر المئاني » فذكر ان « له زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر ... بفاس يقرأ فيها أصحابه الاحزاب ، يقرأون صباحا المعشرات وحزب الفلاح وحللة مولاي عبد السلام بن مشيش والحزب الكبير للشهادي ، ومساء حزب الفلاح ولا اله الا الله مائتين .. وتوفي رحمه الله يوم الاحد الثالث من ربيع النبوي سنة ست وسبعين والـف ودفن بزوايته المذكورة » (2) . وقد وقفنا له على قصيدة في الذكر حربتها :
لا اله الا الله

يقول في اولها :

الحمد لله والشكر لله على فضل الله لا اله الا الله
استمع القول واعلى النبي صلى وابصوتك على لا اله الا الله
يا من هو راغب فالخير وطالب افضل المآرب لا اله الا الله
وينسب له كثير من الاشياخ القصيدة « الفياشية » التي ذهب بعضهم انها للشرقي كما تقدم ، وهذه حربتها :
انا مالى فياش * واش ائليا منى

وفي اول أقسامها يقول :

انا عبد رب له قدرة * بيون بها كل امر عسير
فان كنت عبد اضعيف القوى * فربى على كل شىء قدير
منى آش اعليا * ونا عبد مملوك
والاشيا مقضيا * ما فالتحقيق اشكوك
ربى ينظر ليا * ونا نظري متروك

(1) ج 1 ص 73 - 74 .

(2) ج 1 ص : 261 .

ونؤكد ما سبق ان لاحظنا فى مدخل الرسالة لدى الحديث عن
الانشاد ١ ن هذه القصيدة جمعت بين العرب والملحون حيث نجد فى بداية
كل قسم بيتين معربين يستهل بهما بعد الحربة ، وهى ظاهرة لم نعر
عليها فى غير هذه القصيدة ، على أننا نلاحظ فى ازجال المتصوفين عموما
سواء فى هذه الفترة او غيرها ، لغة هى اقرب فى كلماتها وتراكيبها الى
الفصحى منها الى العامية ، لا تكاد تنقصها غير الحركات لتصبح معربة
سليمة .

محمد بن على بن ريسون :

ترجم له الشيخ محمد التاودى بن سودة (I) فى فهرسته ، (2)
فذكر ان ولادته كانت سنة ثمانية عشر ومائة وألف ووفاته عام تسعة وثمانين
ومائة وألف ، وقال عنه : «وله كلام مؤثر فى القلوب بتحقيق معانيه
 ويفهمها ارباب القلوب ، فمن كلامه صدر قصيدة فى الملحون :

الى يرفقنا فمحبت سيدى الرسول * هو احبيننا واحنا له احباب
ومن كلامه صدر قصيدة اخرى :

انا سيدى عندى طبيب * ويعالجنى بدواه
متولع ابحب لحيب * سيدى رسول الله
ومن كلامه صدر قصيدة :

الروح والجسد والقلب امعاكم * ما خاب فيكم ظنى
الى اتركبوه يحسب امعاكم * واتقربوه بدنى
الله انظركم ما عاد ينساكم * اهل لكمال نعى
ايا اهل لكمال قلبى يرعاكم * هذا لكريم رادنى
ومن كلامه صدر قصيدة :

العيون الجاريا فيض اعليا * من ابحور محمد عليه السلام
ومن كلامه ايضا صدر قصيدة :

ما بكيت اعليكم الا اترحمونى * والدموع من عينى تجرى الحبكم

(I) المتوفى سنة 1209 هـ .

(2) مخطوطة الخزانة العباسية رقم 3388 من صفحة 86 حتى 91 .

ومن كلامه في هذا المعنى كثير .

وقد وقفنا من هذه القصائد على الثانية ، وهي من خمسين بيتا .

أحمد بن علال الشرايبي المراكشي :

ترجم له الشيخ محمد التاودي بن سمودة في فهرسته (I) حيث ذكر أن له ديوانا من كلامه بالملحون بين توسلات ومقامات ، وأورد له نص قصيدة مطلعها :

بسم الله الرحمن الرحيم حلا تبتاها

في اسلوك الذهبان والجوهر تشرق بجمالو
كما ترجم له عباس بن إبراهيم في « الاعلام بمن حل بمراكش وانعامات من الاعلام » (2) نقلا عن فهرست ابن سمودة . كذلك ترجم له محمد بن عبد الله الموقت في « السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » فنقل بعض ما جاء في الفهرسة السودية وعلق عليه بقوله : « ولم يذكر وفاته وما كان ينبغي ... ولا شك وانه من اهل القرن الثاني » ويعمل له موسم في اوائل كل ليلة من رجب الفرد ، وينشدون أزجاله » (3) .

ثانيا : زجالون جزائريون

يبدو ان كثيرا من الزجالين وفدوا في هذه الفترة من الجزائر الى المغرب فارين من حكم الاتراك او منفيين ، ولكن المصادر لم نقدنا بغير اثنين من اكبر زجالي القطر الشقيق هما : سعيد التلمساني واحمد التريكي ، علما باننا وقفنا على غير قليل من الذين لجأوا الى المغرب فيما بعد هذه الفترة ، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر ، (4) وهو دليل على أن

(I) المخطوطة السالفة الذكر من ص : 77 حتى 82 .

(2) الجزء الثاني ، ص 203 — الطبعة الاولى سنة : 1936 فاس .

(3) ص 154 — المطبعة الحليية — مصر — سنة 1341 .

(4) خصصنا جزءا في آخر الدليل الملحق بالرسالة لقصائد الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب والذين لم يفدوا ، ولكن كانت قصائدهم منتشرة فيه .

هجرة المتنورين الى المغرب من ابناء هذا البلد الجار ظلت مستمرة طوال عهد الظلام المتمثل في حكم الاتراك والإحتلال الفرنسي .

أبو عثمان سعيد التلمساني :

زجال تلمساني اشتهر بقصيدة في السيرة النبوية تسمى «العقيقة» نسبة الى وادي العقيق في الحجاز ، وفد الى المغرب في أول المولى العلوية وأدرك مكانة عند سلاطينها وخاصة المولى اسماعيل (I) .
ذكر صاحب « الدر المنضد » لدى حديثه عن المولى محمد بن الشريف (2) قال :

« وكان سخيا جوادا حتى انه اعطى الاديب الشهير المتقدم في صناعة الشعر الملحون ابي عثمان سعيد التلمساني نحو من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه ، وحكايته في هذا المعنى شهيرة » (3)

اما قصيدته العقيقة فهي التي يقول في أولها :

كيف ينسى قلبي عرب لعقيق والبان * والعقيق اعينوني بقلايدو انهلسو
وقد بلغت من الشهرة انها نشرت بالجزائر في نصها العربي ومترجمة للفرنسية ،

وذكر المشرفي في « الحسام » انها « قصيدة طويلة مشحونة باللغة والحكم وامثال العرب تنافس علماء واسطة المغرب في شرحها ومنهم

(I) اخو المولى رشيد تولى سنة 1082 وتوفي سنة 1139 حيث دام ملكه سبعا وخمسين سنة. عند العربي المشرفي ان للشاعر ديوانا ضخما في ملحون الشعر جله في المولى اسماعيل « الحسام المشرفي في الرد على اكنسوس المراكشي » (ميكرو فيلم خزانة الرباط العامة) مصور عن مخطوطة ابن سودة رقمه 1207 ص 423

(2) بايعه اهل تافيلالت سنة 1050 وقتل سنة 1075 .

(3) الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا علي الشريف من المحاسن والفاخر لابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالي الشهير بالكردودي توفي بفاس يوم 11 رمضان 1268 هـ (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1584 D الورقة 113 وجه)

الشيخ ابو راس الناصري ثم العسكري فقد جعل عليها ثلاثة شروح اصغر
واكبر ومتوسطا بينهما » (I)

وتوجد بخرانة الرباط العامة نسخة من احد هذه الشروح رقمها D 1050

تحتل عنوان :

« الآداب الرقيقة في شرح الحقيقة ، وإن شئت قلت الدرة اللينة في شرح
الحقيقة ، وإن شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية » ، وتحدث
الشارح في مقدمة شرحه عن الناظم فوصفه بأنه « الشاعر المفلق ... الشيخ
الرباني والهيكل الصمداني العلامة ... فإن له اليد الطولى في آداب
العربية ومقاييسها ومعارف حكمة الوضع وقسطاسها ، فقد كان تشد له
في ذلك الركاب » (2) وذكر ان المولى اسماعيل نساء ثلاث مرات وأنه
توفي « بعد الخمسين من القرن الثاني عشر ودفن بسجلماسة فهو منداى
تجارا وتلمسانى منشأ ودارا وسجلماسى مدفنا واقبارا » (3)

ونجد لسعيد التلمسانى في أواخر « الحقيقة » بيتا يفخر فيه
بان هذه القصيدة فاقت كل قصائد المغراوى عميد الزجل في عصره ، وهو
البيت الذى يقول فيه :

تفنى العشاق ما تخلى عذراوى * ما ضمت مثلها خزانة مغراوى

وفي كتاب « كشف القناع عن آلات السماع » لابی على الفوتى بن
محمد الجزائرى تعليق على هذا البيت ذكر فيه ان التلمسانى « لما قال هذا
الشطر رأى الشيخ المذكور فى المنام معاتباً له فلما أصبح رثاه بالقصيدة
التي أولها :

بوقارس الفارس فى كسل اعلوم * بحر المحيط ما تنهيه اقراطس » (4)

وفي نفس الكتاب « ان الشيخ سعيد لما قدم المغرب الاقصى ولقى
الاکرام من المولى الرشيد ... حسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين
ان موازين اشعار المغرب الاوسط يقدر على الاتيان بمثلها صبياننا لان

(I) الحسام المشرفى (الميكرو فيلم ص 423)

(2) ص 2 . 3 ص 5 .

(4) ص 73 - مطبعة جوردان بالجزائر .

غالبها يتمشى على حرفين فلو ارتكبتما ما ترتكبان من التفتن لما وجدتم معنى أصلا فعندنا من ينظم الرباعي والخماسي حتى العشاري (والخماسي والعشاري ... الخ عبارة على أن القصن أي البيت الواحد يشتمل على خمسة أو ستة أو عشرة قواف) فلما رأى الشيخ سعيد رحمه الله من شعراء المغرب ذلك الإنكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة لا من السداسي ولا من السباعي بل من الثنائي عشر وأتى بها إليهم فعلموا حينئذ أنه بحر لا يطاق ولا يقاس وسلموا له . وطالما بحثت عن هذه القصيدة ولم أقف لها على خبر إلى الآن « (I) .

وقد وقفنا للزجال التلمساني على غير قليل من القصائد التي مدح بها السلطانين المولى رشيد (2) والمولى اسماعيل ، منها قصيدة في مولاي رشيد يقول في أولها :

حياتك ريح الصبا بالفين اسلام * واسقاك اغمام السما رحما وانعيم
ومنها قصيدة في المولى اسماعيل هذا أولها :

بين اكرام الفعل والعليا ميعاد * بيدهم يرموا على الصدق احيالو
وقصيدة أخرى فيه مطلعها :

برقا جرد صارمو في ساحت نجد * ذكرني في امانزل اشهاو
كذلك وجدنا في كتاب « الكنز المكنون في الشعر الملحون » لقاضي محمد الجزائري قصيدة قالها حين خرج من فاس على اثر غضب المولى اسماعيل عليه ، يقول في أول أبياتها :

هذا حد اودعنا بوفاء واكمال * ماذا لي فالحنت نفدى وانولى
بعد اثلاثا (3) مابقى لبرد احلال * خير ايلانفات عسبن تالى بعلى
خليناكم بالسلاما يا لفضال * يا شجرة وجه الشرايط اولاد على

(I) المصدر السابق .

- (2) تولى بعد موت اخيه مولاي محمد سنة 1075 واعلن ملكا سنة 1079 بعد ان استولى على مراكش واستمر في الملك حتى سنة 1082 .
(3) في هذا تأكيد لما ذكر شارح العتيقية من أن السلطان نفاه ثلاث مرات ، وهو في الشطر الثاني من البيت يشير الى أن المرأة التي تطلق للمرة الثالثة لا تحل لزوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره .

وفى تقديم القصيدة ذكر مؤلف الكتاب حكاية ذهب فيها الى أن المولى اسماعيل « كان له شاعر آخر مغربى اسمه خباب فامرهما ذات يوم بنظم قصيدة يمدحان بها جارية له اسمها سلمى . اما سيدى سعيد المنداسى جعل استخارة ورآها فى المنام فحكى على حسب ما رأى ، واما السيد خباب قال من غير رؤية ، ولما تلوا القصيدة على الملك قال لخباب : سعيد افضل منك ، فأجابه بان سعيدا ولعله رآها ، وأما انا فلم ارها ، فعند هذه التهمة خرج سيدى سعيد من مدينة فاس واتى الى مدينة تلمسان فكتب له الملك ليرجع فايى وبعث له هذه القصيدة » (I)

ولكن يبدو انه عاد بعد ذلك الى المغرب بناء على ما نعرف من ان وفاته ومدفنه بسجلماسة .

والتلمسانى لم يكن شاعر ملحون فقط وانما كان شاعر موزون كذلك ، وقد ذكر له صاحب « الجسماء المشرفى » قصيدتين :

الاولى يجيب فيها بلسان المولى اسماعيل على رسالة بعث بها اليه احمد بن محمد الحاج الدلاقى مستدعيا للحرب حين ثار عليه ، يقول فيها (2)

تأهب ليوم الحرب فالجرب عيد * لنا وعليكم محنة ووعيد
ستعلم اشقى الناس يوم لقائنا * اذا قعقت تحت العجاج رعود
فسل ان جهلت الناس عنا وعنكم * متى قابلت جنس الاسود قروود
دعوت مجيبا فارتقب ما طلبته * فاننا بما تبغى عليك نجبود
عدمنا فحول الخيل ان لم تهلكم * عليها من الابطال منا اسود
اتطلب دار الملك من غير قدرة * وانت من المجد الاثيل بعيود
اساتم فكنا المحسنين وعدتم * الى السيئات بالعقاب نعود
عفونا وكان الظلم منك سجية * ستبلغ من غي الصبا ما تريد

(I) ص 21-22 (المطبعة الشعالية - الجزائر سنة 1928) .

(2) الميكروفيلم ص 422 - 423 حيث وصفت القصيدة بأنها رائعة ومشملة على سهام راشقة

والثانية في الامام مالك وموطاء منها هذه الابيات (I) :
فلا مالك في الارض قام لسنة * وشدت له بالخافقين المناطق
سوى المدعى الطيب الاصل مالك * اواه على الاسلام بالقرب خافق
ترقى فوطا بالموطا مواطنا * ممعانا ولم يسميه للمفتح سابق
موطاء الاسلام في الارض كعبة * فوطا بها للسالكين شواصف

احمد التريكي :

تلميذ لسعيد المنداسي ومن تلمسان كذلك . قال عنه الفتوى في
« كشف القناع » : « وقد نفته دولة الاتراك من قطر الجزائر سنة ثلاث
وثمانين والفرقة هبطت الى المغرب الأقصى وآوى الى جبل بني زنا أن قبيلة من قبائل
المغرب قريبة من وجدة فمكث هناك اياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف
فيها حال بعده عن اهله وعشيرته واطوانه ... منها قصيدة مشتملة على
ثمانية ابيات كل بيت يشتمل على عشرة اغصان وطالع مركب من ثلاثة
اغصان ، يقول في مطلعها :

طال نحبي وادموعي كل يوم زراب *

والفراق اكوانى كيا ابلا اسباب

من اسموهو سيب لي فالدليل مشهاب *

ما وجدت الضرى حكما اولا اطييب

شاب راسي يا ربى من افراق لهباب *

بهم اجمع شملى ايا المير حقب (2)

وقد وقفنا من شعره على قصيدتين : الاولى في مكة المكرمة ، يقول

في مطلعها :

شعلت نيران اكبادى * واعيين ما نبكى ولا انفعنى نواح

أما الثانية فربيعية ، يقول في حريتها :

اتبسمو وضعكوا غصون اللقاح * يسروا من اعشق ومن هو والع

(I) المصدر السابق من 434 حتى 438 .

(2) ص : 80 .

الفصل الثالث

مرحلة الازدهار

ما كادت سحابة الركود الكثيفة تنقشع ويزول كابوسها الجاثم حتى انطلقت القصيدة الزجلية فى نهضة مزدهرة وصلتها بماضيها لتستكمل معالم كيائها وملامح ذاتها ، وهى نهضة كتب لها أن تمتد فترة غير قصيرة ، تبدأ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى وتنتهى فى أوائل القرن الحالى بعد أن فشأ فى الشعراء الضعف والوهن وأصيبوا بداء الجُمُود والتليد . فقد بدأت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذى يقال أنه كان ينظم الزجل وإن كنا لم نعثر له على أثر ، ولكننا لانشك فى أنه كان يحتضن هذا اللون من التراث ويشجع فنانيه . وليس غريبا أن يفعل ذلك فقد شهد عصره نهضة شاملة عمت جميع مرافق الدولة ومناحي الحياة ، وكان حظ الثقافة منها غير يسير (1) .

ثم كتب لهذه المرحلة أن تجدد ازدهارها فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن (2) الذى كان بدوره من شعراء الزجل كما سنرى حين نتحدث عن صديقه التهامي المدغرى . وكان آخر بريق للنهضة فى هذه المرحلة أيام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من علماء عصره وزجليه ، ومنذ خصه بوقف قصيرة . وقد بلغت هذه الفترة من الازدهار حدا جعل العارفين بالفن يطلقون عليها «الصبايا دلشيباخ» أى موسم الاشباح لأنها تعتبر أخصب عترة الزجل فى المغرب لكثرة ما نبغ فيها من الشعراء . ولكننا لن نتبعهم جميعا لأن مادة التاريخ والنصوص لا تسمحنا لذلك ، وسنكتفى بالوقوف عند الاعلام البارزين .

- (1) كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من العلماء والمؤلفين وخاصة فى فن الحديث ؛ ومن المؤلفات التى تنسب له :
- أ - الفتوحات الالهية الكبرى (من منشورات المطبعة الملكية)
 - ب - الفتوحات الالهية الصغرى
 - ج - مواهب المنان بما يتأكد على المتعلمين تعليقه للصبيان
 - د - طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الخطاب
 - هـ - الجامع الصحيح للاسمائيد المستخرجة من ستة مسانيد
- (2) بويغ سنة 1276 هـ وتوفى 1290

الجيلالي امثيرد

وهو فيلالى الاصل ، ولكنه ولد ونشأ فى مدينة مراكش حيث كان له مكان لبيع الخضر . ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نعرف أنه على عهد سيدى محمد بن عبد الله كان شاعرا مكتملا ومجددا، يتبين لنا ذلك من حرازه - وهو أول حراز عرفه تاريخ الزجل - حيث يذكر من جملة الصفات التى تذكر بها ليصل الى محبوبته صفة «مخزنى» للسلطان سيدى محمد ، وفى هذا يقول :

من ساعنى ارجعت امخزنى مشمور امن اصحاب الملك
الله ينصر سيدى محمد

ويبدو أنه عمر طويلا حتى أدرك بداية النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى على حد ما يذهب الاستاذ الفاسى من أنه توفى «فى اواسط سلطنة مولاي عبد الرحمن حوالى سنة 1840 م ودفن بمقبرة سيدى على ابى القاسم بجوار مسجد الكتبية تحت مناره (I) »

يقال فى تعليق تلقبه بامثيرد على صيغة التصغير أنه كان ضعيفا البنية نحيل الجسم ، ويحكى أن السلطان المولى عبد الحفيظ كان اذا ذكر فى مجلسه الشيخ الجيلالى بهذا اللقب علق بقوله : «بل هو متبرد امعمر بالثريد» وهى قولة تدل على المكانة التى كانت للشاعر حتى بعد عصره ، واكثر منها فى الدلالة على مكانته ما قاله التهامى المدغرى :

«لو كان احضرت لامثيرد كنت انكون لو عبد اشويرد»

ولا عجب فقد كان عميد زجالى عصره - أو كما يقال فى المصطلح عندهم شيخ الاشياخ - لقبه معاصروه قسى مراكش بـ «الفاكية دالشيياخ» أى فاكتهم ، ولقبوه فى فاس «عرصت لشيياخ» أى روضهم ، وبلغ من تأسير قصائده على الجماهير أن المنشادين أطلقوا عليها «الشعالة» للجوئهم اليها فى تحريك السامعين وإثارة انتباههم اذا ما أحسوا منهم ضيقا بما ينشدون وعدم تجاوب .

(I) مقال «لادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى العدد الاول السنة الاولى 1964

ويعزو العامة نبوغ الشيخ الجليل الى حادث خرافى يقولون فى حكايته
أنه «كان يذهب كل عشية منفردا لصهريج ابن الحداد خارج باب الخميس
من محروسة مراكش وهو محل مخيف فيه مياه راكدة تسكنها الضفادع ،
وكان الشيخ الجليل يجلس هناك للتفكير والاعتبار ، فخرجت له ذات يوم
ضفدعة وكلمته وقالت له: يا شيخ انى أريد أن تضر عرسى وتغنى لنا فقبل وجاء
فى يوم موعود فأغضى عينيه ووجد نفسه فى عالم آخر فأحضروا له آلة تقول
هذه الخرافة الشعبية لم يكن له عهد بها فغنى لهم وجازوه بما يستحق ثم
أرجعوه لصهريج ابن الحداد فوجد فى يده تعريجة فرجع الى المدينة وحكى
للناس ما وقع له ، ومن ذلك الحين صار يأتى بالمعجز من القول ، وتظن
العامة انه لم تكن التعريجة معروفة قبل هذا وهى من اختراع الجنة (1)
وقد كانت لامتيرد جملة اوليات نرى حسب ما وصلنا من نصوص (2)
أنه سبق اليها فى تطوير القصيدة الزجلية شكلا ومضمونا ، سنذكر منها
ما أمكننا أن نستخرجه من القصائد التى جمعنا له :

أولاً : فى المضمون تظهر ابتداعاته فى الموضوعات الجديدة التى
طرقها وهى :

1 - الخمريات :

يعتبر امتيرد اول الزجالين نظما فى الخمريات ، فتح لها الباب بقصيدته
«الساقى» التى يقول فى حريتها :

الساقى وكفى لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

وكان الشعراء قبله لا يجزؤون على مثل هذا الموضوع ، وبين أيدينا

نص يثبت ذلك ، نجده عند الحمري فى قصيدته «الربيعية» حيث يقول شى

(1) المصدر السابق

(2) نلفت النظر الى أننا فى كل ما نعزو للزجالين من اسبقيات لا نعتمد
على غير ما وصلنا من نصوص وما بلغ الى علمنا من أخبار ، وقد يكونون
مسبقين بغيرهم فيما ننسب لهم من اوليات ولكن بين أيدينا من
نصوص وأخبار لا يسعقنا فى إثبات ذلك .

آخر بيت من القسم الاول :

اعراجن الامر فالنخلات الراكبات على لجدار

وعناقده لعنب نادوا الى سألوا على عصير اخير

فهو يذكر عناقيد العنب في الدوالي ولكن يحيل السامعين الى خبير يسألونه

عن عصير هذه العناقيد .

2 - الشمعة :

لعله أول من اتخذ من الشمعة في احتراقها وذوبانها موضوعا للكشف

عما يعانيه المحب في مقارنة بين حاله وحالها ، مستعرضا على لسانها

ما تمر به من مراحل قبل أن تصبح شمعة تبكي لتضيء للآخرين . ويتضح

هذا من شبعته التي يقول في حريتها :

لله يا الشمعا كرى واعلاش دالنواح والناس افلفراح

وانت اجواهر ادموع ابكاك السلا اهطيللا

ومن عجيب أن شمعة امتيرد لم تلق من الشهرة ما لقيته شمعة ابن

علي ، وهي التي يقول في حريتها :

لله يا الشمعا سلتك ردى لي اسؤالي * واش بك غاليالي تبكي مادالك اشعيللا

3 - الحرار :

يبدو أن امتيرد كان صاحب فكرة التنكر للوصول الى المحبوبة في

محاولة لاغراء محرزها والايقاع به ، وذلك في حراره الذي يقول في حريته :

حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصراني * كيف عارفو مسـالـال

وهنا كذلك نلاحظ أن حراز البغدادي (I) حاز شهرة أكبر من حراز

امتيرد ، وهو الذي يقول في حريته :

مال حراز الدامي ما يثق بيا هيهات * حارس في كل اوقـسـات

اعلى الدوام ايجنب ولا يرومنى كطعيا

وقد تحولت عند المنشدين الى قولهم :

مال حراز الدامي ما يثق بيا هيهات * غير حاضى لوقـسـات

في اثيابو مسلم افعايلو روميا

(1) المتوفى في نهاية القرن الماضي

4 - الضيف

كما كان صاحب فكرة التنكر في هيئة «ضيف» للوصول الى حبيبته
على حد ما فعل في قصيدته «ضيف الله» التي يقول في حريتها :
أضيف الله رد لجواب اصغ لي « لا تحشم رد السلام
فقد طرق باب دارها ليلا يطلب ضيافة الله ولكنها لم تلبث بعد أن
أدخلته وأزال اللثام أن تبين لها انه حبيبها لجا لهذه الحيلة حتى يصل
اليها .

5 - القاضى

وقد كان - على ما نعلم - أول من فكر في اللجوء اليه للفصل
بينه وبين محبوبته بعد أن جارت وطال هجرها ، يقول في حربة قصيدته
«القاضى» :

القاضى لك ادعيت لغزال خنارى
اعلاش دون سبا هاجر لوكار
جفلت من رسمى قامت لقنا بودواح ازهور
زينت لاسم زهرا

6 - الخصام

ظهر أول نظمه له في قصيدة «بنت الحضر والعربية» التي يقول في
حريتها :

امى حنا ايلا امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا
«ايلى امى لوريت يا فاهم اللغا

7 - الخلخال

ويتبين لنا سبقه الى نظم هذا النوع من القصائد في «خلخال عویشا»
حيث يحكى أن محبوبته بعد أن زارته قدمت له خلخالها تذكارا يحتفظ به
لتخليد الزيارة وحتى لا ينساها ، ووضع الخلخال في جيبه ولكنه ضاع منه
فأخذ يبحث عنه على كل مكان فلم يجده واضطر الى اللجوء لفقيه منجم يكتب
الخط استطاع بواسطة الجن أن يحضر له الخلخال . يقول امترد فى
حربة هذا الخلخال :

خلخال اغويشما درت لبها في مكتوبى يا فهم درتو وامشى لى
كيف المعمول ايلا اتسمالى مولات الخلخال
وقد فتح امتيرد بهذا الخلخال بابا لمن جاء بعده من الشعراء الذين
جعلوا موضوع قصائدهم : الخلخال او الدمليج او الخاتم او الضبلون ،
وهو بهذا طور فى الواقع جانبا من جوانب القصة فى القصيدة الزجلية

3 - الفصادة

فى قصيدته «الفصادة» سن لمن جاء بعده من الشعراء أن يصفوا
الحفلات التى تقيمها النساء بمناسبة اخراج الدم حيث يبرزن متزيينات
متحليات بأفخر الحلي وأجمل الثياب ، وهى التى يقول فى حريتها :
أشى را من لاحضر امع اوجوه لريام * يوم حنطو فثياب العز للفصادا
ثانيا : فى الشكل تتمثل براعة امتيرد فى الجوانب الآتية :

1 - السراية

فهو - حسب ما انتهى اليه علمنا - اول من اتخذها فى التمهيد
للقصيدة ، ويذكر كبار الاشياخ أنه قيل ان ينظمها كان يقدم بأغاني بوعمرو
الخفيفة . ومن أول السرايب التى نظم امتيرد هذه السراية التى يقول فى
أولها :

اعلاش امحوب خاطرى تجفينى * الجافينى واعلاشى دالجنى
حببتك من خاطرى ولا رديتنسى * كاتمينى يا شارد لعفى
خالفت فالقول باشى واعادتنسى * ولاوصلتى الرسمى قاسيت ما كفا
(قالت ناس الشعر والقوافى * الزين ابلا تيه صورتو تعاداف)
والخير صاحبو يعرف

ويذكرون أنه يقصد بقوله «قالت ناس الشعر والقوافى» الشاعر
بو عمرو ، وبقوله «الزين ابلا تيه صورتو تعاداف» شطرا واردا فى قصيدة
لهذا الشاعر تعرف بـ «باهى لحروف» ، وأنه لجأ الى هذا الاقتباس تخليدا
لذكرى بوعمرو واشعارا بأنه الموحى بفكرة السراية .

2 - وزن نلبجر المثنى

فقد وضع فى «لساقى» وزنا نلبجر المثنى لم يكن معروفا من قبل ،

نميل الى انه أول من سبق الى النظم عليه ، وذلك في قصيدته :
« الحراز » التي يقول في حربتها :
حراز للا لرسامو حيتو انصيب قلوب نصراني

4 - الحوار

كنا قد رأينا في الفصل السابق أن فكرة الحوار بدأت عند الحمري في قصيدته «الربيعية» ولكن امتد طوره وجعله يمتد في كل القصيدة ، وقد ساعده على ذلك نظم في موضوعات تستدعي تبادل الخطاب أمثال الحراز والقاضي والخصام .

من مدينة مراکش ، وهو ربيب الشيخ الجيلالي لان هذا الأخير تزوج
أمه بعد أن توفي أبوه على النجار . ويقال ان النجار سجل قصة هذا الزواج
سائرا ومستهزئا في عروبي سماه : «مولاة الريب» وهو بالتالي مساعده
في الدكان وتلميذه في الفن . ولعله دخل الكتاب القرآني قبل ذلك حيث
تعليم القراءة والكتابة وغدا في سن مبكرة يدون لشيخه بعض قصائده .
ومن هنا زاد تعرف النجار الى الزجل ينسخه ويحفظه ويردده ،
ومن هنا كذلك بدأت تظهر في النظم اولى محاولاته التي كان زوج أمه لاشك
تتعهدا بالتصحيح والتنقيح .

ويحكى الاشياخ أنه حدث في الوقت الذي أخذ النجار ينظم ان
اصيبت البلاد بجفاف دام سنتين ، أصبح معه من المتعسر على النجار أن
يظل عبثا على امتيرد ففكر في الرحيل الى فاس ، واتفق يوم سفره أن ظهر
كسوف في السماء أرخه النجار في قصيدته التي قالها في توديع مراكش

واشيأخها . يقول فى مطلعها ملتصبا من اهله الدعاء له ان يحقق مناه
فى فاس :

لله يا هلى سمحوا فى شى فأت
وادعوا لى انصيب امنايا
فى بلد فاس كنز اغنايا
عند الشراف هل لعنايا
يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا
تبسط لكفوف ضى وادجا
للخالق ساير لخالق يغفر الواتى فجميع السيات
ويقول فى حريتها :

ألين اوين الشمس فالسما ريناها كسفات
حتى ظهوروا النجوم فالنهار الكهار العاتى
والظلمة سندات

ويسجل فى القسم الثانى ما اصاب البلاد من جفاف ، فيقول فى اوله:
عامين يا هلى هاذى مرت ما اشتات
عامين ما اعطت الصابا
ولا ابقى احسان ايهايا
واقوا الرهط دالنهايا
وفى آخر قسم يؤرخ للقصيدة ولسفره فيقول :

تاريخ حلتى «مشقائى والدال» دال اعلى ترتيب ابياتى واسبيك المعنات
فقد رمز ب : م ش ق ن د ، فالميم بأربعين والثمين بألف والقاف بمائة
والنون بخمسين والدال بأربعة ، ومجموعها أربعة وتسعون ومائة وألف (I) .

(I) وهذا ما تؤكد كتب التاريخ على حد ما تقرأ عند الناصرى فى الاستقصا
حيث يقول «وبعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى
الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف انكسفت الشمس وظهرت النجوم
لكثرة الظلام ثم انجلت ورجعت لحالها بعد نصف ساعة ونحوها ، وفى اعوام
تسعين ومائة وألف كانت المجاعة الكبيرة بالمغرب وانجس المطر ووقع القحط
وكثر الهرج ودام ذلك قريبا من سبع سنين» (ج 4 ص 128 ط المصرية)

ويقال ان أشياخ فاس تقاتلوا بمقاسم النجار لانه ماكاد يصل الى مدينتهم حتى كانت الامطار تنهطل ، ويبدو أن من اول قصائده التي نظم في فاس قصيدته التي يقول فيها مخبرا انه سكن منطقة فاس البالي :

دعت اهلي وارسامسى ❦ واسكنت بلد فاس البالي دار لهما

القوم ارجأت اذمامسى ❦ رنا ما نزول انراعى لها الدمام

ولسنا نعرف شيئا عن أخباره في فاس ، وكل مانعرف انه استطاع أن يفرض وجوده ويصبح «شيخ الاشياخ» و «مداح النبي» .

ونقف قليلا عند اللقب الاخير الذي اكتسبه لكثرة مدحه للرسول عليه السلام ، فان بعض الاشياخ اعتمدوا عليه وذهبوا الى أن النجار لم ينظم في غير هذا الموضوع ، وهو رأى جانب الصواب .

حقا ان جل قصائد النجار في المديح النبوى والصلاة والتوسل ، ولكن له قصائد في الغزل ، لعلها ليست كثيرة ولكنها كافية في اثبات ما نقول . فقد وقفنا له على «البتول» و «أم كلثوم» و «مسعودا» . يقول في حربة

.. البتول .. :

داوى اجوارح اعليلا ❦ أشوم ليعتى بفراق البتول

ويقول في أول قصيدة «أم كلثوم» :

الأيمنى فهوى اشبهت الدامى دمنى او كف خلى اجوارحك اسليما

واعذريا لايم حال المغروم

ويقول في حربة «مسعودا» :

ما قالخودات ريم اتشابه مسعودا ❦ مسعودا رايت النصر بأشت كل املاح

مسعودا مولوعا او ساعدا

ومن يدري فلعل هذا التنويع في الموضوع حدث بعد أن استقر في فاس وطابت له بها الحياة ، بل انا حين ننظر فيما بين أيدينا من شعبيه نلاحظ ظاهرة لاشك انها متأثرة بحال عيشه في مراكش وما آلت اليه حياته فيما بعد بفاس . هذه الظاهرة هي طغيان النفس التأمل الجاد - والمتشائم - في بعض الاحيان - على قصائده في مراكش وأول مدة اقامته في فاس ، نسب

تغير هذا النفس بعد ذلك ، وقد علته مسحة من التفاؤل . وتناكد لنا هذه
الظاهرة حين ننظر في قصيدتين : احداهما في تأمل الناس والحياة ،
والثانية في يوم عاشوراء . يقول في أول القصيدة التأملية وقد مل الدنيا
ومحنها ولم يعد يتمنى غير الموت :

مل قلبي من دنيا كلها امحــان ولا ابقى يترجى الا ايموت هاني
ويقول في حربة القصيدة الثانية فرحا مبتهجا :

أجى اتشوف يا من لاشاف الهايجات بسداري
كيف شفك عين حسن يوم عاشـــــور

عبد القادر بن عبد الرحمن بوخريص

فيلالي الاصل لكنه ولد ونشأ في فاس ، وهو تلميذ للنجار كما يقول
في أول القسم الثامن والآخر من قصيدته «مرحول للمشرق» :

تهيت القطعا الرايقا واسمى عبد القـــــادر
ابن عبد الرحمن بوخريص تلميذ النجار
ويعتبر من الزجالين الذين كان لهم حظ وافر من الثقافة، بل يزعم بعض
الاشياخ أنه كان من كبار العلماء وأنه تولى قضاء مدينة فاس ، في حين أن
القاضي غير الشاعر ، وهو سمي وجد ، كان قاضيا بفاس ، توفي سنة
1188 هـ

كان بوخريص متأثرا أشد التأثر بالنجار من حيث الاكثار من النظم
في المدائح النبوية والتوسلات والمواظ خاصة الى حد يطلق الاشياخ على
قصيدته في الوصاية «المدونة» وهي التي يقول في حريتها :

يالساهى عما يعنيه والعمر مان قم واعزم واختم يكفي امن اتفرعين
ويتأكد هذا النفس المشبع بعاطفة الدين في قصيدته «مرحول للمشرق»
وهي التي يقول في حريتها :

أرواح أراسي اتشوف هذا الركب السابير
خلا ناس الذوق شايقا لمقام المختـــــار

وكما لاحظنا عند النجار نلاحظ كذلك عند تلميذه ، فهو لم يقصر نظمه على الموضوعات الدينية والتأملية كما يظن غير قليل من الاشياخ ، ولكنـه نظم فى غيرها على حد ما تثبت قصيدته «الجار» التى يقول فى حريتها :

جارى ياـجارى حن واشفق واكرم من له جار
واعطف لوـكـارى اولا اتخلى رسمى مهجـر

هذا وقد وقفنا عند أحد كتبيى فاس على ديوان لبوخريص بخطه ، يضم حوالى مائة قصيدة كلها فى التوسل ومدح النبى والاولياء ، كان جد ضنين به لم يسمح لنا بغير تصفحه ولبضع لحظات ، ومازلنا لحد الساعة نفاوضه فى اقتنائه ، واذا ما تهيأ لنا الحصول عليه فانا نؤى أن نحققه ونقيـم دراسة خاصة عليه .

محمد بن على العمرانى

ويكنى ولد ارزين ، يصرح هو نفسه بذلك على حد ما يقول فى نهاية قصيدة «الشمعة» مؤكدا شرف نسبه :

واسمى ابيـنو ما يخفى موضوع فى اسـجال

محمد الشريف ابن على ولد ارزين صيـلا

وعلى حد ما يقول كذلك فى آخر قصيدة «حجوبة» :

واسمى محمد ولد ارزين القـب تلقاب وافضل من كل انسـاب
حق نسـابى من اولاد المختار الى اعليه منسوبـا

وهو من تأيـلات حيث ولد فى مسيفة على ما يؤكد جل الاشياخ ، وهم يذهبون الى أنه نشأ فى بيت علم لان والده كان صاحب كتاب قرآنى اتاح له فيه فرصة التعلم وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون التى جرت العادة بحفظها فى الكتاتيب وقد قضى فى هذا الكتاب وبجوار والده فترة لاشك أنها لم تكن قصيرة ، ظهر خلالها نبوغه المبكر متجليا فى سرعة الحفظ والادراك ومحاولة نظم ما يتلقى من فرائد وقواعد على طريقة نظم المتون . ولم تنته هذه الفترة الا بسفره مع أسرته الى فاس لتتسنى له الدراسة فى جامع القرويين . وعلى الرغم من أنـا لا نعرف طول المدة التى قضاهـا

طالباً في القرويين ، فانا لا نشك في انه حاز حظاً وافراً من العلوم المختلفة التي كانت تدرس بها ، وفي أن تكوينه الثقافي انعكس على بعض شعره وخاصة في قصائده «السولان» و «الوصاية» و «هول القيامة» و «الذرة» بل انا نجد في بعض قصائده يصرح أنه يستقي من الكتب ويقتبس منها على حد ما يقول في أوئل القسم الثاني من «حجوبة» :

ثم نبهيك اتشوفيني افعين من يعرف لمرمات واطالع كل اكتاب
حق اكتابي فارس افمايتي واتراجمي افلكتوبسدا
ويقال انه ما كاد يقضى بضع سنوات في فاس حتى هلك والداه فاحس
قسوة الوحدة والغربة على الرغم من أنه كان قد تعرف الى النجار واتخذ
صديقاً وأستاذاً ، فعاد الى مسقط رأسه في الصحراء حيث نظم قصيدة في
مدح مولاي علي الشريف جد الملوك العلويين ، تعتبر من أروع المدح على الرغم
من أن ابن علي لم يكن الا مبتدئاً ، وهي التي يقول فيها مخاطباً ممدوحه :

ياخلوة تمر الصحرا ويا حفيد امام العشرا

يا سنا الصحاري يا مولاي علي الشريف
ولكنه لم يلبث أن عاد الى فاس لينظم القصيدة تلو الأخرى وليصبح
«أعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر (1)» ويحزّر لقب «المعلم» قبل وفاته
«سنة 1237 هـ (1822م) وقد تجاوز الثمانين (2)» .

وقد كان ابن علي مكثراً ومجيداً ومنوعاً في موضوعاته ، ومن المصنفين
أن نجده في قصيدة «حجوبة» يستعرض أسماء بعض قصائده ، وهي التي
يقول في حريتها :

ياألي زينك فاق الشمس والقمر والبرق الفلحجاب علتني بحروف اعجاب
صغ لوجابسي عالجنى بوصولك يا لريم حجوبا
وفي القسم الثاني منها يخاطب حجوبة ، بعد أن وصف مجلس الانس

1 Anthologie d'auteurs arabes par M. Bekhoucha et A. Akkal p 74 .

المطبعة المهدية - تطوان سنة 1934

(2) «مقال الادب الشعبي المغربي الملحون» للاستاذ الفاسي العدد الاول من

مجلة البحث العلمي سنة 1964

الذى يتمنى ان يجمعهما ، يريدان ان تستمع فيه الى قصيدتين له فى «الحجامة» وقصيدتين فى «المرسم» وقصيدة «القاضى» و «الورشان» وقصيدتين فى «السالف» وقصيدة «الشمعة» و «الحراز» و «جمهور البنات» يقول فى هذا القسم :

ثم نبغيك اتسمى «حجامة» اللولى والتالى باسمباب ❖ ما غتبتهم غتتاب
دون غتابسى ❖ اولاً يردوا قولى الا اعقول مقلوبسى
ثم تبغيك اتسمى «لمراسمى» ابزوج «اقاضى» للباب ❖ و «الورشان» الغباب
ماسك اكتابسى ❖ «والسوالف» زوج «أشعما» اضوات مرغوبسى
ثم نبغيك اتسمى «حراز» حارسو فمناصف لجواب ❖ دور افذهب التذهاب
ايحير الصابسى ❖ وقت مايتذكرو اتصيب لحسود مرهوبسى
ثم نبغيك اتسمى «جمهور لبنات» افمعنى وداب ❖ فيه اسميات اغراب
طرز بغرابسى ❖ كيف نحل ماياتى فالنظام معروبسى
واذا ما أمعنا النظر فيما بين ايدينا من قصائد لابن على فانا نلاحظ
خمس ظواهر :

الاولى : أنه - على ما نعلم - أول من نظم زجلا سياسيا على حد ما تثبت قصيدته «المصرية» التى يكاد يجمع كبار الاشياخ أنه قالها فى حملة نابليون على مصر ، والاسف أنا لم نعثر على أثر لهذه القصيدة التى لاشك تكشف عن تجاوب المقاربة مع اخوانهم المصريين فى هذه النكبة التى حلت بهم .

الثانية : أنه ربما سبق الى قصائد «السولان» يوجهها لخصومه
يحاول تعجيزهم ان لم يستطيعوا حل سؤالها بل الاسئلة التى تتضمنها ،
وهى فى الغالب معميات والغاز ، منها قصيدته التى يقول فى حربتها :
بسؤلك استفخر يا حفاظى ❖ اولاً ابحال عند الى عارفين سولان
وفى أحد أقسامها يسأل من جملة ما يسأل عن ماهية علم الشعير
والمواهب وكيف تنسرب للنفوس ، وعن أقسامها التى لا يعد شاعرا من
يجعلها ، ويرى أن كل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه
الله الموعبة ، ويوصى راويه الايهاب الداعى فهو أعجز من أن يأتى بمثل

هذا السؤال أو هذا الشعر مهما طال به الزمان :

وانسال امن ادعا داخل علم الشعر والمواهب

واعلى شمن سميل يدخل لجسام

كان لهم فالخلق ارسام

قسموه الفهم اقسام

من لا يدريه لا يقول شاعر بالقول ايجيب

والى داخل بحر ليهو اجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

والى ادعا عليك اجهلو بالك تستهابو

ما جاب عوض سولانى

الو يعيش ما عاش المرو ولا يجيب لوزان

الثالثة : انه وضع وزنا للبحر المثلث فى قصيدته «زينب» التى

يقول فى حريتها :

يا بدر ما غطاك احجاب « فى ادجاي شمس النهار السعيد يازنوبا

عابن العهد يا زينب

وهو فى الواقع تطوير للوزن الذى وضعه اميرن للبحر المثنى فى

قصيدته «الساقى» التى يقول فى حريتها :

الساقى ونفس ليريام رد بالك للنوبا لا تغيب من مولاها

كب يا ساقى راح الليل

فقد لاحظ ان «الفراش» أطول من «الغطا» فجعله قسمين .

الرابعة : أنه عدل بعض الشئ فى «قياس لشركى» وجعله على نحو

ما نجد فى قصيدته التى يقول فى أولها :

يا حلى ريت اجبال الغرب غيبو « وجمال الصخر اتيان غير العظما

وقد نظم أغلب مطولاته على هذا الوزن ، ويقال ان الغالى الدمناتى كان

أكثر الشعراء تقليدا له فيه على ما يبان فى قصيدته التى يقول فى

أولها :

يا حل البيت اسياى لامت لشراف « زكت لهماكم قبلو زوكت لوصيف

وكان هذا «القياس» قبل ذلك على نحو ما تكشف عنه قصيدة
«الحجة» لابن احساين ، وفي حريتها يقول :

يا حضرا قولوا بالسر ولجهار ❦ الصلا والسلام اعلى النبي المختار

الخامسة : أنه - حسب ما تثبت النصوص التي وصلتنا - أول من
أطال القصائد فجعلها «ملاحم» كما يقولون . حقا ان للمغراوي قصائد طويلة
مثل «هول القيامة» فان أبياتها وصلت الى مائتين ، ولكن ابن علي تعدى هذا
الطول بما يزيد على ضعفه . ومن خير الامثلة على قصائده المطولة «الذرة»
التي ضمنها ما كان معروفا في وقته من معارف كونية ، فهي تضم ثلاثة
وستين وخمسمائة بيت ، يقول في دخولها :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب

وقدس المولى تقديس النجاء لقراب

سبح المولى ماشرق الضياء وغرب

قدس المولى مادام الضياء وغياب

ويقول في حريتها :

يا ساهي من نومك فبق سبح الرب

لمنا وانت تأيه فالفرور لواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب

سيدنا محمد طه اشقيع لعراب

ويقول في القسم الثاني منها :

منها اللوح انشاه ابقوتو وحول ❦ ومنها الروح والعقل كيف شأ وقدر

اللوحي جعلو خمسين الف اسنا فطولو ❦ والفين في عرضو كيف جا امعبر

ولقلم طولو ألف اسنا ايقولو ❦ كلهم فالكرسى نقط الديام فبحار

لقلم والكرسى واللوحي مكتوب ❦ والسموات والارضين والتلول وارواب

ولحجوب ولشيا فالعرش كل تذهب ❦ خرس منسى فقفر قال النبي الاواب

وقد سبق ان رأينا في المدخل ان مثل هذه القصائد لم تكن تنشد في المجالس وانما كانت تسمون في بعض المناسبات وخاصة في ذكرى المولد النبوي .

واشتهر ابن علي بعد هذا بالمعارك الهجائية التي كانت له مع تلميذه ابن سليمان ، وقد تعرضنا لها في الفصل الثالث من باب الموضوعات

هجته ابن سليمان

من رجال فاس ، وهو تلميذ ابن علي وخصمه الذي خاض ضده معارك هجائية شهيرة ، لم ينس في غمرة حديثها اختراعه بالفضل لشيخه علي حد ما يشهد هذا البيت ينصفه فيه :

رجلي اعلى افقات لعكلى (I) حجا ايلا اوطيت ابن علي
ولكن جاء بعض الاشياخ فقلبوه عجاا وتالوا في جناس بين اسمهم
الشاعر والنعل الذي يلبس :

رجلي اعلى افقات ابن علي حجا ايلا اوطيت ابن علي

ويذهب الاشياخ في حكاية قصة حياته الى زرايين : تقول الاولى ان اياه الحاج ادريس بن سليمان كان رجلا رقيق الحال يشتغل بالبرزة ، وتقول الثانية ان والده كان من اكبر اغنياء واشيخان فاس ، وأنه كان حجا لمضطرب المكون يحيى لياليه في بيته ، وأنه كان صديقا لشيخ ابن علي .

ونحن نميل الى هذه الرواية الى نذهب الى أن ابن سليمان الابن متأخر لاشك - وهو طفل صغير - بهذه الليالي التي كان يقيم والده ، والى أن تلمذه لابن علي بدأ في هذه الفترة ببيت والده .

وتحاول هذه الرواية أن تربط بين وضع أسرته وما ترتب عنه من تأثير كبير على حياة الابن فتضيف أن والده توفي وترك له ثروة طائلة كان فيها وارثه الوحيد ، فلم يلبث - وهو في أول الشباب - أن ينطلق للحياة

اللاهية الماحجة في غلو واسراف كانت نتيجهما أن أصيب بدء القلب الذي
أودى بحياته ولما يتجاوز الثلاثين من عمره .

وتعتبر قصائده التي نظم في حال مرضه وهو طريح الفراش من
أروع ما أنشأ الزجالون صدقا وابداعا ، تشم منها رائحة الموت تكاد تخنقه
وهو يحاول الفرار منها في خوف وتشميت بالحياه . ومن أهم قصائده في هذه
الفتره «الطيب» و «الوردة» ولعلهما آخر ما نظم قبل موته ، يقول في حربه
الاولى :

الطيب يعرف دايا والدوا سوماو غال

عالجوني يا ناسي لا نموت موت الغفلا

ويقول في حربه الثانية :

لاتلوموني في ذا الحال جيت نشهد وانودي

يا عدوي فأموت اسبابي ضد السوردا

وقد كانت لابن سليمان عناية بأسلوب رجليه تمثلت في اكثاره من
التضمين - وهو كما سبق أن رأينا (I) بناء القافية على حرفين - ومن الامثلة
عليه عنده قصيدة «الرعده» فقد التزم في قافية الاشطار الاولى للابيات حرفي
الياء والميم على حد ما يقول في هذه الابيات من الدخول :

الرعده زام طبلو من بعد اقناطر الصمايم

والبرق سمل سيقو ويخيل في اخيول لمران

والرياح قالرس ايشالسي

عن اعيون العلفات اعلى اللغا امشمم

لقزاج شد بندو للفرجا اعساكروانلايم

واحرك ابلطار البيدا حتى اجرات ويدان

قلبي احيها سالي

كل فسخ اصبح من ذاك الضباب خضر

(I) انظر الفصل الثاني من الباب الاول ، وانظر كذلك الفصل الاول من
الباب الثالث لدى ذكر محمد بن عبد الله بن احساين .

ومن الأمثلة عليها عنده كذلك قصيدة «حجوبة» ، وفيها التزم ألفاء
والهاء في قافية الاشطار الثانية للبيات ، على حد ما يقول في هذه الابيات
من القسم الاول :

وَمِنْكَ حَاجَا مَطْلُوبِيْهَا ۖ مَرَادِيْ مَايَا لَنَا اَتَصَدَّقُ بِهٖ
اَعْتَادَ بِكَ غَرَضِيْ فَعَرَضُكَ يَاكَ مَا نَهِيَا دَخَلْتَ بَيْنَنَا اَعْلُوْرَا خَوَاضِيْهَا
دَارَتْ مَلَقَانَا ۖ جَوْبِيْهَا ۖ اَيْمَنَا شَرْكَ الْفِرَاقِ تَرْقِيْهَا ۖ
نَبْرَا مِنْ الزِّيَارَا فَيُحِيطُ الرِّضَا الرَّاقِيْ رَوْفِيْ يَا رَمَاكَ الدَّامِيَا فَالطَّبَاحِ
مَنْ نِهَاضَا

مجدد بن قاسم العنبري

ويعرف بالفقيه العميري ، وهو من مدينة مكناس . ولكنه أقام مدة غير قصيرة في صفرو حيث تول خطبة العدالة . وكان معاصرا للشيخ مكناس سيدي قدور العلي الأ أنه توفي قبله ويحكى الإشياخ أن العلي بعث بعض أصحابه إلى دار العميري ، وطلب منهم أن لم يجب أحد لطرق الباب أن يكسروه ، وكذلك فعلوا ، ولكنهم حين دخلوا الدار وجسوه قد مات وبين يده مصحف وقد وضع فيه أصبعه على الآية الكريمة : « هذا ما وعد الرحمان وصدق الميمون » . ويحتمر الإشياخ هذه الحادثة كرامة ليس للعميري وحسب وإنما للعلمي كذلك .

واذا عرفنا ان العلوي توفي عام ست وستين ومائتين والثلاث ، واذا
تعرفنا كذلك ان العميري كان يعيش في عهد المولى عبد الرحمن (1) لانه
تبعه ، فانا نستطيع ان نجعل وفاته في منتصف القرن الثالث عشر .

والدارس للشعر العربي لا يلبث ان يلاحظ ظاهرتين :

الأولى : ولعلها بـقافية النون ، كما يبدو من هذه القوائد :

يقول في جربة قصيدة يمدح بها سيدي عبد السلام بن مشيش :

أنا ابن أمشي غارا بالرافد كن لي اعوين

یا بدر انبیا اولاً تواری یضوی ما طالبت السعین

بِخَفِيِّ لَهْلَالٍ وَالْمَتَارِ وَالصَّيَارِ الْبَاقِيَيْنِ

(I) تولى سنة 1238هـ وتوفي سنة 1276هـ .

ويقول في أول بيت من قصيدة «الزين» :

هيا هيا وبين يا من ردو السلطان
بسيوف الضمديين لو طاروا ماء حقونى

ويقول في حربة قصيدة له يمدح بها المولى عبد الرحمان :

بوجود السلطان • مولاي عبد الرحمن
عمنا بالاحسان • نجيب فزمانس
من حكم فالبرين ويحترين

الثانية : سيقه (2) الى النظم في «الجفريات» ، وهي — كما سبق أن رأينا (3) — قصائد يتأمل فيها الشعراء أحوال المجتمع والناس ويستنتج منها تنبؤات بما يحتمل أن يقع . ومن جفريات العمري قصيدته التي يقول في أولها ، رامزا بالصوف والمقطن الى طبقات من الناس :

لا اتوطن فالغرب اتخلط لوطن
الصوف امع القطن عاد فابطانا تحت ابطانا
ابرزلها املايس قفطانو

ومنها لاميته التي يقول فيها :

ذاك الولد المهبسول • اصلو من اناضول
الفرخ يشبه احوالو

وقد وجد الناس هذا القول مطابقا لوضع السلطان المولى عبد العزيز بعد أن هزمه أخوه السلطان المولى عبد الحفيظ لأن أمه تركية ، مع أن العمري كان يعيش في عهد المولى عبد الرحمن .

وإذا كانت هذه القصائد تعتمد على الرمز والتلميح والاشارة ، فإن العمري بسبقه الى النظم فيها كان سابقا كذلك الى هذا النوع من الأسلوب في القصيدة الزجلية

(2) حسب النصوص التي وقفنا عليها

(3) انظر الجزء الثاني من فصل «في الحياة» من باب الموضوعات.

يعرف بـ «سيني قدور» (1) ، وهو من مكان من أكبر الزجاليين وأشهرهم أن لم يكن أشهرهم جميعاً ، وهو كذلك من أولياء هذه المدينة. نطمح في مختلف الموضوعات وسرور في التوسل والحكمة والموعظة حتى قد يعتبر نيلسوف الزجل بلا منازع. رثلة من أكثر الشعراء الذين حفظت قصائدهم من الضياع بسبب كثرة انقصادها وتداولها لما له من مكانة في النفوس باعتبار ولايته ، وهي فكرة جعلت من يتذوقه عن كل ما لا يدقون صدوره من الأولياء ، ويؤيدون بالتالي شعره في القول والخبر على حد ما سنرى بعد.

تربطه المشرقي في «الحصام» (2) فتحدثت عن زاوية وبعض كراماته وقال أن «له قصائد عديدة في مدحون الشعر تلي في حضرة الملوك وتنشد في مجالس السرور وتشرق بها الاسماع ويظيب بذكرها وإنشادهما السماع ، احتوت على توحيد عظيم ، ويتنزل بالخمر والسماء وما جعل ناطقاً لامرأة من صفته لكبر» (3)

وأشار إلى أسماء بعض قصائده في التوسل ومدح الأولياء ووقف عند قصائده التي يقول فيها فتوسلا :

ما انتاشي غابني نرجسوك بالجليل

ما انتاشي غابني تغار بالجليل

فذكر أنه كان يريد شرحها ، وفي ذلك يقول : «قلت له يا سيدي عاتني الخدمة لك بيدي أردت أن أخدمك بقلمي إذن لي في شرح هذا التوسل ، ومرادى أن تذكر منافع وجملته كافية من كراماته فأمرني بتراءها عليه وهو سألت ، فلما أكملتها قال لي : من قال هذه القصيدة هي لي ؟ وأم يقل : ما قلها ولا ليست لي ، بل مهما كررت عليه قولتي

(1) قد يختلط اسمه مع اسم أحد أشياخ فاس المصارعين يسمى قدور العنبي ويعرف بـ «طقطقان» وقد توفي منذ حوالي عشرين سنة .

(2) الحصام المشرقي في الرد على أكتنوس المراكشي (مخطوط خزانة الرباط العامة) 5576 من 5587 - 5597 (2597 2597)

(3) ص 25

فى شان شرحها يقول : ومن قال هى لى ؟ ويسكت . فلما لمحيث عليه القول قال لى : ثم وغدا ان شاء الله يظهر لنا ولك ما يكون عند فسكت وما سألته بعد ذلك الا ما يكون من أمر الدهاء الصالح « (1)

وترجمه المؤرخ المرحوم عبد الرحمن بن زيدان فى «أتعاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس» (2) باعتباره من صلحاءها فذكر أنه «عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الادريسي العلمى الحمدونى ... نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى اتخذها بعد وفاة والده زوية وبها أقبر ... وكان رحمه الله من أهل المقامات العالية والاحوال السنية لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لزخرف الدنيا وزينتها كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الاحياء منهم والاموات » (3)

ونقل ابن زيدان عن ابي عبد الله محمد الامين الصحراوي المراكشى فى «مقدمة الارتجال فى مشاهد ومشاعر سبعة رجال» قوله : «قال لى السولى سيدى عبد القادر العلمى انه مكث بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال او يزور الاربعة المتقاربة : سيدى ابي العباس السبتي وسيدى محمد بن سليمان الجزولى وتلميذه سيدى عبد العزيز التباغ وتلميذه مولانا عبد الله الغزواني ، او يقتصر على زيارة ابي العباس السبتي (4) » وزاد ابن زيدان : «وقد لازم دهره طويلا زيارة ضريح المولى ادريس الاكبر وبالاخص يوم الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بمسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة ، و كان ذهابه لزروعون كل جمعة على اثنان له وكان يتطارع على شريف تلك الاعتاب ويتضرع الى مولاه فى تنوير سريره وصفاء باطنه وتطهيره من الرعونات النفسانية ثم بعد مدة لازم داره وصار لا يخرج منها الا يوم الجمعة . وفى آخر عمره لما كبر سنه ووهن عظمه واعتراه ما اعتراه من الجانب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو أربعة أعوام ... ترك حتى الجمعة وكان يتحرى صلاتها بجامع الزيتونة اجد المسجد الشهيرة بمكناس (5) »

(1) ص 289 - 290

(2) الجزء الخامس من ص 336 حتى 352 (الطبعة الاولى - الرباط) .

(3) ، (4) ص 336 . (5) ، ص : 336-337 .

وقد اعتمدت في تحديد مدة جذبه على ما ورد عند الطبيب محمد غريبط - وهو من تلاميذ العلمي وملازميه - في رجز له يسمى «رياض انس الفكر والقلب» قال فيه (I) :

والجذب معه نحو اربع سنين .. وبعضنا به من المستقيمين
ومع ذا سائر الاذكار .. يصدع بالليل وبالنهـار
حتى قضى بقرب فجر الاثنين .. ليلة يوم سادس وعشرين
وذهب ابن زيدان الى أن السلطان المولى عبد الرحمن كان «من خصاصة
عجب المترجم ومعتقديه يذهب لزيارته كلما حل بالخطرة المكنامية ويستشير
في كل مهم عن له ويقف عند حد اشارته ، وقد شاهد له كرامات وخوارق
عادات (2) » .

وقال عنه كذلك انه كان «سيدا حصورا لم يحتلم قط ولا عرف معنى
الالتذاذ كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا في صغره ولا في كبره ، ولا يأكل
دسما ، جل قوته الخبز والزيتون ... وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات
وأسرار وقصده وفود الزوار من سائر الافطار (3) » .

وذكر له من مشايخه : (4) العارف السيد الحاج المختار البقال المتوفى عام
خمسة وخمسين ومائتين وألف ، وسيدى على بن عبد الرحمن المعروف بالجل
دفين فاس المتوفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف ، والشيخ بدر الدين ،
ومولاي الطيب الوزاني ، وسيدى محمد ابن أحمد الصقلي المتوفى عام اثنين
وثلاثين ومائتين وألف ، وذكر له من تلاميذه السيد فضول ابن عزوز والسيد
فضول السوسى والسلطان مولاي عبد الرحمن والسيد محمد غريبط والعارف
محمد بن عبد الحفيظ الدباغ والامام محمد صالح الرضوي وسيدى عمر
بن المكى الشرقى والسيد عبد الرحمن بن التهامي الادريسي الزرهونى
وسيدى العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط .

(I) ص : 337 . (2) المصدر السابق .

(3) ص : 339 .

(4) ص : 342-341 .

ثم تناول شعره فقال : « وما ينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة ، وقد كان له رواة يتلقونه منه ويكتبونه عنه منهم العلامة السيد محمد غريبط والسيد الحاج قاسم بن الحير والسيد الحاج احمد الدقيوق وغيرهم حيث أن المترجم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك قد ضمن تلك الازجال من أنواع فنون البلاغة ودقائق المعاني ما أخرس الفصحاء وأخجل البلقاء وودعها من الحكم والمواعظ والامثال ما سير اولى الالباب وألزم المعاند الحجة . أما تفضلاته فقد أزرت بنسيم الصبا ووسيم الصباح وكلها اما تسمى الحضرة العلية أو النسمة النبوية أو الاكابر من الاولياء والصالحين ، ششمه نشاطا العرب والصحابة التابعين وسلف الامة وخلفها المتقين في تفضلاتهم ففى أشعارهم الفائقة الرائقة لا فيما يفهمه بعض الاوغاد من أنه فى معين لا يحل حاشا أهل الفضل والدين من ارتكاب ذلك والحوم حول ولوج وخيم تلك المسالك . ولو دون جميع ما قال من الازجال لجاء فى عدة أسفار ولكنه منه ما لعبت به أيدي الاتلاف ومنه ما مات بموت حفاظه ومنه ما أحرق على عهد المترجم بأذن منه ، وما بقى انما هو قل من كثر (I) . »

وذكر له من شعره نماذج فى موضوعات مختلفة ، أتبعها قبل أن ينهى الترجمة بذكر ولادته ووفاته فقال : « ولد بمكناسة الزيتون سنة أربع وخمسين ومائة وألف ... توفى عن مائة وأثنى عشر سنة بداه الكائنة بقصر درب ابن العواد من مكناش فى البيت يمين الداخل قرب فجر يوم الاثنين ليلة سادس وعشرى رمضان المعظم عام ستمه وستين ومائتين وألف ، كما صرح بذلك تلميذه غريبط المذكور فى رجزه بقوله :

حتى قضى بفجر يوم الاثنين .. ليلة يوم سادس وعشرين
من رمضان ستمه وستين .. وألف اثني عشر مائتين ثنتين
وصلى عليه بجامع الزيتونة ودفن بدار والده التى صيرها زاوية فيد
حياته بحومة ابي الطيب (2) . »

(I) ص : 340 - 341 .

(2) ص 351 . كذلك ورد تاريخ وفاته ، مكان دفنه فى الاستقصا للناصري ج 4 ص 201 (الطبعة المصرية) .

كذلك كتب عنه المستعرب بورى بحثا بيوغرافيا في مجلة هسبيريس (1) ذكر فيه أن سونيك نشر قصيدة للعلمي في «أغاني المغرب العربية» (2) عن المسجلة في الرقم الثاني عشر ، وإن فيشر في مجموعة الاغاني المغربية التي نشر (3) اورد له قصائد في الارقام السابع عشر والسادس والعشرين والثامن والعشرين والرابع والثلاثين وإن كان لا يذكر اسماء مؤلفي أغاني مجموعته . ثم نقل كلام الناصري في «الاستقصا» عن وفاة العلمي وبعض ما جاء في ترجمة ابن زيدان له . كما نقل من مؤلف للشيخ عبد الحي الكتاني كان أطلع عليه عنوانه «مواهب الرحمن في صحبة القاضي أبي محمد عبد الرحمن» أن العلمي توفي في السنة السادسة والستين ولكن عن مائة وعشرين سنة وأنه كان على اتصال بقاضي الجن شهروش الذي كان صديقاله وروى بورى عن شخص من فاس الجديد حكاية مفادها أن العلمي كان حاضرا في أحد الاعراس ، ورغب بعض المدعوين في الاستماع الى قصيدته «طامو ابهيح الخدادا» ولكن المنشد لم يجزؤ على تلبية هذه الرغبة لانه كان يعرف أن صاحب القصيدة موجود وأنه لا يليق انشاد قصيدة غزلية في حضرته ، وعلم العلمي بالامر فاذن بانشادها مؤكدا أنه لا يعرف لا طامو ولا نطومة .

وختم المستعرب المذكور بقائدة عشر عليها في كماش يضم قصائد للعلمي يقول كاتبها ان السلطان المولى عبد الرحمن أراد أن يعرف ان كان العلمي في أواخر حياته مازال ينظم فبعث له وزيره سيدي محمد بن ادريس يطلب منه بعض قصائده تبركا ، وقابل الوزير اول الامر تلبية محمد غريط . فأكد له أن الشيخ لم يعد يعني بالنظم ، وكذلك قال العلمي نفسه للوزير ولكنه أبدى استعدادا لتلبية رغبة السلطان التي اعتبرها أمرا تجب طاعته وطلب من السيد غريط أن يكتب ما يمل عليه ، وأخذ يرتجل القصيدة التي أولها :

- 1) M. T. BURET : Hesperis 1038 1er trimestre, dans ; communications « Sidi quaddur El-Alami - Notes biographiques »
- 2) Sonneck : Chants arabes du maghreb
- 3) A. Fischer : Das liederbuch eines marokkanischen sangers (Leipzig 1918)

عشق لجمال طبع اغزير افمن هو البيب

ولعلنا من خلال هذه الاخبار ومن خلال ما يروى على السنة الاشياخ وعامة
الناس ، ثم من خلال ما وصلنا من شعره ، وهو غير قليل ، نستطيع أن
نتحدث عن العلمى من خلال خمس نقاط :

الاولى : أنه كان شاعر الحكمة الاول وفيلسوف الزجل دون منازع
ولكن يبدو للكثيرين أن فلسفة سلبية يائسة تقوم على التشاؤم من الناس
والحياة : والواقع أنها ليست كذلك أو بالأحرى ليست دائما كذلك . حقا
إننا نجد روح التشاؤم تطفئ على العلمى فيرى أن كل أبناء جيله مطبوعون
بطابع واحد ، فثما فيهم النفاق والتحايل والخداع والرياء وانعدام الاحسان
والصدق والحياء والعرض والحسب ، وهى كلها علامات الخراب :

هاذو اشروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

.....

بالحيلة والمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

.....

مذهبيهم ندرية ختمت اولاد جيلنا كاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الريا ولحسن اغبر والصدق غاب

واترثع لحيا والعرض والحسب

ويرى أن الصحبة غدت وسيلة للاغراض وأن من يصاحب شخصا

يريد أن يشمت فيه بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصحبا اسباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

.....

غير تركن لو يغدر فيك

ما يخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

وهو لهذا يرى ضرورة معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلطف ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجده حتى رايك لالرفقا والشدا ابخاوتو يستعان

ولكنه لا يلبث أن يعتدل في نظراته فبرى أن الحياة لا تخلو من الحلاوة

والمرارة ، فيقول في قصيدة «الدار» :

يوم اشتوق ويوم احلو ويوم زقوم .. ويوم مستعدل بين الطيب والزها

ويقول في «طامو» :

معلوم كيف ما دامت رخفا ما تدوم شدا

هذا امواجب احكام اصروف الدهر

يوم احلا من طعم الثمر

ويوم كمثل الحنظل مر

ثم ان فلسفته لم تكن دائماً سلبية حيث نجده يقدم نصائح ايجابية

في أدب السلوك يدعو فيها من أراد السعادة أن يتحلى بخمس خصال ويتجنب

خمساً أخرى ، ن يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة والقناعة وترك الملام ،

وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من احفظ خمساً دالحسنات حفظ محكام

أفيه رسخوا كرسخ الوشم الفلعا

الصمت والعزلة والهدنة وترك الملام .. ولقناعاً من كاسبهم امن ابنادم

يعتدل ميموتو والسعد له يستقام .. يرتفع بعد الخفض الهمة الضراغم

ومن اترك خمساً السيئات ترك عزام .. من اجملت المحروم الى اعليه حارم

الحسد والكبر والجفا وضيق لشيام .. والطمع بيت الدل امناصب لحشام

كل سيا من ذا السيئات ضر سمم .. فاق سم الحيات الرقط السوادم

الثانية : ان العلمى كان ينظم في الغزل ، ولكن الناس يذهبون الى أن

هذا الغزل غير حدى لم يقصده الى المرأة ، ويحاولون بذلك تاويله كقولهم

ان قصيدته «طامو بهيج الخدادا» لا يعنى فيها غير قاطمة الزهراء ، وقد سبق

أن لا حظناً (I) أن مثل هذه القصيدة لا يمكن أن يكون قالها بنى الرسمول

ونمها مثل هذه الابيات .

بتنا ويات الخمر يتزادا

(I) انظر فصل المرأة من الجباب النامى .

لا عدو لأواشي لا حراز احسيد
فبساط امحتفل مركادو
الكاس والشمع موقود
ليا ادراعها بات اوسادا
وريقها بات اشرايى انرشفو الذيذ
بشربو امن احلا تورادو
غفران ربنا موجود

وتحن حين نذهب الى هذا الرأي لانريد أن ننقى عن العلمى صلابة
وولايته ، ولكننا نريد فقط أن نجعل فى حياته مرحلتين : الاولى مرحلة
حادية كان فيها يعيش حياة انسانية ، يحب ويستمتع بحبه ما أمكنه ، وفيها
نظم قصائده الغزلية والخمرية ، ولعل الشعر الذى ذكر ابن زيدان أنه
أحرق بأذنه كان صادرا عنه فى هذه المرحلة . والثانية مرحلة زهد وانقطاع
عن الدنيا وابتعاد عن متعها ولذاتها ، وفيها نظم معظم توسلاته ومدائح
النبوية ومواظمه ووصاياه .

ولعل حادثا ما لا نعلمه جعل الرجل يغير اتجاه حياته ، وان كنا نستأنس
بما ذكر لنا بعض الاشياخ من أنه حين نظم قصيدة «المحبوب» وحربتها :
كيف ايواسى الى افرق محبوبو وبقي ابلا عقل فى ترسام افريد
كيف اجفانى احبيب قلبى ما احلا غير صورته وانعوتو واحتيالو
أمن لا عمرى انظرت زين الملبدر ابخالو
عارضها أحد معاصريه — لا نعرف اسمه — بقصيدة فى مدح الرسول
عليه السلام قال فيها :

كيف ايواسى الى عشق محبوبو وبغى الزيارتو لكن جاء ابعيد
وناكيف اعشقت سيدى العربى ما نهوا غير صورته وابها حمنو..
فكان لهذه المعارضة تأثيرا عليه ، آلى بعدها على نفسه الا ينظم فى غير
الابتهالات والتوسلات والمواظم ومديح النبى والاولياء .

المشكلة : انه كان يقابل احترام السلطان له ومحبة اياه بغير قليل
من التماسه يناديها فى مدحه ومساندة حليه والوفاء للخدمة العلوية . ومن

لامثلة على ذلك قصيدته التي يقول في حربتها :
 غث لعمام ابريج النصر بالقهار * ونقد ادعوتو غالطفاة ولجبايسر
 وقيها يدعو السلطان بالنصر والتأييد ولول العسر حيث يقول في
 اول القسم الخامس :

يا لجليل اكسه حلا ايبتك نسور * واديو بالغاب وكرموا ايما ايسور
 وظفروا بالحكما وله سقم الشور * افكل بقما بارك يا ربنا اقممور
 اجعل ادعوتو دعو فترج لنس الجور * اعلى اصحاب الطوقان يدعوتو البور
 يظهر وفاء العلمي لهذه النولة وملوكها في قصيدته التي يقول في
 حربتها ناصحا بزيارة قبر سيدي محمد بن عبد الله جد المولى عبد الرحمن
 وكان عاصره كذلك :

لذا ابجد لشرف لعمام السلطان * ابن عبد الله كوكب الضرب الجوان

وفي سويرجة القسم الاول منها يقول

يمم للزاويا الشريفيا * واعلى صلاحها تطسوف
 والقها الباهما النظرفيا * تبسط في بابها لكفوف
 وامدح بسرارك اللطيفيا * مولاهم لا غنى يسروف
 يا لجل السيد لعفيف * أمن قسولي أمن الخوف -

الرابعة : أن كثيرا من الاشياخ الرواة يذهبون الى أن بعض القصائد
 التي تنسب للعلمي ليست له وإنما هي بعض تلاوته أمثال الطيب
 الواسطري (1) ومحمد بن هاشم العلوي (2) وعزوز المثنوي (3) ، رغم
 من أشياخ مكناس ، يمثلون بذلك قصيدتين يزعمان انهما من نظم الواسطري

(1) كان من كتاب العلمي ، وقد اشتهر بسرابة ربيعة تعتبر أحسن سرابة
 نظمت في «الربيع» ، يقول في أولها :

فصل الربيع كبل والوقت ازيان * واعلامات الخير للورى بانو
 وله كذلك قصيدة «المحبوب» التي يقول في حربتها :
 أنا فعارك أسلطانى توفى ازارتى * واتفكدي يا عنایتى
 يامن طاعة لك بالقهر لسان

(2) اشتهر بقصيدة «أم كلثوم» التي يقول في حربتها :
 الايمم، فهوای اشبهت الدامي دعنى أو كف خلى أجوارحك اسليما
 واعذر يا لايم حال المذرم

(3) له قصيدة في مدح السلطان المولى عبد الرحمن ، يقول في حربتها :
 صل اعطاك الله النصر يا عز الملوك * مولاي عبد الرحمن

هما «الجافى» و «المزيان» .

أما الأولى فتقول حربتها :

رف ادا بل لعيان

يا بو حجبين امعرقا وزينا

زر لعشيق يزك امن التيهان ياغزيل بستانى

واما الثانية ، فتقول حربتها :

حن واشفق واعطف برضاك ياالمزيان

لاسماحا ميعاد الله يالهاجر

وأخبرنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز أن بعض الشعراء كانوا

حقيقة ينظمون وينسبون للعلمى ، ولكنه كان يقول فى حقهم داعيا عليهم

بالفقر والمرض والموت على غير ملة :

«الى ايقولنى شلا قلت الله ايرزقو القلا والعلا والموت من غير ملا» .

وذكر لنا الشيخ الدراز كذلك أن الطيب الواسترى حاول أن يضيف

لاحدى قصائد العلمى الادريسية هذا العروبي :

ياناظر ذا البيات بشعاع المقلات

اقرامم بالتبات تصطاب اكلامى

اتصيب من التقات لى جيبك احلات

اثمين للدهات كالبدر السامى

مضيون عل لوشات بسيفوف وحربات

مفهوم للدهات عراف انظامى

للحافظها احلات وللكاتب زهات

والسامعها ادوات

قالت افوهاى يوجب عنى انقول ربحو العلمى

وعلم سيمدى قنور بذلك فقال له فى انكار: «واش انا شكارتى اخوات»

يقصد : هل خوى وفاضه حتى يحتاج لغيره يكمل له . وفى هذا مايرجح أن

تكون القصيدتان المذكورتان للعلمى وليستا للواسترى كما يظن .

كذلك وجدنا بعض الاشياخ يخلطون بين قصائد العلمي وقصائد أحد معاصريه ، واسمه محمد بن الوليد التميمي الدرعي العلوي ، وهو من كبار الزجالين ، وقفنا على غير قليل من شعره ، ولكننا نستبعد هذا الخلط لأن ابن الوليد يذكر اسمه في كل قصائده ، على عكس سيدي قدور .

الخاتمة : ان العلمي لا يسمى نفسه في قصائده ، وهذه حقيقة ؛ ولكننا عثرنا على قصيدتين يذكر فيهما اسمه ، الأولى قصيدة « الشافعي » التي حبرتها :

الصلا والسلام اعلى النهى المبرور « » عدا ما خلق الله اميات الف هرا
فانه يقول في آخرها :

والباحث عن اسميتي بعد السولان « » عبد لقادر اعلام رب الفوقانى
والثانية قصيدة « بسم الفتاح المعبود » وحبرتها :

يارسول الله غشنا يا يمام لرسال
جند بيدي واعتق حالي امن النكايـــــــــــــــــل

فانه يقول في آخرها :

وارحم نساج القصيدة العلمي

محمّد الحراق

ألف عنه تلميذه أبو عبد الله محمد بن العربي الرباطي (1) كتاباً سماه «النور اللامع البراق في ترجمة محمد الحراق» وقفنا منه على نسخة

(1) الدلائل المجاطي المتوفي بالدار البيضاء يوم الجمعة 15 شوال 1285هـ (1868م) ، وكان هو أيضاً من الزجالين ، وقفنا من قصائده ومقطوعاته على خمس ، كلها في الصلاة والذكر ، وفي أول إحدى هذه المقطوعات يقول مخاطباً شيخه الحراق :

مير لغرام أساقى هيج اشواقى « » ناديت يا حراقى يا بابـــــــــــــــــا
هاذ لدام الباقي يروى اذواقى « » والوقت حين ايلاقى يا بابـــــــــــــــــا
اذا تعربت الرافى تزها اخلاقى « » فسبيل حل لنواقى يا بابـــــــــــــــــا

مخطوطة بمكتبة تطوان العامة تقع في سفر متوسط ، وهو عبارة عن مجموع يضم رسائل الحراق وتقايدده وقصائده وشروحه لبعض كلام العارفين ، جعله المؤلف على خمسة أبواب وخاتمة :

الاول : في الرسائل .

الثاني : في الحكم .

الثالث : في التقايد على آى قرآنية وأحاديث نبوية وكلام بعض أئمة الصوفية .

الرابع : في قصائده وتواشيحه وأبياته ومقطعاته مرتباً بذلك بحراً بحراً .

الخامس : في شروحه لبعض كلام العارفين وذلك كالصلاة المشيشية والحزب الكبير لابی الحسن الشاذلى وبعض كلام القشستري ونبذة من شرح الحكم العطائية .

الخاتمة : ذكر فيها بعض دعائه وقصائده مدحه بها بعض تلامذته .

ثم ان المؤلف صدر كتابه بمقدمة عرف فيها بالحراق قال فيها عنه أنه «العلامة القدوة الفهامة مصباح الظلام وحجة الاسلام شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شريف النسبتين ومفتى المذهبين الشريف الحسنى القطب الربانى أبو عبد الله ... محمد بن محمد الحراق» (1) وأنه كان «اماماً جليل القدر متضلعا فى علم الظاهر والباطن انتهت اليه فيه الرياسة مشاركا فى فتونه من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعقول بجميع فنونه» ، اما الادب والشعر كاد ان يتفرد به فى عصره قد شهد له بذلك كل من عاصره او خالطه أو وقف على كلامه (2) .

وتحدث عن طريقته التى أخذها عن مولاي العربى الدرقاوى (3) فقال بأنه جعلها «بين شريعة وحقيقة حتى سهلها للسالك ونهجها فى

(1) ص : I .

(2) ص : 2 .

(3) أبو عبد الله محمد العربى الدرقاوى 1150 - 1239 هـ .

أوضح المسالك وأتى فيها بالعجب العجيب من علم الإشارة بالظف بيان وأوجز عبارة وكشف غوامض من اشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم وأسس طريقته على أربع قواعد : ذكر ومذاكرة وعلم ومحبة (I) « وقد أخذ هذه الطريقة عن الحراق » خلق كثير لا يعد كثرة من طلبه العلم وأعيان الناس وأهل الاعتناء بدينهم من حاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كتدر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداش من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان . وأما شفشاون فكاد أهلها كلهم ان يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده الى ان بلغ الى الرباط مع أنه لم يصلها بنفسه (2) . واستمر يدعو الى طريقته « الى أن توفي ... يوم واحد وعشرين من شعبان سنة احدى وستين ومائتين وألف ، فتحصل ان مدة عمره ثلاث وسبعون سنة .. وفي رواية عن بعض ملازميه ان عمره خمس وسبعون سنة (3) .

وللحراق ديوان صغير (4) متداول يضم سبعة أرجال وعددا من الموشحات والقصائد المغربية ، وهي في أغلبها مقطوعات قصيرة في حب الرسول عليه السلام والتغزل في حضرته والسكر من خمرته ، أنشأها لاشك لتنتشر في مجالس الذكر وحلقاته ، على حد قوله في ذكر الحبيب وان حبه يشقى من داء الاوهام ويضيء الوجود ويجلي ظلمة الحب :

الحب احقيق للقلب ادوا :: يشفيه امن اسقامو اوهام—
به الوجود كلو يضر—وا :: من غسق لهما وظلام—
وعلى حد قوله كذلك وقد تم له الوصال مع حبيبه وأشرق نور بهائه فنسى كل شيء :

(I) المصدر السابق .

(2) ص 10 وتجدر الإشارة الى أنه توجد بالرباط زاوية يطلق عليها «الزاوية الحراقية» يجتمع فيها فقراء هذه الطائفة وهم فرقة من درقاوة .

(3) ص 12 ونشير الى أن السيد التهامي الوزاني ذكر الحراق في اماكن متفرقة من كتابه «الزاوية» (مطبعة الريف تطوان 1942) ضمن منشورات مكتب النشر .

(4) توجد منه طبعتان : احدهما على الحجر بفاس ، والثانية من نشر وتوزيع مكتبة المعارف بمكناس .

جـاد اعلـيا برضاہ

لحبیب الی حیثو ۞ زارنی وانعم لی ابلوصال

حین اشرق نور ابہاء

کل شی بالقہر انسیتو ۞ یا ہلی عقلی اذا شفتوہ زال

ما بیا غیر اہواء

ومن قوله فی الخمر الصوفیة :

اغتم کاسی الراح ۞ ہاحبیبک زار

اسبق او دور ۞ انصف الشـرور

طول الدهور

صل الشراب ۞ فالنکد غاب

والخبر صاب

رشف لکواب ۞ امع لـحبـاب

عین الصواب

فازہا فیامک ۞ لـر اتعیش انہـا

نظرا فالحبیب تمحی کل اجرايم ۞ والرحمن اکرم یالی نرجسـا

اذا مارضی ماتنفع اعزایم ۞ لوبعمال الخیر کلہا تلقـا

أما موشحاته فمنها هاته التي يقول في أولها :

زال عن قلبی تولہ الفنا ۞ وصفا أمری

اذ غذا لی کل ربع وطنـا ۞ وانتفی تـکـری

کل ماء قد حوته شربتی ۞ فأنـا ریان

لست یوما احتسی من خمرتی ۞ وأنا نشـوان

من رآنی ثابتا فی حیرتی ۞ ظننی وسنان

وأما قصائده المعربة فأشهرها وأطولها ثائيته التي يستهلها بهذه الايات:

أتطلب لیلی وهی فیک تجلت ۞ وتحسبها غیرا وغیرک لیست

فذا بلہ فی ملة الحب ظاهـر ۞ فکن فطنا فالغیر عین القطیعة

ألم ترہا القت علیک جمالہا ۞ ولو لم تقم بالذات منك اضمحلت

أصله من امدغرة بتافيلالت كما هو واضح من اسمه ، ولكنه نشأ وعاش
 في مدينتي فاس ومراكش ، وكان صديقاً للامير سيدي محمد بن عبد
 الرحمان وملازماً له أيام الدراسة ثم حين ولاء أبوه الخلافة ، ولكنه لم
 يدرك عهد سلطنته لانه توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف قبل أن يتولى رغبة
 الامير الملك بأربع سنوات (I) -

وتحتل هذه العلاقة واضحة في غير قليل من القصائد قالها المدغري
في صديقه الأمير ، منها قصيدة «غزيل» التي يقول في حبرتها :
دام الله أجمال صورتك يا شادي انت اعنايتي واماــــــــــــــرادي
اغزيل يا سالب من جا ايصيندو زنجار في عين حاسدي سيدي محمد

(I) في «اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» لابن زيدان (ج 3 ص 573) أنه توفي بفاس ضحوة يوم الأحد 2I محرم 1273 ؛ وقد ذكر لنا الاستاذ عبد السلام بن سودة أنه سجل في وفياته المسماة «اتحاف المطالع» أن المدغري توفي سنة 1271 .

ولم يكن المدغرى ينظم فى الزجل فقط ، وإنما كان ينظم فى الشعر
المعرب كذلك . قال عنه المشرفى فى «الحسام» مبرزاً مكانته عند الأمير ومدى
ذوق شعره : «هو الشاعر الملقب الحائز لفصاحة المغرب والمشرق ، ملجونه
من الهموم يبرى ، وموزونه على أبحر الخليل يجرى هو والله واسطة عقد
الدهر فى صناعة الشعر الملحون والموزون ، كان بهما يسلى قلب المحزون ،
شاعر تاج الدولة العلوية المنسوب اليه والمشهور به لانه الذى جذب بضبعه
ورفع من قدره وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار شعره فيه سير الشمس
والقمر وطار كلامه بالملحون فى البدو والحضر وكادت الليالى تشده والايام
تحفظه «I» .

ثم ذكر له من شعره المعرب قصيدتين طويلتين (2) فى صديقه
الأمير :

الاولى قالها حين ختم جامع البخارى ، مطلعها :

حديثى غريب عن تواتر لوعتى * وأمرى عجيب عن غرامى بميتى
روته عدول عن تلاق وسجلات * سجدوا بأخدود الخدود وأدت
وأثبت قاضى الوجد رقى بجيرتى * وقد كان رقى ما نويت بهجرتى

وفيهما يقول متحدثاً عن البخارى :

تراجمه كأنما النخل أينعت * قلائدها لم ازدت وتدللت
وأحكامه الوفاة التبر أحكمت * يداها لعمري منتقى كل حكمة
الا واضربوا أكبادكم لصحيحه * وجدوا كما جدت مطى الاعنسة
والثانية أنشأها بمناسبة ختمه كتاب اقليدس (3) سنة 1271 ، يقول

فى أولها متحدثاً عن الهندسة :

برزت على قدر لنا أشكالها * من خدرها فى طيها أشكالها

(1) ص 380 - 381 (المصورة 1207)

(2) الاولى وارده فى ص 381 - 382 - 383 (المصورة) والثانية فى ص 271

272 - 273 من المخطوطة لـ 2276

(3) وهى وارده كذلك فى «اتحاف أعلام الناس» (ج 3: ص 575 - 576)

وحكت مقالاتها المقادر بعدمسا * صحت نتائجها وصح مقالها
 أشكالها تحكى قباب محللة * تحت الخليفة خيلها ورجالها
 أوخلتها شجرا صغيرا مسمرا * فاجن الثمار ولو أبى عدالها
 أو خلتها خيلا بدت عريضة * يرباطها قبل العدا أبطالها
 ما شئت من قوس رأت أو تارها * ترمى البغاة سهامها ونصالها
 رنت وأنت نرى فنا أفكارها * وحمت مناشرها الحما ونضالها

الى أن يقول :

فانظر لهندسة ثلاثي حننها * لولا الخليفة ما بدت أضلالها
 لولا الخليفة بثها فى غربتها * غربت ضعيفة شمسها وخيالها
 وعلى هذا النحو يستمر فى إبراز ولع الخليفة بالهندسة وحياته لها
 ولعل شهرة المدمغرى فى الزجل طفت حتى غطت على ما سواه ، وهى شهرة
 لم يدركها غيره حيث كان يعتبر شاعر المرأة والخمر الاول ، ليس فى هذه
 الفترة فحسب وإنما على كل فترات الزجل ، ويعتبر بالتالى أكثر الشعراء
 قبولا لدى الجماهير ، وهى ظاهرة جعلت كثيرا من قصائده يصل إلينا سواء
 عن طريق الرواية أو التدوين ، على أنه من المؤكد أن بعض شعره قد ضاع
 أو اختلط مع شعر غيره لانه لم يكن يذكر اسمه فى قصائده . وقد سبق
 أن رأينا (1) فى سبب ذلك أن صديقه الأمير كان ينظم الزجل كذلك وكان
 لا يريد أن يعرف ذلك عنه ، ولعله كان يخشى من والده ، فاتفقا على أن
 ينظما القصائد دون ذكر الاسم على غير عادة الزجالين حتى تنسب كليهما
 للمدمغرى ، وهذا ما جعلنا فى ريب من أمر غير قليل من شعره ، فليس من
 شك فى أن بعضه من إنتاج سيدى محمد بن عبد الرحمن ؛ فقد ورد أنه
 «برع فى نظم الأزجال وفاق ، يأتى بالتخييلات العجيبة والتشبيهات البديعة
 والنوادر» (2) وقد تنبه بعض الاشياخ لذلك وحاولوا تحديد بعض هذا

(1) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

(2) الاتعاف ج 3 ص 333

الانتاج ، فذكروا منه قصيدة «عزبا وشابا» (I) فانهم لا يرونها للمدغرى
— وان نسبت اليه — ويقولون ان سيدي محمد بن عبد الرحمن نظمها على
اثر زيارته لاضرحة فاس عشية يوم جمعة وكان قد شاهد في طريقه بزقاق
الحجر فتأتين تطلان من شباك . وهذه القصيدة تقول حربتها :
أنا عشميت الجمعا شاب أشبابي * هلكتني عزبا وشابا
من شاهدهم يسخا بشبابو

ومثلها قصيدة «الزهو» التي يكاد يجمع الحفاظ على أنها لسيدي
محمد وليست للسي التهامي ، وهي التي أولها :
الزهو في طبلا حسن * لبرارد زوج وكيسان
لوتهم يهوانني * احكيتهم خرجت بلعمان
ولسنا في حاجة الى الكشف في هذا الفصل عن شعر المدغرى ، فقد
بسطنا عنه القول في باب الموضوعات ولا سيما ما يتصل منها بالمرأة والخمر ،
ولكننا — تماما لذلك — نضيف بعض الجوانب عساها تكمل التعرف اليه .

أولا : كان المدغرى ولوعا بقافية الحاء الى درجة لقب بـ «حياح الحاء»
ويحكى أنه سئل عن ذلك فأجاب بأن هذا الحرف يجسم كل أحوال الانسان
وأنه . قاسم مشترك بين المتعة والالم لان الانسان اذا ارتاح أو التذ قال :
«أح» واذا تألم أو تعذب قال «أح» كذلك : والامثلة على ذلك أكثر من أن
تعرض ، فجل قصائده على هذه القافية : ونكتفي بالاشارة الى قصيدتين :
الاولى «فارحا» ، وفي حربتها يقول :

دسني تحت لخلال بين ادروعك لملاح
واللبا والدواح وانهداتك تفاحا
خفت ايشوفوني ابجرحوني يا فارحا

الثانية «رابحة» وفي حربتها يقول :

(I) ونسبى كذلك : «عشية الجمعة» .

زين الدواح عطفى بالغزال رابحا

يا عين الدامى السارج أطاوس فادواح

يا بدر اضوا ايكوكب اوضيح

وقد دفعه ولعه بهذا الحرف الى أن يتخذ منه قوافى داخلية ، كما هو واضح فى الحربتين ، بل ان هذا الولع جعله يقع فى عيب من عيوب القافية (1) ، وهو ألا يكون حرفها موحيا بالموضوع ، ويتبين لنا ذلك من قصيدته «زينب» التى يقول فى حربتها :

زينب كثرى وارباحى * زينب للمقلب اصلاحى
زينب زهوى وافراحى * زينب للسعد افراحى

فقد كان لازما ، حتى تسلم القافية من هذا العيب ، أن تكون على حرف الباء ، ولكنه أتى بها حائية . ومثلها كذلك قصيدة «طامو» التى يقول فى حربتها :

تصرو رايت لكفاح بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفر والغنج الدباح

طامو يا قوت الروح

فهى على حرف الحاء ، وكان يجب أن تكون على قافية الميم .

ثانيا : سبق (2) المدغرى الى «النشپ» (3) وهو استهلال البيت بكلمة أو شطر من البيت السابق عليه ، ويتمثل فى قصيدته «فارحا» على حد ما يقول فى القسم الثانى منها :

رفدى ياللا الطايح * بهواك اعييا ابقولت أح
ما بين الهيص والنواح * سرو بين لحسود بايـح
كدامك يالمالحا

سرو بين لحسود بايـح * يا كنز الكنز والريـح

(1) انظر الجزء الخاص بالقافية من آخر فصل فى الباب الاول (قوافى صيادية)

(2) على ما نعلم .

(3) انظر الجزء الثانى من فصل «الغنة والغنية» بالباب الاول .

ياروح الروح والنجاح ❖ يا دامى فالفجوج سايج
بين ازهارو اللامحا

يا دامى فالفجوج سايج ❖ كمن مفروم بك ساح
حس الخلخال به صاح ❖ صاح الخلخال والدواوح
فى تحياح لمكايحا
صاح الخلخال والدواوح ❖ من حسو ما يلى انجاح
ما ريت الفاه فاكبحاح ❖ فالليل اييج اللوافح
وسط المهجا اللافحا

فالليل اييج اللوافح ❖ ما يقبل غالهي الحاح
رحمى يا رايس للاح ❖ رحمة الله الذى ايصافح
ويدارى بالمصافحا

ثالثا : كان المدغرى بارعا فى نظم السراب ، ويحفظ الاشياخ
منها سراية يعتبرونها من اروع ما نظم فى هذا الفن ، يقول فى أولها :
أنا الى ابلغرام قلبى مجسروح ❖ ولهوا منو فاني ما جبرت راحا
أش اعمالى انبات مجروح انوح ❖ طول داجى وادموع انواجلى سياحا
من فلكد الى اهويت نعت الدبوح ❖ ياترى تعطف لى واتجود بالسماحا
رابعا : يظن الكثيرون أن المدغرى لا ينظم الا فى الغزل
والخمريات ، ولكننا وقفنا على بعض قصائده فى غير هذين الموضوعين ،
نذكر منها :

1 - قصيدة «ربيع النبوى» نظمها فى ذكرى مولد النبى عليه السلام ،
يقول فى حربتها :

لله الحمد جاد من هو فتاح ❖ فاتح البيان ابمفتاحو
مفتاح الخير والرضا والرحما الفتاح

2 - قصيدة فى مدح «العروة الشريفة» يقول فى حربتها :
ابهاك اشهد لجباحك ❖ صفى امصفيا واصفيا من برهمان
شهدا من طيب امصالك ❖ شهدا امصفيا من نسب قرشيا
3 - قصيدة فى مدح الاشرف ، يقول فى حربتها :

غاراً مولاي ادريس بن ادريس أمفتاح الغرب والشريف الفيلاي

سيدي مولاي علي الشريف الينبوع خصال

وقد استطاع المدغري بهذا وغيره أن يشغل عصره ويغطي على كثير

من الاشياخ الذين عاصروه ، نذكر منهم :

I - ابن ابراهيم : وهو من مراکش ، وقد اشتهر بقصيدة «مباركة»

التي يقال انه رمز بها لمكة المكرمة ، وفي حريتها يقول :

حرمت نعم لغنى المالك : ديري ياللا امعاك

شرح المولى ايلا اهداك

نستحسن في ابها اجمالك : أمولاتي امباركا

2 - الفقيه ابن الفاطمي المراكشي : ذكر لنا الشيخ محمد بن عمر

المراكشي أنه كان صاحب كتاب قرآني بحى ازبسط بمراكش . وقفنا من

زجله على قصيدتي «الرياض» و «الجافي» .

3 - الرجرجاني : وقفنا على غير قليل من قصائده .

4 - الحاج عبد الفضيل المرينسي المكناسي : وقفنا له على قصائده

«جمهور الخودات» و «المحبوب» و «الفصادة» ، وكان تلميذا

للنجار علي حد ما يصرح به في القصيدة الاولى حيث يقول :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسي الا اخفات اخبارو

الذكي تلميذ النجار

5 - علال الكحيلي المراكشي : يقال أنه كان شيخ الاشياخ في مراکش،

له قصيدة «زهير»

6 - محمد الحبابي الفيلاي : اشتهر بقصيدتي «مباركة» و «حنانة» .

7 - محمد الشاوي : من أشياخ فاس ، وقفنا من قصائده على

«الحراز» و «صارم الطعن» و «عيشا» و «الوصاية» وقصيدة خامسة فسي

الهجاء .

8 - الطاهر فعيبي : لعله من مراکش ، لم نقف من شعره على شيء .

9 - الجيار : ولعله من مدينة الرباط .

10 - الفقيه القرعبي .

II - أحمد امريفي المراكشي : ذكره الادريسي في «كشف الغطا» فقال انه كان شيخ الاشياخ (I) له «زينب» و «راضية» و «وأمنة» . ذكر لنا بعض الحفاظ أنه كان من العلماء وأن له قصيدة «الخادم والحسرة» وقصيدة «بستان الفكر» يقول في حريتها :
دير الوجهك امرايا شف صنعت الله

I2 - أحمد ابجيوات : وقفنا من زجله على قصيدتين : «عرصة الرضا» و «غاطمة» .

I3 - أحمد بن علي الغنيمي : ترجم له محمد الكانوني في «جواهر الكمال في تراجم الرجال» - وهو القسم الثاني من «تاريخ أسنى ومنا» اليه - «فذكر أنه «كان أستاذا حافظا للقراءات السبع عارفا بأحكامها معروف الصلاح مشهور الاحوال من رجال الفضل والدين والسماحة ، له قصائد ملحونة (أزجال) منها ما هو في المدح النبوي ، ومنها ما هو في أحوال الزمان الحاضرة والمستقبله ... توفي حوالي سنة 1290 ودفن بمقبرة أسلافه» (2)

أحمد الكندوز

من كبار أشياخ الزجل ، وهو من الرباط ولكنه انتقل الى فاس حيث أقام مدة طويلة . كان يعيش في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه سيدي محمد أي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، ويثبت لنا ذلك أن له قصيدة يرثي بها مولاي عبد الرحمن ، وهي التي يقول في حريتها:
الله اعظم اجرنا واجركم يلاسلام فالشريف العلوي

ينبوع الخلم وعلم نعم مولاي عبد الرحمن
وقد امتدت به الحياة حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث عاصر الغرابي والتركمانى على حد ما يثبت هجاء هذا الاخير لهما في أواخر قصيدته «الداعى» حيث يقول :

وللمشيخ الكندوز اخرج فعراضى نحسبو اعقيل وامودب ذوقى صارمو اصقير
واحمد لغرابي افشر لين منو سمعت لعراض او قالوا

وقد شرح لنا الشيخ محمد بن عمر سر هذا الهجاء فذهب الى أن

الغرابلي حين خاطب التركماني بقصيدته التي حربتها :

يالداعي بالعرف اصنع الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفي مولاها

لم يصرح باسمه فيها أول الامر وشيع أنها للكندوز ، ولكن التركماني

عرف أنها للغرابلي فجمعهما في الهجاء . ولم يصف الغرابلي اسمه الى

القصيدة الا بعد أن كشف الامر . وقد علل الشيخ ابن عمر محاولة التستر

هذه باحساس الغرابلي بالضعف والخوف من الشيخ المدني .

ويحكى الاشياخ أنه قيل مرة للكندوز : «انك تنكر فضل ابن علي ،

ولو كان حيا لما جرؤت على ذلك» فقال ينصفه :

قالوا تنجحد ابن علي وشهدو بعقود الزور

ونا لو جبرت الزاد كل يوم انجدد لمزارو

واجب لو يزار .

وربما كان في هذا ما يدل على أنه أدرك ابن علي العمراني وتلمذ عليه.

وقد اشتهر الكندوز في فنين :

أولهما : التضمين والتجنيس .

فقد كان أبرع الشعراء في استخدامهما حتى قيل عنه أنه «رايس

التضمين والتجنيس» . أما التضمين - وهو جعل القافية على أكثر من

حرف - فيظهر في قصيدته «غاسق لنجال» وهذه حربتها :

أيا غاسق لنجال غذبتني بالتيه يا شمالا

زر رسمي يا مول الخال كم لي نرجا لوصال

يقول في أول القسم الثاني منها :

احكم ابتيهانك يا خليل

لكن بعد التيهان جد واعطف

قلبي امعاك نخطف

نبغي ابهاك نقطف

نقطف من الورد الناسم

وانقبل الجبين الواسم

وانقول يا رفيع الاسم
لنا اسمائك احباب

ويظهر كذلك في قصيدته «البتول» التي حربتها :

كبل يا رقاد للرضا واحتال * لوصول بوشفر قتل
السرواح ————— مال * حسن ابهاها لالا البتول
وأما التجنيس فيبين من قوله في القسم الاول من «غاسق لنجال» :

بجفاك عمدا لى عدت انحيل
ما شفق تعذابي اولا امحاني
سيف لجفا امحاني
لعباد لامحاني

فامحاني الاولى جمع محنة والثانية من المحو والثالثة من اللمح (I) .

الثاني : ذكر حمادشة .

وهي قصائد نظمها لينشدتها «حمادشة» في حلقات ذكرهم ، ويطلق عليها «الدرع» ويحكي الاشياخ في تعليل هذه التسمية أن الكندوز لم يكن يعتقد في الطائفة الحمدوشية أو غيرها من الطوائف الطرقية ، ولكن كان له ولد ينتمى لهذه الطائفة ورآه يوما يمر في استعراض الطوائف في حالة حماس وجذب فأخرجه من الصف وحاول منعه من الاستمرار في هذا الاستعراض ، ولكن الولد استطاع أن يفلت من أبيه ويعود الى ماكان فيه . أما أبوه فأصيب للحين في ذراعه التي ظلت مريضة منتفخة تنته من القيح الى درجة أنه اضطر — لشدة الرائحة الكريهة التي كانت تصدر منها — الى ان يعتزل الناس في غرفة عالية . وذات ليلة صعد اليه في الغرفة مؤذن جامع الحى — وكان حمدوشيا — وضربه على ذراعه فكان في هذه الضربة شفاءه ؛ ومنذ ذلك الحين تراجع عن رأيه بالنسبة لهذه الطائفة وبدأ ينظم القصائد للحمدوشيين . والاسف اننا لم نوفق في الوقوف على نماذج من هذه القصائد .

محمد الموقت

من أشياخ مراكش ، ولعله والد المؤرخ ابن الموقت صاحب «السعادة

(I) انظر الجزء الاخير من الفصل الثاني من باب «الشكل» .

الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» . ويبدو أنه كان معاصرا للعمري حيث وجدنا في الكناش الذي وردت فيه زازيته المعروثة بـ «الساحي» تعليقا على هامش الحربة كتب فيه : «على قصيدة الموقت» (I) كأنها قيلت في معارضتها أو الرد عليها . أما الحربة فيقول فيها العمري :
اشروط على لنقلاب بشرا امقلزا * أوجوه اصلاب ولفلوب افتكريز ولجيا انزا
والمسكين بين لشواق كيتحزا
وقد اشتهر الموقت بجفرياتة ، وخاصة قصيدته «الزازية» التي يقول في حريتها :

أمايلني انفيدك ابكافر باريز * استغد أكن عايق واتبغ الغرزا
وله كذلك من الجفريات عروبي مشهور تحدث فيه عن الواقع المؤلم الذي أصبحت عليه الأحوال ، يقول في أوله :
سبحان الله صيفنا ولي شتوا * وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف

مولاي علي بن أحمد شقور الحسني العلمي

ذكر لنا السيد هاشم السفيناني الشاوتي أنه ولد بالشاون «شفشاون» سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف وأنه توفي بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف حيث دفن بزواية تعرف باسمه لازال أتباعه يقيمون بها حلقات ذكر كل يوم جمعه . وذكر لنا كذلك أنه كان نساجا ويمارس الفلاحة والبيطرة في نفس الوقت وأنه كان ولوعا بالطرب يعرف على آلة الكمبري . وحين زار السلطان مولاي الحسن الاول مدينة الشاون سنة سبع وثلاثمائة وألف أعجب بالشيخ شقور فاستضافه مع عشرة من رفاقه المطربين مدة تسعة أيام في قصره بفاس ، وأهداه وصيفا وكسوة وبغلا وخمسمائة ريال وأخرج له مردود «قاعة» (2) الشاون ، كما أهدى كسوة لكل من رفاقه . وكان الشيخ شقور يطعم من هذا المردود فقراء المدينة كل سبت حيث يقدم لهم الخبز «والبيصارة» (3) بالزيت .

(I) انظر الكناش المخطوط بخزانة الرباط العامة رقم : 165 قصفحة 509

(2) السوق الخاصة ببيع السمن والعسل والزيت .

(3) شربة الفول ، وينطقها أهل الشمال بفتح الباء.

ويعتبر مولاي على شقور من كبار أشياخ الزجل فى الشاؤون ،
وقد ترك وردا لاتباعه وديوانا صغيرا يضم أربع عشرة قصيدة ومقطوعة
معظمها فى الذكر والشوق لحضرة الرسول عليه السلام والسكر من
خمرة . وقد تفضل السيد السفينى فانتسخه لنا عن مخطوطة لديه .
ومازال أتباعه فى الزاوية ينشدون هذه القصائد ويذكرون بذلك الورد .

يقول فى احدى مقطوعاته :

بسم لكريم نظرا فيكم	•	وهو الحاكم فيكم
سبحان امن اتجلى فيكم	•	كريم الا يتنوم
لا تصحب من لا ايدوم	•	لا بد ايفر بك النوم
يا وافى كل مظنون	•	يا معاهد لفنون
ما بين الكاف والنون	•	اذا يقول كن اكون
لا اله الا الله	•	لا اله الا الله
والله بالله يا لله	•	ما يكون غير ماكون الله

ويحفظ أشياخ الشاؤون قصيدة فى مدح مولاي على شقور من نظم
محمد العملى ولد زيطانة ، يقول منها فى نفس جفرى :

مولاي احمد اعلا امقامو	•	اهدى اهديا امن امكانو
امحابق من اشغلنا	•	موكلا ولات ابلقنا
هل الضلعا اتغنو	•	فالصولا ارجعنا للحران

كذلك يحفظون فى مدحه قصيدة معربة لعبد الهادى الصقلى ، يقول
فيها :

وتحية أنسية قدسية	•	تهدى مع الرضوان فى المنشور
لفريد هذا العصر قطب زمانه	•	ووحيد المنصب المشهور
بحر المعارف والعوالم شمسها	•	من أشرقت أسرارها كالنور
ذاك الوالى الواصل الفرد الذى	•	حاز العلا مولى على شقور

شاعرتان من شفاون

أخبرنا عنهما صديقنا الدكتور عبد السلام الهراس :

الاولى : الشاعرة التوردانية

وهي ابنة الفقيه التورداني (I) الشفشاوني ، كانت تعيش أيام سيدي محمد بن عبد الرحمن وعمرت حتى أدركت عهد الحسن الاول ، وكانت تنظم الشعر ملحوناً ومعرباً ، وكانت متزوجة بالمسيد أحمد بوجنة ، ومن أبياتها في مدح امرأة ريسونية اسمها العزيزة بنت أحمد ، وكانت جميلة وغنية :

للاعزيزا يابنت احمد * يابنت الجاه العالي

الثانية : الشاعرة الوردية

من اسرة الوردية ، وما يحفظ لها قصيدة في مدح سيدي محمد بن الحسن الريسوني المتوفى سنة 1131 هـ تقول فيها :

المقطب لهمام * شافتو عيني افلمنام
لابس لحريير * دايرتو خضرا

أحمد بن علي الدكالي السلاوي

ترجمه والدنا حفظه الله في الجزء الاول من كتابه : «أعلام الفكر المغربي المعاصر في العدوتين : الرباط وسلا» فقال انه : «كان ذا زهد وورع وتعفف مع أدب وفكاهة ، يحسن علم التوحيد ويتقن التلاوة ، وله معرفة بالملحون على اصطلاح أهله .. وهو جد المؤرخ الكبير أبي عبد الله محمد بن علي الدكالي .. أخذ عن جماعة كالعلامة العربي أحضري والعالم أبي عبد الله ، وكان أديباً متقناً ، توفي عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف» (2) .

وأخبرنا الشيخ بنعيسى الدراز أن ابن علي كان من كبار زجالي عصره وأنه كان من جلساء السلطان الحسن الاول وأنه اشتهر بقصيدته «زينت الغبا» التي يقول في حريتها :

يا زينت الغبا حزت من لغزال الرثبا

يا توكت الرثبا نسل لقراهب

زينك ورانا اعجايب واستولى ابلحكام عل لقلوب

(I) اندثرت هذه العائلة من شفشاون . (2) مخطوط المؤلف ، ص 51 .

الحاج إدريس بن علي السناني لحنش

أكبر شعراء الزجل بعد التهامي المدغري ، كان ينظم في كل الموضوعات فيجيد على ما يبدو من النماذج المتعددة التي مثلنا بها من قصائده في «باب الموضوعات» ؛ وأغلب شعره محفوظ . وهو من العلماء المؤلفين ، له رسالة بعنوان «المقامة المغنية عن المدامة المسماة بروضة المدامة والايناس في لطف محاسن وادي فاس (I)» ، وله كذلك ديوان من الشعر المعرب أسماه «الروض الفائق بأزهار النسيب والمدايح (2)» تقتطف منه قوله في مدح آل البيت: (3)

بربك هل تحت ظل السماء * أناس كأنجمها في السماء
وأبهى من الشمس وقت الضحى * ومن دارة البدر حال الضياء
سوى آل فاطمة اذ لهم * لباب المعالي وكنه العلاء
فمن مثلهم في الوري «منصبيا» * أما قدرهم والسما ذو استواء
وان شئت قل قدرهم فوقها * تكن قد أصبت مرامي السماء

- (I) تقع في ثمانى صفحات مطبوعة على الحجر بفاس .
(2) فرغ من جمعه سنة 1316 هـ ، عدد صفحاة ثمانية عشرة وأربعمائة تضم احدى عشرة وثلاثمائة مقطوعة وقصيدة مرتبة على حروف المعجم . توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة الرباط العامة رقمها 1678 ، وهي بخط ابنه محمد الرضى السناني ، انتهى من نسخها سنة 1327 . كذلك أورد له ابنه المذكور مقتطفات من شعره في كتابه «الشذرات» المسمى «التقاط الفوائد وغرر العوائد» وهو مطبوع في جزئين بمطبعة بوشنتوف في الدار البيضاء (ص 28 من الجزء الاول وص 39 - 143 - 156 - 163 - 164 من الجزء الثاني) وقد وردت له أيضا قصيدة تقريظية بآخر كتاب «الابتهاج بنور السراج» وهو شرح للسيد أحمد بن المأمون البلغيشي على منظومة سيدي العربي بن عبد الله المساري (ص 228 - مطبعة محمد أفندي مصطفى بمصر سنة 1319 هـ) والقصيدة موجودة بالديوان كذلك من ص 225 الى 229 وهذا أولها :

شرحت سعاد صدورنا بمزار * فبدت محاسنها بلا أستار

وقوله متوسلا الى الله (1) :

يا رب عاملنا بعطف شامل * بصباحه ليل المكاره يدمغ
يا رب ألبسنا لباس سلامة * من حفظك الكافي علينا يسبح
يا رب هب أمانا لنا ووقاية * ننجو بها وحمى أمانك تبلىغ
انا تشفعنا بأعظم شافع * قد فاز وجهه في حماه يمرغ

وقوله متغزلا (2) :

يا رب سائلة الاعراف غائبة * مليحة من ذوات المجد والحسب
غزالة قد غزا الأكباد ناظرهما * بصارم سل قصد الفتك والعطب
تخيل كالرمح أو كالغصن قامتها * تلفعت بلباس الحسن والادب

جاءت تميل بكأس الراح قائلة * أجب لكأسك يا ادريس واقترب
فأطربت بلذيد اللفظ واحتجبت * فغاب عقلي لما قد نلت من طرب
حكى لنا بعض الاشياخ انه كانت للحاج ادريس مساجلة مع شيخ سلا
عبد الرحمن بن حمدوش أثناء زيارته لفاس حيث استضافه جماعة من
الاشياخ كان من بينهم الحاج ادريس ، وهو الذي «قام» (3) الاتاي ، ولكنه
حين وزع الكؤوس مد للضيف كأس «التشليلة» (4) فسكت ابن حمدوش
ووضع الكأس بجانبه ونظم قصيدته التي حربتها :

من دق الباب * ما يليه غير اجوابو * غربه من جابو

من ضربتو الضرسا جبا الكلابو

ويقال ان كل الاشياخ ردوا عليه وان الحاج ادريس برز في رده الذي

ضمنه القصيدة التي حربتها :

قصر لعنان يالى غرتو نفسو وطول السانو

وابغى ايكون شيخ ابقوة لغنان

كانت وفاته سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف .

(1) ص : 372 (2) ص : 48

(3) قام الاتاي : هياه (الاتاي : الشاي)

(4) تطلق التشليلة على الماء القليل الذي ينظف به البراد بعد أن توضع

فيه حبوب الشاي . وقد جرت العادة أن يصب في كأس تبقى في

الصينية ، وكثيرا ما تختلط بكؤوس الشاي لاتخاذها نفس اللون .

ترجم له عباس بن إبراهيم المراكشي في الجزء الثاني من «الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام (I)» فنقل ما كتب عنه الحاج عبد العزيز بك المصري في رسالته المسماة «مختطفات الشوق من مقتطفات الذوق» (2)، حيث قال : «اجتمعت بشيخ ذاكر مذكر مغربي الجنس والمقام وأدبي الخلق والكلام يقال له الشيخ أحمد الحداد بن عاشر صحبته رضي الله عنه أياما بعد رجوعه من الحج والزيارة فوجدت في ظاهر أحواله على عمارة باطنه أكبر إشارة ووقع بيني وبينه من المحبة والالفة ما أهلني لأخذ أوراده جميعها من غير كلفة ، وقد كفاني في فضله ما رأيت له من الأوراد والصلوات الإلهامية مع ما هو عليه من الأمية والعامية كما أتى استدلت مما يظهر عليه من الوجد والهيام الذي ينجذب له كل من رآه من الأنام ان الشيخ رضي الله عنه خارج من حضيض أراضى الطبائع والعادات عارج في أوج السعداء والسادات (3)» وذكر ابن إبراهيم أنه وقف له على مجموع أحزابه ويسمى «مجموع الأحزاب وتيقظ أولى الألباب ومفتاح الأبواب لمن أراد القرب من رب الأرباب» وقال انه سكن مدة أربعة أعوام مدينة مراكش حيث قال متوسلا برجالها السبعة قصيدته التي حررتها :

أهل البهجة الحمراء أسيوكم بطار * مال سيفي ما بين أسيوكم قاصه
وفي دخولها يقول :

أهل لحما فحماكم زايكت أوزار * واش عمار اعليكم سربت لفنادر
أليوت الحضرا يا باهيين لسراد * بالنبي نتشفع خير لورى الطاهر
أنجوم اضياها ويا سحوب لطار * للذي أرضو عطشاننا بشوم قاهر
ثم ذكر أنه تولى في تاسع ربيع الثاني عام ست وعشرين وثلاثمائة وألف .

(I) الترجمة 129 من صفحة 271 إلى 276 (الطبعة الأولى - المطبعة الجديدة - فاس)

(2) مطبوعة مع الحزب الأعظم للقاري شارح الشفا سنة 1300

(3) ص : 272

كذلك ترجمه والدنا حفظه الله في الجزء الاول من «أعلام الفكر
المغربي المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا (I) بحيث ذكر أنه دفن بالزاوية
الحرفية بدرب الزهراء في الرباط .

محمد بوزيان

من كبار أشيخ فاس في نهاية القرن الثالث عشر وأوائل الرابع
عشر الهجري . اشتهر باستعمال نسب الكلمة على حد ما تثبت قصيدته
«المحبوب» التي يقول في أولها :

محبوب خاطري من فكدو عمداي عمداي والنوم ضاجر من لنجال
لنجال عل الخد دمعها سلسالي سلسالي تهوا كما لطر هطال
هطال من افرق اليل زاد اهبالي اهبالي من فكد من اهويت اغزال
اغزال اقلبها غيرو ما يحلال يحلال وصلو ايلا انعم ابلوصال

الحاج أحمد الغرابل

من ناس ومن كبار أشيخ هذه الفترة ، كان يشتغل بالدراسة ثم
تركها للاشتغال بكتابة الحروز والتمائم . كان بارعا في «التضمين» كما
يتضح من قصيدته «ملكة» التي يقول في القسم الثالث منها وقد ضمن
القافية حرفي الدال والكاف :

ايلا اوفنا ميعادك
روحى انهب لفداك
ننكى اعداي واعداك
نبغى اتودنى من ودك
وازيارتى اجعلها وردك
حتى احبيب مالى بعدك
يامن اقوام قدك

مرهاف اصقيل هازم اعدوك

ويحد من ايحدوك

اضفاير اسوالف بالطيب اتسيمها ادكا

تسبى عقل الى ايشاهدك

واترصع لدرار دى اتناسب ديك

كذلك كان بارعا فى نشب الكلمتين على حد ما تثبت هذه الاشطار من

قصيدته «عين الرحمة» :

أعين الرحما الرحما يا قرت لنيام

يا قرت لنيام جد لى يا بحر التعظيم

يا بحر التعظيم والفضل يا عين الرحما

وقد كانت له مع معاصره ابن ريسون منافسة شديدة تجلت فى خصومتها

التي سبق أن ذكرناها (I) والتي تدخل هاشم السعدانى (2) لا صلاحها

بقصيدته التي يقول فى حربتها :

الصلاة اعلى الماحى سيد كل ما فالحي ادرج ❖ لفضل طه وازواجـ

زين الفلجـ

وكانت له أيضا مع احمد المدنى التركمانى المراكشى (3) مساجلة

مشهورة دارت حول الايمان والعمل سبق أن ذكرناها (4) ، قال فيها شاعر

مراكش قصيدته التي حربتها :

اللايم خلى لعباد كل واحد فى حالـ

الشهادا بالله وبالرسول تكفى مولاهاـ

(I) الفصل الثالث من باب «الموضوعات» لدى الحديث عن الهجاء

(2) من كبار أشياخ هذه الفترة ، يقال أنه كان يتاجر فى البلغة بسوف

السباط فى العطارين ، وكان له كناش بالدكان يدون فيه قصائده .

ووقع مرة حريق فى السوق فأحرق الدكان والكناش . وقد نقل عنه

أنه قال بأنه لا يستطيع من حفظه أن يعيد كتابته ، وبهذا ضاع غبر

قليل من إنتاجه . وقد اشتهر بقصيدته «دخول وجدة» التي يقول فى حربتها:

يا لاسلام ابكوا اعلى ادخول وجدا ❖ دون حرب اغنمها لعدو ونال المراد

(3) كان درازا بحى أبى صالح بمراكش

(4) الفصل الثالث من باب الموضوعات

وقال فيها شاعر غناس قصيدته التي حربتها :

الداعي بالجهل اصغ الهل العلم وما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ورد التركمانى بقصيدته التي يقول فى حربتها :

الداعي شهيد والشهادا بالله وبالرسول تكفى

واكفات وكافيا وخير فالدنيا ولاخرا اكثر

والمومن نيتو افضل من اعمالو

ومن القصائد التي اشتهر بها الغرابلى قصيدته «لطف الله الخافى»

التي يقول فى حربتها :

يا لطف الله الخافى » العطف بنا فما اجرات به القدرا

وقصيدته «ملكه» التي يقول فى حربتها :

أرايت للمكا يا مولاتى المالكا » لك العبد وكل ما ملكك

نصرو ملكا احمايت الملك

وقصيدة «المرسول» التي حربتها :

خبرنى يا مرسول عن اسراج اعيانى » وشمس انهار نظفرو بوصالو عراض الزين

الله ينصر مولاي المزيان

وقصيدة «الخادم والحر» وهى التي حربتها :

قصا اجرت للخادم والحر » يوم ظلوا فخصام اكثير على المعيار

وقصيدة «لشراف الحسين» التي يقال انه نظمها فى مسجد سيدنا

الحسين بالقاهرة ، وكان يزورها فى طريق عودته من الحج ، وقد ضاع منه

زاده ؛ ولكنه لم يلبث أن عثر عليه بعد توسله بأبناء فاطمة الزهراء ؛

يقول فى حربتها :

طالبكم ضيف الله سارخونا يا اهل لحسان

من يقصدكم حاشا ايخيب يا هل البيت العدنانى

لشراف الحسين

كذلك اشتهر بنظم قصائد للمذكر كهاته التي يقول فى حربتها :

بيا حب الهادى ضى لرمماق » مللى نظرا فبهاه برمماقى

كان للفرايلى تلاميذ أشهرهم محمد جوسوس وعبد الهادى العامرى الذى وقفنا من شعره على قصيدة «فاطمة» ، وهما من أشياخ فاس . وكان له معاصرون لم يرقوا الى درجته ، منهم :

I - الحاج العربى الرحوى الفيلىلى : من فاس ، يقال له «المعلم» وهو من فقراء طائفة احمداشة ، اشتهر بقصيدته «المحمل» ، وفى حربتها يقول :

غارا لله يالوالى ❦ مولى مكناس جد برضاك اعليا

2 - عبد الهادى بنانى : له قصيدتان مطبوعتان على الحجر بفاس ، أخبرنا بهما الفقيه الباحث سيدى ادريس بن الماحى :

الاولى : «الدرة البهية فى مدح رجال الشاوية» فى ثمانى صفحات.

الثانية : فى شرح ما وقع عند الفتنة التى حدثت عند خلع المولى عبد العزيز ، فى أربع صفحات . وقد وقفنا من شعره على جملة قصائد .

3 - عبد السلام الزفرى : من أشياخ القصر ، ولكنه أقام مدة فى

فاس ، اشتهر بقصيدته «خلخال يامنا» التى يقول فى حربتها :
خلخال يامنا تفكيرا خلالاتوامشى لى ❦ عجبى افيوم توفى واتقول أراه مانقول وله كذلك «الساقى» الذى يقول فى حربته :

كعب يا ساقى كاس السراح ❦ كاس اعراقى فعراقى
وتخض الى طايح ❦ وكعب للساهى باش ايطيح

4 - الغالى الدمناتى : من فاس ، وكان رفيقا للزفرى وتلميذا له كذلك ، له قصيدة «مولد النور» التى يقول فى أولها :

ابديت بسم المولى نعم لغنى الستار

باسمو نستفتح يا صاحى فاشعارى

وله قصيدة فى المدح والتوسل يقول فى حربتها :

يا رسول الله غثنى فنهار الميعاد

يا رسول الله ما يلى دونك حد اسنيـد

وقد اشتهر بقصيدة فى مدح آل البيت والتوسل ، هذه حربتها :

يا هل البيت اسياى لامت لشراف

زكمت فحماكم زوكت لوصيف

لا تدوزونى يوم الموقف لعصيف

السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي

هو ابن السلطان الحسن الاول (I) ، كان خليفة في مراكش لـأخيه
المولى عبد العزيز الذي تولى من سنة احدى عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة الى
خمس وعشرين ، ثم اعتلى العرش بعد موت أخيه حتى سنة ثلاثين حيث
تنازل لأخيه المولى يوسف بعد أن أمضى عقد الحماية الفرنسية على المغرب (2) ،
يعتبر من العلماء والمؤلفين ، له :

I - العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل
2 - كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع (في الرد على أصحاب
الطرق)

3 - نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح
وهي كلها مطبوعة ، وله كذلك :

I - منظومة في مصطلح الحديث
2 - الجواهر الدوام في نظم جمع الجوامع (في أصول الفقه)
3 - ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام
وكان المولى عبد الحفيظ الى جانب علمه وتأليفه شاعرا زجلا ، له
ديوان طبع على الحجر بفاس دون تاريخ ، يضم تسعا وثلاثين قصيدة أغلبها
في الغزل ، وبعضها في الهجاء والتوسل .
ويبدو في غير كثير من هذه القصائد ميل الى العناية بالاسلوب يتجلى
في استعمال النشب والتضمين .

(I) يقال ان ابنا آخر للسلطان الحسن الاول كان ينظم الزجل وهو المامون ،
وكان خليفة لوالده في فاس . وتنسب له قصيدة «زعمريا» التي يحكي أنس
قالها اشتياقا لزوجته حين تركها في مكناس وسافر الى مراكش . وهذه
القصيدة هي التي تقول حريتها :

خاطري سلبتوني يا ولد سيدنا زعمريا ابقات في مكناس الجسمرات
وتنسب للتهامي المدغري .

(2) كان عقد الحماية في II ربيع الثاني سنة 1330 الموافق 30 مارس 1912
وكان تنازل المولى عبد الحفيظ لأخيه في 13 غشت من نفس السنة .
أما وفاته فكانت سنة 1937 في انجان لوبان حيث كان مبعدا عن المغرب ثم
نقل جثمانه الى فاس .

أما التضمين فنظم عليه قصيدته «زهره» على حد قوله في القسم الاول
منها جاعلا قافيته على حرفى الياء والسين :

وهو ياسيدى واهواك زاد ليا واعيت امعاء افلمقايس
وافنيت من اشغل هجرى اياسى * كيف ما يعياوا اعياس
لاش مانفها فقياس

ننشى قولى من سر صورتك ما يسلب لكياس

كيف ايسلبو فكرى اعيونها من دون القياس

من اتيه اشغال الزين والكياسا

امتا انشوف وجهك ما بين اغراس حق ياسى

فرياض طابت الياسو

الورد والزهر والخييل كحوان جار ياسى

وأما النسب فيتضمن من حربة قصيدته «الحاجبة» حيث يقول ناشبا

بكلمتى الراس والناس :

من اسموم الهجرا والتيه شاب لى راسى

راسى الحاجبا يهوى بدر الناس

الناس الى تعشق حالها ما تعدر بقياس

يا حسرا الانفاسى

وقد ساورنا شك كثير فى أن يكون المولى عبد الحفيظ ناظم هذا الديوان

حقيقة ، وسألنا غير قليل من الاشياخ فوجدناهم يشكون كذلك ، بل أخبرنا

بعضهم أن الديوان نظم له أيام كان خليفة لاختيه فى مراکش ، وأن الذين

نظموه هم ثلاثة من كبار زجالى هذه المدينة كانوا من جلسائه ، وهم :

1 - الحاج أحمد الزغبات

2 - الكبير بن عطية الذى يقال انه كان كاتبا للباشا ابن داوود وأنه

توفى فى نهاية الربع الاول من هذا القرن ، وهو صاحب

قصيدة «بودلال اهنيا»

3 - الاحمر المرياق الذى كان معروفا بالوجد والذى يقال انه توفى

سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف ،

والواقع أن سبب الشك عندنا يرجع الى جملة ظواهر لا حظناها في

الديوان :

أولها : وجود قصائد بأكملها في الهجاء بالاضافة الى أن معظم

قصائد الديوان مختومة به ، فهو يقول في حربة أحد أزجاله :

لاش تظلم قوسك تركو المن اعتن * من لا يسبح في ابخور امواجو محسوب تحشنا

خلي ريحو ما قلبت اسفان

وفي دخوله يقول :

مادري رمز امعاني نايم الجفن * ولا يوصل للذواخل لمدارك في اعلومنا

من لا يدرك نهج اعيانو

مادري كيف ارتقاوا الناس فالدهن * حتى صادوا من امعانيها كنز ما فنا

بنيان ابنا اقويم عن تيقانو

مادري من لا اعتق الجسد من اسجن * يرمى جهل لعلوم فاقفر خليان من ابلاونا

يقطف مسموم ويهيج في تفنانو

واش تعندا بفكرت الجاهل الفن

من لا يقرأ اكتب علمانو فاهم كيف اصنعنا

وقت ما يروى ايزيد امحانو

ويقول في آخر قسم من «المرسوم» :

شتم اقديم شاننسى * ما نرضاشسى ابقولهم

لفضيا تهلك تركنسى * من شاتسم في انظامهم

من يتعاطم ما يلوشان * حسبو اديم مالو فالخلق امزيا

ما يرقى في ادروج اسنسان * طبعو ابهم ما فاز ابكل انويسا

حتى لو طالوا بهتان * فالحين ما يرجعو الا مخزيسا

ويقول كذلك في القسم الخامس والاخير من قصيدة «كنت هانى» :

كل دعوا بفنون القول صاهضا * ناس الدعوات ما يلهم تفويض

ماداروا امعاني ترجيح ولقضا * حتما ليا انجهم في تربيض

كل مايا يفصح بها امخوضا * ليس يسوا اكلام ناس التخويض

ما نبال بكلات الدور افلفسا * حتى لهم جيت معراض اعريض

ولسنا نتصور شخصا جمع بين مركزين عظيمين : الملك من جهة بما يفرضه من سلطة وسلطة ، والعلم من جهة ثانية بما يكتسب من صبغة النجدة والاحترام ، ثم يكون له في نفسه هذا الاحساس بالمنافسة وما يترتب عليه من خصام وهجاء لرجالين آخرين ، مهما علا شأنهم فهو دون الملك العالم ، وما نظهم كانوا يجروؤن على مواجهته أو مبادلته نقدا أو معارضة بله الخصام والهجاء ، وهو فن لا شك يقوم على المواجهة والتبادل .

الثانية : تغزله في نساء يذكر أسماءهن مثل :

«حجوبة» التي يقول في حربة قصيدتها :

واعلاش يا محجوب نساك وافراقك عز اعليا

وادموع اعياننى لضناك ساهرا داج

و«رقية» ويقول في حربة قصيدتها :

اليوم نبغى ارمزك يلعب بالشفر * زورى رسمو ايزول حقا تخمامسو

بشرى بمجيك يالريم ارقيا

ويقول فيها قصيدة أخرى هذه حربتها :

كنت امسلى اقديم من قبل انشوف ابصارو

من صالت بالزيين ولفخسر

تستاهل فالريام تعظيم النصر ارقيا

و«امينا» التي يقول في حربتها :

شير بحداقى * واعط امدام صافى بالرضا الاشواق

بوجود امينا ليلت ليها شارقا

و«لالا ربيعا» وفي حربتها يقول :

الله ينصر زهو اللحظيين * والظرافا مصباح الزين لالا ربيعا

لوجيبا نور المطبوع

وله فيها قصيدة ثانية يقول في حربتها :

ربيعا قوت الروح * من اهواما نرجا منو اصلاح

يوم اتواصل بعطوف عاينا بفصاحا

و«زهرا» وهذه حربتها :

لازلت امن اهواك فانزايته واعراس
كيف تقطع منك يا زهرا اياسى

وله فيها قصيدة ثانية هذه حربتها :

عنوا اليوم زارت زهرا لرسام ناكرا
تكونا قلبى الذى ما ادرى
من خزرات اللحظ منها واسهوم

و«هنيا» ويقول فى حربتها :

دام الله ابها امحاسنك من فاقت لهلال
قد اسهوم البين ولزارك دون ادزياسا
من لازال القلب كايراجى بك اهنيا

وهى ظاهرة نراها تتناقض مع تقاليد الملوك العلويين التى تقتضى عدم
الكشف عن نساء القصر والتصريح بأسمائهن حتى لا يعرفن ، وخاصة من
تكون لهن مكانة فى نفوسهم .

الثالثة : المعاناة من الحب و اظهار الخضوع والطاعة للمحبيب
على حد ما يبدو من حركات القصائد المشار اليها سالفا ، وعلى حد ما يقول
فى الابيات الاولى من قصيدة «الغروب» :

ذكرنى لغروب فى اصقورتو لونو مغيار
ظن اخليل اصفا من اقوال العادل بهديس

واتوارى لحجاب ترك رسمو منو مهجور

واقجات اسراى وحالتو عيت المسرار

من طعنوه اشغار الريام باللعنا فاضمير

واتهدم صبرو لادى من حكمو مشهور

واتمادى هولو من اسكاب ادموعى فسحار

واتحكم قولو افساكنى واسرع بالنذير

يا حسرا لسموم مالكى من صعبو بالنفور

ما حادر عيبى ولا فهم ابشارت لشغفار

كن اظلام الليل حامل من قبحو تغيير

خلاني بضناه في امهامه حكمو مقصور

وافنايا واصفورت ورقتي يعطوك لخبار

لاش اتزيد اتسال امن احوالو يكفيك اخبير

والعارف من شوفت لعيون ايميز مدعور

ويقول في حربة قصيدة «زهرة» :

بالنيه ولبيها والشفيرين اتزاد هول اعياطو

من يوم فيه زارت زهرا ونا في احكام شطط

ويقول في آخر قسم من قصيدة «عنية» :

من بايع للزين والبيها والتيه الدلال

وامطايب لحديث كاتخامر به اغنياء

ما مثلو سلطان امن اسلاطن سعدويا

فمثل هذا الشعور لا يحسه ملك ما نظن الا أن الحياة كانت متيسرة

له بمختلف امكانيات اللهو ووسائل الامتاع ، وأنه كان يأخذ منها ، ان لم

يكن في اسراف ، فيما يكفيه لوعة الحرمان . وحتى ان كان يحس شيئا من

ذلك الشعور فنخوة الملك تحول دون اظهاره والتعبير عنه ، الا أن يكون

حديثه في ذلك من باب المحاكاة والتقليد .

ومع هذا فنحن نلاحظ ظاهرتين لعلهما تحولان دون ترجيح الشك الذي

ساورتنا ان لم تنفياء :

الاولى : ان السديوان طبع في عهد سلطنة المولى عبد الحفيظ كما

يتضح مما كتب في الصفحة الاولى عنوانا له ، حيث نقرأ :

«هذا ديوان فائق ومجموع رائق بارع عظيم الشأن شامل الدرر المعاني

وفحوى البيان جمع من الملاحاة أصفاها وأعلاها ومن الرقائق والحكم أوفاهها

وأغلاها فأصبحت به نفوس ذوى الادب فى ابتهاج وهمم العوانى فى تحريك

وانزعاج ، وكيف لا وهو من بنات افكار من لا يضاهى نجاره ولا يماثل

فخاره ، كوكب الادب الوقاد ، الناظم النائر ، المشارك الحجة النقاد سلطان

البلغاء الذى تاهت العقول فى تصانيفه وحارت الاوهام فى فنون تصاريفه

أمير المؤمنين ناصر الملة والدين سيدنا وولانا عبد الحفيظ ، لازال حسامه

منتصبيا لكل فظ غليظ ، أدام الله نصره وتأييده وخلد ملكه وماثره العديدة آمين .

الثانية : تتجلى في النفس الذى يعلو هذه الازجال ، وهو نفس - يبدو من الشعر الذى سبق أن مثلنا به - أنه غير طبعى ، نحس فيه بعض التكلف ، كأن الناظم ، لطفيان اللغة المثقفة عليه ، يجد صعوبة فسي استعمال اللهجة الدارجة وتطويعها للتعبير . ثم انا لا نلبث نلاحظ بعض النعائير العربية التى لم نألفها عند الزجالين ، منها استعماله «حيص بيص» في آخر بيت من أول أقسام قصيدة له في التوسل والاستغاثة حيث يقول :

من اعلا واطقى اتهد ذاتو يا لجليل

حتى يبقى ايشوف نفسو لدليلا
في حيص وبيص ما سالى بالحيلا

واستعماله المثل العربى «الصيف ضيعت اللبن» في آخر دخول قصيدة له في الحكم حيث يقول :

عاد يبحث الشخص افير ما تقن * قل الم جايرمى اشهاقو في اكلامنا
الصيف ضيعت البانور

واستعماله «خبط عشواء» في أواخر أبيات قصيدة «الداعي» حيث يقول :

لاتعانء جاعل يهوا امخابط * خبط العشوا ما يمثل تخباطك
والى معذور ما يخطط اخياط

أدريس العلمسى

شيخ أشياخ فاس بعد الحاج احمد الغرابلى ، أخذ عن الشيخ النهامى العرفى الفيلالى الذى كان مقيما في فاس يحترف البناء . كان يقصده الاشياخ من كل مدن المغرب ليأخذوا عنه كلامه ، ومن خارج المغرب كذلك حيث يقال ان بعض أشياخ الجزائر كانوا يقدون عليه أمثال الحاج محمد العلقا وقاضا الكصاب وعبد الكريم دالى والمنور التلمسانى ومولاي الجيلالى الزيانسى .

كان بارعا في قصائد «التصلية» ومدح الرسول عليه السلام ، على حد

ما تثبت قصيدته «عين الرحمة» التي يقول في حريتها :

يالهادى عين الرحما الحال ضاق غشنا يا محمد طيب لخلوق

ومن تصلياته هذه التي يقول فيها :

صلى الله اعليك ياالماحى محمد ياشريف لاسم سيد الملاح

يا من بك الناس فارحاً

من شهد بك نال ربحو واصلاحو

اصلاتك كنزى ورأس مالى وربحى واذاخيرتى اصلاتك هى المفتاح

تفتح لى لقفال قاصحاً

واتلين لقلوب بعد يقصاحو

وكان بارعاً كذلك فى قصائد التأمل والموعظة ، ومنها قصيدة وقفنا

منها على هذه الابيات :

لا غنى يرحم ابلفقير معتنا لقلوب اقساها

اقسى من لحجر يفجر سيل ايمـهـا

لا صغير ايوقر لكبير قلت الناس احياها

والخمر والميسر والزنا جاهم يا محـلاـهـ

لاصلا فى اوقتها ولامن فيهم اداها

من غير الغيبا امع اشتهم والكذاب الخـاهـ

غرتهم الفانيا وعادت لهم انزاها

ولا انساوا الآخرا وكل واحد ماذا يرجـاهـ

ابسطنا لكفوف للذى خالفها مولاها

وينجينا سامع الدعـا من شر ويلاهـ

يكرمنا بالدين وليقين والخمسا واصلاها

والتقديس والحمد وشكر للمعبود اللـهـ

وقد ظهر تفوقه فى الغزل من قصيدة «غارو لعواتق» التي لم نوفق منها

الا الى هذه الابيات :

غاروا لعواتق من اجمالك ياد البدر الشريف يازهو العاشق

ياللى زينك ما ريناهـ

مكوانى فايق امن اجفاك أولفى جفنى وسيف تيهانك واسق

كل كهلى بحمول اسفاهـ

مدرا يا حادق واش قلبك عن محبوبو اشفيق من حالو شافق
ياللى غيرك ما نهواه
بالقول الصادق يالبدو عوضك مالى اصدق لن حبك سابق
افلكنان امورث مئسواه
والسابق لاحق امن اجبينى كتب اقلام اتريفق سبجان الرافق
ما يواخذ عبدو بخطاه
وقد وقفنا فى أوراق للشيخ أحمد سهوم على قصيدة فى رثائه لم يذكر
ناظمها ، نسوق منها هذه الابيات :
وكحت لعيون يا حبيبي من لدمسوع
والقلب من لفراق محسوك امقطع
والجسم ابد العذاب يا سيدى مصروع
والعقل امع الضمير بالشوق اتزعزع
واسيارى واهنا اوجدانى ملسوع
والنفس املاحقا افصدري للميع
والروح السايبر امع النعش المرفوع
يمتا تسخا ابدك لضريح اترجسج
الصبر اعلى لفراق ما عطانى طوع
بعد ما كان عند الشدات امطسوع
باكى شاكى افريد ما رايم لجموع
انقيـل فالضنا ونمسي نتزع

محمد المدغرى المكنى العيساوى الفلوس

آخر كبار أشياخ فاس ، توفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف
وهو دون الستين . انتسخنا غير قليل من قصائده من كنانيش لاحد حفاظ
شعره كان يشتغل معه فى الدرازة هو السيد ادريس المرونى الفاسى .
كان ينظم فى كل الفنون ، ولكنه اشتهر بالقول فى الموضوعات
الدينية ، ومن خير الامثلة على ذلك قصيدته التى يقول فى حررتها ، وهى

فى مدح الرسول عليه السلام :

صلى الله اعليك ياالتقى محبوب الباقي * يا مول الحجا الواثقا
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى * لغرامك لخلق شايقا
وقصيدته التى يقول فى الشوق للديار المقدسة ، وهذه حربتها :

يامولى زكى اسمى باسم الحاج * ايجاه من حج وطاف وزار حرم طه
وقد اشتهر كذلك بقصائده الوطنية ، ومنها هذه القصيدة التى مدح بها
محمد الخامس ، وفى حربتها يقول :

دام الله ايام صولت النور المحمدي

من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد

حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتاد

سلطان المغرب نورنا سيدى محمد

ومنها قصيدة «النجمة» التى رمز بها للحرية ، وقد جعل الليل والنهار

يتصارعان من أجلها ، يقصد بالليل الاستعمار ، وبالنهار الوطن ، يقول فى
حربتها :

سمعوا يا حضار ما جرى للضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكم

وانصار الضى وحازما الرسمى وانحاز اللوم

وقد ذكر لنا الفقيه السيد محمد بن الهاشمى الفاسى - وهو من حفاظ

شعر الفلوس - أن كثيرا من قصائد هذا الشاعر الوطنية ضاعت بسبب

احجام المنشدين عنها لخوفهم من سلطة ادارة الحماية ، بل ان الفلوس نفسه

خشى الامر بعد أن حذره رجال السلطة فأخذ مجموعة من قصائده الوطنية

ودفنها فى احدى المقابر حتى لا يعثر فى بيته على شىء منها اذا ما فتش ،

علما بأنه كان غالبا ما يخفى اسمه «محمد» فى قصائده بسنل هذه الرموز :

(1) اسمى لللا والبا .

(2) اسمى كعب .

(3) اسمى عبك .

وهى كلها كلمات مجموع قيمة حروفها اثنان وتسعون ، وهى قيمة

حروف م ح م د ، ولكن السلطات الاستعمارية كان لها من عيونها
وجواسيسها من يدركون مثل هذه الرموز .

بنعميسى السدرات

أكبر زجالي مدينة مكناس منذ بداية القرن ولا يزال ، وهو رجل
مسن يناهز الثمانين وامي ، كان يشتغل بالدرازة ومنها اكتسب لقبه ، زارنا
في بيتنا بغاس مدة أيام أملى علينا خلالها بعض قصائده وقصائد غيره ، زافادنا
بأخبار ومعلومات كثيرة يتصل جلها بمعاصريه .
يكاد كل شعره يكون في الغزل ، ومن قصائده التي يعتز بها «زهره»
التي يقول في حريتها :

بمزاري بمزاري • جدلي بوصالك تبرا

يسا مولاتي زهرا

ويقول في دخولها •

سلطان حبك اسكن لي فصميم السيار

يا راحت لعقل يا قرت لبصار

يا طلوع البدر السيار

شف دمعى هواى مدرار

ورخ اسطار

فوق لحدود بجهار

والبين زاد حسرا

وكند جمرا

اكدات حمرا

ما تطفئها اميا لنهارى

ولا اطبيب يوقى من ذا التشحار

ضمارى ضمارى * افنا وترجا مول القدرا * يشفى ذاتى تبرا

الناج محمد بن عمر الملتونى

شيخ أشياخ مراکش ، زلناه في بيته حيث قضينا معه يومين أمل

عليها خلالها من كنانيشمة مقتطفات من قصائده وغير قليل من الفوائد. وقد ذكر لنا أنه تلمذ على الشيخ اسماعيل عميد الزجل في وقته ، وأنه كان ينظم في مدح مولاي يوسف (I) جد الملك الحسن الثاني ، وان عمره الآن يقرب من الخامسة والسبعين . وهو على جانب غير يسير من المعرفة فضلا عن القراءة والكتابة ، وينظم في كل فنون . وقد واكب بزجله الحركة الوطنية في مراكش ونظم قصائده في أزمة نفى محمد الخامس سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف .

وفهمنا من كلامه في السراية أنه خير من نظم فيها من أشياخ العصر .
ومن مرابة له يستف فيها وردة الشجب على أثر نفى السلطان محمود عنه
الأميات :

یا علی معظم یوم السبت بانث ارجال
فما لدین خرجت بطر اردھا کاتفا تـ

شیخان افصول خارجیین افصول

قالهـذا جدي بان الحال سار في حال
كل واحد بلسانـه كيصرخ قايلـ

وينادي فالحجـايف ولحفـول

يا هل الشعب المغربي أهول وأظفال
ما بقى بعد اليوم أصغر يا لسايل

بِسْمِ الشَّيْطَانِ الْجَمِيعِ اقُول

يوم الخميس (2) امضى وابقى الحرب مازال
عمر الثورة ماتها الشعب حاسم

والیوم املو سبیرو لحوول

والشيخ ابن عمر لا يتجاوب مع أحداث وطنه الصغير فحسب ، وإنما هو يتجاوب كذلك مع وقائع الوطن الكبير على حد عائشة قضيدة قالها في حرب فلسطين الأخيرة (3) ، هذه حربتها :

(1) تولى على أثر تنازل أخيه مولاي عبد الحفيظ سنة 1332 هـ الموافق سنة 1912 م وتوفي سنة 1346 هـ الموافق 1927 م حيث خلفه نجله محمد الخامس .

(2) إشارة إلى أن النبي تم يوم الخميس (20 غشت 1953).

(3) خامس یونیو 1967 .

صوموا بيت المقدس يا رجال النجدا اصروا الدين يا اهل ليما
واحيوه من لهذا اتفر منو سائر ليهود
ومن اروع ما للشيخ ابن عمر بعد سراربه ووطنياته قصائده الغزلية
كما تثبت هذه الايات من «أميننا» :

أميننا حيث سران	•	اعلى ليمران
كاديا فميم الوجان	•	وسط اكناني
أميننا هاذي لوزان	•	أو الطوفان
فوق خد أو الويلان	•	فالجرياني
أميننا قلبى لومان	•	جسمى مستغان
لا تخلىنى فالحرمان	•	رام اضناني
أميننا مانى تعان	•	مانى يقظان
كيف بت انقى ولهان	•	وسط امكاني
أميننا قلبى مسان	•	محنا واحسان
ما بقى ينفعنى كتمان	•	بين امحانسي

عشيمان الزكري

أكبر شيوخ الرباط المعاصرين ، ومن كانت تشده اليهم الرحلة .
والاسف أنا لم نادره حيث كان قد توفي حين بلدنا نعتى بهذا الفن .
كان كثير النظم في الازمات السياسية والاقتصادية على حد ما تكشف
عنه قصيدة له في التوبة ، يقول في حريتها :

يا طالب لسان	•	تب واعمل ما أمر به ربنا
وفى بعض أقسامها يقول :		
حدثك بلسمان	•	ساكن الساكن كان اتريد وعظما
والى زاد اييسان	•	ما حشر قبر الملى يكرهنا
قالوا ناسي الزمان	•	ولا بنى لنا قصر الملى ايحننا
لو طاروا جذعان	•	ما يلو قدرا لنفعنا وضرنا
واش الملى مديسان	•	كيدين أمرو معروف عندنا
ما وافى صدقان	•	غير من كره اغلب ايدي امليانا
سال اهل التبيسان	•	والحديث يخبروك ابقايت لنا

وانصت للقرآن * لا تجسس على لقوام المؤمنين
واجز هل لحسان * ابلحسان او بدعوت خير عمننا
لا تشهد نقصان * اقلعباد الى بالمولى اميننا
لا تعمل عديان * غير زوج الى هم اسباب اذنبنا
لفسق والشيطان * خالف امرهم قبل انشاهد لقنا
ومن شعره في غير هذا الموضوع قصيدة في الهجرة النبوية ، هذه
حربتها :

يا محمد يا خير خلق الله * صلى الله عليك يا طه

عبد القادر الجبرائي

من كبار أشيخ الرباط وأحد أعضاء جوق الاذاعة للطرب الملحون ،
وهو تلميذ الشيخ عثمان الزكي ، تذاكرنا معه غير ما مرة فأقصدنا منه : ولعله
أكثر الاشياخ المعاصرين ثقافة ومعرفة بأصول الزجل وقواعده . له دكان في
حي فران الزيتونة يبيع فيه الدقيق ، وكان من قبل يحترف فيه التجارة .
من انتاجه قصيدة في أزمة البون «بطاقة التموين» يقول في حربتها :
حرت ابقلت لبزار والفاخر
والزيت والسمن والصابون امع السميد عاد اهموم السكر
وقصيدة في الذكر حربتها :

اللهم صل على النبي راكب البراق

محمد الزكي نعم المجاهد التقى
وله في معارضة «الداعي» (I) لعباس بوستة المراكشي قصيدة هذه
حربتها :

تاكي بشار السعد وفرحنا اكمل

ومن اظلمنا القى افعالو واعمالو

الويل رام لو * ول عند الناس فالمهمل

(I) وحربتها :

راب سور الدعى واتشنت الشمل * وارجالو ما جزوا ليه اعلى مالى
جاء عاملو * لمرقى شانو افكل اعمالا

وفى أحد أقسامها يشير إلى فرنسا وما لاقت من ويلات في الحرب العالمية
وما واجهت من الوطنيين في حركة «اللطيف» المشهورة ، فيقول :
يا من اتيا كهلو بتقال ادخل * فالحين ارميه جاب زبي حمالي
اللى ايجملو * ملا كان افطرتو لحمالا
غير جابر كان امن الجور ليس مل * ويقول اعمام ابلجيوش وعمالو
ومن احتملو * وارضوا اشرطو ابغير ايالا
كان طنو باقى دالشرط ينكملى * لكن الله جاب لو من رتمالو
ابشر دام لو * بسيف اللطيف والبسملا
بعد عزو فيامو صادف لهمسل * ضاع املكو وزاد بهلو وابمالو
الهم شاملو * عاد يشتبهى طرقت الحمالا
بات ملك واصبح ينكس لخمى * ويختم فى ابلاه شى ايكون اعمالو
واسقام لو * ليس اوجد لبدو اولا لكمالا
ومن أروع شعره قصيدة «ألف باء» تتبع فيها حروف الهجاء ، ليس في
أول الايات فحسب وانما فى القافية كذلك ، يقول فى حريتها :
يا راسى من لوزار تم * واسترجع من وهم لعيوب
تنتهى واترك فعل الذنوب * خاف الله التواب
بيدها بقوله على حرف الالف :
اسم المولى فالمبتدا * اساس النظام اقم انشا
واللى بهما جيحو املا * يدرك بها مرتساب
الى أن يقول على حرف الياء :
يارب كسل لى ارجى * جاور عنى وامحى اخطاى
يوم اسوالى ايجزرو امعاى * ليس يعجز افعواب
ثم يختتمها بتوسل يتتبع فيه الحروف على هذا النحو :
بالالف الف بيننا * وآسى بالنصر الديننا
انتبعو منهاج ايقينا * ايعود احكمنا غلاب
.....
بالياء يسر امر الضعيف * عبد القادر يمشى اخيف
نام البسر الشريف * نس يفسر امساب

وواضح أن القصيدة بائية حيث جعل السرى باء في كل الأبيات ، ولكنه نوع في قوافي الاضطار الثلاثة الأولى من كل بيت . وقد ذكر لنا أنه يطلق على هذا الأسلوب اسم الدربلة والعزودة والمرشوش (I) والشيخ الجعاري بعد هذا مشهور بقصيدته في «المعراج»

الشيخ المشهور العزود

شيخ شياخ الرباط والرئيس العالي جوق «الطرب الملحون» بالأذاعة المغربية ، وهو على قسط لا يأس به من المعرفة ويشغل عناسيا في السوى الرئيسية للخضر . أطلعنا على بعض كتاباته التي انسخها بنفسه وأعتبرنا أن أكثر نظمها في الغزل ، من ذلك قصيدته «فورية» التي يقول في حريتها :

صل بجمالك عن جميع لينات يا قد الرايا
ياخدود الورد المفتوح ياغزالي فوزيا
وقصيدته «نزهة» وهذه حريتها :

آش يزها من لايزها ايزين مولاتي نزا
آش را من لاغنم امع لغزال فرجا وانزاهسا
وقصيدة «كريمة» وفي حريتها يقول -

جسد ابغاييت لمرام : ياغصباح الخودات لالا كريميا
بردنسي رانا المشروم : تضحكي سالي مكرروم
ومن أروع قصائده «الحمام» يقول في حريتها :

بالله لأحمام ادي عنواني امع السلام
لسبيغت النواجيل آمنأ زينت السميما

و «الخاتم» وحريته :

خاتم ولفي تاج لبها اتوضر وامشى لي -

كيف المعول :يلا اتسال عنو درت لجمال
كما أن له بعض القصائد ينظمها في المناسبات الوطنية كقصيدته التي قدم في الصيف الماضي بمناسبة ذكرى «ثورة الملك والشعب» في العشرين

(I) الدربلة المرقعة ؛ العزودة : دودة سوداء مخططة بالأصفر ؛ المرشوش : قردان أبيض اللون .

من غنمت ، والتي يقول في حربتها :
من اعظمها ذكرى يأمن اتساع تاريخه المخلد
نورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار افواه

لكن المولى بجاد اعليه ايدي واكرم مثواه

الجناتيون المشهورون

نبح من المعاصرين كثير من الرجالين غير من ذكرنا ، منهم عن وقفنا
على نساخ من انتاجهم (2) ، ومنهم من لم نلق لهم على شيء ، نرى تكراراً لهذا
الفصل أن نستعرض أسماء بعضهم مرتبة حسب منازلهم :

أولاً : عراقيون :

1 - العباس الحزاز : صاحب «الشبيبة» التي يقول في حربتها :
بالعاطف فاحوال القانيا استرجع • شرف الدنيا بعد اكمالها ببراهمت
وله «الفجر» ، يقول في حربته :
يقفل جفئك يسانايــــــــــــــــم • قم اتودى حق لكريم من لاينام
مولانا خير ودايم

وقد وقفنا له من قصائده على «الوصاية» وهي قصيدة شعرية .

2 - أحمد الراس : كان بارزاً في قلب القصائد ومسخها ، وقد
سبق أن مثلنا لذلك (2) .

3 - عباس بن بوستة : كان قيوالياً ، وقفنا من شعره على ثلاث
قصائد ، أحدها في أحوال الناس واستنار في الهجاء ، له كذلك قصيدة
تخلية يقول في حربته :

لا تغرب والغرب امع لغربــــــــــــــــسا • الغرب اشرب ساويرا نية اغريب
من اغرابو من اهلو غربا

كان تأثير الميل الى الحكمة والوعظة ، ومن أشهر أبياته التي سمارت
كالمثل قوله :

-
- (1) انظر التلخيص الملحق بالرسالة .
(2) انظر آخر الجزء الاول من فصل «مع العبيد» من باب الموضوعات
والقصائد في الشعر الحديث .

يحصد حب لكذوب من ازرع المحال

4 - محمد الروداني : له «خديجة» ، وفي حربتها يقول :

يا هلى رغبو فيا بوشغار وداجسا ۞ شمس الضحا الواضح كمرى فى داج

فى داجى فى داجى كان راجى لك اخدوج

5 - محمد بن موسى الشريف : كان بارعا فى النظم على وزن مكسود

الجنح ، ومن شعره نسوق هذه الابتهالات :

مرغت فى ابواب رحمتك هاذا لخدود

وانويت فيك يا سيدى ظن اكميل

ايلا اعصيت أنا عبد اذليل

طامع فالخير اقريب اجزيل

ما نخاف امن الدنيا ايلا اصفات ايمانى

ومن اطلب شى يقصدو ايلا اصفات النيا

وقد وقفنا من قصائده على : «لغزال محمد» و «الحجام» و «زينسب»

6 - عبد الرحمن بن الحاج الطاهر : كان دباغا ، توفى منذ نحو ربع

قرن ، له «شمعة» ولكنه جعلها خصاما بين بنت البر وبنت البحر ، اذ

أن الشمع اما ان يتخذ من شهد النحل أو مسحوق السمك ، وهى فريدة

من نوعها ، يقول فى حربتها :

غنمى غايت لفراج الشمعا بك أبنت الطميم لخلق زاهيا

عبدى لى سميت لبكا من قادم للآن

7 - ولد احجام .

8 - مولاي ابيه .

9 - محمد بن لكبير : من كبار الاشياخ المعاصرين ورئيس «جمعية

هواة الملعون» ، قابلناه فى احدى زيارتنا لمراكش ، وهو مسن يناهز الثمانين

ومن قصائده التى يعتز بها قصيدته فى حرب فلسطين الاخيرة

وهذه حربتها .

الله اهل لسلام يادروا بالتوبا واستغفروا وطلبوا مولانا

يفجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصائب

10 - محمد المختار الشرايبي : اشتهر بقصيدته «مول الكمية» التى

قالها في الشيخ عبد العزيز التابع . ونذكر - ونحن في سن الطفولة - أنه كان يزور السيد الوالد كلما حل بالرباط وأنه كثيرا ما كان ينشد قصيدته المشار إليها «الفاشية» ، وكنا نحفظ غير قليل من أبيات القصيدتين لكثرة ما كان ينشدهما .

وهو ينظم في المعرب كذلك ، ومن شعره فيه قصيدة يمدح بها السيد فتح الله بناني الرباطي شيخ الطريقة الفتحية الدرقاوية ، يقول في أولها :

آل فتح لكم جمال بديع * طاب أحلا ومنه طابت فروع
لائحا في الوجود بدرا منيرا * ماله مشبه ولا من يروع
طلعت شمس على الكل بالفتح يراها * من كان فيه وليسوع
طبق الأرض ذكره وله * في كل أفق من الفتوح جموع
بل إن اللغة المعربة كانت تطفئ عليه حتى في زجله على حد ما يبدو

من الأبيات الأولى لقصيدته «مول الكمية» حيث يقول :

أمول الكمييا * لله غير أعليا
أطلب ربي فييا * يوفى لي قصدي
بك أتوسلت لله * وبجناه رسول الله
قدرك ما نتمناه * أطالع السعد

II - محمد بن بوستة : من الأسيان الناشئين ، قابلناه في بيت شيخه الحاج محمد بن عمر بمراكش فأمل علينا نص «التويذة» التي اشترك في نظمها مع الشيخين ابن الكبير وابن عمر والتي تقول ردمتها (I) :

وادرر هاد لمريض بالمطف الخافي

ثانيا : فاس :

I - الهادي بناني : كان عطارا

2 - محمد الجابري : كان دزازا وكان معروفا بالوجد ، له «فاطمة» .

3 - محمد لعلو : صاحب قصيدة «البون» التي حريتها :

يانعم الستار * جد برحمتك يا الكريم غشا
توفي منذ سنوات قليلة

(T) «التويذة» ردة «كالمروبي» ، وهو الاسم الذي يطلق على آخر شطر .

4 - عبد العزيز بن إدريس الوزائي : وقفنا له على قصيدة «سابع الشفر»
وأخرى في المدح النبوي ؛ ويقال ان له قصيدة في «الزهر» فاق فيها التهامي
المدغري . ومن أشهر شعره قصيدة في مدح الرسول عليه السلام ، يقول
في حريتها :

عول ياساهبي اعلى الرحيل احتال * اصبح افايت الرمال هالك لشال
واتعلق بالمأجى اوزوكة فالبترول اترك لخديل

5 - عبد العزيز اعنون : وقفنا من شعره على «أم كلثوم» .

6 - محمد الشنتوي : له «الياسمين»

7 - الطيب الدباغ : له التوسل الذي يقول في حريته :

عاري اعليك يا محمد * لله لا اتشافي فيا لعدا

8 - محمد الدباغ .

9 - غلال العلوي : هو أخو محمد بن عرفة الذي نصبته حكومة
الحماية الفرنسية سلطانا على المغرب بعد أن نفت محمد الخامس . وهو
مقاوم في البناء ، قابلناه في فاس ، ووقفنا من إنتاجه على قصيدة «المجد»
من مطالع قصائده قوله :

أنا تكلي فالله يوقيني * لتقديم الدائم من لا ينام أولا اقراء اعيان
جيد لجواد الا ايحافيني * المالك لكريم الغنى من لا تنطرد من بابوسعيان
ومن قوله في المدح النبوي قصيدة هذه حريتها :

صلوا على الرسول التقى طه ايمام هل ليقين

محمد الشفييع الشافع من جا ابشير بالقران

ومن شعره في الوعظ قصيدة «الفجر» التي يقول في حريتها :

يارب جد جدلي * بالتوبا أباسط المستر

نخلف ما ضاع افلعمر * نفدي ما ضاع لى

اخطيا وانعود امقابل لفجر

أخبرنا شيخ مراكش الحاج محمد بن عمر الملاحوني أن الشيخ العلوي هو

أحسن زجالي فاس المعاصرين .

10 - عبد القادر الودغيري : تلميذ بوزيان ، كان درازا في فاس ثم

انتقل الى الرباط «وظفا بدار الإمارة» من شعره الذي قوله من قصيدته .

والمهجات ولكباد يا رمز وحدة شعبنا

يا تاج اوطانا الحسن الثانى

وله من القصائد الغزلية «سعاد» ، وفي حريتها يقول :

يا لى سعادى بك اسعاد * فى اركابك ساير لسعاد
سعداتى ياسعاد منك اسعادي * سعد سعادى بهلال اسعود السعادي

ثالثا : الرباط :

1 - الشيخ فاضل : كان حجاما

2 - الشيخ التهامى : ابنه ، ويذكرون أن له قصيدة جفريه قالها
فى التنبؤ باحتلال فرنسا للمغرب تسمى «الموندو» ، والاسف أنا لم نهتد
اليها

3 - المعطى بن صالح الشرقى : وقفنا من شعره على قصيدتين فى
«الذكر» .

4 - محمد بن احمد الشرقاوى : شيخ عثمان الزكى ، له قصيدة فى
قبة بناها السلطان الحسن الاول يقول فى حريتها :

فرحوا يا اهل النيا جل افرايح * اعلى فرحتنا يفرح كل اوطان
اعلى قبتك ومولاى الصالح * بانيتها لهما سيدنا مولاى الحسن
5 - الشيخ محمد الضعيف : وقفنا من شعره على قصيدة فى مدح
الرسول عليه السلام .

6 - التهامى بنانى : كان «مجادليا» أى حرارا وكان من الذاكرين
وأهل الجذب ، وهو شيخ الريش

7 - المكى الريش : كان ينظم فى الذكر وهذه حريبات بعض قصائده .

أ - اللهم صل اعلى لحبيب المحبوب التقى * محمد خير لورى انعشقوا

ب - يا عشاق النبى الماحى * صلوا وسلموا اعلى كوكب للماح

ج - تهاميا ناس لحسان * نسعى من قلبى ولسان

غارا يا قنديل وزان * يامولاى عبد الله

8 - بوعزة الدريكى : من قصبة الودايا ، اشتهر بقصيدته التى

حريتها :

عندروني يا هلي ولاش اتلوموني هكذا افحالي

سروا خلوا كل حال ايسير اعل حالـ

9 - محمد بن يوسف : انتسخ لنا من شعره قصيدة في المـ

النبوي .

IQ - محمد الفلوس العلمي : كان خرازا ، اشتهر بالذكر ، وهذه

حربة بعض قصائده فيه :

يا عشاق النبي الهادي * صلوا وسلموا اعل شافع لعباد

II - الشيخ لحاو : اشتهر بقصيدته «زهرة» التي يقول في حربتها:

أنا امزورج افزينك أسلطانت لبدور

ألا ازهور

من بك طلعت الزهرا * وانت لا ازهرو

12 - الطاهر افير : كان حرارا

13 - ادريس بن بوشعيب : ويعرف بالغياط مازال على قيد الحياة

ويقول في المناسبات :

رابعا : سلا

I - أنجار : صاحب «الذهبية المشهورة» .

2 - محمد الشليخ : له قصيدة «الكاس» .

3 - الحاج محمد بن علي : وهو غير محمد بن علي المستفيوي نزيل هذه

المدينة ودفينها

4 - العربي معينو : ذكر الادريسي في «كشف الغطا» (I) أنه كان

صاحب كتاب قرآني .

5 - الشيخ البري : له «المرحول» لزيارة بعض الصالحين .

6 - حمان النجار

7 - حسن اليعقوبي : اشتهر بقصيدته «العصرية والزمنية» .

خامسا : أزهور :

I - احمد بن رقية : وقفنا من شعره على قصيدة «الشمعة» . له

قصيدة في «الزهو» يقول في حربتها :

الزهو فكتوب التنزيل والسرار الى موهوبا من لجليل العالى
ولفراسا فى هـل لعقول

2 - البصير الزمورى : انتقل الى العرائش وبها توفى ودفن ، يقال
ان له «الحراز» و «الادريسية» و «اليوسفية» وهى قصيدة فى
سيدنا يوسف .

3 - ادريس الزمورى : يعتبر من كبار الاشياخ ، ولكن شعره نبت
لاتصاله بسلطة الحماية ومدحه لرجالها وأعوانها . وقفنا مسن
شعره على قصيدة قالها فى تدشين محمد الخامس لمدارس باب
شالة . وهو أخو المرحوم أحمد الزمورى الذى تولى قضاء مدينة
الدار البيضاء .

سادسا : تطوان :

1 - محمد المردن التطواني : له قصيدة فى مدح محمد الخامس .
2 - محمد حسن : أمدنا بغير قليل من النصوص ، وله قصيدة فى
ذكرى المنظري مؤسس مدينة تطوان .

سابعا : أسفى :

1 - ابراهيم السوفانى .
2 - محمد بن على الدمناتى : انتقل الى أسلا وبها توفى ودفن ، وقفنا
على جملة من قصائده .

ثامنا : وزان :

عبد العزيز الوزانى : أحد أشياخ هذه المدينة وعلمائها ، له قصيدة
فى الشوق لزيارة البقاع المقدسة يقول فى حربتها :
الرباح فى اصلا تو عما واتجارا
أيارب لعباد كمل قصدى نمشى الحج ونطوف
ونشاهد لبقيع والبيت وعرفا

تاسعا : شفشاون :

محمد العلمى ولد زيطانة : وقفنا من قصائده على «فاطمة» و «التوبة» .

الثلاثون : تصانيف لالاست :

ميدى أحمد لحبيب : ذكر الادريسي في «كشف الغطاء» (I) أنه من طبقة عبد العزيز المخرأوى .

الستادى عشر : صيفرو :

أحمد الصفريوى : يقال أنه نظم في إحدى الليالي ست قصائد نسي «الزهر» . تولى منها حوالى خمسة عشر عاما .

الثلاثون عشر : يستى ملال :

هولاي عبد الرحمن بوقطيب .

الثلاثون عشر : الدائر البيضاء :

هولاي أحمد بن عبد السلام العلوى : من علماء هذه المدينة العدول ، أطلعنا على ديوان له نظم أغلب قصائده في فترة الشباب وقبل أن يبدأ دراسته بالقرويين . اتصلنا به أكثر من مرة وحاولنا مذاكرته في الفن ولكنه كان يصرح لنا بأنه لم يعد يخوض فيه .



وهاء ، فإذا كان لنا أن نقول كلمة عن القصيدة الزجلية في العصر الحديث فهي أنها تجمعت في صور ونماذج غدت لها سيطرة على هؤلاء الاشياخ الذين ذكرنا وعلى غيرهم ممن لم نذكر ! خضعوا لها مشدودين الى من سبقهم من الشعراء ، يتبعون ظلهم ويحتذون بنماذجهم ، قانعين برؤيتهم لا ينظرون الا من خلالها ، ويتعابروهم وأساليبهم لا يحددون عنها ، عاجزين عن الانطلاق في ميدان التجربة والابداع ، لا نجد عندهم غير أفكار وصور متكررة تتردد بنفس الأنماط ، بعيدة عن احساسهم الذاتي وعن روح العصر . وحتى الذين عانوا تجربة ما فانهم لا يحاولون استيعابها والتعبير عنها من خلال واقع حالهم الوجداني وتعمقه لاستخراج أفكار ومعاني وأقوال جديدة ، ويكتفون بالنظر الى ما عند غيرهم يقتبسونه منه دون محاولة لتكييفه أو تطويره ، وتلك أقصى درجات الجمود والتقليد ، لا يعقبها الا الفناء والموت .

المصادر

مصادر عامة

أولا - المخطوطة :

- I - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب
لعبد الرحمن الفاسي
خزانة الرباط العامة : نسختان 326 ك - 2302 ك
- 2 - أعلام الفكر المغربي المعاصر في العدوتين الرباط وسلا
لعبد الله بن العباس الجراري (والدنا حفظه الله)
مخطوطة المؤلف (الخزانة العباسية)
- 3 - الاقنوم في مبادئ العلوم
لعبد الرحمان الفاسي
خزانة الرباط العامة : نسختان 21 د - 15 ك
- 4 - بلوغ الامل في فن الزجل
مخطوط الزيتونة 4467
- 5 - ثمرة أنسى في التعريف بنفسى
لسليمان الحوات
مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد أعراب
- 6 - جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس
المكتبة الوطنية بمدريد 4879
- 7 - الحسام المشرفى في الرد على اكنسوس المراكشى
لمعربى المشرفى
أ - مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 2276
ب - نسخة مصورة بخزانة الرباط العامة رقمها 1207
- 8 - الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن
والمفاخر
لابى عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير

بالكردوى

خزانة الرباط العامة رقم 1584 D

9 - العروض الفائح بأزهار النسيب والمناجح (ديوان شعر معرب)

للحاج ادريس بن علي السبائي لحنس

خزانة الرباط العامة 1378 ك

10 - روض الآداب

لامحمد الحجازي - ثلاث نسخ :

مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 4017

مكتبة أحمد الثالث (قصر تويكابي - اسطنبول) 2293

مكتبة راغب باشا (اسطنبول) 1115

11 - رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد

لمحمد الطالب بن الحاج

خزانة الرباط العامة 396

12 - مجمع الورق المنتجة في جمع الموشحات المنتجة

للسخاوي

مكتبة فاتح (السليمانية - اسطنبول) 3918

13 - السقينة (الجزء الرابع)

لمباركشاه

فيض الله Feyzullah مكتبة ملت Millet (اسطنبول) 1612

14 - شرح ثلث نونية أبي الحسن الششتري

لاحمد زروق

مكتبة دير الاسكوريال 4186

15 - شرح القصيدة العتيقة لسعيد الشلمساني وتسمى : «الآداب

الرفيقة في شرح العتيقة ، وان شئت قلت الدرة الاثينة في شرح

العتيقة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية»

لمحمد بن ناصر المعروف بابي رأس

خزانة الرباط العامة 1656 د

- 16 - العاقل الحال والمريض العالي
لصفي الدين الحلبي
مكتبة بايزيد (اسطنبول) 5542 (علما بأنه مطبوع ، نشره
هوينرباخ)
17 - العقيدة الادبية في السبعة فنون المعنوية
لاحمد الرباط
مكتبة اسمعاد أفندي (السليمانية - اسطنبول) 2867
18 - فتح الانوار في بيان ما يعين على مدح المختار
لابراهيم التادلي
خزانة الرباط العامة 3285 د
19 - فهرسة
لمحمد التاودي بن سودة
الخزانة العباسية رقم 3388 (خزانة السيد الوالد) .
20 - كتاب الحايك في الموسيقى الاندلسية
الخزانة العباسية (غير مرقم) .
نشره فرناندو مارتينيز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك في
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص (انظره في
المطبوعات الاجنبية) .
21 - كتاب مجموع موشحات .
مكتبة آيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 2243
22 - لحن العامه
لابن هشام اللخمي
مكتبة دير الاسكوريال - نسختان : 46 - 99
23 - مجموع قصائد وموشحات في المديح النبوي مرتبة على نوبات
الانشاد .
لاحمد بن محمد العربي احضري المراكشي (مخطوطة خاصة
بالكاتب)

24 - مسالك الابصار وممالك الامصار

للعمرى

جامعة اسطنبول AY 4355

25 - منظومة فى الموسيقى

للمحوات

المكتبة الملكية بالرباط 4229

26 - موسوعة المغرب العربى (يسرف عليها المكتب الدائم للتعريب بالرباط

مادة : الآلة (الموسيقى)

لعبد الله بن العباس الجرازى

27 - النور اللامع البراق فى ترجمة محمد الحراق

لمحمد بن العربى الدلائى الرباطى

مكتبة تطوان العامة (وتوجد نسخة بخزانة الرباط العامة

رقمها 960)

تانيا : المطبوعة :

أ - الكتب العربية :

28 - الابتهاج بنور السراج (شرح على منظومة سيدي العربى المشرقى)

لاحمد بن المامون البلغيشى

مطبعة محمد أفندي مصطفى - مصر 1319 .

29 - ابن سناء الملك أو مشكلة العقم والابتكار فى الشعر

للدكتور عبد العزيز الاهوانى

مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة 1962 .

30 - البيان والتبيين

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1948 .

31 - البيان المغرب فى أخبار المغرب

لابن عذارى المراكشى

طبعة لبنان

- 32 - اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس
لعبد الرحمن بن زيدان
الطبعة الاولى - الرباط .
- 33 - أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
للمقدسى
طبعة ليدن 1909
- 34 - الاحكام فى أصول الاحكام .
لعلى بن حزم الظاهري
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - مصر
- 35 - الزاوية
للتهامي الوزاني
مطبعة الريف - تطوان - 1942
- 36 - أزهار الرياض في أخبار عياض
لاحمد المقرئ - تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابيارى وعبد
الحفيظ شلبي نشر المعهد الخليفي للابحاث المغربية - بيت
المغرب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1940
- 37 - الامتقاصا لخبار دول المغرب الاقصى
لاحمد بن خالد الناصري
طبعة القاهرة 1894 - طبعة دار الكتاب 1956 (الدار البيضاء) .
- 38 - الاعلام بمن حل بمراكش واغمت من الاعلام
لعباس بن ابراهيم
الطبعة الاولى (المطبعة الجديدة) فاس 1936 .
- 39 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب
لمحمد بن الطيب العلمي
طبعة حجربة
- 40 - الانيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس

لمحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن أبي ذرع
طبعة حجرية

41 - تاج العروس من جواهر القاموس

لمحمد مرتضى الزبيدي

42 - تاريخ خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر

لمحمد المحبى

المطبعة الوهبية - مصر - 1284

43 - تاريخ عبد الرحمن بن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ

والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى

الثنان الاكبر)

مطبعة بولاق

44 - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا

لابى القاسم الزياتى

نشر عبد الكريم الفيلاى - وزارة الانباء - المغرب 1967 .

45 - التشوف الى رجال التصوف

ليوسف بن يحيى الشاذلى المعروف بابن الزيات - تحقيق

أدولف فور

نشر معهد الابحاث العليا المغربية - 1958

46 - تفسير القرآن العظيم

لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

الطبعة الثالثة - مطبعة الاستقامة - القاهرة 1375 (1956)

47 - جذوة الاقتباس

لابن القاضى

طبعة حجرية

48 - جواهر الكمال في تراجم الرجال (القسم الثانى من كتاب :

اسئلى وما اليه)

لمحمد الكانونى

المطبعة العربية - الدار البيضاء

49 - دائرة المعارف الإسلامية

الترجمة العربية - القاهرة

50 - دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

لمحمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر

طبعة حجرية

51 - ديوان أبي الحسن الششتري

تحقيق الدكتور علي سامي النشار

الطبعة الأولى - الاسكندرية 1960

52 - ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد السابع)

لعبد الله شنون

53 - الرحلة

لابن بطوطة

طبعة باريس

54 - رسائل اخوان الصفا وخلق الوفا

لاخوان الصفا

طبعة صادر - بيروت

55 - رسائل موحدية

نشر ليفي بروفنسال

56 - ركب الحاج المغربي

لمحمد المنوني

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1953

57 - رياض النفوس

لابي عبد الله المالكي - تحقيق د. حسين مؤنس - القاهرة 1951

58 - الزجل في الاندلس

للدكتور عبد العزيز الاهواني

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957

59 - السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

محمد بن عبد الله الموقت

المطبعة الحلبية - مصر - 1341

60 - سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر

لابن معصوم

طبعة مصر

61 - الشذرات (التقاط الفوائد وغرر العوائد)

محمد الرضى السنائى

مطبعة بوشنتوف - الدار البيضاء

62 - صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر

محمد الصغير الافرانى

طبعة حجرية

63 - الطقاطيق الشعبية

لهيجه صدقى رشيد

نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقى

القاهرة .

64 - العربية دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب

ليوهان فوك Johann Fück ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار

مطبعة دار الكتاب العربى - القاهرة 1951

65 - فى اللهجات العربية

للدكتور ابراهيم أنيس

الطبعة الثانية - لجنة البيان العربى - القاهرة 1952

66 - القاموس المحيط

لفيروزبادى

67 - قصة الموال

ليلاد واصف

القاهرة

- 68 - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب
تصنيف نور الدين عبد القادر
المطبعة الشعالبية - الجزائر
- 69 - كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الفناء
لادريس الادريسي
الطبعة الاولى - الرباط 1935
- 70 - كشف القناع عن آلات السماع
لابي علي القوتى بن محمد الجزائري
مطبعة جوردان - الجزائر
- 71 - الكنز المكنون في الشعر الملحون
لقاضي محمد الجزائري
المطبعة الشعالبية - الجزائر 1928
- 72 - لحن العوام
لابي بكر محمد الزبيدي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب
الطبعة الاولى - القاهرة 1964
- 73 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الاثير
طبعة الحلبي - مصر 1939
- 74 - المحاضرات
للحسن بن مسعود اليوسي
طبعة حجرية
- 75 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن
لمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي
طبعة حجرية
- 76 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب
لعبد الواحد المراكشي - تحقيق سعيد العريان ومحمد العلمي
طبعة القاهرة

77 - المغرب في حلى المغرب

لابن سعيد تحقيق الدكتور شوقي ضيف

طبعة دار المعارف - القاهرة

78 - المقدمة

لابن خلدون

مطبعة بولاق

79 - ممتع الاسماع في ذكر الجزلى والتبايع وما نجا من الاتباع

لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن القاسى

طبعة حجرية

80 - المناقب

لمحمد بن أحمد الحضيكي

الطبعة الاولى

81 - المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم

الوارثين وظهور المهدي وتاريخ الموحدين

لابن عبد الملك البرجى المعروف بابن صاحب الصلاة - تحقيق

عبد الهادي التازى

82 - نشر الثانى

لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري

طبعة حجرية

83 - نقد النشر

لقدامة بن أبي جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد

العبادى

نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1938

84 - النهاية في غريب الحديث والاثار

للمبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الاثير

85 - نوبة الاصبهان

تنظيم Arcaño de Jarrea بمساعدة الفريد البستاني

نشر معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية -

تطوان 1956

86 - نيل الابتهاج بتطرين الديباج

لاحمد بابا التميكتي

طبعة فاس 1317 هـ .

87 - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

لاحمد بن خلكان

طبعة القاهرة 1355

ب - الكتب الأجنبية :

A. BEL 88

La religion musulmane en Berbérie (établissement
et développement de l'Islam en barberie).

E.F. Gautier 89

Les siècles obscurs du Maghreb

Fernando Valderrama Martinez 90

EL concionero de EL-HAİK

Instituto General Franco de estudios E investigation
hispano-arabe Tétuan 1954.

H. de castries 91

Les gnomes du Medjdoub - Paris 1896.

Jean Léon Africain 92

Description de l'Afrique :

Ed. CH. SCEFER - Paris

J. Scelles - Millie et B. Khalif. 93

Les quatrains de Medjdoub le sarcastique, poète
maghrébin du XVI S

G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

Louis Brunot : 94

a- Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain.

Mélanges W. Marçais - Paris 1950.

- b. Introduction à l'arabe marocain. 95
G.P. Maisonneuve et Cie Paris 1950.
M. EL FASSI 96
Chants anciens des femmes de Fés
Editions Seghers - Paris 1967.

ج - المجلات :

- 97 - مجلة الاذاعة والتلفزة المغربية - العدد 12 السنة الثانية
يوليوز غشت 1966
(الملحون بين ماضيه وحاضره لاحمد سهوم)
98 - مجلة البحث العلمي - العدد الاول - السنة الاولى ، يناير -
أبريل 1964 (المغرب)
(الادب الشعبي المغربي الملحون لمحمد الفاسي)
99 - مجلة البحث العلمي - العدد الرابع والخامس - السنة الثانية،
يناير غشت 1965 .
(لغة الملحون لمحمد الفاسي).
100 - مجلة البيئة - السنة الاولى - العدد الرابع - غشت 1962
(المغرب)
(نظرة عن الادب الشعبي بالمغرب لمحمد الفاسي)
101 - مجلة تطوان - العدد الخامس 1960 (المغرب)
(من أدبنا الشعبي لعبد الله كئون)
102 - مجلة هسبيرس (المغرب)
Hespéris TX 1960 Fas 1 (G.P.S. Colin : notes de dialecto-
logie arabe)
103 - مجلة هسبيرس
Hespéris 1938 1^{er} trimestre (M. T. Buret : «Sidi quaddur EL-
alami notes biographiques» dans : communications)
104 - مجلة الفنون الشعبية - العدد الاول - السنة الاولى -
القاهرة 1965

أ - (المأثورات الشعبية للدكتور عبد الحميد يونس)

ب - (الشعر الشعبي في تونس لمحمد المرزوقي)

105 - مجلة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - العدد الخامس 1957

(الدكتور محمود مكي)

Egipto y la historiographia arabico - espagnola

106 - مجلة معهد المخطوطات (جامعة الدول العربية - القاهرة)

المجلد الثالث 1957

(الفاط مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة

للدكتور عبد العزيز الاعوانى) .

Annales de l'institut d'études orientales Faculté des 107
lettres de l'université d'Alger T. 4 1938 - P 8

(مقال حول تعريب الشمال الافريقى لوليام مرسى)

W. Marçais)

مصادر النصوص الزجلية

أولاً : المخطوطة (مجاميع وكنائش)

أ - مجموعة الخزائن العامة :

1 - خزانة الرباط العامة :

108 - مجموع رقم 774 حرف د

109 - مجموع رقم 960 حرف د

110 - كنائش رقم 1518 حرف د

111 - كنائش رقم 1656 حرف د

112 - كنائش رقم 2067 حرف د

113 - قصيدة رقم 1115 حرف د (الجمهور للعلمى)

114 - قصيدة رقم 1458 حرف د (دالية ابن رموية)

115 - قصيدة رقم 1480 حرف د (ذكر لعبد الورات)

116 - ديوان في الثناء على حمدون بن الحاج (روضة النيلوفر نناء

الناس عليه وبعض مناقبه التى هى أعظم من الادفنى) : رقم

383 حرف د

117 - كناش رقم 108 حرف ج

118 - كناش رقم 595 حرف ج

119 - كناش رقم 1644 حرف ك

120 - كناش رقم 3027 حرف ك

121 - كناش رقم 165 حرف ق

122 - قصيدة رقم 1017 حرف ق (الغياشية)

2 - مكتبة تطوان العامة :

123 - مجموع رقم 589

124 - مجموع رقم 866

3 - خزانة مراکش :

125 - قصيدة الكفيف الزرهوني في هزيمة أبي الحسن المريني

بالقيروان في آخر مجموع رقم 184

4 - المكتبة الوطنية بهلريد :

126 - مجموع اشعار غير مرتب رقم 5307

5 - مكتبة دير الاسكوريال :

127 - مجموع رقم 523

ب - مجموعة الخزائن الخاصة :

1 - المكتبة الملكية بالرباط :

128 - مجموعة قصائد للمغراوي رقم 860

129 - كناشة عهد الله الشرقي رقم 5958

130 - كناش رقم 1502

131 - كناش رقم 2097

132 - كناش غير مرقم يضم قصائد لعبد الله الهبطي

2 - خزانة الاستاذ ادريس بن الماحي :

133 - كناش أغلب قصائده لعبد القادر العلمي (رمزنا له ب : م 1)

134 - كناش يضم قصائد للتهامي المدغري (رمزنا له ب : م 2)

3 - خزانة الاستاذ عبد السلام بن سودة :

135 - كناش (رمزنا له ب : س)

4 - خزانة الفقيه محمد الهسكوري :

136 - كناش رمزنا له ب : هـ

5 - خزانة الشيخ الزجال مولاي احمد بن عبد السلام العلوي :

137 - ديوانه (رمزنا له ب : ع)

ج - مجموعة الكاتب الخاصة :

138 - كناش رقم 1

139 - كناش رقم 2

140 - كناش رقم 3

141 - كناش رقم 4

142 - كناش رقم 5

143 - كناش رقم 6

144 - كناش رقم 7

145 - كناش رقم 8

146 - كناش رقم 9

147 - كناش رقم 10

148 - كناش رقم 11

149 - كناش رقم 12

150 - كناش رقم 13

151 - كناش رقم 14

152 - كناش رقم 15

153 - كناش رقم 16

154 - كناش رقم 17

155 - كناش رقم 18

156 - كناش رقم 19

- 157 - كناش رقم 20
158 - كناش رقم 21
159 - كناش رقم 22
160 - كناش رقم 23
161 - كناش رقم 24
162 - كناش رقم 25

ثانيا : المطبوعة :

- 163 - ديوان الاخضر بن خلوف (الجزائري)
164 - ديوان فائق ومجموع رائق للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي
طبعة حجرية
165 - ديوان محمد الحراق
أ - طبعة حجرية
ب - طبعة مكتبة المعارف بمكناس .
166 - كتاب نفع الازهار ووصف الانوار وأصوات الاطيار ونغم
الانوار .

Anthologie d'auteurs arabes

اختيار القال عبد الرحمان وبخوشه محمد
المطبعة المهدية - تطوان 1934

Sonneck - 167

chants arabes du Maghreb - 1885

A. Fischer - 168

Das liederbuch eines marokkanischen Sangers (Leipzig 1918)

ثالثا : المنشدة : (انظر كذلك فهرس الاذاعة الملحق بالدليل)

- 169 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 18 (تسجيلات الكاتب الخاصة)
170 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 21 (تسجيلات الكاتب
الخاصة)

الفهرس

د نصير للدكتور عبد العزيز الهماني

مقدمة :

1	دوافع تناول الموضوع
2	متاعب ومصاعب :
2	موقف المهتمين
4	المصادر
7	منهاج البحث
9	عرض الدراسة

مذخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي

20	أنواع الغناء في المغرب
21	انشاد القصيدة الزجلية
24	الآلات المصاحبة للانشاد
28	كيفية الأداء
35	طريقة السرد
37	شعبية القصيدة الزجلية

الباب الاول : الشكل

الفصل الاول : مفهوم الزجل وأنواعه

45	أولا : مفهوم الزجل
46	معنى الكلمة
47	أصل التسمية
50	سبب استعمالنا لكلمة زجل

54	أسماء أخرى :
54	الملحون (أصل التسمية به)
57	العلم الموهوب
58	السجية
58	لكلام
59	النظام أو النظام
59	الشعر
60	القريض
60	لوزان
60	الغنا
61	العلم الرقيق
61	كريحة
62	ثانيا : أنواع الزجل
62	تقسيمات مختلفة :
65	البرولة
67	العروبي
69	المزوكي
70	الموال
70	السلامات
70	العيطة
75	العطفولة
77	أغيسوع
78	الدقة
79	غيوان بن يازغة
81	أبيات المحكمة

الفصل الثانى : اللفظة والفنية

84

85

مراحل التعريب

96

نشأة العامية

103

خصائصها

104

خصائص عامة

108

ظواهر خاصة

111

جوانب بلاغية :

111

البلاغة والشعر العامي

114

التجنيس أو الجناس

115

التصريف

116

التضمين أو التلزييم

117

النسب

118

استخدام نوع معين من الكلام

121

فنية الاسلوب :

121

التشبيه والمقارنة

123

الحركة والحوية والتشخيص

124

الحوار

125

القصة

126

الرمز

127

لمحات نقدية

130

الفصل الثالث : العروض

131

البحور :

131

أساس بحور الزجل

133

تفعيلات خاصة

135

المهيمت

140	مكسور الجناح
142	المشتب
144	السوسي
147	بناء القصيدة :
147	مقدمة القصيدة : السرابية
149	أجزاء القصيدة
160	القسم الأخير
167	الدريكة
169	نموذجان للإيضاح
174	نظام القافية :
174	البراعة في التفقية
175	القافية في الأقسام
185	القافية في المقدمات
189	القافية في الدريكة
190	عيوب القافية
	<u>الباب الثاني : الموضوعات</u>
197	<u>الفصل الأول : المرأة</u>
199	أولا : المحبوبة
199	ألقاب وأوصاف
204	أوصاف عامة مفصلة
207	صورة مكتملة
217	أوصاف من خلال المقارنة
219	الوشم
223	ثانيا : المحب
223	الشكوى

233	الطاعة
235	المعاناة
241	محاورة الوصوفى :
241	بالرجاء والاستعتاف
242	بالتعاب
245	بارسال مبسووث
247	بالقضاء
251	بالجيل
257	الوصول
264	ثالثا : الحب
264	صورته
266	حكمة من تجربة الحب
270	رابعا : ملاحظات :
270	التغزل فى أكثر من واحدة
271	الغزل بالذكر
273	الرمز بالغزل
275	منى الصدق فى الغزل
277	<u>الفصل الثانى : فى الحياة</u>
280	الخمر والطبيعة :
280	أولا : الخمر
280	أسماءها
282	أوصافها
283	قصتها
285	الساقى
287	نظام الشرب وأدبه

287	أواني الشرب
288	الوقت المفضل للشرب
291	مجلس الشرب
296	الرفقة
296	الاعراض عن الخمر
297	الاعزاء بالشرب
300	الاستمتاع بمنازل الحياة
302	الاستغفار
303	الخمر الصوفية
305	ثانيا : الكون والطبيعة
306	1 - الكون :
306	القروب
309	الليل
314	الفجر
315	بين الصبح والليل
318	2 - الطبيعة :
318	الرياح
320	الأزهار والأشجار
324	مناسبات التنزه
325	ملاحظة : شعر الفكاهة
331	الزهد والحكمة :
332	النظرة الى الدنيا
335	الموت
336	الضييق بسلوك الناس
341	نصائح وتوصيات
345	أدب سلوك ومعاملة
348	السفرات والسفر

354	الاحداث والتأمل
369	ملاحظات :
369	مدى التجاوب مع المجتمع
372	الخطاب في الوعظ
375	قصائد للتذكير بعظمة الله
377	<u>الفصل الثالث : مع الناس</u>
378	المدح
389	الرثاء
397	الهجاء :
404	هجاء متبادل
412	لمراض أو المعارضة
419	الفخر
420	السولان (السؤال)
423	الخصام
441	ملاحظة : تخيل الخصام في غير الانسان
451	<u>الفصل الرابع : في حمى الله والرسول</u>
453	حب الرسول
456	أوصاف الرسول وشماله
466	المولد
472	الوفاة
478	المعراج
479	التصلية (الصلاة)
487	الغاية من المدح والصلاة
493	الشوق والحنين للبقاع المقدسة
501	التوسل

511	مدح الاشراف والاولياء
525	ملاحقة : العشق الالهى
531	<u>الباب الثالث : الاعلام</u>
533	<u>الفصل الاول : مرحلة النشأة</u>
534	أسماء ونصوص قديمة :
537	ابن غرلة
540	عبد المومن الموحدى
540	رميلة أخت عبد المومن
540	ابن خبازة
541	ابن حسون
543	ابن سبعين
544	ابن شجاع التازى
545	الكفيف الزرهونى
546	المنصور الاعمى
546	مولاي الشماذ
547	عبد الله بن احساين
549	أصل القصيدة الزجلية :
549	الزجل الاندلسى ؟
552	الموشحات ؟
554	شعر العرب الوافدين ؟
555	عروض البلد ؟
556	الاغانى والمرددات الشعبية ؟
561	<u>الفصل الثانى : مرحلة التطور</u>

- 562 عبد الله بن احسانين
567 حماد الحمري
570 محمد بن علي بوعهرو
578 الحاج اعمارة
581 محمد بن عبد الله بن احسانين
585 ادريس المريني
587 عبد العزيز المفاوي
592 المصمودي
594 ركود في نهاية هذه المرحلة
596 زجالون متصوفون :
596 عبد الرحمن المجذوب
597 محمد الشرقي
599 محمد بن يحيى البهاولي
600 عبد الله بن محمد الهبطي
601 عبد الوارث الياصلي
602 محمد بن ريسون
603 احمد بن علال الشرايلي
603 زجالون جزائريون :
604 أبو عثمان سعيد التلمساني
608 أحمد التريكي
609 الفصل الثالث : مرحلة الازدهار
611 الجيلالي اميرد
616 الحاج محمد النجار
619 عبد القادر بن عبد الرحمن بوخوبص
620 محمد بن علي الممراني

625	محمد بن سليمان
627	محمد بن قاسم العميري
629	عبد القادر العلمي
639	محمد الحراق
643	التهامي المدغري
649	بعض معاصريه
650	أحمد الكندوز
652	محمد الموقت
653	مولاي علي شقور
654	شاعرتان من شفشاون
655	أحمد بن علي الدكالي السلاوي
656	الحاج ادريس بن علي السناني لحنش
658	أحمد بن عاشر الحداد
659	محمد بوزيان
659	الحاج أحمد الغرايلي
662	بعض تلاميذه ومعاصريه
663	السلطان مولاي عبد الحفيظ
669	ادريس العلمي
671	محمد العيساوي الفلوس
673	بنعيسى الدراز
673	الحاج محمد بن عمر الملاحوني
675	عثمان الزكي
676	عبد القادر الجراي
678	الحاج محمد العوفير
679	زجالون آخرون :
679	مراكش
681	فاس

684	الرباط
685	سلا
685	أزمور
686	تطوان
686	أسفى
686	وزان
686	شفشاون
687	تافيلالت
687	صفرو
687	بنى ملال
687	الدار البيضاء
688	المصادر
704	الفهرس



تنبيه واعتذار

نلفت نظر القارئ الكريم الى :

1 - أننا عمدنا الى كل الكلمات التي يستهل نطقها بسكون ، فبدأناها

بحرف ألف حتى يسهل الاهتداء الى هذا النطق .

2 - أننا لم نتمكن في كل الرسالة من كتابة القاف التي تنطق جيا

مغلقة كافا بثلاث نقط ، كما جرت العادة بذلك ، والسبب ان

التصنيف تم في ثلاث آلات (اللينو) لم تكن تتوفر منها على

الكاف المنقوطة الا واحدة . كذلك حاولت الثانية تميزه بكتابه

بالاسود ، اما الثالثة فلم تميزه وكتبته كافا مجرداً

ونعتذر له عن الاخطاء المطبعية التي قد يصادفها والتي حاولنا جهد

الامكان تلافيها بالتصحيح اكثر من مرة . كما نعتذر عن

بعض الهفوات التي حدثت عند الطبع النهائي ، والتي لاحظنا منها

خلال المراجعة السريعة اثنتين :

1 - في صفحة 593 سطر 9 وقع خلط في عجز البيت ، وصوابه :

قبطات لكتاب اطواتو

2 - في صفحة 630 نسيت كتابة سطر ، محله بعد السطر الثاني وهو :

الله فنمت الى الصباح فوجدت القار اكل سواد الصحيفة دون

بياضها